الأدب

8

رئيس التحرير

أمين الخولي

الإذاعة

فنية شهرية

العدد الاول
ابريل ١٩٦٣
السنة الثامنة

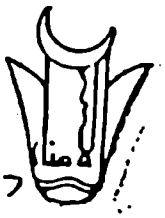

الآداب

فنية . شهرية

يصدرها الأمناء

الإدارة: مصر الجديدة . ألمجر ١٣
ت ٦١٧٥٠

الرسائل الفنية والمالية ترسل باسم
أمين الخولى
رئيس التحرير

الرسائل الادارية ترسل باسم
محمد عابد عبد العال
مدير الادارة

الاشتراك :
الجمهورية العربية ٦٠ قرشا
الخارج ٩٠ »
ثمن العدد ٦ قروش

البريد الجوى والمسجل بحسابه
تصدر فى اليوم السابع من كل شهر

فى هذا العدد

سبع سنين دابا	٢
الآداب الداغستانية بالعربية	٤
انشودة الطريق	١٢
الشاعر والصياد	١٦
خمود الحب	١٨
لا تقولى	١٩
قالوا أصل	٢٠
البذرة الطيبة	٢٢
مهما كنت نذلا	٢٣
قبلة الوداع	٢٦
اى والله	٣١
باقة من الشعر الانجليزى	٣٥
من نشيد الانشاد	٤٣
النقد فريضة والشباب وديعة	٤٦
نقد مجموعة حارة السقايين	٥١
بريد الادب	٥٥

العدد الاول ــ ابريل ١٩٦٣ ــ السنة الثامنة
السنة ١٠ اعداد ــ كتاب قيم هدية بدلا من الاجازة الصيفية (اغسطس وسبتمبر)

دار الهنا للطباعة ت : ٧١٣٢٧

من الفن والحياة

السنة الثامنة

سبع سنين دأبا .. طالعت فيها « الادب » الحياة ، برسالة الفن والحياة . تنصر الحق .. وتنشد الخير .. وتعبد الجمال

سبع سنين دأبا .. مرت فيها « الادب » بما قضت سنة الحياة ان تمر به هذه الكائنات ، من نشوء .. ونماء .. ونضج ، أدوار تلقى فى كل دور منها مالقى ، من تغير ، وتطور ونعثر ، يكتب فيه البقاء للاصلح ، فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ماينفع الناس فيمكث فى الارض

سبع سنين دأبا .. بدأتها «الادب» بوعى ، من يعرف جيدا ، علام هو قادم ، وآفات الحياة الصحافية أمامها بادية صارخة ، يبرم بها كل ذى ضمير وأوزارها ثقيلة باهظة ، يعيى بايسرها كل ذى خلق .. فواجهت « الادب » ذلك كله فى تعفف .. وتمنع .. وترفع .. وتحرج .. ما مست قط شيئا من هذا الرجس .. ولا المت بشىء من هذا الوزر .. وان ضاع عليها بذلك ما ضاع .. وفاتها مافات .. فليست الدنيا عندها حطاما زائلا ، وعرضا فانيا ..

سبع سنين دأبا مضت فيها « الادب » تحقر هذا الاقطاع الصحافى وتدوس جبروته . . وتحطم طغيانه

مهما يشمخ .. وما قوتهـــا فى ذلك الا الصبر الصابر والاحتمـال الواثق والتواضع الصـــادق . اذا ارتفعت عمائرهم ارتفع صـوت ((الامنـاء)) مدويا ، من منار الحق ، الذى ترفعه يد الله ..

واذا جرت سياراتهم فى الشوارع تزمر عدت عزمة ((الادب)) فى ميدان الخير تزار ، بروح الله

كانوا يعـــدون مئات الالوف من الاعداد ، ويعدون تخمينها احجية ، يجاز عليها الحادس بالاف الجنيهات فتسخر ((الادب)) بهذا العبث مؤمنة أن الناس الفهمنهمو كواحد ..وواحد كالالف .. وقد آمنت على مثل هذا اجيال .. واجيال ..

سبع سنين دابا شـــهدت فيها ((الادب)) تنظيم الصحافة ، بعـــد ما شاع فسادها ، واستفاض شرها وحاول هذا التنظيم المضطر ان يحد من طغيانها ، ويكشف من اوهامها .. ويقوم من ساوكها ، فرجت ((الادب)) الكثير .. وأملت العظيم .. وارتقبت الايام فاذا هذه الصحافة تدور حول اوهامها الماضية.. وتداورلتظل حيث كانت من تفاهتها .. وانانيتهـا .. واهوائها .. تمضى وهى على ملك الله وعليها يد الشعب لاترعى خلقه .. ولا تنحرى رضاه .. كدابها يوم كانت على ملك الفرد ، مصـــيدة كسب ، ومادة ربح .. لا تعرف الا الارقام.. ولا تتورع عن حرام

سبع ســـنين دابا ظلت ((الادب)) ترى فيها هـــذه الصحافة تعطى السيارات فى اليانصيب ، على فزورة والادب تنتعل الدم ، ويحاها الامنـاء من دمهم ومالهم ما شـــاءت ، انحيا وتبقى ، وتكون كما كتب احد قرائها فى مطلع هذا العام :

ارادة مجسدة تفصح عما فى قدرة الانسان من قوة تستهين بكل صعب

ســـبع سنين دابا رات ((الادب)) فيها غرائب ، من هيئات رسـمية ، اقامتها الدولة لاهداف فنية ، ادبية ، اجتماعية . فكانت خدمتها ((للادب)) شخشخة بملاليم . وشراء تسـخة ، فيعوض ((الادب)) عن ذلك التوهين ايمان قلوب الشباب المخلصين . . وتاييد ارواح الكبار الراسخين . . ولفتة من ذوى شان تضىء فى ظـلام الرسميات فتربط على قلوب العاملين .. مهما يطل المدى . وتخش الخلف وبهنز الرجاء

ســـبع ســـنين دابا امضـــتها ((الادب)) راضية ، طامحة ، واثقة ، بقدر ما هى صابرة ، مصابرة ،مرابطة

واليوم تدخل عامها الثامن ،واعواما تليه واعواما ، ان شاء الله .. بمضاء اقوى .. ورضا اشمل .. وطموح ابعد .. وثقة اكمل .. بعد ما اختبرت الاحـداث صبرها .. وفتنت الايام ايمانهـا .. وعجمت المصاعب عودها وايقنت هى من كل اولئك بان العالم ارادة .

ومن ((الادب)) ، الى النشء ، على هذا الدرب تحية وتشجيع .. مععدة لا تخلف بانهم اصحاب حق فيهـــا معلوم

والى الراسخين ، من حملة المشعل ثقة ،ومؤازرة ،وعهد على الولاء والوفاء فى الحق .. وللحق .. ومن الحق ، لا تخشى فيه لومة لائم ، ولا تضن فى سبيله بنفس ولا مال .. حتى تبلغ رسالة الفن والحياة

عبد الأمناء

الآداب الداغستانية العربية (١)

في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

بقلم محمد سيد جمال الدين الأوارى الداغستانى (٢)

ان الظروف التاريخية الماضية لم تحفظ لنا من آثار الادب الداغستانى باللغة العربية الا نزرا يسيرا .. وبما ان هذه الآثار لما مزيتها المهمة الممتازة فمما لاريب فيه ان لها اهميتها العلمية الملحوظة .

يذكر المؤلفون العرب مثل ياقوت الحموى وابن بطوطة وغيرهما فى معاجمهم واسفارهم عدة افراد ممن لهم يد فى العلوم العربية المنتمين الى مدينة دربند حتى القرن الثالث عشر من الميلاد . ومع هذا فلا نصادف فى سجلات تلك السفر حتى القرن الثالث عشر ذكر احد من علماء العربية من سائر نواحى داغستان ، لان الاسلام وعلومه انما انتشر هناك فى القرن الثالث عشر من الميلاد فقط .

أول من برز فى داغستان الشمالية من العلماء المستعربين هو الشيخ عثى بن محمد الغموقى (توفى سنة ١٤٤٨ م) الذى اشتهر بمؤلفه « المختصر » . شرح عليه شيخ الازهر عبد الله الشرقاوى (توفى سنة ١١٨٢ م) وعدة من الشراح المحليين ولهذا الشيخ المذكور على كتاب قيم فى الحديث معنون بـ « دور الاذكار » فرغ من تاليفه سنة ١٤٣٠ م .

ومن البديهى انه كان للشيخ المذكور على اساتذة وشيوخ تحصل عنهم فى هذا البلد ، الا ان تاليفهم

---

(١) جاءنا هذا المقال على يد الصديق الكريم الدكتور مولود عطا الله ، عضو اكاديمية العلوم بموسكو ، وفى خطابه يقول : « ان المقالة تلقى ضوءا على مسالة هامة فى نظرنا ، وهى سير وتطور الادب العربى فى بلد منعزل وناء عن المحيط العربى طوال قرون » .

(٢) يقدم الدكتور مولود الاستاذ الكاتب بقوله : « الاستاذ محمد سيد بن جمال الدين الاوارى يسكن بلدة ماجاج قلعة عاصمة الجمهورية الداغستانية ، فى اكاديمية العلوم هناك مشتغل بالادب العربى وتاريخه فى بلده وكان هذا موضوع بحثه فى مؤتمر المستشرقين بموسكو » .

ومخطوطاتهم لم يحفظها لنا الدهر . بل توجد عدة كتب عربية مخطوطة بايدى الداغستانيين اوائل القرن الرابع عشر .

وكان للشيخ اسلدار ، المدفون فى هاركاس (توفى سنة ١٤٠٤ م) اتباعه وطبته .

التصوف والسلوك :

ظهر التصوف فى داغستان باكرا . ففى القرن الحادى عشر للميلاد ابرز الشيخ ابو بكر محمد بن موسى بن الفرج الدربندى كتابه «ريحان الحقائق وبستان الدقائق فى السلوك والتصوف » .

وفى اوائل القرن التاسع عشر للميلاد ظهرت بداغستان الطريقة النقشبندية من اذربيجان الشمالية « كوردمير » وكثر اتباعها . وحبر افراد من زعمائها الداغستانيون كتبا . وازاحوا الستار عن كنهها مثل الشيخ جمال الدين الغموقى صاحب كتاب « الآداب المرضية» (طبع فى تميرخان شورة سنة ١٩٠٨) ، والشيخ عبد الرحمن السوغورى صاحب كتاب « المشرب النقشبندى » (تميرخان شورة سنة ١٩٠٦) والشيخ محمد العوبودى صاحب « كنز الدرر » ، والشيخ حسن بن محمد القاحى صاحب كتاب « البروج المشيدة » و « تنبيه السالكين الى غرور المتشيخين » (طبعتا فى تمير خان شورة سنة ١٩٠٦ ، ١٩١٠) والشيخ شعيب الباكينى صاحب « طبقات الخواجكان » ، والشيخ محمد بن عثمان الكيكونى (توفى سنة ١٩١٦ م) صاحب كتاب « نجم الانام » (طبع تميرخان شورة ١٩٠٣) والشيخ محمد اليراغى صاحب كتاب « الآثار (طبع تميرخان شورة ١٩١٠) ، والشيخ محمد بن محمد بن محمد الاوارى الغنسولى صاحب كتاب « جواهر السلوك الموصل الى ملك الملوك » فى مجلدين (طبع تميرخان شورة ١٩١٣) وغيرهم .

الفقه :

اما فى حقول علوم الفقه فالداغستانيون لم يقتصروا على سرد القواعد الفقهية المأثورة فقط ، بل استنباط احكامها الملائمة لبيئة الصقع وظروف العصر ، وما اقتصروا على تحشية المتون والتقارير عليها . حتى ان افرادا منهم قرعوا باب الاجتهاد وتتبعوا الاحكام والقواعد صبقا على ما يلهمهم الكتاب والسنة . وقد ألف بعض علمائهم عدة كتب طبع بعضها فى تميرخان شورة (داغستان) والبعض فى مكة والقاهرة واستانبول .

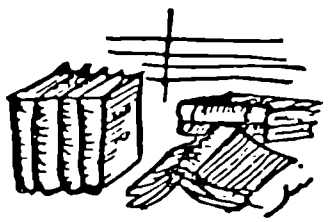

وتمتاز من بين علماء داغستان شخصية العالم محمد بن موسى القردوقى (توفى فى حلب سنة ١٧١٦م) فانه امتاز من بين اقرانه بحدة التحقيق ، وبعد النظر ، وغور النقد ونزاهة الضمير ، ورجاحة الاستقلال فى تحقيق مسائل الفقه ، ولكنه لم يدع الاجتهاد مثلما ادعاه استاذه الشيخ صالح اليمنى صاحب كتاب « العلم الشامخ » وغيره (توفى سنة ١١٠٨/ ١٧٩٨) ، ومع ذلك فان له عدة مسائل خالف فى حلها فقهاء

الشافعية فى عصره واثبتها فيهـــا بالحجج والبراهين من كتب السنة . كان محمد بن موسى قد حاز شـهرة واسعة فى وطنه . قرا عليه جم غفير من الطلبة الذين اجتمعوا حوله من جميع نواحى داغستان وكذلك من الاقليم الشمالى للتتر ومن الجركس ومن القفقاس الشمالى عموماوغيرها وكان على جانب عظيم من الاحاطة بكثير من العلوم الدينية والرياضية والفلسفية .

من مشاهير الفقهاء الداغستانيين فى القرون الاخيرة ابو بكر بن معاوية العايماكى (توفى سنة ١٧٩٠ م) ، وعلى بن الحاج بن محمد (توفى سنة ١٧٥٠ م) ، وداود الاوسيشى (توفى سنة ١٧٥٧) والعالم على بن محمد البغدادى الترغوى (توفى سنة ١٤١٥) صاحب كتاب « وقوع المراد» والشيخ شعبان بن اسماعيل القوبودى (توفى سنة ١٧٣٨) ، والعالم سلمان الطوخى (القرن الثامن عشر) وغيرهم . وفى القرن التاسع عشر برز العالم محمد طاهر القارخى صاحب كتاب « شرح المفروض » طبع تمرخان) شورة وباغجاسراى سنة ١٩٠٤ ، والعالم النحوى محمد على الجوخى صاحب « الفتاوى » (طبع تمرخان شورة سنة ١٩٠٢) والعالم مرتضى على العورادى ، والعالم حسن الالقادارى صاحب كتاب « جراب المنون » (طبع تمرخان سنة ١٩١٢) والعالم مسلم العورادى (توفى اوائل القرن ٢٠) وغيرهم .

علوم الهيئة والرياضيات :

ما زالت شروان واذربيجان حتى القرن السابع عشر محافظة على تفوقها فى العلوم العقلية وكانت تؤثر عى الداغستانيين تاثيرا محسوسا ، فقد عاش هناك فى مرصد مراغة واشتغل بالرياضيات العلماء الاعلام نصير الدين الطوسى وابو الفرج العبرى (١٢٨٦ م) وفريد الدين على الشروانى وغيرهم .

اشتغل العلماء الداغستانيون منذ اوائل القرن السابع عشر بالعلوم العقلية فى هذا الصقع . ومن المجتهدين لهذا الامر العالم ملامحمد الفولودى (القرن ١٧) فانه اسس مدرسة ضخمة وسن فيها التعليم بالعربية لعلوم المنطق والفلسفة والمناظرة والالهيات ودقق فى مسائل الكلام وساعد كثيرا ايضا فى رواج رسالة العالم محمد امين الشروانى « جهة الوحدة » فى المنطق .

واشتغل على المذكور ملا محمد العولودى وقرا عليه الفلسفة والالهيات العالم على القلى الذى ساعد بهمته الجبارة على نشر العلوم والادب فى داغستان . له تقارير مهمة وتصانيفه جمة فى المنطق والمناظرة وعلم الكلام وحواش كثيرة وكراريس مستقلة فى عدة علوم عقلية ونقلية .

وتحصل على العالم على القلى فى العلوم العقلية صدر العلماء الداغستانيين محمد بن موسى القودوقى الذى اسس مدرسة قيمة خرج منها الاعلام مثل محمد بن على الاوبرى والشيخ محمد العاليمى والرياضى ماحاد الجوخى والمعمار

ماحاد الكـــوري وداود الاوسيشي والشيخ اسمعيل الشينازي وغيرهم

ويعد من بين العلماء المتميزين العالم الرياضي عيسى الشامفادى (القرن ١٧) الذى تلقى العلم فى وطنه ، ثم رحل الى شيروان ولقى هناك الشيخ فيض الله الاغداشى .

ومما يحكى ان العـــالم عيسى الشامفادى لقى الرياضى الشهير بهاء الدين العاملى صاحب « خلاصـــة الحساب » وحاز عند الاخير قبـولا وحفاوة . وعيسى هذا هو الذى اتى بتاليف العاملى الى داغســتان ، ثم صار هذا الكتاب موضوعا للدراسة هناك . ولعيسى هذا عدة مؤلفـات قيمة فى الرياضيات والفلسفة والمنطق

ومن اقرب طلبة عيسى الشامفادى وملا محمد الفولودى الاســـتاذ اسمعيل الشينازى وهو فى صفوف اول من اشـــتغل فى داغســتان بالاسطرلاب وتصدى لتطبيقه عمليـا فى تقدير ارتفاع سطوح الجبـــال والاجرام المختلفة ، وكان هو قدابدع اسطرلابا وصنف رسالة فى شـــكله واصول تطبيقه . قرأ عليـه كثيرون هذه الصنعة . ولهذا العالم الشينازى عـــدة تقارير مهمة فى الرياضيات والهندسة والهيئة والفلسفة .

ومن المتخرجين على الاستاذ مـلا محمد الفولودى العالم قربان عـلى العاكالجى (القرن ١٧) ، وهـو من المنطقيين البارزين ، له تقارير ونقـد على رسالة العالم الشيروانى محمـد امين « جهة الوحـدة » . وبتقارير افترق المنطقيون الداغستانيـون الى فرقتين ، فرقة تمالىء محمـد امين ونظريته ، وفرقة تعارضـه وتوالى وجهة نظر العالم المذكور قربان على وله ايضا تقارير مهمة فى الفلسفة وفى عـــلم الكلام . توفى قربان على فى كوسته ك سنة ..

وخلف العالم الفطن مهدى محمد السوغورى ميراثا ضـخما فى المنطق والفلسفة وفى علم الكلام . ومن اول من اســس التدريس لعلوم الرياضيات والهيئة والطب والعقاقير العالم دمدان ابن يعقوب الموحى (توفى سنة ١٧١٨م) وهو الذى عرب من الفارسية شرح مقدمة زيج اولوغ بك للعالم عبدالعلى ابن محمـــد حسين البرجنـــدى (١٩٣٨/١٢٥٣) ، وهذه الترجمـة صحيحة العبارة ، جـــزلة اللفظ ، سليمة التركيب ، تمتاز برشاقـــة الاصول ومتانتها وكان دمدان قد اجاد وبرع فى علوم الرياضيات والطبيعيات وابان فى تاليفه القيمـــة القواعـــد الاساسية بوضوح تام ، معتمـدا فى الغالب على « المقدمة » لاقليدس . وربمـا اوما الى تاليف الحكمـــاء الشرقيين (نصير الدين الطـــوسى وغيره) . وكان لدمدان اطـلاع تام ومعرفة واسعة فى فن المثلثات ، فانه شرح قواعده الاساسية واضاف اليها نتائجه الشخصية فيها . وكان هـو على علم تام وتضلع وافـر فى تطبيق قواعد النسبة فى علم نسبة الاعداد وحقق نظرية ذات اهمية لحل المسائل بطريقـــة التخرص والتخمين . له مقالات هامة وتقارير رائعة وتنقيدات لاذعة لعدة مؤلفات فى هذا الباب .

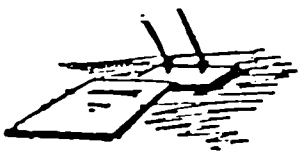

وكان العـــالم ماحاد بن ايوب الجوخى (توفى سنة ١٧٧٠ م) افنى طول عمره فى التـدريس والافادة ،

تحصل فى اوائل عمره على ابى بكر العايماكى ، ثم ارتحل للتحصيل الى الديار المصرية واشتغل فى الازهر وخرج منه وهو امام يشار اليه ،البنان فى العلوم الرياضية والفلسفية والهيئة والارصاد ، وقد اشاد باسمه احد اساتذته المصريين وهو الشيخ محمد بن عثمان الدريجنى فى ديباجة كتابه « الأشراق » فى الفلسفة الالهية واشار فيه بانه بارع فى هذا الفن . ثم بعدما القى عصى تسياره فى مسقط راسه «جوخ تالب» وعكف على التريس واجتمع عنده نخبة من الطلبة النجباء لدرس العلوم الرياضية والفلسفية والمنطق والهيئة والف فيها عدة كتب ؛ تخرج عليه من المشاهير شيطان عبد الله ، ومهدى محمد السوغوريان ، والعالم دبيرقادى ونور محمد الاواريان ، وعمر وحسن الكودالیان ، وعبد الحليم الزويشى وغيرهم .

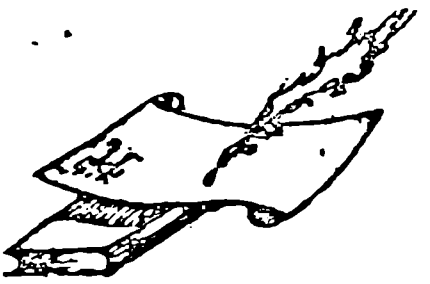

وفاق فى القرن التاسع عشر فى علم الهيئة العالم زيد بن اسنبولات الكوركلى والعالم ميرزا على الآختى والحاج حمزة الجيركى والفلكى داود القرابداغى ومحمد بن اسيد الطيندى وصادق الاوبرى ، والعلماء اسمعيل وماما وآتتى حاجى وشمس الدين الفوموقيون وكثيرون غيرهم .

الطب :

وقد تعاطى الداغستانيون الطب ايضا . فكانوا يشتغلون بالطبابة وجبر العظم واسعاف المرضى والجرحى . وكان لجميع مؤلفات الطب التى كانت متداولة فى العالم الاسلامى رواج واسع هناك .

عربه الفاضل رحمن قلى الآختى (القرن ١٨) من الفارسية كتاب « تحفة المؤمنين » فى الطب للديلمى ، والعالم نور محمد الاوارى (توفى سنة ١٨٣٤ م) ترجمه الى اللغة الغموقية ، وظهرت تراجم كراسات وكتيبات الى الغازى غوموقية والاوارية .

لقد اثنى الطبيب الروسى الشهير بيروكوف الذى شارك فى الحروب القافقاسية كطبيب عسكرى وقيد فى مذكراته المقدرة الطبية الجيدة المنبثقة من الطب العربى لجراحى ومتطببى داغستان .

ان المتطبب الغازى غوموقى سيف الله باشلاروف قد الف كتابا فى تعريفات مصطلحات الطب العربى مع مقابلاتها بالروسية والالمانية . أما الطبيب العالم رافع بن اسمعيل الشامفادى فله اثر قيم فى الطب جمع فيه وسجل جميع تجاربه وحنكته، حتى ان قائمة كتابه تحتوى اربعمائة ونيف صفحة .

وكان الجراح الاونصوكولى جبرائيل واولاد حاج محمد القورودیون وبنو يوسف الياخساويون والجراح برتتاى السوغورى وكثيرون غيرهم قد احرزوا شهرة واسعة وتوفيقا ممائلا فى اعمالهم الطبية والاسعافية .

التاريخ :

كانت مؤلفات العلماء الداغستانيين في حقل التاريخ والحوادث مقصورة غالبا على الوقائع في عصر الامام المشهور شامل وحوادثه . اشتهر من بين مؤلفات التاريخ الداغستاني تأليف العالم محمد طاهر القاراخي « بارقة السيوف الجبلية في بعض الغزوات الشاملية » (طبع لنين كراد ، بمطبعة اكاديمية العلوم للاتحاد السوفياتي سنة ١٩٤٠ ـ ١٩٤٩ ، مع ترجمة روسية في مجلدين تحت اشراف العلامة المستشرق اغناطيوس كراتشكوفسكي ، وكتاب « المغازي » للعالم الحاج حيدر بك بن عمر الكينيشوقي ، وكتاب « خلاصة التفصيل في أحوال الامام شمويل » ، و « مذكرات » للاديب عبد الرحمن الغازي غوموقي ، و « عصر شامل » لاسحاق الارواوي ، وكتاب « خبر الآنفيدي » للعالم خليل الآنفيدي ، و « آثار داغستان » بالاذرية للعالم حسن الالقاداري (طبع باكو سنة ١٩١٢) وقد عربت مرتين ، و« تحفة الاخوان » للعالم علي السالطي ، وتأليف الحاج جمال الدين القارابداغي و « المنخل » للعالم حسن الكودالي ، وكتاب « جداول التاريخ » للعالم ملا أحمد بن نور محمد التاباساراني ، و « نزهة الاذهان في تراجم علماء داغستان » للعالم نذير الدوركه لي ، و « طبقات التراجم » بالتركية للعالم علي بن عبد الحميد قايايوف الغوموقي .

اللغة :

أما اللغويون فكان منهم في داغستان عدد محصور . من أهم مؤلفات الداغستانيين فيها تصنيف العالم وبيرقادي الاواري (القرن ١٩) « جامع اللغتين لتعليم الاخوين » ، وهو قاموس فارسي تركي عربي المتن ، وله كتاب « تبيان اللسان لتعليم الصبيان » بالعربية لتعليم الصبيان اللغة الفارسية . وقد ألف العالم ابو سفيان الغازانيشي كتابه « خمسة السنة » وطبعه عدة مرات ، واخيرا اصدر كتابه القيم « الخدمة المشكورة في اللغات المشهورة » (طبع سنة ١٩٢٥ م ببلدة بوبناقسك ، تميرخان شوره السابق) .

النحو والصرف :

كانت في مجموعة الكتب المدرسية في النحو العربي في القرن الثامن عشر في الغالب كتب مجلوبة من ايران (التصريف للعزي ، العوامل المائة لنجرجاني ، انموذج للزمخشري) . ولكن الامر ما برح أن تغير ، في القرن التاسع عشر ، حينما جلبت الكتب المدرسية من البلاد العربية وعلى راسها الشام ومصر (الفية بن مالك وشروحها ، مغني اللبيب وغيرها) ، وعلاوة على جميع ما ذكر فقد شرع النحويون المحليون يؤلفون كتب النحو والصرف وينشرونها في بلادهم . نذكر من هؤلاء المؤلفين الداغستانيين محمد ابن مانيلا (توفي سنة ١٧٧٠ م) ،

ومحمد بن موسى القودوقي ، ومحمد علي الجوخي (توفي سنة ١٩٠٢ م)، وحسن الكودالي (توفي سنة ١٧٠٠) وداود الاوسيشي (توفي سنة ١٧٦٧م) وابن ديبير بلاد الهاراكاني ، ويونس الاينخوي ، وغازي محمد القاراخي ، وقربان علي الارغاني ، وعبد اللطيف الحوزي وكثيرون غيرهم .

الشعر :

ظهر الادب العربى فى داغستان زمن الانحطاط العام لتمدن العربى ، لان الادب الداغستانى بالعربية انما ابتدأ انكشافه ونموه فى اواخر القرن السادس عشر واوائل القرن التالى فقط . وظهر هو ونما على اساس البيئة المحلية والظروف الداغستانية فلهذا صار منبعا مهما بل مرآة للنمو والتطور التاريخى لهذا الصقع . والادب الداغستانى بالعربية الذى ازدهر ضمن دائرة محدودة نسبية لم يدخل ولم يندرج ضمن ابدع النماذج الادبية العالمية مثل ماحصل لنماذج الادب العربى بوجه عام ، ولكنه من جهة اخرى غزير فى ذاته وهو كناظورة يستطاع بها مراقبة سير الحوادث التاريخية والاوضاع المحلية الخاصة بالاقوام الجبلية . ومن حيث اداة التعبير فن الادب الداغستانى بالعربية يمتاز برجاحة الالفاظ وتناسقها وسلاسة الاصول وصراحة المدلول ، ومتانة المعانى ، كانه نموذج من الادب العربى عصر الازدهار الذهبى الغابر .

يلاحظ فى الادب الداغستانى بالعربية فى العصرين الثامن عشر والتاسع عشر توجيهان رئيسيان فى تطوره وتقدمه .

التوجيه الاول فهو عبارة عن المدائح الربانية والنبوية المنبثقة من تاثير الاشعار والمنظومات العربية فى الالهيات والمدائح النبوية اجادت بها قرائح المتشاعرين الداغستانيين . ويغلب على هذا التوجيه التفسح والسذاجة ، وقد تؤديان الى تكرار الالفاظ والتعبيرات الجوفاء واستعمال الكلمات فى غيرمواضيعها ؛ وهى لابد تجر الى رداءة النظم وخروجه من طبقته فى بعض الظروف

وفى صفوف هذا التوجيه الاول. قام الناظم على بن محمد البغدادى التارغووى (توفى سنة ١٦١٣ م) ، والعالم ملا محمد الكاطروخى ، والشيخ على الغوموقى الانف الذكر، وشعبان بن اسمعيل العوبودى (توفى سنة) ، وآقا ميرزا القاعانى ، ودبيرقادى الاوارى وغيرهم .

وجنبا الى جنب التوجيه الاول. للادب المذكور بدأ توجيه آخر يتقدم ويزدهر فى آثار عدة اعلام داغستانيين الذين رنت فى مسامعهم اغانى الوقائع التاريخية العصرية بل الحياة الواقعية فتراهم يمثلون فترة عصرهم فى اشعارهم اصدق تمثيل ، وهم انفسهم يشاركون فى الحوادث والوقائع باقلامهم وعبقريتهم . فادبيتهم مطبوعة بطابع خاص وقالب واضح ، فتجد من بينهم من جرب انواع الادب بقلمه فى باب الحماسة ، والنسيب ، والمديح ، والزمنيات ، والهجاء وغيرها .

وكان من حاملى لواء هذا التوجيه الادبى الثانى فى داغستان فى القرن التاسع عشر العالم الشهير سعيد الهاراكانى ، والعالم الحاج محمد

السوغورى ، والعالم عبد اللطيف الحوزى نزيل جونكوت ، والعالم يوسف الياخساوى ، والعالم ميرزا على الآختى ، والعالم شيخ امير الفوموقى ، والعالم حسن الآلقادارى والعالم امام محمد الهيالى وغيرهم .

اما الدور الجديد فى الادب الداغستانى بالعربية فيبدأ فى اوائل القرن العشرين حينما تمكن اصحابه من الاطلاع والوقوف على الاحداث السياسية والاقتصادية الهامة والتطورات الكبيرة التى اجتاحت البلاد الروسية ، ويمكن أن نحسب سنة الف وتسعمائة وخمس نقطة انطلاق هذا التطور البارز .

ويمتاز هذا الدور الجديد بما له من أثر مجسوس على القوة الروحية الادبية هناك بواسطة العلاقات الجديدة بين الادب الداغستانى بالعربية وبين الادب لامم مختلفة فى روسيا القيصرية ، خصوصا بين الادب التترى ، الذى خطى شاوا بعيدا الى الامام حينذاك : ولم يخل هذا التطور الجديد فى الادب الداغستانى بالعربية عن التاثير من البلاد العربية كمصر وسوريا .

ونتيجة لهذا التطور الجديد بدأ التجدد والانتعاش فى شخصية الشاعر وبيئته ووعيه ، حيث ان افقه الفكرى قد اتسع واصبح مطلعا على آثار وافكار أعلام الشرق والغرب ، ومن البديهى أن هذا التجدد ادى — وليس بمكن أن لا يؤدى — الى تطور الادب الرفيع ونضجه ونموه وانكشافه من حيث الاحاطة والموضوع مما كان قبل .

من بين الادباء الداغستانيين البارزين فى أوائل القرن العشرين الذين جربوا قدرتهم ومهارتهم الادبية بالعربية الاديب محمد بن عبدالرشيد الهاراكانى (توفى سنة ١٩٢٨ م) ، له قصائد طنانة واشعار خلابة ، من بينها قصيدته « يوم العواء » ، قالها فى معركة « عاياقاقا » بين الثوار الفدائيين الداغستانيين واوباش الجنرال دينيكين الرجعى سنة ١٩١٩م فى جبال داغستان ؛ والشاعر شيخ على السوغورى ، وحسن كوزون الفوموقى ، وفخر الدين الارغانى ، والشاعر المفلق محمد العمرى ، واسماعيل الشولانى ، ومحمد نور ومكة شريف الكيمراويان وكثيرون غيرهم .

الشعر :

ظهر الادب العربى فى داغستان زمن الانحطاط العام للتمدن العربى ، لان الادب الداغستانى بالعربية انما ابتدأ انكشافه ونموه فى أواخر القرن السادس عشر واوائل القرن التالى فقط . وظهر هو ونما على اساس البيئة المحلية والظروف الداغستانية فلهذا صار منبعا مهما بل مرآة للنمو والتطور التاريخى لهذا الصقع . والادب الداغستانى بالعربية الذى ازدهر ضمن دائرة محدودة نسبية لم يدخل ولم يندرج ضمن ابدع النماذج الادبية العالمية مثل ماحصل لنماذج الادب العربى بوجه عام ، ولكنه من جهة اخرى غزير فى ذاته وهو كناظورة يستطاع بها مراقبة سير الحوادث التاريخية والاوضاع المحلية الخاصة بالاقوام الجبلية . ومن حيث اداة التعبير فن الادب الداغستانى بالعربية يمتاز برجاحة الالفاظ وتناسقها وسلاسة الاصول وصراحة المدلول ، ومتانة المعانى ، كانه نموذج من الادب العربى عصر الازدهار الذهبى الفابر .

يلاحظ فى الادب الداغستانى بالعربية فى العصرين الثامن عشر والتاسع عشر توجيهان رئيسيان فى تطوره وتقدمه .

التوجيه الاول فهو عبارة عن المدائح الربانية والنبوية المنبثقة من تاثير الاشعار والمنظومات العربية فى الالهيات والمدائح النبوية اجادت بها قرائح المتشاعرين الداغستانيين . ويغلب على هذا التوجيه التفسح والسذاجة ، وقد تؤديان الى تكرار الالفاظ والتعبيرات الجوفاء واستعمال الكلمات فى غيرمواضيعها ؛ وهى لابد تجر الى ردائة النظم وخروجه من طبقته فى بعض الظروف

وفى صفوف هذا التوجيه الاول. قام الناظم على بن محمد البغدادى التارغووى (توفى سنة ١٦١٣ م) ، والعالم ملا محمد الكاطروخى ، والشيخ على الغوموقى الانف الذكر، وشعبان بن اسمعيل العوبودى (توفى سنة) ، وآقا ميرزا القاعانى ، ودبيرقادى الاوارى وغيرهم .

وجنبا الى جنب التوجيه الاول للادب المذكور بدا توجيه آخر يتقدم ويزدهر فى آثار عدة اعلام داغستانيين الذين رنت فى مسامعهم اغانى الوقائع التاريخية العصرية بل الحياة الواقعية فتراهم يمثلون فترة عصرهم فى اشعارهم اصدق تمثيل ، وهم انفسهم يشاركون فى الحوادث والوقائع باقلامهم وعبقريتهم . فادبيتهم مطبوعة بطابع خاص وقالب واضح ، فتجد من بينهم من جرب انواع الادب بقلمه فى باب الحماسة ، والنسيب ، والمديح ، والزمنيات ، والهجاء وغيرها .

وكان من حاملى لواء هذا التوجيه الادبى الثانى فى داغستان فى القرن التاسع عشر العالم الشهير سعيد الهاراكانى ، والعالم الحاج محمد

السوغوري ، والعالم عبد اللطيف الحوزي نزيل جونكوت ، والعالم يوسف الياخساوي ، والعالم ميرزا علي الآختي ، والعالم شيخ امير الغوموقي ، والعالم حسن الآلقاداري والعالم امام محمد الهيهالي وغيرهم .

اما الدور الجديد في الادب الداغستاني بالعربية فيبدأ في اوائل القرن العشرين حينما تمكن اصحابه من الاطلاع والوقوف على الاحداث السياسية والاقتصادية الهامة والتطورات الكبيرة التي اجتاحت البلاد الروسية ، ويمكن ان نحسب سنة الف وتسعمائة وخمس نقطة انطلاق هذا التطور البارز .

ويمتاز هذا الدور الجديد بما له من اثر مجسوس على القوة الروحية الادبية هناك بواسطة العلاقات الجديدة بين الادب الداغستاني بالعربية وبين الادب لامم مختلفة في روسيا القيصرية ، خصوصا بين الادب انتترى ، الذى خطى شاوا بعيدا الى الامام حينذاك . ولم يخل هذا التطور الجديد في الادب الداغستاني بالعربية عن التاثير من البلاد العربية كمصر وسوريا .

ونتيجة لهذا التطور الجديد بدا التجدد والانتعاش في شخصية الشاعر وبيئته ووعيه ، حيث ان افقه الفكرى قد اتسع واصبح مطلعا على آثار وافكار أعلام الشرق والغرب ، ومن البديهي ان هذا التجدد ادى — وليس بمكن ان لا يؤدى — الى تطور الادب الرفيع ونضجه ونموه وانكشافه من حيث الاحاطة والموضوع مما كان قبل .

من بين الادباء الداغستانيين البارزين في اوائل القرن العشرين الذين جربوا قدرتهم ومهارتهم الادبية بالعربية الاديب محمد بن عبدالرشيد الهاراكاني (توفى سنة ١٩٢٨ م) ، له قصائد طنانة واشعار خلابة ، من بينها قصيدته « يوم العواء » ، قالها في معركة « عاياقاقا » بين الثوار الفدائيين الداغستانيين واوباش الجنرال دينيكين الرجعي سنة ١٩١٩م في جبال داغستان ؛ والشاعر شيخ علي السوغوري ، وحسن كوزون الغوموقي ، وفخر الدين الارغاني ، والشاعر المفلق محمد العمري ، واسماعيل الشولاني ، ومحمد نور ومكة شريف الكيمراويان وكثيرون غيرهم .

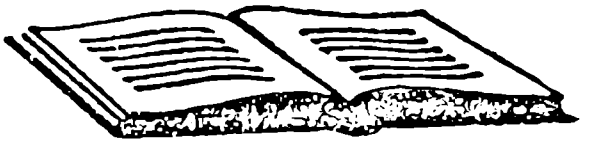

مع الشعراء المحدثين

ديوان « انشودة الطريق » للشاعر المصرى المعروف كمال نشأت تكملة ناضجة لما ابتداه فى ديوانه الاول « رياح وشموع » الذى صدر عام ١٩٥١ . وهويضم الىجانب تجاربه الشخصية الاتجاه الانسانى العام والاهتمام بمشاكل الوطن العربى . وعلى الرغم من الركود الشعرى الذى يشمل حياتنا المصرية الادبية فان هذا الديوان الجديد يدفع الامل الىنفوس محبى الشعر من ان الشاعر الاصيل مهما تعالت اصوات الادعياء ومحبى الازياء الشعرية المستجلبة لا تؤثر فيه هذه الدعاوى فالاقلام الشعرية الموهوبة لن تموت ابدا وان احتلت القصة والرواية مكان الصدارة فى ناحية الانتاج الادبى .

ولعل شعر الاسرة فى ديوان « انشودة الطريق » باب جديد يفتحه كمال نشأت فالشاعر العربى لم يلتفت الى الشعر العائلى . وشاعرنا يتحدث الى ابنته حديثا يجمع بين التجربة الشخصية والتجربة الانسانية العامة فى سياق لاتذبذب فيه ولا افتعال فهو يصور ابنته الصغيرة وهى نائمة وقد جلس الى جوارها ويصور له خياله حديثا يدور بينه وبينها بعد ان يصف نومتها قائلا :

نامت « نهاد »
فالبيت صمت واتئاد
خطواتنا همس خفوت
لا يستبين
وحديثنا همس خفوت
فعلى الوساد
املى واحلامي البعاد
املى الذى احيا له
وارى الحياة
غير التى قد عشتها
ثم يصفها قائلا :
نامت نهاد
وبقية من بسمة فوق الشفاه
لما تزل فوق الشفاه
ويد بجانب خدها
ويد تنام بصدرها
والارنب المنعوش فى الثوب الصغير
نزق المسير
وصفاره مترنحة
وعلى الوساد
كالزهرة المتفتحة
نامت نهاد

والى جانب هذه القصيدة الرائعةالتى اقتبسنا منها الابيات السابقة - نجد من شعر الاسرة قصيدتهالبديعة« العودة » وهو يصور فيها انتظار الزوجة لزوجها وهى صورة متكاملةالخطوط :

بيتى اذا عدت ارى مابه
يهش بالاينـاس والبهجـة
من قطه المكار يصحو اذا
تبين الاصداء من خطوتى
لساعة الحائط للمنحنى
فى الردهة الزرقاء .. للهداة
ارى حياتى فيه قد لونت
احلامهـا من قلب محبوبتى
لاتطعم الراحة ان اخرت
شواغلى العود الى « شقتى »
تجلس فى الردهة مشغولة
لهيفة تنسج بالابرة
تنسج لى هذا الصدار الذى
تذيب فيه اقدس الحنة
والقط « بوسى » ماسح وجهه
حينا وحينا نائم اليقظة
وعينها فى ساعة علقت
لتسأل الساعة عن اوبتى
وسمعها للباب ان غردت
اصابعى طارت الى قبلتى
فتضحك الجدران حتى اذا
اقفلت ابوابى على جنتى
جلست احكى كل ماسرنى
وساءنى منتفض النشوة
وزوجتى تنصت فى غبطة
قريرة .. هانئة النظرة

أن الشعر فى ضميمه ليس غموضا مشوشا او ازدحام صور وانما هو الوضوح المبين والصدق العاطفى والتعبير البسيط البعيد عن التكلف . وقد جمعت هذه القصيدة كل هذه المميزات بجانب جدتها فى بابها واسلوبها التصويرى .

وكمال نشأت بجانب اهتمامه بشعر الاسرة ـ مهتم بشعر الطبيعة خصوصا الريف المصرى وهو يرتفع فوق شعر الطبيعة المتميع الذى يتناولها من الخارج فيصف الوردة او الربيع او البستان فيصدق الكلام على كل ورده وكل بستان .. ذلك الدرب الذى سار عليه شعرنا العربى القديم .. فانت أمامه تحس جو القرية المصرية وتشم رائحة التربة المحلية وهو فى قصيدة « احلام عذراء » يصف لك جلسة فتاة قروية بجانب نافذة بيتها وهى تحلم بزوجها المنتظر فى ليلة مقمرة :

كصغار حمام
تاهت فى أفق البرية
كانت أحلامى الوردية
والناس نيام
فى ليلة صيف قمرية
وأنا فى جلسة شباكى
أرنو لبعيد الافلاك
والون افراح العرس
وأغمغم : يارب رجائى
تنور بالبهجة نفسى
وأراه بعين الاحلام
كالبدر توشح بغمام
يختال فتى الخطوات
والشال يرف على كتفه
وتدق طبول
فتعانق انغام الارغول
وتموج الدار
وتزغرد أمى مبهورة
وترش الملح على الزوار
وانا فى « الزفة » عصفورة
طارت بجناح
وجناح نام على أسرار

ويمضى الشاعر بعد ذلك يصور لنا احلام هذه الفتاة وامانيها خلال صور محلية الطابع تستعلن بالصدق والعفوية وبراعة التصوير والقصيدة ـ كما ترى ـ تجمع الى التجربة الشخصية الطابع الانسانى والمحلية التى لاتنافيه بل تؤكد وجوده .

وهو فى شعره الغزلى يجمع بعض هذه المزايا الى جانب الموسيقية الصافية . يقول فى قصيدة : «اغنيتان الى عينيها » :

عيناك أم مزاع
صيغت النجوم
لم تعرف المطر
ولا امسي الغيوم
رحيبة .. رحيبة
كقلبك الزءوم
صديقها الحنان
والصفاء ... والسحر
اسمها
جزائرا بعيدة
تنفست اريج
احسها
احسها نداء
فكيف استجيب
لصوتها النديان
ومهجتي عصفور
يعض فى القضبان

وهو الى تجاربه المتباينة التى تمتد لتشمل التجربة الشخصية والتجربة الانسانية الطابع وشعر الريف والاسرة والشعر الغربى يساهم فى شعر الوطنية والقومية .. يقول من قصيدة القاها فى مهرجان أنشعر بدمشق عام ١٩٦٠ :

من دمشق الزهراء .. من قلب
مصر نبض اللحن يعربيا وطارا
راح فوق الربوع يرتجل البشر
ى بفجر بدا ... وعهد توارى
فتلقته كل نفس كما يلقى ميا
ه الامطار رمل الصحارى
فاذا العرب امة تعبر التا
ريخ صفا موحدا قهارا
تنشر العدل والاخاء فتنشر
ى ضوء الحق فى الدنيا النورا
وتعيد الامجاد سرحا شمو
خا ومنارا اذا طلبنا المنارا
ايها التاريخ سجل خطا
نا وتخشع فى ارضنا الكبارا
قد بذلنا دماءنا فارو عنا
ا قصة المجد وانشر الاخبارا

وهذا عرض سريع وجيز لاتجاهات الديوان

الاسكندرية : **احمد البلتاجى**

الشاعر والصياد

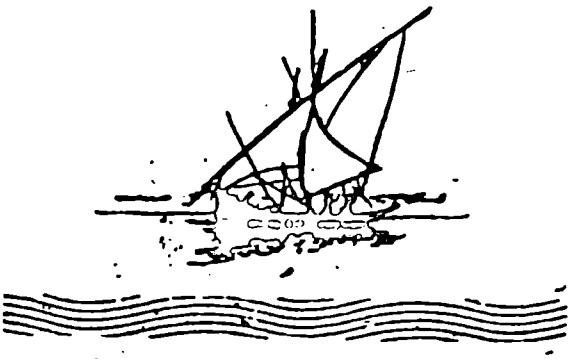

شراع يعبر الايام . . وناى ينثر الالهـــام
ومجداف بكف الموج سكران من الانغـام
وصـــياد يصيد الحب والامـال والانســام
وفوق جبينه لحيا .. ملامح شعبى المقـــدام
على شط الحيـاة اراه يقطـــع رحلة الاحلام
يحـول حلم اجـدادى يساعده الى ارقـــام
ويقضى فى ثنـايا الموج عمـرا ، لا يرى الاعوام
ويصنع فجره ابدا على أمل ، بلا استســلام
بلا كره لدنيانا . يعى قدســية الارحـــام
يعى ان الحيـاة على اديم النهر .. رمز سلام

* * *

حمامتى الشراع : الا تعلم زورقى الاقـــدام ؟
فامضى فى رحـاب النـور عبرمناهل الالهام ؟
واشدو مثلما تشدو ..على مجدافك الضرغام ؟
انا ايها الصياد .. انســـان ! ! بلا ايام ! !
بلا عمـر لعانقه ! ! بلا حب ، بلا احـلام ! !
بلا ماض ينادى ، بلا مستقبـــل بسـام ! !
الم اظل يا صـياد جـــرحا ينزف الالام ؟
الام الاهـــة الحيرى بعمـق الروح لا تلتام ؟
الا لحنو على نغم ؟ ! صحا بين الضياع ونام
وما زال الطريق يضيع من قدميه عبر ظلام ؟

* * *

ويخطو موكب الصياد بين زوارق وزحـــام
تلامســـه ذراع الموج ، تدفع ركبـــه لامام
وارقبه يشـــق الافـق والايام فى احـكام
يغنى لحنـــه للطـــير ، للشطين ، للاكام
ويلمح فى نسيم العصر بعض مشـــاعر وغرام
فينســاب الحنين على يديه وتسبح الانغـام
والمحه يلوح لى .. وداعا . عاشـق الاظلام
وداعا ايها الباكى .. على طلل وبعض خطـام
وبعض احبة تاهوا . وما خلفوا سوى الاسقام
الام تظل يا انسان تنوى والحياة قيـــام ؟
عجيب !! يا اخا الاسفار . حقا ما عليـك ملام
لو انك ذقت من شفتى حبيبى يا حبيب مدام
او انك قد لمست حنان صـــدر لم ير الاثام
او انك قد عشقت الروح فى وصل وفى احجام
لما غنيت موالا .. ولا ســـارت بك الايام
ولا طافت من القيثـــار فى دنيا الهوى انغـام
ولا اقتات الشراع هوا ، ولا رفت به اعـــلام
ولا داعبت امواجا .. ولا سميت بالمقـــدام
فانت من الثرى تمضى .. وسوف تجيئه لتنام
ولكنى بعمق الروح فـــوق مدارك الافهـــام

* * *

وطاف بعالم الصياد قولى ... فاعتراه هيام
ومال بكفه المجداف .. وانحرفت به الاقدام
والقى لى بمرساة .. ونادى : يا اخا الاحلام

لمن تشكو ؟! ومن تشكو !! رموابك في أسى وضرام
ولن تجني ســـوى الاهنـــات والانات والآلام
الم تقنعـك اعواما لوت في معقل الاصـنام ؟

* * *

حنانك انت يا صـياد !! ان مخاوفي لجســام
لو ان الآه آه الحب ما انهالت على ســهام
ولا رفت على شفتي حكايا عن ليالي ولـام
ولكني أجوب العمر بين تمـزق وخصـــام
كان الدهر لم يعـــرف سواي لطعنه الهدام
وحتى الآه بعثرها ! ! فباتت ترقب الاعـوام

* * *

حنايا القلب ما برحت لاحبـابي دروب سلام
ونفس لم تزل تحيا بها الاشـواق للاعـــوام
وروحي من هـوى الماضي تبيع مشاعري لتنام
وفاء ذاك يا صـياد !! أم موت تراه زؤام ؟
الا تدري .. لماذا الروح سابحة على الاوهام ؟
.. رفاق العمر قد مروا .. وما القوا الى سلام
ولا حنوا لهد كم ســقانا الحب أثر فطـام
وآمال بنيناها .. سمت عدا على الاجـــرام
هوت من طول ما جاعت بها اللبنات للانســام
ورغم هواهم الجاني .. فاني للوفـاء امـام
وتاني أنت كالاحبـاب ـ يا صياد ـ بالاحكام
تخط الحكم لا تدري .. فهل لقضيتي ابرام ؟

* * *

وحماق في كالمشـدوه .. حماق فارس الاحلام
ومـرت فترة بلهاء كانت في حســـابي عام
وددت لو ان صوت الله دوى في دجى الاظلام
او ان الفـــارس النبي حطم قمقم الايـــام
لاجيا مثلما تحيـــا .. جموع الطير في الاجام
واحصد من شعاع الشمس ما لا يحصد النوام
ومن قيثاري المشـــدود .. لحني ينثر الالهام
ولكني .. ارى روحي تعربد في ثري الايتام
بارض الله في يافا وحيفا .. تبصر الاجرام ! !
وفي ارض الحجيج هناك .. نار تصرع الاسلام
هناك القتل في بلد ـ يقول الناس عنه ـ حرام
وفوق مآذن الشـــهباء والفيحـاء ذوب ضرام
هناك هناك يا صياد لا تدري هـــدم الآنام
فهل احيـــا واعمـاقي هنا تمضي بغير دعام
وكيف اعانق الدنيا واحبابي هنـاك تسام ؟

* * *

ولـوح فارس الاحـــلام ، حطم قمقم الايام
ونادى البعث نادائي ـ تحرك ، حطم الاوهام
ترى الدنيا . ومن فيها . ترى عرس الحياة يقام
.. وطرت على جناح النور خلف القائد المقدام
ارى دنيا مورقة .. واهلي تترع الالهـــام
وارضي بخضرتها عليهـــا تسبح الانغـــام
واجداف مطهرة . فـــلا اثر بها لغمـــام
وشعبي يكتب التـــاريخ في بلدي بلا اقـــلام
وشعبا في ذرى صـــنعاء في اثر الجزائر قام
ينادي . يا صريع الليل في الكنفو . وفي فيتنام
الا حطم ستور الليل وانسف ظلمـــة الايام
وقل يا زارع الآثام .. لن تجني سوى الآثام
وفي اعماق ما ترجوه .. سوء نهاية . وحمام
ويخطـو موكب الصياد بين زوارق وزحـــام
بزف الحب للشـــــطين ، للآكام ، للاثام

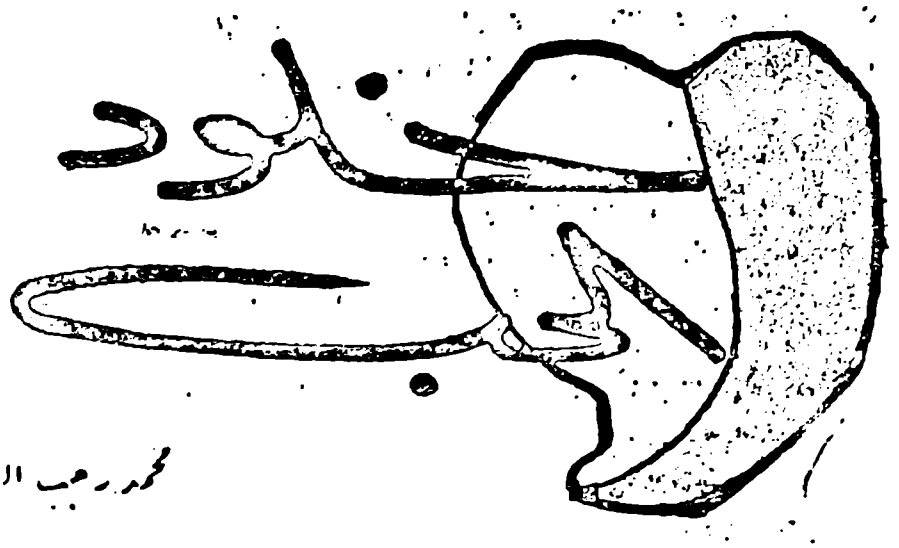

محمد رجب البيومى

سألت اليمن هذا الحب يفنى
فاهدا من تباريح الهيام
فقيل الكل شىء منتهاه
وسوف تراح منه ندى الحمام
ومن لى ان أصدق ان حبى
سيبتهدا ناره تحت الرجام
ستنبض فى الثرى ذرات قلبى
وتشتاق العظام الى العظام
الاطف بالقبور تجدك تدرى
بلا خبر قبور ذوى الغرام
تحس امامها وهجا سخينا
كان لظاه زفرة مستهام
ولو كشف الغطاء سمعت شكوى
لهجور تعذب فى الظلام
دع الجسم الدفين وطر لروح
ترفرف فوق طيات الغمام
ففيم هتافها ؟ ان لم تواصل
قديم غرامها بين الانام
تصدق انها تبقى فصدق
هواها ، فهو ليس بذى انفصام
أترضى الحب فى دار الرزايا
وتجفو الحب فى دار السلام !

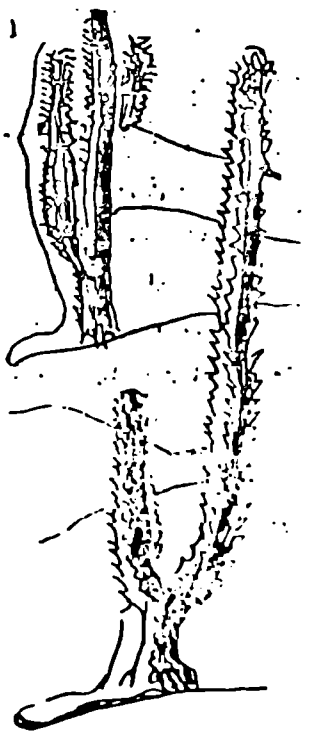

رسالة

شعر : محمود ابو النور

لا تقولى اننى روح بريئة
لم يدنس طهرها رجس الخطيئة
فكلانا ثار فى اعماقه
مارد اللذة مشبوب المشيئة
وابونا آدم فى ذاتنا
صبوة نشوى واشواق جريئة

* * *

والتقت اعيننا فى همسة
قضها الحب وافكار خبيئة
واستحال الهمس فى اعيننا
ثورة صاخبة الجوع مضيئة
فتعالى نرشف الايام عطرا وانغاما واحلاما هنيئة
فاذا ذقت لذات الهوى
اكؤسا من جدول الرجس مريئة
فاعلمى انك خنت الروح كى
يرتوى حبك من خمر دنيئة

* * *

لا تلومينى اذن فى الحق لا
تزعمى انك من ذنبى بريئة
فلقد حاولت ان اسمو بحبك عن اشباح اهواء
فمينة
فتجردت على طهر الهوى
فى انتفاضات بدت حيرى بطيئة
لا تلومينى فما قصتنا
غير قصة الهوى فى كل بيئة ..

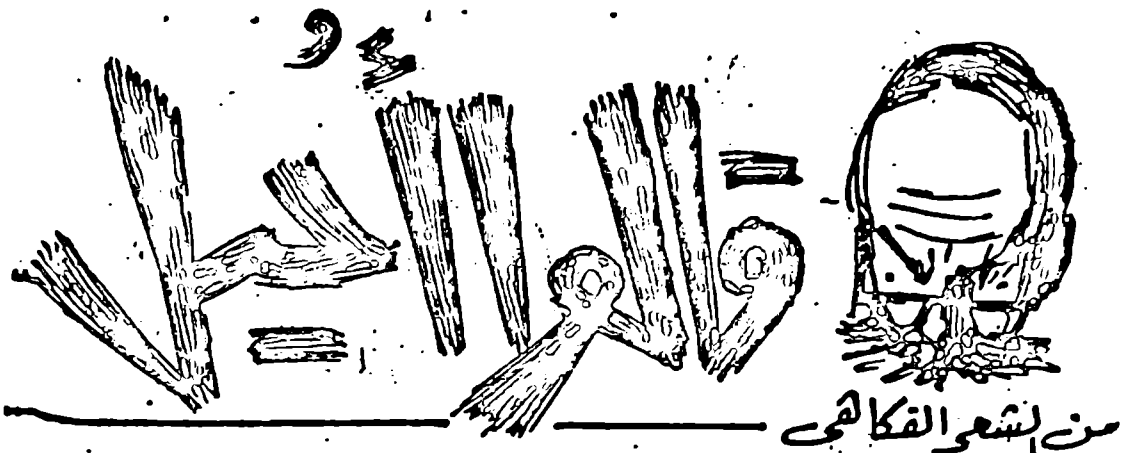

(١)

قالوا احيـــل الى القعـــود
والمـــاء ياسن بالركـــود
فاجبت كلا بل ســـــتو
لد يا محمـــد من جـــديد
من كان مثلك لا ينـــا
م ومن لمثلك بالرقـــود ؟
ففـــدا تناجر فى النحـا
س وفى الصفيح وفى الحديد
انى اعيـذك باســـم رب
العرش من عين الحســـود
ما زلت بعـــد بلوغك الســـ
ـتين محمـــر الخـــدود
كم ذات دل تشـــــتهى
ما فوق خـــدك من ورود
لك فتنـــة البيض الغـــوا
نى حين تبـــدو من بعيـد
انى اكـرم فيـــك بعض
الحـــلم والرأى الســـديد
لك بعض ما لى من صـفا
ء النفس والخلق الحميـــد
لـكن رزقت بـــــثروة
ورزئت بالفقـــر الشديد
سبحان من قســـم المواهـ
ـب والحظـوظ على العبيد
رجل يســـود بعلمـــه
وســـواه بالجـــد السعيد
اكتب والف كيف عشـــ
ت فانت من اهل الجـدود

---

(١) قيلت فى حفل اقيم للاستاذ برانق عند احالته الى المعاش .

لم تقل شعرا مثل شعـ
ـر ابى العلاء او الوليد
كلا ولا علم ابن سنـ
ـنا او يراع ابن العميد
لكن رزقت مهارة الصهـ
ـيون فى جمع النقود
قل لى انت ليعربـ
ـم انت من اصل يهودى ؟
اليك منجم عسجد
ام بئر « بترول » سعودى ؟
بالله كم لك فى المصا
رف يا محمد من رصيد ؟
كم تقتنى من ضيعة
كبرى ومن بيت مشيد ؟
لكن بيوتك لا تسا
وى شطر بيت من قصيدى
انسيت اذ كنا معا
لشتاق رائحة الثريد ؟
انسيت اذ كنا ننا
م على سرير من جريد
فى منزل قد كاد من
تقواه يومىء بالسجود ؟
انسيت اذ كنا نضحـ
ـى « بالفلافل » كل عيد
ايام كان رباط جيـ
ـبك خرقة ورباط جيدى
وتكاد تقضى العام اجمـ
ـه بسروال وحيد ؟
فاقنع بما كسبت يدا
ك ولا تقل هل من مزيد ؟
وابسط يمينك بالعطـ
ـاء لشاعر مثلى مجيد
واعلم بان المدح ليس
ى يباع بالثمن الزهيد
فاذا دفعت سمعت ما
قال ابن هانى فى الرشيد
واذا ابيت قلى هجـ
ـاء دونه سلخ الجلود

محمود غنيم

البذرة الطيبة

عبد المنعم عواد يوسف

اتذكرين البـــذرة الطيبة
ذكرى ليالى الجوع والمسغبة
تلك التى يوما دفعنـــا بها
الى صميم التربة المخصبة
ثم ذرفنـا فوقهـــا دمعـة
من يحبس الدمع فما اكذبه
وبعد هذا قد مضينا سدى
ولم نعد منها على مقـــربة
وضعهـا الدهر وراء المدى
يا للزمان الجهم ، ما اغربه

* * *

ولم تزل أيامنـــــا تسرع
تمضى وراء الغيب ، لاترجع
نسيتها ، وكذاك لم تذكرى
وضاع منا الغرس والموضع
نسى قد طفت به لاهيـــا
كما يطوف العابر الضـائع
فصافح الروح عبير الشذى
تسرى به الريح ،وتسترجع
فاستيقظت فى النفس كل المنى
ورف نور غامر يســـــطع

* * *

نظرت يا اختاه ، فى دهشة
فادمعت عينى من الفـرحة
يا للجمال الفذ ، يا للسـنا
اكـــله يبزغ ، من نبتـــة
شجيرة محفوفة بالنـــدى
اطرافها تبســم عن زهـرة
لمحت فيها مشرقا حبنـــا
دماء قلبى لحن فى الحمـرة
دموعنا يا اخت لا ، لم تضع
فقد بعثن الروح فى بـذرة

مهما كنت نذلا . . ! !

بقلم : ابراهيم ستيت

احس كثيرا برغبتى فى الجلوس بالشرفة فى اوقات راحتى ، فانا اسكن وحدى فى شقتى وفى اوقات عديدة تجثم الوحدة على صدرى فاتجه اليها لاجلس بها واطل على الناس فى الطريق وعلى جيرانى فى شقتهم المقابلة ، ولكثرة جلوسى فيها صرت اعرف الكثير عن جيرانى وكان جدران شقتهم من الزجاج ، فانا اعرف مثلا افراد كل اسرة وكذلك الاحداث الاجتماعية التى تمر بهم ، اذا نجح تلميذ ، اذا خطبت عروس اذا مرض احد .. لا بد وان يكون عندى خبر !!

وبالامس عدت الى شقتى فى التاسعة مساء ، وبعد ان خلعت ملابسى تهالكت على كنبتى الوحيدة فى الصالة ، فقد مشيت طويلا قبل عودتى عازفا عن زحام السيارات المعابة التى اخشاها منذ ان نشلت حافظتى باجداها مرة اول الشهر وجلست على الكنبة المتيقة اتأمل صرصارا يعبث بورقة بها قطعة من الجبن متبقيسة من عشاء الامس ، وآخر يصارع الموت فى قاع كوب تبقت فيه ثمالة من الشاى واستمع ايضا الى فار يقطم فتات خبز جافة اسفل الكنبة ، انه المشهد الذى يتكرر كل ليلة لهؤلاء السكان الدخلاء ولربما هم يعتبروننى كذلك ، وعلى العموم فالذى يبدو من سلوكهم الحالى معى انى صرت من مستلزمات الحياة بالنسبة اليهما !! فالفيران لم تعد تفر بسرعة بمجرد ان ترانى بل انهما يقتربون منى حينما اتناول طعامى وكأنها تطالب بحصتها فيه !! وبالطبع لا القى اليها شيئا وبكبرياء ما تسرقه منه ، وليس معنى هذا اننى فقدت بسرقاتها هذه ، ابدا ، فهى توفر على سرقات اخرى اخطر واجل شأنا اتعرض لها فى ايام سفرى الى قريتى ، وقد وقعت من قبل على كنف جاكته مازلت مدينا ببعض ثمنها ومقدم حذاء جديد !! ومع كل هذه المضايقات فانا راض بشقتى

لانها رخيصة ومستورة وبدون بواب . ولم يطل تأملى للصرصارين واستماعى للفار الذى يتناول وجبته اسفل الكنبة فهو مشهد كل يوم السقيم فخرجت الى الشرفة كعادتى رغم أن الساعة كانت العاشرة مساء وهى فى شهر نوفمبر بارده ، وبالرغم من ذلك فقد جلست على الكرسى ووجهت نظرى الى الطريق الخالى من المارة ابحث عن الناس .. لم أتأمل النوافذ والابواب المقابلة لشقتى فانا اعرف انها جميعا مغلقة من الثامنة مساء ، وبخيم عليها صمت ثقيل لا يقطعه الا سعال جارى سعد ونباح كلب الخواجة انطون حينما يمر شرطى الداورية !! فاشعلت سيجارة بين اصبعى اللذين صبغهما الدخان بلون قاتم واخذت اجذب منها انفاسا عميقة يخطفها الهواء من فمى وكأنه يستغل شرودى ... ، لم اكن افكر فى حبيبة فانا لم اعرف الحب ولم اذق له طعما ، واعتبره وسيلة مضنية للغاية تماما كمحطة بعيدة يصل اليها بعض الناس سيرا على الاقدام ويصل اليها البعض الاخر بالطائرة ، وانا من ركاب الطائرة !!

ولذلك لم يكن شرودى فى حبيبة ، بل كان فى لا شىء ، يمر وقتى كما يمر دخان سيجارتى ، حركة دون فائدة ، وبعد قليل وضعت راسى المثقل لا تأمل حبل الغسيل فى شرفة الشقة المجاورة وتشبثت نظراتى الجائعة بقطع معينة من ملابس جارتى الشابة وانطلق خيالى على الفور كما لو كان اسيرا بمشاغل اليوم ، فانطلق مع عشرات عربدت معهن فى شقتى ، واصبحت شاردا فى شىء !! وتمنيت اية واحدة منهن !

وبينما انا كذلك سمعت دقات كعب حذاء تتوالى على الطريق ، فنزعت نظراتى من حبل الغسيل الى الطريق الخالى الا من اعمدة النور الراكعة لكننى لم أشاهد شيئا فكنت اعرف ان الذى يدق الطريق كعب حذاء فتاة او سيدة ، لكنها كانت تسير على الرصيف ملاصقة للمبانى فحجبتها عن ناظرى الشرفات المتلاصقة الا ان الخطوات انقطعت امام باب العمارة التى اسكن فيها ثم سمعتها تطوى السلم حتى سكنت نهائيا امام باب شقتى !! ارتكبت قليلا لخوفى على الامل الذى قوى فى نفسى ان يكون سرابا ، وشعرت بحرارة تلفح جسدى باكمله ، وعلى الفور فتحت باب شقتى قبل ان يدق الجرس ، فشقتى هى الوحيدة فى الطابق ، ورايتها .. كانت سعاد ، عادت بعد غيبة ، لكنها جاءت هذه المرة ومعها طفل صغير هزيل يبلغ من العمر نحو عامين يضع سبابته اليمنى فى فمه ، ويتهدل شعره الاصفر على جبينه

فوق عينين صافيتين واغلقت الباب دون ان اقبلها واطوقها بذراعى كما كنت افعل كل مرة ، لماذا ؟ لست ادرى ، ولم افكر ساعتها فى السبب وما كادت تخطو داخل الشقة حتى همست بصوت ناعم :

ـ وحدك ؟

واحسست بنظراتى تتعلق بوجه الطفل الشاحب وبعينيه الصافيتين البريئتين ثم همست وكأننى اخشى ان يفهم شيئا :

ـ نعم .

وجلست على كرسى قبالتى ، وحطت الطفل على ركبتها ، والح على السؤال من يكون هذا الطفل ؟ ! فى الغالب يكون ابنها ، بل انه ابنها والا لما حملته ولما سكن هكذا معها ، ومع استقرار هذا المعنى فى خاطرى فقد

ـ ابنك ؟!

افلتت منى الكلمة وسالتها :

فاجابت وهى تبتسم :

ـ نعم . واسمه يطابق اسمك ، حسن ، حملته معى بعد ان ضيقت شرطة الاداب على مدة طويلة وكان لابد ان احمله معى لاصل اليك دون ان يشتبه فى وجهتى مراقب !!

ونفرت من كلامها ، واطرقت براسى لحظة قامت بعدها سعاد ودخلت المطبخ حاملة ابنها ، يتماوج جسدها تحت ثوبها الاحمر الضيق ، ولم استطع تاملها طويلا فقد كان ابنها ملتفتا خلفه مواصلا نظره الى !!

كانت نظرات الطفل تنفذ الى قلبى وتذيب فى اعماقه مشاعر عديدة هى حليط من الحنان والشفقة والاسى ، انها الطفولة التى تقهر العدوان بوهنها وقلة حيلتها !! حتى ولو صادفت جرو ذئب او شبل اسد ، سوف تشعر بالشفقة والحنان تجاهه مهما يكن يقينك بمستقبله الشرير وضراوته الحتمية المقبلة !! وبعد لحظات عادت سعاد من المطبخ تمضغ لقمة اخيرة وبيد ابنها برتقالة ، ثم اجلسته على الكرسى واخذت مكانها بجانبى لم انظر اليها ، كنت فى شغل شاغل بما يدور فى نفسى عن ابنها والاشعاع الجديد الذى ولده فى ظلمات نفسى الابقة ، وفوجئت به يلوح مغتبطا بالبرتقالة ويقول متهتها :

با . . . با . . . با . . . با . . !!

كانت الكلمة المتقطعة كضربات مطرقة توالت على راسى وادلته ابتسامة زائفة لاشاركه بهجته بالبرتقالة ، لم استطع ان اقول شيئا وكان شفتى مصمغتان ، وجذبت ابتسامتى المفتعلة الطفل كما يجذب النور الفراش ، فاندفع نحوى واستقر بين ساقى وامسك بذراعى فرحا ورفع راسه ونظر الى بعينين يطل منهما طهرا يغسل آثام العالم !! ورفعت ناظرى الى سعاد فوجدتها تنظر الى مرتبكة ويستقر على شفتيها سؤال اعرفه كانت تتلقى اجابته قبل ان تلقيه ، اما هذه المرة فقد احسست بنفسى التى كانت فائرة تنطفىء وتخور وكاننى الجائع امام طبقى الشهى اعافى من تخمة !!

ومضت لحظة صمت ثقيل قطعته سعاد بسؤالها :

ـ هل بك شيء ؟

واجبتها وانا انظر بين قدمى :

ـ ابدا . انها بوادر الصداع . . .

واتوقع زيارة احد اقاربى الان !!

ولم اترك لها الفرصة تلاحقنى بسؤال اخر ، فنهضت من مكانى بعد ان ابعدت الطفل عن ساقى برفق ، وقلت بلهجة توحى بالامر :

ـ ارجو ان تعودى بابنك الآن . .

وماتت بقية الكلام على شفتى ، ولم انظر اليها ، بيد اننى شعرت بها تنهض وتخطو تجاه الباب ، ثم خرجت شبه طريدة دون ان تنبس بكلمة . . وشيعتها بنظرة اخيرة وهى تهبط السلم ، الا اننى وجدت ابنها ما زال يحملق فى وجهى وكانه يحاول ان يفهم شيئا !!

واغلقت الباب واحسست براحة تعمرنى وانا اسمع دقات حذائها تتوالى على الطريق من جديد ، وعدت لاحط نفسى الخائرة على طرف الكنبة ، وتعلقت نظراتى من جديد بالصرصار التعيس ، كان قد انتشل ذاته من ثمالة الشاى واستقر على حافة الكوب خائرا مترنحا . . ثم اتعلت سيجارة ، واخذت اجذب منها انفاسا عميقة متلاحقة ووجه الطفل البرىء امام عينى يشع نورا كوجه قديس ، وكلمته البريئة المقدسة التى تهته بها تدق سمعى فى عنف بالغ . . وتضىء لاول مرة ركنا جديدا فى متاهات نفسى تكمن فيه بعض قوى الخير ، قد لا يحس بها الانسان طويلا ، لكن لابد لها ان تتحرك يوما وتسود وتطغى ، مهما كان . . نذلا !!

كان عقربا الساعة قد حددا الوقت بالثامنة مساء حينما غادت نوال عبد المجيد الى منزلها بعد تجربة حب فاشلة لها مع احد زملائها فى كلية الاداب وقد اوهمها بالحب خطأ وكاد يفلح فى ضم اسمها الى قائمة ضحاياه من طالبات الجامعة اللاتى افقدهن شرفهن ونغص عليهن حياتهن .

وما ان وصلت نوال الى المنزل حتى وجدت امها فى انتظارها تقول :

ـ الساعة ثمانية وعشرة يا نوال كنت فين يابنتى لغاية دلوقتى ؟!

فأجابتها نوال بان الذنب ليس ذنبها هى وانما هو ذنب الدكتور السيد مصطفى غازى مدرس اللغة العربية بجامعة الاسكندرية فقد تأخر اليوم على غير مألوف عادته عن ميعاد محاضرته زهاء ساعة كاملة كان الطلبة والطالبات على وشك الانصراف خلالها لولا ان حضر فى اخر لحظة واعتذر .

واستمعت المرأة الى ابنتها فاقتنعت وهل كان يجب ان لا تقتنع ؟ .

ومن اين لها العلم ببواطن الامور ؟! وانصرفت لاعداد طعام العشاء لها .

وما ان فرغت نوال من تناول عشائها حتى ذهبت الى غرفة مكتبها وقد تناولت قصة « زقاق المدق » للاستاذ نجيب محفوظ بغية قراءتها استعدادا للامتحان الذى اعلن السيد الدكتور عن رغبته فى عقده لهم فيها

وجلست نوال الى المكتب تطالع القصة المذكورة « وسرحت » بخيالها مع الاستاذ نجيب محفوظ وحاولت جاهدة ان تعرف ماذا يريد ان يقوله فى الفصول الاولى من قصته ولكنها لم تكن تفهم شيئا فاعادت تلاوة ما قرأته المرة تلو الاخرى بغية الفهم ايضا ولكنها كانت تشعر بعد برهة قصيرة من محاولتها هذه انها تبذل من الجهد فى تركيز انتباهها مالايدع لها بعد ذلك لذة فى متابعة القصة فالقت بها جانبا و « شطحت » بخيالها مع نفسها وتذكرت السبب الذى جعلها لا تفهم ..

انها ــ ولاشك ــ تلك المهزلة التى حدثت اليوم مع صلاح ذلك الفتى الذى كاد يفرر بها وينالها لقمة سائغة كما نال غيرها ممن غرهن بغناه وامتلكهن بعربته .

وفجأة قفزت نوال الى الهاتف ثم رفعت السماعة ووضعتها فى يدها وادارت القرص وانساب صوتها هادرا متذرا .

وما ان استمعت الى صوت صلاح فى الطرف الاخر يحدثها حتى راحت تصب عليه جام غضبها فقالت :

اهكذا ــ يا خائن ــ تتخذ من الحب قناعا تتستر به وتقول انك مريض وفى يدى الدواء وحينما اسألك عن هذا الدواء الذى بيدى وفيه شفاؤك تقول مقابلتك . وحينما اقابلك تظهر لى شخصيتك الدنيئة على حقيقتها فتحاول تقبيلى بالقوة بينما تقول لاصدقائك ان القلعة الحصينة ستأتى بنفسها الى وكرهم وتراهنهم على ذلك . ولا تكتفى بهذا ايضا بل تطلب منهم أن ياخذوا احدى السيارات ويتابعونا ليروك وانت تحاول تقبيلى ؟!

اهكذا ــ يا حقير ــ تظن ان نوال مثل نادية وليلى وتهانى ستصادقها لبضعة أيام وتفعل معها ما فعلته معهن وتكيدها ماكيدته لهن ــ ان نوال ــ أيها الحيوان ــ لاسمى وارفع من ان تصادق ــ حيوانا ــ مثلك ؟ وخير لك ان تبحث عن فاجرة تراودك فى فجورك واما هؤلاء الذين يتشبثون بالفضيلة والشرف والامانة والنزاهة والاخلاص فبينك وبينهم فراغ كبير لا يماثله سوى الفراغ الموجود بين السماء والارض ..

وتلقى نوال السماعة منهية حديثها الى صلاح الذى كان قد عقل لسانه فوقف كالمذهول لايدرى ماذا يقول ولا بأى الكلمات يرد .

وتشعر نوال ــ لاول مرة ــ بالفرحة تغمر قلبها فقد استطاعت ان تشفى غليلها فى غريمها وان تكشف له عن شخصيته دون ما خشية او مواربة

وعادت نوال الى القصة وقرات وشعرت ـ لاول مرة ـ انها قد بدات تفهم وقطعت فى قراءة القصة شوطا لاباس به فقد انهت منها احد عشر فصلا وابتدات فى قراءة الفصل الثانى عشر او ـ معجم الشتائم ـ كما كان السيد الدكتور يصر على تسميته :

وزاحت تقرا :

« وانتظرت ام حسين متصبرة يوما ويومين . كانت تقف وراء خصاص النافذة المطلة على القهوة تترقب مقدم الشاب فتراه قادما يخطر ثم تراه مرة اخرى عند انتصاف الليل وزوجها منصرفين صوب الفورية .

ابيضت عيناها من المقت والغضب وتساءلت :
ياترى هل ذهبت نصيحة السيد رضوان هباء ؟
وزارت السيد مرة اخرى فهز راسه آسفا وقال لها :
دعيه لحاله حتى يقضى الله امرا كان مفعولا ؟ واستمرت نوال تقرا وتقرا الى ان قرات :

« انا فى الاصل مجرم قاتل ؟! وجميع هذا الحى عرفنى مجرما يرتوى بالدماء .. انا مجرم ؟! انا ابن كلب ؟! انا وحش ولكننى استاهل كل اهانة لانى تبت بمحض ارادتى عن الشر ورفع راسه وقال :

انتظرينى يامرة ياوسخة .. ستلقين الليلة كزشة الزمان الاول ..؟! »

وشعرت نوال انها قد بدات «تسرح» من جديد وانها لم تعد تفهم وانها تبذل من الجهد فى تركيز انتباهها فى حل الغاز الاستاذ نجيب محفوظ فى هذا الفصل بالذات مالا يدع لها بعد ذلك لذة فى متابعة فصول القصة الاخيرة فالقت بها جانبا و «شطحت» بخيالها مرة اخرى مع نفسها وتذكرت السبب الذى جعلها لاتفهم .

انها ولا شك ـ لم تكلم صديقها فاروق منذ ان تغيب عن الكلية بقية المذاكرة منذ اكثر من شهر مضى .. لقد كان فاروق عبد العزيز يحبها ؟ بل وكان يعبدها ؟ ولقد صارحها اكثر من مرة بحبه لها ولكنها لم تكن تعير اقواله لها ادنى انتباه . يجب ان تحدثه ويجب ان تظل له ويظل هو الاخر لها . ورفعت نوال السماعة وكلمته « معذرة يافاروق اذا كنت قد تاخرت عن محادثتك .. معذرة يا اخى فقد كان هناك صراع بينى وبين نفسى وكان السؤال الذى يدور فى مخيلتى دائما وابدا هو لاى الطرفين سانحاز ... واخيرا كان هذا الحديث الذى ازاح عن صدرى كابوسا ثقيلا وشيطانا ماردا الا وهو شيطان التحدث . لعلك تعجب يافاروق وتقول ان الان وقت العمل والاجتهاد لاوقت التامل والخيال ولكن ويل لى من نفسى التى لاتريد ان تنقاد وحنانى الذى لايريد ان يهدا وعاطفتى التى لا اطمع فى ان تسكن . ان هذه النفس يا اخى لا يلذ لها الا ان تقودنى وتدفعنى الى فعل ماتريد هى لا ما اريد انا وهكذا دائما فهى مشاكسة وماعساى فاعله للمشاكسين غير الرضوخ واستعمال شىء من المداهنة وكثير من المرونة لكى استطيع

ان اعيش . . وهانذا انقاد لها ولا استطيع من حبالها فكأنما فاتحدث اليك ولكن ماذا اقول يا سيد فاروق بعد هذه المقدمة التى احسبها مملة ولو بالنسبة لرجل مثلك لا يعبأ بالتفاهات . .

ولكن — مع ذلك — لن اعير اعتراضك ادنى انتباه . . هذا اذا كان لك اى اعتراض لانى بهذا قد ارضيت نفسى وفى هذا الكفاية ولانى بذلك اشعر بالسعادة . . .

وهنا صاح فاروق قائلا :

ماهذا الذى تقولينه يانوال ؟! ومابك ؟! الا تدرين ايتها الاخت اننى كنت اعيش على امل ان استمع الى صوتك يحدثنى ؟! الا تشعرين ايتها الاخت انى كنت انتظر هذا الحديث منى احر من الجمر ؟! الا تعرفين ايتها الاخت اى مصير كان سيترصدنى لو لم تتحدثى ؟!

لقد كنت سافقد الثقة بنفسى يانوال وربما كنت ساقلع عن دخول الامتحان ولكن الحمد لله فقد تحدثت وقد جاء حديثك فى الوقت المناسب وسوف اظل لك يانوال نعم الاخ المحب غير المتعل والذى لايطمع فى شىء سوى ان يرى ان من يحبه يبادله هو الاخر حبا بحب والان ما رايك يانوال فى مفاجاة لى بعد النتيجة ؟!

— لمن ستكون المفاجاة ؟!
— لك طبعا ؟
— لى انا ؟
— ان لم تكن لك فلمن ستكون ؟!
— واى مفاجاة هذه التى تخبئها لى لما بعد النتيجة ؟!
— الا تعرفين ؟
— كلا ؟!
— اذن فسلى قلبك يخبرك بها ؟
— ولكنه صامت لا يتكلم ؟!
— ولكن الا ترفضين ؟!
— يجب ان اعرف ماهى هذه المفاجاة اولا ؟!
— سانقدم لخطبتك ؟
— لخطبتى انا ؟!
— طبعا يانوال . . لخطبتك انت . .
— الا تشعرين بالحب يا فتاة ؟!
— اوه . . اشعر ؟
— والان . . ما رايك ؟!
— انت تعرفه ؟!
— كلا يانوال ؟
— اذن فسل قلبك يخبرك به ؟

وهنا ضحك فاروق وقال :

— ولكنه صامت لايتكلم ؟!
— يجب ان يتكلم . . كما يجب ان يخرج عن صمته

ـ هاهو يتكلم ؟ ..
ـ اذن فالى اللقاء ؟!

ـ لا يانوال او تذهبين هكذا سريعا دون ان تصغى لى شعورك نحوى ونحو هذا العرض الخاص بالزواج ؟!

ـ لعلك تعرف ما اريد ولو فى هذا مايكفى وعلى كل فانا اليوم بين يديك وغدا بين القدر ولاتدرى نفس اين المفر ؟

ـ هذا عظيم ومادمت تصرين على ان تنتهى محادثتك الى بهذه السرعة فضعي اذن السماعة فوق وجنتك ؟!

ـ لم ؟
ـ قلت ضعى السماعة فوق وجنتك وبعدها ستعرفين لما ؟!
ـ ها انذا اضعها ؟!
ـ اذن فخذى قبلة الوداع

وقبل فاروق السماعة وفى الطرف الاخر كانت هناك طرقعة لقبلته فوق وجنة نوال .

وانتهت المحادثة فشعرت نوال بالسعادة تغمر قلبها فقد ادركت فعلا ان فاروق يحبها وانه بحبه لها جد مقيم ...

وعادت نوال لقصة الاستاذ نجيب محفوظ وابتدات تقرا من حيث انتهت ، ولم تشعر بعد هذا انها لاتفهم .

لقد كانت بكل وجدانها مع القصة ومع اسلوب الاستاذ نجيب محفوظ وقد ملك عليها مشاعرها وحواسها فتابعت قراءة قصته بشغف ولم تشعر بعد هذا الا ووالدتها معها فى الغرفة تقول :

ـ الساعة اتناشر يانوال .. ماتقومى يابنتى تنامى ؟
ـ خلاص ياماما ح اقوم ناقص ورقتين وانهى القصة

وانتظرت الام متصبرة حتى تنتهى ابنتها . وقامت نوال متوجهة الى غرفة نومها وهى تقرا بفرح ـ وامها تسير وراءها ـ اسطر قصة زقاق المدق الاخيرة :

« ياست الستات .. ياقاضية الحاجات .. الرحمة .. الرحمة ياآل البيت والله لاصبرن ماحييت .. اليس لكل شىء نهاية .. بل لكى شىء نهاية . ومعناها بالانجليزية end وتهجيتها e... n... d...

عبد العزيز عبد ربه

قصة

اى واسه

* * *

.. فى اول الامر .. شغلت البنت بحركاتى البهلوانية .. ثم غذيتهـا بنظراتى الطويلة التى لا تطرف .. وحاولت جهدى ان تكـون النظرات رقيقة تنم عن الاعجاب .. هه .. هكذا .. كنها اعجاب وولـه .. حاجة فى غاية البـساطة .. صحيح تحتاج الى تمرين فى أول الامر .. ومع الايام ستتقن الدور وتصبح ممثـلا من الدرجة الاولى .. وانا — ما عندك فكرة — ممثل قدير .. ممثل شوارعى وعلى الناصية ! ! ولكنى نجحت فى هذه الادوار واكتسبت خبرة واسعة .. وارتحت اليها .. كم من ثائرات .. ساذجات طويتهن بين ذراعى .. وكم من شفاه اكلتها شفتاى .. وكم من صدور مشرعـة عبثت بها يداى .. وكم .. وكم .. اى والله .. حسران حاجة .. لا تظن بى المبالغة او الغرور .. ابدا .. وشرف هـذا الثدى المشرع ، وذاك الثدى المصوص .. ما انا الا صاحب نفس متواضعة .. غاية فى التواضع .. المهم ..

حرجت من هذه المرحلة .. المرحـلة الاولى .. مرحلة النظرات والالعاب البهلوانية .. مرحلة لفت النظـر وجس النبض .. هذه المرحلة مهمة جدا .. اقول خرجت من هذه المرحلة المهمة .. باحساس مشجع .. هو اننى خفيف على المعدة .. اما حكاية اللب فسيبك منه .! ! ما عاد عنـدنا طاقة لان نحب بالقلب .. ومن القلب .. كان زمان .

كان الدور الذى لعبته امامهـا محبوكا مؤثرا ، ترك اثره فى النفس فالفتح الباب على مصراعيه .. لا .. لا تكن فضوليا .. ليس امامى وقت لاشرح .. كان على ان اقفـز الى المرحلة الاخرى .. وبسرعـة .. مرحلة المساومـة بدون دفع .. فاوس .. قبـل ان يغلق الباب فى وجهى ، ليفتح مرة ثانية ، عنـدما يظهر فى الطريق ساكن اخر .. اخف كثيرا على المعدة .. وما اكثرهم .. يا شاطر ورحت انتظر الفرصـة

المناسبة . ونحن نتلاعب بنا الفرص
كما يتلاعب هواء الليـــل المنعش
بشعرها الهفهاف .. ينكشه مرة ..
ويعيده الى موضعه مرة اخرى ..
واخ .. من الهوا .. يا اخ ..

كان الشارع الذى قطرتها فيـــه
ذات ليلة .. خاليا تماما من الناس
.. وشجعنى هذا وحث من خطوى
.. ولما اصبحت على بعد خطوة منها
.. دارت الاسطوانة .
قلت : ــ مساء الخير ..
وامسكت قليلا .. ثم تنحنحت .
ــ كمان مساء الخير ..
والعادة ان افوز بنظرة .. من اى
لون .. فاقراها على ضوء كلماتى ..
ــ اولا .. بدون تطفل .. ثانيـا
.. ولا سماجة .. اقدم نفسى ..
انا . .

ولم تسال عنى .. شىء غريب !
ــ يا آنسة .. انا معجب من اول
نظرة .. وغرضى شريف ..

وضغطت على مخارج الحـروف
قليلا .. وانا فى كل مرة غرضى شريف
.. متعرفش ليه .. الشـغل عاوز
كده .. وصحيح .. هو شريف ..
لانه لا يتعدى وضع شـفة .. على
شفة .. وحديث فى الغامق فى بعض
الاحيان .. وماذا فى ذلك .. لعبة
فى غاية الشرف .. تضييع وقت ..
مش بدل ما نقعد على القهوة .. قال
قهوة قال .. الله يلعنك يا محمد !!

وانا راسى ناشف .. ورجعت لها
من الاول .. وقل ما قلت بالسبعة
.. وهى هى .. ولا كلمة .. ممنوع
الكلام .. ممنوع النظر الى الخلف
.. تعمل مع خرس مثلا ..

ــ لازم اكله سمين قوى .
قلتها مداعبا مشجعا نفسى وانا
اخطو لاحاذيها . . ها . . هاها . .
وقبلت يدى يدها قبلة سريعة خاطفة
.. فالتفتت نصف التفاتة ، وقـد
بان على وجهها اشراقة خفيفةمضيئة
.. شرحت صدرى وشجعتنى اكثر
.. وخيـل الى ان شفتيها اهتزتا
اهتزازة خفيفة .

ــ يا مسهل .. حلو .. نجحنا فى
كشف الهيئة ..

قلتهـــا فى سرى وانا انحنى على
الارض متعمدا .. متعمدا . .

ــ مش تقولى بتضحكى على ايه
عشان نضحك سوى احنا الاثنين .
ولا كلمة ، ولكن الابتسامةاتسعت
حتى شملت الوجه كله ، وكشفتلى
عن اسنانها الاكثر بياضا من معجون
الاسنان .. ثم اطرقت برأسها الى
الارض ، وهى ما زالت متمسـكة
بصمتها .. والابتسام لا يتفق مـع
الصمت الا فى حالتين :

اما البنت فاهمة اللعبة ومر عليها
من اشكالى كتير واما البنت لازالت
متهيبة الموضوع ..

ومن خبرتى الطـويلة فهمت ان
البنت يدوب دخلت سنة اولى . .
مازالت هشة كالغريبة .. تتحطمعلى
اول تجربة .. ولبخة يدخل عليهـا
الـكلام المعسول اى والله .. ولم
اكذب خبر .. وفى الليلة التالية . .
كنت منتظرا .. وقد لبست ما على
الحبل . . كنت اضوى والمع . .
واحس باننى مبسوط اخر انبساط
وان كل شىء حوالى يلمع ويضـوى
.. كنت منتظرا وفى بطنى بطيخـة
صيفى .. مؤكد انها ستمر من هنـا
.. ولن تغير طريقها حتى ولو كانت
لاتريد ان ترى وجهى .. هكذا المراة
يا صديقى .. وهى انسان لازم تمر

من هنا .. وجذبت النفس الاخير من السيجارة .. ثم القيت بالعقب على طول ذراعى بحركة بهلوانية امريكية .. قبل ان اراها قادمة بخطوة خفيفة .. تمسح الشارع بعيون زائغة .. كانها تبحث عن شخص .. اى والله .. شخص اجمل مافيه شعره مثلا .. ها .. هاها ..

.. والقت على نظرة جانبية خاطفة .. كانها تنادينى بطريق غير مباشر .. اى والله .. واهتز ذيل الحصان فى مؤخرة راسها .

اهه .. واخرجت يدى من الجيب الحساس .. وكدت أن افتح البرجل ... واجرب حظى .. هذا المساء .. والعادة عندى ان احمى ظهرى بنظرة اخيرة .. فيها كل سر المهنة .. قبل ان اخطو الخطوة الاولى .. وما ان فعلتها حتى لمحت على بعد امتار منى .. ابو عصاية .. وانقبض صدرى .. واخذتنى ربكة .. حاسة الشم عنده قوية .. ودلفت من اول باب قابلنى .. واخذت السلم فى رجلى .. حاسب .. الى اين .. ووقفت على اول مصطبة الهث .. وكاننى خارج لتوى من سباق لمسافة طويلة .. وطفحت من اعماقى ذكرى .. نسيت فيها نفسى وانا منكفىء على حافة الدرابزين .. عارف .. فى شقة من هذا المنزل .. كانت تسكن اجمل طالبة فى المدينة .. دوختنى بضعة ايام .. وفى النهاية استسلمت .. يادهوتى على الجمال .. عندما كانت تتعلق برقبتى وتقول وانفاسها تبوس وجهى :

— متسبنيش يا حمادة ! !

يا سلام .. ذكريات .. ايام .. المهم .. ولما سحبت نفسى الى الشارع مرة اخرى ، كن قد اختفى وكانت قد اختفت ، وكان الارض انشقت وابتلعتها .

آخ .. يا صاحبى .. لولا ابو عصاية .. لكانت البنت فى خبر كان .. احسن بنت اذا شغلتك اكثر من يومين تبقى خايب .. والبنت اللى عليها اسياد .. يا اكسلنس .. اذا لم تجبره على ان يحمل طرطوره ويرحل تبقى مغفل .. لا مؤاخذة يعنى .. وغير مثقف ثقافة بهلوانية .. ولم تقرا كتب الصيد والقنص . وانا لست خائبا .. ولا مغفلا .. ففى هذه الليلة كانت الحكاية ممهدة .. لولا العصاية .. وابو عصاية .. وانا بلا فخر تعلمت كثيرا .. والعلم بفلوس .. ويمكننى أن العب على الحبل الف لعبة .. ولعبة ..

— وفى الليلة التالية ، عندماسارت على بعد خطوات منى .. قلبت البسطوانة على وجهها الاخر ..

— بصراحة .. انا بـ .. انا بحـ .. انا بحـ ..

فى هذه الحالة اذا كانت البنت رقيقة وبنت ناس ، تلتفت فى رقة وقد سلبت عينيها .. تقول فى تلهف :

— عاوز ايه .. مش تتكلم .. اتكلم ..

واموت فى الامر .. والاوامر .. ويكون حديث .. وحديث ثم ميعاد .. ويا عينى على الميعاد الثالث والرابع ..

واذا كانت البنت نصف تربية ،

— ما تنطق عاوز ايه ؟

تلتفت قائلة ...

ولكنها تخرج منها طرية فيها عنصر التشويق الشديد . وبسرعة تلضم الخيط فى الابرة .. ويكون حديث .. ثم ميعاد .. ثم ميعاد .. مع كلام فى الغامق . وما يعقب الكلام فى الغامق .

واذا كانت البنت تربية كاملة ، تلتفت صائحة فى وجهك .

— تك بحة فى زورك ..

قال بحة قال ..

وهذه البنت لا يرجى منها ابدا .

واحسن شيء انك تتركها فى حالها وتعتكف انت لتقرا كتاب « مآسى الحب » .. انصحك

ما علينا .. فى النهاية استسلمت « فيفى » .. آه .. وحياتك .. اخ .. الواحد اصبح زلق اللسان هذه الايام هل قلت لك اسمها .. لماذا .. انها اسرار .. هل سمعت الاسم .. الحمد لله على سرحانك على طول الخط .. المهم .. ان « فاطمة ! » كانت سهلة .. جدا .. اى والله .. لانها انثى .. انثى بمعنى الكلمة .. لكن ، صاحبتنا التى مرت من هنا الان .. لم تكن من هذه الانواع التى حكيت لك عنها .. كانت من نوع غريب على .. كانت حكايتها حكاية ..

الشارع يلفه سكون ويضفى عليه الليل سحرا وجلالا .. ولا احد يمشى فى الشارع ليعكر هذا السكون ويهز هذا الجلال .. تصور هذا الجو الشاعرى .. هذا الجو الشاعرى .. هذا الجو المشجع .. ورجل وامراة .. وهى الى جوارى تتبختر ولسانها فى حلقها .. ولسانى تعب من الكلام .. انها تبتسم .. وارى الابتسامة تضىء فى الظلام .. ووجهها فى الارض .. ماذا فى الارض .. لا اعرف .. ولا كلمة .. كان فى زورها عظمة تعوقها عن الكلام .. واذا رفعت وجهها فلترى الطريق . انا احكى بحرارة .. واقلب الاسطوانة .. ثم اعود اقلبها على وجهها الاخر .. وهى تبتسم ولا تجيب .. وفى نفس الوقت لا يبدو عليها التذمر او الضيق .

يا صديقى انا تحملت الشتيمة . تحملت قلما على صدغى .. تحملت حركات كثيرة .. الا هذا الصمت المقلق .. ياه .. الظاهر الواحد سيصبح شاعرا .. وها .. هاها .. اقصد بالمقلق هنا .. الصمت الذى يحيرك وليس فى موضعه .. كفردة الحلق فى اذن الولد الوحيد ..

الحقيقة زهقت .. وكانت اول مرة ينفد فيها صبرى .. وتحينت فرصة .. وجذبتها من يدها الى حوش منزل وزنقتها فى الحائط .. فوجئت البنت فارتعشت جفوتها وزاغت عيناها فى وجهها .. كانت الحركة كبيرة عليها .. حركة امريكية .. اى والله .. هل رايت الفيلم الذى كان يلعب فيه الممثل .. اوه .. لكنها والحقيقة تقال صعبت على .. وشعرت بانى اريد ان آخذها فى حضنى .. ولما وجدتها ما زالت تشخص الى بعينيها .. فكرت ان اسرق منها قبلة .. واحسست بان يدى ستمتد .. ويدى طويلة و .. وشفتى اطول .. وها .. ها .. ها

ومن سوء الحظ ان نور السلم كان ساطعا . وانا لا احب التقبيل فى النور .. نصيحة .. اخطف القبلة فى الظلام .. ستجد لها طعما ياسرك .. ووقفت ابحلق فى وجهها مقطب الجبين عابس الوجه ، وانا ارى انسان عينيها يرقص حائرا .. وهى تجذب يدها من قبضتى .. وانا اضغط عليها بشدة .. وانا ابتسم فى وجهها وهى تحاول ان تخنق يدى .. فاضغط اكثر .. الى ان رايتها تضعف ، وتلمع الدموع فى عينيها .. ووجها يتبدل .. وشفتيها تهتزان . ثم اهتز راسها وفاقت .. واستمرت تغافىء .. وفهمت وعذرت وتاسفت .. ومن هول المفاجاة انزرعت فى الارض ، وشل لسانى عن الحركة حتى الفاقة لم استطعها .. واخذت ابحلق فى وجهها كالمصعوق وانفعالات متضاربة تجتاح جسدى كله . وافقت لاعلق على شفتى بسمة وانا اطبطب على ظهرها لاصالحها .. وانا آخذها من يدها فتسحب يدها بغضب اكثره دلال وانا احث الخطو واحاول مرة اخرى .. فتصفو هذه المرة وتترك يدها فى يدى ونمشى .. كانت حكايتها حكاية .

يوسف القط

باقة من الشعر الانجليزى

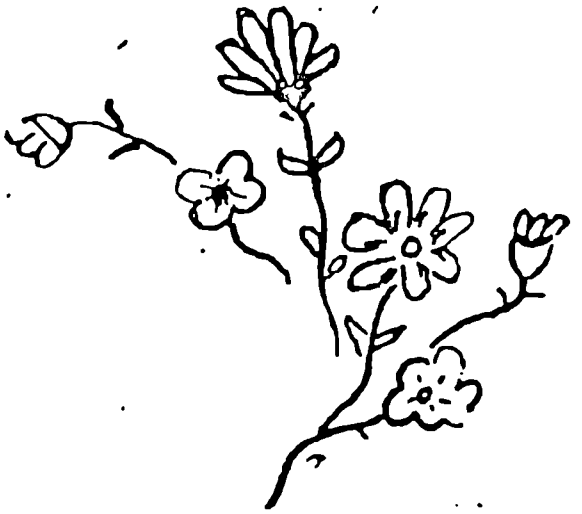

ترجمة : ما الهر شفيق

(١)

ان قلبى ليقفز فى صدرى كلما بصرت بقوس قزح فى السماء

كذلك كان الشأن معى حين بدات حياتى

كذلك هو وانا فى طور الرجولة

وليظلن كذلك حين يتقدم بى السن او فلامت

ان الطفل لاب للرجال

وانى لاتمنى لو تكون ايامى موصولة بعضها الى البعض بتقديس الطبيعة

(وليم ورذورث)

(٢)

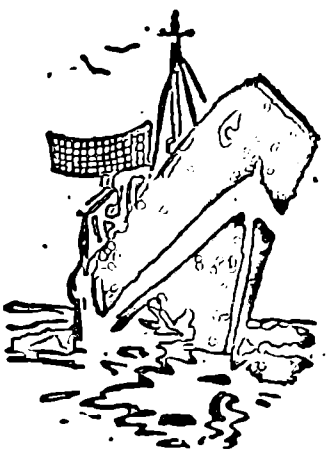

حسبنا الى لاذكر كيف ابتسمت
اذ رايتنى اخط اسمك على رمال البحر الناعمة
واى طفل انت ! اتخال هذا الذى تخط عليه صخرا ؟
لقد كتبت منذ ذلك الحين مالن يمحوه مد قط
وما سيطالعه الذين لم يولدوا بعد
عبر المحيط الفسيح ولسوف يجدون اسم ايانث مرة اخرى

(والتر سافيج لاندور)

(٣)

اواه ايتها الدنيا ! اواه ايتها الحياة !
اواه ايها الزمان الذى ارتقى آخر درجاته !
مرتعدا عند ذاك الذى توقفت لديه من قبل
من لى ببهاء ايامك الغر ! لا عودة لها .. اواه فلن تعود !
بين يوم وليلة قد ولى السرور الادبار
ان الربيع الوافد والصيف والشتاء الاشيب
لتجعل قلبى ينبض بالحزن والبهجة ايضا
لا عودة لذلك كله .. اواه لا عودة له !

(يرسى بيسن شلى)

(٤)

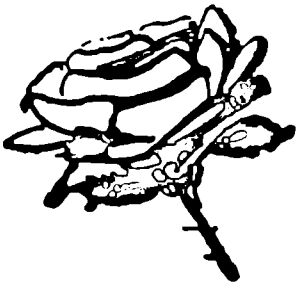

اواه ان حبيبتى لتحكى وردة حمراء اللون حمراء
قد نبتت حديثا فى شهر يونية
اواه ان حبيبتى لتحكى لحنا قد وقعه عازفه فى عذوبة
ذاك مبلغ جمالك اى فتاتى الحنوة وذاك مبلغ حبى لك العميق
فلاظلن مقيما على حبك اى عزيزتى
الى ان تنضب مياه البحار طرا

الى ان تنضب مياه البحار طرا اى عزيزتى
والى ان تصهر حرارة الشمس الصخور
اظل مقيما على حبك اى عزيزتى
بينا تظل رمال الحياة فى انسياب
انى لاستودعك الله ياحبى الاوحد
انى لاستودعك الله ولو الى حين
فلا عودن اليك اى حبى ولو فصلت بيننا عشرات الالوف من الاميال

(روبرت بيرنز)

(٥)

ان الرياح لتاتى فى رقة دون تمهيد
ويحل الربيع هنا مرة اخرى
وتبادر العضاه الى التفتح ببراعم خضراء اما قلبى فببراعم الالم
قد رقد قلبى طوال الشتاء فى هذا الخدر
وليثبت الارض على حالها من الموات
حتى لقد خلت ان الربيع لن ياتى قط
او ان قلبى سيستيقظ ثانية
لكن الشتاء مضى والارض استيقظت
وها هى ذى صغار الطير تتصايح مرة اخرى
ان حافةالعضاه لتخرج براعمها وان قلبىليخرج الامه

(روبرت بروك)

(٦)

ان هذا اللون لعين شاذ من الحرب
فالطيار يجلس فيما بين السحب على اتم ثقة
من القيم التى ينافح عنها
انه لا يستطيع ان يسمع شيئا وراء قناع صوت طائرته
ولا يستطيع ان يرى البشر على الارض
غاية ما يعلمه انه على الخريطة المنزلقة

للمدينة والاقليم اللذين يكتنفهما البحر يدب الناس
كالنمل ومن ذا يهتم يا ترى لو ضحك النمل او بكى ؟
انه لا يعدو ان يكون بالنسبة الينا مجرد آلة
قد جلست الى آله واى شيء تراه يكون
فى علائق بنى الانسان ؟ رجل ، ابن انسان ما
فخور ببراعته ، مزيج محكم من اللحم والدم
فى مثل ورقة ايكاروس ، وانا لنتمنى
لو نرى تلك الالة اللعينة تسقط فى النار

(ر ٠ ن ٠ كرى)

* * *

(٧)

انا لنعجز فى عجلتنا عن ان نرى شيئا غير اجزيئات الصغار
وانا لعاجزون عن التنبؤ بالاحداث التى ستتركز على نهاية الفصل
ستار من الصوت المدوى ، بثله على وجه نائم
كلا الامرين ينبغى ان يستقر فى اذهاننا
كلا الامرين ينبغى ان يتخذ مكانه
فلربما تسعى نفوسنا اللاحقة او يسعى ابناؤنا
الذين لم يولدوا بعد
الى البحث عن المعنى فى غبار البنادق المهجورة
طويلا
انا لنكتفي بالمراقبة فقط والاشارة وتدوين
فهرس بالملاحظات باقلام الرصاص
لسنا نتوق الى الحديث عن الخير والشر
بل كل ما نتوق اليه هو ان نريح حلوقنا المتربة

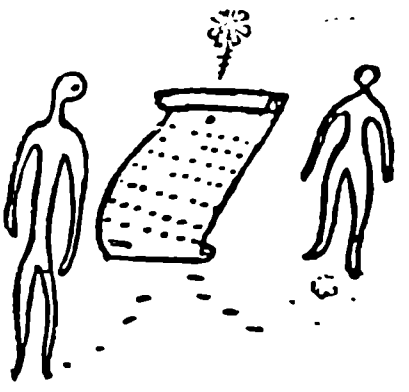

(دونالد بين)

(٨)

عندما لقيتك لاول مرة ادركت انى بلغت دارى اخيرا .
الدار بعد التجوال الدار بعد البحث الطويل على غير هدى
الدار بعد ان لبثت طويلا وليد الرياح تدفعنى الامواج
ويقبض على الليل . لبثت طويلا فى ضياع ! ..
ولقد كان لقاؤنا امرا طبيعيا نحن فى حاجة اليه سويا .
كالنوم او كالصحو وقد وجدت نفسى انا الذى ما كنت
قط لاجد نفسى كاملة ، غدوت اسير واتحدث واضحك
مرتاحا فى نهاية الامر
ولقد غدا الهواء ارق والاصوات اكثر حدة
غدت الالوان اشد القا ، والسماء اكثر ارتفاعا
وما عدت اقيس المسافات بعلائم الطريق ولا
الزمان بالساعات
فى هذه النهاية كانت البداية
وهذه الكلمات انما هى فاتحة كلمات شكرى

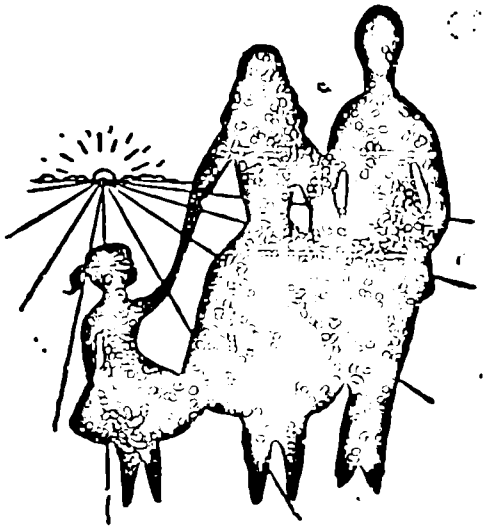

(ا.س .ج. تسيموند)

(٩)

ان اقواس قزح لجميلة
وها هو ذا الطائر الذى يهز جناحا بليلا مبتردا
يتسرق فى طرب وان قصرت عن الانغام
الغناء
لاغرو ففى الهواء قوسا قزح هنالك
انظر هاقد ظهر قوس قزح
تأمل كيف يمد قوس قزح هذا الجميل
ذراعا محلاة بالجواهر نحو عالمنا غب المطر
وكم اتمنى عودة المطر المرة تلو المرة

(و . هـ .. دافيز)

(١٠)

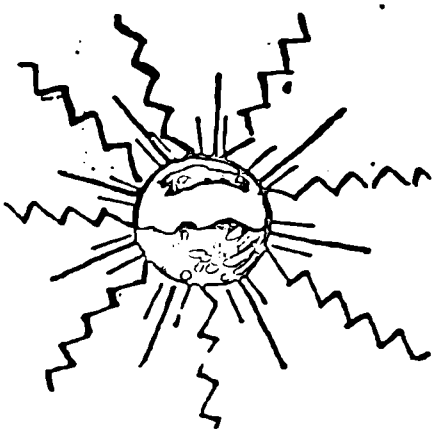

نفس وتنهدة ـ وينقضى مارس ! صرخة ميتة ـ قد مات مارس الكئيب !
ابتسامة متباطئة ـ دمعة متالقة ! اغنية عند ذلك ـ قد حل ابريل !
ألق الشمس ـ سماء باسمة ! حلم سعيد ينقضى سريعا !
نظرة مرتعدة ـ دمعة نازلة ! رقصة الربيع ـ قد حل ابريل !

(ك ٠ براون)

(١١)

فلتنثروا عليها ورودا ورودا لا غضا من سبر
انها لتستريح فى هدوء فواها ليتنى كنت افعل مثلها !
لقد كان العالم فى حاجة الى مدحها
فقد كانت تجعله يسبح فى ابتسامات الفرح
لكن قلبها كان سامان سامان
وهاهم اولاء يدعونها الان فى سامها
كانت حياتها تدور تدور فى متاهات الحرارة والاصوات
لكن روحها كانت تتوق الى السلام
وها هو ذا السلام يدثرها الآن
ان روحها الفنية المستورة قد رفرفت واعياها التنفس
وانها لترث الليلة ساحة الموت الرحيبة

(ماثيو ارنولد)

(٢٢)

كمثل تهادى النجم او كمثل سبحات النسور
او كمثل لون الينبوع المتجدد فى القه
او قطرات طل الصباح المفضضة

او كمثل الريح التى تمسح وجه تيار المياه
او الفقاقيع التى تتوقف على صفحة الماء
كذلك شأن الانســـان حين يأتى أوان استرداد
نوره الموقوت
ويرد فى هذه الليلة
ان الرياح لتهدأ وان الفقاعة لتموت
وان الربيع ليرقد مكفنا فى الخريف
ان الطل ليجف وقد هوى النجم
لقد انتهى التحليق وانسى بنو البشر

(هنرى كنج)

(١٣)

ان الزمان لا يجلب الراحة ، ولقد كذبتم جميعا
يا من قلتم لى ان الزمان خليق ان يريحنى من
آلامى
انى لا فتقده فى بكاء المطر ، انى لاريده عنـــد
انحسار المد
ان الثلوج القديمة لتذوب من كل جوانب الجبل
ولقد غدت أوراق اشجار العام الماضى دخانا فى
كل زقاق
لكن الحب المرير فى العام الماضى لابد باق
يتراكم على قلبى ، وتلازمنى افكار الماضى
الا ان ثمة مائه مكان اخشى
ان اطرقها فانها لتطفح بذكراه
وعندما ادخل فى اطمئنان مكانا هادئا
لم تطاه قدمه قط ولا اشرق فيه وجهه
اقول ولا شىء هاهنا من ذكراه
وهكذا اقف مصعوقة ، هكذا اذكره !

(اديناسانت فنسنت ميلاى)

(١٤)

انى لاذكر ، انى لاذكر الدار التى ولدت فيها
والنافذة الصغيرة التى كانت الشمس تاتى منها
تسترق النظر عند الصباح
ما كانت الشمس لتسرع فى المجىء باكرة قط
ولا هى كانت تطيل من أمد اليوم
اما الآن فانى لاتمنى لو كان الليل قد اســتل
انفاسى بعيدا
انى لاذكر ، انى لاذكر الورود حمراء وبيضاء
وأزهار البنفسج واكؤس السوسن وهاتيـــك

الازهار صيغت من نور
والزنابق التى كان العصفور يبتنى فيها عشه
وحيث غرس اخى شجرة الموزال يوم عيد ميلاده
ما زالت الشجرة باقية حتى الآن !
انى لاذكر ، انى لاذكر المكان الذى كنت اتأرجح فيه
وكنت اخال الهواء لابد مندفع متجددا الى العصافير على متن الجناح
كانت روحى تتطاير رشا آنذاك وهى التى ثقلت الآن
فما تستطيع برك الصيف ان ترطب وقده الخمى على حبيبتى

(توماس هود)

(١٥)

فلتمص ايتها الوردة الجميلة ولتخبرى تلك التى
تضيع وقتها ووقتى
إنها خليقة عند ذاك ان تعرف حين اقارنك بها
مدى ما هى عليه من لطف وجمال
لتخبرى تلك التى فى مقتبل العمر
والتى تحجم عن ان تسترق الاعين النظر الى مفاتنها
انك لو كنت نبت فى الصحارى التى لا يسكنها احد
لذبلت لا محالة دون ان يطريك احد
صغيرة هى قيمة الجمال الذى يعتزل النور
فمريها ان تتقدم
وان تجشم نفسها مشقة رغبة الاخرين فيها
والا يتصاعد عليها الدم هكذا حين يعجب بها

ثم موتى كيما تقرأ فيك العصر الذى تتقاسمه
الاشياء البادرة
ومدى قصر العمر الذى تقتسمانه
يا من الثما على هذه الدرجة من اللطف والجمال
الاخاذ

(ادموند والر)

من العهد القديم

من نشيد الانشاد

اختيار وتنسيق :

توفيق صنا

الى الفنان الاصيل الفريد الانيق مؤلف مسرحية « جبهة الغيب » .. وصيحته لنا بعد أن ودعنا منذ أيام وترك لنا هذه الدنيا .. الى حيث الجمال والحب والخير ... الى المحل الارفع ..

الى الدكتور بشر فارس

ت . ح

— اخبرنى يا من تحبه نفسى
أين ترعى
أين تربض عند الظهيرة

— ان لم تعرفى أيتها الجميلة بين النساء
فاخرجى على آثار الغنم
وارعى جداءك
عند مساكن الرعاة

* * *

— ها انت جميلة يا حبيبتى
ها انت جميلة
عيناك حمامتان

— ها انت جميل يا حبيبى
وحلو
وسريرنا أخضر

* * *

— كالسوسنة بين الشوك
كذلك حبيبى بين البنات
— كالتفاح بين شجر الدغل
كذلك حبيبى بين البنين

تحت ظله اشتهيت ان اجلس
وثمرته حلوة لحلقى
ادخلني الى بيت الخمر
وعلمه فوقى .. محبة

* * *

اسندونى يا قراص الزبيب
وانعشونى بالتفاح
فانى مريضة حبا
شماله تحت راسى
ويمينه تعانقنى

* * *

احلفكن يا بنات اورشليم
الا توقظن ولا تنبهن الحبيب
حتى يشاء

* * *

صوت حبيبى
هو ذا آت .. طافرا على الجبال
قافزا على التلال
هو ذا واقف وراء حائطنا
يوصوص من الشبابيك
أجاب حبيبى وقال لى
قومى يا حبيبتى
يا جميلتى
وتعالى
لان الشتاء قد مضى
والمطر مر .. وزال
الزهور ظهرت فى الارض
وصوت اليمامة سمع فى أرضنا
قومى يا حبيبتى
يا جميلتى
وتعالى يا حمامتى
ارينى وجهك
اسمعينى صوتك
لان صوتك لطيف
ووجهك جميل

* * *

فى الليل
على فراشى
طلبت من تحبه نفسى
طلبته .. فما وجدته
انى اقدم واطوف فى المدينة
فى الاسواق ..
فى الشوارع
اطلب من تحبه نفسى
طلبته .. فما وجدته
وجدنى الحرس الطائف فى المدينة
فقلت
ارايتم من تحبه نفسى
فما جاوزتهم الا قليلا
حتى وجدت من تحبه نفسى
فامسكته
ولم ارخه حتى ادخلته بيت أمى
وحجرة من حبلت بى

* * *

احلفكن يا بنات اورشليم
الا توقظن ولا تنبهن الحبيب
حتى يشاء

* * *

ها انت جميلة يا حبيبتى
ها انت جميلة
عيناك حمامتان من تحت نقابك
شعرك كقطيع معز
رابض على جبل جلعاد
اسنانك كقطع الجزائر الصادرة
من الغسل
شفتاك كسلكة من القرمز
وفمك حلو
خدك كفلقة رمانة تحت نقابك
عنقك كبرج داود
ثدياك كخشفتى ظبية توأمين
يرعيان بين السوسن
كلك جميل يا حبيبتى
ليس فيك عيبة

* * *

اختى العروس .. جنة مغلقة
عين مقفلة

ينبوع مختوم
ينبوع جنات
بئر مياه حية

* * *

انا نائمة وقلبى مستيقظ
صوت حبيبى قارعا
افتحى لى يا أختى
يا حبيبتى
يا حمامتى
يا كاملتى
لان رأسى امتلأ من الطل
وقصصى من ندى الليل
قد خلعت ثوبى فكيف البسه
قد غسلت رجلى فكيف اوسخهما
حبيبى مد يده من الكوة
فانت عليه احشائى
قمت لافتح لحبيبى
ويداى تقطران مرا
واصابعى مر قاطـــر على مقبض القفل
فتحت لحبيبى
لكن حبيبى تحول وعبر
نفسى خرجت عندما ادبر
طلبته فما وجدته
دعوته فما اجابنى
وجدنى الحرس الطائف فى المدينة
ضربونى
جرحونى

* * *

احلفكن يا بنا تاورشليم
ان وجدتن حبيبى
ان تخبرنه بانى مريضة حبا

* * *

انا لحبيبى والى اشتياقه
تعال يا حبيبى الى الحقل
ولنبت فى القرى
هنالك .. اعطيك حبى
وعند أبوابنا
كل النفائس من جديدة وقديمة
ذخرتها لك يا حبيبى
ليتك كاخ لى
الراضع ثدىى امى
فاجدك فى الخارج
واقبلك .. ولا يخزنونى
واقودك .. وادخل بك بيت امى
وهى تعلمنى
فاسقيك من الخمر
الممزوجة من سلاف رمانى

* * *

شماله تحت رأسى ويمينه تعانقنى
احلفكن يا بنات اورشليم
الا توقظن ولا تنبهن الحبيب
حتى يشاء

* * *

اجعلنى كخاتم على قلبك
كخاتم على ساعدك
لان المحبة قوية
كالموت
الغيرة قاسية
كالهاوية
مياه كثيرة لا تستطيع ان تطفىء المحبة
والسيول لا تغمرها
ان اعطى الانسان كل ثروة بيته بدل المحبة
يحتقر احتقارا

* * *

اهرب يا حبيبى
وكن كالظبى
او كفغر الابائل
على جبال الاطياب

العقاد النقد فريضة والشباب وديعة

بقية من النقد الاجمالى ، الى بقايا كثيرة من النقد التفصيلى ، تحتم على الكاتب الوفاء بها فريضة النقد .. ووديعة الشباب ، التى لابد ان يؤديها سالف الى خالف . . مادام نهر الحياة ، متلاحق الموج ، متتابع الجرى وان لم يؤدها سلف الى خلف فقد خان المقصر ، فى الإداء ، وضاع من لم يحصنه والداه

فاما القلم فمحتسب يؤمن بواجبه ، ويؤدى — بحمد الله — فريضته محتملا فى ذلك ماعلمه الاسلاف ، من وجوب الوقوف على تلك الحفرة من حفر النار .

واما القارىء فاحد اثنين : عارف لا يعرف ، ومابه حاجة لتلقى واجبه فى ذلك ، معرفة للحقيقة ، وذودا عنها ، وضنا باصحاب الفد أن يضلوا . .

وثانى الرجلين من القراء متصل بتلك البيئة الثقافية ، لكنه لا يقدر الامر قدره ، أو لا يتمثل تماما خطره ، فهذه المقالات أمامه سبيل الى دقة التقدير ، وصحة الحساب ، لما يلقى اليه ، من تاريخ اخصب حقبة وادقها فى ماضينا المجيد ، حين يسرف ويكثر فى الكتابة عنها ، فتكون فتنة فى الارض وفساد كبير

والعقاد حين يقذف بالصفحات فى هذا المجال ، وقد أعوزه التلقى الاصيل المروى فيه ، ففساد اداؤه لما يتلقاه ، ووجبت الاصاخة لقولهم فى مثله ، ممن لا يؤخذ العلم عنه ، او بعبارتهم لا يكتب العلم عنه ، لما ثبت فيما مضى من جرحه بما تبين ان قد جرحته به مبادئهم وقواعدهم فى ذلك . .

ووراء ذلك من التجريح ما يتصل فيه العمل النقلى ، بالتجريح العقلى ، وهو مايتم به العمل التاريخى ، من الفهم والتبين ، لما يروى وينقل

وعمل المتعرض — فى جمهرة امره — لتاريخ الرسول عليه السلام : واصحابه الكرام ، وحقيقة ما ادى صاحب الدعوة ، من رسالة ، وحملها عنه اولئك الصحاب عمل يدق فيه الامر ، حتى يكون وصفهم الراوى لك « بالضبط » وصفا يحتاج الى نفاذ فى العمل النقلى ، ومعه نفاذ مثله ، فى العمل العقلى ايضا ، ليعرف به الراوى ما يخرج من راسه ، على حد تعبير الاقدمين انفسهم ، حين خافوا على الرواية ، من العوارض التى يفسد بها

الضبط العقلى ، لما يؤديه الراوى ، وخافوا تلك العوارض ، ولو كانت فى صورة صلاح ظاهر ، وزهد غامر ؛ فكيف اذا كان السبب عقيدة مدخولة وعقلية مردودة ، وخلقية عصفت بها سياسة !!

وما اريد ان ابين هنا اسباب فساد الضبط المنطقى عند العقاد فلذلك مجاله ، عند من حلله أو يحلله ، نفسيا ، ويحدث حديث العلم عما يسميه عقده أو نحو ذلك

كما لا اريد ان ابين هنا ظواهر فساد الضبط ، فيما كتب العقاد من كتب تناسب فساد الحقيقة فيها مع سرعة الظهور ، وكثرة الارسال ، فبيان ما فسد من هذه الكتب موضوع النقد التفصيلى ، المفرد لها .

وانما المراد هنا فى تلك البقية من النقد الاجمالى بيان فساد الضبط العقلى عند العقاد ، بصورة عامة ، تقتضى من قارئه الكثير الجم من الاحتراس مع ما قد تقتضيه اياه من العجب

وفى هذا البيان الاجمالى اكتفى بما كتب فى جريدة الاخبار من مقالات اربع ، كان فيها يرمى بخلاصة ما عقل ووعى ، بعد ما اينع ونضج ، فهى بمناسبتها .. وهى بوقتها .. وهى بعموم موضوعها مثل حى للقضية العامة ، عن ضبط العقاد العقلى ، بما تقدمه لذلك من مثل وشواهد ؛ منها :

عبارة بلا معنى ، ولا مفهوم

كقوله فى الاخبار ـ ١٩٦٢/١٢/٢٦ ـ « وكنا نقرأ بعض ماكتب وشطب ونسمع ببعضه ولا نقرؤه ؛ ثم نشطبه جميعا ، ولا نرى فيه ما يحتمل المناقشة » اهـ بلفظه

فكيف يقرأ ما يشطب .. وكيف يسمع ببعض ما شطب .. وكيف يشطب جميع ما شطب !!!

اما هذه العبارة ، فاشباهها له فى كتبه دلائل ناطقة على صحة الوصف الذى قاله الاولون : عمن لايعرف ما يخرج من رأسه .. !!

ب ـ فساد فهم العبارات المفهومة

من يقال له بواسع التعبير : لا يوقف عند ما قيل فى توهين الحديث وضعفه ، لان هذه ليست مسألتنا هنا .. وعدم الوقوف ، وعدم الاشتغال ... لا يمكن ان يكون رأيا فيها أو قولا .. أو ماهو من ذلك بسبيل

فاذا به يقرأ ذلك فيفهم منه ما يجعله يقول فى الاخبار ايضا عدد ١٩٦٢/١٢/٢٦ « واعجب العجب ان يقرر توهين الحديث ، ثم يبلغ من ثقته به .. الخ .

كما يعـــاود التعبير عن هذا الفهـم من العبارة الدالة على عـــدم الأشتغال بمسألة هذا الحديث : فيقول فى عدد ١٩٦٣/١/٢ من الاخبار :

« كما اعترف الشيخ عند حكمه على الحديث بالتوهين »
وفهم العبارات بمثل هذا يقال فيه على قياس قول الاولين :

« ان العقاد لا يعرف ما يدخل الى راسه »

وان كان يعود الى عدم معرفة مايخرج من راسه ، اذ هو قد فهم ان الحديث قد تقرر توهينه ، من القول بعدم النظر فيه ، ثم لايلبث أن يقول فى العدد السابق نفسه :

« عندما يتكلم .. لينفى الوهن عن الحديث الذى اعترف بتوهينه !!

فكيف يكون ترك الاشتغال بشىء ــ كهذا الحديث ــ تقريرا واعترافا بتوهينه .. ثم كيف يكون التعرض لنفى الوهن عنه !!

لقد اضطرب الخارج من راسه والداخل الى راسه اضطرابا له صور كثيرة ، يعرض غرائبها النقد التفصيلى فيما يلى :

جـ ــ فساد الانتقال العقلى ، والتلازم بين الاشياء اليسيرة القريبة

وهذا القدر ايسر ما يحتاج اليه مشتغل بالنقل المجرد ، لانه يحتاج فى مواطن كثيرة ، الى الرواية بالمعنى ، وهى لاتكون الا عن فهم صحيح لما سمعه ، حتى يسعه ان يروى معناه ، واذا فسد الانتقال العقلى بفساد فهم التلازم بين الاشياء الواقعية الخارجية فقد فقد ابسط اساس لهذا القدر اللازم من الفهم ، مهما يكن سبب هذا الفساد ، من قصور .. أوعناد او اندفاع .. أو ما يمكن ان يعد من اسباب لذلك فكلها سواء ، فى الفساد الشخصية العقلية ؛ واذا كانت فى هذه السن ، وأيام الايناع والنضج ، فكيف كانت قبل ذلك ، فى شرة الشباب ، وحمى الخصومة الحزبية ، وآفات السياسة العملية والخلقية !!

ان هذا ليمهد لفهم ما يظهر من ذلك الفساد عند النقد التفصـــيلى لكتب العقاد ، وهنا المثل الواضح على هـذا الفساد فى تلك المقالات التى على الرابعة والسبعين من العمر ، وقد التزمت الوقوف الآن عندها

وهذا المثل هو ما فى الاخبار عدد ١٩٦٣/١/٢ ــ من قوله عن معاوية :

« انه لو اسلم قبل الفتح لكان من المهاجرين كفيره من الصحابة ». ودون ان نعرف سبب عدم هجرته الذى يروى فعلا فى ترجمته من كتب الصحابة فانا نسال اى تلازم بين الاسلام والهجرة ، حتى يقال بهذا التلازم المنطقى : لو اسلم لكان من المهاجرين »
وايسر الامر ان تسال كيف يكون هذا التلازم والرسول عليه السلام

فد قرر فى صلح الحديبة أن يرد من يجيئه من قريش مسلما ، ولا يردون هم من يجيئهم من عند محمد !!

الامر اوضح من ان يبين ؛ ولا تفسير له الا فساد الانتقال العقلى عند الذى بدا انه فى هذه المقالات : لا يعرف ما يخرج من رأســـه احيانا .. ولا يعرف ما يدخل الى راسه احيانا .. وبين هذين فسد الانتقال العقلى . ومع هذه واحدة تفسد الضبط ، وتفسد العدالة ايضا وهى :

د ــ الجراة على ارسال دعوى النفى العام ، التى لاتقوى على مثلهـا الطاقة الانسانية الا بعد احاطة مستوعبة لا تتيسر

ومن ذلك فى هذه المقالات ، التى خرجت على كبرة ، وفى سن ينضج الناضج فى مثلها ، مايقوله فى الاخبار ــ عدد ١٩٦٣/١/٢ ــ

« وينسى مصدرا اخر من اهم المصادر عن الصحابة الذين اسلموا قبل الفتح وذاك هو مصدر طبقات ابن سعد وهى **خالية من كل اشارة الى معاوية فى هذا الباب** » اهـ بلفظه

والقول بخلو طبقات ابن ســعد بما ظهر من مجلداتها البضعة عشر واقسامها الكثيرة من كل اشارة يتطلب ولاشك استيعابا يقظا دقيقا للطبقات المذكورة ، لا تفوت فيه اى اشارة الى معاوية ، فى درج اى كلام ، حتى ولو لم يذكر اسمه بل ذكر بصفته .. والذى يقال دون توسع ولا اجتراء ؛ بل بتاكد وتحقق :

ان العقاد لم يقرأ من طبقات ابن سعد حتى ماهو العناوين فقط ، ولم يراجع فهرس الموضوعات ، أو فهرس الاعلام قبل أن يقرر فى هذه الجراة الغريبة ذلك النفى العام ، وان هذه الطبقات خالية من كل اشـــارة الى معاوية فى هذا الباب ..

ودليل هذا التاكد والتحقق ان فى القسم الثانى من الجـــزء السابع من طبقات ابن سعد ص ١٢٨ ــ طبع ليدن سنة ١٣٣٨ هـ فصلا براسه عن معاوية وقد ورد فى هذا الفصل عن معاوية ، فى الباب الذى يتكلم فيه عنه وهو اسلامه ، ومتى كان .. ورد فى الموضع المذكور من طبقات ابن سعد ما نصه :

« وكان ــ اى معاوية ــ يذكر انه اسلم عام الحديبية ، وكان يكتم اسلامه من ابى سفيان ، قال . فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مكة عام الفتح فاظهرت اسلامى ، ولقيته فرحب بى ، وكتب له »

مع وجود هذا الفصل المعين تكون جزاة العقاد على ارسال هذا النفي لوجود اى اشارة فى طبقات ابن سعد عن معاوية هى تلك الآفة الضيقة ، التى يجرح العقاد بها نفسه ، فى ضبطه وفى عدالته جميعا .

فكيف ومثلها من العقاد كثير ، فى هذه المقالات ، التى قصرنا عليها النظر فى النقد الاجمالى ، ليجد فيها الناقد التفصيلى الاسباب البعيدة لآفات كتب العقاد ، التى يرسلها دون اشارة ما الى مرجع ؛ فكيف تمكن الثقة بمثل صاحب هذه الشخصية العقلية ، التى لمسنا شواهد تجريحها عند أصحاب النقد والوزن ، بما بذلوا من الجهد والجهاد ، فى سبيل صيانة هذه الثقافة الاسلامية .. ثم يتولاها العقاد اليوم بهذه المفسدات الشنيعة ، التى تلزمنا فريضة النقد باعلانها ، فى عبارات جهيرة صريحة ، لا كرامة فيها الا للحق

* * *

وان وراء ذلك لاوجها من تجريح العقاد لنفسه ، تدل على مايجب اعلانه من فساد المنهج ، كاخلاله بأول مراتب الفهم ، وهو الشك المنهجى ، الذى يجب ان يتقدم كل بحث وقول ؛ لا بقول المحدثين من اصحاب المنطق الحديث والفلسفة ، بل بقول اولئك الاقدمين الذين يعبث العقاد بتركتهم فهم الذين قرروا : ان اول واجب على المكلف النظر ، ولم يرضهم ايمان المقلد ، وكانوا فى عظمهم ، كما كانوا فى دينهم يقولون : ان كنت ناقلا فالنص أو مدعيا فالدليل ، ويعرفون الخبر بأنه : ما احتمل الصدق والكذب .. فيجىء العقاد بتهجماته الهوجاء المسرفة ليقول عن خبر : انه خبر لاشك فيه ، وان أخبارا تثبت الثبوت الذى لاشك فيه ، ولا ريب ، ولا تردد ، ولا محال ، ولا مجاولة » ــ الاخبار ١٩٦٣/١/٢

فلا يبقى مع مثل هذا الكلام شىء من منطق .. أو منهج .. او تعقل ورحم الله ما صنع القدماء والمحدثون ، فى سبيل ضبط المنقول والمعقول ثم بغير اى شىء من هذا كله تتناول الرسالة الكبرى التى حملوا عبئها ، وبكتب تاريخ فهمهم لها وجهادهم من اجلها بهذه الفوضى ، التى يشيعها العقاد !!

ومن هذا الصنف فى تجريح العقاد لنفسه بقايا من فساد التصور لاسلوب البحث ، وتقويم المصادر ، وفرض الفروض ، وسبرها ، وغير ذلك من خطوات امانة النقل ، أو فهم المنقول ، التى لا يقوم بدونها عمل من تعلم أو تاليف .. والعقاد .. على غرار ماسبق من الامثلة بعيد عنها ، محروم منها ، كما يشهد بذلك النقد التفصيلى لكتبه ــ فيما بعد ــ

وهل لذلك كله من عيوب الشخصية العلمية صلة بما يسرف فيه العقاد ، من سفه العبارة ، ومجاوزة ابسط اصول الادب العادى ؟

* * *

لعل فى عبارة الفخر الرازى ، التى صدر بها مقال ادب البحث والمناظرة جوابا عن هذا السؤال ، اذ يقول : ان الجهال يسترون جهلهم بالسفاهة ، وكانما يقرر بذلك ــ فى جلاء ــ أن بين قصر العقل وطول اللسان صلة ثابتة

نسأل الله للشباب سلامة وصونا

أمين الخولى

نقد مجموعة حارة السقايين

القصة القصيرة بين الوان الادب الاخرى مثل « السانديوتش » بين الاطعمة ، يستطيع الانسان ان يلتهمه بسهولة فى الاوتوبيس او فى محل العمل

وهى تلقى رواجا منقطع النظير لدى القراء ، وايا ما كانت اسباب ذلك فلاشك ان قصرها من ناحية وسهولة فهمها وطرافتها من ناحية اخرى من اهم هذه الاسباب .

وفى الحق ان قلة قليلة من مجموعات القصص التى تصدر فى هذه الايام تستحق ان يطلق عليها هذا الاسم ومجموعة «حارة السقايين» للاستاذ عزت ابراهيم من هذه القلة القليلة الجديرة بالقراءة والنقد

وحارة السقايين هى القصة الاولى التى تحمل المجموعة اسمها وتقع فى حوالى ثلاثين صفحة ولعلنا لا نوافق المؤلف على انها مسرفة فى الطول ـ كما يقول فى مقدمته ـ فهناك قصة « ثائرون » لمحمود تيمور فى مائة صفحة و «الغريب» ليوسف ادريس فى سبعين صفحة ، و«عنبر ٧» لمصطفى محمود فى خمسين صفحة

ودع عنك كثيرا من قصص الكاتب الروسى الكبير انطون تشيكوف مثل « حكاية تافهة ، والجرادة ، والجناح رقم ٦ » وبعضها يجاوز المائة صفحة وبعضها يقاربها ، والحق ان آخر شىء يلتفت اليه عند تقويم القصة القصيرة هو طولها او قصرها وكم من قصة تعد صفحاتها على اصابع اليد الواحدة لكنها ـ فى حقيقتها ـ قصة قصيرة

والقصة تحكي مأساة فتى قروى فى السابعة عشرة من عمره . وهذه القصة تقوم على الاثر الذى يحدثه انتقال محمود من بيئته الريفية الى المدينة ، اذن فالعنصر السائد فيها كما يقول النقاد هو عنصر البيئة .

وفى الحق انه منذ اذاع العالم الانجليزى تشارلس دارون نظرية التطور فى القرن الماضى ظهر اثرها الملموس فى الاجتماع والعلوم وفى الادب ايضا فلم يعد الانسان هذا الكائن المنعزل عما حوله وانما هو قمة التطور او الحلقة الاخيرة فى سلسلة طويلة من الاجداد والاباء اى انه خاضع لعوامل مختلفة تؤثر فيه مثل الطبيعة او المجتمع او القدر .

ومحمود بطل هذه القصة ضحية لعاملين خارجين عن نطاق ارادته هما المجتمع الريفى الذى نشأ فيه والاخر القدر الذى رمى فى طريقه ببدرية اللعوب الصارخة الجمال وقد حاول فى بادىء الامر ان يترك البيت ويبحث عن سكن اخر لكنه لم يستطع لانه فى مثل هذه القصص (١) «تنطوى اعماله على البطولة الفردية فى لجة الظروف الاجتماعية المحيطة ومصير البطل

---

(١) فن القصة ـ الدكتور محمد يوسف نجم ص ٢٣ .

يتوقف على الخصائص التي انحدرت اليه عن طريق الوراثة وعلى التربية التي اتيحت له في شبابه وبهذا يكون مصيره مقدرا محتوما يسير اليه بخطى وئيدة متثاقلة لكنه لاشك بالغه في يوم من الايام» .

اننا نعاطف محمودا ونحس بمأساته لاننا نشعر تماما انه ضحية لا ذنب لها فيما حدث ونقتنع في الوقت نفسه بقول فيلسوف فرنسا الكبير جان جاك روسو « الانسان خير بطبعه ولكن المجتمع هو الذي يفسده » .

ولقد نجح المؤلف في جذب انتباهنا اليه عندما بدأ القصة من آخرها فصور لنا الذهول الذي يغلف حياة محمود والنسيان الذي يسيطر عليها فأثار فضولنا لاماطة اللثام عن سر هذه الشخصية الذاهلة .

واذا كان القارىء يلقي على نفسه اسئلة يستطرد في القراءة ليجيب عنها فليس مايدعو المؤلف ان يترك عملية السرد ليجابه القارىء مباشرة بهذه الاسئلة لان التشويق في هذه الحالة يقل كثيرا حيث يشعر القارىء أنه مراقب من الكاتب او انه يتهمه في ذكائه مثال ذلك قول الاستاذ عزت « ولابد انك استنتجت من كلامي ماسيكون لهذه المرأة من اثر فعال في مستقبل حياتي » ص ١٦ أو قوله « كان هناك طريق واحد لا ثاني غيره هو الخروج من هذا المنزل فهل استطعت وقتذاك ان انفذ هذه الرغبة « ص ٢٢ . أو « وهانذا اعود بك الى اول هذه القصة شارد اللب زائغ البصر حائر النفس » ص ٣٢ .

ومهما يكن من امر فقد شهدنا انصراع الذي دار في نفس محمود بين خجله الفطري وتدينه من جهة وبين رغبته الجامحة في المرأة وحبه لبدريه من جهة اخرى ولذلك فنحن نقتنع بواقعية هذه الشخصية .

وفي القصة بعض الشخصيات الثانوية الا ان كلا منها يؤدي دوره في تطوير الحدث وبلورته فمثلا رجب افندي رجل ضعيف يضطرب وهو يتلم زوجته وبذلك يمثل مظهرا من مظاهر الاختلاف بين القرية والمدينة التي غالبا ما تكون المرأة فيها اقوى شخصية واكثر حرية . ومنيرة التي تقطن الدور الاول وهي جميلة لدرجة ان اطلق عليها محمود اسم «بلقيس» ولكنها خليعة وقحة تعامله بجفاء وربما كانت المقارنة بينها وبين بدرية تزيد محمود تعلقا بالاخيرة التي تعامله بعطف ورقة وان كانت ماجنة ايضا .

وبعد . . فان هذه القصة جيدة جدا والمآخذ القليلة التي ذكرتها آنفا لا تنقص من قيمتها .

* * *

القصة الثانية في المجموعة هي « العلامة سلامة » وفحواها انه يجب على الانسان ان يرضى بعمره القليل ما دام يحقق فيه الكثير ولكنها تلعن العلم لانه وصل بالعلامة سلامة الى ان يكون ريشة في مهب الريح .

لكن في العلم مستقبل الانسانية وخلاصها لذلك لا يسعنا ان نسخر منه كما فعل الدوس هكسلي في رواية « العالم الطريف » او توفيق الحكيم في مسرحية « رحلة الى الغد » .

ولكن الاستاذ سلامة يهب من نومه مذعورا فقد كان يحلم ونهته زوجته عن الاسترسال في قراءة كتب الجن والعفاريت فلم يكن اذن عالما كما صورته القصة منذ البداية ولذلك

تبدو النهاية مقحمة لا علاقة لها بباقى اجزاء القصة .

* * *

وقصة « سوء حظ » من القصص المشرق المتفائل والفكرة التى تجسدها لنا هذه القصة هى ان القدر ليس دائما عدو الانسان يطارده ويناصبه العداء وانما هو فى بعض الاحيان صديقه الحميم او بعبارة اخرى ان القدر عادل يأخذ ليعطى .

والقدر قد ناصر سليما فى هذه القصة مرتين فقد خلصه من زوجته الخائنة دون الحاجة الى القتل لانها ماتت ، ثم منحه الف جنيه دفعة واحدة ليعوضه عن حياة البؤس والحرمان التى عاشها داخل السجن وخارجه .

واهم ما يلفت النظر فى هذه القصة نهايتها الحاسمة ولذلك يمكن تسميتها بحق لحظة تنوير لان الفكرة تتضح بما لايدع مجالا للشك منذ اللحظة التى نعرف فيها ان الرجل الذى قتله سليم ليس اى رجل وانما هو مجرم خطير يطارده رجال الامن .

واذا كان المؤلف فى القصة السابقة قد عالج مشكلة فلسفية هى موقف القدر من الانسان فهو هنا فى قصة « عويس الاخرس » يعالج مشكلة اجتماعية هى زواج الفتاة الصغيرة بالرجل الكهل وما يترتب على هذا الزواج غير المتكافىء من عواقب وخيمة .

فقد حدثت الخيانة اذن كنتيجة طبيعية لهذه الزيجة غير المتكافئة .

ولعل ابلغ ما فى القصة سخرية سناء — او الاستاذ عزت — من مؤلف الكتاب الذى كانت تقرأ فيه لانه جعل بطلته مديحة — وزوجها كهل ايضا — تتمسك بالفضيلة رغم ان كل الظروف تدفعها دفعا للسقوط . ولا شك ان نظرتنا الى الانسان على انه قادر دائما على الصبر والتحمل دون ان يزل او ينهار .. هذه النظرة تعوقنا كثيرا عن الاصلاح ، وسيظل الكهول يتزوجون من الفتيات الصغيرات ما دام يعتقد الاباء ان الفتاة تستطيع دائما ان تعصم نفسها من الزلل ، وقد يختلف الامر اذا اختلفت هذه العقيدة .

واخيرا لى اعتراض واحد على هذه القصة ...

ان عويس الذى يمثل المنقذ اخرس وفوق ذلك فهو مضرب المثل فى البلاهة والغباء ومع ذلك تبدو سناء سعيدة به وتناجى نفسها قائلة « الان استطيع ان اعوض نفسى ما افتقدته عند هذا الزوج الفانى » فهل صحيح ان عويس الاخرس الابله الغبى سيعوضها كل ما افتقدته عند الزوج الفانى ؟ ، ان اختيار المؤلف لعويس بالذات كى تنحل به الازمة يدل على انه نظر الى المشكلة من ناحية واحدة — لعلها البارزة نسبيا — هى الناحية الجنسية واغفل نواحى اخرى لاتقل عنها اهمية مثل الفهم المتبادل بين الزوج وزوجته والنظرة الواحدة لحياة والمشاركة الوجدانية والحب الروحى الذى يكمله او هو يكمل الحب الجنسى وكل هذا لن تجده سناء عند عويس الاخرس الذى سيمنحها — فقط — الاشباع الجنسى .

ولو اشار المؤلف الى هذه النواحى ولم يقتصر على الناحية الجنسية اذن

لكانت الخيانة اكثر حتمية ولاكتسبت سناء عفونا وعذرنا لها بصورة اعمق.

* * *

وقصة « الرجل الانيق » تصور لنا الفهم الخاطىء لمعنى العظمة والسيادة الذى لا يجر على صاحبه الا كره الناس له وسخريتهم منه ، فليست العظمة بالغرور والتعالى على الناس واحتقارهم .

وآخذ على هذه القصة انها تصور لنا الرجل انيقا بل مفرط الاناقة يرتدى حلة وحذاء ابيض لامعا وجوربا حريريا زاهيا ويدخن الشيشة فهل يتيسر ذلك كله للساعى المحدود الدخل ؟

* * *

اما قصة « ثلاث اذرع » فهى قصة ممتازة حقا ولعلها اجمل قصص المجموعة على الاطلاق ، ليس ذلك لانها تجسد فكرة عدالة القدر التى سبق ان عبر عنها المؤلف فى غير هذه القصة ولكن لان بطليها نادية وعلى من طراز فريد جدير بالاعجاب .

ان حب على لنادية من نوع نادر .. نوع رائع يمجد الانسان وليس من هذا الحب الخائر الذى لا سند له الا الوجه الصبيح والقوام الرشيق .

وعلى كل حال فقد اختار المؤلف لبطله اسم على — من العلو — كانما ليكون رمزا لسمو نظرته وعلو نفسه

وكان بودى ان اتحدث عن قصص المجموعة كلها لانها تحفل بالمتعة والجودة وليس كما يقول مؤلفها الاستاذ عزت فى المقدمة « لو اننى اردت ان انقى هذه الاقاصيص لانشر منها ما ترضى عنه نفسى لكان حالى معها كحال شيخ المعرة مع اناسه حين قال فيهم بيته المشهور :

لو غربل الناس كيما يعدموا سقطا
لما تبقى اناس فى الغرابيل

وعلى كل حال فقد قال تعالى فى المعجز « ولا تزكوا انفسكم » ولا بد ان الاستاذ عزت كان يضع هذه الآية الكريمة نصب عينيه وهو يكتب المقدمة فكان ما فيها من التواضع الجميل الذى يرفعه ولا يخفضه .

محمد عبد الهادى محمود

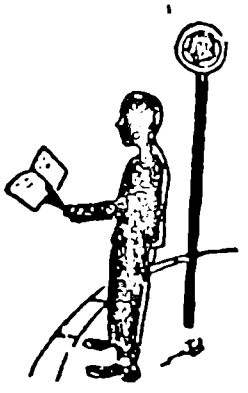

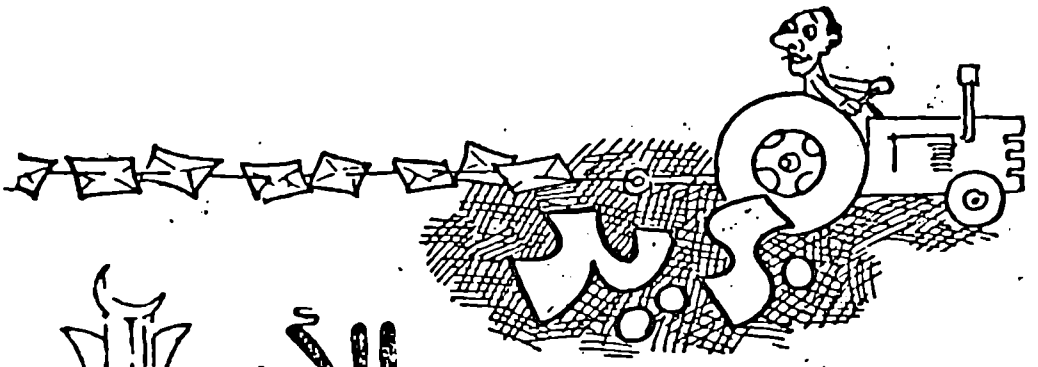

حق .. الحق

وما هذا العنوان ؟ .. وكيف تقرؤه ؟ .. وعلى اى وجه تأتلف به جملة ؟ لعل القارىء يمهلنى ريثما اطالعه بمنشأ الفكرة التى اردت التعبير عنها ، فلم اجد اصدق من هذا العنوان : حق .. الحق .

سمعتهم يا سيدى يشرعون لحماية حق المؤلف ، فلا يعدو عليه عاد ، من كاتب يسرقه ، او ناشر يختلس نسخه . وحسن ما فعلوا ، فى عصر المادة ، عند المؤمنين بها .

وسمعتهم يشرعون لحماية حق الاداء العلنى ، فلا تعاد رنة وتر انعازف ، ولا ترديدة المغنى الا وله فى هذه الاعادة اجر ، وعلى المستمعين ضريبة ..

وحسن عندهم ما فعلوا فى عصر الحطام ، عند المستقتلين فى سبيله . ذكرت كل هذه الحقوق للمؤلفين ، والملحنين ، والمغنين ، وسواهم .. وذكرته وانا اقرأ مايسرق فى « الادب » من اصول المنهج عند الاقدمين ، تلك الاصول الاصيلة الصريحة ، التى ردت هذا العقاد فى الحياة اليوم الى موضعه الصحيح ، فى دنيا التعلم ... والتاليف .. والكتابة فاذا هو فى صريحها الصارخ : لم يتعلم .. ولا من مثله يكتب العلم ، اى لا يؤلف .. وهو فى تعبير الاحداث اليوم معزول ، محروم ، فى دنيا العلم ، من حق القول والعمل ، بعد ما جرحته اصول التلقى والاداء فى الضبط . . والامانة .. والعدالة ، على ما تزال « الادب » تؤكد بيانه .

سمعت هذه الحماية للحقوق التى اكتسبتها الاقلام ، مهما يكن امرها ، او اكتسبتها الحناجر مهما يكن صوتها ، وسمعت ما قيل فى حماية الحقيقة وحملتها ورواتها ، وناقليها ومدونيها فتداعت المعانى ، وقلت :

ماذا نصنع لحماية الحقيقة نفسها ، حين يعرضها قوم ، ويؤديها قوم ، ويتخذون قضاياها مادة يعرضونها ويؤدونها ، فيفسدونها ، ويضيعونها ، مع ما يبتزون من اموال الناس بسببها ، وبادعائها ، وبانتسابهم اليها ؟ ..

اليس من حق هذه الحقيقة مثل ما هو حق المؤلف ؟ وحق المؤدى ؟ ذلك هو ما دعوته حق .. الحق . .واترك تساؤلى هذا بين يدى الخاصة كتابا وقراء ليروا فيه رايهم ، ويوفقوا بين حرية الفكر .. وحرمة الحق ، ويدبروا لوسائل العمليةتشريعية ، وا تنفيذية ، مما يمكن بها حمايةحق.. الحق ، فى ان يسلم ، ويصان ، ويحمى ، فلا يؤديه من لم يتلق دقائقه .. ولا يعرضه من لم يلم بأصوله ، ومسالكه .. فلا يكون التأليف همـلا ، سبهللا ، بلا محاسيب .. ويكون النقد مع ذلك خائنا خائرا .. لا يؤدى فريضة .. ولا يصدع بحقيقة ، دون ان يخشى لومة لائم .

كيف يحمى حق .. الحق .. دون مساس بحرية الفكر ؟

قد تكون هذه احجية دقيقة ، لكن اشتغال العقول المفكرة بها ، من اجل الحقيقة اكرم وابر واشرف من الاشتغال بتخمين ما توزعه جـريدة من الاعداد ! !

فان ثقل هذا العنوان حـــق .. الحق .. على قارىء .. او دق الموضوع على مفكر فلا يبتئس بذلك فانها رياضة فكرية شريفة ..

الدور الثانى ...

يريد بعض الشبان أن تعيد « الادب » نظام امتحان الدور الثـــانى فيما يكتبون .. فيقول احدهم : هانذا ارسل المقال لكم مرة اخرى بعـد تنفيذ تعليماتكم .. راجيا .. كذا وكذا من الاعجاب .. والنشر .. الخ

وقد تحدثت اليهم « الادب » قبل الآن ، فى هذا الشـأن ، وكرهت لهم ان يستاثروا من الصحائف والوقت بما يحق لغيرهم ان يأخـذه .. فليقدروا هذه الملاحظة ؛ وبحسب « الادب » ان تقوم مرة وتكتب ، اما ان تعود لما صحح فهذا ــ فيما اعتقد ــ كثير ، وفيه حرمان لغيرهم من هذه العناية ؛ فهل يتفضلون فيعتبرون هذه المرة هى الفرصـــة الاخيرة فى التنبيه الى طلب اعفائها من عقد هذا الدور الثانى .

خواطر .. للبعيد عن القاهرة ؟

كتب السيد الاديب الناقد ، فى بريد هذا الشهر يقول:

« انى اتساءل احيانا : هل يستطيع النص الصـــادق وحده ، بكل وضاءته أن يصل بتأثير صاحبه الى درجاته القصوى .. وبلفظ آخر :

هل نكتفى فقط من الكاتب باثره الموضوعى ، الذى يخرجه ، أو نتطلع الى خطوط اخرى لابد منها لتكمل الصورة ، ويتم التأثر به ؟

اقول هذا الكلام ، وانا ارى « الادب » تخلو بالمرة ، من كل اثر خارج اندرس ، أو العمل المجرد نفسه .. وبالنسبة اليكم ، على وجه الخصوص .. وهذا وضع يبدو لى انه لا يناسب دســـتور الامناء انفسهم ، أو فى المجال التطبيقى للحياة ، فهم مثلا لا يرون الجامعة مجرد القاء محاضرات . بل هى روح قبل كل شىء ؛ وهذا نفس ماعرضتموه فى دراستكم عن مالك ابن انس .. فهل ينتظر منكم البعيد عن القاهرة ، الذى لا يستطيع ان يتصل بكم اتصالا شخصيا ان تعوضوه عن عدم الصلة « المباشرة » هذه

هكذا قال السيد فى رسالته الى الاستاذ رئيس التحرير ، وجاءتنى الرسالة بدورى فسألت أستاذى الجواب عن هـذا الذى وجه اليه شخصيا فقال ما معناه :

انى احيى هذا الشعور النفسى ، وتقديره للصلة الروحية ، والتجاوب القلبى مع الشباب الكريم ، ومع القراء جميعا ..

وانى أقدر ما لهذا الاتصال المعنوى والتجاوب من اثر جليل فى الحياة الفنية والعقلية ، يظل به تيار التفاهم متصلا ، مستمر التدفق ؛ وتظل به الشخصية القومية الخالدة سارية على الاجيال ، باقية على الادهار .. والكلمة فى ذلك قد تحتاج الى ما ينفث حولها روحا لعل حروفها لا تستقل بحملها .. وللسيد الناقد حق فيما سال عنه ، وفيما نظر به من أمر الجامعة والجامعية .

وانا لكل هذا سعيد بهذا الشعور ، وذاك الوعى النفسى .. ولقد تحدث السيد الى قبل الآن ، فى مثل هذه الرسالة عن مذكرات اكتبها ؛ واجبته يومها عن سبب تأخير هذه المذكرات ، وما فى اخراجها الآن من دقة .. بما تمس من أشخاص وأحداث ، لا أدرى هل تحتمل هذه المعالنة الصادقة أولا ؟ .

ويبدو لى أن السيد يشير الى الموضوع نفسه ، من قريب أو من بعيد .. وفى كل حال فانا نفسح صفحات « الادب » لما هو أولى وادق من الناحية الموضوعية الصرفة ، واحسب أن لهذه الخواطر مجالا آخر ، تكون فيه اكثر انطلاقا وحرية .

ومع هذا كله فان كل ما تحمل « الادب » من نتاج أو درس ينتهى أمره ، الى لون من التجربة الحيوية ، يؤديها المتفنن ، أو يدل على صوابها اندارس .. وكل أولئك ذوب نفس أصحابها .. فى الدرس .. وخارج الدرس .

واخيرا — وليس آخرا كما يقال — لا استبعد أن يجىء الوقت ، الذى تحمل فيه صفحات « الادب » شيئا من هذه الخواطر أو ما يشبهها .. وشكرا شكرا ..

اقنـاع ..

يريد بعض أصحاب الرسائل ليقنع هذا الباب بالتقدير الفنى لعمل قومه .. وقال فيه ما هدى اليه ، فيكتب صاحب هذه الرغبة مطيلا ، مستشهدا بآراء اخرى فى تقويم ما كتبه ، ولعل « الادب » لا تجد المجال الفسيح لنشر مثل هذه المحاجة الاقناعية .. لانها ترى اختلاف الحكم فى المجال الادبى ظاهرة طبيعية .. لا غرابة فيها .. ولانها تقدر فى الوقت نفسه أن بعض عبارات هذا التقويم تكون مطاطة مرنة ، بل شديدة المرونة ، كعبارات الدبلوماسيين ، تحتمل الكثير ، وتتسع للكثير . فاذا

انضم الى ذلك بعد المتخالفين ـ فى الغالب ـ عن نظم البحث وآدابه ، ابقى القول فى ذلك الاختلاف ، غير متناه . . او يوشك ان يكون غير متناه ـ وغيره اولى منه كثيرا ـ بل جدا . .

وغاية الباب من هذا الكلام ، أن يعتذر الى السيد صاحب الرسالة بذلك عن نشرها ؛ ولو كانت نقدا ـ مهما يظل ـ لفكرت « الادب » فى نشره . . اما عريضة الدفاع فلا . .

ومع ذلك فانى لا اوافق السيد على تواضعه ـ غير السليم ـ بنفيه ادعاء الاستاذية . . لانه لم يزل طالبا . . ولا سيما مع اصاخته لقول الاستاذ رئيس التحرير فى الاسكندرية :

ان الطالب = استاذ + زمن . . وما دام يؤمن بسلامة هذه المعانى فقد وجب أن يكون أكثر طموحا . . فالى الامام . . دائما . .

والى رسائل المرسلين فى :

الشعر

* فقد وصل بيتان انقيا فى مهرجان الشعر ، الذى اقيم فى الاسكندرية ، ويريد السيد مرسلهما اثباتهما فى « الادب » واعلان انهما لم . . وهو ما تعتذر « الادب » عن استجابتها له . . .

اما قصيدته « منى روحى » المرافقة فالى دورها حين يحين .

* وقد وصلت قصيدة « **الجبل والراعى** » تسبقها استجابة فنية كريمة للاحظ ابديت على اخت لها سابقة ، بعث بها السيد قبل الآن ؛ فهو يقول : ـ

« وقد كان لنقدكم اشد الاثر ، واقوى الوقع ، اذ عبر عن اهتمامكم بكل انتاج يصل اليكم ، كما قادنى انى السبيل السليم ، وبعد بى عن مواطن الزلل عديدة » .

ومع مثل هذه الاستجابة الكريمة يرجى كل خير وامل ، فشر ما نشكوه وتشكوه الحياة الادبية هو ما كتب عنه اليوم تحت عنوان « الحساسية للنقد » ؛ وعدم تقبل النقد مظهر واضح لنقص الشعور بالحرية ، التى تعطى صاحبها الحق فى التعبير الكامل عن رايه ، فيعترف لذلك بحق غيره ، فى هذا التعبير الكامل عن رايه .

ومع هذا السيد المرجو الغد يحلو الحديث ، ويحسن أن يطول . . فقصيدته عمل واحد متماسك عن حياة راع جبلى جزائرى ، ذاق مرارة الاستعمار ، وشارك فى ثورة الجزائر الابية عليه ، وعاش الثورة حتى حققت غايتها ، وهتف فخورا يقول :

واهتف تحيا بلادى التى
كستنى رداء الابى الفخور

والمجال شعرى . . والتعبير ـ فى اكثر الامر ـ مسعف ، والامل فى السيد الشاعر ، ومستواه يجعل الملاحظ اليسيرة خطوة الى الكمال .

ولهذا لا اتردد فى ان اقول له :

ـ ان بعض القوافى قلق يطـــول التعبير فيـــه ، على غير كبير معنى ليضع كلمة القافية كقوله :

فقاموا ليقضوا على من يجور .. وقوله : وكيف ؟ وفيها عتو ونير .. وقوله : الى المجدسارت ولن تستدير

وبعض التعابير واهنة اضعفتهـ القافية ايضا كقوله : فتحنو عليه حنو الحرير .. ففى الحرير نعومة لا حنو .. والحنو شىء عاطفى ادق كثيرا من النعومة السطحية الملمس .

وبعض الصـور صعبة التمثـــل كقوله : وكان ابى حامـــلا نعجتين ، وكل القطيع بعيدا يدور .. فحمـل نعجتين ليس مما يعمله الراعى ، وقد يحمل سخلة ، او حملا وليدا .. اما حمل نعجتين .. نعجتين .. فليس معتادا .

وفى هذا القـدر كفاية للفت ذى حس دقيق كصاحب الجبل والراعى .. جاده الفن الرفيع .

* ووصلت ((عادت من جديد)) ومعها استفادة من توجيه ســابق ، لكنها استفادة لا تعتمد على اساس يقام عليه بناء ادبى ، وما وصل الآن من الكلام الذى لا يسهل تسميته شيئا من النظم بل لا يسمى شـيئا مـن الرصف ، ولو انصفته لوضعته خارج النقد : عبارته من السقم والانحلال بحيث يـــكتب « فـــلم ترى » ـ و « نستنى » و « بمثابت » و « لى النشر » اى « للنشر » .. ووضعها هنـا مما تتميز به الاشـــياء ، بين اصـدادها .. وان كان صـــاحب « عادت من جديد » يقول : ان ردى يدفعه الى عمل جميل ، فهل يستطيع انصبر على احتمال ما يحتاجه ايـر العمل الفنى ، من جهـد ، ودرس ، وارتياض !! حبذا . وارجو ان يكون لحسن استعداده اثر فى تقـــديره لعمله ، ووضعه فى المرحلة الساذجة التى هو فيها .

* ووصـــلت ((الى حبيبتى)) لسيد مدرس ، واعين هذه الصفة فيه لاطلب منه مستوى يناسبها ، ولكنى لا اجده فى هذه المنظومة ، فعبارتهـا ضعيفة .. وصورها البيانية مهزوزة ومعانيها قريبة الى حد السذاجة .. فهو يقـول : فتطمأنى .. و « تاس الاناقة » .. كما يقول : « لظى المتيم ثائر بلظاك » !! ويقـــول : ارشف ما يجيش بصـــدرها !! ومن سيىء ما يلقى به حبيبته قوله : يا ويلتى ان جاء منك رذيلة !! كما يقول عن نفسه بســذاجة صارخة : لا تحسبى انى مرافق دونها فى خفية ودناءة الهتاك وابرز من هذا فى تفاهـــة الشعور ، وابتذال التعبير قوله :

فاذا هجرتك يا حبيبة لن (كذا) اجد لى منفـذ من واخـــز الاشـــواك

وكأنما هذا (الشىء) هـو بيت القصيد عند السيد فقد كتبه بالمداد الاحمر بين اســود السطور ، وكتب امامه : سقط سهوا اثناء نقلها !! ولو سقطت سهوا او عمدا اثناء ارسالها لكان استر .

* ووصلت ((نداء فلسطين العربية)) لصـاحب السابقة .. ونصيبها من نقائص اختها اوفر .. فالخطأ النحوى فاش .. لغـــير ضرورة .. وما بالضرورة ليس فيه اضـطرار . . وبساطة المعانى الى التفاهة غامرة .. وتفكك التماسك الذى يحيل الوحدة ظاهر غالب .. وعجـز العبارة عـن رسم الصورة الادبيـة وافر .. فلا تعرف ماذا يريد من مثل قوله عـن فلسطين : قد دنت منها المآثر ! ! او قوله عن ابنها :

يا ترى أحيا بمجـــدى
أم أموت اليـوم نافر !!

وقوله :

نـــكبة حلت بشـعب
يا له أحيـا المشـــاعر

وماذا يريد لنفسه أو قومه بقوله :

ليس لى طبل وزمـر
ليس لى الا المجامـر ! !

فما المجامر او المباخر التى له !!

وهو من التقدير بحيث يقول عن مثل هذا الكلام : نرجو نشرهما بعد تمام التاكد من صلاحيتهما للنشر .. وقد جاوز التمام عدم صـلاحيتهما للنشر .. ومعذرة ثم معذرة ياسـيد فبينى وبينك من تشاء من القراء

وليس بعد مثل هذا طاقة للنظر فى الشعر ، فننتقل الى :

النـــثر

* فقد وصل منـذ مدة « نقـد مسرحية الحرب » للثنائى الناقد ، الذى نشرت له « الادب » قبل الآن ، ونعتذر اليه عن عدم النشر ، لان اكثر ما فيه مما ردد فى ندوة ، وبعد ماذاع وسمع لا يسهل أن يعاد نشره ، لو كان نقدا عميقا .. والذى فيه بعد ذلك من زيادة الثنائى ليس جـديرا بوصف الجدة .. ومع تقدير «الادب» لاحد افراد الامناء ، مؤلف مسرحية الحرب فانها ترجو لعمله تقييما اعمق مما جاء فى هذا النقد مرويا او مبتدا كما انها ترجو لهذا المؤلف حين يقدر وبشكر أن يكون تقديره اقوى اساسا لا ثناء ساذجا مبهما .. ومحرر هذا الباب يعرف من دقة صاحب مسرحية الحرب وصراحته مايجعله يشاركه فى هذا المبدا ، من طلب النقد الجاد ، أو الثناء الاصيل ، وعدم الارتياح الى هذه العبارات الجامدة ، من مثـل : سلامة التعبير ، ورشاقة الاسلوب ، واشراق الديباجة ، كده يا ابو عوف والا لا .. ان الفن افصح بيانا اليوم عما كان ، حين عجز عن غير هذه العبارات الجوفاء .. ومعذرة للناقد والمنقود ان لم يريا معى هذا الراى .

* ووصل مقال عن كتاب «**الطالع السـعيد الجامع لاسماء الفضـلاء والرواة باعلى الصعيد**» . يقـدم صاحبه قصة هذا الكتاب النفيس ، الذى كان قبل ستين عاما مخطوطا وليس لتقديم كتاب صار اليوم مطبوعا اهمية ، تجعل دارسا يفرده ببحث مستقل فى مقال ، الا ان يكون ذلك البحث المستقل دراسة فاحصـة للكتاب ، تعنى بناحية حيوية من العصر الذى عنى هذا الكتاب برجاله ، وهو مالم يقصد اليه المرسل ، بل اقتصر على التعريف بالمؤلف ، وان شئت قل الترجمة له ، ومنهجه على ما زعم فى التاليف

ولا تخلو الكتابة مما لا يقبـل ، ولا يحتمل ، من مثل صاحب المقال الذى اتم دراسته العليا ، بقسـم الفلسفة ، من كلية الآداب ، كان يكتب « دعى » !! ويقول : منها ستة عشر مدرسة !! ومثل ذلك مما لا استطيع الوقوف الطويل عنده ، وافسـاح مكان له ، غـيره أولى به منـه والى أن يقـوم الكاتب بدراسـة موضوعية جادة ، عن شىء ذى قيمة فى حياتنا العقلية ، من تلك الآفاق التى تناولها الطالع السعيد ترحب «الادب» كل الترحيب بنشر ما يرسله

ومعذرة ، الى الصديق الكريم الذى دفعته رغبته الطيبة فى دفع الشباب الى الامام ، بتشجيع البحث وصاحبه فان « الادب » لا تتاخر عن هذا التشجيع ، فى شىء ، الا انها تشجع كل شاب ، فى ميدان يبدو له فيه نفاذ .. ولهذه ما بعدها ، فى كتاب الطالع السعيد نفسه ، فانه يفتح افاقا فساحا ، للدرس الثقافى الصعيد ، وما كان فيها من حياة والتاريخى فى هذه المناطق من ثقافية زاخرة .

* ووصلت « **كلمة وداع** » رثاء للمغفور له المرحوم الاستاذ الجليل احمد لطفى السيد .. وفيها « .. زفوا الينا النبأ وقالوا مات لطفى السيد » فاى زفاف للوفاة يا سيد ! ! لو لم يكن فى الزف الا معنى السرعة لكان اللفظ نابيا ، فكيف واول معناه فى القاموس : زف العروس الى زوجها والمعنى الاستعمالى المألوف يحيل على كل ذى حس لغوى ان يفعل ذلك !!! ومع نبوة الحس اللغوى اخطاء نحوية واملائية تبعد صاحبها عن هذا الافق الذى يتحدث عن قديم صلته به منذ كان فى العاشرة ... ولا ادرى كم سنه الان ، اطال الله بقاه ، حتى تتميز لديه الطوابع الشخصية للعلماء والادباء ، فلا يرى فى كل صفحة من صفحات العقاد روح لطفى السيد ولا يخيل له ان لطفى السيد يتربع تربع الكاهن على صفحات كتب طه حسين .. ولايجد روح الفلسفة التى رائدها لطفى السيد فيما يقرا للحكيم ولايدعو للطفى السيد بينه وبين نفسه اذا ما قرا يوسف كرم .. فهذه شخصيات تفترق افتراقا واضحا ، او صارخا ، يبدو لكل ذى عينين ، مهما يكن بينها شىء من صلة ، او ارتباط ، او تفاعل ، او تاثر .. وفرق بين ان يرى فى كل فتاة جامعية ، تحمل كتبها على صدرها اثرا من آثار لطفى السيد ، على المراة والحياة ، وبين ان يقول هو : « ما رايت فتاة تحمل على صدرها كتبها وتتباهى بتحررها الا ووجدت على محياها صورة لطفى السيد » فان الفرق بين شباب الفتاة وشيخوخة لطفى السيد الطاعنة ، كالفرق بين الشخصيات التى عدها وزعم انه يرى فيها روح لطفى السيد .. والمسالة يا سيد ليست هكذا بالكوم

وحقا ان لطفى السيد حرى بما يقال فيه من رثاء ، على ان يكون كلاما محررا ، صحيحا ، ذا محصول ، ترضى به روح عشير ارسطو .. روح الله روحه ..

* ووصلت « **الصوفية فى شعر هرون الحلو** » ويصور هذا المقال ماجاء فى اخره من قول صاحبه « وشعره العاطفى مملوء بالصوفية » اكتفى بهذا القدر من الامثلة .. فان المقال ليس الا شيئا من امثلة تتقدمها كلمة ساذجة مما شاع هن غلبة المادية عنى هذا العصر .. الخ .. على أن الامثلة مع ذلك يرد فيها ما ليس له صلة ، بهذا المعنى المادى ، ولا دلالة على شىء من شعور دينى أو نزوع صوفى .. مع أن الذى يقرا عنوان المقال يحسب انه سيجد فى شعر هرون الحلو من نفحات التصوف ، ودقائق جولاته المعجب المطرب ، وقد يقف على اثر دراسات وتجارب صوفية للشاعر ، اودعها ديوانه فكانت تجاوبا مع روح صوفية ، فى مصر ، مثلها ابن الفارض مثلا ، أو نفثها ذو النون المصرى ، الذى هو من رءوس القوم فى ذلك

باشباب : عمقا .. عمقا فان هذه الخفة .. والسذاجة ، بل الخطف الخاطف لا يليق بكم ، فى عصرنا الفازى للسماء .. وشكرا مع اعتذار عن مثل هذا الجهر بالحق .. فالدين النصيحة .. وصاحب التصوف والصوفية اجدر بان يقدر هذا الاصل الدينى الحيوى ، ويرى فيه شفيعا

لن يقول الحق ولا يقول الا الحق

* وصلت قصة «الشيخ احمد» لجامعي اسكندري .. ومحرر هذا الباب في دهشة منها قد تفوق دهشة سمير فندي حينما راى « الشيخ احمد » في قرية نائية ، يضرب بيده وهو جالس في وسط الدار فيجيء بكوبين من شراب المنجة مثلجين يشرب هو واحدة ، ويشرب الثانيه بطل القصة الشيخ احمد ..

واذا كان الفن تجربة من الحياة قد مارسها متفنن ، ويريد ليبرزها في صورة فنية ، تلفت الى هذه الظاهرة الاجتماعية ، او النفسية ، او العقلية او .. او الخ ، فهل راى صاحب قصة الشيخ احمد ماذكر في قصته القصيرة ؟ احسب ان لا .. وكثيرا ما سمعت وسمعت من مثل هؤلاء الحاكين ما يحكون من هذه الكرامات .. وبين قوسين هذه كرامات اوليا ، لامعجزات لان المعجزات خاصة بالانبياء .. سمعت ما سمعت من هذه الكرامات يؤكدها رواتها تاكيدا حادا ، فاذا صبرت على مناقشتهم قليلا ، وطوعتهم لذلك اجابوا اجابات تستل منها اخيرا ما يثبت انهم لذلك سمعوا ، ولم يروا ، وان هذا السمع يشوبه كثير من مفارقات .. لا تلبث ان تنتهي تدريجا الى ان الخبر عندهم هم انفسهم ليس قويا ، ولا ثابتا ، وانهم تقوه ضعيفا ، وانهم يؤدونه اليوم اداء متحمسا ، لاعتبارات جدت فيما بعد فتدرج على الوقت ، حتى صار له هذا الطابع الخاص ، الذى تجده عند ادائهم له .. وتخدم هذا ظاهرة نفسية ، معروفة ، يخال معها الخائل ويسرف في الخيال ، الى حد الكذب بل الكذب المكشوف ، وهو يحسب ان ما يقوله حق وانه مطمئن اليه .. وهذا وسواه مع عوامل كثيرة هو الذى يروج مثل هذا الذى فعله الشيخ احمد

«والادب» كفيلة بان تهيىء الفرصة لاختبار واحد من اصحاب هذه الروايات ، عن الكرامة الضخمة ، لولى من اولياء الله ، اذا ما تقدم اليها ليضع خبره تحت الاختبار ، فتبادله الحديث ردحا من الزمن تثق هي انه — بعد قليل — سيكشف عن حقيقة الامر ، ويتبين انه لم ير ، ولكنه سمع وانه لايذكر جيدا ، متى سمع ، واين سمع ، ولايثبت شيئا من الشخصيات

فان كان صاحب قصة « الشيخ احمد » قد راى ذلك « فالادب » على استعداد لان تختبره هو نفسه ، لترى ويرى غيرها حقيقة ما استخدم الفن لتاكيده وتلقينه ؟ ! والا تكن هذه ، وكانت قصة الشيخ احمد خيالا ، لا تجربة له ففيم تخيل المستحيل ؟ ونم يوضع في الاطار الفني هذا الوضع المغرى ؟ اهو اللا معقول وبدعته ؟ ننتظر الرد من صاحب القصة ، لنفهم الاتجاه الذى اتجه اليه ونحدد القول فيه .

* ووصلت « صورة » لصاحب قصة الشيخ احمد ، وقد فاز السيد من هذا العدد بنصيب الاسد — كما يقولون — بسبب تجمع رسائله ، فتتابعت على هذا الوجه الذى تهيأ به ماكان من نشر وتقييم .. وصورة هذه ربما تكون قد نشرت في مكان آخر .. وربما تكون قد ظفرت بكلمة او كلمات ، من بعض الاقلام جعلتها شيئا اكثر مما يراه ويقدره محرر هذا الباب

انها من البساطة بحيث تلخص في اسطر او كلمات : .. عم محمود كان الضابط قبل الثورة يضربه ويرسل عليه المخبرين ، لانه داس على حذائه وعم محمود يقف بعد الثورة ليناقش رئيس الجمهورية .. فماذا يعنى صاحب الصورة من كتابة هذه الصورة ؟ او بعبارة اخرى : في اى مكان

بين فنون القول يضع هذه الصورة ؟ ان كانت صورة قلمية ، ليست من صنف القصة وفنها ، فانها صورة ما حلة ، عبارتها اخلاط من عامية وفصحى ، ليست فصحاها سليمة ، ولا عاميتها فنية .. فليست شيئا يذكر فى الصنعة الكتابية

وان كانت من وادى القصة القصيرة كما يدل اسلوبها الحوارى ، وتوزيعها الادائى والقولى ، فانى اقول للسيد الجامعى : انها قصة يسيرة الشأن ، او اهون من ان تعد عملا فنيا .. مع انها قد تكون من نوع الدعاية ، التى يظن رواجها ونجاحها ، على رغم انها فى التقدير الواعى قد تكون بقربها وعربها دعاية غير موفقة .. وذلك لما فى الحوار من خذلان للفكرة فيها .. لان الضابط ـ على ما فى الصورة ـ ليس صاحب مصلحة خاصة ، فى ضرب عم محمود ، فى القطار وامام الناس ، بهذه الصورة ، وان كان قد يمارس ذلك فى القسم او فى النقطة ، استمتاعا بالسلطة ، وهذا الى ما فى عبارة الضابط من ايهام ان هذا الصنف ، من عم محمود واشباهه يستحقون هذه المعاملة ، لانهم اولاد كلب .. وكذا وكذا .. فان هذه العبارة تفتح بابا لاحتمال ان الضابط بحكم مركزه اعرف بهذا الصنف ، وانه قد يكون نشالا ، او اى صنف من صنوف الاجرام ، ولهذا يبادره بهذه المعاملة ، ولاسيما ان الذين فى الصورة مخبرون كما يقول صاحبها ، ولا نقف كثيرا لنلاحظ أن الضابط يركب القطار ، ومعه شلة مخبرين محيطين به ، فى غير عمل رسمى ، تنتقل من أجله هذه الهيئة كلها ، فلندع الضابط وحوله المخبرون كانه فى المكتب ، وسنشعر من عبارته بما قلته انفا ، من ان هذا الصنف من الناس يستحق هذه المعاملة .. وهو كلام له نصيبه من الصحة فوقوف من قيل فيه هذا الكلام ليناقش رئيس الجمهورية لا يتفق مع عمل الجمهورية نفسها فى جمع تجار المخدرات ، ومهربيها ، ونفيهم الى الطور او الى الواحات لشهرتهم بهذه التهمة .. وهو اجراء فزعت اليه الحكومة فى غير مناسبة ، ويعتبر اجراء مسعفا فى حماية الامن

وهكذا ترى ان الصورة ليست سليمة الخطوط ولا واضحة الايحاء ، وانها لاتلفت اللفت الواضح الى تقابلين فى الحياة ، يزيد احدهما صاحبه جلاء وتأثيرا .. وان هذه الصورة من سذاجة الخطوط بحيث لا تثير شعورا قويا ، يطلب مثله من العمل الفنى

ونكتفى بهذا من صفحات «الادب» وبريدها مع شخص واحد ، ونرجو ان يكون فى هذا ما يكفيه من التقييم ـ وان لم يكن فيه ـ كما نظن ـ ما يرضيه ويوافق عليه ، من احكام هذا التقييم وحيثياتها ، وان كانت فى تقدير محرر هذا الباب سليمة الاساس ، نزيهة التناول .. وليست مهمتنا فى هذا التقويم ان نتحرى الرضا ، او نتجنب المخالفة ، ولكنما المهمة ان ندل كل صاحب رسالة ، على وجه من الراى ، لا نفرضه ، ولا نلزم به ، ولكن نقيمه على اساس من البيان الكافى ، وسواء بعد ذلك الغضب والرضا ..

صندوق توفير البريد

القرش يدخل الصندوق ... يخرج جنيهات

جنيهات كثيرة من قروش قليلة

وربح ٣٪

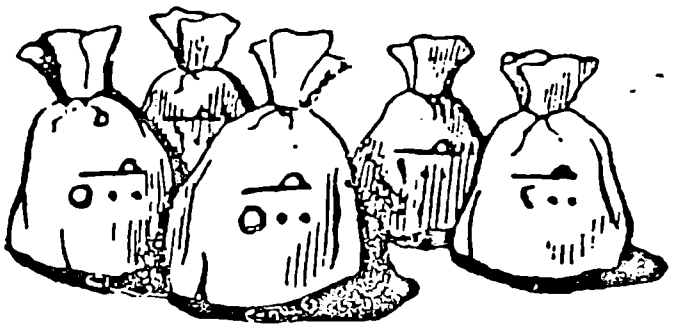

ثروة

بعد طول العمر

= السعادة

صندوق توفير البريد

هو بوليصة تأمين للشعب

ضد الأيام

الأدب

فنية . شهرية

يصدرها الأمناء

الإدارة: مصر الجديدة . ألمجر ١٣
ت ٦١٧٥٠

الرسائل الفنية والمالية ترسل باسم

أمين الخولي

رئيس التحرير

الرسائل الادارية ترسل باسم

محمد جابر عبد العال

مدير الادارة

الاشتراك :

الجمهورية العربية ٦٠ قرشا
الخارج ٩٠ »
ثمن العدد ٦ قروش

البريد الجوى والمسجل بحسابه
تصدر فى اليوم السابع من كل شهر

العدد الثانى — مايو ١٩٦٣ — السنة الثامنة
السنة ١٠ اعداد — كتاب قيم هدية بدلا من الاجازة الصيفية (اغسطس وسبتمبر)

دار الهنا للطباعة ت : ٧١٢٢٧

هذا العدد

اطنان الثناء عن الامناء	٦٧
الحب فى القرآن للاستاذ : امين الخولى	٧٢
رسالة مع الشمس للاستاذ : احمد يونس	٧٨
نداء زكى عمر	٨٠
صديق الأمس محمد رجب البيومى	٨١
فواتح ماهر شفيق فريد	٨٢
اذكرى على حسن العزب	٨٤
هدية الربيع هاوى ادب	٨٥
الهدايا على قدر مهديها « مجلة الادب »	٨٧
لقاء على موعد للاستاذ : عبد المنعم شميس	٩١
فجر محمد هريدى	٩٤
صورة احمد بديع	٩٩
الشعب المصرى توفيق حنا	١٠١
ازمة الجنس فى القصة العربية تاليف : غالى شكرى — نقد : ماهر شفيق	١٠٣
بيت الطاعة تاليف : نجيبة العسال — نقد : علاء الدين وحيد	١٠٩
الطربوش غبريال وهيد	١١٧
بريد الادب	١٢٠

الفن والحياة

أطياف الشاطئ

بارك الله فى من بكانى .. وبكى على

ولعنت الله على من ضحكنى وضحك الناس على

من خطة « الادب » التى اعلنتها غير مرة ، أن تدع نسبة مئوية ، من صفحاتها ، للمقارب من اقلام الشداة تشجيعا وحثا ..

وكانت من هذه النسبة ، فى العدد الماضى ، قصة « قبلة الوداع » التى اجتمع لصاحبها فى محفوظات التحرير عدد وفير من القصص ، قوم بلب البريد ، غير قليل منها ، ونشر اخيرا — فى تسمح — وبعد تصحيح هذه القبلة ، التى لم تكن قبلة وداع !!

وعرفت « الادب » بعد هـــذا النشر ان كثرة من القصص التى فى محفوظاتها قد طبعت فى مجموعة بعنوان الحمد لله — وهى قصة نقدت فى البريد نقدا كافيا .

على ان هذه المجموعة لم ترسل الى « الادب » منها نسخة ، مع انها قد اكدت مرارا على من يرسل اليها شيئا ثم ينشر فى غيرها قبل نشره فيها ، ان يوافى « الادب » بخبر ذلك فى حينه لان المتابعـــة ، مهما تكن دقيقة ، لاتسعف فى مثل هذه الكثرة الدافقة ، من نشر التشجيع . . والنشر التجارى .. الخ .

ولم يقف الامر عند عدم ارسال نسخة من المجموعـــة ، بل سألت « الادب » صاحب القصة المذكورة ، عما نشر من قصصه التى عندها فلم يجب عن السؤال فى حينه اجابة نيرة — وكان ما تكره « الادب » من نشر ما سبق نشره ، مع انه لم ينشر الا تشجيعا لا غير .

وبينما تنكر « الادب » هذا التصرف كله ، وتلوم نفسها اول ما تلوم جاءها من صاحب القصة خطاب ، يقول فيه :

« .. اننى لولا اعتزازى بآرائكم هذه ما اخترت الادب لارسل لها بانتاجى ، ولقصرته على غيرها ، من الصحف والمجلات ، التى يكيل لى أصحابها اطنان الثناء ، سواء اكان ماقدمته لهم جيدا أم رديئا » !!

اطنان الثناء .. مرة واحده .. انه لتعبير صارخ عن الفوضى التى تعددت الوان الشكوى منها .. فى النقد والنقاد .

لقد اثقلت اطنان الثناء كاهل الفتى .. واستكثرها هو نفسه ، فقال فى رسالته نفسها :

والحقيقة انى لا استأهل كل هذا الاهتمام ، فشخصى ضعيف ، وانتاجى الادبى اضعف »

واذا كان هذا من انتواضع الصادق او الماكر ، فقد قال هو نفسه فى رسالة حررت بعد هذه الرسالة السابقة بيومين :

« صدقنى اننى غبى جدا ، واحيانا تخوننى الذاكرة فلا ادرى بماذا تعشيت امس » .. والعفو يا سيد .. ان لك خاصة فى كتابتك تقابل هذا التوضع المزعوم فانت لا تعبر عن نفسك ـ فى اكثر الاحوال ـ الا بضمير الجمع ، فتقول : ضمنها قصة لنا ـ وعقب قولك عن الشخص الضعيف والانتاج الاضعف عقبت توا بقولك : تقبلنا مجاملاتكم ! !

وليس الصحيح فى معرفتك ما تقول فقط ، بل ان فى كتابتك المقياس الكافى وهى ـ فيما راى من قيموا آثارك ـ تعوزها سلامة العبارة وصحيحة المعلومات وحسبك من المثل على حاجتها الى السلامة مثل قولك « لا لبث فيها ولا غموض ـ بالثاء .. وحسبك فى الحاجة الى صحة المعلومات ما قلت عن ابراهيم بن الاوج ـ تريد ابن ادهم ! !

ومنهجك الفكرى اشد حاجة الى التقويم والاصلاح ، فانك تقول : وظاهرة كرامة الاولياء التى تناولتها قصة الشيخ احمد ، من ظواهر الحياة التى يشاهدها **الانسان ، ويراها** ، ويسمعها ، ويتناقلها فى كل زمان ومكان » .

ولا يكفيك ما تزعم من رؤية الكرامات ومشاهدتها ، فعقبت بأن هذه الكرامات استقرت فى بطون الكتب التى وثقنا بها ، وما كان للشك ان يرقى اليها ، او يجد اليها من سبيل .. فما هذه الكتب التى ما كان للشك ان يرقى اليها ، او يجد اليها من سبيل !! ايها الجامعى .

بنى .. انك بتصرفك العمدى ، ونتاجك القلمى . تشخص حالا يجب الكلام فيها ، وتقدم شواهد من فوضى الحياة الادبية ، يجب الكلام فيها ، ويحتم ذلك ما كررته « الادب » فى هذه الاشهر من ان : **النقد فريضة .. والشباب وديعة ..**

فان جاءتك اطنان الثناء من حيث لاتحتسب فتقبل الى جانبها بعض لفتات النقد الجاد ، يزجيها اليك والى الشباب من يرجو لكم ان تكونوا اكثر وعيا لحكمة آبائكم المجربين التى توجت هذا المقال ؛ فتباركوا من يبكيكم ويبكى عليكم .. وتلعنوا من يضحككم فيضحك الناس عليكم ..

* * *

يا بنى .. انها الحال تقف عندها المرتقب للشئون الادبية عندنا ، فيطيل الوقوف .. ليرى ان الحياة الادبية ، مرآة الحياة فى ميادينها المختلفة

قد صار امرها الى فوضى لاتحتمل ، مهما يتسع الصدر لذلك ، ويشع بالتسامح .. ومهما يلتمس لذلك المراقبون الاجتماعيون من اسباب وعوامل ، تارة من الداخل واخرى من الخارج .. وفى هذا الكلام القريب عن اطنان الثناء شاهد .. اى شاهد .. على اختلال المفاهيم واهتزاز القيم ، واضطراب الموازين .. وليكن ذلك مظهر النشاط ، او صدى لانطلاق ، او .. او ، من عبارات مخفقة ، او اسباب ملفقة ، فان فوضى النماء مرض فاتك ، على كل حال .. والطبيعة تعرف ذلك تماما ، وتؤكده تأكيدا ، وتفسر به مرضا كالسرطان ..

ومن اجل ذلك اجاهر الشباب والشيب جميعا ، بتلك الكلمات .. واحق الناس باصغاء اليها ، اولئك الذين يسودون البياض ، ويريقون المداد على الورق ، فى غير اناة ، ولاتحفظ ، فيهدون تلك الاطنان من الثناء ، على نتاج يحمل من مفاهيم الفنون الادبية اسماء زيوفا .. ويضع للقيم الادبية موازين شائلة ، وينتهى ذلك كله بهم ، وبمن يؤذيهم حديثهم ، الى تصرفات غريبة شاذة ، لا يقبل عليها ، بل لا يتصورها ، من انتسب الى ثقافة ، او معرفة ما ، فهل لهؤلاء ومن حولهم ان يستمعوا وينصتوا ، لما يجب ان يقال لهم وعنهم ؟

* * *

لقد شاهدت معالم الفنون الادبية ، وتاهت قسماتها المميزة ، واختلطت ملامحها المعبرة ، وبخاصة فى ذلك الفن المظلوم بل المقتول ، وهو فن القصة ، على اختلافها ، من قصيرة وطويلة .

وفى النفس من حاله اشياء واشياء ، لو استرسل القلم فى شكواها لظنه القوم يأس الشيوخ ، وظلم الشباب ، وتزمت المتشددين ، فلاترك الكلمة لشاب ناقد منهم عرض فى مقال له بين مواد هذا العدد للقصص ، الذى دفع الى هذا المقال كله ، فكان مما قال صادقا :

« .. لان المفهوم الخاطىء ، الذى يسرى بين الناشئين ، من ان القصة عمل سهل المورد ، قريب المأخذ ، آتى أكله ، واشتركت الواقعية — بلا ذنب جنته المسكينة — فى تأكيد هذا المفهوم ، فكان العبث الذى نراه ، والثغرة التى تسال منها .. »

وفى فمى ماء ، فما استطيع ان اشير الى شىء عن هذا التشجيع المسرف ، بل الاغراء الاهوج ، الى التساهل المتخفف ، والتيسير المتمادى .. لا اشير الى شىء من هذا وما يشبهه لئلا تظن بى الظنون ، فليمض الناقد الشاب فى بيانه ليقول :

« .. وسبب آخر من اسباب هبوط القصة فى هذه الايام ، بوجه عام ، وتقع مسئوليته على صحافتنا ، وهو نشرها ، تحت اسم القصة أى كلام ، لا تجد له اسما ، او يتضمن حوارا ، او منولوجا داخليا ، او عنصرا آخر يدخل فى تركيب القصة »

ولو خليت المجال لمحرر باب البريد لحدثكم عن هذه الكثرة ، فى النتاج القصصى ، كثرة تعجز عن ملاحقتها طاقات المقومين ، وقد كلت منها عيونهم ، واعوزتهم الصفحات ، ولو شاءت « الادب » ان تتحول الى مجلة

قصة ، من هذه الاصناف لوجدت عندها من مادة ذلك ما يكفى ، ويزيد كثيرا ..

ويتبع هذا الفهم الخاطىء للقصة ، مالا بد ان تتبعه ، من حرمان المجتمع اثرها ، فى ناشئته وشبابه ، على ما يجب أن تشترك به فى تنشئة هؤلاء ، وتبصير اولئك .. ولا اشير الى مالا بد أن يكون من طرد العملة الزائفة للعملة الجيدة ، وحرمانها بذلك من التداول والرواج ، ودفعها القادرين الكفاة عن المشاركة فى هذه التى هزلت .. وسامها كل مفلسف .

وعد من ذلك بالزائد والناقص كثيرا لا يحصى من سيىء الآثار ..

* * *

وعن هذا الفهم الخاطىء يكون النقد الخاطىء ، بل السفيه ، يكيل اطنان الثناء ، التى تنتهى من افساد الانقس ، وانحراف الاجيال ، الى الخطير المتلف ، بما تشيع من غرور ، وتنفث من توهم .. ثم بما تقطع من الطريق ، على النقد المتزن النزيه ، وما تضفى على اصحابه حين يكونون ، من ثقل الظل ، ووخامة الريح ، وفساد ما بينهم وبين اولئك المكثرين ، من الحنفيات السايبة ، فما يحتملون لهم كلاما .

ولو قدرت ان وراء ذلك ما وراءه من تلف مادى ، يحمل الافراد والجماعة ، من الخسائر كثيرا .. وكثيرا .. فالطمع يحدو الى الكسب ، والجهود تبذل لذلك ، والاموال العامة تضيع ، اما من خزائن الافراد او الهيئات ، والطابع تدور وتدور ، وتقذف وتقذف .. وجل ذلك لامكان لقدمه على الرصيف ..

وكل ذلك وامثاله معه جنابة **الكلمة الرخيصة الشاردة** ، يرسلها قائل لا يقدر حرمتها ، ولا يحترم عندها لسانه ، ومن تلك القذفات الهينة تجتمع **اطنان الثناء** ، وتبذر تلك المفاسد ..

وشر من ذلك ما يدفع اليه هذا النقد المبتذل من افساد اخلاق الشداة ، ودفعهم الى طلبه ، من اى طريق ، ما دام الوصول اليه هكذا سهلا ، وما دام اصحابه وهم المحكمون يسرفون ذلك الاسراف ، فيكون الشباب امامهم ، بين احدى اثنتين : غرور واهم ، يفسد الحكم والراى ، بل يهز العقل ، ويهدم المنهج ، فيحسبون انفسهم على شيء ، وما هم بشيء ! !

او سخرية بالقيم ، واستهانة بالاقدار ، فى المعانى والاشياء ، بله الاشخاص ، فينطلق أولئك الشبان الساخرون بما رأوا من انحلال النقد . الى مواجهة الحياة ، وقد اناموا الضمائر ، وايقظوا الشهوات ، وسخروا بالفضائل ، فداسوا القيم ، وانكروا المثل ..

وكلا الامرين اشر من الآخر وقعا ، والعن اثرا .. والوطن لذلك ضائع متاخر ..

ومع صاحب اطنان الثناء مثل من سيء ذلك ، اذ يبعث الى « الادب » بخطه هو ، ما ذكر انه نقدان لمجموعة قصصه ، اجتمع عليهما فلان وفلان ، فسودا بهما بعض صفحات ، فيما زعم ، وما تدرى : لماذا ارسلا اليه

تقديهما ليرسلهما بخطه هو ، ويعتذر اعتذار مدهشا بان احدهما كتب نقده بالقلم الاحمر ، لم يكن امامه سواه ، ثم اشفق ان يرسله الى النشر ، فارسله الى المنقود نفسه وبيضه هذا ، ووافى به ، وهو يتصور ان ينتشر عنه نقد ، هو الذى تلقاه ، وهو الذى يعزوه .. ولله فى خلقه شئون ! !

واعجب من هذا كله ما اصاب اسلوب النقد « المكبوب » من خواء العبارات ، والتواء الاحكام ، والتعابير ، وحمى الآراء الفجة ، فتسمع من قولهم الناقد مثل :

القصة بدايتها رائعة ..

والزمن المضارع الذى كشف السطور الاولى فيها نموذج آخر للجملة القصصية .. !!

وفلان .. وعلان يمتاز بجهد ضخم فى بناء قصصه .. !!

وقد جعل من قصته بناء هندسيا متطورا ، فقد وضع كل شىء فيها بمقدار وانتباه الى ما يؤدى اليه !!!

ولا شىء يمكن ان يؤخذ على اسلوب الكاتب غير تميزه على الاقتصاد بصورة جدلية عقلية !! .

وهذا الذى لا معنى له محدود قد قيل كله ، فى السيد الذى يكتب لغة « فصعمية » لا هى بالفصحى ، ولا بالعامية .. ويحدث عن الكرامات ذلك الحديث **المجنوب** ، الذى سبقت الاشارة اليه واذا اراد الاعتذار عن خطأ اتبع الخطاب بخطاب يقول فيه : « صدقنى اننى غبى جدا .. الخ ، مع انه فى قول النقد (المفش) ضرب تشيكوف على عينه .. وكسف علان ، وترتان ، من خواجات الزمان .. !!

ايها الشبان ..

ما احرج موقف « الادب » معكم فيما تحاول من تشجيع فى توجيه ، ما دامت الفوضى ضاربة اطنابها باطنان الثناء ، التى تكال وتوزن للردىء والجيد على السواء ، او للردىء فقط ..

وان هذه الفوضى الفاشية لجديرة بان تزيد تبعة « الادب » وتؤكد واجبها ، وتقوى شعورها بمسئوليتها ، فكلما شعرت بفداحة الفوضى شعرت واجب المقاومة فاندفعت تبكيكم ، لتبكى عليكم . . ولن ترضى ابدا ان تضحكم .. وتضحك الناس عليكم ..

واخوكم هذا الذى ذهب بهذا المقال احد اولئك الذين حق عليهم القول ، وصدق فيهم الوعد ، فليعذر « الادب » فيما فعلت بهذا القصد الحسن ، والنية الخيرة ، والهدف الكريم .

عبد الأمناى

الحب في القرآن (١)

هو الغفور الودود ..

بينا نحمل الاثير احاديث السلام فى الاسلام ، اذا الدنيا تنتفض ذعرا من هول الحرب ، والحوادث المفزعة تقرع القلوب قبل الاسماع ، والاهواء الجامحة تعصف بسلام الامم والاطماع الهائجة تصطدم فتزلزل الدولات ، وقد ضربت وحوش الانس بعدما اتخذت لها من قوة العلم والعقل انيابا اين منها انياب الاغوال ، واصطنعت مخالب ليس فى شىء منها مخالب الضباع والسباع .

وانت اذ ترى ذلك ، لا يسعك الا ان تقدر فى دهشة واعجاب ، كيف ارتفعت منذ بضعة عشر قرنا من جوف الصحراء ، دعوة الاسلام الى سلام ، وكيف قامت فى ذلك العهد ، توجه دعوة السلام الى البشرية ، قبائل بادية جاهلة متقاتلة .

ثم انت اذ ترى ذلك الآن ، لا يسعك الا ان تعجب بان هذه الدعوة القرآنية الى السلام ، كانت قائمة على فهم صحيح لفطرة الانسان ، وادراك جلى لطبيعة الحياة ، وتقدير دقيق لتكالب الاقوياء فراضت الحياة بين القوة والسلم ، رياضة صالحة خالدة ، فها نحن اولاء لا نزال بعد العصور الطوال من جهاد الفلسفة ونضال العلم وتلطيف الاديان ، نرى الحياة تعتريها نوبات تردها الى احط من الحياة القبيلية واجدب من المعيشة الصحراوية ، وأروع كثيرا جدا من حرب السيف والنشاب ..

لكنا رغم ذلك كله ،لن نيأس من روح الله ، ولن نسلم بأن أبناء آدم فى مدائنهم أو قراهم كأبناء الوحوش فى الاحراش والاجحار .. كلا ! لن نصدق أن هؤلاء الذين كرمهم الله ، ورزقهم من الطيبات ، وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا ، سيرتكسون فى مهاوى الوحشية ، ويتردون الى الدرك الاسفل من الهمجية وبهذا الامل الخير ، تحدثت واتحدث عن السلام ، ورددت الخلقية الاسلامية فى جملتها وتفصيلها الى السلام .

* * *

---

١ ــ اذيع هذا الحديث فى ٢٨ نوفمبر ١٩٣٩ ، ابان الحرب العالمية الثانية ، وهو نفحة من نفحات دعوة الاسلام للسلام ، تظل تهفو اليها الانسانية حتى تبلغ فى ذلك املا يسعدها.

بهذا الحديث السلمى ، نخفف من الوقدة الجامحة التى يلفح لهبها العالم ، فتحتمل النفوس الكريمة هذه المحن فى صبر وثبات ، وبامل يتطلع الى مستقبل اكرم وغد أنبل ، والا فالويل لنا اذا كانت الحياة ليست الا الضراوة والفتك .

لهذا تحدثت عن السلام فى القرآن ، وعن الرحمة فى القرآن ، واريد لاتحدث بعد هذين عن الحب فى القرآن ، ونحن الشرقيين ، قد اخذنا اليوم بذنب الحياة ، فلم نعد بسلام كريم ، ولم نتسق وحشية لا تزال متحكمة ، رغم دعاوى المدنية والتحضر .. لم نتسلح سلاح الشجعان انكرماء ، حين اخذنا اكثر من حفل امثالنا فى رفاهية المترفين واناقة المتحضرين ، فصرنا من ذلك الى ضعف فى الحس ، وفتور فى العواطف ، لا تسلم معه حياة ولا تستقر . من اجل ذلك **يكون التحدث الينا عن الحب ليس الا محاولة فى سبيل القوة ، ولفتا** الى اطراح ما نعانى من الخور ، لخطئنا فى فهم العواطف الكريمة ، بعد اهمالنا الاستعداد الشجاع ، والاهبة التى توجبها الرجولة ..

اريد اذن لاتحدث عن الحب فى القرآن ، هذا الحب الذى قالت الفلسفة يوما انه سر هذا الكون ، فما فيه من تآلف واتحاد ووجود وتولد ، فانما هو بتغلب الحب ، وما فيه من تحلل وفساد ودمار وموت ، فانما هو بضعف الحب وغلبة الكره (١) . وهكذا تدور شئون الكون بين وجود وحياة حين يغلب الحب ، وفساد وهلاك حين يغلب البغض .

وهذا الحب .. هو الذى دعت اليه الاديان . وجعلت خير الاعمال ما أريد به وجه الله ، وخير العاملين من يقول : « انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا » وفى هذا الحب مضى الصوفية المسلمون يقولون : « انه حياة القلوب ونعيم الارواح ، وبهجة النفوس ، وقرة العين واعلى نعيم فى الدنيا والآخرة .. هو روح الايمان والاعمال ، وهو حقيقة الاخلاص ، بل هو نفس الاسلام ، فانما الاسلام استسلام بالذل والحب والطاعة لله ، فمن لامحبة له لا اسلام له البتة ، بل المحبة هى حقيقة شهادة ان لا اله الا الله » (٢)

وهذا الحب هو قوام الفنون جميعا ، مابين صامتة وناطقة ، **لان الحب هو عبادة الجمال** ، وعن الاحساس بالجمال تترجم الفنون .

لكن ، باسمك ايها الحب ترتكب منكرات وفظائع ، فكم من فن يتخنث ويسفل باسم الحب

وكم من قلب نقى طاهر يتحطم باسم الحب !
وكم من سعادة نقية تستلب باسم الحب ؟
وكم من ثروة تنتهب باسم الحب ؟

---

١ ــ راى انباذ قليس .

٢ ــ من مدارج السالكين ، ج (٣) فى مواضع متفرقة بين ص ١٠ ــ ٢٨ ــ بتصرف يسير جدا .

وكم من خدعة فاجرة تجوز على كرام باسم الحب ، لان النفوس سريعة الثقة بهذه الدعوى ، كثيرة الحنين الى هذا المعنى .

* * *

استعمل القرآن مادة الحب وتحدث عن الحب ، وفى هذا الحديث ، والاستعمال القرآنى ، مايصحح أخطاء ويقى من أخطار ، ومن ذلك أن اللغة حين رتبت الحب ودرجاته ، جعلت الهوى اول درجات الحب (١) حيث يبدأ بشعور مبهم يشتبه امره ، وهذا الهوى هو الذى اكثر القرآن من تعييبه والنهى عن اتباعه « ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله .. فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا »

ومن اسلافنا الاكرمين من تتبع حركات النفوس ، ولاحظ بالتجربة ميولها ، فقال عن خبرة :

« ان ما يقع اول وهلة ببعض عوارض الاستحسان واستطراف البصر الذى لا يجاوز الالوان ، فهذا سر الشهوة ومعناها على الحقيقة . » (٢) كما قال هذا المجرب : « انى لاطيل العجب من كل من يدعى انه يحب من نظرة واحدة ، ولا أكاد اصدقه ، ولا اجعل حبه الا ضربا من الشهوة . » (٢)

وكثيرا ما يختلط معنى **الاستحسان الروحى بغيره من اغراض وقتية** تافهة ، **وهذا ما يلمحه** القرآن حين يستعمل الحب فى المأكول والمشروب والمال المقتنى ، وفيما يقدمه من شأن النفوس فى الميل الى ذلك فيقول : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ـ الآية » ويقول : « ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » ومن هنا يتهم الاندفاع وراء الحب فيقول : « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم . » وكذلك يتقى هذا الاختلاط والاشتباه . ويوقيكم اياه .

* * *

استعمل القرآن مادة الحب بضعا وسبعين مرة فى صيغ مختلفة ويلاحظ فى استعمال القرآن للحب انه لا يميل الى جعل الحب صلة طيبة الاثر بين آدميين ، حتى انه فى المرة التى ذكر فيها حب الانصار للمهاجرين ، لم يلبث أن عقب عليه بطهارة قلوبهم ، وايثارهم غيرهم على انفسهم ولوكانوا محتاجين ، اذ يقول « يحبون من هاجر اليهم ، ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة »

---

٢ ـ فقه اللغة للثعالبى .

١ ـ ابن حزم ، طوق الحمامة ـ ص ٢٤ طبعة ليدن ـ بتصرف يسير .

٢ ـ ابن حزم ـ طوق الحمامة ـ ص ٢٢ طبعة ليدن .

ولعل عدم ميل القرآن الى هذا الحب انما سببه ما يصيبه من اشتباه واختلاط بالشهوات والرغبات .. على انا حين نلحظ هذا فى استعمال القرآن ، نلحظ فى الوقت عينه ، انه فى اغلب ما استعمل الحب فيه ، انما استعمله فى علاقة العبد بربه ، فيما بين المؤمنين وآلههم ، حيث لا يشتبه ذلك ولا يختلط بغيره ، فهو يقول : « قل ان كنتم تحبون الله ، فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم — يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه .. ومن الناس من يتخذون من دون الله اندادا ، يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا اشد حبا لله — » والقرآن يرى الايمان الحق الا يكون شىء أحب الى المؤمن من الله ورسوله وجهاد فى سبيله .. التوبة : ٢٥

والقرآن حين يذكر خير الاشياء وخير الاشخاص يؤثر ان يذكى ذلك بلفظ الحب من الله فيقول : « ان الله يحب المحسنين — يحب التوابين ويحب المتطهرين — يحب المتقين — يحب الصابرين — يحب المتوكلين — يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص . »

وحينما يذكر شر الاحوال والاشخاص ، يحرمهم من حب الله : « ان الله لا يحب المعتدين — لا يحب المفسدين — لا يحب المسرفين — لا يحب المستكبرين — لايحب الخائنين — لايحب الظالمين — لايحب كل مختال فخور — لايحب الفرحين — لايحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم .. »

وهكذا يكثر من ذكر الحب بين العبد وربه ، حيث يكون الايمان صلة روحية نورانية . سامية ، لاشية فيها ، ولا شبهة ولا مظنة ، مما يختلط به الحب بين الناس بعضهم لبعض ، فيخدعون ويخدعون ، فمن ابتغى الحب على هذا المثال ، وفى ذلك الطهر ، وادركه جليا من نفسه ، فذاك والا فهو المشتبه الكاذب

* * *

لقد راينا القرآن يتخذ لله تعالى اسما من الود — وهو الودود — ويقرنه بالرحمة والمغفرة دائما ، ولكنه لايتخذ لله اسما من الحب . وتلك المودة هى الكلمة التى لم يختلط الاستعمال فيها ، فلم تطلق على المادى والمشتهى من حطام الدنيا فى القرآن . ويقول الصوفية حين يرتبون درجات المحبة :

---

١ — مدارج السالكين ج٣ ص ١٨

ان الود هو صفو المحبة وخالصها ولبها » (١) وتلك هى المادة التى آثر القرآن ان يعبر بها عن العلاقة بين الناس بعضهم مع بعض فى هذه الدنيا ، حين تتفق طباعهما ، فهو يقول : «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا . » ويقول : « ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ، ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون» ويقول : « عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة ، والله قدير . والله غفور رحيم » ويعلم الرسول عليه السلام ان يقول : « قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى ، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ــ » « يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة . » وقد رأينا كيف جعل صلة **مابين الزوجين فى الاسرة السعيدة مودة ورحمة** ، فلا يشتبه شيء من ذلك بأوهام الحب التى تفسد باختلاطها روعة الفن ، وتضيع عمق الفلسفة ، وتنحط عن السمو الدينى والتجلى الصوفى الذى يرى الحب اعلى نعيم فى الدنيا والآخرة .

* * *

فهل لك ان تقدر نظرات القرآن فى هذا الحب لتخلص من اخطائه ، واخطاره ، وتتقى افساده لسلام النفس وسلام الاسرة ؟!

وهل لك ان تقدر ان أول هذا الحب ومبداه ، يكون هوى مضطربا لا يطاع ، وميلا مبهما لا يفتتن به ، فلا تشتبه فيه ، ولا تضعف امامه ، ولا تسرع الى الاندفاع فيه الا بعد تريث واناة ؟

وهل لك ان تقدر ان الحب يشتبه بالرغبة المشتهية ، فلا تسرع الى الثقة به ولا تسبغ عليه **روعة الفن ، ولاعمق الدين ، ولا مضاء العاطفة** ، الا حين يكون امتزاجا نفسيا واتحادا روحيا فحسب ، ولاتؤمن به الاحين يكون ذلك الحب ، الطاهر القلب ، المؤثر على نفسه ، الذى جعله الله صلة مابينه وبين الخيرين من عباده

الى كل هذا من امر الحب ينظر القرآن ، فلتنتبه النفوس الصالحة حتى لا يدخل عليها مزيف حب محتال .

فقد جعل مابين الله والمؤمنين **حبا** ، فجسم هذه الصلة حيث لاريبة فيها ولاظنة ولا التباس . ثم جعل مابين الناس مودة بعدت عن المتاع ما امكن ، **واتصلت بتمنى النفوس وحنين القلوب ، فان دعت الاديان لمحبة** فقد دعا هذا القرآن المحبة والمودة ، بعد ماجعل عنوانه الحرية . وشعاره انـــــلام !

أمين الخولى

صندوق توفير الريف

● المؤسسة المصرية العامة للادخار ●

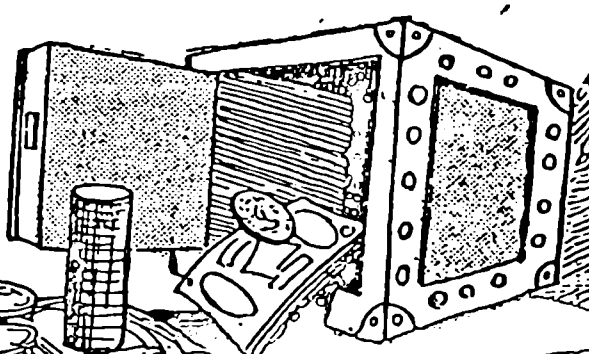

جنيهات

ربح ٣٪

= السعادة

شروة بعد طول الصبر

إنه بوليصة التأمين للشعب ضد الأيام والزمن

من اليسير ان اقدم الى عالم الادب واحدا من ابنائنا الذين تخرجوا علينا ، ولكن من الصعب أن يقدم اب ـ شاءت الحياة له ان يكون احد فضاة الادب ـ ابنه على التحقيق ، ومن العجيب أن هذا الابن كان يخفى عنى بواكير تجربته الشعرية ، وقد فوجئت بعد ، ولما تمض على رحلته الى مدريد غير شهور ، بهذه المقطوعة يبعث بها الى تهنئة بالعيد . ولايزال الشاعر الفتى فى السابعة عشرة من عمره ، وهو الذى جعل عنوانها خلاصة مافيها «رسالة مع الشمس» . وهأنذا اتنحى عن الحكم عليها ، كما يتنحى القاضى العدل عن الحكم على بنيه ، وهو يقبل من غير شك حكم قراء « الادب » الذين يعرفون أمانة الكلمة المعبرة ، ويدركون قوتها فى الابداع والبناء وتقويم الحياة .

عبد الحميد يونس

الشمس تميل لمخدعها ... وقلوب الناس تودعها
وعيون ترقب مجراها ... بالصمت لكيلا تفزعها
والارض تلوح للشمس ... ويضيع الصمت مع الهمس
والجمع يردد انغامه ... والشعر بوزع احلامه
وتبيح العشق الانسام ... من غير حلال وحرام
والشاب يهيم بحسناته ... ويبوح بما فى اطوائه
والدفء رقيق وجميل ... لكنى احلم بالنيل
ويجيء الليل يغطينى ... ليسيل الدمع ويبكينى

* * *

الشمس تغادر مدريد ... بخطاب حلو ونشيد
وتردد اجمل ترديد ... تهنئة تشوى بالعيد
وبروحى ارقب مجراها ... وافتت قلبى لاراها
بالنور تلوح للدنى (١) ... وتسائل امى عن حقى

---

١ ـ الحى المعروف بالجيزة حيث مسكن اسرة الشاعر .

فى كمك العيد وفرحته ... عن دار الانس وندونه
عن شرفتنا وحديقتنا ... عن بسمتنا وسعادتنا
عن اخوانى ، عن اعمامى ... عن ذكراى وعن ايامى
فى تلك الشجرة لمساتى ... فى وقفتها كل سماتى
فتقبل حبى يا دارى ... ساعود عزيزا يا دارى
فى كل مكان ستراتى ... افرح واضحج باحزانى

* * *

والشمس تعود لاسمعها ... وارى بفؤادى ادمعها
وبقبلة حب اطبعها ... وبكل شعورى اتبعها
فسلامى للوطن الاكبر ... وسلامى للنيل الاسمر
مع شمس تدخل مخدعها ... وقلوب الناس تودعها
وعيون ترقب مجراها ... بالصمت لكى لا تفزعها

احمد يونس

ظهر

في أموالهم

بقلم : أمين الخولى

بديل الادب عن اجازتها فى سنتها السابعة
اطلب نسختك ايها المشترك والقارىء

نداء

من جل ابنك .. عد لنا
.. رفقا بنا
رفقا بابنك .. بالضنا ..
ماذا جنى ؟
لاتترك العش الجميل ..
مهدما ..
من حولنا .
لا تترك الطفل العليل ..
محطما ..
من هجرنا .
ماذا جناه ..
لاى ذنب تغدره ؟
وارحمتاه . .
باى قلب تهجره ؟
مسكين « يسرى » ابننا ..
سئم الجميع ..
وبات يرفض مطلبى
متمنعا ..
.. كى اتركه !
مسكين يسرى طفلنا .
عرف الدموع ..
وصاح يصرخ : يا ابى ..
متضرعا ..
.. هل تتركه ؟
اسرع اليه
.. ودع عنادك جانبا ..
فانا .. وانت لنا عتاب بيننا
.. عند اللقاء
اقبل عليه
.. وكن لبيتك راهبا ..
فانا .. وانت لنا شباب هاهنا
.. أين الوفاء ؟

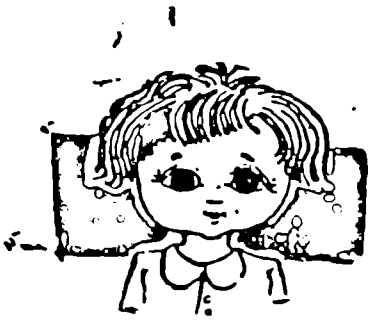

« ابن الريف : زكى عمر »

صديق الأمس

جثمت على صدرى فازهقت انفاسى ... تزحزح قليلا ايها الجبل الراسى
اسفت ولم آسف لجرم جنيته ... سوى انني اعلنت ودك للناس
وبالغت فى حبى فسقت مودتى ... اليك جزافا لم ازنها بقسطاس
احدث من لاقيت عنك مباهياً ... فخورا كانى حزت كنزا من الماس
وقلت حصيف هذبته ثقافة ... فاصبح ذا ذوق رفيع واحساس
دسست عليك الفضل اذ انتناقص ... فواخجلتا اذ صرت اكبر دساس
راى الناس مدحى فيك جاوز حده ... قطنوا بانى قد منيت بوسواس
لهم عذرهم حيث اندفعت مبالغا ... اشبه شوك الروض بالورد والآس
وعذرى انى قد خدعت ببهرج ... بكفيك يخفى عنك تهمة افلاس
نكشف لى الايام عنك مخازيا ... قد اشتعلت من هولها نار انفاسى
مخاز حدقت السر فى جنح ليلها ... كانك فيها تستضىء بنبراس
اراها وتخفى عن سواى فانثنى ... باكداس هم طبقت فوق اكداس
فلو كنت ذا شان ازحت قناعها ... فيعرى امام الناس مخبرك الكاسى
يقالبنى غيظى فاهجوك محنقا ... ويرجع لى حزمى فامحق قرطاسى
احاذر ان اعانت خبثك للورى ... تقامز هماز وارجاف خناس
يقولون سخرا : كان يسعى لمارب ... فاضفى عليه المدح من غير مقياس
فلما كبا مسعاه اضمر غدرة ... وابدى عبوسا بعد بشر وايناس
عليك ان امسكت عنك ومهجتى ... من الغيظ مذكاة كشعلة مقباس
صدعت حصاة فى فؤادى تطايرت ... ويا طالما شددت اليك بامراس
تهم بان ترعى هواك تفضلا ... فليس لديها فى التسامح من باس
فناقشتها بالحق فيك فهرولت ... فرار سجين بعد غفلة حراس
رات انها ان اغمضت عنك عينها ... تقطع بانياب وتطحن باضراس
قسوت عليها حين اجرمت آثما ... فهلا اصطنعت الرفق يا ايها القاسى
احاول ان انسى قلاك فاصطفى ... شواغل تلهينى وما انا بالناسى
واجلس بين الناس الهو بافوهم ... فيعزب عقلى عن احاديث جلاسى
سيطويك حقدى عاجلا مثلما طوى ... كليبا باعماق الثرى حقد جساس
وقد يستطاب الحقد ان حاق مكره ... بمظهر طهر وهو فى ليل ارجاس
خلائق وغد لو انى الرق ثانيا ... لكان خليقا ان يباع لنخاس
فان اك قد اسلفت مدحك غافلا ... فتلك زهور بعثرت فوق ارماس
ملات بمدحى الكاس صابا وعلقما ... لنفى فدعنى احتسى علقم الكاس

محمد رجب البيومى

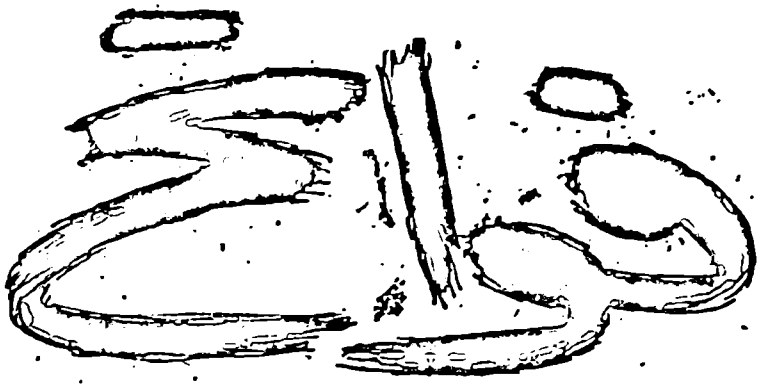

قصيدة : ت . س . اليوت

مهداة الى الاستاذ انور المعداوى

(١)

ان الامسية الشتوية لتحط على الارض
جالبة معها رائحة شرائح اللحم فى الطرقات .
الساعة السادسة .
اعقاب الايام المحترقة الداخنة .
وها هى ذى الآن رهمة عاصفة تلف النفايات القذرة
لاوراق الشجر الذابلة عند الاقدام والصحف فى اكوام خاوية .
ان الشابيب لتظلم المصارئع المحطمة واوعية المداخن .
وفى ركن الطريق يزفر البخار حصان عربة وحيد ويدق الارض
ثم توقد المصابيح :

(٢)

ان الصباح ليعود اليه الوعى مع الروائح الواهنة المبتذلة للجمة .
ومن الشارع الذى تغطيه نشارة مدببة .
بكل اقدامه الطينية التى تسعى نحو مشارب القهوة فى الصباح .
والى جانب سائر المهازل التى يستعيد ذكراها النهار
يفكر المرء فى كل الايدى التى ترفع ظلالا ملونة
فى الف غرفة مؤنثة .

(٣)

لقد دفعت ملاءة عن الفراش .
لقد رقدت على ظهرك وانتظرت .

لقد اغفيت ورحت ترقبين الليل اذ يجاوالالف الصورة الخسيسة
التى تتالف روحك منها ، والتى تراقصت على السقف .
وعندما عاد العالم كله الى وعيه ، وتسلل الضوء بين المصاريع
وسمعت العصافير فى الميازيب
رأيت الطريق فى رؤيا لا يستطيع ، هو ذاته ، لها فهما
اذ تجلسين على حافة الفراش ، حيث لففت الاوراق حول شعرك ،
او احتويت باطن قدميك الصفراوين بين راحتى يديك الملوثتين .

(٤)

لقد انبسطت روحه فى تشبث عبر السماوات
التى خبت من وراء كتلة المدينة
أو وطئتها اقدام مصممة فى الساعات الرابعة والخامسة والسادسة .
اصابع مربعة قصيرة تحشو الفلابين ، وصحف مسائية ،
وعيون واثقة من امور هى منها على يقين .
ضمير شارع مسور لا طاقة له على تقبل العالم .
انى لتحركنى الخيالات التى تلتف حول هذه الصور وتتعلق بها
فكرة شىء رفيق الى غير حد ، معذب الى غير حد .

* * *

فلتمسح بيدك على فمك ، ولتضحك
فان العوالم لتدور مثل نساء عريقات فى القدم
يجمعن الوقود فى اكوام خاوية .

ماهر شفيق فريد

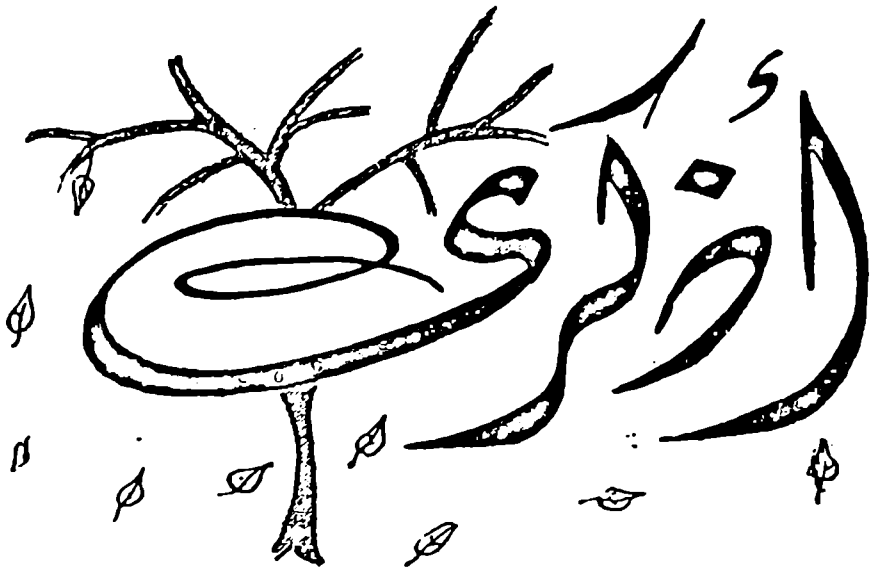

اذكرى غرفتى التى تفزع القلب وتفرى بى الهموم الكئيبة
كيف كانت كقطعة من جنان الخلد رفت على فؤادى رطيبة ؟
ثم طافت بجنة الحب ريح عزفت نايها لحـــونا غريبة
فتعرت اوراقهـــا عن غصـون ضاويات من الجمال سليبة
صوحتها النوى فعودى اليهـــا لتعيدى الى الفؤاد وجيبه

* * *

اذكرى خفقة الحنين « بأشيائى » الى لمسة الهوى بيديك
قد نفضت الغبار عنها فهامت بفنون الجمال فى راحتيك

* * *

اذكرى لوعـــة الكآبة تغشى وجـه مرآة غرفتى المحزونة
لم تعد تضحك الاسارير منهـا حين تجرين نحوها مفتونة
فاذا ما رنوت يوما اليهـــا طالعتنى ملامح مجنـــونة

* * *

اذكرى .. مقعدى .. ينن من اللوعة لما سدرت فى هجرانك
يذكر المرفق الحنـــون ويهفو للمداعبات من رقيق بنانك
شافه ضـــمه الذراعين على الخصر فلا تبخلى على اهفانك
واستريحى اليه يا اخت واستلقى على صدره اسير افتتانك
اذكرى « مشجبى » فما ازل ثرثارا يذيع الاريج من ارادنك
مسه من ثيابك البيض سحر فهذى بالفتـــون من افنانك
حين القيتها اليه تلقاها خفـــوق الضلوع من احسانك
ياله مشجب خبيث المرامى ســل منقاره على رمانك ! !
فبدا النقر فى الثياب على الصدر وساما مباهيـــا بجمانك
اذكرى « شرفة » تعرشها لبلابة اورقت بظل نضـــــير

* * *

اذكريها وقد تالق فيهـــا وجه حسناء فى الدجى المسحور
نشرت فوقـــه غلالة عطـر وبدت فى الدجى بحـــيرة نور

* * *

اذكرى فى النوى فؤادا يتيما يتلظى من يتمـــه فى لهيب
ضائعا فى الحياة الا رجاء ان تعـــودى له كلحن طـروب
انت امى وطفلتى وحبيبتى انت اخـــتى وفتنتى وحبيبى

على حسن العزب

نشرت مجلة منبر الاسلام فى عددها الاخير ١١ ، ٤ ص ٦٤ مايلى :
١٣٨٢ ، ١٩٦٣

واخيرا وجهنا لسيادته السؤال الآتى : تعلم أن لسيادتكم رايا فى الكتابة بالعامية ومجلة منبر الاسلام تود ان تنقل الى قرائها وجهة نظركم فى الموضوع فاجاب سيادته بقوله :

ارى ان الذين يكتبون بالعامية لا يفعلون ذلك الا لانهم يجهلون اللغة الفصحى ولو تعلموها واحسنوا دراستها لما تحولوا عنها الى العامية فان وجد من **يحسن الفصحى ويتحول عنها الى العامية** فهو عندى آثم فى دينه مقصر فى ذات وطنه لان اللغة العربية الفصحى هى لغة القرآن الكريم ولغة التراث العربى المجيد اثناء القرون الطوال وهى مقوم من مقومات الحياة الوطنية لانها تجمع الامة العربية فى جميع اقطارها ولانها تتيح لادبنا العربى وثقافتنا العربية ان تشيع وتؤثر فى البلاد العربية المختلفة وترفع مكانة الوطن العربى فى العالم .

واخيرا نشكر الدكتور طه حسين على حديثه القيم ونتمنى له عاجل الشفاء .

* * *

آثرت ان اقدم للادب هدية الربيع فى مطلع فصله راى عميد الادب فى هذا الموضوع الحيوى الحساس بالنسبة للادب ولقرائها ايضا والانسب لصحيفة سيارة ان تكون الهدية اليها راى كاتب كبير فى جوهر حياتها وموضوع عمرها .

ونرجو ان ترد الادب على عميد الآداب دون جزع ولا صراخ ولااستعراض لعضلات الفتوة البولاقية ونوكان القائل ـ غير عميد الأدب لقذف بتهم الرجعية والجمود وتحجر العقلية وعدم مسايرة الزمن والعمى الفكرى عن معرفة القوانين الحتمية التى تدعى الادب لزومها للحياة وللتطور **ولطالما قالت الادب كلاما** فى هذا المعنى مشوبا بالجزع على انها وجدت فى زمن لم يقدر اهله ـ زعمها الكبير ـ **ودعواها الضخمة ـ واكتشافها الفذ .**

قولى لعميد الادب ما قلتيه لغيره من الساكين فالمساواة فى الظلم عدل كما يقال وتشجعى معه كما فعلت مع غيره **وتجرئى على الجدران العالية** كما تجرأت على الجدران القصيرة .

ناطحى عميد **الادب بدلا منى فمن مقتضيات العمادة القدرة على المناطحة واحتشام الادب وهى تناطح العميد** والاحياء من فرش الملاءة التى برعت فيه .

وقد صدر الرأى الذى لايوافق هوى الادب ولا ينال الحظوة لديها من عميد الادب الذى مجدته طوال عمرها ولا ندرى ماذا تفعل ؟ أتتخذ منطق النعامة التى تتعامى عن الخطر وتدفن راسها فى الرمال وتهمل هدية الربيع

لانها لاتحب ان تنزلق الى خصومة طه حسين وتكره التخلي عن الرأى . ام تمسك مرسل الهدية وتصب عليه جام غضبها وضيقها وثورتها

غضبها وضيقها وثورتها

ام تعرض فى خبث الى مسألة الموضوعية وتجريد الافكار من جاذبية قائلها ان كانت له جاذبية اذا اتاها ما تحب اغفلت الموضوعية وتمنت اقتران الشخص بالفكرة وفرحت بهذا الاقتران واعلنت هذا اضخم الاعلان

واذا اتاها ما تكره لجأت الى الموضوعية لكى تمنع تأثر القارىء بمطلق الفكرة

وهناك استخدام اخر للموضوعية اذا اتت الدعوى من كاتب كبير ليس من السهل التجرؤ عليه لانه من الجدران العالية .. حاولت هذا افصل اياه بين الفكرة وقائلها .

واذا كان من الجدران القصيرة اجبت ان تعرفه لتحول مناقشة الموضوع الى استهزاء به وسخرية منه وفجرت فى خصومتها له راجية بذلك ان تخرسه بالسفه والشتم والهمز واللمز والعيب والطعن الخ . وظنت بذلك انها تقنصه او ترضى قراءها بطعن المسكين

وعلم الله ان هذا الأسلوب الذى تلجأ اليه الادب اقرب الى الارهاب والتهديد والله احق بالخشية والرهبة .

ولن اصرح باسمى حتى لا تلجأ الادب الى حيلها المكشوفة غير الشريفة وانا لم نقتنع بعد يا ادب بدعوة العصبية الاقليمية الضيقة الفرعونية غير الاسلامية التى تشبه دعوة المبشرين والمستشرقين ومن لوازمها الاثم فى الدين والتقصير فى ذات الوطن كما قال عميد الادب .

هل يترك المسلمون العرب لغة القرآن الكريم من اجل عيون الادب .

الحق ان هذه الدعوة تجعلنى اردد قول الشاعر الفحل :

ومن عرف الفوانى فالفوانى
ضياء فى بواطنه ظلام

والادب من جملة الغانيات . .

الم تعرف الادب قول القائل — رحم الله امرأ اهدى الى عيوبى — وانا قد نصحتها واهديت اليها عيوبها ام تراها ترجو من القراء ان يتبعوها على رايها عميا وبكما وصما

ولو كان حب الادب للنقد . طبعا لا تطبعا وصدقا لا زعما وسجية لا تكلفا فاولى لها ان تعرض هدية الربيع على قرائها

ولا تفرش الملاءة للشاعر الفحل فمن رفق القواوير بالذات الرقيقة والنفس الشاعرة ان لاتدخل فى مباريات السب والطعن والقضب وقذف التهم

فالشاعر وعميد الادب من الجدران العالية .

ويكفى الادب فى النهاية من القلادة ما احاط بالعنق .

والسلام على الادب وقرائها ورحمة الله .

هاوى ادب

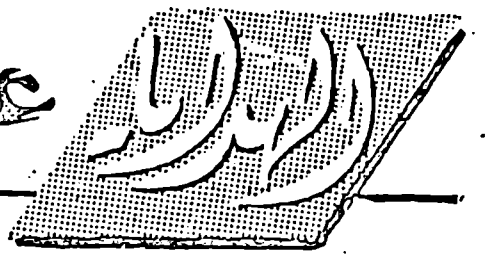

مرحب .. مرحب .. يا هاوى
وها انت تقرأ كلمتك .. ولم تهمل « الادب » هدية الربيع ، التى تدل على قدر مهديها ، كما قال الاولون ، بما فيها من عبارات تنفر الادب دائما من ان تسجل صفحاتها الباقية شيئا من صنفها ، وترجو القارىء اى قارىء الا يستعمل مثل عبارات :

الفجور فى الخصومة .. والحيلة غير الشريفة .. والعرض فى خبث .. ومنطق النعامة .. وفرش الملاية .. وعضلات الفتوة البولاقية .

وتأمل من القارىء اى قارىء الا يكفر الناس فيكفر هو بذلك ، حين يصف رأيا أو قولا بغير الاسلامية ودعوة المبشرين .

فذلك وما يشبهه وما هو منه بسبيل ، كله شر ، وكله مما لايثبت رأيا ، ولا يبين حقا .. بل لعله لا يشفى غلا ، ولا يبرىء ضغنا وانما يكشف ذلك ، ويشهر بقائله ..

وفى اناة وادعة هادئة نشرت « الادب » كل ذلك لانها ترجو وتحرص على ان تجد النقد طبعا ، وسجية ، وصدقا ، وتلتزم ذلك — ما استطاعت — فتكره مثل كلمات الهاوى عن الصراخ ، والجزع ، ومباريات السب والطعن الخ مايذكره من عبارات ترجوه « الادب » ان يدلها على مواضعها فى سنيها السبعة لتعتذر عنها اقوى العذر ، وتتوب عنها اصدق التوبة ، وتعلن ذلك على رءوس الاشهاد ، حرصا على سلامة اصحاب الفد ، الذين تحب لهم دائما ان يكونوا خيرا من جيل يسجل على نفسه ما اهدى الى « الادب » فى هدية الربيع هذه ، ووضعته بين يدى القراء ليعاونوا صاحبه فى اهداء عيوب « الادب » اليها ودلالتها عليها .

وفى هدية الهاوى مسألة اصلية ، عن الفصحى والعامية ، وفيها فرعيات كثيرة ، لا تعرض « الادب » منها الا لما يمس فهم النقد ، ومسلك « الادب » فيه ، أو ما يتصل بقضية ادبية اخرى كالاقليمية الادبية . وتدع تماما كل ما وراء ذلك من تعرف الهاوى المتنكر !!

وتبدأ بما ترى الوقوف عنده من الفرعيات فتقول :

اما العميد .. والجدران العالية

فان « الادب » ان احبت العميد احبته ، واحبت الحق اكثر منه ، كما قيل قديما .. وقد التقت واياه ، على هذا الاعتداد بالكرامة والصيانة للشخصية ، وقالت غير مرة : انه رجل يدع لغيره معه مجالا ، ولا يرتفع بهدم غيره ، بل هو فسيح المجال ، واسع الافق — الادب : يولية ١٩٥٦ —

وقد خالفت الادب العميد منذ درجت ، ونقدته وهو يحييها وسمت

اذ ذاك نقد الاصدقاء .. وما رات .. ولن ترى ابدا فى ذلك ، ولا يرى طه حسين نفسه ، فى ذلك كله واكثر منه انزلاقا الى خصومة ما

واما مايوغل فيه الهاوى ، عن الحيطان العالية .. والحيطان الواطية فليس عند « الادب » كبير على الحق وهى تدين بانه :
لو تعارضت آية قرآنية ، ودليل عقلى فان العقل يكون حاكما عليها .
كما تدين بان الحديث اذا ناقض صريح العقل فهو باطل .

والذى يؤمن بهذا كله لن يخاف فى حق لومة لائم .. ولن تعجز «الادب» عن انوثب العالى ، والقفز القوى يجتاز بالحق اى جدار مهما يرتفع .. وهى تؤثر ان تقتصد فى ذلك قولا لتقدمه عملا ناجزا .

بل اذا صحح انهاوى الفكرة عن النقد وانه ليس خصومة بمعنى ما ، بل هو تعاون كريم ، فانه يستغنى بذلك التصحيح عن التهديد بالجدران العالية ، والخوف ن ان تفعل «الادب» به وتفعل لو صرح باسمه

وننظر بعد ذلك فى المسائل الموضوعية فى الهدية وهى :

ا ــ اللغة .. والقرآن .. والدين

فان الهاوى يروى أن العميد قال كلاما فى حديث له صحفى ، لم نقراه فى مكانه ، ولم نتثبت من نصه ، لما نعرفه من تصرف الصحافة فى هذه الاحاديث تصرفا دلتنا التجربة على انه شنيع الافساد ، فى اكثر الاحيان .

على أنا نناقش هذا القول سواء اكان نص كلام العميد ، او صورة فهم الهاوى ، ومناقشة القول فى ذاته لا تتاثر بنسبته الى جدار عال ، او قصير ، او شامخ او منهار ..

ولعل القراء يذكرون الهاوى بان سنة « الادب » فى باب البريد ، وهو اوسع ابوابها ، الا تذكر اسم صاحب رسالة لتكون لمحرر الباب حرية النقد ولا تكون على المنقود صعوبة ..

وتنظر « الادب » فى قول الهاوى المنقول عن :
ان للعربية بما هى لغة القرآن صفة دينية ، تجعل من يحسنها ويستعمل غيرها آثما فى دينه ..

فتترك الراى فى هذا لكلمات قيلت منذ ما يقرب من الف سنة ، قالها ابن حزم فى كتابه ــ الاحكام فى اصول الاحكام ــ جـ ١ ص ٣٤ ، ٣٥ ــ عن مثل هذا القول المنسوب للعميد ، ونص كلمات ابن حزم هو :

« وقد قال قوم : العربية افضل اللغات **لانه بها نزل كلام الله تعالى**

قال على : **وهذا لا معنى له** ، لان الله عز وجل قد اخبرنا انه لم يرسل رسولا الا بلسان قومه ، وقال تعالى « وان من امة الاخلا فيها نذير » ، وقال تعالى « وانه لفى زبر الاولين » **فبكل لغة قد نزل كلام الله تعالى ووحيه** ، وقد انزل التوراة والانجيل ، والزبور ، وكلم موسى عليه السلام **بالعبرانية** ، وانزل الصحف على ابراهيم عليه السلام بالسريانية ، فتساوت اللغات فى هذا تساويا واحدا »

وبعد مضى ابن حزم فى رد القول بانها لغة أهل الجنة ، يتقدم ليقرر من وراء تلك الاجيال السحيقة تساوى اللغات جميعا فى ذلك بقوله :
« وحروف الهجاء واحدة ، لا تفاضل

بينها ، ولا قبح ، ولا حسن ، فى بعضها دون بعض ، وهى تلك بأعيانها ، فى كل لغة » ويقرر هذه النتيجة بدمغ تلك الدعاوى بقوله :

فبطلت هذه الدعاوى الزائفة الهجينة ، وبالله تعالى التوفيق .

* * *

واذا كان هذا يقال منذ عشرات الاجيال فهل نقول نحن اليوم : ان للغة صفة دينية تجعل من يسلك فيها مسلكا ما آثما فى دينه !! ونضفى لاهوتية كهنوتية تخلص منها الاسلام بما هو دين ، على ظاهرة اجتماعية حيوية هى اللغة .. ونحتمل مايترتب على مثل هذا القول من نتائج غريبة لو طردنا القياس ، وحكمنا المقررات الدينية فيما يأثم به الانسان فى دينه !!

ان هذا كثير ، مردود على اى قائل ، سواء اكان خطير الشأن ، أم يسير المقام ، جدارا عاليا ، أو جدارا سافلا .. ولو سمعت بعض هذه النتائج لاستبد بك الدهش ، واخذ منك العجب ، واليك بعض ما يترتب على تأصيل هذا الاصل الدينى للعربية ، وان : من يحسنها ويتحول عنها الى العامية فهو آثم فى دينه !!

فان الكلام فى ذلك عن الكتابة ، والكلام هو الاصل ، والكتابة تقييد له ، فعلى هذا نقول :

من يحسن التكلم بالفصحى ويتحول عنها الى الكلام بالعامية فهو آثم فى دينه .. ويلحق الاثم بهذا كل متعلم يحسن التكلم بالعربية ، ويكون القائل بما سبق من تأثيم الكاتبين أول الاثمين فى دينهم ، بترك الكلام بالفصحى !!

واذا كان استعمال الفصحى واجبا فالاصل عند أصحاب التفكير الدينى :

أن مالا يتم الواجب الا به فهو واجب ، اى ان مقدمة الواجب واجبة .. وعلى ذلك فتعلم العربية الفصحى على من يستطيع ان يحسن ذلك واجب ..

واذن فترك تعلم العربية الفصيحة اثم وقع فيه ملايين المسلمين ، من العرب والمستعربين ، بل غير هؤلاء جميعا ، من المسلمين ذوى الالسنة الاخرى ما داموا يستطيعون تعلم العربية الفصيحة !!

وشمل الاثم جمهرة المسلمين ، وقصرت حكوماتهم على الاجيال والادهار ، اذ تركتهم بلاتعلم للفصحى وصار هذا الاسلام دعوة لسانية لا انسانية ، لان تحسين النطق بالعربية اصل فيها . وذهبت تلك الدعوى ، فى عموم الدعوة الاسلامية ؛ وحلت محلها تلك العربية الاسلامية ، ووقف الاسلام فى سبيل القوميات التى اشتركت فيه ، من صينية ، وهندية ، وتركية ، وتترية ، وفارسية وغيرها ، ووجب عليها جميعها أن تتحول تحولا عربيا لتكون مسلمة ، والا فلا ..

وانعكس الامر فصار الاسلام الذى يقرر ان ليس منا من دعا الى عصبية .. ووضع عصبية الجاهلية وواجه فيها بالقول المكشوف الذى يقل مثله فى ادب النبوة ، فقال من تعزى بعزاء الجاهلية فاعضوه بهن ابيه ، ولا تكنوا !!

وكل هذا وما وراءه ليس الانتيجة لكلمة ارسلت من غير صاحب مكان فى الفتوى الدينية ، ولا هو مرجع فيها ، بل ما قصد هو ان يلونها من الدين الا بلون من الخلابة القولية لا اكثر .

وسواء اكان هذا القول قول عميد .. أو معيد .. أو مغمور .. أو مشهور ، فانا دون تردد :

ننكر ان يكون للغة اى صفة دينية

من قريب او بعيد ، لمثل ما قال ابن حزم منذ الماضي السحيق ، وما يقول المنهج العلمي اللغوي اليوم في كل مكان

* * *

ووراء ذلك من القول عن هـذا الهاوي كثير .. كثير لو عرضنا لموقف « الادب » من مشكلة العامية ، ورايها فيها ، وانها لم تعرض لذلك عرضا جوهريا الا في بحث جامعي ، مجمعي ، عن صلة ما بين الفصحى والعامية ، وانها في شهادة التاريخ البعيد والقريب تنتهي دائما الى ولائم تبحث فيه الفصحى عن فصيح العامية ، فتؤلف فيه الكتب ، وتدعو الى استعماله ، وترسم الطريق لسرعة التطور اللغوي سرعة تقرب اللغتين قربا كثيرا .

وهذا مالانملك هنا اكثر من الاشارة اليه ، للقارىء ان يراه في سنة الادب السابعة ـ ص ٧١ ومابعدها ـ ليعرف ، انا شيء غير هذا الخطف الخاطف الذي يتصوره بعض الناس لمسالة الفصحى في الحياة !!

ب ـ واما الاقليمية .. الادبية

لقد وثب اليها الهاوي فيما وثب .. وسواء اكان بينها وبين العامية صلة أم لم تكن فان القول بالاقليمية الادبية ، ليس له معنى اقرب واوضح من تقرير اثر البيئة في الادب ، وتقرير هذا لاثر حقيقة علمية لا مشاحة فيها ، ولذلك قال أصحاب الاقليمية الادبية : انها قضية العلم في تاريخ الادب .

وما يقرره العلم حقيقة مهما يقل فيه الهاوون أو غيرهم ، من تكثير وتبشير ، لان الذين عرفوا انفسهم وتبينوا طريق المعرفة قد امنوا القول منذ مئات السنين بان العقل حاكم على النص الديني نفسه ..

ولا فرصة هنا للقول في فهم الادب للقومية العربية على أساس من هذه الاقليمية البيئية ، ووضعها في ذلك كتابا عن اسس القومية ، لم يحسن السامعون الاصغاء اليها ، يوم كانت الوحدة سهلة والسامعون اليوم اشد اصغاء له ولهما عنه فيما يقررون من امر هذا الاتحاد .

فليكن الهاوي حيث اختار لنفسه ، في فهم الحقائق وتمثل الواقع ، « فالادب » ، واضحة الفكر ، سليمة المنهج فيما تحدث عن الاقليمية والقومية وهي كذلك مصيخة تسمع لكل قائل سواء اكان القائل ناقدا يعرف مايقول ويلقي رايا برأي ، وحجة بحجة ، أم كان هاويا لاغير يريد أن يقال لغيره من الجدران العالية ما يقال لمثله ، لان المساواة في الظلم عدل .. وهو موقف وتصرف لا تنعته « الادب » ويعز عليها العنت به ..

فهي تراقب مواقفه وترحم ، وتطلب الهداية لمن لا يعرف .

وتحتمل ضياع ما ضاع على القراء ، بشغل هذه الصفحات فيما كان غيره اولى منه ، وماسبق القول فيه بكتب مفردة كالاقليمية الادبية . او بلي القول فيه كالعامية .

ولكنها الهدية لا ترد .. وهي لي قدر مهديها .. ونشرها رياضة للقراء وللادب وقومها على تقبل كل شيء في سبيل الحق ، والله يهدي اليه من ينيب .

الادب

لقاء على مائدة

بقلم : عبد المنعم شميس

فى كل عام نلتقى فئة من اصحاب الاقلام على موعد .

ومن الحرص الشديد ان اسعى الى هذا اللقاء مهما كانت شواغل الحياة ، ومهما ضاق الوقت الذى يجذبنا ويشدنا معه فى غير رحمة او اشفاق .

وليس الامناء وحدهم هم الذين يلتقون ، فهناك اصدقاء لهم يؤثرون ان يسمعوا الكلمة مع رشفة من اقداح الشاى التى يقدمها استاذنا امين الخولى مسرفا فى تقديمها مع صنوف من المملحات والحلويات تملا الردهة وتنطلق باطباقها الى الشرفة .

ولست اذكر اننى تخلفت عن هذا الموعد عاما ، بل اننى اجد متعة فى لقاء الاصدقاء الامناء الذين فرقتهم الحياة هنا وهناك ، وجمعتهم على مذهب يعتنقونه ، وفكرة لم يتفرقوا بعيدا عنها منذ اكثر من عشرين عاما

ومع الاجلال لهذا الشيخ المصرى الفلاح ، والتوقير لهذا العقل الذى فتح أمام عقولنا نوافذ المعرفة ، ودربها على فهم الحياة واستيعابها ، ورسم لنا طريقة التفكير منذ كنا فتية صغارا ، أعوادنا قليلة الصلابة ، تلتقى كل عام على موعد .

ونحن نلتقى لنعبر عن حقيقة فى نفوسنا ، هى ان الروابط بين الأستاذ وتلاميذه ، لا يمكن ان تنفصم عراها او تحل مكانها روابط جديدة تبغى الوصول باصحابها الى نفع او مصلحة .

وهذا المعنى وحده .. معنى السمو فى الروابط الانسانية .. معنى التعلق بالأواصر الفكرية ، هو اسمى ما وصلت اليه جماعة عارفة لطريقها فى الحياة ، مؤمنة بان شرف الكلمة هو اعز ما يعتز به صاحب قلم .

من الوضوح المشرق بالعقل يستمد الأمناء نورا هاديا على طريق التفكير والتعبير .

ومن صفاء النفس المطمئنة الى نقاء العاطفة يستمد الأمناء حرارة الصدق فى مذهبهم الذى يصل الادب بالحياة .

ومن صلابة الحق يستمدون قوة الدفاع عن شرف الكلمة على هدى منهج علمى جامعى ، هو فى رايهم اسلم المناهج فى تناول الدراسات الادبية وهم لا يتعصبون له ، ولا يرغمون احدا على اعتناقه ، ولكنهم يدعون اليه دعوة العلم والفهم . لا دعوة العصبية والحمق .

وحين ثارت بين استاذنا امين الخولى وبين الاستاذ عباس محمود العقاد ثائرة تلك المقالات المنشورة المشهورة ، ودعا بعض الداعين أقلام الأمناء لخوض المعركة الادبية مع استاذهم ، حتم عليهم المنهج الذى سلكوه ان يتركوا المعركة لصاحبها لأسباب كثيرة من أهمها : أن قلم الأستاذ الخولى قادر وحده على خوض آلاف المعارك الأدبية فى غير كلل أو مجازفة وان المعركة كانت قائمة بين منهج ولا منهج ، والأمناء بحكم تقاليدهم العلمية ودراساتهم الجامعية لا يتحدثون الا عن المناهج الواضحةالمرسومة ولا يتناولون بالنقد ظاهرة أدبية لا منهجية الا حين يريدون كشف ماوراءها من آثار ادبية تدعو الى تنبيه الراى العام الأدبى اليها . وما دامت هذه الظاهرة الأدبية قد كشفت فان القول فيها معاد مكرور .

* * *

اما ما قيل من ان الامناء صورة واحدة مكررة لرجل واحد ، فهو قول سخيف لا يستحق الالتفات ، فكل أمين من الأمناء شخصية مستقلة حرة لها مقوماتها الفكرية والثقافية ، بل انهم قوم تعددت ثقافاتهم ، وتعددت اتجاهاتهم ، وتعددت أساليبهم . وليس لأستاذهم عندهم الا فضل المعلم الذى وضح لهم المنهج ورسم الطريق ، ثم تركهم للحياة الحرة ، بكل مافى معنى الحياة من تدفق وفى تطور ونماء ، وبكل مافى معنى الحرية من فهم واع لقيمة الحرية ذاتها كاقدس ما يملك انسان .

لقد عرفت الأستاذ الخولى منذ اكثر من عشرين عاما استاذا لى فى كلية الآداب . وكان يقال لنا فى ذلك الوقت ان هذا الأستاذ صعب المراس لا سبيل الى فهمه أو التفاهم معه . وانه لايرصد للطالب من الدرجات ما يكفل له النجاح الا بمشقة زائدة .

وكان الأستاذ الخولى يلقى علينا المحاضرات فيشد عقولنا ويضغط عليها ضغطا شديدا ، وكان التفكير وحده هو ما يؤثره فى حديثه ، فلا يترك للعواطف مجالا تهدأ فيه أعصاب مشدودة أو أفكار مثارة .

وبدات منذ اللقاء الأول مع استاذى اومن بأن العقل هو قوة الانسان وأن العاطفة هى ضعف الانسان . وخيل الى ذات يوم أننى لا ادرس الادب ، ولا أتلقى الدرس فى كلية الآداب ، بل انصرف تفكيرى الى العلوم وكلية العلوم .

ولم اكن فى ذلك الوقت اومن بأننى سألتقى مع استاذى اى لقاء . ولكن شيئا كان يجذبنى اليه ، ويدفعنى الى التفكير فيما يقول بكل ما املك من فكر . وايقنت ان هذا الأستاذ فريد عصره فى منهجه العقلى ، فسرت معه آملا فى الاستزادة من علمه .

وارانى بعد هذه السنين الطويلة ، ومع تقلب الليل والنهار ، وبعد أن كتبت آلاف الصفحات ، لا ازال فى حاجة الى مزيد من تفكير هذا الأستاذ

وقد اتحدث اليه في شأن صغير من شئون الحياة ، فاحس بانني مشدود لمتابعة منهجه العقلي في بحث هذا الشأن الصغير .

ولذلك فان تلاميذ امين الخولي يؤمنون بعقله ، مهما اختلفت اساليبهم واختلفت اتجاهاتهم الفكرية .

وفي اعتقادي ان الأمناء مدرسة عقليـــة منهجية ، وليست مدرسة أسلوبية بيانية . ولذلك يصعب على بعض الناس ـ ومنهم أدباء ـ فهم حقيقة هذه المدرسة الادبية ، لان الادب عندنا أساليب يتزعم الاسلوب منها كاتب ويقلده آخرون .

والأمناء لا يحبون لانفسهم أن يكونوا اصحاب اسلوب يقلده الكتاب أو المتأدبون ، ولكنهم يريدون للادب معنى الحياة . وشعارهم في ذلك انهم مدرسة الفن والحياة .

وحين التقينا في العاشر من ابريل احتفالا بدخول هذه المجلة سنتها الثامنة . كان هذا اللقاء تجديدا لعهد جمع بين هذه الفئة من الجامعيين الذين سلكوا في حياتهم العلمية طريقا منظمة في الدرس ، واضحة في المنهج ولم تكن المصادفة هي التي جمعتهم ، أو الاذلال العقلي من متزعم هو الذي يلم شملهم ، ولكنهم اجتمعوا على مبدأ المساواة في الفكر ، ولذلك فهم جامعيون ، رسموا لانفسهم نهج حياتهم العلمية والفكرية ، ولم يكن في الامكان أن يجتمع في هذه المدرسة قوم غير جامعيين ، لان الجامعة هي التي ربطتهم برباط الدراسة المنظمة ، وهي في تفكيرهم ـ مهما بعد بهم العهد بها ـ منهج عقلي ، لا ادعاء بالعلم على غير علم ، ولا اجتراء على الحقيقة دون امتلاك وسائل البحث ، ولا تعالم بمنقولات من الكتب يلصق الباحث بها نفسه في غفلة من الناس .

ولم يكن لامين الخولي ـ على علو قدره بين تلاميذه ـ من فضل في ذلك الا فضل المعلم الذي فتح الباب لهذه الفئة في اصحاب هذه المدرسة فهو استاذ مناهج لا استاذ منقولات .

ان حياتنا اليوم لا تحتمل هذه العشوائية في تناول شئون الفكر . واذا كانت الحياة المادية تخطط وتنظم ، فان الحياة الفكرية لابد لها من تخطيط وتنظيم ومعنى ذلك انه لابد لها من منهج . ولم تكن دعوة الامناء منذ نشأتهم حتى اليوم الا دعوة لتخطيط وتنظيم الفكر في وطننا .

وبعد اكثر من عشرين عاما ، منذ نشأت مدرسة الامناء ، بدأت اجهزة الثقافة في وطننا تدرس وسائل تخطيط الفكر وتنظيمه . واصبح شعارنا

« البقية على صفحة ١٠٠ »

فجر

كانت الليلة باردة مطيرة ، تبعث رياحها المعولة فى الظلام قشعريرة فى الابدان ، والما فى المفاصل مما جعل اكثر المعزين يبكرون فى الانصراف . ولم تكد الساعة تدور فى العاشرة حتى اوشك الصرادق ان يخلو الا من أفراد اتكمشوا فى زاوية منه ، هم الخلص من الاصدقاء ، ومن يجبرهم حيلوهم الانسانى على ان يسرفوا فى المجاملة .

وادار الشاب المحزون عينين نزف البكاء دموعهما ، ثم هز راسه هزات اسيفة ، انبعثت من افوا المحيطين به عبارات مواسية ، بيد انها كانت تسكب على قلبه الجريح نارا يزداد بها الالم سورة مكتومة !

ـ هذا قضاء الله .. فيجب ان تقابله بالتسليم والصبر ..

ـ دا حال الدنيا .. والمتغطى بها عريان . ايامنا فيها معدودة !

وقال رجل مسيحى : يا اخى . لقد تركتك رجلا .. « والموتى يدفنون موتاهم » !

وتحرك لسان الشاب بكلمات خفيفة لم يقصد بها ان تبلغ سمعا :

ـ هذا حق . لكن ماذا افعل ، والحزن يسرى فى جوانحى مسرى النار ، ويأكل احشائى ؟ ! الفراق صعب ياناس ! حتى العجماوات لا تطيقه .. وما اكثر ما يرتفع ثغاء الحمل حين يفصل بينه وبين امه ..

ثم بات الصمت ثقيلا ، وكانت تبدده التلاوة التى « ختمها » الشيخان .. فوجد الباقون مندوحة لذهابهم .. واحد من اصدقائه فقط هو الذى عرض عليه ـ فى الحاح ـ ان يبيت معه .. لكنه اصر على الاعتذار شاكرا .

« ايه ! كان اولى بان يفعل ذلك اخوك « هشام » الذى ما كاد يفرغ من مراسم الدفن حتى اندفع الى سيارته زاعما انه مضطر الى العودة سريعا ليجرى « عملية » لاحد مرضاه فى « القاهرة » !

بهذا حدثته نفسه فزجرها ولكنها مضت هامسة :

« تعز ـ تعز فلا شىء يبقى على

حال واحدة . بكيت بالدمع او بكيت دما . ولن يرد البكاء مافات .. لن يرد الحياة الى امك . لقد ماتت . ماتت .. ولن تستطيع ان تهضم فكرة الموت يا تعيس » !

ودلف الى مسكنه تقيل الخطوات مخلدا الى الارض تتوالب اشجانه بين عينيه ، ومن صدره تصاعد زفرات حرى ، وتعيد الى راسه خواطر .

انه سيرافق الظلام ووحشة الفرد منذ الليلة . الشمعة التى كانت تؤانسه وتنير حياته ذابت ، وستمتلىء ايامه باحساس يهدم . احساس بانه ضائع . ضائع كقطعة من الخشب فى محيط هائل . بل انه يرى الاحياء كلهم كذلك الآن . يراهم قطعا من الخشب تلتقى فى بحر الحياة لتفترق كل شىء حوله يزيد من صدع كبده الذى يترو بالحسرة والخوف والحنين ليت البشر ابقوا على عادة اكل موتاهم .. لما اروع ان يعيش الانسان فى ميته ، او يعيش ميته فيه . . ! واضاء مصباح الردهة ، فظهرت منضدة مستطيلة بعثرت عليها لوحاته الهندسية ، وادواته . . وابتدرته نفسه الواجمة :

« يا احمق . ما الفائدة ؟ انت تبني « والحياة » تهدم .. فلم ترضى ان يذهب عنائك باطلا وقبض الريح ؟ »

واشاح فى ضيق ، وترك بصره ـ الساذر ـ يعانق ما يحويه المكان من اشياء ، امست تهيج وجدا كامنا وذكريات .

سريرها ، والعنوان القائم بمرآة غير مجلوة ، و « الكومدينو » تشغل رفعته الصغيرة زجاجات الدواء ، وطيف ابتسامة ترف على شفتين ذابلتين .. وجسد متطرح يدب فيه الفناء عاوا وسفلا ، ويبدو فى اعياله ، واصفرار اديمه الف شاهد على قرب النهاية .. !

وسبحت خواطره مبتعدة به عن يوم الفاجعة ، واستغرقته صور من امس ولى .. صور جعلت نداءه ينطلق حنونا ضارعا : امى .. امى ! ولكن قسوة الصمت البارد نبهته الى حقيقة موقفه . فلاذ بسؤال ليتخلف من ثقل ما يعانى : ترى هل يوجد الرجل الذى لا تكمن فى اعماقه الطفولة مهما يكبر ؟ !

وكان الجواب بكاء فى عبراته ذوب نفس والهة ، تود لو كان قبر الام غير قصى . اذن لقضى ليلة الفراق الاولى على مدخله ، يرنو اليها ، ويلمسها قبل ان يحيلها التراب الى تراب . جنون ؟ وما فائدة انتفاعه بعقله وقد تركه فى محنته امام هذا اللغز وامعن فى التقهقر ؟

لقد كان طفلا يوم راى اول ميت .. انحمته سذاجة الطفولة من ان يكابد مثل هذا الاسى الذى يفرى الضلوع

الطفولة ؟ ماذا عساه يحفظ لها فى راسه من مباهج ؟ مباهج ؟ انه يهذى انه لم يزل يجهل بعض مامر به فى تلك الايام البعيدة .. نعم لم يزل يجهل اذا لم يكن له اب ينادبه . اب يرفعه الى صدره ، ويضمه ويحبه ؟ !

ان عملية تذكر بسيطة تغمره فى شقاء سرمدى حالك ـ شقاء طفل كان ابوه من نسج خياله وفى هذا الخيال كان الاب يقبله ، ويحنو عليه ويعانقه ، ويعطيه الحلوى ، وكان الطفل ينادبه فى وحدته مثلما ينادى

لذاته الاطفال آباءهم .. ويقول له قبل ان ينام :

بابا .. هات لى معك « طيارة » .. بابا .. هات لى .. هات لى .. وزفر وتمنى .

وتمنى لو كان النسيان محا ذلك ولم يبق عليه .. وتمنى لو كان النسيان طوى ما حدث له قبل ان يبلغ العاشرة من عمره .. حين اوقف — بعد سفر طويل — امام جثمان ساكن ، وسمع المرأة التى كان فى كنفها تقدمه الى امرأة اخرى ، والى صبى ، كانا يجلسان قريبا من الميت ثم تقول له : هذه امك ، فقبلها . . قبل يدها . وهذا اخوك ، فسلم عليه .. ومن يومها تحول الى بيت آخر تما فيه جسمه وحبه لتلك التى ظلت تغمره بالحنان ، وتصونه بالرعاية الى ساعة الحشرجة ! اما من هى المرأة التى عاش فى كنفها حينا ؟ فكل ما استطاع ان يعرفه من امه : « انها كانت خالتك » !

وفاءت اليه نفسه ، فعجب لشباته الذى عرف به اين راح ؟ ! لقد افترسه وقع القضاء ، وتركه صحيحا لفعال المجانين . فقام يدور فى الغرفات ، ويشم ملاءة سريرها بما تحمل من رائحة الموت ، ويقبل المسبحة ، ويثبت حملاق عينيه على صورة امه المعلقة داخل اطار كبير ، ويمعن فى ذلك حتى يخدعه بصره ، فيتوهمها تبتسم له ، ويحس فى نظرتها الاشفاق ، والرثاء .. وكان يضاعف بحركاته اشجان صدره ، وآلامه .

وفى احدى دوراته ، وقف امام صوان اشيائها ، يعالج بابه حتى انفتح ، وترددت يده قبل ان تعبث بما فى داخل الصوان من ملابس وحقاق .. واخذته الرغبة فى ان يدفن راسه هنا ، فى هذه الاشياء التى يجد فيها ريحها . لكنه صرف عن ذلك لما وقعت يده فى زاوية بعيدة على كراسة صغيرة ، توهمها « دفتر توفير » .

فاشتاق ان يرى كيف كانت امه تحسن تدبير اموره ، وتخفى عن كفه المخروقة ما ينعشه فى حينه ..

وجذب مقعدا جلس عليه ، ثم فر الاوراق ، فوجد حواشيها صفراء حائلة هشة .. وابصر كلاما لا اعدادا .. فداخله العجب ، واستحوذ عليه شك وحيرة .. وكان لابد من ان يقرأ البداية ، ليعرف الى اية حقيقة سوف تقوده ..

ولدى منصور

معذرة اليك اذا كنت ساواجهك بما قد تكره ، فحسبى انى اخفيت عنك هذا السر ، وعانيت وحدى عذاب كتمانه ، وعذاب الرهبة من ان ينكشف لك ، وانت فى بواكير ايامك ، فتتلف نفسك ، وتكون قد اخذت بحماقتى شرماخذ .. وكم حمدت الله وشكرت للمقادير انها لم تفسد ماهيات . . بل اعانتنى بالسنين الطويلة وبتغيير المدينة التى عشت فيها — صغيرا — على ان يظل خبرنا مستورا .

هل تذكر يا « منصور » قولك لى مرة : انك يا امى شديدة الوفاء لابى شديدة الاعزاز لذكراه — مع انه مات من زمن — فهل تكون مثلك كل امراة اذا مات عنها زوجها ؟

لقد الهيتك عن طلب الحقيقة — ساعتئذ — بدعوات لك مخلصة .. لان سر هذا الاعزاز والوفاء يابنى هو سرك الذى غيبته فى صدرى . .

انت لاتذكر الحرب الثانية وويلاتها

ونارها الموقدة التي كانت تطلع على الناس فتأكل حياتهم ، اما انا فاذكرها جيدا واهتز لذكراها البشعة اهتزاز القصبة الجوفاء تحت ريح عاصف . لان ما كان ، كان فى ظلام احدى لياليها المشئومة .. بعد امور اجراها القدر

ان الصبية الفريرة التى كنتها فى تلك الايام ، كانت وحيدة مات ابواها تحت الانقاض بفعل قنبلة ، وغاب عنها زوجها ـ الضابط البحرى ـ غيبة طالت ، وانقطعت فيها رسائله ، وجعلت اليأس من رجوعه يقتل الامل فى عودته ، واستحكمت حول تلك « الفتاة » حلقات الفزع ، والخواء ، وبصرت بذئاب تتنسم رائحة الفريزة فى الانثى .. ثم زين لها بعض صديقات السوء التجربة .. فصبت بليل .. ولما اصبحت ، تاه الرجل الذى وضع البذرة فى بطنها .. ابتلعه زحام عريض .. واحتوانى الندم !

تلك هى المرأة التى كانت يا بنى .. ثم جمع الله الشتيتين .. فعاد الى زوجى . . ذاك الذى وقفت امام جثمانه قبل ان تبلغ العاشرة . . و . . . وكان من صلبه « هشام » اخوك .. !

ماذا اقول يا بنى ؟ .. ماذا اقول ؟

هل ... ؟

ولم تمض الرسالة بعد ذلك الى نهاية واضحة ، لان خطوطا ثقيلة ضربت على سطورها لتخفى الكلمات وانتصبت علامات الالغاء مؤكدة النية فى هذا الاخفاء .. فاشتد الولوع بالرجل الجالس الى ان يعرف ما القى عليه الغموض ظله من هذا الكلام .. وجعل يقرب المصباح من الورق تارة ويدنى الورق من المصباح تارة اخرى وتغريه كلمة يتسقطها ، ببذل المزيد من الفحص ، والتفهم .. ولكن السطور تحولت الى طلسم اعياه ان يفك رموزه تفصيلا لا جملة ، فاغمض عينيه مكدودا ، وترك عقله يمضغ آخر سطر وعاه :

« . . ترى باى عين ستنظر الى الدنيا يا بنى ، بعد ان تعرف انك ؟ »

* * *

وافاق ـ على سكون خيم بعد انقطاع المطر وهدوء الريح ـ الى نفسه ، واخذت الفشاوة تنجاب عن وعيه شيئا بعد شيء ، ويعود الى عينيه بريقهما الذكى المدرك .. لكنه احس راسه ثقيلا تركض فيه خواطر غامضة وتزدحم ، واحس صدره مكروبا يزخر بانفعالات تجمجم طى احنائه مختلطة عنيفة .. وساوره العتب على تلك المرأة التى اضمر لها فى مهجته انبل عاطفة واعمقها وكانت له اما وامنا ، وصديقا ..

تمنى لو كان سره مات معها فى صدرها .. أو لو انها ابادت هذه الاوراق اللعينة قبل ان تقع فى يده . واوشك ان يجنح الى المغالطة المتغابية فيما فهم من السطور المضطربة ، وان يكذب ويكابر فى نفاق ، ولا مبالاة ، ويمضى بالكلام على غير وجهه ويخادع .. فيزعم لنفسه ان انسانا آخر هو صاحب ذياك الماضى الدنس ..

ولكن صوتا تردد فى سمعه الباطن: هيهات .. هيهات .. ! فاربدت مشاعره ، وتقبضت اعصابه واعتصر كيانه ما يشبه الم المخاض . انه فى اقسى محنة صادفته . محنة الاختيار التى يبتلى بها الانسان المفكر ، وقد تشاجنت امامه مذاهب الحياة .. واختياره ، اما ان يرتفع به ، واما ان يغور معه فى ضلال التيه .

ومرق سؤال امه ـ كالشهاب ـ مخترقا حالك همومه المتراكبة : « .. باى عين ستنظر الى الدنيا بعد ان تعرف ؟ .. » .

فهمهم كالحالم : ذاك ما يعنينى الآن !

وكانت حبات من العرق تعلو جبينه ، والنجوم فى رقعة السماء تنظر وتنتظر .. وعجب لعقله الذى انصرف بغتة عما هو فيه وشط الى امور تناءت وفرغ منها .. ذكره عقله بمصادفة اجبرته على ان يتحول من دراسة الفلسفة التى كان مولعا بها الى دراسة الهندسة . وتضايق من هذا السخف .. فاجمع امره ليحول بين خواطره ، وبين التمادى فى الولب الى هنا ، والى هناك امعانا فى التهرب

وتساءل : ترى هل يكون جبانا ، لينغض راسه الى الحقيقة التى دفع بها القدر لتعيش معه ، أم يقابلها بالصبر والتدبير ؟

انه ابن خطيئة صنعت حياته فى لحظة .. فهل يتركها تضرب بينه وبين المستقبل بسور ليس له باب ؟!

لكن ما حياته ؟ بل ما حياة كل الناس ؟ أليست هى الايام والليالى والعادات ؟ أجل العادات .. حتى امه كانت تدرك هذا فى بدهياتها وتقوله له مرارا : « كل شىء حسب التعود يا بنى » .

وهو قد تعودها . تعود امه . . وعودته هى ـ بالتكرار ـ ان الرجل الذى مات ابوه .

ومهما يكن فما الذى يريد ان يصنع بحياته هو ؟ هل يكتفى منها بالاعوام التى عاشها .. ؟ !

ونبح كلبه الصغير داخل تعريشته فانزعجت لندائه خواطره ، وتفرقت ثم عادت تتشاكل من جديد .

وقالت له نفسه :

ـ هذا الكلب ما قيمة حياته ؟ ماذا يعمل بها ؟ هل يشقيه ان يعرف ماهو واين هو ؟ ..

وقال يجيبها :

ـ لا .. لا اظن ، ولا احسبه يعرف قيمة حياته الا فيما يؤديه بها . . ثم لا يعنيه اين يكون او ما يكون ! حياته هى الوفاء والحفاظ والسهر .

والتفت ناحية الكلب يخاطبه : ياه ياصديقى الصغير . انت تفعل كل ذلك مع انك تجهل من اى صلب انحدرت ! تعمل ، وتسعد ، وتعطى اكثر مما تاخذ ، وبهذا تستحق ان تعيش .

فلماذا ينتظر منى انا ؟ انا ؟ انا الانسان ؟ ! ..

احس ان الانفعالات التى كانت تضرب جوانب صدره ، قد اخذت تتهادن ، وتستقر تحت لواء ارادته ، وان التجربة التى ادخل فيها يوشك ان يخرج منها بمغنم .. وامد العزم همته بالقوة . وكانت اوراق امه لم تزل مبسوطة امامه ، وفى نهايتها لمحة ناصعة ، سطور بيضاء ، اوحى اليه بياضها شيئا .. فتناولها بهدوء ، وجعلها جذاذا .. ثم نهض الى النافذة ففتحها ، وبكل قوة ذراعه طوح كلاما اسود . . ووقف يتمطى ويملأ صدره بهواء ندى فيه رائحة المطر .. ورفع راسه الى السماء فلمح فى رقعتها نجما يبتسم وتنور من بعيد ضياء صادقا أخذ ينتشر ، ويعم الافق ، فتهللت روحه وشعر كانها تدف فى صدره كطائر يهم بالتحليق ، وتسمع الى وشوشة لطيفة حانية ، خالها تنبعث من شفتين وراء القبر ..

وشوشة تقول لوجدانه :

انظر يا حبيبى . انظر . . انه الفجر ..

محمد هرماوى

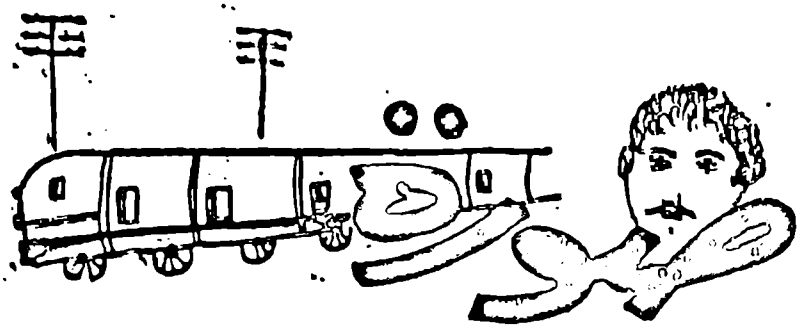

جلس ايوب ينظر من نافذة القطار وقد أمله طول الطريق

وكان القطار هادىء السرعة اذ لم يبرح المحطة الا منذ لحظات

ولوجيء بمفاجأة جعلته هو والجالس الى جواره يرفعان عيونهم عما اشتغلا به لتلف فى سقف الديوان

لقد دخل عصفور صغير واخذ يدور ويدور ثم استقر به ان طالت به الدورات على حافة شبكة الامتعة

وابتدر ايوب يقول « مسكين .. سيجد نفسه وحيدا حين ينزل فى المحطة القادمة »

وضحك الجالس الى جواره ووجدها فرصة سانحة ليقدم له نفسه « سمير محمد طبيب اسنان »

ودار بينهما حديث متشعب انتهى بغير قصد الى الزواج

وقال الدكتور سمير « انا لست ضد الزواج يا استاذ ايوب ولكننى احس أولا اننى فى حاجة الى الحب .. اننى ظمىء اليه .. أود أن اشعر بتلك الحالات الغريبة التى يحس بها العشاق .. اريد ان اقول كما قال صاحب بثينة :

يموت الهوا منى اذا لقيتها ويحيا اذا فارقتها ويعود

وضحك ايوب وقال : « يا دكتور سمير .. الزواج نعمة كبرى .. الزواج هو استقرار الحياة .. اسال المتزوجين يارفيقى تجد معنى جنة الدنيا متلالئا فى عيونهم والشهد يقطر من كلماتهم حين يتحدثون عن زوجاتهم .. حرام ان يدفن الانسان عمره بين احضان الوحدة والعزلة

فقال سمير « ولكن هناك عقبات كثيرة ليس اقلها العثور على الزوجة الصالحة .

واجاب ايوب فى انفعال « ليست هناك عقبات لمن يقتنع ويصمم .. تلك ليست سوى اوهام واكاذيب .. ان على الشاب أن يعجل ويتقدم فالزواج سنة الطبيعة .. وهى والحق يقال سنة رقيقة جميلة .

ووصل القطار .. واصر ايوب ان يصحب سمير الى منزله ليقيم لديه الليلة الوحيدة التى سيقضيها بالقاهرة

وقال مرغبا « لسوف نستريح قليلا ثم نخرج سويا لنتناول العشاء معا فى افخر مطاعم القاهرة .. ذلك ولو كان على حسابك ولكنه الذى سنحدث .

واجاب سمير « تحت امرك ياعزيزى ولكن لم لا نتناول ما بالمنزل كيفما كان .

فرد ايوب ضاحكا « ليس بالمنزل شىء فانا لم اتزوج بعد

ونفر سمير فاه دهشة .. فقد كان ايوب يقارب الاربعين .

ونفر سمير فاه دهشة .. فقد كان ايوب يقارب الاربعين .

« بقية المنشور على ص ٩٣ ـ لقاء على موعد »

الجديد : اشتراكية الثقافة ، نابعا من مبدأ : الفن والحياة ، فهذه المدرسة الادبية تدعو الى قيام ادب جديد وفن جديد موصولين بالحياة . وحياتنا هى حياة الشعب وحياة الجماهير . وتحت هذا الشعار الكبير كتب ابناء هذه المدرسة من القصاصين والشعراء والادباء كتاباتهم الموصولة بالحياة معبرين عن معنى الاشتراكية تعبيرا كاملا من حيث هى عدل كامل .

ان الذين درسوا الملاحم الشعبية من الامناء كانوا يعبرون عن حياة هذا الشعب .

انّ الذين جددوا الشعر وكتبوا عن الفلاحين كتابات الانتصار لا الثار فى دنشواى كانوا من ابناء هذه المدرسة ، وكانوا يعبرون عن حقيقة الاشتراكية التى روتها دماء زهران فلاح دنشواى المشنوق .

ان الذين كتبوا قصص الحرية والنضال ، وصوروا جماهير الشعب فى آمالهم وآلامهم كانوا يعبرون عن تطلعات الشعب للحرية والعدالة .

ولست رايد ان اذكر اسماء الامناء الذين شاركوا فى اذكاء نيران الزحف الشعبى عن طريق الكلمة .

لقد كان هذا اللقاء مع هؤلاء .. لقاء على موعد .

لقاء على منهج لن نحيد عنه .

وموعد مع فجر جديد للادب الموصول بالحياة .

الشعب المصرى

كما يحسه ويراه مصرى

● الورقة الصفراء التى تملأ الطرقات فى الخريف .. هذه الورقة وعى نضج فسقط .

● ما اكثر الاوراق الصفراء الصريحة التى تسقط لتدع الحياة لغيرها من الاوراق الخضراء .

● مصر شجرة سامقة تجدد أوراقها كل خريف

● الاشجار والاوراق كائنات طبيعية صريحة

● الورقة تبقى خضراء ما دامت فى الشجرة فاذا اصفرت سقطت

● والشجرة سامقة تعتز بوفرة الحياة التى تدب فى عروقها وبفسحة هذا المكان الذى تقف فيه تتأمل الكون فى استغراق صوفى .

● ولكن انسان هذه الحضارة لايحب الصراحة ولا الوضوح ويكره النور كما يكره الحياة .. انه يحيا ويتحزك فى ادعاء اجوف فارغ .

● ان الشجرة الحية تتشبث بأوراقها الخضراء اما الاوراق الصفراء الميتة فتسقط وتدوسها الاقدام .

● الشعب المصرى صديق النهار وشاعر الليل .. فهو شعب عالم عامل .. وهو ايضا شعب حالم .

● الشعب المصرى يجمع بين الواقعية والمثالية فى مزاج انسانى واحد متكامل .

● الشعب المصرى يجمع بين الدنيا والدين . . ويجمع بين الاولى والآخرة .

● الشعب المصرى يعمل لدنياه كانه يعيش ابدا .. ويعمل لآخرته كانه يموت غدا .

● بنى الشعب المصرى — هذا الشاعر الرياضى — الهرم حتى وصل الى القمة .

● من قمة الهرم انطلق فى وثبة سعيدة الى السماء

● من قمة الهرم انطلق صوت الناقوس وتردد الأذان

● الشعب المصرى ذو نزعة صوفية عميقة اصيلة هى امشاعريته الرياضية التى بنت الهرم

● احب الشعب المصرى الاديان جميعا لان صلته بالسماء قديمة .. وهى ايضا عميقة .. عميقة .

● قديمة قدم النيل وعميقة عمق الفجر .

● احب اخناتون المصرى النور ، وعبد الله .. الواحد

● الشعب المصرى هو اول من عبد الطريق .

● النيل طريق فى صحراء .
● الهرم طريق نحو السماء .
● الهرم والنيل والسماء الزرقاء والشمس الساطعة هذه .. كلها الوان وعناصر مصرية صافية واضحة
● والنيل والهرم .. كلاهما طريق الى مستقبل

● والمستقبل هو الامل .
● والامل حياة ونور ووعى .
● الشعب المصرى صابر . . يحب الجمل الذى يمثل صبر الصحراء ويعطف على الحمار الذى يحمل التعبير عن الصبرا الزراعى .

● صبر الشعب المصرى صبر بحساب وهندسة وسياسة ، حساب فى البناء وهندسة فى التدبير وسياسة فى الحياة وفى السلوك
● صبر الشعب المصرى صبر نبالى .. صبر الثمرة حتى تنضج .. وصبر الزهرة حتى تقطف أو تذبل فتموت .

● صبر الشعب المصرى صبر صوفى .. صبر الانسان حتى يفنى فى حضن الالوهية ويغيب فى الحضرة الالهية .

● الشعب المصرى صابر لانه مؤمن

● ايمان الشعب المصرى بسيط يحرك الجبال
● حرك الجبل .. اصبح الجبل هرما
● كان الهرم ساعة تحدد للشعب المصرى الفلاح وقت البذر المبكر ووقت الحصاد المبكر
● الشعب المصرى صابر مؤمن فالح
● الفلاح صلاة الارض
● والفلاح قديس هذه الارض

● حى على الفلاح

● والشعب المصرى فى كل ازمانه الروحية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية ينادى السلام حتى استحال السلام فى لغته الشعبية الى اداة تعجب :
● ياسلام !
● السلام هو الجو النقى النظيف الذى يمكن ان تعيش فيه الحرية صافية سليمة .
● الشعب المصرى يحب الحرية ويعمل فى سبيل تحقيقها
● يميل الشعب المصرى الى الحزن
● حزن الشعب المصرى حزن صوفى يعبر عن الحنين الى حياة كان فيها اسعد واهدأ والى زمان كان فيه اعظم طمانينة وحرية وسلاما .
● يشعر الشعب المصرى بعهد يربطه بالحزن .. فعندما يجدنفسه مستغرقة فى سرور وضحك يعود فجاة ويردد بينه وبين نفسه : اللهم اجعله خير .
● والشعب المصرى حين يغضب يستعمل هذه الشتائم : قليل الادب قليل الحياء ، عديم الذوق ، وهذا يدل على تقديسه للادب والحياء والذوق .
● والشعب المصرى رومانسى وواقعى فى آن واحد
● ترجع هذه الازدواجية الى هذه الصحراء التى خرج منها والى الحضارة الزراعية التى يعيشها .. فهو يعيش بين ماض يشنده وحاضر يشهده
● والشعب المصرى يعيش حبا كبيرا .. حبا ينتظم الارض والسماء
● ومن هذا الحب الكبير ينطلق الشعب المصرى مرددا اناشيد الحرية والسلام

توفيق حنا

أزمة الجنس في القصة العربية

تأليف : غالي شكري
نقد : ماهر شفيق فريد

لا ادري على وجه اليقين لماذا اشفق كثيرا كلمـــا رايت الصيحات المتتابعة تتعالى من كل جوانب حياتنا الادبية ناعية على نقادنا اتجاههم الى الآداب الغربية ورجالها دون القاء كبير اهتمام الى ادبنا الحديث الذى يصنعه الكتاب منا يوما بعد يوم . ولعل مبعث اشفاقى ان يكون لهـذه الصيحات من الاثر ما يفسد الدرس الادبى الدقيق وهو الدرس الذى خالفت فيه المعاصرة اسوأ الآثار فكان لها من النتائج الفنية والاجتماعية مالازالت تشقى به حياتنا الادبية وتضطرب الموازين . والى هذه الآفة فى درس المعاصرين وما لابد وان ينجم عنها من سيىء الآثار اشار الامناء غير مرة وحذروا كثيرا فكان من قولهم فى ذلك :

(اما الدراسة العامة او الحديث المجمل عن اولئك الاحياء فلا تزال الادب عند رايها فيه مقدرة ما شكا منه القدماء والمحدثون من اثر المعاصرة ايجابا وسلبا ورغبا ورهبا هذا الى ان الدرس الصحيح الكامل لايكون الا بعد ان يفرغ المدروس من عمله ويتم البناء الذى وقف حيـاته على انشائه) (١)

وانما اسوق هذا بين يدى حديثى عن كتاب ازمة الجنس فى القصة العربية لاحيى فى الكتاب سلامة منهجه الى حد محمود ولارى فى مثـــل ماكتب صاحبه شجاعة فى الراى طالما شكونا من افتقارنا اليها والطل رغم ذلك احذر تحذيرا شديدا من مزالق المعاصرة ومساوئها وفى تراثنـــا الادبى الكثير الكثير مما يحتاج الى الدرس والتحقيق والتقويم .

غالى شكرى ناقد مبرز من نقاد الجيل الثالث فى هذا الحقل الادبى خلال العام الماضى بكتابه عن سلامه موسى وازمة الضمير العربى ثم ها نحن اولاء نراه فى هـذا الكتاب الذى نهلت صفحاته على الثلاثمائة صفحة يدرس قضية الجنس فى القصة العربية الحديثة ليحدثنا فى مطلع كتابه عن الجنس والفن والانسان محاولا النفاذ الى محور الفن منذ فجر التاريخ مستعرضا تطور مفهوم الجنس عبر العصور ليخلص من ذلك الى احديث عن ازمة الجنس فى القصة العربية من خلال دراسته لاعمال نجيب محفوظ ويحيى حقى ومحمود البدوى وسهيل ادريس واحسان عبد القدوس وعبد الحميد

---

١ ـ امين الخولى (مجلة الادب ـ سبتمبر واكتوبر ١٩٥٧) ص ٥٨)

جوده السحار ويوسف دريس وليلى بعلبكى وصوفى عبد الله وكوليت خورى ثم يختتم كتابه بالحديث عن مستقبل الجنس فى قصتنا .

ومن الواضح بعد هذا الاجمال ان الكاتب لم يكفه دراسة آثار المعاصرين وقد عمد اليها مختارا ولكنه يتعرض أيضا لمناقشة قضية خطيرة متشعبة الاطراف ذات جذور اجتماعية ونفسية واخلاقية ، وكما نجا من الخطر الاول الى حد كبير فقد وقف صامدا امام موضوعه العسير واستطاع الارتفاع الى مستواه ورغم ذلك احذر تحذيرا ثانيا من هذا التناول الموسوعى الذى لاتحده ضوابط واضحة مما ينفسح معه مجال القول انفساحا سائبا فى فترة نحن احوج ما نكون فيها الى التخصص والتعمق والدرس الدقيق .

والانطباع الاول الذى يخلفه الكتاب فى ذهن قارئه ان كاتبه يحيا فى مناخ فكرى خصب تزحمه الاقتحامات الذهنية والقراءات الواسعة وهو يصدر فيه عن نظرة علمية منهجية ترى فى الجنس قضية بيولوجية ذات ارتباطات كثيرة . واذا فالكاتب لم يجرد موضوعه ولم يتناوله باعتباره معلقا فى الهواء او كقضية فردية منعزلة ولكنه يتناوله فى نسيجه الاجتماعى والاخلاقى ، وهو ما يحمده له الامناء الذين رأوا فى الفن تفسيرا وجدانيا للحياة وتطلبوا فى النقد النظرة النفسية والاجتماعية والفنية الى النتاج الادبى المنقود .

ويلحق بهذه النظرة العلمية نتيجة ضرورية لها وهى صدوف كاتبنا عن الولع بالجزئيات ومناقشة التفاصيل ومحاولته المثابره الدؤوبة لتفهم رؤية كتابنا للجنس . وتكاد هذه المحاولة الفكرية ان تطغى على النقد الفنى الخالص عنده . وللكاتب ان يختار ما يشاء من منهج ولكنى احذر مرة ثالثة من المبالغة فى الاهتمام بالمضمون أو (وجهة نظر) اى كاتب من الكتاب ولا زلت أرى فى دراسة الشكل المجال الطبيعى والاول للنقد الادبى الجمالى .

يعتمد غالى شكرى فى فاتحة كتابه على كتابات طائفة من علماء النفس المحدثين كيونج وفرويد فيفيد من دراساتهم العلمية وان كان لايتقبلها تقبلا اعمى . وهو يفيد أيضا من الاديان المختلفة ولايتردد فى وصف قصصها بالاساطير دالا بذلك على حرية فكرية وشجاعة فى الرأى على حين يتحرز ناقد غربى معاصر كما كسويل من تسمية قصص الاديان اساطير فينفى عن نفسه اى تشكيك فى قدسيتها . (٢) وهذه الصيحة الجريئة التى يهز بها غالى شكرى النائمين والغافلين ليست الا امتدادا لما نادى به جيل الرواد فى العقود الاولى من هذا القرن ، جيل سلامة موسى وطه حسين وامين الخولى ، وغيرهم ممن رفعوا لواء البحث الحر الطليق وازاحوا عن المنهج العلمى ركام الغيبيات والاساطير الساذجة .

---

٢ - D.E.S. Maxwell: The Poctory of T.S. Eliot (Boutledg 1961) P. 118.

وقد كنت احب كيما يستكمل كاتبنا دراسته البيولوجية الميثولوجية الانثروبولوجية هنا ان يرجع الى كتابين هامين . اما الاول فهو (الغصن الذهبى) لفريزر واما الثانى فهو من الطقس الى الحكاية الرومانسية ، لجيسي. ل. وستون .. وهما مرجعان هامان لا غنى لباحث عنهما فى مثل هذا الموضوع . اذا اراد جلاء خلقية الانسانية البدائية .

ويذهب غالى شكرى الى ان الالوان الفكرية المتعددة تشكل ما يسمى بـ (روح العصر) فيستحيل على لون منها أن يعبر عن عصر سابق او حضارة اخرى ولا ادرى وجه الاستحالة فى ذلك فكم من مفكر يعيش بيننا فى القرن العشرين بجسمه ولكنه يعيش بعقله ومعتقداته فى ظلمات العصور الوسطى او كما يقول القائل :

(لايكفى ان يكون الفرد المعين قائما بيننا يتنفس هواءنا ويمشى على ارضنا ويشاركنا الطعام والشراب لكى نقول عنه انه كأى فرد اخر من حيث مشاركته لروح عصره فكم من رجل يعيش معنا بظاهره وباطنه مع عصر اخر يختاره عن العصور السوالف فهذا يعجبه العصر الجاهلى فيقف عنده بروحه وذلك يعجبه عصر بنى اميه او عصر بنى العباسى فيرتد اليه بمثله العربية وهلم جرا وانما العصرى بأوفى معانى الكلمة هو من شرب القيم السائدة فى عصره دون اى عصر آخر بحيث لو ارتد بمعجزة الى عصر سابق او عصر لاحق لاحس بالغربة الشديدة التى يؤثر عليها العدم) (١)

وحين يتحدث غالى شكرى عن الجنس فى الادب الغربى يشير اشارات سريعة الى ارتباطه بالتطورات الاجتماعية والاقتصادية كما انعكست على كتابات بوكاشيو وموليير وبلزاك وفلوبيروزولا وموباسان ولورانس وجويس وكالدويل وسارتر وزفايج وموراڤيا وساجان ونابوكوف ، وهو يصب جام غضبه على هذين الاخيرين فاحس وانا أقرا كلماته انه يشفى لى غليلا من قديم ، اذ هو هنا يضع الامر فى نصابه ويكشف عما فى كتابات هذين الاخيرين من تفاهة فنية وخواء فكرى (٢) ، ولكنى من ناحية اخرى اميل انى الاقتصاد فى الثناء على موراڤيا فهو لم يعالج الجنس معالجة جادة عميقة الا فى قصصه الاولى بينما نرى التجربة عنده تتسطح وتتميع كما فى اخر قصصه (السأم)

ومن الطبيعى ان يكون كاتبنا فى هذه الاشارات الى الادب العالمى مقتصدا غاية الاقتصاد والا اصبح الموضوع بين يديه كتابا اخر كاملا وعلى ذلك فنحن لايمكن ان نتطلب منه التقصى والشمول ولكننا نتطلب امرين

---

١ ــ د . زكى نجيب محمود (المجلة ــ اكتوبر ١٩٦١) ص ٢٨

٢ ــ ومن اسوأ ما وقعت فيه مجلة الادب منذ عهد قريب (مايو ١٩٦٠) تخصيصها ستة صفحات كاملات ــ من صفحاتها القليلة العدد نسبيا ــ لنشر تحقيق صحفى مع ساجان فهل يرى الامناء ان ساجان دخلت الصحف الباقية » ؟ وهلا وافونا قريبا بتحقيق اخر مع نابوكوف ؟

على الاقل ، الاول ان يختار الكاتب اهم الكتاب العالميين الذين عالجوا قضية الجنس ويترك الاقل اهمية .. والامر الثانى ان يختار من اعمال هؤلاء الكتاب اكثرها دلالة على موضوع البحث . ومن الواضح ان هذين المطلبين معا يتطلبان جهدا شاقا واستقصاء طبويلا وهو ما لا ارى ان المؤلف اتى به هنا .

فاما عن الامر الاول فالمؤلف يغفل كتابا يلعب الجنس دورا اساسيا فى اعمالهم مثل فوكنر وتنيسى وليامز بينما يذكر كتابا لاتكاد تكون لهم اية قيمة حقيقية فى معالجة الجنس مثل موليير ! واما عن الامر الثانى فالمؤلف حين يختار اديبا هاما مثل د . ه . لورانس لايعمد الى دراسة اكثر آثاره دلالة على نظرته الى الجنس ، مثل رواية الكانجرو مثلا (١) ولكنه يختار رواية (عشيق ليدى تشاترلى) وهو اختيار قائم على شهرتها وحدها لاعلى قيمتها الفنية اذ ان هذه الرواية ليست خير ماكتبه لورانس ولاهى اكثرها دلالة على اتجاهاته (٢) .

وعلى الرغم من ان المؤلف يبدى اجتهادا فى دراسة فلوبير الا انى اختلف معه فى بعض النقاط فهو يقول مثلا (لاشك اننا نضحك كثيرا اليوم حين نعد على اصابع اليد الواحدة اللحظات النادرة التى صور فلوبير خلالها ما يحيط العلاقة الجنسية من مظاهر) وانا شخصيا لا ارى داعيا للضحك ففى رواية مدام بوفارى مواقف جنسية جاده صورها فلوبير فى صراحة تامة ، والى بعض مواضعها فى الترجمتين الانجليزية والعربية اشير هنا (٣) وقد بلغ من جراة هذه المواقف ان قال عنها بينار ممثل النيابة الذى ترافع ضد فلوبير :

(اكتفى بهذا القدر من النقل فلعلكم عرفتم الان اللون الذى اضفاه المؤلف على لوحاته التى صور بها شخصية مدام بوفارى فى صلاتها بعاشقيها بل وبزوجها . كل ما عنى به الكاتب هو الصورة البدنية ، الجمال الفاتن الاستسلام للغريزة الجنسية واشباع الشهوات والجسم الناعم الذى يفرى كل ما فيه بالمتعة الاثمة) (٤)

ومن الملاحظ ايضا ان المؤلف حين يسوق مقتطفاته من رواية (مدام بوفارى) يسوقها من الترجمة العربية التى نشرها حلمى مراد فى مطبوعات كتابى اى ان كاتبنا لم يبذل جهدا فى ترجمة هذه المقتطفات بنفسه . وبديهى ان احدا لايطلب منه ذلك ولكن كل المطلوب هو ان يذكر الترجمة التى ينقل عنها شواهد ، عملا بالامانة العلمية . واعتقادى ان مستوى

---

(١) Sir Hor Evans : A short history English Literature.

(٢) د . فاطمة موسى (المجلة ـ نوفمبر ١٩٦٢) ص ٦٤ .

(٣) انظر صفحات ١٠٠ ـ ١٠١ ـ ١١٤ ـ ١١٥ من مدام بوفارى لفلوبير ج ٢٠ ترجمة محمد بدر الدين خليل ـ مطبوعات كتابى وانظر فى الترجمة الانجليزية :
Flaubert : Madame Bovary, Translated by Allon Russell (The penguin classics 1959) pp. 275-293-299.

(٤) محاكمة فلوبير ـ تلخيص انطون العبيدى ـ مطبوعات كتابى العدد ٩ ـ ص ١٧٥

الترجمة لن يرتفع عندنا الا اذا اعتبرناها عملا له قيمته الفنية كالتاليف تماما واقرب مثال على ذلك ترجمة ادوارد فتزجرالد لرباعيات الخيام وهي الترجمة التى سار نقاد الادب ومؤرخوه يعدونها عمـــلا فنيا له كيانه الخاص . (١)

مما آخذه ايضا على المؤلف قوله ان رواية (حذار من الشـــفقة) لتولستوى وهى لستنان زفايج .

* * *

ها قد مضى علينا زمن طويل ونحن نتحدث عن الاجزاء الاولى من الكتاب ولما ندخل بعد الى صلبه ، ولا ارى المجال فســـيحا للاطناب ، فاكتفى بتدوين الملاحظات الآتية :

١ ــ الفصلان الاولان عن نجيب محفوظ ويحيى حقى خير فصـــول الكتاب وهما اللذان كانا ماثلين فى ذهنى حين تحدثت عن سلامة المنهج ، فقد تجاوز المؤلف فيهما طور الاعجاب الساذج الى الدراسة الموضوعية الجادة .

٢ ــ الفصل المكتوب عن محمود البدوى ممتاز ايضا وان كنت اختلف مع غالى شكرى فى النتائج التى توصل اليها ، وخاصة مايراه من ان ثمة مزجا واعيا بين الموت والجسد فى قصص البدوى ، اذ ارى ان القضـــية عفوية وتلقائية تماما . ولو كان البدوى قد تعمد هذا المزج لخـــرجت قصصه صناعية زائفة وهو ما لايقول به احد . انما تكمن قيمة هذا الفصل كما لاحظ نجيب محفوظ بحق ، فى انه اعمق محاولة عرفها ادبنا الحديث حتى الان لنفهم ادب البدوى بعد ان ظل النقاد غافلين عنه طويلا وان كان هذا لاينكر ان ثمة محاولات سابقة لتقويم ادب البدوى (٢)

٣ ــ الفصول المكتوبة عن سهيل ادريس والسحار ويوسف ادريس نماذج حسنة للشجاعة فى ابداء الرأى .

٤ ــ الفصل المكتوب عن احسان عبد القدوس تحت عنوان (الرجل والمراة واحسان ثالثهما) رغم صراحته القاسية ورغم مابه من عبـارات كان غيرها اولى منها يؤدى دورا هاما فى تقويم ادب احسان تقويما جادا لاول مرة اذ انه يخلص الى انه فى كل كتاباته صنع شيئا لا هو بالصحافة ولا هو بالادب ولا هو بين بين .

٥ ــ الفصل المكتوب عن الضياع الحائر بين ليلى وصوفى وكوليت

---

١ ــ انظر مقدمة محمد فريد ابو حديد لترجمة مكبث ــ ط دار المعارف ــ ص ٣ ــ ٤

٢ ــ انظر الى جانب رجاء النقاش الذى ذكره المؤلف : الادب فى يولية ١٩٦١ وديسمبر ١٩٦١ والمساء فى ١٩٥٩/٨/٢١ وفى ١٩٦١/٣/٥ والشهر فى نوفمبر ١٩٦١ فضلا عن ندواته البرنامج الثانى .

يضع النقاط على الحروف ايضا وان كانت الوحدة الموضوعية فيه تتصدع في غير موضع فيبدو الربط بين الكاتبات الثلاث فيه مفتعلا . ولا اريد الحديث هنا عن ايهن لانى اؤمن ايمانا عميقا بانه ليس لدينا ادب قصصى نسائى له قيمته وفى اعمال كاتباتنا عيوب فنية كثيرة سكت عنها النقاد وابرز الامثلة على ذلك ماكان من امر كوليت خورى فحين لم يجد لها النقاد حسنة واحدة سموا عاطفيتها الزائفة (شاعرية) والى هذا المزلق بالذات انزلق كل من حبيب الزحلاوى (الادب ديسمبر ١٩٦١) وفؤاد دواره (مجلة الاذاعة) وبنت الشاطىء (الاهرام ١٩٦١/٦/٣٠) وملك عبد العزيز (المجلة اكتوبر ١٩٦١) وقد احسن غالى شكرى حين سمى الاشياء بأسمائها ودعا كتابات كوليت اعترافات مريض امام طبيب نفسانى (ص ٢٨٨) .

* * *

ولعله اصبح واضحا مما سبق ان مواضع النقد فى كتاب ازمة الجنس فى القصة العربية تتركز على الحواشى والمقدمات اما متن الكتاب نفسه فهو كما قلت يدل على اطلاع واسع وفهم ناقد ، الامر الذى يمكن للمرء ان يقرر معه — وهو آمن — ان غالى شكرى احد الشباب القلائل الذين تنتظر حياتنا الادبية على ايديهم خيرا .

ماهر شفيق فريد

الشاعرة العربية المعاصرة

دراسة للشعر النسوى المعاصر

للدكتورة بنت الشاطىء

استاذة الأدب العربى بجامعة عين شمس

نشرة معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

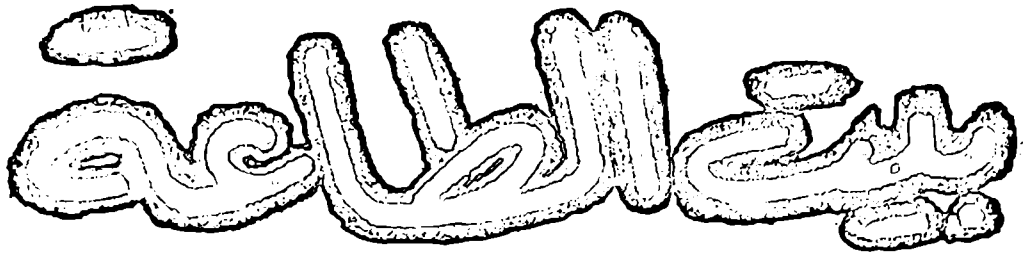

تأليف : نجيبة الفسال

نقد : علاء الدين وحيد

ظاهرة لا يمكن تجاهلها فى الحقل الادبى تعنف هذه الايام ؛ وهى كثرة الاسماء النسائية الناشئة التى تؤلف الكتب وتنشر القصص ، حتى أن سلسلة كتب شهرية ـ الكتاب الذهبى ـ أخرجت ثلاثة اعداد فى ثلاثة اشهر متتالية لثلاث كاتبات جديدات فى دنيا القصة . ومهما كان مستوى أمثال هذه المؤلفات ، ومهما كانت الحقيقة التى تختفى وراء الضجة التى لابست ظهورها ـ فلا شك انها ظاهرة تستحق التسجيل والدراسة .

والدعوى الاولى التى التمست فيها هذه الاسماء حقها فى الظهور هى او هو « الادب النسائى » . فهذه هى اللافتة التى حملتها كل واحدة منهن فى اصرار وصلابة واقتحمت بها الميدان . وكانها ارادت بذلك ان تعلن ان هذا هو السلاح البتار الذى تعتمد عليه وتدخل به المعركة . ونجحت هذه الاسماء ، او بمعنى ادق « شئل » هذه الاسماء فى ان تثير معركة صاخبة حول هذا الادب النسائى .

ولا زالت المعركة دائرة . .

وبعيدا عن هؤلاء الكاتبات ، وقبل ظهورهن على المسرح ، اختلفت الآراء حول الادب النسائى ، ففريق معارض ، ينفى ان هناك ادبا للرجال وآخر للنساء ، وانما هو ادب جيد وادب رديء . وفريق ثان يقول ، انه اذا كان يوجد اختلاف مميز بين اديب وآخر ، فالاولى ان يكون ذلك بين جنس وآخر ، فتركيب الانثى ومشاعرها والتعبير عنها اشياء تختلف كلية عنها فى الرجل ، ولا تعرف المراة الا المراة .

فاين الانتاج الجديد من الادب النسائى ، واين مكانه فيه ؟ وهل ظاهرة اليوم طبيعية او مصطنعة ؟ وهل هو ابن شرعى للمحصول النسائى السابق ، والخطوة الطبيعية فى سلم التطور ؟ او بمعنى آخر ، ايحمل قوة تدفع بادب المراة الى الامام ، ام انه يوقفه فى مكانه ، ويعمل بطريق مباشر او غير مباشر على قطع اسباب الحياة عنه ؟

ان اكثر ما نشر عن هذا التجمع الجديد من بنات حواء صاحبات

الاقلام ، يعلن ان فصيلة دمه ليست من نوع فصيلة الجيل السابق من الكاتبات ، فلا يمكن بداهة أن يستعان به فى تجديد النشاط ، والا كان معنى ذلك كما يقول الطب عتل المريض لا شفاؤه وبعثه . لقد اخطات هذه الاقلام طريقها ، مغتصبة بلا وجه ولا حق ارضا ليست لها ، ولذلك فلا يجب أن نعترف بملكيتهن ، فليس الاستحواذ دليلا على شرعية الملكية . ومن الظلم اذن ان تتخذ من انتاجهن دليلا على الادب النسائى .

والفرق بين الجيل السابق من الكاتبات وبين هؤلاء ، ان الاولى كانت تجد ، مدركة عظم المهمة وقسوة الاقتحام وان الارض ابدا ليست ممهدة . وكانت من الذكاء بحيث انها لم تظن ان الموهبة هى كل شىء . فلا يكفى أن تقول للشىء كن فيكون ، بل عملت على ان تسلح نفسها بثقافة قوية دسمة ودراسة متخصصة عميقة فى الفن الذى تتعرض له . وقبل هذا وذاك عرفت جيدا ما تريده ، فرسمت لذلك تخطيطا تصل به الى اهدافها ، مؤمنة انه ليس بالقريب ، فلابد له من العمل المرهق الجاد والزمن الطويل ، والخبرة التى لا تنال بين يوم وليلة ، ولهذا وصلت .

اما الثانية ، فهى تهزل ، آخذة الامر « هزارا » واضاعة وقت ووسيلة الى الشهرة ، فتظن ان كل ما يسطره قلمها فهو الادب الخالد والفن المملاق ، مكتفية باضأل نصيب من الثقافة ، ظانة ان النشر تتويج لكفاح واعتراف بقمة وخاتمة لمطاف لا بدانيه . فكانت التفاهة والتخبط والسطحية .

فلا غرابة اذن ان تجد عمر بعضهن فى النشر لا يزيد كثيرا عن عام واحد ، ورغم ذلك فله الكتاب المطبوع .

وزاد الامر سوءا ، انضمامها الى شلل تفتح كما يقول حسين القبانى « الابواب المغلقة وتزيت الاقفال المزرجنة » ، فلم يكن من قبيل الصدف أن تطبع اكثر من دار نشر أكثر من كتاب لاقلام نسائية مبتدئة ، حتى بدا الوضع اشبه بمظاهرة لتهيئة الرأى العام القارىء لاستقبالها وحمله على الايمان والاعتراف بها ، والاسم .. ادب نسائى !

ومن الملاحظ أن معظم هذه الاقلام لا تختار صاحباتها من قوالب الادب الا واحدا بعينه للتعبير عما يجيش فى انفسهن ، وهو .. القصة .

لماذا ؟

لان المفهوم الخاطىء الذى يسرى بين الناشئين ، من ان القصة عمل سهل المورد قريب المأخذ . آتى اكله ، واشتركت الواقعية ـ بلا ذنب جنته المسكينة ـ فى تأكيد هذا المفهوم . فكان العبث الذى نراه ، والثغرة التى تسلل منها هؤلاء اللاتى يحاولن اليوم أن يتزعمن الادب النسائى الجديد .

وسبب آخر من اسباب هبوط القصة فى هذه الايام بوجه عام ، وتقع مسئوليته على صحافتنا ، وهو نشرها تحت اسم القصة اى كلام لا تجد له اسما او يتضمن حوارا او « منولوجا داخليا » ، او عنصرا آخر يدخل فى تركيب القصة . فقارىء الصحيفة اليومية والمجلة الاسبوعية غير المتخصصة لا يدقق كثيرا فيما يقرأ ، ولكنه يتجاهل هذا الاسلوب عندما يمسك كتابا . فهو لا يتهاون ولا يسمح باى نوع من التفاضى والتساهل بالقصة قصة ، ولعل ذلك يفسر لنا الدهشة التى تعترى البعض من المؤلفين ، عندما تفشل قصصهم التى جمعت من الصحف ونشرت فى كتاب .

وفى ضوء هذه النظرة نستطيع ان نقرأ مجموعة « بيت الطاعة » لنجيبة العسال التى تعد ـ الكاتبة لا الكتاب ـ من انضج القصاصات الجديدات . فى المجموعة ، ثلاث محاولات غير ناضجة لعمل ثلاث قصص قصيرة ، وهى : امل ـ بيت الطاعة ـ اكبر من الحب . وان كانت الاخيرة انضج من سابقتيها .

واظهر ما فى المحاولة الاولى ، ان الاضطراب يلحق بشكلها ومضمونها معا حتى يطمس معالمها التكنيكية القليلة .

يجيىء للبطلة خاطب توافق عليه الاسرة ، ولكنها تكتم حبا لشاب غيره ، فلا تجد منقذا الا ان تتوجه الى الخطيب برسالة تخبره بذلك .

وقد كتبت « امل » بنهجة تقريرية اشبه بلغة العرضحالات . ولاتخلو الرسالة كما لا يخلو طلب عرضحال الدمغة مما يتيسر كالعادة من حشو عبارات خطابية ـ تحاول ان تكون « مؤثرة » ـ تناسب المقام .

ومن الرفض القاطع الذى تقابل به نجوى الخطيب الممتاز ، كان من المتوقع ان يخفى هذا الرفض ، قصة حب كبيرة .. ولكن ماذا نجد ؟ .

نجد خيال حب ضعيف بل فاتر لا يقنع احدا ، لانه ليس غراما على الاطلاق .

وهذا هو الذى رفضت نجوى من اجله خطيبها الممتاز ..

وربما أحست الكاتبة بهذا الضعف المتهافت الذى لا يمكن ستره ، فالصقت بالعاشقة فى غير عشق بطولة جوفاء وملامح النبيلات الشهيدات لتوهم من يتطرق اليه الشك فى هذا الغرام ، بعنفه وصلابته ، فتقول على لسان نجوى فى رسالتها : « هل ما زال يحبنى مثلما احبه ؟ وهل ما زال الامل يراوده كما يراودنى ؟ .. وهل سيظل لى كما انا له ؟ او انى احيا فى اوهام . لكن هناك شعاعا يملأ قلبى . احساسا يغمر مشاعرى . هاتفا يهمهم فى اذنى دائما .. انه هو رجلى المنتظر .. وانى ساكون له يوما . قرب او بعد . مهلا .. مهلا . (ص ١٣) .

ونجيبة العسال فى سذاجة المبتدئات تحاول ان تستفيد بما يقال عن غريزة المرأة واسطورتها المريضة ، فتستخدمها فى اعجاب واضح ، ولكنها تجىء فى غير موضعها كالرقعة فى الثوب ، لقد حملتها اكثر مما تحتمل ، حتى ليتساءل القارىء ساخرا ، هل غريزة حواء حقا . بهذا الشكل الساذج الغبى الذى ظهرت به فى « امل » ؟

فبغريزة حواء تدرك البطلة ان السيد احمد « ما زال ارضا بكرا لم تزرع بعد » . كيف ؟ لقد صوبت اليه من الباب للطاق نظرة متحدية نافذة ـ كما تصفها هى ـ ، لم يتهاو المسكين ولم يركع على ركبته مقدما فروض الطاعة والولاء والعبادة ، بل أجابها بأخرى شامخة مزهوة وفاحصة مدققة ـ كما تقول هى ايضا ـ فأيقنت ان ترمومترها العجيب لم يكذبها الخبر !

اما « بيت الطاعة » ، فمن الكلمة الاولى الى الكلمة الاخيرة ، والمؤلفة تدفع القارىء ـ فى ظهره ـ بلا هوادة او رحمة الى الايمان بشىء واحد.. فساد النظام المعروف ببيت الطاعة . لا تفعل ذلك بفن كما يقول ابناء البلد ـ وليس من العجيب ان تحمل الكلمة نفس المعنى الاكاديمى ـ بل على على المكشوف ، حتى ليتحول العمل الادبى الى ثرثرة نساء حادة وليته كان تناولا عنيفا غليظا لهان الامر قليلا ، ولكنه دعاية صريحة مباشره تتخذ من شكل القصة اسلوبا للهجوم .

ان ما كتبته نجيبة العسال عن بيت الطاعة ، لا يزيد عن لقطات فوتغرافية للمرحلة الاخيرة فى نفار زوجين ، وعمل الزوج على الاستفادة بما منح من حق حتى يستعمله احيانا ظالما فى اكراه حليلة لا تحبه على السكن اليه ومعاشرته ، تماما كما يمكن ان تكتبها اية جريدة فى باب الحوادث .

القارىء ينتهى من صفحات « بيت الطاعة » وهو لا يعرف من اين نبعت مأساة الزوجين حتى وصلت الى هذه الدرجة من الفليان والكراهية والتازم التى بدات بها القصة .

ومما لم يرتح اليه القارىء المقابلة المصطنعة التى افتعلتها الكاتبة لمزيد من التأثير المتكلف ، وهى تقيم مبنى للسجن يجاور بيت الطاعة . ولم تكتف بذلك ليصل القارىء بنفسه الى ما تهدف اليه ، بل عبرت بتصوير مباشر عن مشاعر البطلة المعذبة لسكانه المعذبين .. وكأن نفسية المرأة التى يتهمها زوجها بالنشوز ويقسرها على حياة تأباها فى حاجة فى يد فنان ماهر الى مزيد من عوامل الاثارة ليبلغ ما يريد .

ومن التخبط فى قياس ابعاد الشخصيات ، ما حدث للمؤلفة وهى تحدد ملامح البطلة .. فهى فى بداية القصة تصورها فى صورة ساذجة

تناسب صبية فى الخامسة عشرة رغم انها زوجة ، وتعاملها على هـذا الاساس الطفولى .

●

واذا كانت القصة الفائتة لم تنجح فى ان تعرض علينا قطاعا فنيا حيا بل لقطات دعائية صارخة ، فقد عوضت لنا ((اكبر من الحب)) ما افتقدناه وان كانت اقرب الى الصورة منها الى القصة . فالقارىء يلمس نضج الكاتبة ، فالكلمات لم تعد مبتذلة عادية ، والاسلوب ليس متشنجا ساذجا ، والكلام الثرثار تحول الى فن ادبى يجذب اليه القارىء ويمتعه ويسكب ما يقوله فى نغم هادىء وكانه ضوء رقيق مجهول المصدر لا يصدم العين ، لا خطوات مجردة كانها مسائل حسابية . وكما كانت الزوجة لعبة الرجل فى « بيت الطاعة » فهى كذلك هنا ، رغم اختلاف الزاوية .

فبطلة « اكبر من الحب » زوجة سعيدة هانئة فى بيتها ، تزوجت بعد قصة حب عميقة . ليس فى حياتها مشكلة كبيرة تؤرقها وتخاف من آثارها . فكل ما يحدث من اختلاف عادى تعرفه البيوت جميعا ، لكن الزوج وقد تألم قليلا عندما رقيت الى ناظرة مدرسة ، فقد تجسد فى ناظريه الفارق بين مؤهله المتوسط ودرجته السابعة ومؤهلها العالى ودرجتها الخامسة ، ولكن هذا كله يذهب فى الغسيل كما تقول العامة امام العاطفة الكبيرة ولكنها تفاجا وقد غادرها الزوج الحبيب منذ دقائق بورقة الطلاق تزف اليها بطريق مبرى صارم يحف بها شرطى وموظف عن يمين ويسار . ويجىء الزوج بعد قليل لنعرف ان الاحساس المريض بالنقص قد لعب دوره تلريجيا فى الخفاء ، ففار من حبيبته وقرينته ، وهدم المنزل فوق راسها .

ولقد اخذت القارىء الدهشة ـ كما ارادت المؤلفة تماما ونجحت فيها ـ لموقف الزوج من زوجته الطيعة المحبة ، فهيام بطلة قصتنا الطبعة النظيفة من البنات اللائى خرجن من الحريم ، لاينافسن الرجل ويقلدنه اول ما يقلدنه فى اخطائه ومباذله ، بل يشاركنه فى متاعبه ويهيئن له راحة ناعمة يرتمى فى احضانها حيث الحب والحنان والراحة والفهم ، كما يلتمس فيه الامن والطمانينة والسند المعين .

والبطلة سلبية تماما ازاء الطلاق ـ هذا الحدث الضخم المزوع ، لم تفعل شيئا بالمرة اكثر من النهنهة والتسليم بالقدر ، ولعل ذلك يرجع الى أن المؤلفة لم ترد فى المقام الاول الا عرض صورة دقيقة معبرة للظلم الواقع على الزوجة المصرية المسكينة التى تستاهل الرحمة !

●

وفى المجموعة غير ما ذكرنا من قصص غير مكتمل ، ثلاث قصص جيدة ، هى : **لم ينس ـ الاعماق البعيدة ـ دقت الاجراس** .

الاولى قصة جيدة رغم انها ربما لا تحوز رضاء من يشترط وجود البداية والوسط والنهاية اساسا لبناء القصة القصيرة . وهى لا تتضمن حدثا خطيرا او تفصل واقعة مثيرة ولا تعبأ بلحظة التنوير .

اصدق وصف لها ، ان فيها شيئا دافئا الى القلب ، وهى لا تستمد هذا الدفء من موضوعها بقدر ما تستمده من الشكل باسلوبه البسيط الدقيق فى نفس الوقت . وما اكثر ما تتحول العواطف الحارة والاحداث العميقة فى يد بعض من يمسكون القلم الى كلمات باردة ميتة .

●

وتعرضت الكاتبة للعلاقات الزوجية فى ثلاث قصص استولت على معظم صفحات الكتاب ، ولعل هذا ما حمل الدكتورة بنت الشاطىء على وصف انتاج نجيبة العسال بانه ادب ربات بيوت . وهذه القصص هى : بيت الطاعة ـ اكبر من الحب ـ الاعماق البعيدة . وفيها جميعا كانت الزوجة هى الضحية . ولا اظنها مصادفة عمياء هذه التى جمعت معا صنفا واحدا من الرجال ، تتمثل فيه القسوة والوحشية والجهل واستمراء التعذيب .

ولا نستطيع ان نقول ان المؤلفة زيفت واقعا واختارت نماذج مريضة تندر فى حياتنا ، لانها لم تفعل ، ولكن هذا لا يمنع من القول ـ بان مجرد اختيارها لهذه النماذج التى تشير الى انحيازها لبنات جنسها . صبغ المجموعة بلون خاص يقربه من الادب الملتزم الدعائى .

و « الاعماق البعيدة » هى اعماق الانسان الذى لا يعرف حقيقة نفسه الا بعد تجارب مضنية وثمن باهظ ، والانسان هنا ـ فتاة عاطفية عاشت فى مأساة صنعها اب قاس متطو على نفسه وام رقيقة محبة للمجتمعات . وكان لابد لهاتين العقليتين المتباينتين والمزاجين المختلفين من الاصطدام فاصطدما . واصاب شظايا انفجارهما ابنتهما الصبية . فانعكس على سلوكها جو البيت المشحون دائما بالقلق والتوتر والحرمان والغيرة .

غاصت نجيبة العسال فى اعماق النفوس التى تبدو سطوحها لا تحتمل الا بالمؤثرات الطيبة السعيدة ، لتقدم لنا عالما شقيا فيه القسوة والعمق والخيانة .

وليس من اليسير الاشارة بشىء من التفصيل الى احداث القصة ، فهى من الكثرة بحيث تنوء بها قصة حتى ولو كانت اكبر من قصيرة ـ ١٠٤ صفحة ـ ولعله كان يزداد حظ المؤلفة من النجاح لو لم تحشدها وتفرعها ـ بهذا الشكل ـ من الاصل كما فعلت ، ولعل الاكثر دقة ان نقول ان اهتمامها بالاصل كان بنفس درجة اهتمامها بالفروع وفى نفس المستوى ، ولذلك بدت جميعا امام عين القارىء لامعة اكثر مما يجب ،

تتنافس فى جذب اهتمامه ، وكان كلا منها ـ لو اتسع لها المجال ـ تريد ان تكون قصة كاملة .

لقد كان اختيار نجيبة العسال لبطلة « الاعماق البعيدة » فتاة عاطفية مراهقة اختياراً موفقا ، لا لان كتاب القصة عندنا لا يحفلون بشخصيات المراهقين ، فما اكثرهم فى قصصنا ، ولكن لان الندوة من قصاصنا ـ كما صنعت نجيبة هنا ـ هم الذين لا يتناولون المراهقة من زاوية الجنس المثيرة .

ان الشاب او الفتاة فى سن المراهقة وخاصة اذا كان عاطفيا ، يظن أن شخصه مسئول عن كل من يتصل به من احياء ، وبالذات فى مجتمعه الصغير فى عائلته ، فيوطن نفسه بكل ما تحمل من حرارة وعاطفية ومثالية على اصلاح الفاسد وتقويم المعوج . وهكذا انغمست بطلتنا فى اكثر من مشكلة تتصل بابيها وامها واخيها وبشخصها هى ، حتى تضعضعت تحته ثقلها وانهارت اعصابها .

والحكم الصارم على الاحداث سمة من سمات المراهقة والعاطفية ، ولذلك كثرت احكام فتاتنا . والامر كذلك بالنسبة الى أخذها امور الحياة ببساطة ، فالمراهق او العاطفى هو الذى يفعل ذلك ولا يقف الا عند الظاهر ولا يكلف نفسه مهمة الغوص الى الاعماق لاكتشاف ما قد يكون مختفيا ، فالاهتمام يعنى الحب والكلمة الطيبة تعنى الرقة وهكذا . ولهذا السبب كثرت الصدمات التى لحقتها من جراء هذه النظرة السهلة . ولعل اغماؤها اكثر من مرة يفسر لنا هذه الطبيعة ، فقد اغمى عليها فى البحر وهى تسبح تجاه الضخرة التى وجدت عليها امها وكامل . والمرة الاخرى وهى فى الجامعة وقد تكهنت بما يمكن أن يكون بين رأفت الذى كانت تعده بينها وبين نفسها اكثر من صديق وبين ليلى صديقتها .

●

واختارت الكاتبة لقصة « **دقت الاجراس** » موضوعا حيويا يتجسد فى حياتنا لانه مظهر من مظاهر تماسك العائلة المصرية وارتباط أفرادها ارتباطا وثيقا ، وذ دلالة على مشاعر رقيقة وبطولة متواضعة وتضحية باذلة يتميز بها ابناء بلدنا .

يسقط رب الاسرة وهو يسعى للقمة العيش ، فلا يجبن افرادها ويتجه كل وجهة يرضاها ، بل فى عزم وفدائية ينهض من يستلم اللواء متجاهلا مصلحته الخاصة التى كثيرا ما تضر بموقفه هذا ، متناسيا سعادته الشخصية فى سعادة من يعول . ويقوم « بالواجب » خير قيام حتى تصل السفينة الى خاتمة رحلتها ، وعندئذ فقط يفكر فى نفسه ، ويفاجأ بأن الايام الكثيرة التى مرت باعدت بينه وبين الانتظام فى حياته ، وان الفرص نفدت او قاربت النفاد ، ونادرا ما ينجح فى التعلق بالعربة الاخيرة من المحطة الاخيرة .

ورغم ذلك ، فهذه الفدائية لا تشحب ولا تموت ، بل تجد دائما مزيدا من القوة والايمان والمريدين .

فى هذه البيئة ظهرت نعيمة بطلة « دقت الاجراس » .

فهذه القصة تفصح عن مشاعر انثى عرفت الهوى بعد ان اضاعت كل شبابها الغض واكثر شبابها الاخضر وهى تقوم على تربية الاخوة ورعاية الام الذين تركهم الاب بلا اطواق نجاة فى بحر الحياة المتلاطم . اخرجت الحب من حياتها ووأدت احلام شبابها وتجاهلت نداء القلب الخافق بين الضلوع .. وحتى بعد ان ادت واجبها لم تفر طريقها ، ربما لانها لم تفكر فى ذلك ، وربما لان السنين الطويلة انستها ان لفؤادها وبدنها عليها حقا ، فلم يخرجها من هذا الطريق ، الا هزة قوية تبدت فى ظهور صديق قديم قدم لها قلبه وحبه ، ورغم احتفالها بهذا الحب ، فان سعادتها لم تكن كاملة ، فهناك قلق يساورها وينغص عليها هناءها ويفسد عليها ساعات اللقاء مع صاحبها ، حتى لا تجد بدا من الافضاء له بهمها آخر الامر . . انها تكبره بعشر سنوات . ولكنه يهون عليها ويخفف عنها ما تحمل من هم ، فالحب كما لا يعترف بمال لا يأبه لفارق سن . فيهدأ قلبها ويركن تماما الى الاطمئنان عندما توافق عائلته مرحبة بمشروع اقترانه بها . ولكن ذلك ينهار كله اذا اعلنت النبأ السعيد الى أمها « ده عيل يا بنتى . لو كنت اتجوزتى كان زمانه حا يتجوز بنتك » ، وتؤنبها صديقتها فى لهجة تحذير ، وهى قد دعت دروس الواقع التى علمتها الا تحلق فى الخيال وتستمسك بالسحاب . ادركت وهى تستشرف الافق البعيد ان اليوم اذا كان يسندها فالغد سيتخلى عنها .. انها تملك الحاضر بما تحمل من جمال وانوثة ، لانها لا تزال فى خريف الشباب بعد ، ولكن ماذا بعد عشرة اعوام حينما تصل الى الخمسين ، وهو فى عنفوان رجولته .. فى الاربعين . ان اليأس والفتوة لا يجتمعان ..

* * *

ورغم هذا كله ، فنجيبة العسال ـ وليس هذا بطبيعة الحال من قبيل جبر الخواطر او استعمال كليشيه معد لمثل هذه المناسبة ـ لاشك فنانة يرجى منها فى قابل الايام ، والزمن ينضج ، خيرا للقصة القصيرة .

الطريق

انطلق فجأة صفير حاد متقطع مزق سكون الليل .. ففتحت سلوى النافذة واطلت منها وقد تدلى النصف العلوى من جسدها البض الى الخارج كانت رائحة البنفسج تملأ الجو بعبيرها الجميل ، الا ان اشعة الضوء الخافتة التى تسللت من المصباح خلال النافذة سقطت على الاشجار الضخمة تلفة صفة دينية تجعل من يسلك التى تملأ المكان فخلفت وراءها ظلالا رهيبة . وانطلق صوت سلوى بما يشبه الهمس .. انتظرنى .. انى نازلة اليك »

واسرعت السيدة الشابة بالهبوط على السلم الحلزونى الذى يصل مابين الشرفة والحديقة ..

ـ اذن فقد اتيت !! .. اى جنون المنزل الآن ؟

ـ ماذا تخشين وانت وحدك فى المنزل الان ؟

ـ انى اشعر بانقباض غريب .. ان قلبى يحدثنى ان امرا جللا على وشك الحدوث ..

ـ لاتكونى متشائمة الى هذا الحد ..

ـ اننى افضل ان نصعد الى اعلى لنتدبر الامر بمأمن من العيون المتلصصة .. فهيا بنا .

لقد اصاخ الزائر السمع دون ان ينبس بكلمة واحدة واخذ يتفرس فى وجهها نافثا دخان سيجارته التى كان يدخنها بنهم وتبعها فى هدوء .

نظرت اليه سلوى بخدة قائلة له بانفعال :

ـ حسن . ماذا تريد ؟ لقد جعلتنى اعيش فى دوامة من الخوف منذ ثلاثة أيام .

ـ انا .. لماذا ؟

ـ انك لا تتصور ما يحدث لو وقع احد خطاباتك فى يد رافت .

ـ هل هو غيور الى هذا الحد ؟

ـ ان رافت يحبنى ولا اريد ان افقده كما فقدت نبيل بسببك .

ـ ها ها ها .. بسببى انا ! ! أانا الذى كنت اغازل الدكتور رافت امامه عندما كنت مريضة فى المستشفى ، مما جعله يلقى بيمين الطلاق فى وجهك ويسرع بالخروج غاضبا ؟ !

ـ حقا اذا لم تستح فافعل ماشئت .. اتتهمنى فى شرفى ؟

ـ اتنكرين ان هذا ما حدث فعلا ؟

ـ اننى لا انكر .. ومع ذلك لاتكابر وتقلب الاوضاع .. فانت السبب الحقيقى .. سامحك الله .

وهنا اخذ سعيد يضرب كفا بكف قائلا :

ـ حقا .. ان امرك لعجيب !

ـ لاتحاول ادعاء السذاجة الى هذا الحد .. انسيت اباك الذى مات حزنا وكمدا لفشلك فى دراستك بعد ان بح صوته فى اسداء النصح اليك .. ولكنك ركبت راسك وعاشرت السفهاء واخوان السوء ، فماذا كانت النتيجة ؟

ـ ....

ـ لماذا لا تجيب ؟ ! اتدعى النسيان اذن ساذكرك انا .. كانت النتيجة ثلاث سنوات نزلت فيها ضيفا على السجن بسبب حادث النصب الذى ارتكبته .. حادث الشركة الوهمية الذى ابتزت فيه نقود بعض المواطنين بعد ان غررت بهم .

ـ انى اعد والدى مسئولا عن كل ما حدث ، فقد كان يقتر على ..

ـ صه .. حاذر ان تمس والدنا رحمة الله عليه ، بسوء .

ـ ولكنك خرجت عن الموضوع .. فما لوالدنا والاستاذ نبيل الذى طلقك بسببى كما تزعمين ؟

ـ ان نبيل منذ ان سجنت خيم عليه الوجوم والاكتئاب .. كان يعانى صراعا نفسيا اليما .. ايطلقنى ام يبقينى ؟ ! وكلاهما صعب على نفسه .. ففى الحالة الاولى لم يكن لى ذنب فيما اقترفته انت .. وفى الحالة الثانية كيف يكون زوجا لشقيقة افاق من نزلاء السجون !! ..

لقد تغير شعوره نحوى منذ ذلك الحادث المشئوم واصبح يثور لاتفه الاسباب ... لقد تحملت منه هذا ، الا انه صار اخيرا لا يقيم وزنا لى او لشعورى .. فبينما كنت طريحة الفراش بمستشفى الاتحاد العربى بالمعادى حيث اجريت لى عملية استئصال الزائدة الدودية ، اذا بصديقتى الدكتور دولت تستفسر عنى ذات يوم تليفونيا فما كان من نبيل الذى كان يجلس بجوارى على السرير الا ان طلب منى محادثتها فناولته السماعة .. ويالیتنى ما فعلت .. فكم كانت دهشتى انه ناداها دون كلفة « ديدى » واخذ يبثها اشواقه ويحدثها عن رسومه الكاريكاتيرية التى ستظهر فى العدد القادم من المجلة الاسبوعية التى يعمل بها رساما ، وعندما ارهفت اذنى طرقت مسامعى ضحكات رنانة اطلقتها اللعينة جذلة فرحة وقد اطربها حديث زوجى الذى اخذ يطرى صوتها الملائكى المملوء بالرقة والحنان والذى شبهه بنغمات الموسيقى !! والى هنا لم اطق صبرا ، فمددت يدى النحيلة ، التى كانت ترتجف من الضعف والغيظ معا ، الى آلة التليفون الموضوعة على المنضدة المجاورة وقطعت الاتصال بينهما ، واقسمت وانا منفعلة ان اغازل اول طبيب يدخل الحجرة .

وما هى الا هنيهة حتى دخل الدكتور رافت فتهلل وجهى فرحا اذ حانت الفرصة التى ارد فيها كرامتى المجروحة .. تناولت يده فى يدى وضغطت عليها قائلة له :

ـ انك يادكتور رافت رجل جذير بالاعجاب والتقدير .. ان قلبك بفيض بالرقة والحنان .. واننى ممتنة لاهتمامك الكبير بى ، ولولاك لكنت الان فى عداد الاموات .

لاحظ نبيل اننى كنت اتطلع بوله الى وجه الدكتور رافت وانا لازلت محتفظة بيده فى يدى ، واخذ هو بدوره يضغط عليها .. فما كان منه الا ان القى على بيمين الطلاق فى ثورة عارمة واسرع مغادرا المستشفى ، وسرعان ما تزوج دولت .

ـ اذا فما ذنبى انا فيما حدث ؟

ـ لقد كان نبيل يحبنى وانا متاكدة انه ما تجـــرأ على الاســـتهانة بى وبشعورى الا بعـــد ان دخلت انت السجن ، وهذا ما جعلنى اخفى عن رافت بعد ان تزوجنى ان لى اخا خريج السجون .. ولم ار داعيا لان اعترف له بهـذا الامر المشين .. ان رافت يحبنى حبا شديدا ملك عليه شغاف قلبه ، ولا اريد ان افقده هو الاخـر .. فلا تفسد على حياتى .

ـ هل تخجلين من عائلتك ؟

فاشاحت سلوى بوجهها عنـــه قائلة :

ـ اننى احذرك من هذا المـــزاح الثقيل .. انك منذ ثلاثة ايام تحوم حول المنزل لانك تعلم ان رافت يبيت بعض الليالى فى المستشفى .. اننى مازلت اكرر سؤالى :

ـ ماذا تريد ؟

ـ نقودا .

ـ ليس لدى شىء منها .

ـ ماذا تقولين ؟ ! .. اننى لا امزح لقد قلت ان رافت يحبك حبا جمـا فهـــل من المعقـول ان يتركك دون نقود ؟

فهزت سلوى كتفيها قائلة :

ـ انت محق فى ذلك . لقد اعطانى رافت خمسين جنيها ، ولقد اشتريت غسالة كهربية باربعين جنيهـا وبقى لدى عشرة جنيهات ، وانى مستعدة لاعطائها لك على شريطة الا تحـاول الحضور الى هنا مرة اخرى .

وفى هذه اللحظة سمع وقع اقدام فوق الممشى الرئيسى للحديقـــة المرصوف بالبلاط ، فاطلت من النافذة .. ولم تلبث ان شهقت ..

ـ يا آلهى ! انه رافت ! .. ترى ما الذى دعاه الى العودة هكذا عـلى غير عادته ؟

وهنا اسرعت الزوجة ملعورة الى الداخل وفتحت صـــوان الملابس ودفعت اخاها داخـله قائلة له وهى تغلق مصرعيه :

ـ يجب الا تبدو منك اية حركة او صوت .

وبعد نصف دقيقة من هـــذه الاحـــداث التى تتابعت بسرعة كان رافت يقف داخل الحجرة ممتقعا شاحب الوجه وتساءل وهو يلهث :

ـ اين الرجل ؟

ـ اى رجـل ؟ اننى لا افهم ماذا تقصد ؟

ـ الرجل المعلق طربوشه فى الردهة .. لاتتصنعى الدهشة والعجب هكذا .. فلن يجديك هذا فتيلا .. ولن تستطيعى الضحك على ذقنى بعـد الآن .

اننى منذ ثلاثة ايام اشعر ان هناك شيئا فى الافق . لقد كنت وحيدة .. هيه ! .. لماذا تنظرين الى هـكذا ببلاهة ؟ ! .. هل ساءك مقدمى على غير انتظار ؟ !

لقد تركت نوبتى الليلة الى زميلى الدكتور فؤاد وهانذا امامك لحمـا ودما .. لقد كان نبيل معذورا عندما طلقك .. وكم كنت ساذجا عنـدما اشفقت عليك وتزوجتك . . اننى انهمك يا ربة الصون والعفاف ! . . ولدى الدليل .. انه الطربوش الذى لمحته معلقا عند دخولى الى الردهة .. فلا تحاولى الكذب ايتها المخادعة . واخـــرج رافت مسدسه ولوح به مهتاجا ..

ـ اين الرجل ؟

عقدت المفاجاة والرعب لســـان سلوى فلم تنبس ببنت شـــفة .. واخذت تنظر فى هلع دون وعى منها ناحية صوان الملابس فلاحظ رافت اتجاه بصرها فصاح منفعلا :

ـ اذن فقد اختبأ داخل الصوان

« البقية على ص ١٢٨ »

تقويم . تدريب

لمسات ... وهمسات

فى بريد هذا الشهر رسالة يقول فيها السيد المرسل بعد الديباجة ما نصه :

واذا كانت « الادب » هى وسيلتكم الى الجمهور المتفرق ، فاننا نرنو الى اليوم الذى تكتمل فيه ادواتها لتحقق ما نرجوه من تأكيد وجهة نظر الامناء فى الحياة والفن . والى أن نصل الى هذا اليوم ، فهناك بضع لمسات ارى انها يمكن أن تدفع بالمجلة خطوة فى الطريق الطويل .

ولنترك المظهر جانبا لقلة الموارد المالية ولا يكلف الله نفسا الا وسعها، ولنتحدث عن :

ـ حاجة « الادب » الى باب يتناول فيه اكثر من كتاب واحد من الكتب الجديدة التى تسرف المطبعة فى اخراجها هذه الايام . وليكن عرضا اكثر منه نقدا حتى يستطيع القارىء على الاقل أن يكون رأيا عن الانتاج الفكرى اليوم .

ـ ويأخذ البعض على مجلة الامناء انها فى كثير من الاوقات لا تساير الاحداث الادبية . ومن الطبيعى أن ينتظر القارىء من مجلته رأيا فى الكثير مما تضطرب به حياتنا الادبية والفنية من مشكلات لا يمكن تجاهلها ابدا .. رأيا لا يجىء بعد سنة أو سنتين ! لاننا اذا كنا نقرأ « الادب » لانها لا تخطف احكامها فلا يعنى هذا ان تنتهز الفرصة وتتلكأ ويكفيها انها شهرية لا تضطر الى ما تنزلق اليه الصحافة اليومية او حتى الاسبوعية من ضرورة السرعة الفائقة .

ـ عالم الفن وراء البحار لا زال مغلقا ، والقليل الذى تنشرونه عنه لا يفى بحاجة القارىء الى هذا اللون من الادب . هذا بالرغم من رحلاتكم ورحلات الامناء عامة الى الخارج وخاصة فى الصيف واكثرها ينفق فى الجد لا اللهو . فلماذا لا تفتحون هذه النوافذ على مصراعيها

همسات ارجو ان تقف على ارض واقعية ..

* * *

وبكل سرور تلقت « الادب » هذه الرسالة ، بنمساتها وهمساتها .. وبكل عناية أصغت الى ما فيها ، وبكل قبول قلبت الراى فيما حدث به السيد ، ومع كل اولئك يسعها أن تقول به بعد الشكر الجزيل :

١ ــ أما المظهر فاهلك لا تتركه الآن جانبا ، لان « الادب » قد احتملت فى سبيله كثيرا منذ شهور ، واصابت من العناية بالمظهر ما اوشك فى نظر بعض اهلها أن يعد تبرجا ، ففيها من الحليات والزينات ما يتخلل الصفحة الواحدة ، غير مرة ، وفيها من القصقصة ، و «الحنتفة» ما يراه بعض قومها شيئا من تبديد ، ولا تفوتها الالوان فى اغلفة تتجدد ، وبستغرق الاستعداد لاختيارها اشهرا قبل تغييرها ــ وليس وراء ذلك مجال الا الورق اللامع الصقيل، الذى تقدر على مثله صحف ، وليست صحفا ، ولكنها وسائل اخرى ، ولو استطاعت هذا لما طبعت عليه ، لانه سرف أحمق لا يحتمل تبديد المال فيه من يحمل امانة !

وكل هذا فى المظهر مع مايشير اليه السيد المرسل من الا يكلف الله نفسا الا وسعها .. ولكن «الادب» تشق على نفسها دائما ، ولا تحب أن تشكو اشياء فى دنيا الصحافة ، يسخف القول فيها ويثقل .. وفى الاعلانات واساليبها مثل يغنى قليله عن الكثير .

* * *

٢ ــ واما حاجة « الادب » الى باب يتناول اكثر من كتاب واحد عرضا ، اكثر منه نقدا فالادب قد بدات بذلك ، وكان عنوان الباب « لتقرأ على بصيرة » وامضت مدة تقدم فى العدد عدة كتب .. ولكنها رات الحاجة الماسة الى النقد الوازن انوافى اقوى قوة ، من الحاجة الى التعريف الشامل العام بالكتب ، لان هذا التعريف العارض يلتحق بالاعلان الى حد ما ، وهو شىء قديكون اروج ، او اربح ، لكنه ليس افيد .

والناقدون فى حاجة كبرى الى امثلة من النقد النافذ ، غير المؤذى ولا المعوج ، فنقد كتاب واحد نقدا دارسا مستوفيا افضل لحياة التاليف والمؤلفين من مائة تعريف سطحى عارض .. وكذلك اطمأنت « الادب » الى هذا النقد ، وقدمت منه احيانا ما كان نقدا لكتاب واحد ، فى اكثر من عدد واحد ، وذهب كل عدد بعدة من الصفحات .. ولكل وجهة .. والراى مشترك .. والعرض ايسر من النقد مؤنة ، وارجى فائدة كما قلت ، فحين يتهافت المؤلفون على ارسال كتبهم للعرض . يتفننون فى اخفائها عن النقد ، ويسخطون ..

ولقد ذهبت القصص ومجموعاتها ــ جزاها الله ــ باكبر نصيب من هذا النقد الواقى ، وذلك بعض اثر هذا الفيض القصصى ، الذى أعرف ان بين مواد هذا العدد ما يتعرض له ، فى غير مكان واحد .

وفى كل حال فان « الادب » فيما تقبل من نقد القصص والمجموعات لا تقبل الا ما يرد التقدير الى قضايا فنية او اجتماعية او نفسية ، ونحوها ، ولا يستهلك الصفحات ، بتلخيص قصة او قصص ، كما يحدث دائما ، فى كل نقد من هذا النوع ، ويستطيع السيد صاحب الرسالة أن يتابع ذلك ويقدره .

ثم فيما تنشر « الادب » من هذا النقد نزاهة ، وشجاعة ، وصراحة ، تحتاج الحياة الادبية اليها اشد احتياج ، فيما تؤمن به « الادب » .

* * *

٣ ـ واما ما يأخذه بعضهم على « الادب » من انها فى كثير من الاوقات لا تساير الاحداث الادبية .. وانها اذا كانت لا تخطف احكامها فلا يعنى هذا ان تنتهز الفرصة وتتلكأ .. الخ فيسمح السيد الكاتب « للادب » أن تقول له : انهاتفهم من الاحداث الادبية الشئون الجوهرية الاساسية ، لا التوافه الفردية الفضولية ، وهى فى الاولى سريعة التناول جدا ، ورزينة هذا التناول وعميقته ، وخذ لذلك مثلا حدثين كبيرين فى الحياة العامة والادبية جميعا هما التطور الاشتراكى الجاد .. والتطوير المادى الواسع للازهر ، فانها قد اخرجت للاول كتابا كاملا هو من هدى القرآن : فى أموالهم ، وهو بديل لاجازة «الادب» فى سنتها السابعة ، ويراه القراء قبل أن يروا هذا الكلام مطبوعا .. واما الثانى ، وهو تطوير « الازهر » فقد أفردته باربع مقالات طوال واجهت فيها التطوير المذكور بدراسة ، وتجربة ، وممارسة ..

ولا تجد شيئا من الاحداث الادبية يبلغ هذا الافق العام الا و « للادب » فيه مواقف ، تفر من مثلها الاقلام كثيرا .

ولعل السيد يشير الى مثل حديث الماء الاسود من عمل قريب سريع ليس يخف لمثله الكثيرون .. وما تدافعه « الادب » من عيوب النقد ، بتأصيل المناهج ، والتعريف بما فى التراث من ذلك ، وتقديم الامثلة الجاهرة بالحق ، الصادعة بالحكم ، هو فى تقديرها أجدى وافضل ، وابعد عن القاء البغضاء ، وتفريق الكلمة ، وابعث للشجاعة ، والصراحة النزيهة

وقد يكون فى نفس المرسل هذا الحديث عما دعى بغير حق « ادب اللامعقول » .. و « للادب » فى هذا خطة تلتحق عندها بالمنهج ؛ وهى : ان التطور أصدق حكم فى كل شىء ادبا او غيره .. ولذلك لا تؤثر ان تبدى رايا فى جديد من شئون الحياة الا بعد ان يعركه التطور عندنا ، او يكون قد عركه عند غيرنا اليوم او أمس ، فتتكلم اذا تكلمت فيه بما قال هذا التطور ، وجرب ، واثبت ..

وفى كل حال هى تؤثر ان تدع فترة الضجيج الصاخب تمر .. وانا معك فى ان هذا ربما لا يكون من الخير المادى ، فى حساب الصحافة .. ولكن الامانة يا سيدى شىء آخر غير المادة . تماما .

و « الادب » فى كل حين لن تكف عن اجابة سائل فى اى مسألة ، مهما تكن شائكة او رهيبة ، لان الامانة فوق كل صعوبة ، بل فوق كل مهلكة

ومتابعة الاحداث فى غمرة التهريج قريبة وخفيفة ولافتة . . ولكنها ليست اكثر من ذلك .

* * *

٤ ـ واما ان عالم الفن وراء البحار لا يزال مغلقا ، فى « الادب » بالرغم من الرحلات السنوية الى أوربا وانفاق اكثرها فى الجد .. « فالادب » فى ذلك كدأبها فى غيره ، تقدر حاجة الحياة حولها ، تقديرا يوائم مهمة المجلة ، التى تختلف عن الصحيفة اليومية السيارة ، فلا تحدث عن مظاهر من النشاط الادبى او الفنى بعامة يفترق الامر فيها بالغرب عما فى الشرق من حياة الادب والادباء ، او المسرح والموسيقى ، او اللقاء لاحد والحديث مع احد ، واشباه ذلك من فقاعات .

كما تفترق المجلة فى الوقت ذاته عن الكتاب ، فلا تنشر ما يستطيع

القارىء أن يجده مجتمعا فى مرجع واحد ، أو مؤلف مخصص ، ولذلك فرت « الادب » من أن تنشر مقدمة لكتاب سيظهر ، أو فصلا منه سيطبع الا أن يكون ذلك لغرض هام حيوى ناجز ، كنشر بعض فصول هدى القرآن ، فى حل مشكلة المال حلا تطمئن له القلوب ، حين كان الصراع حول هذا التطور الاجتماعى يشتد العراك فيه ، ومن ذلك عودتها الى نشر بعض فصول ظهرت فى « الادب» أولا ، فى كتاب جامع ، لان هذه الفصول تقدم معنى كاملا ، ودروسا موضوعية لقضية يشتد الخلاف حولها ، أو تنفرد الادب برأى فيها .

والى القارىء مثالا من هذا فى بريد « الادب » لهذا العدد ، عرفت خبره ، قبل ان ابدأ تحرير الباب ، وذلك المثال هو مقال غير قصير لشاب جامعى عن شكسبير أعرف ان الاستاذ رئيس التحرير هو ومن قرأ هذا المقال ، قد اتفقا على عدم نشره ، لان ما عرض له من شئون شكسبير ، مما استوفاه البحث المفرد فى الكتب المستقلة .

. . .

وبعد هذا التفريق اضع تحت نظر السيد صاحب اللمسة معنى آخر ، لعل الامناء هم أول من أكثر اللفت اليه ، وهو اننا قد استهلكنا نشاطنا ، منذ عهد بعيد ، فى الترجمة عن الغرب ، على حين أن معنا هذا الشرق بتالد حضارته ، وطريف نهضته ، ونحن أقرب اخذا عنه ، واكثر انسابه فما لنا لا نترجم آدابه ، ولا نصفى لفنونه !!

وتحقيقا لهذه الفكرة ترى «الادب» قد قدمت فى سنتها السابعة ، مثلا ترجمات من الاداب الشرقية ، قصصا ونحوها ، كما قدمت ترجمة للدراسات شرقية عنا ، مثل : بحث الادب العربى الحديث فى نظر صينى ..

مع انها قدمت كذلك بترجمات غربية فى الشعر والقصة ، من آداب اوروبية مختلفة ايضا .. وكذلك يرى السيد صاحب الرسالة ان عالم الفن وراء البحار ليس مغلقا ، وانه مفتوح على المحيط الهادى فتحه على المحيط الاطلسى .. وكل اولئك بقدر يفترق فيه ما تقدمه المجلة عما تقدمه الصحيفة اليومية ، وما يقدمه الكتاب .

* * *

وفى كل حال فان « الادب » تصغى لما تسمع دائما ، وتعمل للاستفادة منه فى آفاق منهجها ومثلها ، التى تؤمن بها ، وتعمل لتحقيقها .. وكلنا جميعا جنود فى الميدان ..

واخيرا ، احب ان اذكر السيد صاحب الرسالة بالحكمة القديمة : أعرف نفسك لاقول له : ان من لا يعرف نفسه لا يعرف غيره .. فما مبلغ معرفتنا لانفسنا الادبية ؟؟

ان ادب العربية لم يلتحق بكبريات الاداب الا فى ظل الحضارة الاسلامية .. وطالما سمعت استاذى رئيس تحرير هذه المجلة يقول :

ان الثقافة الاسلامية الكاملة ، دعامة للدرس فى ميادين منها :

ا ــ الادب العربى .
ب ــ التاريخ السلامى .
جـ ــ الفلسفة الاسلامية .

ولن يبلغ احد مبلغا فى هذه الدراسات الا صاحب الحظ الاوفر من الثقافة الاسلامية .. وبينى

وبينك : ان الواعين من أصحاب القيادة الادبية ،ولاسيما الصحافية منها ، يجهرون بالاسف لضيق سبلهم الى تقديم أسس الدراسة وأسس الشخصية ، من هذه الثقافة العربية والاسلامية .. وفى « الادب » مجال للفت الى مناهج ، وتقاليد ، واصول ، وفنون من تلك الثقافة .. ماضر لو استأثرت بأكثر نشاطها ، وحولها عديد من المرفين فى الحديث عما وراء البحار .. ليتهم يفون بالحديث الجاد المتبصر عنه .. و « الادب » على رغم طاقتها الصالحة فيما أمام البحار لم تخل بنصيبها فيما وراء البحار ، كما يقول السيد المرسل .. وبين هذين المجالين توزع جهدها بقدر ، وتفى بما ينقصنا من وسائل معرفة النفس ..

وفى هذا اللفت خير اى خير ،ومناسبة تبين بها « الادب » خطتها ، وتتبين راى غيرها وحين يلقى الراى الراى ينجلى الصواب من هذا اللقاء دائما . وشكرا لصاحب الهمسات واللمسات ، على ما قال .. ولفت .. ونصح ..

ومعذرة اذا ما طال الحديث بيننا فاستأثر بهذا المكان كله ، وجار على غيره من رسائل البريد .. والى رسائل

الشعر

وقد اتفق ان يجمع الترتيب بين منظومات لطلاب ، جامعيين وغيرهم فتتنوع تلك المنظومات تنوعا لافتا .. فهذا يحدث عن عيد الجزائر ، وذاك يقف بين عيدين ، دينى ووطنى .. وثالث ينطلق انطلاقا معربدا .. وترى من كل اولئك جنوحا فى الشباب يستوقف النظر ، ويلفت الى اختلاف المشارب فى ذلك الشباب الذى يرقبه الغد ، ويأمله الوطن .. ولا يستطيع مخبر هذا الباب أن يلوم منهم مذموما ، وانما يسجل الظاهرة تسجيلا مجردا ، يقدره من يدرس ميول هذا الشباب ، ويرصد سلامة اتجاهاته ، وهو ما اكتفى به فى اللفت ، ولا ازيد ، مقتصرا على التقييم الفنى ، فى اضيق حدوده ، فمن رسائل هؤلاء الشبان الطلاب :

* وصلت ((بين عيدين)) ، تصف ما كانت مصر قبل الثورة ، وماسعت اليه الثورة من اصلاح .. والنسج مخاخل التعبير ، ساذج الاداء فى مثل قوله : والسوط يهوى فوقهم فيودم ، او قوله :

فوق الرمال ، فى الظهيرة جالس
والرمل جمر والدخيل منعم

وتقلق القافية فى مثل قوله :
لا اجتبى بها ولا متوخم ..

ولعله على الوقت ومتابعة الرياضة الطويلة ينظم ما يستحق النشر

* ووصلت ((عيد الجزائر)) ، ومع الشعور الواضح بنبل هذا الجهاد المشرف يسأل القائل عما لا يجهل مثله من يقول فى تحية البطولة الانسانية السامية فيسأل :

والعيش فى قمم الجبال امثله
عيش السهول ؟ ومثل هذا لا يجهله ذو حس بسيط ؟ كما يسأل كيف صنعوا النصر فيقول :

والتضحيات بذلتها ام بالدم الغالى بسيل ! واى شىء تكون التضحيات

غير الدم والنفس ؟ .. وتحكم القافية فينفه المعنى فى مثل قوله :

.. والحلم صار له وجود ..

ولعل الممارسة المتصلة ، مع هذا الشعور الواضح تقدم اسلم من هذه واحكم .. وادع هذه الآفاق الكريمة فاجد ان قد :

* وصلت « حسناء ادفينا » واذا صاحبها يقول :

انما الطهر خداع وشذوذ وخطية .. فاسأله كيف يكون الطهر خطية مهما لعبت باللفظ او المعنى !!

وهو يقول : سلمت امرا وذابت فى احتضاناتى القوية ، كما يقول :

وانتفاضات رقاق وارتعاشات سرية

طقطقات الضلوع تبعث الآه شجية

فاذا شيء ليس الادب ولا الفن ، ولا ما يفرق ابن ادم عن ابن الغابة . ومثله مما قد يستتر فيه الوحش ، فلم تعد حسناء ادفينا ، بل صارت ذبيحة المجزر ..

والفن ياصاحب الحسناء تعبير عن الاحساس بالجمال الذى هو استطاعة المادة ان تعطى معنى ، وليس الفن تعبيرا عن تمطق الاكل حين يمضغ ولا تمزز الشارب حين يجرع ، وبيت الخلاء غير المخدع ايضا .

وليس هذا فنا فيقال انه مكشوف او عزيان او حتى مشلح . . فليكن فنا اولا ، يعبر — كما اسلفت — عن وقع الوجود على الوجدان ، لا عن انكوائن على الابدان .. فاذا ما كان تعبيرا عن هذا الوقع على الوجدان فليسلك ما شاء من المسارب والخفايا والظواهر والبواطن يحدث عن المشاعر الوجدانية فيها ، لا عن اطفاء الظما ورد السغب وملء المعى . . وليس الفرق بالدقيق ولا الخفى ، وان كان عندكم باشبان قد شبه واضطرب ، لامثلة سيئة ، وغلطات شائعة ، واجمل فاقول : الحب عبادة الجمال ، لامضع الجمال .. فدع طقطقة الضلوع لمن اصابته مزقة او اختلف بين اضلاعه نفس ، كما يقول الشيالون .. ولغير هذا يصر القلم ، ويعزف النغم ، ويعبر اللون . اما الانتفاضات والارتعاشات فتعمى على هذا كله ، وتعدم الشعور به .. وشتان .. فدع هذ لتذقية . . وخل ذلك لساعة الولوغ ينطلق فيها الحيوان الاعجم ، وينزل الى دركه انبشر . . وما عبثت الانسانية حين سمت الى الطهر ونعمت به ، وشعرت بالخطيئة وازدرتها وترفعت عنها .

ولا يقولن صاحب « ... ادفينا » انى انتهيت الى قولى :

عالم من صنع اوهامى واحلامى الشقية

فان عالم اوهامك واحلامك الشقية هو حقيقتك النفسية ، وهو كما قلت انت :

مهربى من عالم الناس وضوضاء البشرية

وملاذى من صراعات الحياة الدموية

فابتغ لذلك افقا فى الارض . ولا تهرب من الضوضاء والصراع الى

الاعلان والاذاعة ، وان كان فى القول متنفسك ، فاحفظ عليك مثل هذا من قولك .. ومعذرة اذا طال المدى حول هذه الحسناء فانها مما تزل فيه الاقلام ، وتضطرب الافهام وتنفش فيه الاوهام .

وندع هذه الباقة من نتاج الطلبة ، التى تفرقت بهم السبل ، على مارأينا لننظر الى غيرها .

* فقد وصلت « **ودعى الخطيئة** » لسيد شرط ان اردها واختالها معها الى العنوان المكتوب على الظرف المرافق مع التكرم بابداء الملاحظات واسداء النصح .. ولكن هذا الشرط كما يعرف السيد المرسل باطل فى دنيا الصحافة ، وليس الا التقويم المعلن يجد منه كل دارس ما يجد ، ويشعر بمكان هذا التقويم بين المبادىء الناقدة والاسس الفنية . وترى هذا التقابل اللافت بين ودعى الخطيئة ، والخطيئة التى هى الطهر .. ولكل وجهة هو موليها .

وصاحب هذا النظم يدعو فتاة الليل الى أن تدع الخطايا ولكنه فى دعوته غير منير ولا مؤثر .. فليس عنده الا رجاء ان يكون الغد فجرا ، او يكون يوما منيرا .. فلا هو برع فى عرض الصورة الشوهاء لحياة فتاة الليل ، ولا هو وفق فى اجتلاء نعمة الحياة الطيبة التى يحييها فيها وليس كل الامر هو هذا الضعف ، بل تضعف العبارة ويكون الخطأ اللغوى والنحوى .. مع سذاجة الفرض ، الى هو ان المعنى ان لم يكن فاسدا .. وحسب السيد طيب المقصد ان كان هذا وحده يحدث فى الحياة اثرا .

* ووصلت « **لاتلمنى** » لصاحب الاولى ، وهو هنا محب قوى الامل يقول لحبه :

سوف الثم فاك حتما وتلثم مفرقى

ولا تعرف ما هذا الحتم فى الشعر والحب .. وهو من صنف القافية المحتكمة فى مثل قوله : ماذا لو تغفر ذنبى فى هواك فارتقى — فما هذا الارتقاء ، وهل يؤهله ذلك لما بعده من حتمية لثم الفم والمفرق — ونسج العبارة فاسد فى مثل قوله :

وزاد اصرارى اياك !!

وتعوزك يا صاحبى قوة التماسك والرؤية الواضحة ، لاهدافك الفنية ، ومشاعرك المبهمة ، فجاهد فالطريق طويل

ونكتفى بهذا من الشعر لنتحدث عن رسائل

النثـــر

* فقد وصل مقال « **البداية والنهاية** » لسيد نشرت له « الادب » مثلها مرة ، لكن ليس من السهل ان تجد « الادب » المجال دائما لنشر هذه الكلمات التى توشك ان تكون خواطر مرسلة ، لاتضبطها فكرة ، ولا يمدها موضوع ، مهما يكن فيها من حكمة او تجربة .. فلعل غيرها احق منها بالنشر .. ومعذرة

* ووصل مقال « **جحا او الخرافة المقدسة** » وهو بحث طويل مستوفى ويظهر انه اثر لتكليف دراسى لصاحبه اتمه منذ بضع سنوات ، وقد عرضه

على من صححه ووقع عليه وهو بكل هذا لا يجد الفرصة للنشر

.. * ووصل مقال « شكسبير » لشاب جامعي ، وهو يعرف كثرة ماكتب عن شكسبير في الانليزية التي يدرس ادبها ، بل يعرف ان فيماكتب عنه في العربية نفسها مايدع هذا المقال دون ماتنشره « الادب » على ماتتوخاه دائما في ان يكون ماتنشر ليس مما يجده القارىء في كتاب .. فكيف اذا كان ايسر مما في كتاب .. اعرق ياصاحب شكسبير ، واخدم دراستك قبل ان تفكر في النشر .. وايسر ماتعرق فيه صحة اسلوبك العربي ، لانك صاحب دراسة ادبية

* ووصل مقال « منه .. واليه » عن كلام في القصة سمعه جامعي اسكندري عن بعض الاساتذة فبدا له انه من الدرر التي تقتني فكتبه لينشر في «الادب» وهي ـ كما ينبغي ان يعرف ـ لا تدخل في تشجيعها للشبان نشر مثل هذه الاشياء التي من مستوى مخزن: منه ـ فيه ، في الجمرك ، فلتبق عندكم اولى .. وشكرا على تقدير استاذكم ذلك التقدير والله ينفعكم به حتى الفصال والاستقلال ، فستعرفون اذ ذاك ان هذا ومثله معه انما يدفع لكم غذاء تستكملون به نموكم ، واذ ذاك يصفى الناس اليكم حين تقولون وتكتبون وهب ان هذا الذي سمعت من الاستاذ الفاضل يكون في كتاب يقرأ فان ذلك لايجعله مما ينشر في مجلة « الادب »

* ووصلت كلمات بعنوان « القصة » وفيها خواطر مختلفة متناثرة عن القصة ومقوماتها ، في ايجاز خاطف .. وشيء عن القصص في الكتب الدينية ، ومثال من قصص الانجيل ، وما في هذا المثال من مغزى خلقي .. ثم انتقال مفاجيء الى انتاج الشباب في القصة وعدم العناية به ، وسد الكبار الطريق على الصف الخلفي ، وشيء مما يريده صاحب هذا الكلام علاجا لذلك ، للانتفاع بما في هذا الشباب، من عبقريات مدفونة ، وكفايات ضائعة ، كما يقول . ثم انتقال واثب الى تاخر القصة عندنا عنها في الغرب ولاسيما في الافلام السينمائية واكبار لقصص شوقي وان الباب اقفل بعده في راي صاحب هذه الكلمات ، ورجاء ان يعالج الشبان الادباء هذا القصص ويهتموا به فيؤلفوا في احداث حياتنا الحديثة من كفاح ضد الاستعمار ويوقظوا الوعي .. وهانذا ياصاحب هذه الكلمات قد نشرت كل ما فيها فليس وراء هذا التلخيص الا بسائط لا يجدي نشرها .

فهل يرى القراء ان في مثل هذا ما يشغل صفحات في « الادب » وهل يستحل اصحاب مثل هذه الكلمات ان يشغلونا بقراءة هذا والكلام عنه ويشغلوا انفسهم بكتابته ـ وعلى الآلة الكاتبة ـ ثم ارساله بالبريد ؟ ! شيئا من حسن التقدير ياسادة .. ولا زيد واعيد فاضيع وقتا آخر عن ضعف الاسلوب، واخطاء التعبير .. والله المعين

* ووصلت قصة « ياسندى » لصاحب الكلمات السابقة عن «القصة» ولو حاسبناه بما شرح ووصف لبدا انه يقول مالا يفعل .. فهو الذي يقول فيما يشرح :

« ان يكون اسلوب القصة سليما من العيوب الادبية ، وان يتوفر في كاتبها الالمام التام بقواعد اللغة وآدابها فرب خطأ نحوي يضيع المعنى ويفوت الغرض ويشوه الجمال ورب لباقة في التورية تصل بالكاتب الى غرضه وغايته ، دون ان يصرح بما يريد » والذي يقول هذا تشيع من اخطائه

عبارات؟ لايحتاج صوابها الى الملم تام بآداب اللغة ، كقوله : راهلا (بالزاى) وهو لا يدر بلابله ، والتنبيه لذلك لاضرورة لتتبعها .

وهو الذى يتحدث عن وجوب ان يكون للقصة هدف .. وان يكون للقصة مغزى ووجوب أن يكون الهدف رسالة ومدرسة يؤمن بها صاحبها ـ كعبارته هو ـ ثم هو الذى يرسل قصته « ياسندى » صورة مما يحكيه المتفننون فى وصف « بدع النساء » دون عمل فنى فى توجيه الحادث ، او تنور اللمسة المقصودة ، او التزام خصائص القصة القصيرة .

ولعل السيد صاحب التكملة والقصة يعيد النظر فيحافظ على ما اوجب تحققه فى القاص والقصة ومن يدرى لعله بعد ذلك ، وبعد شىء من الممارسة يكتب ما ينشر .

ومعذرة فقد اتسع القول فى موضوعات من هذا البريد لاسباب مختلفة حتى لم يبق معها فرصة لعرض شىء من الرسائل الكثيرة ، بل الكثيرة جدا ولا سيما القصص ، فالى عدد آخر وليعذر أصحاب الرسائل ويقدروا .. وشكرا .

رسائل شفوية

فى صباح يوم الثلاثاء تاسع ابريل حدثنى تليفونيا احد الاصدقاء من خيرة شبابنا وفى مساء اليوم نفسه شافهنى صديق من رجالاتنا ، وقد ربطا طلبهما بما لهما على من حق الابوة والاخوة وكريم الصداقة ، لاقتنع معهم بالاكتفاء بما كتب فى نقد السيد عباس العقاد فنزلت على رغبتهما فى ألا اكتب انا شخصيا بعد ذلك فى نقده الاجمالى ، أما النقد التفصيلى فلا يحول دون فريضته رجاء .. وإما غيرى فله حريته .

« بقية المنشور على ص ١١٩ »

وهنا انفتح الصوان على مصراعيه بعنف واندفع منه سعيد الى الخارج .. ودوت رصاصتان .. سقط على اثرهما الرجل فاقد الحياة بين بين ذراعى سلوى التى اطلقت صرخة مدوية خرت بعدها مغشيا عليها

واخذت تهذى مرددة :

الطربوش ! الطربوش !

قبض على الدكتور رأفت وسيق هو وزوجته الى قسم المعادى بعد معاينة الحادث لمواصلة التحقيق .

وفى صباح اليوم التالى كان عبد الملاك يسير بجوار سياج الحديقة الى ان بلغ الباب الخارجى للفيللا الصغيرة فدق الجرس .. فتصدى له احد المخبرين ..

ـ ان الفيللا موضوعة تحت الحراسة والدخول اليها ممنوع .

ـ لا تؤخذنى .. ولكنى اريد مخاطبة السيدة

ـ ماذا تريد منها ؟

ـ اننى اريد استرداد طربوشى نسيته معلقا على شماعة الملابس عندما احضرت الفسالة الكهربية امس ..

غبريال وهبه

الآداب

فنية . شهرية

يصدرها الآداب

الإدارة: مصر الجديدة . ألمجر ١٣
ت ٦١٧٥٠

الرسائل الفنية والمالية ترسل باسم

أمين الخولي

رئيس التحرير

الرسائل الادارية ترسل باسم

محمد مابر عبد العال

مدير الادارة

الاشتراك :

الجمهورية العربية ٦٠ قرشا
الخارج ٩٠ »
ثمن العدد ٦ قروش

البريد الجوى والمسجل بحسابه
تصدر فى اليوم السابع من كل شهر

في هذا العدد

اصالة الشعر عن الامناء	١٣٠
الشاعر يترجم لنفسه تقديم : نقولا يوسف	١٣٥
مصر والعهد القديم توفيق حنا	١٤٢
جنازة الشيخ ترجمة : شفيق فضول	١٤٩
قصائد من اليوت ترجمة : ماهر شفيق فريد	١٥١
حرمان الهوى على حسن العزب	١٥٦
اغنية للنسيان عبد المنعم عواد يوسف	١٥٧
انشودة غربى البيلى عبد الحميد حسن	١٥٨
مدام هيرمية ترجمة : فادية عبد السلام على	١٥٩
الحبل فخرى فايد	١٦٤
جنيه أبويا محمد الخضرى عبد الحميد	١٦٨
بلا عنوان	١٧٣
نفوس تتكلم تاليف : وداد سكاكينى نقد : علاء الدين وحيد	١٧٤
بريد الادب	١٨٤

العدد الثالث ـ يونية ١٩٦٣ ـ السنة الثامنة
السنة ١٠ اعداد ـ كتاب قيم هدية بدلا من الاجازة الصيفية (اغسطس وسبتمبر)

دار الهنا للطباعة ت : ٧١٣٢٧

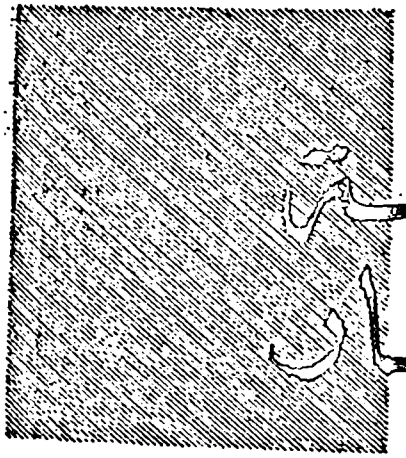

أصالة الشعار

اذا كانت الكلمة صوتا ، أو جرسا ، أو نغما ، أو معنى فانها لتكون حينا ما فوق ذلك كله ، واكثر من ذلك كله .. وذلك حين تكون شعارا تتنادى به الامة ، ويجتمع عليه الناس

حين تكون الكلمة شعارا يكون الصوت فيها اعنف دويا ، ويكون الجرس فيها اقوى وقعا ، ويكون النغم فيها اجمل موسيقية ، ويكون المعنى فيها ابلغ دلالة .

حين تكون الكلمة شعارا تنطوى على قوة الهية وسحر ساحر حار علماء النفس فى تفسيره ، فكان مما قال بعضهم ، ان الكلمات فى مثل هذه المواقف تكون آلهة محجبة .. تثير من النفوس والقلوب ، والهمم والعزائم ما يزلزل الجبال زلزالا ، ويؤكد قوة الكلمة ، التى يتحدث عنها أصحاب فن القول ، فيطيلون الحديث ، ولا يبلغون به مايريدون

وبقدر مايفلح مختارو الشعار فى اختياره يصيبون من هوى النفوس ما يبغون ، وعلى قدر فعل الشعار بالالباب يكون نجاح ما تهدف اليه الجماعة التى تحمله وتنادى به ، وتسعى بنوره ، وتعمل فى ظله .

كذلك سارت فى قديم التاريخ ، ووسيطه ، وحديثه شعارات ، فكانت كلمة السر ، التى تطلق القوى من عقالها ، وتوقظ العمالقة من سباتها ، بل تخرج المردة من قماقمها ، حين تلخص أمل الحياة ، وأمانى الغد ، وتمس شغاف القلوب ، وتهيج مكامن العواطف ، فكانت الشعارات فى كبريات احداث التطور الانسانى عنوان مراحل الانتقال ، ورمز أدوار التطور ، البارزة فى الصراع الحضارى ، وخذ لذلك على سبيل المثال ، الحركة الاسلامية ، والثورة الاجتماعية فى حياة الشرق ، التى كان شعارها الاشهر هو : الله اكبر . . يرفعون عنده الرءوس ، ويركبون الاهوال ، ويبذلون الانفس ، ويصنعون الاعاجيب ، فى حرب ، وفى سلم .

وفى مطلع العصر الحديث كانت الثورة الفرنسية ، بما هى مطمح انسانى ، فكان شعارها من **الحرية ، والعدالة ، والمساواة** ، خلاصة الطموح البشرى ، ولباب الامل الحضارى .

* * *

وياخذ الشعار مكانه فى النهضات الخاصة ، كما اخذها فى الجولات الكبرى فتسير عبارات تلخص اهداف امم ، وآمال شعوب ، وتكون تلك العبارات عنوانا قوميا ، شارك فيه الفن بنصيبه ، فى دفع الحياة ، فرددته الالسنة على خفقات القلوب ، ومن المثل فى ذلك نشيد : **المانيا فوق الجميع** او نشيد الانجليز : **تحكمى وسودى يا بريطانيا** ، واشباه ذلك عند غيرهم من الامم ، نرى فيها مثلا للشعار واثره فى جاذبيته وسحره ، وشيوعه وسيرورته ، وحماس اهله له ، وبه ، ومنه ، ومشاركة الفن فى تمجيده وتأييده ، ومحاولة دعمه وتأصيله

وفى الحق ان الشعار ، بما فيه من عنف هذه الاثارة يكون — فى الوقت نفسه — ظلا تاما لشخصية الهاتفين به ، وانعكاسا واضحا لنفسية المرددين اياه ، واسلوبهم الحيوى ، فى فترة من حياتهم ، أو فى غالب امرهم او فى بعيد أملهم ، وكريم هدفهم ، ودلالة **الشعار** على هذا كله يتذوقها الناقد الحساس ، ويجدها المتامل اللبق ، فى جلاء ، ولا يكاد يخطىء ، بل لا يكاد يشتبه أو يتردد ؛ فيجد الفاعلية القوية للشعار انما هى اثر تعبيره الدقيق ، عن مشاعر الهاتفين به ؛ وكان الذى اختار هذا الشعار ، هو الواحد الذى تمثل فيه الجنس ، واللسان الذى جرى بما فى النفس .

ولو تريثت تبتغى تصوير **الشعار** لانفس الهاتفين به ، فى الحركات الخاصة ، او العامة للجماعات البشرية لوجدت مثلا : شعار « **المانيا فوق الجميع** » صادق الدلالة جدا ، على ما يجده من يعاشر الالمان ، من اعتداد مسرف بذواتهم ، وتطرف فى ذلك يلتحق بالعنجهية ، التى لا يطيقها — فى سهولة — من يخالطهم ، حين يؤمنون بهذا الشعار ويرفعونه ، فيحتكمون فى كل اختلاف يسير أو خطير ، معنوى أو مادى ، الى عبارة على اطراف السنتهم ، يحسمون بها كل نزاع ، فيقولون **هذا لا يكون عندنا .. او هنا فى المانيا لا يكون هذا** ، وكانما المانيا هى الدنيا باجمعها ..

ثم تجد مثل هذا ، فى دلالة الشعار الانجليزى ، على الصورة الصحيحة لاصحابه ، حين اتخذوا هذا الشعار ؛ وسيروه ورددوه ؛ فكان ادق تعبير عن سعيهم الحثيث ، قرونا متعددة ، الى تكوين هذه الامبراطورية ، التى عانت منها الحياة ما عانت ؛ واحتملوا فى سبيلها ما احتملوا ، وسارت لهم تلك الشهرة التى تميز اجتماعهم حين يجتمعون ، بين اجتماعات افراد الشعوب ، فكان الاثنان منهم اذا اجتمعا يكونان امبراطورية !

وان نخفى هذه الدلالة الاصيلة **الشعار** ، فى كبريات الاحداث والتحولات التاريخية ، ففى الحركة الاسلامية الكبرى ، الواسعة الآفاق كان شعارها « **الله اكبر** » واضح التعبير ، عن نفسية رسل هذه الدعوة الذين لا يرون فى الكون شخصا أو شيئا الا والله اكبر منه . . وعن

هذا الشعور اندفعوا يواجهون الدنيا ، ويعاملون البشر ، ويعاشرون الناس وهم على أهبة الانتصاف من النفس ، والاعتراف بالعيب وتقدير حقوق البشر فى الحرية والكرامة ؛ وكان ذلك ديدن الرؤساء فيهم ، حين كانوا يشعرون برسالتهم .. فاذا ماتطورت الحياة تطورها المحتوم خفت صوت ذلك الشعار ، فى ميادين الحياة العملية ، من حرب وسلم ، وبقى هذا الشعار فى المساجد ، يردد فى غير انتباه ولا شعور ، بل مع ما يصرف عن الشعور بمعناه ، من وسوسة ، تسلم صاحبها لو هم يجهد الاعصاب ، ولا وعى معه لشىء من هذه الآفاق الحيوية ، التى جرى فيها هذا الشعار ليكون تذكارا دائما ، لهذه الآمال السامية . وكذلك صار التكبير مفتتح الصلاة ، التى اثقلها الفقهاء بالشكلية السطحية ، حتى ضج الصوفية ، من ذلك ، وراحوا يلتمسون الحقيقة وراء الشريعة

ومثل ذلك من تغير وقع الشعار الاصيل ، بتغير الحياة فى تطورها ، ما نجده فى الثورة الفرنسية ، التى كان شعارها الثلاثى فى حينها خلاصة ما طمح اليه مفكرون انسانيون متفلسفون ، هيئوا النفوس عقليا وعمليا لتفكير والتعبير ، كما هيئوها فنيا ووجدانيا ؛ فكانت **الحرية ، والعدالة والمساواة** ، هى مطمح الانسانية المتطلعة ، بعد الذى عانته فى تلك الارجاء الاوروبية ، من سوءات الحكم ، تحت ظل الحق الالهى المقدس ، حينا ، أو **تحت ظل الاقطاع القاسى ، وربق الارض حينا** ، أو تحت غطرسة الطبقة المتعجرفة للاشراف آنا ؛ وتحت السيطرة الدينية المنحرفة ، التى يؤيدها رجال دين معتمو الافق ، فكان ذلك الشعار المثلث مهوى الافئدة ، ومطمح الانفس كلها ، اذ ذاك

ثم تتطور الحياة تطورها ، فيضيق افق اصحاب هذا الشعار ، وتغلبهم نزوات سياسية ، وتقلبات اجتماعية ، فاذا هذا الشعار الثلاثى خافت الصوت ، خفيف الوقع ، هين التاثير ، متضائل الاثارة — او هو احيانا منسى ، مهجور ، تجرى حياتهم على مخالفته ! !

* * *

وبم كانت وتكون للشعار كل هذه الاثار ؟

سؤال نجد الجواب عنه فيما مضى من بيان .. فقد رأينا الشعار فى حياة من يرفعونه وينادون به شيئا أصيلا فى حياتهم ..

واقول شيئا ليشمل كل شىء .. فالشعار بما هو معنى : حقيقة اصيلة لا زيف فيها ، ولا ادعاء ؛ وفكرة مفهومه واضحة ، لا غموض فيها ولا ابهام وعلى قدر ما فى هذه الفكرة من اصالة يكون بقاؤها الطويل ، أو خلودها ويكون اثرها الصادق ووقعها .. ويكون دفعها وصدعها ، فاذا هى فى حياة أهلها أمل يتحول عملا ، ومثل يمسى واقعا ، وخطة تصنع تاريخا

ثم الشعار بما هو عقيدة ايمان اصيل ، يعمر القلب ، وينعش النفس ويسعد الروح ، لا شك فيه ، ولا تردد ، ولا شبهة ، ولا ريبة ..

وعلى قدر ما تمنح **الفكرة الاصيلة** ، من عقيدة **اصيلة** يكون مايرجى للشعار ، من آثار .. لا نعيد تاكيدها ، ولا تحتاج الى مزيد من بيان ، وحسبك بالاصالة تعبيرا جامعا .

وكذلك تحقق **اصالة الشعار** كل ما عرفت له الحياة ، وسجل التاريخ من آثار باهرة ، ساحرة ، ثائرة ، خارقة ..

وتحقيق هذه الاصالة من اهم عمل القادة الرسل ، الذين يخلقون انهضات ، ويدفعون الحيوات ، ويذيبون الصعوبات ، ولا يعرفون المستحيل ..

فبقدر ما يمثل الواحد منهم الجنس كله ، يحسن التعبير ، بعد ان يدق فيه الشعور ، فاذا هو افصح لسان للجنس كافة

* * *

ولا يجرى هذا الحديث عن اصالة الشعار لبيان ما سلف من حقائق نفسية ، أواجتماعية ، او تاريخية ، وان كان هذا البيان غرضا يقصد .

وانما تريد « الادب » لتؤدى رسالة الفن والحياة ، فى فترة ترفع فيها الشعارات وترسل الدعوات ، فيحتاج الامر اشد الحاجة ، الى وضوح الفهم ، وسطوع الدلالة ، وعمق الايمان ، وعنف الطموح ، وكل ما هو من تلك **الاصالة** بسبيل ..

والامناء مدرسة الفن والحياة قد كانوا اقوى انتباها الى هذه الاهمية للشعارات ودلالتها الفصحى ، على مدى الامل ، ومستوى الهدف ، وتمثل المستقبل .

وفى هذا وقفوا يتساءلون سنة ١٩٥٢ عن الشعار الذى رفع اذ ذاك وهو : **الاتحاد ـ والنظام ـ والعمل** ؛ فلم يلبثوا ان قرروا ان هذا الشعار اهون من أن يصور أملا ، ويشخص هدفا ، ويرسم مستقبلا ، جديرا بماضى مصر المجيد التليد العتيد ..

ولقد كان هذا القول اذ ذاك غريبا عن الاسماع ، الا عن سمع الام العجوز المحنكة الحكيمة : مصر .. ولم يلبث شعورها الابدى ، وطموحها السماوى ، ان ارتفع على هذا الشعار اليسير .. وجاوزه الى بعيد .. بعيد

والآن وقد سار شعار « **القومية العربية** » فحق على كل ذى فكر ان يبين ما فى هذا الشعار ، بما هو حقيقة ، **من اصالة**

وحق على كل ذى فن ، فى صورة ما ، ان يجسم ما فى هذا الشعار **بما هو عقيدة ، من اصالة** ..

وواجب الفن والعلم ، فى تبين هذه الاصالة ، وترسيخها أبين من ان يلفت اليه ، او يدلل عليه .. والقادرون على هذا الواجب ، من اهل الفن والعلم ، فى غنى من الشعور النفسى القومى ، لا حاجة معه الى اثارة العزم ، او استنهاض الهمم

ومن المسعد ان تكون « الادب » قوية الرؤية لهذا كله عميقة الوعى له ، تامة الاستعداد لادائه ، متأهبة له بكل قواها النفسية ، والعقلية ، والمادية ..

بل لعل « الادب » قد باكرت ذلك الواجب ، منذ بعيد ، وجدت فى سبيله جدا ، تحرص فيه دائما ، على ما يحرص عليه كل الامناء من ان يكون المخبر اكثر من المظهر

ولئن اشارت « الادب » الى شىء من عمل فى سبيل اصالة الشعار ، فى حياتنا المتطلعة فمعاذ الله ، ومصر الخالدة ان تكون تلك الاشارة ، الى غير الاغراء بذلك العمل ، والحرص على الانتفاع به ، والتذكير بقيامه ، والدعوة الى تأييده ، والعمل لاتمامه ، والاثارة الى العناية به ، والدرس له وتصييره من كبريات الحقائق ..

ولمثل هذه الاغراض الكريمة تشير « الادب » الى دراسة عن « قوميتنا .. واسسها » تحت الطبع ، الذى اخرته موانع ، قد ازالها الزمن ، واراحت منها التجربة ، فخرجت الفكرة فى اسس هذه القومية مصفاة سالمة

وهى ناحية من اصالة الشعار المنشودة ، تشعر « الادب » ويشعر قومها الامناء ، بعد الدراسة الممتدة ، والبحث المتصل انهم قد فرغوا منها

وانه لينبغى لها ولهم ، بل يجب عليها وعليهم ، ان تتابع ويتابعوا مثل هذا الجهد نحو شطر الشعار ، وهو « العربية » ليلوح اصيلا .. فى الفكرة ، وفى العقيدة جميعا ؛ وقد بذلت فى هذا المجال جهود ، توجب على كل ذى وعى ، ان يكون له فيها راى ، لتتعاون القوى كلها على تحقيق اصالة الشعار ، فى العربية .. كما تمت تلك الاصالة فى القومية

عبد الأمناء

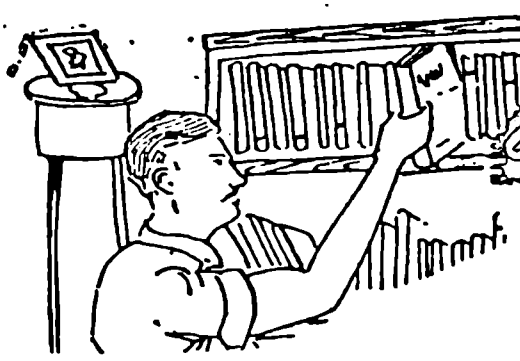

مخطوطات .. أو مطبوعات نادرة

الشاعر يترجم لنفسه

تقديم : فتوح يوسف

كان من عادة استاذنا الشاعر الكبير عبد الرحمن شكري (١٨٨٦ ـ ١٩٥٨) ، ان يرد بخطه على كل رسالة او بطاقة تصله ، وعلى كل مطبوع يهدى اليه .. وكان يكتب تلك الخطابات دون تانق او عناية .. حتى لكان يتخللها احيانا الشطب والاضافة ..

وكذلك كان يكتب شعره ونثره في سرعة خاطفة .. وقد يبعث بالمسودات الى صحيفة او مجلة ، فتنشرها .. ولا يلبث ان يضايقه ما وقع هناك من خطأ لغوى او لفظي لم يتداركه ـ الى جانب مايحدث عادة من اخطاء مطبعية لم تستدرك !..

ولم يكن الشاعر ـ فيما يبدو ـ يتوقع ان يعنى احد بالاحتفاظ بما يكتب عفو الخاطر في تلك الرسائل « الشخصية » .. وكان ما يهمه ، أن يبقى شعره وحده .. ولهذا أيضا ما كان ليابه بما يوجه الى شخصه من نقد او مطاعن ـ فهو انسان كسائر الناس ، وهو يصور ضعفه البشرى في كتابه « الاعترافات » عام ١٩١٦ . وفي الكثير من شعره .. ثم يقول لناقديه :

ارمي بشعري في حلق الزمان ولا
ابيت منه على هم وبلبال
لا ابتغي الجاه اسعى له ضرعا
جزاء شعري ان الجاه يسعى لي

وتبادل شكري الرسائل «الخاصة» في شبابه وشيخوخته مع عدد من صحابه وتلاميذه ، ومع بعض من الادباء وارباب الصحف . بقي منها اكثر من مائة رسالة تتفاوت في قيمتها ولم يزل الباقي محجوبا عند نفر من اصدقائه القدماء ـ أو ضائعا .. (١)

---

(١) اطلعت بين تلك الرسائل المائة الباقية على ٦٠ رسالة وبطاقة مرسلة الى ، وثلاث مرسلة الى الشاعر السكندرى عثمان حلمي عام ١٩٣٦ و ١٢ رسالة الى الدكتور فؤاد صروف (١٩٤٣ ـ ١٩٤٤) حين كان يراس تحرير المقتطف ، و١٤ رسالة (عام ١٩٥٨) الى الاستاذ محمد رجب البيومي ، وثلاث الى الاستاذ محمد بركة بالاسكندرية وواحدة الى اسعد حسني .. والباقي خطابات الى افراد اسرة الشاعر .. وسوف نشير اليها ن.ى

الشاعر

فقبل عام ١٩٢١ كان شكرى يتبادل الرسائل والقصائد مع مريديه من شعراء جيله ومنهم : حسن فهمى وعبد الحميد السنوسى ، والعبادى والمازنى ، والعقاد .. وغيرهم .. وقد نشروا المنظوم منهـا فى الصحف والدواوين .. (١)

وفيما بين ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩ كان ينشر القصائد والابحاث بمجلتى الثقافة والرسالة .. وكان لدى الاستاذ أحمد حسن الزيات ـ صاحب الرسالة مخطوطات تلك القصائد والمقالات ، وما كان يصحبها احيانا من بعض الخطابات ..

وفى عام ١٩٣٩ ـ ثم فيما بين ١٩٤٧ ـ ١٩٥١ ـ كان شكرى ينشر الابحاث وبعض الشعر بمجلة « المقتطف » .. وكان قد توقف عن النشر خلال الحرب العالمية الثانية لاسباب خاصة .. فأرسل اليه محرر المجلة ـ دكتور فؤاد صروف ، رسالة عن سبب الصمت ، واجابه شكرى فى ثلاث عشرة رسالة ـ مؤرخة فيما بين يناير ١٩٤٣ ومارس ١٩٤٤ ـ مصحوبة ببعض القصائد ـ على الا ينشرها الآن ـ ولم ينشرها الدكتور صروف الا بعد وفاة الشاعر وسوف نتحدث عنها فيما بعد

ولما اصيب شكرى بالشلل فى يناير ١٩٥٢ وظل مريضا محطما معتكفا الى يوم وفاته (فى ١٥ ديسمبر ١٩٥٨) ، وتعطلت ذراعه اليمنى فى الفالج النصفى عن الحركة ، رأى كى يرد بنفسه على رسائل مريديه ، ان يتمرن على الكتابة بيده اليسرى غير المشلولة ، وكتب بها خلال تلك السنوات الست الاخيرة اكثر من سبعين رسالة وبطاقة ـ يسودها جو المرض والضجر ـ ولم ينظم وقتذاك شعرا او يكتب بحثا ..

وكانت مجلة « العالم العربى » بالقاهرة ـ ويراس تحريرها الاستاذ أسعد حسنى ـ قد اصدرت عددا خاصا فى ١٥ سبتمبر ١٩٥٦ لمناسبة الميلاد السبعينى للشاعر ، وبه بعض المقالات والصور ، فلفت صدوره انظار الكثيرين من الادباء والاصدقاء القدماء فبحثوا عن عنوان الشاعر الذى انتقل اليه من بورسعيد فى اكتوبر ١٩٥٥ ـ وراسله بعضهم ..

وهاهى رسائله التى تنشر للمرة الاولى كتبها جميعا بيده اليسرى فى سنى المرض والتحطم والسأم وملازمة

---

(١) كان شكرى حوالى عام ١٩٢٠ يتصدر ندواته الادبية فى حديقة الشلالات بالاسكندرية ولى بعض مقاهيها ، وحوله شعراء الشباب : السنوسى ، وحسن فهمى ، وعثمان حلمى ، وزكريا جزارين ، ومحمد مفيد النوباشى ، وعبد اللطيف النشار ، ثم حضر الاستاذان العقاد والمازنى ليعلما بمدارس الاسكندرية ، وانضما الى الندوة .. وكان الاستاذ على ادهم تلميذا لشكرى بمدرسة راس التين عام ١٩١٤ ، كما كان كاتب هذه السطور تلميذا له بهذه المدرسة (١٩١٨ـ١٩٢١) وكان عبد الحميد العبادى ، والنقراشى والسباعى بين زملائه بمدرسة المعلمين

المنزل .. فيما عدا أولاها التى ارسلها عام ١٩٤٦ خلال زحمة العمل ، فور اهدائى كتابا اليه (وعلمت فيما بعد انه قرأه كله) :

— ١ —

حضرة الاستاذ الجليل ..
تحية واحتراما
تسلمت كتابكم الجليل (الحياة الجديدة) فارجو التفضل بالسماح لى بان اشكركم على هذه الهدية النفسية .
وتفضلوا بقبول الاحترام
المخلص
عبد الرحمن شكرى
الجمعة ١١ سبتمبر ١٩٣٦

— ٢ —

٣٠ اغسطس ١٩٥٢
الاستاذ الاديب و ...
بعد التحية والاحترام
تشرفت بتسلم كتابكم الجليل « مواكب الناس » . ولما كانت يدى اليمنى مشلولة ، والجانب الايمن مشلولا ، استعرت يدا كتبت بدلى هذا الخطاب . وانا لم أقرأ الكتاب بعد ، لانى تسلمته الان . ولكن ما أعرفه من عظيم فضلكم ووافر عقلكم ، يشوقنى انى قراءته . ولكن كيف عرفت عنوانى فى بورسعيد !
فقد نسينا الاصدقاء . فاشكركم على هذه الهدية النفيسة . وتفضلوا بقبول فائق الاحترام
المخلص
عبد الرحمن شكرى

— ٣ —

١٩٥٢/١٠/٣
— كتبت باليد اليسرى بسبب شلل اليمنى
الاستاذ ..
تحية واحتراما — وبعد . لا أدرى اذا كنت تستطيع ان تقرأ هذا الخط ولكنى رأيت ان أكتب لاشكرك على هذه القصص التى تدل على العبقرية وحسن الاختيار والخبرة بالنفوس البشرية . وبودى ان اقرأ لك مجموعات قصص اخرى قبل ان اموت . ان عمرك الان نحو السابعة والاربعين او الثمانية والاربعين . فعندك فسحة لكتابة مجموعات اخرى كثيرة . ولو ان هذه المجموعة هى اشبه بالحياة جمعت بين اناس من كل لون وصنف فأرجوك ان تقصر ادبك على كتابة القصص القصيرة ، فقد برزت فيها وستبرز ان شاء الله . ولا تنس ان ترسل الى نسخة اذا نشرت شيئا فى القريب العاجل . اما البعيد فانى اعالج سكرات الموت او ما هو شبيه بها .
وتفضلوا بقبول عظيم الاحترام
المخلص
عبد الرحمن شكرى

— ٤ —

(وخشيت — وهو على هذه الحال التى وصفها — ان اعرضه لكتابة الرسائل بيده غير المشلولة .. وتريثت املا فى زيارة قريبة لبورسعيد . ومضت الايام ولم اوفق الى هذا السفر . فكتبت اليه راجيا له العافية وناويا كتابة مقالة عنه بعد ان استوفى بعض النقط فى تاريخ حياته .. فأجاب : —)

٧ — شارع الشهيد مختار محمود سعيد
(أفريقيا سابقا)
بورسعيد

— كتبت باليد اليسرى
١٥ يونية ١٩٥٥

السيد الاستاذ الكبير

تحية واحتراما — ان صحتى ليست على ما يرام . ومن اجل ذلك ارجو منكم ان لا تعرضنى للنشر . ومايتبعه من عـــداوات السفلة اللئام . فانهم يا سيدى اعداء لكل مفكر او كاتب !

ان صحتى ضعيفة فسامحنى .

اما ما تريد معرفته من حيـاتى ، قبـودى لو ذكرته وانا اكتبه لك . فليس لى فى بورسعيد تلاميذ اعرفهم

وعلى اى حال انى قد ذكرت لمن يكتب عنى ما يقوله فى بعض الادباء من خروجى على النحو والصرف وعدم معرفتى لهما !

وفى الختـام ارجو لك الصـــحة والسلامة

المخلص

عبد الرحمن شكرى

(ثم أرسل الى فى يونية ١٩٥٥ هذه الصفحة من حياته — وكتبها بيـــده اليسرى تلبية لطلبى : —)

« جاءت أسرة عياد المغربية ونزلت فى الجيزة التى تتاخم صحراء المغرب واستوطنت بها ، واختلطت بالفلاحين وزرعوا النخيل . وهكذا صار حسن عياد بن حسن عياد — مصريا بعد تزوجه من بلاده . ثم رزق غـــلاما فسماه أحمد شكرى عياد عنـــدما الحقه بالمدارس المصرية .

ويغلب على الظن أن شكرى اسم التحق به فى المدارس . ولكن لماذا لم يوضع فى آخر الاسم ؟

وكبر نجله وتعلم اللغات . وبرع فى الفرنسية . فلمـا شب دخل فى خدمة الحكومة ووظف فى الاسكندرية فى « الضابطية » . ثم رئيسا بقـلم المرور بالمرفأ . وكان نجله محمـــد شكرى عياد يحتذى اباه (١) فلما كبر التحق بوظيفة فى الضابطية » . وهذه الاسرة ارتبطت بالزواج باسرة مغربية مثلها وهى اسرة « مغربى بك سعد » ابن سعد المغربى . فتزوج محمد شكرى عياد من بنت « مغربى بك سعد » .

« ولكن حدثت حوادث الثـــورة العرابية . وكان محمد شكرى عياد — بحكم منصبه فى الضابطية — معرضا للتهم . فاتهم بممالأة العـــرابيين . ولاسيما انه كان صديقا لفريق منهم مثل السيد عبد الله نديم .

فلما خبت الثورة حوكم محمـد شكرى عياد ، وحكم عليه بالسجن مع العرابيين ، وظل فى السجن زمنا . ولكن اباه احمد شكرى عياد — بسبب براعته فى اللغة . كان استاذا لبعض الامراء والكبراء ، فاستشفع له حتى قبلت شـــفاعته ، واطلق سراحه . وما زال يواليـــه بشفاعته حتى عين معاونا للادارة فى محافظة بورسعيد

وكانت الثورة حدثت ١٨٨٢ وظل خارج الخدمة مدة . وفى هذه الفترة مات ابناؤه من الارهاق . فبـــدأ يؤسس من اسرته ابناء لم يكـــونوا اشداء العود . فولد له ابنه عبـــد الرحمن شكرى سنة ١٨٨٦ — الذى اسقط منه لقب عياد عندما التحق بالمدارس .

« وكان تعلمه للغة العربية كتعلم المشايخ قبل الآن . ففى المدرســـة الابتدائية ، كان الشيخ مصـــطفى يعلم تلاميذه الاعراب قبل تعلم النحو والصرف . ويعلمهم النحو والصرف عن طريق الأعراب . وكان الشـــيخ مصطفى شاعرا ، يجيد حفظ الشعر

---

(١) محمد شكرى عياد — هو والد الشاعر عبد الرحمن شكرى .. وابنة مغربى سعد هى والدته .. وقد ولد لهما الشاعر فى ١٢ من اكتوبر عام ١٨٨٦ بمدينة بورسعيد

ويلقى على التلميذ بيتا فى الغزل ، ثم يطلب منه إعرابه ، ويساعده . فاذا نسى التلميذ أو سها عما يلقن ، ضربه ضربا مبرحا بالعصا . فكان تلاميذه يحفظون الشعر هكذا . وكانوا يحفظون الإعراب والنحو والصرف هكذا بالعصا .

« وفى مكتبة أبيه وجد عبد الرحمن دواوين منها ديوان ابن الفارض ، وديوان البهاء زهير . وهما من أوائل الدواوين التى درسها . ثم ديوان المتنبى وقد علمه فن الشعر . وكتاب « الوسيلة الادبية » للشيخ المرصفى الكبير . وكان جيد اختيار الشعر . ولاسيما فى الجزء الثانى الذى جمع فيه مختارات شعراء العربيه . وشعر محمود سامى البارودى . ومن هنا تعلم عبدالرحمن شعرمحمود سامى البارودى ، ووصله بشعراء العرب مثل الشريف الرضى ، وابى نواس ، وابى تمام .. الخ ..

« وقد زار اباه فى بيته ونزل ضيفا عنده السيد عبد الله نديم عندما سمح له بالعودة . وكان نديم لايأنس بالحكومة ، ولا تأنس له الحكومة . فكان عبد الرحمن يراه دائما فى حيرة وقلق . ولكنه كان ينظر بعين الصقر أو النسر . فكان كالصقر الحائر . وكان هذا بينا ظاهرا ، حتى للغلام . فلابد أن همومه كانت كثيرة

* * *

« هذه هى نشأتى الشعرية الاولى — من الابيات التى كان الشيخ مصطفى يلقنها بالعصا ، وشعراء الغزل المتأخرين مثل ابن الفارض ، والبها زهير ، وكتاب « الوسيلة الادبية » الذى افادنى كثيرا . ومنه تعلمت جيد الشعر .

« وعندما دخلت مدرسة المعلمين كان ساسى المغربى قد طبع الاغانى ، وطبع الرافعى الكتبى — حماسة ابى تمام ، وطبع الشريف الرضى فى الشام .

فأبو تمام اختار فى النسيب نسيب الوجدان والاشجان . بينما شعره هو ، كان فن صنعة وزخرف . والشريف الرضى كان نسيبه وجدانيا ايضا . اما الاغانى فكان فيه شعراء العذريين . وهو نسيب ايمان . وكان فيه شعراء الزخرف من الاستعارات والتشبيهات التى لقنت الشاعر المذهبين . فكان اولا فى الجزء الاول والثانى ، ينظر الى الشعر انه ادب زخرف وتشبيهات . ثم بدأ ينظر اليه انه أدب وجدان . اولا بما اختار من نسيب الوجدان فى الحماسة ، ونسيب الوجدان فى شعر الشريف الرضى ، ونسيب الوجدان فى شعر شعراء « الذخيرة الذهبية » الانجليزية الذى وزع على طلبة المعلمين .

«وبدأ الشاعر (١) يقرأ شعر بيرون وشلى ، وكيتس ، وبرونتج ، وتنسون وجميع شعراء « الذخيرة الذهبية » فصار يرى الادب ، أدب ايمان ووجدان بعد أن كان ادب صنعة وزخرف وترف . وعاد يقول :

جهلنا فما ندرى على العيش ماالذى
يراد بعيش نحن فيه نقاد
سوى أن عيش المرء بالشك فاسد
وان يقينا فى الحياة رشاد

« هذا ما استفاده من شعر الشريف الرضى وامثاله . بعد أن كان يرى الشعر فن ترف محض .

فصار فى الجزء الثالث ، والاجزاء التالية فن ايمان ووجدان واشجان — فى النسيب وفى العقيدة .

---

(١) يلاحظ أن الشاعر يتحدث فى هذه الرسالة تارة بضمير المتكلم وتارة بضمير الغائب وكذلك لما عرف عنه من شدة الحياء . حتى فى رسالة خاصة لا يطلع عليها غير المرسل اليه .

ففى الجزء الثالث والرابع (١) الخ ترى النسيب مثل نسيب العذريين وغيرهم . وقلت موضوعات الزخرف والصنعة ، بينما فى الجزء الاول تكثر موضوعات الزخرف والصنعة . وترى فن الايمان فى قصيدة « الحرية » فى الجزء الثانى . فيقول :

حسبوك صافية الجبين خريدة
تسبى القلوب بأكحل وسنان
هلا راوك وانت بين معاشر
وضعوا السيوف مواضع التيجان
ولرب جرم محوه جريمة
ظلم الظلوم وقتله جرمان

« وقبلها فى الجزء الاول قال : « وهل حسبوا ان يطفئوا النار بالنار ؟ » (٢) ومن الغريب أن هذى القصائد قيلت والشاعر يدرس .

« وقال ايضا قصيدة «هز الانوف» فى الجزء السادس : (٣)

لقد جاء فى الاخبار ان مملكا
حمته العوالى والرماح الشواجر
راى فى يسير الظلم خبرا لخابر
فكان قضاء ان تهز المناخر
صباحا اذا ما الشمس ذر شعاعها
وليلا وفى وكر الكرى منه طائر
فقام اليه ناقم هز انفه
وقال وقد مدت اليه النواظر
اذا نحن طامنا لكل صغيرة
فلا بد يوما ان تساغ الكبائر !

« وانقطع بعد الجزء السابع طبع دواوين شعره فى سنة ١٩١٩ . ونشر له شعر فى : عكاظ ، والرسالة ، والاهرام ، والمقتطف ، والهلال ... الخ . (٤)

ففى الرسالة نشرت قصيدة « شهداء الانسانية » . وفيها يقول :

وكم من نعمة لولا شقاء
قديما لم تكن الا وبالا (٤)

ونشرت قصيدة « بعد الاخاء والعداء » و «الايمان» و «الصحراء» و «ليلة حوراء» و «حديقة الازمان» و «الملك الثائر» — وهى قصيدة فى الايمان . « والعصر الذهبى » .. الخ

وفى المقتطف نشرت قصيدة : « السكون بعد النغم » .. الخ ..

وفى المقطم نشرت : «الانسان والكون» وفى الهلال نشرت قصيدة : « صوتك » و « شفق الغروب » وفى الاهرام نشرت : « المثل الاعلى» و .. الخ ..

وهناك قصائد اخرى لم تنشر مثل : «جمال الحياة» و «حلم بالاندلس» وقصائد نشرت فى «ديوان العرب» مثل «البحر» سنة ١٩١٩ و « مفتاح القلوب » و « مرآى الجلال وذكرى الجلال » (٥) . وقصائد اخرى نشرت ولم نذكر اسماءها . فترى ان شعره الاخير كان اروع من شعره الاول . لانه فى شعره الاول كان يعنى بالزخرف فحسب . بينما شعره الاخير اكثر وجدانا واشجانا وافكارا »

— ٦ —

١٦ يونية ١٩٥٥

السيد الأستاذ ..

تحية واحتراما .. اليوم جاءنى

« البقية على ص ١٦٧ »

---

(١) يقصد اجزاء دواوينه (ديوان عبد الرحمن شكرى) وقد طبع منها سبعة اجزاء فى حياة الشاعر من (١٩٠٩ — ١٩١٩) وطبع الجزء الثامن بعد وفاته مع جميع الاجزاء .

(٢) هى شطرة من قصيدة « الثبات » التى فصل الشاعر من اجلها من مدرسة الحقوق عام ١٩٠٦

(٣) الصواب (الجزء السابع) (٤) يشير الشاعر الى بعض قصائده التى لم تجمع ليرجع اليها المرسل اليه اذا شاء . (٥) الصواب : مرآى الجمال وذكرى الجلال » ج ٨ ص ٦٤٩

• المؤسسة المصرية العامة للادخار •

صندوق توفير البريد

هدف جميع الطبقات

من أجل سعادة أبنائهم

ربح ٥٪

مصر والعهد القديم

اختيار وتنسيق : توفيق حنا

١ من أناشيد أخناتون

فى كتاب « الحكومة الاشتراكية منذ ٣٥٠٠ سنة » الذى الفه سرج ديرين وتحدث فيه عن الاسرة ١٨ الفرعونية وعن مصر الاقتصادية والذى ترجمه عام ١٩٣٥ انطون ذكرى ، تقرأ هذه الكلمات :

« بعد مضى الف سنة من تاريخ اخناتون كون افلاطون جمهوريته فاتخذ العدل والسلام اساسا للاسم الاشتراكى الشامل لها . جاء افلاطون الى مصر وقرأ تاريخ هيرودوت ودرس نظم مصر الفرعونية فلابد ان هذه الدراسة كان لها الاثر الفعال فى تكوين افلاطون تكوينا اقتصاديا »

ونقرأ ايضا :

« فى اناشيد اخناتون ، يدعو الناس الى التآلف والتحاب ليعتبروا من حولهم اخوة لهم ولو كانوا اجانب عن مصر ويسعى فى ترقية المدارك العقلية حتى لا يكون هناك تفاوت بين رعاياه وبين باقى ملوك اسيا »

ونقرأ ايضا :

« كانت افكار اخناتون تهدف الى **ايجاد اتحاد سياسى عالمى سلمى بين مصر وباقى الممالك** .. وقصد ان هذه العقيدة ـ عبادة آتون وايصال الشعوب الى اعظم ما يتمناه الانسان من الكمال ـ تقرب الشعوب والافراد بدون تفرقة بين اصولهم والوانهم وعاداتهم . **وهذه اول تجربة دولية من نوعها فى العالم** . هذه العقيدة التى تنطق بوحدانية الله وان آتون اله للخلق اجمعين وحسناته « تشملهم جميعا »

وفى قصة الحضارة ـ الجزء الثانى ـ الذى الفه ول ديورانت وترجمه محمد بدران ، نقرأ هذا الوصف الشخصى لاخناتون :

« كان اخناتون شخصا نحيل الجسم ، الى حد لا يكاد يصدقه العقل ذا وجه نسائى فى رقته ، شاعرى فى احاسيسه ، وكانت له جفون كبيرة كجفون الحالمين الخياليين ، وجمجمة طويلة شوهاء ، وجسم نحيل ضعيف كان شاعرا شاءت الاقدار ان تجعل منه ملكا .

كان الملك الشاب فى حياته الخاصة مثالا للطهر والامانة . ثار الرجل على عبادة آمون ـ ثورة الشعراء ـ واعلن فى شجاعة ان هاتيك الالهة وجميع مافى الدين من احتفالات وطقوس كلها وثنية منحطة وان ليس للعالم الا اله واحد هو « آتون »

واسجل هنا من نفس المصدر السابق قصيدة اخناتون الطويلة التى وجهها الى آتون .. وهذه القصيدة اقتبسها صاحب المزمور رقم ١٠٤ فى العهد القديم، على ما سيجىء :

ما اجمل مطلعك فى افق السماء
اى آتون الحى مبدأ الحياة
فاذا ما اشرقت فى الافق الشرقى
ملات الارض كلها بجمالك
انك جميل ، عظيم ، براق ، عال فوق كل الرؤوس
اشعتك تحيط بالارض .. بل بكل ما صنعت
انك انت رع وانت تسوقها كلها اسيرة
وانك لتربطها جميعا برباط حبك
ومهما علوت فان آثار قدميك هى النهار

* * *

واذا غربت فى افق السماء الغربى
يخيم على الارض ظلام كالموت
ونام الناس فى حجراتهم
وعصبت رؤوسهم
وسدت خياشيمهم
ولم ير واحد منهم الاخر
وسرق كل متاعهم
الذى تحت رؤوسهم
ولم يعرفوا هم هذا

وخرج كل اسد من عرينه
ولدغت الافاعى كلها
وسكن العالم باجمعه
لان الذى صنعها يستريح فى افق سمائه

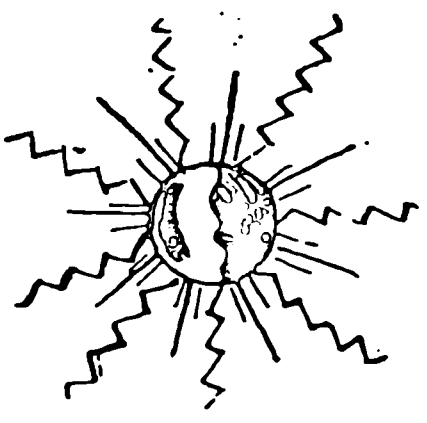

* * *

ما ابهى الارض حين تشرق فى الافق
وحين تضىء يا آتون بالنهار
تدفع امامك الظلام
واذا ما ارسلت اشعتك
اضحت الارضان فى أعياد يومية
واستيقظ كل من عليها ووقفوا على اقدامهم حين رفعتهم

فاذا غسلوا اجسامهم ، لبسوا ملابسهم
ورفعوا أيديهم يمجدون طلوعك
واخذوا فى جميع انحاء العالم يؤدون اعمالهم
واستراحت الانعام كلها فى مراعيها
وازدهر الشجر والنبات
ورفرفت الطيور فى مناقعها
واجنحتها مرفوعة تسبح بحمدك .
وطار كل ذى جناحين
كلها تحيا اذا ما اشرقت عليها
واقلعت السفائن صاعدة نازلة
وتفتحت كل الطرق لانك قد طلعت
وان السمك فى النهر ليقفز أمامك
وان اشعتك لفى وسط البحر العظيم الاخضر

* * *

يا خالق الجرثومة فى المراة
ويا صانع النطفة فى الرجل
ويا واهب الحياة للابن فى جسم امه
ويا من يهدئه فلا يبكى
يا من يغذيه حتى وهو فى الرحم
يا واهب الانفاس
يا من ينعش كل ما يصنعه
وحين يخرج من الجسم .. فى يوم مولده
تفتح انت فاه لينطق
وتمده بحاجاته
والفرخ حين يزقزق فى البيضة
تهبه النفس فيها لتحفظ له حياته
فاذا ما وصلت به
الى النقطة التى عندها تكسر البيضة
خرج من البيضة
ليفرد بكل ما فيه من قوة
ويمشى على قدميه
ساعة يخرج منها

* * *

الا ما اكثر اعمالك
الخافية علينا
ايها الاله الاوحد الذى ليس لغيره سلطان كسلطانه

يا من خلقت الارض كما يهوى قلبك
حين كنت وحيدا :
ان الناس والانعام كبيرها وصغيرها
وكل ما على الارض من دابة
وكل ما يمشى على قدمين
وكل ما هو فى العلا
ويطير بجناحيه
والبلاد الاجنبية من سوريا الى كوش
وارض مصر
انك تضع كل انسان فى موضعه
وتمدهم بحاجاتهم

* * *

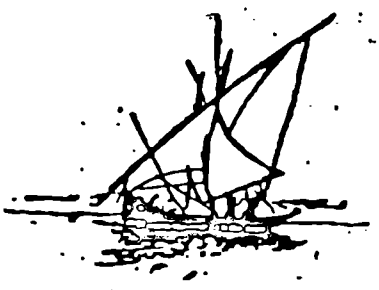

انت موجد النيل فى العالم السفلى
وانت تاتى به كما تحب
لتحفظ حياة الناس
الا ما اعظم تدبيرك
يا رب الابدية
وانت تاتى به كما تحب
لتحفظ حياة الناس
الا ما اعظم تدبيرك
يا رب الابدية
ان فى السماء نيلا للغرباء
ولما يمشى على قدميه من انعام كل البلاد

* * *

ان اشعتك تغذى كل الحدائق
فاذا ما اشرقت سرت فيها الحياة
فانت الذى تنميها
انت موجد الفصول
لكى تخلق كل اعمالك
خلقت الشتاء لتاتى اليها بالبرد
وخلقت الحرارة لكى تتذوقك
وانشات السماء البعيدة واشرقت عليها
لتبصر كل ما صنعت
انت وحدك تسطع فى صورة آتون الحى
تطلع وتسطع وتبتعد وتعود
انك تصنع آلاف الاشكال
منك انت وحدك
من مدائن وبلاد وقبائل

وطرق كبرى وأنهار
كل الاعين تراك أمامها
لانك انت آتون
النهار فوق الارض

* * *

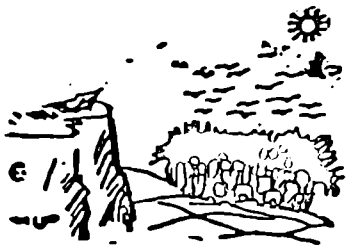

انك فى قلبى
وما من احد يعرفك
الا أبنك اخناتون
لقد جعلته حكيما
بتدبيرك وقوتك
أن العالم فى يدك
بالصورة التى خلقته عليها
فاذا ما اشرقت دبت فيه الحياة
واذا غربت مات
لانك انت نفسك طول الحياة
والناس يستمدون الحياة منك
ما دامت عيونهم تتطلع الى سناك
حتى تغيب
فتقف كل الاعمال
حين تتوارى فى المغرب

* * *

انت اوجدت العالم
واقمت كل ما فيه لابنك
اخناتون ذى العمر المديد
ولزوجه الملكة الكبرى ـ محبوبة
سيدة القطرين
نفرو ـ نفرو ـ آتون ، نفرتيتى
الباقية المزدهرة ابد الآبدين

وفى العهد القديم

٢- من سفر المزامير

المزمور (١٠٤)

يقول المؤرخون ان هذا المزمور مقتبس من اناشيد اخناتون

باركي يانفس الرب
يا رب الهي قد عظمت جدا
يارب آلهي قد عظمت جدا
مجدا وجلالا لبست
اللابس النور كثوب
الباسط السموات كشقة
المسقف علاليه بالمياه
الجاعل السحاب مركبته
الماشي على اجنحة الريح
الصانع ملائكته رياحا
وخدامه نارا ملتهبة
المؤسس الارض على قواعدها
فلا تتزعزع الى الدهر والابد
كسوتها الغمر كثوب
فوق الجبال تقف المياه
من انتهارك تهرب
من صوت رعدك تفر
تنزل الى البقاع
الى الموضع الذى اسسته لها
وضعت لها تخما لا تتعداه
لا ترجع لتغطى الارض
المفجر عيونا فى الاودية
بين الجبال تجرى

تسقى كل حيوان البر
تكسر الفراء ظمأها
فوقها طيور السماء تسكن
من بين الاغصان تسمع صوتها
الساقى الجبال من علاليه
من ثمر اعمالك تشبع الارض
المنبت عشبا للبهائم
وخضرة لخدمة الانسان
لاخراج خبز من الارض
وخمر تفرح قلب الانسان
لالماع وجهه اكثر من الزيت
وخبز يسند قلب الانسان
تشبع اشجار الرب أرز لبنان
الذى نصبه حيث تعشش
هناك العصافير
أما اللقلق فالسرو بيته
الجبال العالية للوعول
الصخور ملجأ للوبار

* * *

صنع القمر للمواقيت
الشمس تعرف مغربها
تجعل ظلمة ، فيصير ليل

فيه يدب كل حيوان الوعر
الاشبال تزمجر لتخطف ولتلتمس من الله طعامها
تشرق الشمس فتجتمع وفى مآويها تربض
الانسان يخرج الى عمله والى شغله الى المساء
ما اعظم أعمالك يارب
كلها بحكمة صنعت
ملآنة الارض من غناك
هذا البحر الكبير الواسع الاطراف
هناك دبابات بلا عدد
صغار حيوان مع كبار
هناك تجرى السفن
لوياثان هذا ، خلقته ليلعب فيه
كلها اياك تترجى لترزقها قوتها فى حينه
تعطيها فتلتقط
تفتح يدك فتشبع خيرا
تحجب وجهك فترتاع
تنزع أرواحها فتموت
والى ترابها تعود
ترسل روحك فتخلق
وتجدد وجه الأرض

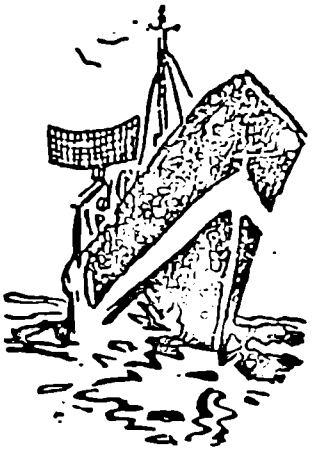

* * *

يكون مجد الرب الى الدهر
يفرح الرب بأعماله
الناظر الى الارض فترتعد
يمس الجبال فتدخن

* * *

أغنى للرب فى حياتى
ارنم لالهى ما دمت موجودا
فيلذ له نشيدى
وأنا افرح بالرب

* * *

لتبد الخطاة من الارض
والاشرار لايكونون بعد
باركى يا نفسى الرب

* * *

هللويا

"THE OLD MAN'S FUNERAL"
By William C. Bryant (١)

رايت رجلا طاعنا فى السن حمل على نعشه ،
تعلو راسه شعرات بيضاء ،
وقد ارتسمت على جبينه آثار متاعب حياته الطويلة :
متاعب قد زالت الآن وغدت نسيا منسيا .
امض الحزن كل من كانوا حوله فنكسوا رءوسهم ،
واجهش الاولاد والنساء بالبكاء .
وشاهدت شيخا آخر ينهض واقفا ، وبصوت متهدج ، يخاطب تلك الجماعة الحزينة الباكية .. قائلا :

لماذا تحزنون لموت صديقنا الشيخ ؟
وانتم لا تكتئبون حين ترون القمح يحصد ،
والثمار الناضجة تسقط فى البساتين ،
والبلوط يتهاوى فى الغابات الصفراء ؟
ولا انتم تتاوهون عندما الشمس ، بهجة السماء والارض ،
تتم مسارها الرائع فى المساء لتجنح ، والهواء لطيف ،
الى الراحة فى جزرها حيث تستعيد رونقها ،
مخلفة وراءها ابتسامة رحيلها ، تملأ بالالوان الدافئة القرمزية صفحة السماء ورءوس الجبال !

لماذا تبكون عليه ! وقد بلغ نهاية العمر المحدد له ،
واستوفى حظه من الحياة ، وخبر اتراحها وافراحها ،
والان ، ذهب فى هدوء لينام نومته الاخيرة ،
بينما ذكر فضائله باق كالوان الشفق حين تغرب الشمس الساطعة !

---

(١) بريانت شاعر امريكى معمر ، ولد سنة ١٧٩٤ وتوفى سنة ١٨٧٨ . وظهر اول ديوان له وهو فى الثالثة عشرة من عمره .

كان فى شبابه طاهر الذيل ،
وكان شعاره فى كهولته : القيام بعمل مفيد فى كل يوم ،
وقضى اخريات سنيه فى دعة منجبة ، موفور الراحة والكرامة ،
وفى غبطة ، فارق الحياة الدنيا الى حيث ينال نصيبه من الراحة المقدسة ،
التى تنتظر الذين حفلت ايامهم بما ينبغى أن تصرف فيه الحياة من صالح الاعمال !
كانت حياته سعيدة ، وكان دائم الشكر على نصيبه منها ،
فلم يكن مستعبدا لشذوذ فى المزاج ،
كما لم تعبث به الادواء الوهمية ،
ولم تنهك اطراف بدنه العلل المزمنة وليدة الترف والكسل !
انى لجد مسرور انه عاش هذا القدر من الحياة ،
ومسرور ايضا انه رجل ليحصل على ثوابه ،
وانا لا احسب ان الطبيعة قد ظلمته بقطعها — فى هوادة — صلته بالحياة الدنيا !
لانه لما توقفت يده عن الحركة ،
واظلمت عينه بضباب الشيخوخة :
كان قد جاء اجله وحانت منيته !

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر
أصدرت من تراثنا القديم

١ - المغنى
فى ابواب التوحيد والعدل
للقاضى ابى الحسن عبد الجبار
الجزء السادس (التعديل والتجوير)
تحقيق
د . أحمد فؤاد الأهوانى
مراجعة
د . إبراهيم مدكور
باشراف
الدكتور طه حسين
الناشر : الشركة العربية للطباعة والنشر

٢ - كشاف اصطلاحات الفنون
للتهانوى
أكبر معجم لمصطلحات الثقافة الإسلامية
الجزء الأول
حققه
د . لطفى عبد البديع
ترجم نصوصه الفارسية
د . عبد النعيم محمد حسنين
راجعه
الأستاذ أمين الخولى
الناشر : مكتبة النهضة المصرية

قصائد من اليوت

ترجمة : ماهر شفيق فريد

١ ـ خلط ذات ليلة عاصفة

الساعة الثانية عشرة .
على طول كل ما يدركه الشارع
وقد قام فى تركيبة قمرية ، يهمس رقى قمرية .
يذيب أراضى الذاكرة وكل علائقها الواضحة وتقسيماتها ودقائقها .
أن كل مصباح شارع امر به ليخفق مثل طبلة قدرية
وفيما بين فجوات الظلمة يهز منتصف الليل الذاكرة .
مثلما يهز مجنون زهرة جيرانيوم ميتة ..

• • •

الساعة الواحدة والنصف .
قد فافا مصباح الشارع ، قد تمتم مصباح الشارع
قد قال مصباح الشارع : « انظر الى تلك المرأة
التى تتردد أزاءك فى ضوء الباب
وهو ينفرج عنها مثل ضحكة فاترة .
انك لترى حافة ثوبها وقد تمزق ولطخته الرمال
وانك لترى طرف عينها يتلوى مثل دبوس ملتو »

• • •

ان الذاكرة لتلفظ الى اعلى فى جفاف
حشدا من الاشياء الملتوية :
غصنا ملتويا على الشاطىء وقد تآكل والتمع
فكانما العالم قد تخلى عن سر هيكله العظمى متصلبا ابيض .
ربيع محطم فى فناء مصنع ،
صدى يتعلق بالشكل الذى خلفته القوة
متجمدا ملتويا على أهبة الانتصاف .

• • •

الساعة الثانية والنصف .
قد قال مصباح الشارع :
« لاحظ القطة التى تبسط جسدها فى الميزاب
وتمد لسانها وتلتهم قطعة من الزبد الزنخ ،

هكذا امتدت يد الطفل فى حركة آلية
واودعت الجيب لعبة كانت تجرى على طول الطوار .
ما استطعت ان ارى شيئا خلف عين الطفل .
لقد ابصرت عيونا فى الشارع
تحاول أن تنفذ من بين المصاريع المضاءة .
ولقد قبض سرطان فى بركة ، ذات أصيل
سرطان عجوز ذو مناظير على ظهره ،
قبض على طرف العصا التى مددتها له .

• • •

الساعة الثالثة والنصف .
قد فأفأ المصباح ، قد تمتم المصباح فى الظلام
قد همهم المصباح : « انظر الى القمر »

LA LUNE NE GARDE AUCUNE RANCUNE

(ان القمر لا يحمل ضغنا لاحد)

انه ليغمز بعين كليلة ، انه ليبتسم فى الاركان .
انه لينعم شعر العشب . لقد فقد القمر ذاكرته !
ان جدريا ممتقع اللون ليشقق وجهه .
ان يده لتلوى زهرة من ورق
يفوح منها ريح التراب وماء الكولونيا
انه لوحيد مع كل الروائح الليلية القديمة التى تمر بذهنه وتمر
ان الذكرى لتأتى
فى أزهار الجيرانيوم الجافة التى لاتشرق عليها الشمس .
والغبار فى الشقوق ، وروائح القسطل فى الشوارع
والروائح الانثوية فى الغرف ذات المصاريع ،
والسجائر فى الممرات ، وخليط الابتسامات فى الحانات .

• • •

قد قال المصباح : « الساعة الرابعة . ها هو ذا الرقم على الباب
الذكرى ! ان المفتاح لمعك
وان المصباح الصغير لينشر حلقه على الدرج . فلتصعد .
ان الفراش لمفتوح ، وان فرشاة الاسنان لتتدلى على الحائط .
فلتضع حذاءك لدى الباب ، ولتنم ، ولتستعد للحياة

• • •

آخر التواءات السكين .

٢ ـ البوسطن ايفننج ترانسكريبت

ان قراء البوسطن ايفننج ترانسكريبت
اليتمايلون فى مهب الريح مثل حقل من القمح الناضج

• • •

عندما يسرع المساء واهنا فى الشارع

موقظا شهوات الحياة فى البعض
وجاليا الى البعض الآخـــر البوســطن ايفننج ترانسكريبت
ارتقى الدرجات وادق الجرس مستديرا فى أعياء
مثلما يستدير المرء ليومىء بتحيـــة الوداع الى روشيفوكول
لو كان الشارع زمانا وهو فى نهاية الشارع .
وانى لاقـول : « ايا ابنـــة العم هارييت : هاك
البوسطن ايفننج ترانسكريبت » .

LA FIGLIA CHE PIANGE

O quam te memorem virgo...
O dea certe !

٣ —

فلتقفى على أعلى افريز فى السلم
ولتتكئى على اناء رماد الموتى فى الحديقة
ولتنسجى لتنسجى ضوء الشمس فى شعرك
ولتضمى اليك ازهارك فى دهشة يعروها الالم
ولتلقى بها الى الارض ولتستديرى وثمة استهجان آبق فى عينيك
لكن فلتنسجى لتنسجى ضوء الشمس فى شعرك

• • •

على مثل هذا النحو كنت بحيث ادعه يمضى
على مثل هذا النحو كنت بحيث ادعها تتـوقف وتبتئس
على مثل هذا النحو كان بحيث يمضى
مثلما تفارق الروح البدن الذى تمزق واصابته الرضوض
مثلما يبارح الذهن الجسد الذى قد استخدمه .
اخلق بى أن أجد
سبيلا لا يضارعه سبيل فى خفته وحذقه
سبيلا يمكن لكلينا أن يفهمه
بسيطا ، لا عهد له ، فكانه ابتسامة ومصافحة يد

• • •

قد استدارت ماضية ولكن بطقس الخريف
وقد قصرت خيالى أياما عـديدة ، أياما عـديدة وساعات عديدة .
ان شـــعرها لعلى ذراعيها ، وان ذراعيها لمؤهما الازهار
وانى لاتساءل كيف اجتمع الاثنان !
قد كنت بحيث افقد ايماءة ووقفة
وان هذه التاملات لتحير فى بعض الاحيان
منتصف الليل القلق وراحة القيلولة .

٤ — صباح عند النافذة

انهم ليجلجلون بصحاف الافطار فى المطابخ السفلى
وعلى طول اطراف الشارع الذى وطاته الاقدام
اعنى الارواح الرطبة لخادمات المنازل
وهى تترعرع فى قنوط عند افناء البوابات .

ان امواج الضباب البنية لتقذف الى
وجوها ملتوية من قاع الشارع
وتنتزع من أحد المارة وقد لوث الطين اسفل ثوبه
ابتسامة لا هدف لها ترفرف فى الهواء
وتتوارى على طول سطح السقوف .

٥ ـ العمة هيلين

كانت الآنسة هيلين سيلنجوباى عمة لى عذراء
وكانت تحيا فى منزل صغير قرب ميدان عصرى.
يرعى منزلها عدد من الخدم قد يصل عددهم الى اربعة .
اما وقد توفيت الآن فقد ساد الصمت السماء
وساد الصمت نهاية شارعها .
قد اسدلت المصاريع ومسح الحائوتى قدميه .
كان يعلم ان مثل هذا قد حدث من قبل
لقد لقيت الكلاب من العناية ما يدعو الى الاعجاب
لكن الببغاء ما لبثت ان ماتت هى الاخرى بعد فترة قصيرة
ولقد ظلت الساعة الدرسدنية ترسل دقاتها من فوق رف المدفأة
وجلس الخادم الى مائدة الغداء
مجلسا خادمة المنزل الثانية فوق ركبتيه
وهى التى كانت شديدة التدقيق اثناء حياة مخدومتها .

٦ ـ مستر ابوليناكس

عندما زار مستر ابوليناكس الولايات المتحدة
كانت ضحكاته تجلجل بين اكواب الشاى
فذكرت فراجيليون ذلك الانسان الحيى
وذكرت بريابوس عند منبت الشجيرات
وهو يغفر فاه ازاء السيدة لدى المطلوب .
وفى قصر مستر فلاكوس بدار البروفيسور تشيننج تشيناه
كان يضحك مثل الجنين الذى لا مسئولية عليه .
كان ضحكه غائصا وعميقا مثل ضحك شيخ البحر
وقد اختفى تحت جزائر المرجان
حيث تنساق اجساد الغرقى للمتعة فى الصمت الاخضر
متساقطة من بين اصابع امواج الشاطىء الصخرى.
لقد بحثت عن رأس مستر ابوليناكس متدحرجة تحت كرسى
او كاشرة عن انيابها فوق شاشة
والاعشاب البحرية فى شعره .
ولقد سمعت دقات حوافر القنطروس على العشب
فيما كان حديثه الجاف الحار يلتهم الظهيرة .
« انه لرجل جذاب »
« ـ ولكن ماهدفه ؟ »
« اذناه المدببتان .. »

« لقد قال شيئا كنت بحيث اناهده عليه »
انى لاذكر شريحة ليمون وكمكة مقضومة .

٧ ـ فرس النهر

وعندما تقرأ هذه الرسالة بينكم دعها تقرأ أيضا فى كنيسة اللاودكيين
ان فرس النهر العريض الظهر ليسترخى على بطنه فى الطين
وعلى الرغم من أنه يبدو لنا غاية فى الصلابة
فانه لا يعدو أن يكون لحما ودما .
ان اللحم والدم لضعيفان واهنان يتعرضان للهزة العصبية
أما الكنيسة فلا يمكن لها أن تنهار
اذ هى مؤسسة على صخرة .
ان خطوات فرس النهر الواهنة قد تخطىء
فى الاحاطة بنهايات الاشياء .
أما الكنيسة فهى فى غنى عن الحركة كيما تجمع أنصبتها .
ان فرس النهر لعاجز أبدا عن بلوغ المانجو على شجرة المانجو .
ان صوت فرس النهر فى موسم التزاوج
يخدع بانعطافاته الخشنة الغريبة ، أما نحن فنصغى فى ابتهاج
الى الكنيسة اذ تتحدث مع الرب .
ان نهار فرس النهر لينقضى فى النوم وعند الليل يصطاد .
وان الرب ليتصرف على نحو غامض .
ففى وسع الكنيسة أن تنام وتشبع على الفور .

• • •

لقد ابصرت فرس النهر يتخذ جناحا
صاعدا من بين أعشاب السافانا الرطبة
وجوقة الملائكة تتغنى من حوله بامتداح الرب فى تسبيح جهير .
لسوف ينقيه دم الحمل ولسوف تحتضنه الاذرع السماوية .
ولسوف يرى بين القديسين عازفا على قيثارة من ذهب .
لسوف يغتسل ليكون فى بياض الجليد ولسوف تلثمه كل العذارى
الشهيدات
بينما تبقى الكنيسة الصادقة تحت بلفها الضباب العفن القديم .

حرمان الهوى

هادي حسن الموسوي

حبيبتي ـ لو لسالون الهوى ـ صبية في رقة المخمل
وردية اللون وفي خدها هدية من شفق مخضل
تعربد الفتنة في لونها ثائرة مشبوبة المقل
حديقة الكرم على ثغرها أسوارها في شعرها المرسل
ولواما الحسن على صدرها تنافسا في المعرض الامثل
ومصرع العقل على هدبها من دعوة في جفنها المسبل

* * *

سألتها تحت ظلال الهوى ان تترع الكاس من الجدول
وقلت : يا حبي انا ظامىء لرشفة من سلسل المنهل
بلى أو امي ، ان في اضلعي جوع الرمال السود للسلسل
ووقدة الحب بقلبي الظمى شوق النبيين الى المنزل
فقطبت لي جبهة حلوة وغيمت في اهة الموجل
ولمعضت شفاهها في اسى تعجب من ذي حاجة معجل
وانفلتت كالطيب من خدره يعبق في جوى بلا عامل
الا حنينا صارخا للجوى يقتات حرمان الهوى المهمل
في خلقة الوجدان .. في نظرة في لمسة راعشة الانمل

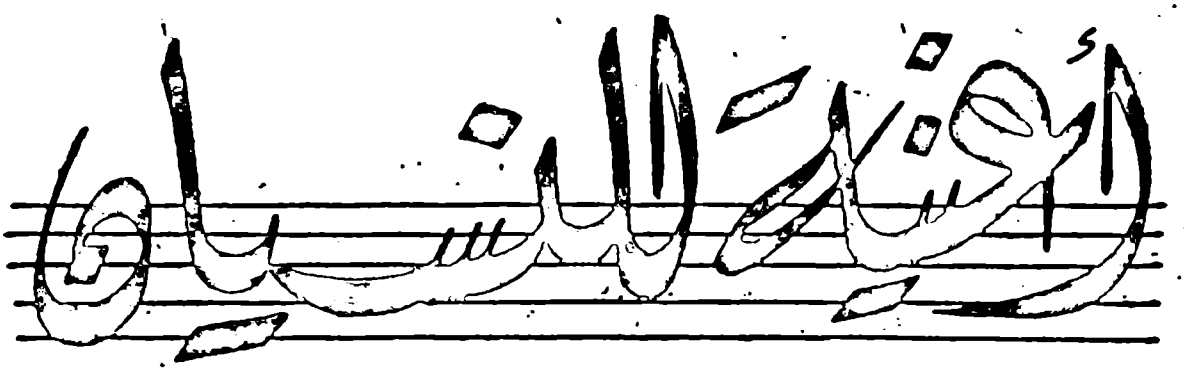

● عبد المنعم عواد يوسف ●

احملنى يا طير الاشواق ..
احملنى حتى اقصى الافاق ..
حتى اغمس قلبى بدم الشفق الاحمر
حتى اكتب شيئا ..
اكتب ايامى المرمية
عبر بحار التيه ، وعبر القلق المر ،
وعبر حدود لا مرئية ..
عبر الابعاد المنسية ..

احملنى يا طير الاشواق ..
احملنى حتى اقصى الآفاق ..
حتى بئر السلوى ..
املأ منها كاسى .
اشرب حتى انسى ..
انسى بعدى عن احبابى ..
انسى انى انفق زهر شبابى ..
فى وديان التيه الاسود ..

واتركنى يا طير الاشواق ..
اتركنى فوق الجبل الاسود ..
لانشد اغنية النسيان ..

ما احلى اغنية النسيان ..
ما اجمل ان ينسى الانسان ..
ينسى الدنيا ، يذهل عنها ..
يهرب منها ..
فوق الجبل الاسود ..
جبل التيه الاوحد ..

يا احزانى ، ابدا ما عدت باحزان ..
وانا فى وادى النسيان ..
يا افراحى ، ابدا ما عدت بافراح ..
فرحى ولى ، بشرى راح ..

آه ، ما اجمل احساسى ..
وانا اشعر ان بكاسى ..
شيئا من خمر النسيان ..
فلاشربها ..

اهلا بالضيف المنشود ..

اهلا اهلا ، جاء النوم ..

ضاع الاسى ، ومات اليوم ..

يا ويلى لو جاء الغد ..

دون معين من نسيان ..

الى فجر يوم ١٩٥٢

أنشودة عربي

البيلى عبد الحميد حسن

املى ، ويا أمل الجـــدود
يامشرق الفجر الجـــديد

يا بســـمة بفم الزمان ، ترف فى شـــفة الخـــاود . .
يا وحى آمالى واحـــلامى من الماضي البعيـــد . .
.. يا ((ثورة)) كانت نفير البعث للشرق المجيـــد .. ! !
فتيقظت أمم على صـــيحاتها ، ومشت وفـــود . . ! !
وتحـــرك العمـــلاق فى دمها ، يزمجر .. كالرعـــود ..
وكتائب الاحـــــرار تعصف بالسلاسل والقيـــود .. !!
فى مصر .. فى بغداد .. فى سوريا .. وفى اليمن السعيد .. !!

* * *

ومواكب الاضـــــواء تلتهم الظـــلام من الوجـــود . .
هبت كدفق السيـــــل ، تنتهب الخطا عبر الحـــدود ..
فى كفها اليمنى القضـــاء ، وباليد الاخـــرى الورود ! !
وحرارة الايمـــان تحدوها الى النصر الاكيـــد . . ! !
و ((جمال)) رائدها يســـير بها الى شـــط الخلود .. !!

* * *

وتدفق الابطال امـــواجا ، كزمجـــرة الاســـود . .
وعلى وجـــوههم العـــزائم هاتفـــات بالوعيـــد ..
والثار بين ضـــلوعهم حمم ، وفى فمهم نشـــيد . .
. . كلمـــاته نار مسعرة يذوب لهـــا الحديد . . ! !
والركب يزار ـ غاضـــبا ـ لابد من سحق اليهـود .. !!
انا هنـــا فى الشرق اعصـــار على الباغى العنيـــد ..
عـــرب لنا فى الروع والامجـــاد تاريخ مجيـــد . .
صفحاته ســـحر ، واضواء ، كما الصبح الوليـــد .. !!
كتبت بذوب المســـك من دم كل مغوار شـــهيد . .
((حطين)) تشهد بالبطولة ـ ان اردت ـ و ((بور سعيد)) ..

* * *

((فرق تسد)) ذا مبدأولى .. فليس له وجـــود .. !!
زمن التفرق قـــد مضى ، هيهات ماماض يعـــود .. !!
ولقد عرفنـــا حقنـــا المغصوب فى ضم الجهـــود .. !!
فاذا بكى فى ((حمص)) ذو الم تألمت ((الصـــعيد)) .. !!
((ودمشق)) ان نادت الى الهيجاء لبتهـــا ((رشيد)) .. !!
والله وحـــدنا فكيف بنـــا يفرقنا .. حســـود ؟ .. !!
والدين ، والتاريخ .. يجمعنـــا على نهج ـ فـــريد .. !!
نكون احزابا ؟ . . وكيف ، ؟ ودیننا دستوره التوحيـد

مدام هيرميه

جي دي موباسان

كم يسحرني المجانين ..! تلك المخلوقات التي تحيا في عالم غريب من صنع أحلام الخيال .. في تلك السحابة من الجنون ، التي يصعب علينا اجتيازها ، حيث يسترجعون كل ما شهدوه على الارض من أحداث ، وكل ما أحبوه أو فعلوه .

يعيشون كل هذا ثانية ، في وجود خيالي متمرد على كل القوانين التي تحكم العالم وتنظم الفكر الانساني

وليس هناك في عالمهم هذا ما يسمى مستحيلا او محتملا ، فعالم الخرافة هو العالم الطبيعي عندهم ، وعالم الغيب مألوف لديهم .

وفي أخيلتهم التي ترك لها العنان ، فانطلقت هائمة في مملكة الخيال التي لا تعرف حدودا ، يتحطم العقل والمنطق والادراك . تلك الحوائل التقليدية للفكر . وهنا تندفع اخيلتهم في ركضات خرافية لا يعوقها شيء .

فمن الممكن بالنسبة لهم أن يحدث كل شيء .. اي شيء . ولذا فهم لا يقومون من جانبهم بادنى جهد لهزم الاحداث أو مقاومة الصعاب ، بل تكفي احدى شطحات خيالهم لتجعل منهم امراء أو أباطرة أو آلهة ، ولتجعلهم يمتلكون ثروات العالم وخيرات الحياة ، ينعمون بكل المسرات ويتمتعون دائما أبدا بالقوة والوسامة والشباب والحب .

انهم ـ لاشك في ذلك ـ السعداء الوحيدون من بين مخلوقات هذه الارض ، مادام لاوجود للواقع بالنسبة لهم .

ان بي شغفا كبيرا لغزو عقولهم الحيرى كمن يغزو واديا سحيقا يضطرم في اعماقه سيل مجهول ولا أحد يدري منبعه او مصبه . لكن من يجول في مثل هذه الوديان لا يصيب كثيرا من الفائدة ، مادام يجهل من اين تأتي السيول او الى اين تمضي .. ولكن على أية حال لن تزيد على مجرد كونها مثل تلك المياه التي تنساب في ضوء النهار الفسيح ، والتي لا توحي لمن يراها الا بالقليل من الاحساسات

لن نصيب كثيرا من العلم اذ نجول في عقول المجانين ، فان ابعد افكارهم شططا في الخيال لاتعدو ان تكون مألوفة لنا ، غير ان الغرابة تكتنفها لان العقل يحدها . هذا المجرى الفياض الذي يحيرنا لمجرد اننا لانعرف له منبعا ، لاشك أن حجرا صغيرا يلقى في سبيله ، كاف لاحداث الكثير من الدوامات .

ومع كل هذا .. فالمجانين يسحروننى .. فاظل مشدودا اليهم رغم ارادتي .. تجذبني اليهم تلك

الغرابة المعهودة فى عالم الجنون .
ولكن . . كنت ذات يوم ازور احدى مصحاتهم عندما حدثنى الطبيب الذى كان يرشدنى قائلا : « تعال لاريك حالة طريفة »

وفتح حجرة صغيرة حيث كانت تجلس امراة تبدو عليها سمات الجمال رغم انها كانت فى حوالى الاربعين . وكانت تجلس فى مقعد ذى ذراعين ، وتحدق فى مرآة يدوية صغيرة . . تفحص وجهها .

وما ان لمحتنا حتى هبت واقفة ثم اسرعت تستر وجهها بوشاح كان ملقى على مقعد فى ركن قصى من الحجرة ، ثم عادت لترد تحيتنا بايماءة من راسها .

وسالها الطبيب : « كيف حالك اليوم ؟ » وتنهدت بعمق وهى تقول : آه . . اننى مريضة ـ مريضة جدا ! يا دكتور . . ان البقع تزداد يوما عن يوم .

واجاب الطبيب فى لهجة الواثق . « كلا . . كلا أؤكد لك انك واهمة » فاقتربت منه وهى تغمغم قائلة « لا . . اننى متاكدة . . لقد اكتشفت عشر بقع جديدة هذا الصباح . . ثلاث على الخد الايمن ، واربع على الايسر ، وثلاث على الجبهة . . انه شىء مروع . . مروع . . اننى لا اجرؤ على ان ادع شخصا يرانى حتى ولو كان ولدى . . نعم حتى لو كان هو . . اننى محطمة مشوهة مدى الحياة .

وتهاوت فى مقعدها واخذت تنتحب . . واتخذ الطبيب مجلسه قريبا منها واخذ يحدثها فى رفق محاولا تهدئتها « دعينى اراها . . أؤكدلك انه لاشىء هناك وانا كفيل باصلاح كل شىء » .

وهزت راسها صامتة . . وحاول هو ان يلمس وشاحها ولكنها امسكته به بكلتا يديها فى عنف جعل اصابعها تخترقه .

وعاود الطبيب محاولته لاقناعها وتهدئتها قائلا : « والآن . . هيا . . انك تعلمين جيدا اننى ازيل هذه البقع اللعينة . . فانت لاترينها بعد ان اعالجها ، فاذا لم تدعينى اراها لن يمكننى علاجك » . . وغمغمت قائلة : « اننى على استعداد ان ادعك تراها . . ولكنى لا اعرف هذا السيد الذى معك » .

« انه طبيب مثلى . . بل له من الكفاءة ما يفوقنى فى علاج حالتك » .

وعندئذ كشفت وجهها ـ لكن خوفها واضطرابها ، وشعورها بالخزى جعلها تحمر خجلا حتى حلقها . وخفضت عينيها ثم ادارت راسها يمنة ويسرة لتتفادى نظراتنا وصاحت « آه . . كم اقاسى اذ ادعكم ترونننى وانا على هذه الحال . . انه فظيع ـ اليس هذا فظيعا ؟ » .

ونظرت اليها فى دهشة بالغة ، اذ كان وجهها خاليا من اية بقع او علامات او حتى خدوش ، واستدارت نحوى وهى ما تزال تخفض عينيها وقالت لى :

« لقد اصابتنى عدوى هذا المرض المخيف اذ كنت امرض ولدى ـ لقد انقذته ولكنى تشوهت . لقد ضحيت بجمالى فى سبيل ولدى . . ولكننى اديت واجبى . . وضميرى الآن مستريح . يعلم الله . . كم اقاسى » .

واخرج الطبيب من جيبه فرشاة رفيعة مما تستعمل فى رسم الالوان المائية وقال لها : « اسمحى لى . . ساجعل لك كل شىء على ما يرام »

وادارت له خدها الايمن ، واخذ يمسح لمسات خفيفة كمن يرسم ظلالا خفية ، وفعل نفس الشيء لخد الايسر والذقن والجبهة ، ثم صاح قائلا : « انظرى .. هاقد انمحت كلها .. كلها اختفت » . وتناولت مرآتها وحدقت فيها وقتا طويلا فى لهفة فاحصة وهى تحاول بكل ما تملك من قوى ذهنية ان تكتشف شيئا ثم تنهدت قائلة : « اننى لا اكاد ارى شيئا .. اننى اشكرك حقا » .

ونهض الطبيب مستاذنا واشار لى لم تبعنى . وما ان اغلق الباب حتى قال لى « ساقص عليك قصة هذه المراة .. انها قصة مروعة »

اسمها مدام هيرميه .. كانت غانية جميلة يحبها الكثيرون ، ويملؤها مرح الحياة كانت من ذلك الصنف من النساء اللائى يكرسن حياتهن لجمالهن ويوقفنها للمسرات . وكان كل وقتها واهتمامها موهوبين للمحافظة على حيويتها والعناية بوجهها ، بيديها ، باسنانها ، بل وكل جزء من جسدها يمكنها ان تستعرضه .

ومات عنها زوجها وترك لها ابنا . وتربى الطفل كما ينشأ معظم اطفال هؤلاء النساء ذوات المعجبين .. ومهما يكن الامر فقد كانت تحبه .

وشب الطفل .. وكبرت هى .. ولست ادرى ان كانت قد لاحظت قدوم تلك اللحظة القاتلة ام لا . ترى اكانت تحدق فى المرآة كل صباح ساعات وساعات تنظر الى بشرتها التى تعودت ان تراها ملساء ذات حيوية ونقاء ، ثم هاهى ذى آخذة فى التجعد امام عينيها .. فى الاتون من الخطوط التى يصعب ملاحظتها الآن لكنها ستتضح فى المستقبل يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر ! ترى .. هل كانت ترى هذه الافاعى الصغيرة فى زحفها العنيد الذى لا يعترضه شيء .. وهى تتقدم فى اصرار يوما عن يوم هل كانت تكابد ذلك العذاب الاليم عذاب النظر فى المرآة .. تلك المرآة ذات الاطار الفضى .. انها لم تكن تجرؤ ان تتركها على المنضدة فتلقى بها بعيدا فى غضب .. ثم تعود ثانية ترقب فيها قدوم الشيخوخة الصامت الكريه ! هل كانت توصد انياب على نفسها عشرات المرات يوميا تاركة اصدقاءها فى حجرة الاستقبال بلا سبب ظاهر لتذهب الى حجرة نومها تحملق ثانية فى المرآة .. ترقب معاول الهدم وهى تعمل على اشدها فى الجسد الناضج الآخذ فى الذبول .. تفحص فى يأس هذا التقدم السريع الذى لايحده شيء والذى يبدو ان احدا لم يلحظه حتى الآن رغم انها كانت على دراية به جيدا .. لقد كانت تعلم اين تنهش الشيخوخة بنابها الحاد .

والمرآة .. المرآة الصغيرة المستديرة ذات الاطار الفضى تحدثها باشياء مروعة .. ويبدو انها تضحك كما لو كانت تسخر منها وتتنبأ بكل ما ستقاسيه من آلام فى جسدها وروحها حتى يوم مماتها حيث يكون الخلاص .

الم تخر راكعة على ركبتيها باكية وجهتها على الارض تصلى وتصلى لله الذى يقتل مخلوقاته بان يهبهم الشباب ليزيد من مرارة الشيخوخة ويمنحهم الجمال وسرعان ما يسترده .. الم تصل له وتتوسل اليه عسى ان يهبها مالم يمنح لاحد من قبل .. ان يبقى عليها حيويتها وفتنتها الى آخر يوم فى حياتها . . وما أن تدرك انه لافائدة ترجى من توسلاتها الى المجهول الذى كان يضيف الى عمرها سنوات وسنوات .. ما ان تدرك ذلك

حتى تتمرغ على بساط حجرتها .. تضرب جبهتها بأثاث الحجرة وتكتم فى حلقها صرخات الياس المروعة .

لابد وانها تحملت كل هذه الآلام لانها عندماكانت فى الخامسةوالثلاثين سقط ابنها مريضا وكان يومئذ فى الخامسة عشرة . ولازم الفراش رغم عجز الاطباء عن تشخيص مرضه . وكان يسهر على راحته معلمه القس فلم يكن يغادر جانبه ، بينما كانت مدام هيرميه تاتى كل صباح ومساء تستقى منه الانباء .

وذات صباح دخلت عليه فى ثياب الخروج وهى تبتسم وسألت دون ان تجاوز الباب « الم تتحسن بعد يا جورج» ولابد ان الفتى الذى احمر وجهه وتورم على اثر الحمى كان يجيب : « بلى .. قليلا يا امى »

وتلكأت قليلا فى الحجرة تفحص قوارير الدواء فكانت علامات الامتعاض ترتسم على وجهها ثم صاحت فجاة : « لقد فاتنى شىء بالغ الاهمية » . وخرجت تعدو تاركة وراءها عطر زينتها الصباحية الزقيق فواحا .

وفى الليل كانت تبدو دائما على عجلة كما لو كانت متاخرة عن موعد ما ولم يكن لديها وقت الا لتسأل ماذا قال الطبيب ؟ » ويجيب القس : « انه لم يتاكد بعد يا سيدتى » . ولكنه ذات مساء اجاب قائلا : « سيدتى ان ابنك مصاب بالجدرى واطلقت صرخة رعب عالية واندفعت بعيدا .

وفى الصباح التالى . عندما قدمت وصيفتها لحجرتها كان اول شىء استرعى انتباهها هو تلك الرائحة النفاذة للسكر المحروق والفت سيدتها يقظانة وقد شحب وجهها من جراء حاجته للنوم . . وكانت تنتفض من الالم فى فراشها . وما ان فتحت النوافذ حتى سالت مدام هيرميه قائلة : « كيف حال جورج »

ـ انه اليوم ليس على ما يرام ابدا يا سيدتى .

ولم تنهض من فراشها حتى انتصف النهار وتناولت قدحا من الشاى وبيضتين كما لو كانت هى نفسها مريضة .

وخرجت لاستشارة احد الكيميائيين فى الطريقة المثلى لاتقاء العدوى بمرض الجدرى ، ولم تعد الا وقت العشاء محملة بالزجاجات . واغلقت حجرتها على الفور حيث اغرقت نفسها فى المطهرات .

وكان القس فى انتظارها بحجرة الطعام وما ان راته حتى صاحت فى صوت ينبض بالانفعال « حسنا » واجابها « آه ـ لاتحسن هناك فالطبيبه شديد القلق » وشرعت فى العويل ولم تاكل شيئا .. كم كانت تعسة !

وفى اليوم التالى .. ارسلت تستطلع الانباء عند الفجر .. لكنها لم تكن افضل من ذى قبل .. وامضت اليوم فى حجرتها حيث احرقت الفحم وملاتها بالروائح النفاذة وتذكر وصيفتها انها سمعتها تئن طوال المساء .

وانصرم اسبوع باكمله على نفس المنوال .. فلم تكن تقوم بعمل يذكر سوى الخروج لساعة او اثنتين لاستنشاق الهواء بعد الظهر .

كانت تسأل دائما عن الانباء وتبكى كلما وافتها اخبار سيئة .

وفى صباح اليوم الحادى عشر دخل القس حجرتها اذ استدعته ، وهو شاحب منقبض ، وجلس فى المقعد الذى قدمته له قائلا : « سيدتى ان ولدك مريض جدا ويود ان يراك » وجثت على ركبتيها تصيح : « رباه .. اننى لا اجرؤ .. ساعدنى يارب» واجاب القس : « ان الطبيب امله ضعيف فى الشفاء وجورج ينتظرك » وخرج القس ماضيا لحانه .. وبعد ساعتين سال الفتى ان يرى امه كمن شعر بقرب منيته .

وعاد القس لحجرتها فوجدها ما زالت جاثية على ركبتيها تبكى وتردد : « لا .. لن استطيع .. اننى جد خائفة .. لا اقدر » . وحاول ان يحثها او يلين من عزمها ليقودها الى الخارج. ولكنه لم ينجح الا فى احداث حالة هستيرية استمرت معها طويلا وجعلتها تصرخ .

•

وعاد الطبيب فى المساء وما ان علم بجبنها حتى اعلن انه سيحضرها بنفسه بالقسر او الاقناع .. ولكنه بعد ان استنفد كل محاولاته احاطها بذراعيه ليحملها الى ولدها ـ لكنها امسكت بالباب حتى اصبح من العسير حملها بعيدا . وما ان اطلق سراحها حتى خرت على قدمى الطبيب تساله الصفح وتتهم نفسها بالاجرام واخذت تولول « آه .. انه لن يموت قل انه لن يموت .. اتوسل اليك اخبره اننى احبه بل اعبده »

ورقد الصبى على شفا الموت .. ولما تحقق انه لم يعد هناك سوى لحظات قليلة ، الح عليهم ان يحاولوا اقناع امه لتاتى اليه تودعه ، وفى حدس غريب ، غالبا ما يشعر به المحتضرون ، اطلق الحقيقة قائلا اذا كانت تخشى الحضور الى هنا دعوها تمر عبر الشرفة وبهذا يمكن لى ان اراها على الاقل خلال نافذتى واودعها بنظرة مادمت لن اقبلها »

وعاد الطبيب والقس مرة اخرى لمراة وقالا لها : « سيفصل بينكما زجاج ولن يكون هناك خطر من ذهابك » .. وقررت الذهاب بعد ان غطت وجهها وتقدمت ثلاث خطوات فى الشرفة .. وفجاة دفنت وجهها بين يديها وصاحت « كلا لن استطيع النظر اليه اطلاقا .. ابدا .. كم انا خجلة .. خائفة .. لا لن استطيع » وحاولوا سحبها لكنها امسكت بكلتا يديها فى القضبان واطلقت صيحات الرعب حتى رفع المارة رءوسهم تجاه الشرفة .

والفتى يحتضر .. يركز عينيه على النافذة .. ينتظر .. يغالب الموت حتى يظفر بنظرة من ذلك الوجه الحلو .. وجه امه الحبيب .. وظل ينتظر طويلا حتى خيم الليل فادار وجهه للحائط ولم يتكلم ثانية بعد ذلك .

وعندما تنفس الصبح ، كان الصبى فى عداد الاموات ، وكانت هى فى عداد المجانين !

ترجمة : نادية عبد السلام على

كان الرجلان يسيران بخطى حثيثة على شاطىء النهر ، والوقت غروب وانجو حار خانق ، وكان احدهما يقول للاخر مسرورا : ما رايك ، !لم اتغلب عليهم ؟

ووافقه زميله : حقا . فلقد افحمتهم ، ولكن منطقك كان الباطل ولولا صراخك وخوفهم من بطشك لما انتصرت، ولادانك الجميع باغتصاب حق ابناء اخيك الايتام .

هز الرجل راسه فى استهتار قائلا او لم انتصر عليهم يكفى هذا . ولو ان موضوع النزاع كان يبدو فى نظر الحضور تافها حتى انهم صرحوا بان الامر لا يستحق حتى مجرد النقاش وما قيمة حبل ، ولكنهم كانوا جهلة فى تصورهم او على الاصح تظاهروا بالجهل كى يدفعوا بى الى الفخ . كانوا يريدوننى ا ن اعترف بان الحبل ملك لاخى ، وبالتالى تستطيع تلك المراة اللئيمة ام العيال ان تقول ان اخى شريك لى فالحبل هو الذى يحرك المعدية وبالتالى يثبت ان اخى لم يتنازل لى كلية عنها ، وبذا يكون لهم الحق فى اقتسام ماتدر .

قال زميله : ولكنها معديته ، فلقد باع نصيبه فى الدار واشتراها ، وكلنا يعرف هذا . اما عن كونه قد تنازل لك عنها فانت تعرف انك اجبرته على ذلك . فلقد انتهزت فرصة مرضه ورحت تضغط عليه كى يكتب لك عقد ملكيتها حتى انك ضربته واقسمت ان تقتل عياله ان هو لم يجبك لمطلبك .

قال الرجل بامتعاض : وهل تنازل لى عن حياته ؟ !! انه لم يبذل اى جهد حتى يتملكها ، فلقد باع ماورث عن ابيه وهو ابى واشتراها .

اكد زميله : هذا حق ، ولكن الحبل من صنع يديه فلقد رايته بعينى هذه وهو جالس فى الشمس والعرق يتصبب منه حتى ان الحبل بدا رخوا لكثرة ما امتص من عرق . فان كان منطقك انه لم يتعب حتى تكون المعدية له ، فلقد شقى حتى صنع حبلها .

لوح الرجل بيده مقاطعا فى نفاد صبره : كفى .. كفى لنكف عن هذا النقاش فانه امر قد انتهى منه ولا جدوى من كل ما تقول ولن اسمح لك او لغيرك مهما كانت قوته ان يسلبنى ذرة مما تملكت .. ولننحدر مع الجسر لنشرب ، فهذا اجدى لاننى ظمآن .

وتوقف الرجلان ينحشان عن منحدر سهل حتى اهتديا اليه ، فانزلقا مندفعين الى اسفل حيث غرس كلاهما احدى ساقيه فى الطين وانحنيا يغترفان الماء باكفهم ويعبانه فارتمى خيالهما فوق صفحة المجرى .

كان احدهما طويلا صلبا ، والثانى قصيرا احدب انزاح خياله من على الماء سريعا اذ اعتدل يقول لاهثا : ما انقى ماء هذا المكان .

وافقه الطويل وهو يتقهقر بجسده الى الوراء حتى يستطيع اخراج قدمه من الوحل :

حقا .

وسر الاحدب لتغير مجرى الحديث فاستطرد : لقد اعتدت ان اشرب دائما من هنا .

وانا ايضا احب هذه البقعة ولطالما شويت بها ما صدت من سمك .

قال الاحدب ضاحكا : اذا فلقد اكلت من صيدك .

ـ اتهزل ؟ !!

ـ ابدا فلقد اكلت بالفعل سمكا وجدته فى هذا المكان .

ـ ولكنى لم اخلف شيئا مما شويت ، اننى احمل كل ما اشويه الى عيالى . عله صيد احد غيرى .

وبدا على الرجل الطويل انه يفكر وفجأة تساءل : ولكن خبرنى متى حدث هذا ؟ !!

ـ منذ اسبوع .

ـ اى مثل هذا اليوم ؟

ـ تماما .

ـ وفى مثل هذا الوقت ؟

ـ تماما ، فلقد كنت عائدا من المجلس بعد ماقدمت للمحكمين الدليل على ملكيتى للمعدية وحكموا لى بها .

صاح الطويل دهشة : يا الهى كيف حدث هذا .. انه لعجب ولكن خبرنى مانوع السمك الذى وجدت ؟

ـ لاتنزعج .. انك لم تنس الكثير فما لقيت سوى قرموط واحد . لقد كان طعمه لذيذا فما اجمل ان تنال طعاما سهلا كذاك .

اندفع الرجل الطويل المنحدر فى صمت وقد عقد ما بين حاجبيه . وتبعه الاحدب فى سكون حتى استويا على الطريق فتساءل الاحدب متفجعا مابالك قد وجمت هكذا ؟ !! اتراك قد حزنت لضياع قرموط عفن ؟ ! ! . . يالك من انانى .

ـ انا .. انا لست بنادم ولكنى فى دهشة . ان لك عمر القطط ، فلك ارواح سبع بلا شك .

قال الطويل هذا واندفع يقهقه فوجم الاحدب ثم تساءل متوجسا : كيف ؟

ـ ان ما اكلت ليلتها كان ثعبانا .

واغرق الطويل فى الضحك حتى دمعت عيناه فلم ير ما الصفرة التى غلفت وجه زميله ، ولم يلحظ توقفه المفاجىء عن السير ، لكن الاحدب سرعان ما افاق فتحرك ليلحق بزميله الذى كانت حدة ضحكه قد خفت فوقف ينتظر ، وما ان حاذاه حتى قبض على ذراعه بقسوة وفخ صوته : احقا ما تقول ؟

قال الطويل ساخرا وهو يضربه على ظهره : ولما لا تصدق انك تاكل الثعابين كما تاكل حقوق ابناء اخيك ؟

وعاد يضحك ، بينما سار الاحدب بجواره ذاهلا يقتلع خطواته فى مشقة محادثا نفسه « اذن فلقد كان ماكلته ثعبانا » ويتنهد « اكيد ثعبان هو .. نعم ثعبان بلا شك ، بدليل هذا المقص الذى راح يهاجم امعائك فى الايام الاخيرة .. انه نتيجة وجود كيس السم متربصا بين تلافيف امعائك ينتظر لحظة الانفجار . حركة عنيفة واحدة . انحناءة . وينفجر الكيس فيسرى السم فى جسدك لينهى حياتك .

وفرد الاحدب وسطه دافعا بصدره الى امام حتى يستقيم ظهره ، ولكنه شعر بشىء دقيق يتحرك فى امعائه فتسرى مع حركته الام مريعة ببطنه فترك وسطه ينحنى ثانية وانه لمن الخطر ان تاخذ وضعا غير وضعك الطبيعى . ولكن الالم لم يتوقف بل تحركت الاوجاع تجتاح بطنه كلها لتضغط بنخسات كوخز الابر فى صدره ، وملأه اعتقاد جازم بانه ينتهى وان عليه ان يتوقف حالا والا فسيسقط صريعا فوق الارض . فخطواته قد بدأت تخذله وتشكل جهدا مضنيا يزيد من قسوة آلامه .

والمعدية قريبة ، وعليه أن يعرج اليها ليستريح ، فهو ابدا لن يستطع الاستمرار وعلى زميله ان يذهب ليخبر زوجه وعياله كى يحضروا لحمله الى الدار ، انه متعب .. متعب وتشتد الامه .. وتشتد ، وينحنى الاحدب متوجعا يضغط على بطنه بكلتا

يديه « لاجـــدوى من المقاومة . . لاجدوى . فقط لو يتوقف هـــذا المغص الذى يمزق احشاءك » .

ويدد من ضغط يديه . ويرتكز بابها امامه فوق شيء مستدير متحجر « انه كيس السم بلا شك . فلينفجر . . لينفجر ويريحك . فلن يرحمك من العذاب الا سريان دفعة كبيرة من السم » وفى جنـــون امسك بالثنية المتحجرة من جلد بطنه وراح يضغط عليها باصابعه ثم براحتيه وهو يزوم بصوت مسموع . . يجب ان ينفجر وتستريح .

والتفت زميله ففوجيء بمنظـــره فاستدار متسائلا فى قلق : ما بك ؟

لهث الاحدب وهـــو يتحامل على نفسه ليرفع وجهـــه الذى ملأته الغضون : لاشيء . . لاشيء اننى متعب قليلا وسأنزل الى المعدية لاستريح . . وكل ما عليك ان تخبر زوجتى لتحضر مع العيال ـ وتقطعت انفاسه ـ فـ . . لا . . تنسى .

وانثنى منحدرا الى حيث تتارجح المعدية فوق سطح الماء دون ان يلتفت الى رفيقه وقد انحنى ظهـــره حتى كادت جبهته تمس التراب . وتناهى اليـــه صوت صاحبة يسائله ملحا : ولكن اليس من الافضـــل ان امكث معك ؟

فلوح بذراعه وهز راسه رافضـــا وهـــو مستمر فى زحفه حتى لامست قدماه المعدية فانكفأ فوق اخشابهـــا يتلوى متوجعا « انه السم . . آ ـ آه الى هذا الحد تكون آلامه ؟ انها شنيعة ظالمة ، كان يحق اذن للكلب الاســود الذى سم امامك ان يفعل اكثر ممـــا فعل ، ان يحفر الارض باظافره وانيابه بل ولحمه ، وان يسيل لعابه ابيض لزجا ليختلط بالتراب والدم . لعابه . . يسيل ليصنع طينه . يسيل من الوجع والغيظ العاجز تماما كمـــا يسيل لعابك انت ايضا لتخمد انفاسك فى النهاية . . وتنتهى هكذا وحيدا »

وهبت ريح مفاجئـــة ، فتارجحت المعدية بعنف ، ووصلت الى سمعه حركة واهنة . خرفشة شيء يزحف فوق سطح المعدية . وملأه شـــعور قاتل بالوحدة والعجز ورفع جفنيه فى مشقة وتطلع الى مصدر الصـــوت لكنه لم ير شيئا وان بدا ان الصـــوت آخذ فى الاقتراب . وقفزت الى راسه الفـــكرة القديمة التى سمعها تتردد دائما عن كون الثعابين لايهدأ لها بال الا اذا اخذت بثار وليفها « هى انثى الثعبان اذن قد جاءت تاخذ بثارها . . فهذا الزحف المستطيل المتصـــل لا يصدر الا عن الافاعى » .

وعاد يفتح عينيه عن آخـــرهما ويحلق بكل قواه فيما حوله من ظلام . فجاة تعثرت عيناه فى الافعى وقـــد تدلت من فوق سور المعدية الحديدى على مقربة منه . بل قبالته تماما . فوجف قلبه وانتابه خوف عظيم « انه ابدا لن يتركها تقتله فلا بد ان يصمد حتى يرى ابناءه » وعوت الريح فى جنون « ابدا لن يستسلم » وتارجحت الافعى بقوة للشمال كاليمين « انها تختبر هدفها . انها ستقفز حتمـــا فوق رقبتك لتخنقك ، ولكن هـــل تظل متكوما هكذا فى استسلام حتى تتمكن منك ؟ ! انتبه . انتبه . انها تستعد . تستعد لتقفز . تحـــرك يا مجنون » واعتدل الاحدب بسرعة ثم قفز مرتميا تجاه الافعى ، لكنه قبل ان يتمكن منها تعثر وسقط فارتطمت رقبته بحديد السور . واهتزت المعدية وهدر من النهر . وصرخت الريح فى هستيريا . واندفعت الافعى ملتفـــة حول رقبته فاحتبست صرختـــه اليائسة فى حلقه . وفى جنـــون راح يتلمس باصابعه المتشنجة طريقا الى الافعى حتى تعثرت اصابعه فى ذيلهـــا فتقلصت عليه تجذبه . . وتجـــذبه لتبعدها عنه والافعى تستميت فتزيد

من ضغطها . وكلما اشتد الجذب شددت من خنقها له . فاخذت قواه تهن ، وتلاحقت انفاسه لتتحول الى شهقات حبيسة لاتصل رئتيه ، لكن يديه لم تكف عن شدها حتى تيبست أطرافه .

وهمدت الريح فجاة تماما كما بدت . ووصل الرجل الطويل وخلفه امراة وعيال كثيرون . كان يتقدمهم حاملا فانوسا يشع نورا قويا نزل معهم الى حيث استكانت المعدية فى حضن الشاطىء فتكشفت ظلمتها عن الاحدب وقد انكفا جسده على الحاجز فتكوم نصفه الاسفل فوق السطح ، بينما شد نصفه الاعلى معلقا من رقبته الى حديد السور فتدلت الراس منحدرة تجاه النهر وتداعى الذراعان بجوارها فى همود فارتخيا يحتجزان بينهما الحبل المتدلى من اعلى السور والذى كان ملتفا حول العنق النحيل بقوة جعلته يبدو وكانه ملتصق بالحديد .

فخرى فايد

« بقية المنشور على ص ١٤٠ »

عدد أول يونية ١٩٥٥ من « العالم العربى » . ولا أعرف انت مرسلة أم أرسلها صاحبها ؟

وان الان بسبب الشلل امس الما فى جميع اعصابى وفى راسى . فتصور بنسيدى هذا الالم الشديد ووقعه .

واعلم انه ما من مقال يكتب عنى فى مجلة الا كان مسببا لعداء شديد . صحيح ان بعض المنصفين قد يستحسنون القائل او الشاعر . ولكن الاعداء اكثر .

لقد كتبت الشعر والنثر منذ ١٩٠٥ الى أن وصلت سنة ١٩٥٥ — أى نحو خمسين عاما ، فكان نصيبى الشلل والالم الشديد ، والعداء !

وبعض الناس يحسدنى ! ولاادرى ما سبب حسدهم او بغضهم !

(هم يحسدونى على عيشى قوا أسفى حتى على العيش لا أنجو من الحسد)

وربما كان فى بعض حججهم عذر — مثل الاغلاط . ولذلك أرجو لو تسامحنى (١)

المخلص

عبد الرحمن شكرى

— ٧ —

٢١ يونية ١٩٥٥

— كتبت باليد اليسرى بسبب الشلل

الاستاذ . .

كتبت لك تاريخ حياتى وانا اتالم من الصداع ومن تصلب الشرايين . واظن ان ذلك يرجع الى القصائد الوطنية التى تراها ، والى مالم يفهم من القصائد الفكرية ، والى تحريض هؤلاء واولئك . فأرجو أن لا تنشرها الا بعد وفاتى . وانى واثق بك .

ولم أراجعها فراجعها انت اذا استطعت أن تقرأها .

المخلص

عبد الرحمن شكرى

— ٨ —

٢١ يونية ١٩٥٥

السيد الأستاذ . .

أرسلت اليك كما أوردت ترجمة حياتى وشيئا من سيرتى الشعرية . وقد ذكرت نشر « المثل الاعلى » فى احد الدواوين وفى جريدة الاهرام . ونسيت أن أستشهد ببيت منها مثل قول الشاعر :

اقسى القساة من استبد به الحجا
فسها عن العبرات والالام

فاذا شئت استشهدت به لان ذلك ضرورى فى موضعه ولك الشكر .

المخلص

عبد الرحمن شكرى

---

(١) يقصد الا اكتب عنه الا بعد موته لحاجته الى الراحة والهدوء .

جنيه أبويا

بقلم
محمد
الخضرى
عبد الحميد

فى احدى تلك الليالى الصافيات ، التى لا يكاد يعكر صفو جلال صمتها الهادىء الوادع ، سوى نقيق الضفادع على شطى الترعة .. وحتى هـذا بدوره وذاك كان منسجما فى اتساق روحانى حالم مع الالحان البعيدة ، التى يشدو بها فلاح ساهر بطنبوره يسقى زرعتـه ، ويتسلى بمواويله المشحونة بحرارة الشجن .. فتبدو تلك الاصوات كتسابيح عابد صادق الورع .. كلحن مميز لسلام أخضر !!

فى تلك الليلة كنت ازور الصديق (ابراهيم) ، فى قريتـه الصغيرة البعيدة (كفر الصفصاف) !

وابراهيم انسان رقيق ودود جمع من زيفنا البكر زبدة النقاء والبساطة والطيبة وسائر خصـائص الجبلة الزيفية ! .. كنا قد عرفناه فى زحام احدى المجلات الاجتماعية الناشئة ، واستمتعنا بصحبته فترة فى القاهرة .. فترة ـ على قصرها ـ كانت قد ابانت بوضوح عن طيب معشره ونبل خلقه .. وانبات بجلاء عما هنالك من مجد ونجاح فى المستقبل ينتظره ! .. غير أن « ابراهيم » قطع المرحلة بيده ولاذ بعقر « النجع » لا تربطنا واياه الا اعـداد المجـلة نرسلها اليـه ، وخطابات مفعمة بالحرارة والحنـين ترد ـ بين الحين والاخر ـ منه !!

على كنبة بسيطة اضطجع ابراهيم بسمرته الرائقة ، ووسامته الهادئة ، وخليط السمات التى يبدو فيها من التمدين والبداوة : بين بين !! .. ثم وضع كوب الشاى على نضد امامـه وقال فى ابتسامة وديعة حنون :

ـ سأجيبـك « يا اشرف » على سؤالك . .بل على أسئلتك ، ولكن بعد انفضاض جلسة مجلس القرية ، فانا مدعو اليه الليلة ، وانت مدعـو اليه بالطبع معى ، بوصفك ضيفى !! عبثا حاولت ان اعتذر عن (شايهم)

وذهبنا .. واستقبلنا ـ فى دوار العمدة ـ ممثلو اهل النجع بما هـو

مأثور عن الريفيين من كرم سابغ ، وترحيبات حماسية حارة ! .. و .. الأسود المر الوفير ! .. الى ان انقذنى من محنة (الشاى) سؤال من ابراهيم وجهه الى الجالسين على (الدكك) ، مستفسرا عما هنالك من (جدول أعمال) ، فأجابه العمدة :

ـ « .. شوف يا ابراهيم افندى يا ابنى ! بصريح العبارة ما عندنا شئ الليلة موضوعات الا موضوع واحد .. انت يا ابنى عملت للنجع حاجات كتيرة قوى فى أقل من سنة .. مين كان يصدق يا اولاد ان (كفر الصفصاف) ، النجع الصغير المحدوف ، اصبح النهاردة فيه فانوس منور قدام كل بيت ، وكلوب ملمع على راس كل حارة ؟ .. ان كان على الحكومة كتر خيرها جابت لنا الميه المقطرة ، وملعب ومجمعة وغيره ، من كتر الطلبات اللى كنت بتفنن لنا فيها .. الفرض ما نطولش عليك وعلى ضيفك حضرة الافندى اللى شرفنا الليلادى فـ .. اقول كده باختصار اننا .. يعنى احنا من وراك اتفقنا نلم قرشين من بعض ونقدم لك هدية بسيطة من اللى عايقولوا عليها (رمزية) ! .. ساعة مكتب (منبه) ثمنه تسعة جنيهات .. اتفضل اهه !! »

ودوى فى رحبة الدوار الصغير تصفيق من الجالسين حولنا .. وكبر ابراهيم فى عينى وانا اراه يطرق فى خجل عذرى لا يمد الى الهدية الثمينة الممدودة اليه يدا .. ولكنه ادهشنى ، بل وحيرنى ، عندما اعلن بعد الشكر الجزيل «الذى لا يستحقه» قبول الهدية على شرط ان يتبرع بثمنها لعمل حفل عشاء لعمال التراحيل فى النجع !!

واتبع القول بالفعل .. فأخرج حافظة نقوده ، وعد تسعة جنيهات ، تناول بعدها (المنبه) وأودعه جيب جاكتته فى امتنان عميق !!

لم أكن وحدى فى دهشتى ، فقد دهش كذلك كل من هم حولى ! .. أما أبا فقد هاج هذا الموقف غريزتى الصحافية ، فسألت (ابراهيم) فى عودتنا من ذات الطريق ، ونقيق الضفادع من حولنا يشيع فى الافق الاخضر الهاجع سيمفونية جليلة الوقع ، عذبة الرنين .. ولم يجب (ابراهيم) سؤلى فحسب .. بل انه حكى لى قصة بحذافيرها .. كشف لى بقصته تلك كل ما كان خافيا غير معلوم ! .. قال ابراهيم :

ـ « .. تعرف طبعا ان والدى متوفى .. هذا فقط كل ما تعرفه .. فتعرف اذن ما يلى :

« فى ليلة كئيبة مظلمة .. دخلت احدى الجارات العجائز على أمى تقول لها :

ـ ا م ابراهيم . بت يا ام ابراهيم .. مبروك .. جوزك جاى بكره !!

وفرحت ام ابراهيم ، التى هى امى .. فرحت كما اعتادت على ان تفرح فى كل مرة تسعد فيها بنباقدوم زوجها التعس ، المرحوم والدى ! .. كان أبى قد خرج فى (ترحيلة) بعيدة مقرر لها عشرون يوما ، فامتدت شهرا ونصف الشهر ! .. وفى عنفوان جزع أمى عليه ، وقلقها من اجله ، وتذكرها انه رحل بـ (مونة) من الخبز الاسود ، والبصل الناشف ، والجبن القريش ، لا تكفى الا مدة العشرين يوما ، وبالكاد .. المدة التى كان قد قبض اجرها سلفا ، قبل السفر ، وبعث الى بمعظمها فى مدرستى .. لكى اواصل بشق

النفس تعليمى !! .. فى عنفوان جزعها ، وقلقها ذاك .. كان يحق لأمى ان تبتهج وتسعد ، وتتلهف على أن ترى زوجها عائدا (حيا !) ، مع الاحياء العائدين !!

واصبح الصباح .. وعاد الشقاوة وهتافاتهم المدوية تلعلع فى غناء جماعى سعيد على مشارف النجع :

« جينا يا احبابنا جينا .. »
« بعد ما طال الشوق بينا .. »

وهرعت النسوة الى فوق الجسر يزغردن ويلوحن للهياكل الشاحبة المعروقة ، التى صهرتها الشمس ، المقبلة فى موجات تضج بالغناء الجهيرى والتصفيق الصاخب ... كاشباح قاتمة سعيدة تخطو على الهواء قادمة من عالم آخر !!

ومن بين المزغردات المترقبات كانت امى !! .. وقفت بين لداتها على الجسر ايضا ، تهيىء البصر والسمع الى لقيا زوجها الكادح .. الغائب .. العائد !!

وباقتراب القافلة المشتعلة حماسا ونشوة ، علت الاصوات مختلطة بالصياح والزغاريد ، واستبانت الوجوه والسمات .. وعرفت كل امرأة رجلها وهشت عن كثب له ورفعت يدها السمراء تميز له عن الاخريات نفسها !! .. و .. كم كانت صدمة قاصمة رهيبة عندما اختلط الركبان موكبا العائدين والمستقبلين وكانت (سلامات) واحضان وقبلات ومصافحات ، ودموع وابتسامات ، وخلا كل قادم الى بنيه وزوجه .. اذا بالمعمعة تسفر عن امراة وحيدة ذاهلة اللب ، تقف بمفردها على يباب الجسر !! .. كانت تلك المراة امى !.. (.. وضرورى يا ابراهيم تخلى بالك

وافاقت الى نفسها اخيرا فانثنت تجرى الى اولئك الذين اعتمهم فرحة العودة عنها ، تسالهم وتتحرى منهم عن : (ابو ابراهيم ما جاش معاكم ليه) !! .. فمنهم من تلجلج ومنهم من زعم وهو يحول عينيه بعيدا انه : قادم غدا !!.. وبكت امى وولولت وحدست شرا ، لولا أن متولى (خولى الانفار) قرر مصارحتها .. فصارحها :

ـ ابو ابراهيم طيب وبخير يا ام ابراهيم ! .. بس أصله حس بشوية عيا .. وبعدين .. وبعدين حاشوه هناك فى المستشفى ... !!

لن اطيل عليك فى سرد هنات التفاصيل ، او وصف مفردات مشاعر امى ، الزوجة الهلوع ! . لقد هرعت فى مشرق اليوم التالى الى المستشفى الذى وصفوه لها ، بعد ان باعت آخر ثلاث دجاجات لديها ! .. وكان لقاء عاصفا باكيا وهى تتامل رجلها الشاحب مهزول الجسد ، واهن القوى ، غائر العينين .. لا يكاد يقوى على أن يقف على قدمين !!

غير ان طول مكابدة الشقاء قد اعطتها بعض المناعة ، فراحت تكفكف دمعها وتؤكد له انه : (زين قوى ! .. مليح خالص ! .. الحمد لله ياشيخ اللى انت كويس كده) ! .. واشارت على هذا النحو تشد عزيمته ، وتمنيه بان ابراهيم ـ انا ـ عندما يتوظف وياخذ الشهادة ، سيريحه من كل ذاك انبلاء العظيم .. !!

هل كنت انا ادرى بكل هذا ؟ !
من ذا الذى يدرينى ... ؟!

فانا فى مدرسة البندر . . والخطابات ترد من النجع تباعا ، تتضمن رجاءا واحدا مكررا بان :

من نفسك ، وتشد حيلك وربنا بجاه النبى ياخد بيدك .. ومن عندنا الجميع بخير) !!

و « الجميع بخير ! » هذه يكتبونها لى فى كل مرة ، فاستشف منها أن لا احداث هناك جسام .. فاحمد الله ـ بمقتضاها ! ـ على هدوء الأحوال .. !!

وآن لابى أن يتمائل للشفاء .. وخرج من المستشفى ، وعاد الى النجع ، وكل ذلك يحدث وانا فى (البندر) لاعلم عندى بشىء منه ، و : (ومن عندنا الجميع بخير !) لا تزال تترى تباعا فى غير ما توان او انقطاع !! .. ما كانوا قط يريدون لى أن اعلم بشىء يشغلنى عن (القراية !) الى أن ياخد الله باليد وانجح فى (الاستمحان) !!

ومن كل ذلك ترى اننى لم اك على علم بأى شىء مما يحدث عندهم .. ولهذا .. فعندما طلبوا منا توريد رسوم الامتحان .. أرسلت الى أبى أرجوا ليه ـ والمرارة الكابية تعتصر قلبى سلفا ـ أن يبعث الى عاجلا بجنيه واحد .. واضعا نصب عينى أن اشتغل فى اى عمل منسائى واكمل على الجنيه ، لتكوين قيمة الرسوم المطلوبة .. !

أتدرى يا اشرف ما الذى حدث ؟! ورد الخطاب الى أبى وهو قابع فى استرخاء متهالك على مصطبته .. يقضى فى هموم سويعات نقاهته .. فطار من الفرح لما عرف أن الامتحان ـ معقد الامال ، ومناط الرجاء ـ قد اقترب ! .. اذ ما بعده الا النجاح المؤكد و (الوظيفة الحلوة) على حد قوله ! .. و .. ولكن ..

ولكن .. لقد انسته الفرحة الفرحة الطاغية بالامل العذب .. منسلكة (الجنيه) العاجل !!

واطرق أبى ـ رحمه الله ـ على مصطبته يفكر ، ولا يفتأ بين كل اطراقة واخرى يضرب فى صمت كفا على كف ؛ وهو يحشرج فيما بينه وبين نفسه : (بس منين ؟! .. آدى السما .. وآدى الارض ! ..) !!

ولست ادرى ، ولا أحد يدرى ، ما سر سخرية القدر الذى ساق اليه متولى (الخولى (فى آنه ذاك بالذات .. وفى موقفه هذا على وجه الخصوص .. يكرر الدوران فى النجع ويده قابضة على رزم من الاوراق المالية الجديدة .. متجولا على الجسر وامام المصاطب لكى (يقبض) الراغبين أجرة (ترحيلة) دسمة قادمة !!

لا أعلم ، ولا أحد يعلم ، فللقدر أحيانا سخريات دامية يدق على العقول البشرية محدودة الافق فهمها

رنا (الخولى) متولى الى ابى المكروب ، المفعم ضيقا هائلا محوره (الجنيه) الرهيب !! .. ثم فى مزاح لم يكن يقصد منه ـ كما قال ـ غير الهذر البرىء ، داعبه قائلا :

ـ هه ... تروح معانا يا ابوابراهيم

ـ هه ... تروح معانا يا ابو ابراهيم ؟؟؟ !!!

ـ .... المدة كام ؟!

قالها أبى وهو يزوم كحيوان وحشى مهدم عجوز !.. وابتسم الخولى (متولى) وراح يجارى أبا ابراهيم فى حديثه .. بحيث لم يجد ضيرا فى أن يجيبه على سؤاله :

ـ المدة شهر ونص .. واليوم بـ ٩ قروش !.. واجرة عشرين يوم تندفع فورى !.. هه .. نقولها تانى : تروح معانا يا ابو ابراهيم ؟!!

وبنفس النغمة التى تخرج من وراء الصدر المائج الموار .. خرجت دمدمة ملتهبة صخابة .. يرددها فيما بينه وبين نفسه : (طب مانحسبها كده الاول ؟.. عشرين يوم .. فى تسعة صاغ .. تبقى ١٨٠ قرش .. جنيه لولدى ابراهيم .. والتمانين قرش لنا أهم يقضوا برضه شوبة (زوادة) ... و ... »

وفترة صمت متوتر مشـــمول بانفعالاته الخفيـة المتنفلة .. انطلق بعدها صوته مدويا كالهدير :

ـ طبعا اروح معاكم .. هى دى عاوزة كلام ؟!

غير أن صوتا حانيا جزعا طغى على قولته تلك :

ـ أبو ابراهيم ؟!.. ناسى نفسك والا ايه ؟!.. انت مجنون يا راجل ؟ ما تصدقوش يا متولى !

هنا فقط تبخر مراح الخـولى فانشأ فى جد صارم يقـول معقبا ومؤيدا :

ـ اصدقه كيف يا ام ابراهيم ؟!.. هو انا عبيط اتبع كلامه ؟!.. انا كنت اما اضحك وياك يابو ابراهيم !... معقولة انى اخدك معـانا بحالتك الضعفانة دى ؟؟ !!

ولكن كل هذا ـ وما تلاه ! ـ لم يزحزح (ابو ابراهيم) قيد شعرة عن قراره الذى راح يكرره ويجاد به ، يعلنه ، ويبدىء ويعيد فى اعـلانه ، بنفس العزم والتصميم اللذين قـر عليهما قراره .. !!

ـ متولى !؟؟ .. هى كلمة واحدة جا اروح معاكم يعنى جا اروح يامتولى شوفنى انا اما اقول لك ايه وماتسمعش كلام الجـريم !!.. جا اروح .. جا اروح .. جا اروح .. ايدك بقى يا متولى على اجرة العشرين يوم ..!!

حاولت امى .. وحاول الجميع .. حاولوا ـ كلهم ـ ان يثنوه عن عزمه ولكن بلا فائدة .. وبدون جدوى !. كان كل الفزع الذى حوله تملاه امام عينيه صورة واحدة لا تهتز ولا تهبت صورة ابراهيم ولده ـ انا ـ يقف على ابواب الامتحان ، والى جانبه رسم ضخم عملاق يدوس على كل الاعتبارات .. رسـم مكبر لورقة خضراء من فئة الجنيه ..!

وهكذا ... ذهب !!

ومضت فترة الغيبة المعلومة ... وعادت القافلة كما تعود فى كل مرة اشباح تهرول مقبلة على الجسر فى اشتياق وضجيج .. ولكن ـ هـذه المرة بالذات ـ بغير اغان .. بغـير هتافات .. بغير تصفيق .. وايضا بغير « ابو ابراهيم » !

وجزعت البائسة المشدوهة وراحت تهز الاجساد المجفاء المطبقة بشفاهها فى صمت كئيب .. حتى وضحت لها ـ بعد عذاب قاتل ـ الحقيقة بكل رهبتها !

لقد كانت الترحيلة تلك المرة فى بندر بعيد .. و (ابو ابراهيم) لم يكن فى صحة تسمح له حتى بالاستواء على قدميه ، بله العمل القاسى المضنى فى الحفر وحمل مقاطف الطين .. وهكذا مات فى مستهل « المقاولة » !.. ومن اجل بعد المسافة ، وطول مدة العمل الباقية ... دفنوه هناك الى جوار الحفريات ، مميزين قبره بكومة عالية من الطين ..!!

انى ـ يا اشرف يا صديقى ـ مهما فعلت لا ولن استطيع سـداد ذلك الجنيه !.. (جنيه ابويا) !.. اقبعد هذا تلومنى على اننى قابع هاهنا اهب كل طاقاتى فى خدمة هـذه البقعة النائية ، وتلك الطائفة التى ان لهـا اليوم ان تتنسم ريح الانصاف » ؟!

ولم اجد ما اجيب به صـديقى ـ ابراهيم ـ بعد ان جرحت عواطفى قسوة اشجانه القاتمة سوى ان اقول له فى لهجة حاولت ان اغلفها بالتفكهة والهذر :

ـ كنت انوى السفر صباح الغـد ولكنك تعلم اننى ضعيف سمح !.. ومن ثم فلن انقل خطوة من نجعكم هذا الا بعد ان احضر حفل عمـال (التراحيل) الذى تقيمه لهـم .. حتى لا احرم من (عشوة) شـهية اخرى اتناولها بينهم ..!!

... لما كان يحلو للبعض من مرضى الاشتهار عن الى طريق -- ممن ابتلاهم الله بـ (نكبة !) حب السطوع والتالق على الى وجه من الوجوه .. ودون ما اى سند ولا مبرر ولا مسوغ من حبات عرق ، او دقائق سهر او تعب .. فيعمدون الى وضع المصنفات المهولة عن انفسهم ثم يلصقون عنيها اسما .. كاسمى .. او اسم اى (آخر) ، يقال على لسانه ما يريدونه ان يقال من آى تفخيم مزور .. مختلق .. مسروق -- وبما ان الله جل وعلا لم يمنح عينى (البشريتين) قوة الابصار تمتد الى اكثر مما تمتد اليه قوة ابصار اى كائن آخر بشرى مثلى .. الامر الذى اقف عاجزا عن مد (اشعاعاتى القصيرة) فاسلطها على اى بلد ، او اى قلم ، فى اية ناحية من نواحى (الدولة) يوجد فيها « منكوب شهرة ! » او « مريض تالق » من اولاء الذين وصفت .. لهذا فانى احمد لـ « الادب » العزيزة الغالية ان كفتنا مئونة البحث والاستقصاء عن مثل تلك الاجهزة التى تخول للعينين الآدميتين القدرة على التطلع الى مثل ذلك الذى يخلو الى نفسه و (ينسجم !) ويبدأ فى (رص !) عبارات الثناء الكبير على شخصيته الخاصة .. دافعا فى النهاية بما (اقترف !) من « نقد ! » الى الصحف .. موقعا ما قد « ارتكب ! » من قلائد فخار « براني ! » باسم انسان آخر مسكين ليس هذا رايه ، وليس ذلك قوله ، فلماذا يكون ذلك فى النهاية .. ذنبه ؟ !!

سادتى طلاب الشهرة الصاروخية .. ادرسوا ... اسهروا .. اعرقوا ... اكدحوا واتعبوا فذلكم -- لو تعلمون -- هو ثمن الشهرة .. الشهرة الاصيلة ، لا الشهرة الجوفاء المزيفة التى تريدون .. انها لا تاتى الا بالتعب الى حد الانهيار هداكم الله .. ولا تجىء الا بالسهر المتواصل الى جد (العمى) .. عافاكم الله ! !

م . خ . ع

الادب : تترك تقدير هذا لمن ارسل اليها نقد غيره له بخطه هو !!

تأليف : وداد سكاكيني
تقديم : علاء الدين وحيد

الأدبية

وداد سكاكيني - قاصة مقلة واحدث مجموعاتها القصيرة ظهرت فى سلسلة اقرأ عدد ديسمبر ١٩٦٢ . وتنفرد كاتبتنا باسلوب خاص يدل على صاحبته فلا يتشابه مع انتاج الاخريات . و « نفوس تتكلم » تتكون من ست قصص ليست بينها واحدة بنفس الاسم .

« التمثال المثلث (١٩٤٧ - ١٩٤٩) » هى اول قصص المجموعة واطولها ، فقد احتلت وحدها اكثر من ثلثى الكتاب . وربما دهش القارىء لاصرار المؤلفة على تذييل العنوان بهذا التاريخ ، وخاصة عندما تنتهى القصة ولا يجد لتحديد الزمن دخلا فى احداثها أو تاثيرا على مواقفها . فهذا لتوقيت لمرور الاعوام ، عدمه كوجوده لا يثبت أو ينفى شيئا . اذن لماذا الصقته الكاتبة بواجهة قصتها ؟ السبب غير فنى على ما يبدو ، فقد خشيت ان يسىء الظن بها احد من القراء ، لان رواية « التمثال المثلث » تتحدث بحب وعطف عن باشا مصرى . والسيدة وداد سكاكينى تعيش اليوم فى القاهرة ، والقاهرة اعلنت منذ سنوات . غير قصيرة عن موقفها الصارم من باشوات الملكية واقطاعييها . ولكنى لا اظن ان خشيتها فى محلها . فالقارىء له من الوعى ما يستطيع ان يفرق به بين دس السم فى الدسم وبين المعالجة الموضوعية . وباشا قصتنا على اية حال شخص مسالم لا يتصل بالسياسة والاحزاب وهو ليس اقطاعيا ، اى انه لا ينتمى انى هذه الطبقة من كبار المستغلين الذين تعاديهم انظمتنا الثورية الجديدة وتبغضهم قلوبنا . فالتحرز هنا اذن زيادة حساسية .

و « التمثال المثلث » تصور قطاعا فى منزل احد الباشوات الكهول الذى تزوج بفتاة صغيرة بعد وفاة امراته الاولى ، وعيشهما غير الموفق ، فالربيع لا يأتلف مع الخريف أو الشتاء . ولم يكن الفرق الكبير بين العمرين هو منغص سوسن هانم الاول ، فهناك ايضا عدم الانجاب ، يزيد من وقعه وجود طفلة للرجل من زوجه السابقة ، وتستسلم صاحبتنا

لضعفها وتجد دفء القلب عند شاب من اقرباء الباشا ، ولكن الفضيحة لا تظل طويلا سرا ، ويعرف الزوج المخدوع فيطلقها ، ويتزوج نبوية مربية وحيدته ، والتى كانت قبلا احدى المعلمات .

واول التجارب التى تريد المؤلفة ان تعرضها علينا فى هذه القصة ، هى تجربة اقتحام الفتاة المصرية المثقفة لميدان جديد فى الخدمة الاجتماعية ، وهو العمل كمربية اطفال . فهذا المجال كان وقفا دائما على المراة الاوربية ، التى لم تكن تبذل جهدا فى استمالة العائلة العربية والالتحاق بخدمتها ، بل العكس هو الصحيح ، فقد كانت الاسر هى التى تترامى عليها وتفخر بها ، لانها من سمات الارستقراطية الثرية . ورغم ان التمثال المثلث تبدأ باعلان نشر فى الصحف عن حاجة باشا الى مربية مصرية الا اننا لا نجد لضرورة اشتراط هذه الجنسية فى القصة صدى ، فهى على هامش الاهتمام ، ان لم تكن فى منطقة الظل تماما . او لعل السبب يرجع الى انها غير نابعة من موقف اصيل او من انعكاس الايمان بمبدأ وطنى يتملك صاحبه ، فيتبلور فى التعلق بعملية التمصير فى شتى الميادين . فالباشا من هذه الناحية رجل عادى ، فهو اذا ابتعد عن الحزبية مثلا ، فلا يصدر هذا الا عن نزاهة شخصية وليس عن عقيدة وطنية . انه لا يفكر فى ان يطلب من نبوية ان تدعم فى نفس الطفلة الصغيرة حب بلدها فى بيئة القصر المتفرنجة . فهذا شىء بعيد عن تفكيره ، بل هو يترك لها حرية التصرف فى حدود التربية المصطلح عليها فى وسطه . اذن سيان اكانت المربية مصرية او افرنجية . ولكن المؤلفة تريد ان تدفعنا الى غير هذا فلا تستطيع ان نبلغ من ذلك شيئا . تذكر ان الباشا طرد المربية الاجنبية ، ولكنها تصمت عن سبب الطرد ، فاذا كان خطأ عاديا فلماذا لا يستبدلها بغيرها من جنسها ايضا ؟ واذا كان اكبر من ذلك ويتصل بنظرة متعصبة من الخواجاية ضد مصر ، فلم لم يلفت الباشا نبوية الى العناية بهذا الامر ؟

واذا كان اكتفاء وداد سكاكينى هنا بلمسات سريعة سطحية جعل القارىء لا ينفعل تماما بجدية ما رمت اليه ، ولا يندمج جيدا فى العالم الذى اقامته ، فان حديثها المختلف عن دافع بطلتنا الى العمل كمربية اطفال عمل ايضا على اهتزاز الصورة . لقد كانت فقيرة عاطلة لانها لم تلتحق بخدمة الباشا ، مجرد معلمة سابقة استقالت من وظيفتها لانها لم تستطع ان تتمالك اعصابها فى النهاية وهى تجد نفسها لا زالت فى الدرجة السادسة بعد بضعة عشر عاما . فكانت موافقة الباشا على اتخاذها مربية لابنته بمثابة عملية انقاذ شاملة . البطالة اذن هى التى دفعتها الى قبول عمل (الدادة) . ولكنا نفاجأ بعد قليل بان زيادة الفتيات المصريات المثقفات فى ميدان تربية الاطفال ، هى دافع نبوية الى الاستجابة الى عرض الباشا (ص ٣٩) !

ورغم ان المؤلفة قد تقدمت اكثر من خطوة فى طريق النضج الفنى منذ ان كتبت قصتها القديمة « اروى نبت الخطوب » الا انها لا زالت تتبع فى تصوير الشخصيات ذلك النهج الذى لا يرى الا جانبا واحدا من الشخصية ذات التلوين العنصرى الواحد فقط . فليس الانسان عندها كما هو فى الحقيقة مجمع متناقضات ، بل هو كائن خير او شرير على طول الخط ،

ولا يمكن أن يجمع بين النقيضين فى اهاب واحد . فمثلا لا تظهر لنا مسوسن هانم زوجة الباشا الا فى صورة تختلف ملامحها وان تغيرت أوضاعها . فهى متكبرة انانية قاسية فاجرة ، أما انها ضحية رجل كهل اشترى شبابها بثرائه واستغل قدرة المال على اذلال الفقير ، أو انها زوجة تدافع عن بيتها تسلل الغريمة الممثلة فى المربية نفسها ذات المطامع . فهذا ما لا يخطر للكاتبة ببال .

* * *

يمكن القول بأن القصة التى تروى على لسان المتكلم البطل تقترب من روح المذكرات ، فليس هناك حائل بين التجربة ومسجلها . فهو صاحبها فى نفس الوقت وجزء منها . وعندما يتعرض صاحبنا لكتابة يوميات يجب أن يكون الاختلاف بين هذين النمطين واضحا اتم وضوح وأبعده عن الاختلاط الضبابى ولكن عندما سجلت نبوية بطلة التمثال المثلث وراويتها مذكراتها فى القصة ، فقد فعلته بأسلوب لا يختلف فى كثير او قليل عن قص الاحداث ، حتى صعب على القارىء التمييز بينهما لتلاشى حدودهما تماما ، وتركته المؤلفة بلا اية علامة دالة تهديه ، فالتكنيك واحد ، واليوميات بلا تاريخ وعلى نفس المستوى من التعبير ، فهى حتى لا تتميز بما تتسم به المذكرات عادة من الاعتراف الصريح وتعرية النفس وتسجيل النزوات والكشف عن الاسرار « وما كان هاجسا ملتويا لويت عنه وطويت ذكره » ص ٣٦ .

وهذا الثلاثى الذى رأيناه مكونا من الباشا وطفلته والمدرسة كاد ان يصبح من الشخصيات الروائية الثابتة فى القصة المصرية ! فقد التقى بهم القارىء فى اكثر من عمل ادبى قبل التمثال المثلث . ومن اشهر هذه الاعمال قصة اسماعيل الحبروك الطويلة « بقايا عذراء » . فهناك ايضا الطفلة هدى ابنة عبد الفتاح باشا التى تحب معلمتها نبيلة ويعجب الاب — وهو ايضا عجوز نبيل تماما كما هو هنا — باخلاق مدرسة ابنته ، وتبادله الشابة وبالرغم من فارق السن اعجابا باعجاب ثم يتزوجان !

وعلى اية حال فليست هذه المرة الاولى التى يطالع فيها القارىء قصة « التمثال المثلث » ، فقد ظهرت قبلا منذ سنوات طويلة فى مجموعة اخرى للمؤلفة نفسها هى « بين النيل النخيل » ولكن تحت عنوان مختلف « مذكرات مربية » . واذا كان واحد مثل محمود تيمور فى هذا الموقف يخرج قصته مرة ثانية الى الناس ، لانه أجرى فيها تعديلا جوهريا كابداله الحوار من العامية الى الفصحى ، كما فعل بالنسبة الى « أبو على عامل ارتيست » الذى تحول الى « أبو على الفنان » . واذا كان قاص آخر مثل اسماعيل الحبروك يعيد نشر قصته فى مجموعة اخرى ، فهو يفعله لانه يرى أن قصته لم تكن اثناء ظهورها أول مرة ، قد تمت احداثها بعد فى واقع الحياة ، فهو يريد ككاتب واقعى امين ان يتابعها حتى النهاية بكل ذيولها . فأية اضافات جديدة عملت وداد سكاكينى على تزويد قصتها بها ؟ انها بالطبع لم تستشعر دافع تيمور أو الحبروك ، فلم تغير فى احداثها ووقائعها وشخصياتها أو الزاوية التى تنظر فيها الى هذا كله . ونتساءل :

ولماذا قدمتها ثانية اذن ما دامت لم تمنحنا شيئا جديدا ؟ وبالرغم من كل ذلك ، فان الوقوف على الاختلاف الطفيف الهامشي بين الطبعتين وفي المجموعتين ، ليضع اصبع القارىء على اشياء بالغة العمق وعظيمة الاهمية رغم ما يبدو على سطحها من ضحالة الشان ، لانها اي هذه الاشياء تفصح في المكان الاول عما لحق بالكاتبة والحياة حولها من تطور ونضج ، كان لابد لهما ان ينعكسا على ما يخطه قلمها ، فيضع هذا خبرته في خدمة العمل القديم الذي يشرف على اخراجه مرة اخرى .

فتحول اسم بطلة القصة من سميحة الى نبوية ، يفيد هذه الشعبية البلدية التي يوحي بها الاسم الثاني ، حتى تمد المؤلفة لزوجة الباشا حبل التهكم والسخرية من المربية التي خرجت من الشعب المحتقر ولم تستورد من اوربا المتحضرة . فمثل لفظ « نبوية » الغارق في سوقيته يقع على اسماع الطبقة المترفة غليظا خشنا مضحكا وكانه فصل كوميدي كامل . واغفال عمل الباشا بالسياسة والتحاقه بالاحزاب فعل تظنه وداد سكاكيني مسيئا الى شخصية الباشا الذي صورته حنونا رحيما ، ومناقضا لما قالته عن معاملته وبره بفلاحيه . بل وتغالي كاتبتنا في هذا المجال ، فترى ان العمل السياسي يحطم الهدوء المنزلي والقناعة بنعمة الحياة البيئية ! ولا يفهم القارىء لماذا لا ترى المؤلفة من الاشتغال بالسياسة — حتى لو كان في العهد الملكي — الا الجانب الحالك الهابط ، وكانها لعنة لا مفر منها .

. ونفس النظرة غير الموضوعية المسرفة تجدها ايضا بالنسبة الى غني الباشا . فهي تريد ان تبرئه من هذه التهمة ! وكان الثروة دائما ابدا نفثة شيطانية لاتحط الا على الاوغاد ، فتنكر ماسبق ان ذكرته من امتلاك الباشا للاراضي الواسعة !

ولعل اثمن ما قدمه بعيدا عن القصة نفسها ، هذا التغيير الذي تم في اضيق نطاق والذي لم يزد عن ابدال كلمة باخرى ، من دلالة هو انه جعل الا قصد منه سابق ، من مقارنة كل قصة بسميتها مرآة دقيقة تعكس بصدق الكثير من الملامح الدالة على عهدها الذي كتبت فيه من جميع نواحيه ، سواء في الاجتماع او الفلسفة او الادب . .

فالبطلة في « مذكرات مربية » تمثل لنا فلسفة الشعب الراضخة المستسلمة للقضاء والقدر ، التي تذعن لانها تؤمن من جهة انها قليلة الحيلة قاصرة الوسيلة ، ومن جهة اخرى ان التمرد على واقعها البائس هو تمرد على السماء التي رضيت لها بهذا النصيب . فوجب عليها ان تقبله باذعان ان لم يكن بترحيب كبير .

ولكن هذه الصورة تختلف في « التمثال المثلث » . فالتبلد الميت تحول الى حس مرهف . والاستسلام المذل للواقع انقلب الى ثورة تنتفض بكرامة الانسان ، وتلاشت من على الملامح بصمات الجمود . فنبوية هنا تعرف النقمة على الاثراء غير المحدود وغير المشروع ، والدعوة الآنية الى العدل الاجتماعي ، وان كانت في نفس الوقت لا تزال تؤمن بان الوعي

واليقظة الفكرية هما سبيلنا فى الخطة الطويلة الاجل الى ملافاة هذه الحدة العنيفة بين الغنى والفقير .

والصورة الاخرى التى عكس مجرد ما قامت به المؤلفة من تغيير طفيف فى العبارة ، هى اختلاف المذهب الادبى وتحوله .. نعم لقد استطاعت هذه اللمسات الخفيفة جدا أن تعلننا أن المذهب الادبى الذى كان سائدا وقت كتابة القصة فى المجموعة الاولى قد تغير عندما نشرت المجموعة الثانية . لقد كان رومانسيا فأصبح واقعيا ، ولا نعنى بالرومانسية أو الواقعية لون القصة ذاتها بقدر ما نشير الى حدث معين فيها . عندما ارادت المربية ان تستفيد بوقت فراغها فانكبت على القراءة ، ثم عولت على ان تتابع كتابة القصة وكانت قد انتهت قبلا من تأليف عدد منها . فتتحدث نبوية فى « مذكرات مربية » عن « الادب الذى يغمس فى الروح قلمه وينثال على أسلته فيض الخاطر » ص ٢٦ . بينما نجدها فى « التمثال المثلث » تحول هذه الجملة نفسها الى « الادب الذى انغمست اقلامه فى صميم الحياة والمجتمع » ص ٢٢ . ولم تكن المذاهب الادبية وحدها هى التى اتصل حديثها بالادب ، فهناك ايضا الاسلوب . فكما حدث وهبط الاسلوب اللغوى من عليائه فى أدبنا العربى الحديث وقل الاهتمام به ، فقد اسقطت نبوية الحديث عنه وهى تكتب عن الادب الرفيع الذى تتطلع الى تأليفه ، بعكس ما فعلت فى النسخة الاولى اذ لم تكتف بأن تذكره ضمن الأسلوب العام بل واشارت الى شخصيته المستقلة كشرط يجب ان يتوفر فى كل أدب جيد .

ومن ناحية اللغة فمن الواضح جيدا ان المؤلفة تعمل فى « التمثال المثلث » على تبسيط لغتها اكثر من ذى قبل ، فهى ترفع لفظا قديما أو معقد التركيب أو تنقصه الدقة التى تستلزمها متطلبات العصر ، وتبدله بآخر جديد أو سهل او عصرى ، والامثلة تتسع لها صفحات القصة جميعا . .

والشىء الثالث الذى يمكن للقارىء أن يكتشفه من مقابلة النصيحة فى مجال ملامح العصر ، هو تطور النظرة الاجتماعية الى الابناء ، فلم يعد انولد هو كل شىء ، بل أخذت البنت مكانها الى جواره فى المرتبة الثانية ولكنه اعتراف بها غير قليل على أية حال ، فمربيتنا عندما تزوجت الباشا ودارت أحلامها حول الانجاب ، لم تذكر فى « مذكرات مربية » غير رغبتها فى البنين ، اما فى « التمثال المثلث » فكانت الامنية تشمل البنين والبنات معا ، وهى لمسة لا يمكن أن تمضى عبثا .

* * *

تتميز القصة القصيرة فى اغلب الاحيان عند وداد سكاكينى ، بأنها كثيرة الاحداث كثرة مفرطة . الى الدرجة التى يتعذر معها على القارىء ان يتابعها أو ينفعل بها ويتجاوب معها . واذا كنا من الفريق الذى لا يطلب من القصاصين التشبث بقوالب معينة لئلا تحجر على قدر تهم فى الابتكار وخلق الجديد ، الا اننا نظن أن كثرة الاحداث فى القصة القصيرة

ليست هي المقياس الثوري لتجديد الكاتب . فهناك في النهاية أشياء اساسية لا يمكن التهاون فيها والا تحول اللون الفني الى نوع آخر وتحولت القصة القصيرة الى ملخص لقصة طويلة كما حدث في معظم مجموعة « نفوس تتكلم » . وقصة « بنت ابليس » مثال لما قدمنا .. فدرية بطلتها امرأة تحب الهدم والتحطيم والتفرقة بين السعداء والفناء على اشلائهم ، حتى لو كانوا من ذوى قرباها الذين تميل اليهم ، كرشدى ابن عمتها الذى كانت تغرم به ، ولولا انه آخوها في الرضاع لما تركته يهنأ بفتاته ويتزوجها. ورغم ذلك لم تستطع ان تبعده عن فكرها نهائيا ، فهى تحن اليه وتعمل على الا يغيب عن مجلسها أبدا . ولقد آذاها أن يسعد في حياته فعولت على تحطيم صرح هنائه العائلى ، فهى تعرفه بصديقة لعوب هى اسعاف ، وتمكنهما من تأكيد صداقتهما التى تتحول الى حب ينتهى بالزواج وطلاق ليلى .

يا لسرعة المؤلفة والصداقة والطلاق والقران تتم في سطرين اثنين ! ـ ثم يمضى شهر العسل ويزورها العروسان ، ويساور الشك اسعاف في طبيعة دريه ، ويحدث بينهما جفاء ثم قطيعة . ولا تسكت صاحبتنا عن الدس والوقيعة . فهى تزور الزوجة الاولى وتفضى اليها بما يشوب حياة اسعاف من فضائح ، ويصل الامر الى رشدى ، ويقف بنفسه على حقيقة عروسه ويتأكد من ذلك باعتراف احد اصدقائه . وتطلق اسعاف وترجع ليلى ثانية الى عصمة رشدى !

واذا تركنا ظاهرة كثرة الاحداث جانبا ، والتفتنا الى الحديث عن هذه القصة ، وجدنا انها اقرب صورة الى ما تنشره الصحف في صفحة الحوادث ، او انها نموذج للتعمل والتصنع الذى لا يقوم على اساس من الاقناع أو التبرير وخاصة في جزئها الثانى .

فكان شخصيات القصة قطع شطرنج لاارادة لها ولا حياة ولا منطق وكان العلاقة الزوجية لعبة أطفال تجرى على مسرح صبيان يلهون . كل شيء يجرى ببساطة متناهية وكان في العروق ماء . ان كثرة الاحداث تجعلنا نحس اننا ازاء مادة اولية لم تصغ او يمسها المؤلف بعد . مادة بدائية لا ينتظر منها ان تثير فينا عاطفة جمالية او انفعالا معينا ، لانها ليست بذات خصائص فنية . وهذا ما حدث تماما ، فالقارىء يمر بها مرا سريعا دون ان تترك في نفسه اثرا .

* * *

وفى « المسحور » ارادت وداد سكاكينى ان تكتب عن نموذج معين من الناس ، يخفى بين جوانحه انطوائية شديدة رغم ما يظهر به من اندماج في المجتمع وحب المعاشرة .. وهى قصة تعرض في الواقع لجبن نوع من الانطوائيين المدللين الذين يلتصقون بمنبتهم ، ويفضلون استنشاق الهواء الراكد على المتجدد ، مع الارتباط الشديد باهلهم ، واستشعار الغربة الحادة وخاصة في الناحية العاطفية اذا ابتعدت بهم القدم خطوة واحدة خارج الدار . وهذا ما حدث لبطلنا الموظف المتلصق بأمه ، فعندما نقل

من العاصمة الى الريف ، استوحش المكان وحاول ان يوجه اهتمامه وحيوية شبابه الى هوايته فى الثقافة والادب ،ولكنه وقف عند حد الثمنى ، فهو مهزوم الارادة فى حاجة الى من يدفعه من الخارج .

وعندما حاول ان يحطم هذا القيد عن طريق التعرف الى واحدة من صبايا القرية ، خذله جبنه ووقف به عند اول الدرب . وقد ادرك انه لا قبل له باتباع اسلوب المغامرة والهجوم ، وكانت .. ام فهدة ، السيدة العجوز التى تركت لها والدة تيسير ابنها فى رعايتها . وام فهدة كهلة مات عنها زوجها منذ سنين طويلة ولم تجد بعده من زاقت فى عينيه . فلما جاء بطلنا الشاب الانطوائى البكر وجد كل منهما عند الآخر بغيته من اسهل طريق ، فتزوجا !

ومما لاشك فيه ان « المحور » عبرت جيدا عما ارادته الكاتبة ، ولكن خاتمة القصة جاءت عادية جدا ، او بمعنى ادق لا مكان لها ، لا لانها انتهت قبل ذلك ولكن لانها جاءت فى تضاعيف القصة منذ البداية وفهم القارىء بوضوح فوق الكفاية ، ان تيسير افندى قد تزوج زواجا غير متكافىء . فلماذا اذن هذا الخطاب من صاحبنا الى والدته يخبرها فيه بغرائه من الكهلة المتصابية ؟

ماذا يحدث لو كان مقياسنا لتناول العمل الادبى نية صاحبه وحدها انى بدا عملية الابداع على هديها ، مثل هذا التساؤل يجابه قارىء « ثمن العمر » وهو يبحث عن تسمية اخرى لها غير ما يختمه وضعها فى مجموعة قصصية ، فهى ليست قصة وانما هى صورة غير متكاملة او لقطات متفرقة منفردة لا يجمعها الا اهتمامها بشخصية واحدة . ولو كانت الدقة العملية هى رائدنا لقلنا انها نصف قصة باعتبار قسمها الاول ! فقد بدأته وداد سكاكينى بداية طيبة ، فهى تلتمس الخطوط التى تجسد امامنا فى شخصية ام توفيق التى بلغت منتصف العقد التاسع من عمرها واصاب اعصابها وهن الشيخوخة فهى تخرف . وبدأت « ثمن العمر » حول تفكير احدى الحفيدات فى اقامة عيد ميلاد لجدتها العجوز التى لم تعد تعى تماما هذا التاريخ البالغ القدم . ويقام الحفل رغم ان الاسرة لا تعرف فى حياتها مثل هذا التقليد . وتملك القاصة حواسنا عندما تبدأ فى تصوير الخبل الذى الم بالجدة وهى تتخيل ان هذا الحفل ليس الا ابتهاجا بزفافها هى . وقبل أن تصل السيدة وداد الى قمة المفارقة الباكية الساخرة فى الخطوة التالية . تترك هذا الخيط جملة وتفصيلا ، وتأخذ فى تصوير لقطة اخرى لا صلة لها بسابقتها حتى يظن القارىء امام هذه المفاجأة غير المتوقعة والبتر الحادث أن سطورا كثيرة قد اسقطتها المطبعة ، او على الاقل قد احدثت اضطرابا فى الجمع فوقع تقديم وتأخير . ولكن شيئا من هذا لم يحدث . فالكاتبة لم تعاود الحديث ثانية عما بدأته ، وهكذا فقدت اديبتنا قصة بذرعة عن نموذج واقعى لا يلتفت اليه القصاص الا نادرا .

واذا كان الهدف الذى تنشده وداد سكاكينى فى القصة السابقة واضحا فهو فى « الشيخة عطية » بعكس ذلك . ولا يعنى هذا انه غامض او ملتو . بل معدوم الوجود ، مما يجعل القارىء يتساءل : ولماذا اختارت

المؤلفة هذه الشخصية وتجشمت كتابتها واى معان أو قيم تتميز بها حتى تختارها وتهتم بخطوطها ؟ ..

ان الفن اختيار واضافة ، فالقاص لا يكتب لمجرد الكتابة ولكى يسود صفحات من الورق ، فهو يريد ان يقول شيئا ، فاذا انتفى هذا الشيء ، اصبحت السطور لا معنى لها ولا اهمية ، ويزيد الامر سوءا اذا كتبت القصة كما فعلت اديبتنا هنا بمعالجة فاترة ، ولعله اسوا اساليب التناول جميعا لانه لا يجعلك تحس به او تتاثر حتى فى حالة وجود مضمون له ، فانه يبهته ويجمده ويشل حركته فلا تبدو منه الا انفاس متحشرجة لاتدل على حياة او موت ، وانما هو بين بين وان كان اكثر ميلا الى الاخير اى فى حالة نزع بارد والعياذ بالله !

* * *

يختلف القصاص فى تقديم شخياتهم الى القراء . فالبعض يحبذ ان يأتى على جميع سمات الشخصية مرة واحدة فيذكرها ليتفرغ للاحداث فقط فيريح القارىء ويستريح هو كعبد الحميد جودة السحار مثلا ، والبعض الاخر على العكس من ذلك يفرق هذه السمات فى انحاء القصة نبلتقطها القارىء بنفسه ، ولعل هذا التكنيك اكثر تشويقا لانه يعتمد على عنصر المفاجأة . وبذلك يحاصر المطالع بين نوعيها : مفاجأة الحوادث والتقديم معا . كما تفعل وداد سكاكينى . وينجح هذا النوع من التعريف بالشخصية اذا وعى الكاتب حاجة الموقف القصصى الى هذا الاسلوب ليصل بالتصوير الى تكامله وعمقه وتفسيره .

واذا كانت قاصتنا قد نجحت فى ان تشوق القارىء وهى تقدم اليه زوزو فهمى لم تستطع ان تفعل ذلك بالنسبة الى التمثال الذى استوحت منه عنوان قصتها . والسبب فى ذلك انها عمدت الى تحويل اسلوب التقديم من وسيلة الى غاية ، فكان همها الاول لا أن تضيف شيئا جديدا . ومفيدا . بل غامضا ومثيرا . وتفرق ملامح الشخصية لمجرد عدم تجمعها معا .

* * *

ومن عناصر البناء فى قصة وداد سكاكينى القصيرة . مقدمة بطيئة تبدو غاية فى الطول اذا قيست بالاحداث الكثيرة المتتالية السريعة . وهذا ما يصدم له القارىء الذى ينتظر لشيء من التناسق بين اجزاء القصة . فلا يعدو قسم على قسم . نعم ان المؤلفة تريد بمقدمتها الطويلة ان توفق فى تقديم بطلها الى القارىء ليتم التعارف بين الاثنين . ولكن الاسراف فى هذا التقديم يتم على حساب جزء تال . ومما يؤكد الاحساس بعدم التناسق أن كاتبتنا . كما سبق القول ، من هواة كثرة الاحداث . هى تستعمل اذن فى القصة الواحدة ايقاعين بدلا من ايقاع واحد . الاول بطىء فى البداية والاخر سريع بعد ذلك . ويحدث هذا بغض النظر عما تتطلبه مواقف القصة من البطء والسرعة . وفى اختلاف المعيارين — بلا ضرورة فنية — ما يفسد من تهيئة المتلقى النفسية لمتابعة العمل الادبى . فهو اذ

اطمان الى طريقة بعينها فى التعبير ، يشعر بما يشبه الصدمة اذا مافوجىء باخرى على طرف نقيض من الاولى ، مما لا يجعله يرتاح الى المعنى فى القراءة ، لانه فقد تكيفه السابق الذى اعدو عمل له المؤلف ببداية السطور تماما كموقف المتفرج فى قاعة السينما اذا عرضت عليه المناظر بالسرعة البطيئة ثم بالسرعة العادية او الخاطفة .

فقصة « تلاقى الفن » مثلا تبدا بوصف تفصيلى لبهية وهى تنتهى من عزفها على العود . وكلام كثير ـ نسبيا ـ عن حبها لهذه الالة الموسيقية التى تركت المدرسة من اجلها ، ورغبتها فى درسها على يد فارس افندى مدرس الموسيقى وواحد من ابناء الحى وبعد هذا التمهيد تتابع المواقف والاحداث بسرعة غير عادية . وهكذا كان لتباين اسلوب العرض المفتعل فى القصة . وعدم تناسب اجزائها . ما حولها الى عمل غير ناضج لم يستطع ان يقنع القارىء بما غنته صاحبته من تصوير ثراء الفن وقدرته على اسعاد البشر .

ويلمح القارىء فى هذه المجموعة ظاهرة تدخل المؤلفة . فوداد سكاكينى لاتترك القصة تسير فى مجراها الطبيعى ككل تجمع فى سبيكة واحدة . بل هى تنسلخ عن القصة بمعنى انها تنفرد بنفسها وتجسد شخصها وتأخذ فى التعالى على كائناتها ومقاضاتها والاستخفاف بشأنها والسخرية من ضعفها ، كل ذلك فى خارج الاطار القصصى ذاته . بحيث يشعر القارىء بالتطفل الدخيل ، وانقطاع الاسباب بين الكاتبة كعنصر مستتر ينبغى له الاختفاء والاندماج تماما داخل العمل الفنى وبين بقية عناصر القصة الاخرى . القصة كائن مكتف بذاته ولا حاجة به الى طلب العون من خارجه . ولذلك فتعمد القاص المساس بحرية هذا الكائن الشخصية عامل افساد يشوه البناء ان لم يخلخله ويسقطه واسلوب كاتبتنا فى هذا الافساد ، انها توقف فجأة عجلة القصة واحداثها لتعلق على ما يرضيها وما يرضيها وما لايرضيها من المواقف ، متوسلة الى ذلك بما يشبه الحكم والامثال ونظراتها الذاتية او فلسفتها الخاصة فى الحياة .

الفن والاسلوب المباشر فى التناول على طرفى نقيض . فالكلمات هنا جاهرة الصوت كالجسد المكشوف لاترتاح اليه العيون والاذواق ، وتقطع الصلة بيننا وبين مواصلة تتبع الخلق القصصى كعمل يرفض الجسم والقصم واحكام كاتبه القاطعة .

* * *

قصة « بنت ابليس » تصور انثى افعوانية ، وفى البداية تترك مؤلفتنا الاحداث تتكلم ولكنها لاتمضى فى سلوك هذا الطريق الى نهايته . بل تنحى عملها جانبا لتأخذ هى فى تقريرية فى الحديث عن وجهة نظرها فى امثال هذه المراة « الشريرة » وعن الافعى وحواء التى « مسها شيطان الجنة فانسربت فى كل انثى بعدها حية صغيرة ، قد تبقى العمر كله منسية خفية فى زاوية من زوايا نفسها ، وقد تهيج وتفح وهى كاشرة النابين راقصة اللسان » ص ١٠٢ .

هل يمكن ان تسيء ثقافة القاص الكبيرة الى القصة التى يكتبها ؟ والجواب : نعم . اذا لم يتمثل القاص هذه الثقافة تمثيلا تاما ويهضمها جيدا حتى تتوزع عصاراتها على قلبه وعقله ونفسه بحيث لا تظهر ثانية فى عمله فى صورتها الاولى ، فاذا لم يفعل وابقاها ليستغلها كما هى ، كانت عامل ضعف فى القصة كما حدث فى « نفوس تتكلم » عندما بدت فى صورتها التضمين وذكر الاعلام .

والتضمين شيء لا تستسيغه القصة حتى لو اكرهناها على ذلك اكراها . لانهما لا يأتلفان طبيعة ولا يتزاوجان تزاوج عنصرين يكمل احدهما الاخر . انهما ضدان متنافران . فالقصة لا تعترف الا بالتعبير الذى ينبع من ذاتيتها وحدها . وترفض ان تستعير او تتسول شيئا من الخارج ، مهما كان جماله او براعته او دقته .

ان التضمين اليسير الواحد يمكن ان يفوت على القارىء او يمكن التغاضى والتجاوز عنه ، ولكنه اذا تكرر واصبح ظاهرة ولازمة كما عند وداد سكاكينى ، فهو مالا يغفل او يستهان بقدرته على اشاعة جو من التعطل البنائى ..

ولمؤلفتنا ولع بذكر المشاهير من الجنسين سواء فى الشرق او الغرب والاستشهاد بمواقفهم التى تطابق او تماثل من بعض الوجوه احداثا فى قصصها . فنحن نقرأ اسماء ، امراة العزيز وزنوبيا وكليوباترا ومدام دى بومبا دور وغيرها . وعيب هذا الاسلوب انه لايساعد القارىء على الاندماج فى جو القصة ولا يجمع انتباهاته كلها حولها ، بل يفرق بعضها خارج حدود العمل الفنى ، حيث يسارع الخيال الى استحضار صور هؤلاء الاعلام وما حفلت به حيواتهم من احداث لا يمكن بالطبع ان تنطبق تماما على شخوص القصة ، وحتى لو حدث هذا فى بعض سماتها فان الشخصيات التاريخية اقوى وافعل فى النفس من كل ما يحفل به قصص الكتاب .

ووداد سكاكينى القاصة لم تنس وداد سكاكينى الناقدة ولم تضق بها ، بل افسحت لها الصدر ، فجرى قلم الاخيرة بلمسات تنم عن عمق وفهم هنا وهناك ، فالحديث مثلا عن حاجتنا الماسة الى مدرسة للمربيات تنهض باعداد عاملات مؤهلات فى حقل تربية الطفل تغنينا عن المربية الاجنبية والدادة الجاهلة ، صادف موقعه ، ولكن المؤلفة تسرف احيانا فى اصطناع النقد فى غير موضعه وحاجة الموقف القصصي اليه ، كما فعلت وهى تحمل على الرطانة التركية فى القاب الاسرة المصرية (ص ٨)

ولايجب أن ندع الحديث عن هذه المجموعة بلا اشارة ولو موجزة الى ما شعر به القارىء بوضوح من تمكن المؤلفة من لغتها تمكنا قويا ، وهو أمر قليل الشيوع عند كتاب القصة بوجه عام عندنا . فهى ظاهرة تبدو « شاذة » هذه الايام وسط الركام الهائل من الانتاج القصصى بنوع خاص

ان ضعف لغة كتابنا يجعل قصصهم تبدو فى كثير من الاحايين وكانها مترجمة . وكانهم ينقلونها عن لغة اخرى يسقط التعريب الكثير من متانة نسجها اللغوى وتعبيرها الادبى فى الاصل . وكان القصة ارفع من أن تعبر بها لغة « متهافتة او غير قصصية » كالعربية ! وهذا ما استطاعت وداد سكاكينى ان تتفاداه تماما .

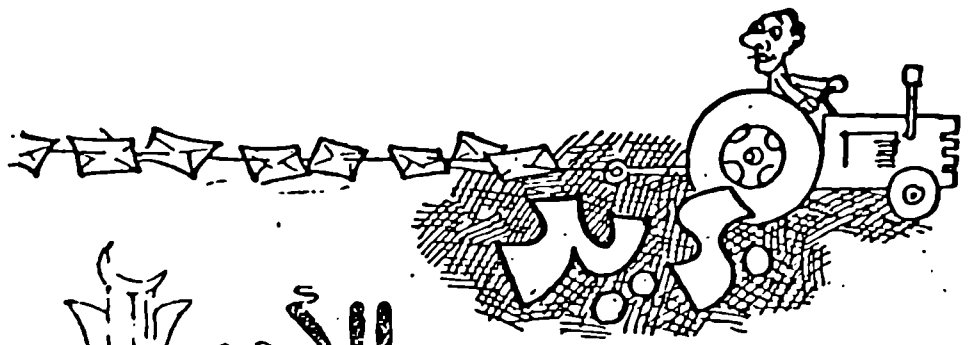

الأدب

تقويم وتدريب

العوض على الله

وما أحسن عوضه ، على الكاتب والقراء ، فى وقت .. وجهد .. وصفحات كانت تشغل بما هو شيء ، ولولا الامل فى أن يرى مبصر ، ويسمع واع لكان المضى فى الكلام مع هاوى الادب حراما حرمة قاطعة ، فقد ضاعت من اجله اوقات ، وجهود وصفحات من العدد الماضى ، ثم عاد الى ما كان فيه من الرغبة فى القول دون شيء آخر .. وقديما قال القائل: ما حيلتى فى من يريد أن يقول !!

وعفا الله عن كل ما عاد الى تكراره من تهم « للادب » ومن يمثلونها ، فعسى الله ان يجعل فى ذلك شفاء ، ولا خير فى محاولة الافادة من اخطاء هذه الاساليب فى تصحيح سلوك منتقد ، لان الجدوى فى هذا كما دلت التجربة اقل كثيرا من الخسارة فى اضاعة الصفحات ، والوقت ، على الكاتب والقارىء جميعا . . فلعزة من الاعراض ما استحثت .

وقد نقلت المسألة الى باب البريد دون التحرير العام ، لان كثيرا من قراء « الادب » قد خالفوها فى نشر هدية الهاوى ، والتقدير للمهدى بالهدية ، فى مجال المقالات او مايشبهها ، ثم جاء من الهاوى هذا الرد الهادىء — فى قوله — بعد العدد الماضى فدل على صواب رأى من لم يروا النشر السابق فى المكان الذى وضع فيه .

ومحرر باب البريد متعود على احتمال مثل هذا ، واكثر منه احيانا فى المفارقات العقلية ، والاعتداءات الكلامية ، لكنه على كل حال احس منا رضى الكتابة فى هذا الموضوع بالخسارة وطلب العوض .. وفى سبيل الامل — غير القوى — فى أن يفيد مستفيد من عرض هذه المفارقات التى فى رد الهاوى اضع عباراته ، الفالطة ، واعقب عليها أخصر تعقيب يشير الى ما فيها من مواضع للملاحظة المنهجية الفكرية ، فهو مثلا يقول :

— وقد ابت الادب ان تطالع

الحديث الصحفى المشار اليه لانها تدعى احتكار الامانة وحدها دون الصحف جميعا .

وتقول له الادب .

ـ اى شىء هذا ؟ صدقناك فى رواية مارويت عن العميد ، وقلنا انه يناقش سواء اكان كلامك انت او كلام العميد يعنى سواء اكان قد نشر كمارويته ، أم كان من افكارك انت .. فاى امانة واى احتكار !! أو اى معنى لهذا !

ويقول :

ـ فهل من الامانة أن تستشهد بكلام فقيه واحد ، وتترك عشرات الفقهاء غيره ، من الذين آمنوا بوجهة نظر لاتحظى عند «الادب» ولا توافق هواها .. انها لم تشر اليهم بكلمة واحدة فماذا يسمى هذا العمل عند اهل العدل واحباب الحق .

ـ واقول له اولا

من هم هؤلاء الفقهاء الذين تعنيهم؟ ولماذا لم تسمهم انت ، لنعرف مخالفتهم لابن حزم فى عدم تفضيل اللغة العربية بنزول القرآن بها ؟

ثم ياهاوى : هل تريد ان يشير مخالفك الى رايك ودليله والقائلين به؟ ان هذا لعجب فى البحث أو المناظرة ان ابن حزم فى نقضه هذه الدعاوى يسميها الدعاوى الزائفة الهجينة ، ويشير الى اصحاب هذا القول بالتنكير تهوينا لشأنهم فيقول : وقال قوم فمن هم اولئك الفقهاء عندك ، لو كان فى الامكان ان يشير اليهم من لايوافقهم وهم الذين لاتذكر انت واحدا منهم !!

الله يجازيك يا شيخ .. ان طلبك ان يذكر لك مخالفك دليلك واصحاب قولك اشبه ما يكون بعمل صاحب ابى حنيفة الذى ظل يتهيب ابو حنيفة ان يمد رجله امامه وهو فى المجلس ، حتى قال ابو حنيفة فى تحديد وقت الصبح انه من الفجر الى طلوع الشمس فساله الرجل : واذا طلعت الشمس قبل الفجر فماذا يكون ! ! او كما تروى هذه الحادثة ، لانى لا اثبت لفظها .

لقد مد ابو حنيفة بعد هذا السؤال رجله فى بحبحة !! ولكن « الادب » لا تزيد عن هذه الاشارة ليرى مبصر ويسمع واع .

ـ ويقول الهاوى

.. ثم اعتبرت الادب العقل حاكما على القرآن ، فلتبين الادب لقرائها وللهاوى من ترضاه لهذه المهمة . . وبمضى فيكتب فى ذلك ٢٥ سطرا ، اكثرها من مثل السؤال عن طلوع الشمس قبل الفجر

ويقول له باب البريد :

انك تحسب ان القول بحكم العقل على القرآن هو قول « الادب » .. ولكنه يا سيد قول الآمدى الاصولى صاحب الاحكام فى الجزء ٣ ص ٢٢٦ ط المعارف ، وهذا مما قراته للاستاذ رئيس التحرير فى دائرة المعارف الاسلامية المترجمة الى العربية ـ مادة اصول ـ فعليك بالاصوليين من آمدى وغيره فاعرف شغلك معهم ، واسالهم : اليس من العدل ان يكون لهم شركاء فى هذه المهمة الخطيرة ؟ واذا عز الاتفاق فليؤخذ الراى بالاغلبية فلعلهم يقررون اخذ رايك فى الاغلبية واسالهم كذلك عن هذا العقل الذى جعلوه هم مدار التكليف !! ومن هم العقلاء وهل يدخل فيهم سارتر وغيره الى آخر ما قلت من طلوع الشمس قبل الفجر بزمان !!

واظن هذا كافيا لبيان الخسارة فى هذا الكلام ، ولا سيما ان الهاوى

نفسه يجد بعقله الباطن ان هذا عبث فيقول قرب اخر رسالته :

اليس من الاولى لها ـ اى للادب ـ ولمثلى ان يشتغل بشيء انفع .. وان كان الهاوى يعقب فيقول بـــداجة غريبة :

«ولنضرب على ذلك ـ اى الاشتغال بشيء انفع ـ مثلا ، وهو قراءة كتاب الاغانى الذى يصدر على شكل ملازم فى هذه الايام .

وصنع الله لك يا هاوى : أن الاغانى مطبوع منذ زمن مديد فى اوربا .. ثم فى بولاق ، ثم فى مطبعة التقدم ، ثم فى مطبعة دار الكتب ، فهـل لم تعرف مكانه لتقراه ولتنصح بقراءته الا عندما ظهر ملازم فى هذه الايام .

العوض على الله فيما ضاع على الكاتب والقراء .. وحرام على منصف ان يقف عند مثل هذا الكلام .

فالى شيء انفع ، ولو انه غير قراءة كتاب الاغانى !!!

شكاوى أدبية

وما اريد بهـذا العنوان مسائل جزئية اعرض لهـا ، ولكنى إنتهز الفرصـة فاورط بالنشر المفاجيء اصحاب الراى فى « الادب » بان اطلب هنا فتح باب جديد بين ابواب الادب يكون عنوانه هو هذا العنوان :

شكاوى ادبية

لان « الادب » بحق اقدر على فهم هذه الشكاوى والشعور بالم اصحابها وهى كذلك اجدر بان تفسح مكانا لمثل هذه الشكاوى ، اولى من الاشتغال بمثل المناقشة السابقة مع الهـاوى

وتاكيدا لضرورة هذا النشر فيما يلى نص خطاب لطالب جامعى ورد فيه بعد الديباجة ما لفظه :

ـ وفى هذه الصفحات يا سيدى مسرحية من ذات الفصل الواحـد بعنوان « السمك والشـاطىء » هى زفرة ـ مجرد زفرة ـ يزفرها طالب لا يملك غير الزفرات لما شاهده فى كلية الآداب من اوضاع مخجلة مؤلمة .

واقسم لك يا سيدى ان ما فى هذه المسرحية ليس الا قليلا من كثير بل من كثير جـدا من الهازل الهازلة والسخف السخيف الذى يحـدث ـ عينى عينك ـ بين جدران كليـة الآداب .

والشيء المؤلم يا سيدى .. الشيء القاتل .. الشيء الذى تهون دونه كل الاشياء .. ان الدكتاتورية انتقلت بكل رعونتها وزرقها من ميدان السياسة الى ميدان العلم .. فلنا الله ياسيدى .. لنا الله .

واهون شيء يا سيدى هو الكتب واثمانها .. والكتب التى لا تظهـر الا قبل الامتحانات .. والنتيجـة وما يظهر اثرها من ضجيج عن زيفها وما حدث فيها من اخطاء مقصودة او غير مقصودة .. فهذه كلها ادواء غير مستعصية على العلاج .

ولكن الداء الدوى يا سيدى .. ولـكن الداء الازمن المستعصى على العلاج هو دكتاتورية العلم بكل عمايتها وغـرورها وقلة عقلها .. هـذه الدكتاتورية التى تابى ـ فى عـزة آثمة ـ الا ان تجعـل من بعض الاساتذة تماثيل حية للجهل الجهول .. فالدكتور يدرس كل شيء .. كل شيء بلا استثناء لا لانه يعـرف كل شيء ـ فهو فى الحقيقة لا يعـرف

الا شيئا واحدا هو الذى نال فيه درجة الدكتوراه ـ ولكن لانه يحمل لقب دكتور .. وهو على أتم استعداد ان يخزق بلقب دكتور هذا عين من يقول له : بم .. فلنا الله ياسيدى ..

واقسم لك يا سيدى غير حانث فى قسمى ان احد الذين يحملون لقب دكتور كان يدرس لنا علم العروض فى السنة الاولى .. هذا الدكتور ـ شهد الله ـ لم يكن يعرف الفرق بين الزحاف والعلة .

واقسم لك يا سيدى ان احدهم يدرس لنا علم التفسير فلا يفارق الكتاب عينيه طيلة المحاضرة .. فلنا الله ياسيدى .. لنا الله .

فهل يرى اصحاب الراى فى « الادب » أن مثل هذا الباب للشكاوى الادبية باب ينبغى ان يكون مفتوحا فى « الادب » ؟

ثم ماذا يرى اصحاب الراى فى الجامعات ووزارة التعليم العالى فى تعريض الشباب لمثل هذه الازمات النفسية !! انى شخصيا سارسل لهم ـ على نفقتى الشخصية ـ هذا العدد معلما على مكان هذه الشكوى فيه.. وانتظر .

عبرة .. من تجربة

اسارع فاقرر انى اشاطر الاستاذ رئيس التحرير اعجابه بالعبارة الشائعة على لسان اهلنا فى قولهم : **اعوذ بالله من قول انا** .. ولكن هذا الاعجاب لا يقل وهذا المبدأ لا يخالف اذا ما اقدرنا أن « الادب » تجربة عملية لفئة وجماعة لا لفرد فلا غرابة فى ان يكون الحديث عنهم غير الحديث عن فرد يقول .. وبخاصة حينما يكون هذا الحديث قصدا الى الاستفادة من تجربة ترد على الشباب الثقة بنفسه ، وقوة الامل فى غده ، وذلك بان اسمعه موضع الفائدة من خطاب بعث به الى « الادب » هذا الشهر سيد شاعر يشير الى استمرار « الادب » فى هذا الميدان الذى لا يصمد فيه المتبارون الا بعض وقت ثم يسقطون ، مع انه يكون لهم من تعضيد رسمى مالهم ، ومن صنوف المؤازرة والتشجيع ما يسند اوهى الابنية .. ثم يخلص من ذلك الى موضع الفائدة بقوله :

ومرد ذلك فى نظرى الى صدور الادب بدافع من عقيدة ادبية وفكرية وانسانية واضحة ، ولاشك أن الاستناد الى عقيدة راسخة ، وفلسفة محددة فى أى مجال ، من شانه أن يعين على الصمود والثبات ، وما يستتبع ذلك من نجاح وتحقيق للامال .

ومع الشكر للسيد الشاعر . . ومع اعجابى بقول اهلنا « اعوذ بالله من قولة انا .. اقول للشباب : **اسمع ..**

وبعد فالى رسائل :

الشعر

ليس بالكثير أن اطيل الحديث عن :

* مسرحية بشائر الهناء الشعرية فصاحبها من القلم ، يطاوعه الوزن مطاوعة واضحة ، ويرجى له ان يكتب المسرحية الشعرية ، لا الشعر المسرحى فقط ، لا ن المسرحية عمل فنى معروف المقومات ، التى لا يعوض عن الاخلال بها ان يكون الحديث بين الاشخاص كلاما منظوما ، او كلاما شعريا ، بل

ينبغى ان يكون شعر العبارة قائمـــا على سلامة العمل المسرحى ، وتوافر عناصره الجوهرية .. على انى حين اذكر مطاوعة النظم لصاحب « بشائر الهناء » ومرونة العبارة لا انسى قلق القافية ، والعجز عن ان يكون الحوار كلاما عاديا ، يجرى مثله على السنة الناس ، فى المواقف التى تعرض على المسرح ، ثم يكون بعد هذه الطبيعية شعرا .. فاما قول صاحب هـــذه المسرحية .

سلام على ابنى الفاضل .. ورد الاب على الابن بقوله :

سلام على ولدى كامل ، فهـــذا ومثله يذكر بحكم السجع ، فى اول العهد بالمسرح حتى يقول السيد للتابع ساجعا : من بالباب ، أيها المهاب .. واذا صار الحوار المسرحى الى مثل هذا من تقاليـــع السجع قديما ، والشـــعر اليـــوم فلا كان المسرح الشعرى ، بل لا كان المسرح كله ، بمثل هذه العبارات

واذا شكوت قلق القافية ، مـــن صاحبى الذى يطوع له الوزن فانى اشكو مع ذلك ما قد يكون من تحكم الوزن ، بوضع الفاظ لا تؤدى المعنى صحيحا ولا دقيقا كقوله :

عن اللواء : هـــذا اللواء لواؤكم فخذوا به ، لان الاخـذ بالعلم ليس تعبـــيرا مؤديا لما يناسب الرابطة .. وكقوله عن مرتب مثلا : ستون قطعة رنان من الذهب ، لان كل هـــذا من القطع ، والرنين ليس الا ملأ الفراغ أو تمهيدا لايجاد الذهب ، مع ان الناس لا يتعاملون بالذهب الرنان منذ عهد بعيد !!

وذكر المسرح الشعرى ، والشعر المسرحى يلفت الى ان المسرحيـــة ، مهما يكن الرأى فى شعرها أو نظمهـــا لم تكتمل فيها البنية المسرحية ، فلا حركة ، ولا حبكة ، ولا حادث يجمد او يتطور ، بل هى مجرد عرض مناظر ساذجة ، من اجتماع للعمال الذين فى مجلس الادارة ينظم كل منهم شـــيئا عن الميثاق لا مكان له ، والنظم كمـــا عرفنا نظم متون ، كقوله :

جمع الميثاق عربا ..
فاسمع القول الجليا

فاذا ما تناسينا كل هذا ، وفرضنا ان المسرحية صالحة وفكرنا فى النشر رابنا ـ اقرب ما نرى ـ ان المسرحية فى قرابة عشرين صفحة ، من القطع الكبير ، بالخط الدقيق ، ومثل هذا القدر يستهلك قريبا ، من نصف عدد فى « الادب » ، ولا يسمح غير قليل من القراء باحتماله .

والحديث عن نشر المسرحيـــة فى المجلة يذكر بقضية فنية ، كانت موضع القول ، منذ اللحظة الاولى من حيـــاة مجلة « الادب » اذ نشرت ، فى عددها الاول ، من الســـنة الاولى ، كلمـــة عنوانها « المسرحية لا تقرأ » لاستاذى رئيس التحرير ، وخلاصة وجهـــة نظره ، كما رجعت اليها الآن ، هى :

ان المسرحيـــة انما تكتب مؤلفها حوارها ، مع شىء من الارشاد ، الى الحركات ، والمناظر ، ويترك هـــذا الفراغ كله ليملأه الممثل ، على ضوء ادراك المخرج ، ثم اخراج الممثـــل بتوجيـــه المخرج ، وعن دراســـة الشخصية وطبيعـــة دورها ، فى المسرحية بعد ادراك هذا واستشفافه من جو المسرحية .. وهذا كله هـــو الذى يتم تكوين المسرحية ، فكيف تقرأ بدونه !! وقد كان هـــذا الرأى موضع أخذ ورد ، لانستطيع القـــول بانه انتهى الى ترجيـــح رأى ، فى أن المسرحية تقرأ ، أو لا تقرأ ، وهـــو

ما يدعو الى شيء من التفكير ، بل التوقف فى نشر هذه المسرحية ، لو كانت خالصة مما لوحظ عليها .

على انى ، بعد هذا كله ، اشير على السيد صاحب « بشائر الهناء » بأن يحاول العمل على اخراجها فى الراديو والتليفزيون بما يحتملان من اعمال خفيفة ، ايسر الامر فيها ان تكون شيئا من نشريات التوعية الاجتماعية والسياسية ، لان فى هذه المسرحية كثيرا مما يكون مادة فى هذا عند الحديث عن مركز العمال بعد التشريعات الاشتراكية ، وان العمال قد يقبلون على استعمال حقوقهم ، واصحاب الاعمال قد يخلصون للاشتراكية ويرضون بوضعهم فى مستوى سائر اعضاء مجلس الادارة مع ابتهاجهم بذلك .

* ووصلت « هو آسرى » الجامعية ، وفيها تقول :

روحى وما ملكت يدى من حقه
هو آسرى
انى له
بمحاسنى ومشاعرى
بعواطفى ونواظرى
حتى تقول :

هو آسرى .. مكررة ، كما كررت قولها : روحى وما ملكت يدى من حقه ..

ولقد سمعت قول القضاء الانجليزى : ان جسد المراة ملك لها ، تتصرف فيه كيف تشاء !! ورايت الفتاة الاوروبية تتخير الفتى الذى تخرج معه !! وسمعت وسمعت ، ولكنى لا ازال متاخرا ، وفى اعماقى — على ما يظهر — فلاح ساذج ، لايزال يستكثر فى دنيا الفن قولها ، هو آسرى . .روحى وما ملكت يدى من حقه ، وبصرف النظر عن شعورى الخاص ، وغلبة النزعة المتاخرة على فانه — لاشك — ان مثل هذا القول شيء فى حياتنا الادبية والفنية .. لانه شيء كذلك فى حياتنا الاجتماعية .. وشعور بالتطور وضعته بين يدى القراء وضعا كاد يكون النشر كله ..

* ووصلت « حديث قلب » واول ما فيها حكم القافية ، حتى لتلزم باللفظ ليس فى مكانه ، وتعرض لمبالغة مسرفة ، كقوله لقلبه :

وجرحك ينزف مثل الغرب — يريد الدلو — واين النزف من الدلو !! واين دفق الدم من كب الدلو المملوء ماء !! وقد يتهافت المعنى كقوله :

عجبت لحبك يا مهجتى
فيارب اين النجاء واين الهرب؟

فما العجب للحب ، ما دامت مهجته ، وفيم النجاء والهرب ، وهى مهجة كما يقول ؛ واشباه هذه الملاحظ غير قليلة .. مع ايحاء للكلمة بانها تقليد لقطعة تفنى ، على هذه القافية !! ولا يكون الشعر كالفراز المزبعات تملأ بالكلمات مكان الكلمات !

* ووصلت « رسالة جندى فى اليمن » و « نجوى » ، والنظر فيهما يشعر بأنا جاوزنا دائرة النقد الادبى ، وخرجنا من المنطقة الفنية — فهاتان الصفحتان ليس فيهما شيء !! لاتعبير صحيح .. ولا معنى مستقيم .. او حتى خفيف الاضطراب .. واما الوزن فلا تفكر فيه !!

واعجب من هذا كله ان صاحبهما — باسمه كله — قد جاء « الادب » منه ما نشرته — ولا تفهم كيف كان هذا وما بين يدى الان من قلم واحد ، ونفس واحد !! ان الشاعر قد ينزل

مختارا عن مستواه المألوف مداعبا متساهلا كما فعل بشار فى قوله :

ربابة ربة البيت
تصب الخل فى الزيت

ليرضى ربابة .. وكانت هذه الكلمة من الشهرة ، بل الشنعة ، بحيث هى فى التاريخ الادبى ، وهذا من بشار يفهم بما معه من تفسيره ، أما ممن يرسل للنشر هذا وذاك مما بينهما بعد المشرقين فلا يفهم ذلك ، الا ان يكون الاسم مشتركا ـ بتمامه ـ بين شخصين ، شرق احدهما وغرب الاخر .. وفى هذه الحالة أصرح بالاسم فهو : فتحى أبو النور . .

ولهذه الشركة مثيل فى اتخاذ الاسماء الرمزية ، ففى محفوظات « الادب » شعر لاثنين يسميان انفسهما « ابن الريف » وبين النفسين فى القول ، ما بين الاسمين من الاختلاف ، لكن هذه قد أمكن كشفهما أما الفتحيان فلم يتيسر تمييزهما

* ووصلت «حكاية النصر» وهى تقينا فى مكاننا خارج النقد تقريبا ، فهى دردشة باللغة العامة ، لاتستطيع الحاقها بفن معين ، من فنون القول .. وهى حكاية فعلا ، لولا أن حاكيها لا يعرضها فى صورة وافية ، ولا لافتة فضلا عن ان تكون مثيرة للإنتباه .. ولا يخف على أن اذكر مثلا من هذا الكلام ، لان الامر أهون من ذلك .

وندع هذا الى الحديث عن رسائل :

النثر

* فقد وصلت كلمة بعنوان « فوضى النقد » وافلح صاحبها ، ان صدق ، فان له من اليد فى هذه الفوضى ما نعته « الادب » فى غير هذا العدد أيضا .. وهو يطلب رأى الاستاذ رئيس التحرير فى هذه الفوضى ، وفى تفاهة النقد ، وعدم تخصص النقاد ، والرأى فى ذلك أوضح من أن يطلب من أحد .. و « الادب » دائمة الجد فى تطهير جو النقد ، ورفع مستواه .. وآخر ما كان من ذلك مقال اطنان الثناء فى العدد الماضى ـ وهى ترجو أن يصدق الشعور بهذه الفوضى ، ويقوى عند الشباب حتى يكونوا وهم المرجون للغد ـ قوة فعالة فى اصلاح النقد ، وتحطيم عوامل الفوضى فيه .. وابدأ بنفسك ، ثم بمن يليك !

* ووصلت قصة «الفجر الجديد» لسيد نشرت له «الادب» قبل ذلك ، واسلوبه سليم وفيه مسحة من جمال وجزالة ، لكن القصة ليست تعبيرا ، وانما كما ظلت « الادب » تقول كثيرا : **تعبير بالحادث** ، فالبلاغة التعبيرية ليست جوهرها ، والا فبم تفترق عن المقامة ، والمقالة ، والمحاورة ؟ ! ان صاحب الفجر الجديد يروى حادثا فى دمشق ، لا يفترق قوله فيه ، عن قول صحيفة يومية ، محررها مرن القلم ، يطعم حديثه بشىء من البيان المحبب ـ وقد شعرت « الادب » بشىء من هذا منذ بدات تنشر له ، ولكنها اليوم رات البر به أن تطلب اليه استمرار الارتياض ، والمعاودة حتى تجىء منه القصة ، قصيرة أو غيرها ، مكتملة الكيان القصصى ، واذ ذاك ستكون سلامة الاسلوب واشراقه ، من العوامل المجدية ، لا أن تكون هى وحدها العمل القصصى .. فالى اخرى

* ووصلت قصة « عودى » وهى فرصة للاصغاء المرتاح الى الشباب ينقد نفسه ففى ذيل هذه القصة القصيرة جدا تعليق ناقد عليها ، احب أن اضعه امام الشباب مثالا من النقد ، الذى اصاب شيئا من النضج ، ففيه يقول الاديب الشاب ، الذى عرضت عليه القصة قبل ارسالها ، وهى قصة قصيرة جدا ، عن شاب خان زوجته مع امها ، وهو ما نسمع الشاب الناقد يقول فيه :

« من ناحية الشكل ليست قصة .. ومن ناحية المضمون .. واتوقف قليلا ، لانى لااريد ان اصور احاسيس مباشرة ، لانها مشاعر قرفانة

فبالله عليك ايها الاخ .. كيف تصور مثل هذا النمط الحيوانى من البشر ، انها نماذج تبعث على الغثيان ولا تمثل غير قلة منحلة ، والروعة والخلود فى أن تجعل من شخوص قصصك صورة لكل ، لا لذات واحدة ، ذات مريضة ، لا تستاهل ان تاخذ من وقتنا شيئا ، فالادب مسئولية ، ومسئولية كبيرة .. والعناء الذى تبذله اثناء كتابتك حرام ان يضيع هباء ، فلم لا تتعمق مضمونك اكثر من ذلك ، وانت تملك الاسلوب ؟ !!

ان مشكلات الناس لم تنته ، وهذه المشكلات تطالبك ، بل تلزمك ان تتجه بكليتك اليها .

املى ان تكون قصتك الجديدة ابعد بكثير فى مستواها ، عن الفردية .. والى امام » .

هكذا قال الشباب ، وهو قول حصيف ، ترجو الحياة الادبية ان يسمعه غير واحد من الكهول المتصدرين فيها ، والامل كبير فى وعى الشباب الذى يكتب هذا التعليق ، والغد له على كل حال .. وله اليوم تحية وثقة من القلب .

واذا كانت القصة لا تستحق شيئا كثيرا ، فمن الخير ان تكون سبب وجود مثل هذا التعليق .

* ووصلت مسرحية «الشعراء» من فصل واحد ، وقد قومت «الادب» لصاحبها كثيرا من الرسائل : وفى هذه يبدو انه تخلص مما لحظته «الادب» قبل فى اسلوبه ، من حيث الجفوة ، وعدم المواءمة بين اللفظ والشعور .. الخ ، على انه فى هذه المرة زاد فى السهولة ، او التساهل فطعم حواره بغير قليل من العامية !

ولا اناقش فكرته هذه عن جنون الشعراء ، او قرب العبقرية من حدود التعقل ، ان صحت هذه العبارة .. واكتفى بأن الفته الى ما صدر به باب الشعر فى البريد هذه المرة ، عن المسرحية وهل تقرأ او لا تقرأ ؟ ورأى « الادب » القديم فى ذلك ليقدر ان نشر المسرحية ليس رائجا فى «الادب» اذا ما كانت مسرحية ، تحمل بحق هذا الاسم .. فمعذرة اذا لم تنشر الشعراء ، لاكثر من سبب .. وفى هذا النشاط رياضة لا بأس بها ، قد تصل بك قريبا الى ما ينشر ، ما دام اسلوبك قد تاثر هذا التأثر الظاهر ، من الملاحظ السابقة .. والله يوفقك ، ويفيد بك تلاميذك .

* ووصلت قصة « انتصار الضمير » لناشىء محاول ، قد استقام اسلوبه نوعا ما ، وان لم يأخذ طابع الاسلوب القصصى ، ولم يأخذ موضوعه طابع القصة ، لانه كاد يكون فرضا ، لم يدل على وقوعه شىء من حادث ، لانه لا يعين بشىء من زمان او مكان او انسان ، او ما يجعله واقعة تقص ، فالانسان « س » يصف ازمته النفسية ، وهو فى طريقه الى المحكمة للشهادة على ابيه ، وانتظار دور القضية ، وتحليفه اليمين ، واندفاعه

لتقرير الحقيقة ضد ابيه ، وان لم نعرف فى ماذا !! ودعاء ابيه عليه ، أو لعنته اياه ، وخروجه رغم ذلك راضى الضمير ، أو منتصر الضمير ، وانتظاره أن يثوب أبوه الى رشده ويصفح عنه ..

وحكاية الحادث الفرضى كأن يقال يحكى ان صيادا اصطاد دبة ورباها. وما اشبه ، ليست القصة ، ولكنها المثل للعبرة ، وترك القارىء أو السامع ينمثل ويتصور صيادا ما ، وكذا وكذا مما قيل انه وقع ، ليجعل هذا السامع أو القارىء يقوم بنفسه بوضع نفسه فى جو الحادث ، فهل يتم وضعه لنفسه فى ذلك الجو أولا يتم؟ وهل تستثير الحكاية فيه تلك الرغبة أولا ؟ واذا تم شىء من ذلك فهل يندمج فى الجو حتى ينسى نفسه أو لا ؟

أما التشخيص فى العرض المسرحى أو التشخيص فى العرض القصصى فبضع المشاهد أو القارىء فى الجو الخاص ذلك الوضع الذى يجعل أقوى الناس شخصية يبكى بكاء غزيرا وهو يشهد المسرح ، أو يقرأ القصة القوية العرض ، على رغم أنه يحس بان ذلك ليس واقعا ، بل هو خيال ، أو تمثيل ، تؤكده ظروف كثيرة حوله .. ويطول الحديث لو اشرت الى ما فى هذا من أصل معنى الواقعية ، وانها فى أيسر معانيها وأوضحها كذلك تتلخص فى : وضع القارىء أو المشاهد فى هذا الواقع النفسى ، الذى يندمج فيه .. وكل ما يقال بعد ذلك من شرح أو ايضاح للواقعية ومقوماتها ليس الا السبيل لتحقيق القصة أو المسرحية قوة الادماج ، التى ذكرت ..

ولعل هذا اوجز ما يقال فى هذا المجال المحدود ، وقد امتد واتسع ، فلعل صاحب « انتصار الضمير » وغيره من الشداة يدرك هذا المعنى فيدرك اقرب ما يقرب معنى القصة ، ونوعها ..

* ووصلت « يوم العيد » منذ زمن بعيد ، واخرها الدور ، وهى محاولة فقيرة فى الفكرة والعبارة كذلك ، تكاد تكون استعمالا لالفاظ محدودة ، فمثلا توصف الثياب بانها رائعة !! وكذلك توصف الرائحة بانها رائعة !! وتشيع هنا وهناك الاخطاء اللغوية ، والاملائية ، مما يكشف هذا الذى دعوته فقرا .. ولا يقل فقر الخيال ، وفقر ممارسة الحياة عن هذا القدر فى غيرهما ، ولا تبدو الصورة التى اريد تسجيلها بالقول صورة صادقة ، فالى غيرها .

* ووصلت « العريس » مع السابقة من صاحبها ، وفيها أعراض ما اشرت اليه فى أختها ، من ضيق ذات القلم ، ان صح هذا التعبير ، بدل ضيق ذات اليد — فبعض الصور البيانية تتكرر مرارا فى الصفحة كقوله : يصافح بصره منظر كذا .. والاخطاء الناجمة عن قلة الرياضة ، وقلة الممارسة موجودة كذلك ، فالاسطى عبده يبدو فجاة ناقدا لنفسه ، ساخطا على عيوبها ، لائما لزوجته على مجاراته فى البخل ، وما سبب ذلك كله ؟ لا شىء الا رغبة السيد الكاتب فقط ، أما الطبيعة البشرية ، وما تعرفه الدنيا فلا شىء من هذا الانقلاب وامثاله فى قصص صاحب « يوم العيد » و « العريس » !! فحتى الان لا تزال فى حاجة الى الدرس والارتياض .

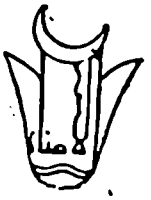

الأدب

فنية . شهرية

يصدرها الأمناء

الادارة: مصر الجديدة . ليبرم ١٣
ت ٦١٧٥٠

الرسائل الفنية والمالية ترسل باسم

أمين الخولي

رئيس التحرير

الرسائل الادارية ترسل باسم

محمد جابر عبد العال

مدير الادارة

الاشتراك :

الجمهورية العربية ٦٠ قرشا
الخارج ٩٠ »
ثمن العدد ٦ قروش

البريد الجوى والمسجل بحسابه

تصدر فى اليوم السابع من كل شهر

بكل حرية (عن الامناء) ١٩٤
عبد الرحمن شكرى ٢٠٢
تقديم : نقولا يوسف
الجمعة الحزينة ٢١٠
عبد الله خورشيد البرى
اغنية الى سيمون ٢١٣
تأليف : ت.س. اليوت
ترجمة : ماهر شفيق فريد
طفل من دمشق ٢١٤
على حسن العزب
مستقبل طفل ٢١٦
محمد رجب البيومى
الفجر ينطاق ٢١٧
يسن الفيل
الصمت ٢١٨
محمد محمد عنانى
أحقاد المساء ٢١٩
احمد محمد فرج
قطرات المطر ٢٢٠
مصطفى الاسمر
سر الحياة ٢٢٢
نصار محمد نصار
بريئان ٢٢٩
نبيل فرج
الصبى الاسود ٢٣٣
تقديم : جمال الغيطانى
دنيا الله ٢٣٩
تأليف : نجيب محفوظ
نقد : هانى مطاوع
بريد الادب ٢٤٥

الفن والحياة

بكل حرية

مع أدباء الشباب

فى امسية الاحد .. من تلك الامسيات التى ينتدى فيها الامناء . . اذ يغشى الندوة من يغشى .. لايسال من اين ولا الى اين ..

واذ يقول الشباب ما يحب ان يقول ، من كل ما يدور بخاطره ، وتتجه اليه نفسه ، وكما يسبق الى لسانه ، دون تهيب ولا تقية .. ولا كناية ولا تجوز .. ولا تكلف ليسير ، او كثير من لف او دوران .

وعلى هذا العهد لقيت الشباب ، فى كل ما اتصلت فيه رابطة بينى وبين هذا الشباب ، زميلا لهم كنت .. او ابا لهم بعد . . او معلما لم يكن فيهم الا رفيقا وصديقا .. وكذلك ارجو الا تكون لى يوما ما صلة بالشباب الا فى هذا الاطار .

وبكل حرية نفسية وعقلية احب ان اسمع لما يقول هذا الشباب ، فى كل موضوع ، وكل مناسبة ، وكل مجال ، مهما تكن تلك الموضوعات شائكة وتلك المناسبات حساسة ، وتلك المجالات محدودة .

وبكل حرية نفسية وعقلية اتقبل ما يقال ، فما آلم لعبارة او كلمة ، مهما تكن صريحة ، او جريئة ، بل مهما تكن قاسية ، او حتى نابية ، لانها فى كل حال لن تكون فى شىء من ذلك الا عن شىء فى نفس القائلين من ضجر ، او حرج .. ومن حق هذا الشباب علينا أن يجد المتنفس والمخلص .. واذا عز ذلك عليه فتلك منا فعلة ، يجب ان نحمل وزرها ، ونبوء باثمها ، فاذا

ما قصرنا فيما يجب ان نحققه للجيل الخالف فقد حق علينا ان نتلقى ما يجبهنا به ، من لوم او اكثر من اللوم .

* * *

وكان قد ظهر الكتاب البديل ، عن اجازة « الادب » فى اغسطس وسبتمبر .. ووقف كتاب «من هدى القرآن : فى اموالهم »الى جانب اخوة له « من هدى القرآن فى : القادة .. الرسل .. والسلام والاسلام .. وفى رمضان » وذكر اللاحق منها بالسابق ، واتجهت الافكار بالحلقة الاخيرة من هذا الهدى ، الى الاشتراكية ، وهى ما هى فى الحياة .. وقد حاول محاولون ان يجدوا لها من الدين تاييدا ، فقالوا فى ذلك ما يسمع ، وما لا يسمع ، وتلقى الشباب ذلك كله ، وهو اليوم يلقى بعده هذا القول ، فى اموالهم .

وفى هذا الجو كانت تلك الامسية ، التى ثار فيها الحديث ، واثار هذا القول الآن من الفن والحياة .

لقد استوثق الشباب لنفسه اولا ، وتلك خلة يعرفها منهم من عاشرهم فى مقاعد الدرس ، فراحوا بين يدى تلك المعارضات الآتية يوجهون الحديث نحو حقهم فى القول ذلك الحق الذى بدات الكلام هنا ، بتقريره لهم كاملا غير منقوص ، ولا متحيف ..

لقد قررت لهم هذا الحق كله ، ورحت ابينه لهم ، من واقع الحياة ، لا من نظريات البحث ، وقواعد التربية ، وتجارب علم النفس ، بل من تجارب آبائى وآبائهم ، من ابناء تلك الارض الخيرة ، الذين يستمدون تجاربهم وخبراتهم من عشراتها ، ويصوغون معانى ذلك من عملها وعملهم من اجلها .

وفى هذه المناسبة عن حق الشباب فى التنفس ، والبعد عن الكبت ، والتخلص من الضغط ذكرت ــ كعادتى ــ مثل الاباء السائر « المدفونة تكسر المحرات » .

المحرات : بحديده الحاد ، وسلاحه النافذ ، وقوة اثواره الجاذبة ، تكسره المدفونة ، التى غطى عليها ، فى باطن الارض فاستحجرت او تمددت وتعرضت فى هذا الدفن لما صيرها صلبة معاندة تكسر المحرات بكل ما فيه من قوة .

واكدت فى كل اطمئنان واثق ان طوايا النفس كباطن تلك الارض الطيبة فما ينبغى ان تترك فيها مدفونة ، ينتهى بها الامر الى ان تكسر المحرات .. فتعوق الفلاحة وتضيع الخصب ، وتحرم من الغلات والثمار .

ومضيت بقوة المشابهة النافذة فى مثل الآباء اقرر للشباب كل حق ، فى سلامة انفسهم من كل دفينة .. لئلا ينكسر المحرات .

وبين الشباب ، فى تلك الامسية كان شاب اسمر فارع ، حاد النظرات من وراء زجاج نظارته ، واضح التعبير ، كوضوح ملامحه ، صائب الاشارة اذا اتبع بها حديثه ، حر العبارة ، قريب الغرض فيها .. وكان ما استوثق له الشباب ، بين يدى الكلام قوة لمثل هذا الفتى الجرىء ، القوى الحس النابض الوجدان .

وهكذا طلب الحديث ، ومضى فيه « بكل حرية » حول هدى القرآن فشعرت ان ما فى نفس هذا الشاب لا ينبغى أن يكون مدفونة فى نفوس أخرى ، واعتزمت أن اضعه بين يدى قراء « الادب » شبان وشيب ، مجملا مادار من المعانى والمواجهات :

* * *

قال صاحبى — بعد ما اشار الى الاعتماد على ما سمع ومناسبة ظهور هدى القرآن الاخير لما يريد ان يقوله : —

— أترى هى رجعة بنا الى العهد الذى كانت الكنيسة فيه تسفه من يدعو الى رحلة لكشف امريكا ، محتجة بان هذه الارض لم تذكر فى الكتاب المقدس .. فنحن الآن كذلك نريد ان نلتمس لكل خطوة من تجربة الانسانية سندا ومؤيدا من القرآن . ولا يكفى فى ذلك ما تعانيه البشرية من درس ، وخبرة ، ومعاناة ومواجهة ، بل تقود خطانا آية ، أو لفظة أو لفتة تزرى بكل جهد ، وتفضل على كل عمل .. !! ولهذا التمسنا هدى القرآن فى أموالهم تاييدا الاشتراكية !!

وامهلته حتى استوفى شرح ذلك والتمثيل له باكثر مما لخصت هنا .. وقلت له :

— ما احب فى مثل هذه الشئون ان اقول بقول المحدثين من اصحاب التجديد الدينى ، او الفهم الجديد للدين ، لئلا تظن بقولهم الظنون ، من أصحاب قديم ، يرون هذه الاقوال بدعا ، من الفهم والدين ، لا يلتزم بها مؤمن يتجنب الريب ، ويؤثر طريق السلف .

ثم لئلا تظن الظنون بقول هؤلاء المجددين اليوم ، عند الشباب المعترض اذ يحسب هذه الاقوال الجديدة ليست الا محاولة للخروج من المازق الجديدة ، والمشكلات العصرية وليست اقوالا هى حقيقة الدين ، الذى تحدث باسمه متحدثون قديما ، ولا يزال الزمن يقدر وجود أمثال لهم يتحدثون أمثال حديث الامس ، بنفس سلطة الامس ، وجمود الماضى الغابر ..

ولكل اولئك تركت فى حديثى الى صاحبى ، كل جديد من القول ، لاذكره بقديم .. قديم مضت عليه قرون بضعة ، منذ قرر اصحابه ما نصه :

« صريح قول الرسول ليس بحجة فى مصالح الدنيا ، لقوله عليه الصلاة والسلام فى قصة التلقيح : أنتم أعلم بأمور دنياكم ، وربما كان يترك رأيه فى الحروب ، بمراجعة الصحابة » (١) .

واى صراحة اصرح من هذا الكلام منهم عن صريح قول الرسول عليه السلام ، وانه ليس بحجة فى مصالح الدنيا ، ومن هذا الافق يلوح هدى القرآن ، مقدرا تجارب البشرية ، داعيا الى الانتفاع بها ، والحرص عليها ، ملتمسا فهم النص القرآنى بتوجيهها ، فى خدود الدلالة اللغوية ، والمعانى الاستعمالية التى كان يفهمها أصحاب العربية حين يسمعون هذا القرآن .

وهكذا لا نذهب لنطلب الاذن بالتطور الاقتصادى ، والتقدم الاجتماعى من الكتاب المقدس ، ولكن نريد لتطمئن القلوب ، التى آوت من الايمان الى ركن شديد ، يحمى خلقيتها ، ويثير حيويتها ، فتتقدم الى مصالح الدنيا بهذه الخلقية ، وتلك الحيوية ، مسددة الخطى ، متقية خسارة اى خلاف يشغب به جاهل ، أو متعصب فيعوق ركب الحياة .

* * *

وبدا أن صاحبى ينصرف عن هذا الاعتراض فى طمأنة ؛ لكن كانما بلغته هذا المبدا الى الغاية فيقول :

حسنا هذا الذى يقال ، لكن الستم تعودون ، فتتاقون الطريق الذى ذكرتم انكم فتحتم اوله ، اذ يقوم على نهايته قوم ، يرددون صباح مساء تلك الثرثرة الصاخبة ، التى تؤكد ، فى اسهاب واسراف ، ان فى القرآن كل ما تحتاج اليه الانسانية ، مهما تبلغ من الرقى والتقدم ومهما تصل من التمدن ستظل تجد حاجتها من التوجيه والاصلاح مكفولة بالقرآن وفى القرآن دون غيره .. وحين يضعون الحاجز الحديدى الذى يقطعون به الطريق ويحرمون المرور ، يضعون لافتة خلابة ، مثل : الدين والحياة ـ والمجتمع .. والمنهج ـ واشباه تلك التى ينهبون بها الى مفاهيم خاصة ساذجة ، مخالفة لما اعتاد الباحثون ان يريدوه من معانيها .. وهكذا سينتهى الامر اخيرا الى ما حاولنا أن نهرب منه أولا ، ويقف الامر بالانسانية عندما يحدده لها القرآن !!

وكذلك امهلت صاحبى ، حتى افاض فى ذلك بما شاء ، ثم قلت له فى اناة :

انا معك فى ان هذه الثرثرة اللاهثة تحدد من حيث لا تريد ـ وربما من

---

(١) هذا النص بلفظه عبارة السعد التفتازانى ، فى شرحه على التوضيح لمتن التنقيح ؛ فى اصول الفقه ـ جـ ٢ ص ٤٧ ـ ط الحلبى سنة ١٣٢٧ .

حيث تريد ـ غاية الانسانية ، وامامها فى التقدم ، وتردها من حيث لا تعلم ـ وربما من حيث تعلم ـ الى افق محدود ، يطلب الادن لكل شىء من الكتاب المقدس ، وحين يعييهم تعميم هذا المبدأ يذهبون فى فهم نصوص الكتاب مذاهب ساذجة ، متكلفة ، محدودة الادراك فيحملون عبارات الكتاب مالا تحتمل ، ويحسبون انهم جاءوا فى ذلك بشىء ، فيزيدون الارتباك العقلى ، ويوشك ان ينتهى تقريرهم لهذه التمحلات بشلل العقل البشرى ، وتجميده ليمكن ان يفهم الاشياء بمثل تلك التكلفات .. فدع عنك ـ ياصاحبى ـ هذا الذى تسمع كله من دعاوى واحتكامات . وتعال لترى ؛ أن هـذا التفكير الذى رأيت منه مثالا صريحا ، فى جعل الحكم الشرعى غير الحكم الدنيوى ، ويعترف لهذه الانسانية بانها اعلم بامور دنياها ، لن يسد الطريق عليها فيما لم يشهده عند ظهوره ، وهو الذى فتح لها الطريق ، وترك لها الامر ، فيما شهده عند ظهوره ، وكان الظن ان يحتفظ لنفسه بالكلمة الحاسمة فيه .

من اجل ذلك ترى يا سيدى ان الامر ليس الا على غرار ما التزمه هدى القرآن ، من قول بان فى القرآن واقعية تحدد بعض الاعمال وتمنحها احكامها .. لكنها فيما وراء ذلك من امر الغد والمستقبل ، تدع للانسانية مثل الذى خلته لها بالامس ، وانه لكاف فى أن يجعل هذه البشرية تمضى قدما الى الامام .. ثم امام .. لتبلغ ماتناله قواها ، فى ظل المثالية التى فتح القرآن لها بابها ، ولفتها الى الوضىء الكريم ، من اهداف غدها وآفاق مستقبلها ، وتلك المثالية هى ما يسعف القرآن ، بوا فى كل مناسبة من عقيدة او خلق او علم او فن ، او عمل .

وهذه هى المثالية التى سجلت على الغلاف الخارجى ، للكتاب البديل ثم فسرت تلك المثالية فيه بما يقابل الواقعية التى يريد ان يرفع الانسانية عنها ـ كما فسرت تلك المثالية ، بما يعارض المذهبية ، التى تريد ان تاخذ الحياة بتحديد مذهب حاضر ، محدود ، لن تلبث الحياة أن تسمو عليه غير واقفة ابدا عنده .

وهكذا تجد ـ فى جلاء وضىء ـ ان هدى القرآن يرفع اى حاجز يمكن ان يكون على قارعة طريق معبد ، معد للسير ، ثم يدفع بالبشرية الى تعبيد طرق جديدة ، والسير قدما الى اقصى ما تبلغه هذه البشرية من غاياتها التى قد تكون اليوم احلاما وغدا تكون آمالا واعمالا .

* * *

وانبرى فتى نحيل حاد النظرات فقال : ليكن الامر هكذا والقرآن لايحد نشاط الحياة بدءا ولا نهاية ، وهو لا يوقف نشاطها ، على اذن كهنوتى ، ولا يخطط هدفها برسم غيبى .. ولكن هل لى ان اسأل :

اهذا الذى تلتقطونه ، تحت عنوان هدى القرآن ، من آيات متفرقة او كلمات من تلك الآى ، تضاء معانيها بالخبرة النفسية العلمية ، والتجارب

الاجتماعية .. اهذا الالتقاط من المتفرقات والمتناثرات على تباعدها ، يجيز القول بانها توجيهات للقرآن ، وهدى له ، يضيء طريق الحياة ؟.. ام هو ضرب من التلطف ، ان لم اقل التكلف ، ولو أفسحتم لى بقية من الحرية لامددونة معه ، لقلت انه التحايل ، على اعطاء القرآن معانى لم تظفر بها البشرية الا بعد عناء طويل وجهاد كبير !!

وابتسمت فى طمانينة لما اتخذ هذا الشاب لنفسه من حق فى القول الجرىء المتنفس وقلت له ولهم :

لن اكلفكم فى هذا شططا من الراى ، ولا بدعا من القول نصطنعه فى هذا الهدى القرآنى ، دون غيره مما اخذ الناس ويأخذون من القرآن : خلقا .. وتشريعا ، أو غير ذلك ، فتعالوا ننظر الى خطة القرآن ، فيما يعرض له من شئون هذا الهدى الدينى باخص معانيه ، فسنرى انه لا يجمع شيئا من ذلك فى ابواب وفصول ، أو اسفار واصحاحات ، بل هو قد فرق ذلك كله فى مختلف مواطنه ومناسباته ، وعلى اساس هذا التفريق تجدكل شىء فيه : قصصه كذلك ، وتشريعه هكذا ، وعقائده ايضا ، وخلقياته على هذا النحو نفسه ، حتى ليقال : ان القرآن فى هذا يشبه تصرفه وتصرف غيره من الكتب ، بخطتى انشاء المدن ، فمنهما خطة كانت تجعل المدن اقساما لهيئات وجماعات ، أو احياء وقبائل ، فهنا النحاسون ، وهناك المنجدون ، وغيرهم وهنا الروم ، وهناك اليهود ، أو .. أو .. مما ظلت تحمل آثاره القاهرة القديمة ، فى اسماء احيائها وشوارعها .. وخطة اخرى تفرق صنوف الاعمال ، وانواع الطوائف ، فى كل حى من الاحياء ، فتجد فى الحى الواحد والشارع الواحد انواعا مختلفة من المحال والمرافق ، ولا تجمع انواعها فى مكان .

وهذا التشبيه ـ فى كل حال ـ ليس الا ضربا من التقريب لاسلوب القرآن ، فى توزع اغراضه ، ونشر اهدافه ، حتى احوج الامر فى تحرير منهج التفسير اخيرا الى جمع الآى الخاصة بالموضوع الواحد ، اولا .. ثم ترتيبها الزمنى ، على نزولها .. ثم الاخذ بعد ذلك فى تفسيرها ، فليس الامر بدعا فى الهدى الاجتماعى النفسى ، الذى نجمع متفرقه طلبا لتوجيه القرآن .. ولا هو مما احتاج الى تلطف أو تكلف ، أو ما تسميه اذا غضبت تحايلا .

واقوى ما يمسك هذه المتفرقات ، ويضمها برباط ، لاشىء فيه قط من تكلف ولا غيره هو الاعتماد فى فهم كلمات تلك الآى المتفرقة ، على وحدة ثابتة مطردة لمعنى تلك الكلمات فى استعمال القرآن فما تفترق فى مدلولها عنها فى مكى ، ولو كان بين الاستعمالين من الزمن سنين وسنين .

وتلك آية انه لا تكلف ولا تمحل مطلقا ، فى هذا المنهج ، لفهم هدى القرآن ولو اتسع المجال لشىء من بقية القول فى هذا المنهج لفهم هدى القرآن .

لاشرت الى ما ورد فيما بأيديكم من كتب هذا الهدى ، من ان هذا القرآن لايتولى تفصيل شيء من عباداته ، او عقائده ، او شرائعه فيظن انه ترك هذا التفصيل فى التوجيه النفسى والاجتماعى ، على ماتجدون بيانه كافيا فى تلك الكتب من هدى القرآن .

* * *

واما اضاءة الفهم لتلك الآيات المتفرقات والجملات بما عرفت الانسانية من احوال النفس ، والمجتمعات البشرية فليس فيه شيء من تزيد فى الفهم ، ولا ادعاء شيء القرآن ليس فى عبارته ، لان المعيار الاول والمقياس المحكم هو الدلالة التى يجدها الحس اللغوى ، وكان يفطن لمثلها العربى الذى يتلى عليه القرآن عند نزوله ، فليس الفهم لاحوال النفس الانسانية او المجتمع البشرى مما يقصد به اضافة شيء لمعانى القرآن ، بل هو مما يقصد به الى تنوير المجال النفسى والاجتماعى الذى لفتت اليه ودلت عليه كلمات الآيات باصلها اللغوى ، ومدلولها الاستعمالى ، مع الوقوف من هذا المدلول عندما كانت تشيره تلك الكلمات من معان ، فى نفوس اولئك العرب فى القرن السادس الميلادى .

ومن كل اولئك يبدو : ان ليس هناك التقاط لمتفرقات خاص بهدى القرآن .. وليس هناك تحميل معنى مدعى او مزعوم ؛ قد عرف اليوم لفظ القرآن .

ولا احسب ان هذا البيان قاصر عن كشف ما يعد شبها ، او اسئلة حول هدى القرآن قد وجهت ــ على ما يبدو ــ بكل حرية .

عمر الأمناء

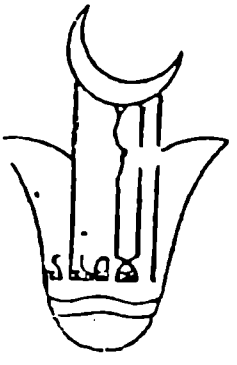

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

تهدم

صادق التصدع الأول

تأليف: ا.ا. ريتشاردز

ترجمة وتقديم: الدكتور مصطفى بدوي

مراجعة: الدكتور لويس عوض

الثمن ٤٢ قرشا

مذكرات مخرج سينمائي

تأليف: سيرجي ايزنشتاين

ترجمة: أنور الشرقاوي

مراجعة: كامل يوسف

الثمن ٣٥ قرشا

الشعر والتأمل

تأليف: روستيفور لهاملتون

ترجمة: الدكتور محمود مصطفى بدوي

مراجعة: الدكتورة سهير القلماوي

الثمن ٥٠ قرشا

جناح الأحداث

تأليف: جين شزال

ترجمة: عبد السلام القفاش

مراجعة: الدكتور يوسف مراد

الثمن ١٢ قرشا

مسرح برفاريشو

تحليل علمي وفلسفي لأصول الفنية والفكرية

بقلم

الدكتور علي الراعي

الثمن ٣٥ قرشا

— ٣ —

— ٩ ..

٢١ يونية ١٩٥٥

السيد الأستاذ . . .

ارسلت اليك بيتا من قصيدة « المثل الاعلى » فيه الحجى — اى العقل — بالياء — فارجو تصحيحها هكذا : (١)

اقسى الآنام من استبد به الحجى
فسها عن العبرات والآلام

وان الخطأ ناشىء عن الصداع والسهو والجهد .

المخلص عبد الرحمن شكرى

— ١٠ —

٢٤ يونية ١٩٥٥

كتبت باليد اليسرى

السيد الأستاذ . . .

بعد التحية — تسلمت رسالتكم ، وارجوك أن لا تنشر سيرة حياتى ولا شيئا من الشعر الا بعد موتى . وذلك قريب ان شاء الله

على انى لا اعرف كيف تعثر على الشعر الذى نشر بعد الدواوين . او الذى لم ينشر بعد !

فانى كان عندى قصيدتان لم تنشرا واتفق ان آنسة فى جامعة عين شمس

---

(١) هذه القصيدة فى ديوانه الجزء السادس (١٩١٨) ص ٢٥ ط — ١ وهذا البيت هو اخر بيت فى القصيدة وذكر فيه (الحجا) بالالف .

صورة لشكرى لم يسبق نشرها

بالقاهرة أرادت مالم ينشر فاعطيتها لها على أن لا تنشرهما الا بعد موتى (٢) .

اما باقى الشعر الذى نشر بعد الدواوين ، فقد نشر جزء منه فى كتاب : « شعر العرب » وطبع فى حلب بالمكتبة العبيدية للاستاذ احمد عبيد وبعضه فى « شعراء الاسكندرية » ككتاب من تاليف الاستاذ البحراوى . واكثره فى « الرسالة » من ١٩٣٥ أو سنة ١٩٣٨ . وكذلك فى المقتطف والمقطم والهلال ـ ١٩٥١ . وفى الاهرام لا ادرى اى سنة .

ولم يبق عندى شعر منه الا القصيدتان اللتان اخذتهما آنسة فى الجامعة .

صدقنى يا صديقى انك لا تعرف ما قاسيت من الآلام والاسقام والعداوات .

(اذا شئت ان تطبع مقالات : « نظرات فى النفس والحياة » التى فى المقتطف ، كان بها) .

المخلص عبد الرحمن شكرى

ـ ١١ ـ

٧ شارع الشهيد مختار محمود سعيد

كتبت باليد اليسرى

٢٦ يونية ١٩٥٥

السيد الأستاذ . . .
تحية واحترام

وبعد ـ فلا فائدة من اعتبار قصيدة : « ليتنى كنت فى السماء الها » من قصائد الزجر عن الفن والترف ـ فانها كلها تمجيد للفن والترف الا فى عزل المترف فى آخر القصيدة .

ولذلك ارى عدم نشرها . وقصيدة « حلم بالبعث » التى لا يطيق القارىء قراءتها .

---

(١) يقصد القصيدتين اللتين ذكرهما فى الرسالة السابقة « رقم ٥ » ـ « جمال الحياة » (أو بهاء الحياة) و «حلم بالاندلس »ـ وقد نسى الشاعر بعامنا انه ارسلها عام ١٩٤٣ مع غيرهما الى الاستاذ فؤاد صروف محرر المقتطف لينشرها فيما بعد ـ (ص ٦٦٧ ـ ٦٦٨ ـ ديوان شكرى ١٩٦٠) وقد حصلت عليهما من هذه الآنسة عقب وفاة الشاعر ونشرنا بالديوان .

لافائدة (فان تكن عصر مينـــل وذوق) (١) فارجوك عـدم الاشارة انى هذه القصائد التى ذكرتها ـ وغير التى ذكرتها ! (٢)

المخلص عبد الرحمن شكرى

ـ ١٢ ـ

٢٦ يونية ١٩٥٥

كتبت باليد اليسرى
السيد الأستاذ . . .

بعد التحية .. ورد الى خطابكم . اما القصيدة التى لايصح نشرها الآن فقصائد مختلفة منها : قصيدة «اقوام بادوا » نشرت فى الرسالة سنة ١٩٣٨ على ما اظن عند خروجى بالمعاش ـ وفيها وصف اخلاق كأخلاق المصريين قشار قوم . مع انى لم اذكر اسم مصر ولا المصريين فيها ـ كما فعل أدباء فى قصائدهم !

ومن القصائد ايضا قصيدة « حلم بالبعث » فى الجزء الثالث . وقصيدة « ليتنى كنت فى السماء الها » . وفى الأولى سخر بالناس لطمعهم حتى يوم البعث ، وفى الثانية انسان مرفه يحلم انه كانه اله فى السماء يتمتع بالفنون الجميلة ، ويغمر الارض بكرمـــه . ولكن تمتعه بالجمال يكـون وبالا . فيعزل كما يعزل الملوك المترفون .

واظن ان هناك بيتين آخرين غـير هذه القصائد ـ قصـائد الترف ـ والله اعلم اذا كانت هذه القصـــائد هى السبب فى العـداء ام السبب فى العداء قصيدة : « ثبات » السياسية وقصيدة « الحرية » وقصيدة « عام ١٩١٩ » وقصـيدة « هز الانوف » وقصيدة « جنون الاقوياء » .. الخ فربما كان الانجليز يحرضون بسببها لا اعرف . انما هـــذا ما رايت من العداء . انه عداء لاشك فيه !

اقرأ القصائد واحكم !
والاوفق ان لاتنشر شيئا !

جميع ما نشرت كان فى الفترة التى كنت فيها مفتشا بعد النظارة ـ اى من سنة ١٩٣٥ الى سنة ١٩٣٨ .

مقالات : « نظـــرات فى النفس والحياة » نشرت فى المقتطف ولا بأس من نشرها . فانها سيكولوجيـــة . ولكن بها اغلاط لا اعرف كيف وصلت اليها . وبها غلط فى الاسماء مثـــل جورج اليوت (سميث) ولكنها احدث واحسن ما كتبت .

المخلص عبد الرحمن شكرى

ـ ١٣ ـ

١٩٥٥/٦/٣١ .

السيد الأستاذ . . .

اشكرك لانك وافقت على رأيى فى تأخير النشر ولكم الفضل .

المخلص عبد الرحمن شكرى

---

(١) هذه الجـــملة غير واضحة الخط فى اصل الرسالة .

(٢) هاتان القصيدتان ، والقصائد الوطنيـة فى الرسالة التالية ـ اتخذها الرجعيون واعوان الاحتلال والسراى ، ذرائع للنيل من الشاعـر طوال حياته فاضطهدوه وحاربوه فى وظيفتـه ومكانته ، وبالتشهير به فى الصحف والكتب والمجالس !

— ١٤ —

١٤ اغسطس ١٩٥٥

كتبت باليد اليسرى بسبب الشلل السيد الأستاذ . . .

بعد التحية — اظن ان الاشارة الى القصائد الوطنية تكفى دون ذكر معانيها — هذا اذا شئت الاشارة اليها .

المخلص عبد الرحمن شكرى

— ١٥ —

٢١ اغسطس ١٩٥٥

السيد الأستاذ . . .

بعد التحية .. الاستاذ ا . ع . غراب « استاذ بكلية فكتوريا بالقاهرة وساكن بمنزل ١٥ شارع ... القصر العينى — القاهرة » يريد ان يؤلف كتابا عنى ويرجو ان يعار الجزء الثالث والرابع من الديوان — على ان يرده ومعه هدية الكتاب — وليس عندى الاجزاء الناقصة . فارجو اذا كنت تعرف من يعيرها له على هذه الشروط فان لك الفضل والشكر .

ينقصه ايضا : « الحلاق المجنون » و « حديث ابليس » (١) .

المخلص عبد الرحمن شكرى
٧ شارع الشهيد مختار محمود سعيد
بور سعيد

— ١٦ —

اكتب عنه ما اشاء . وسألته عن مكان « قصة الحلاق المجنون » التى نشرها عام ١٩١٩ بقلم ع . ش. فاجاب :)

٢٣ اغسطس ١٩٥٥

كتبت باليد اليسرى بسبب الشلل السيد الأستاذ . . .

تحية واحتراما . اذا شئت ان تكتب المقال للمجلة فلا بأس . انما ارجوك :

اولا — الاشارة الى القصائد الوطنية مثل : ثبات ، الحرية ، هز الانوف ، سنة ١٩١٩ — الخ .. الخ .

ثانيا — الاشارة الى قصائد العقائد الدينية — مثلا :

جهلنا فماندرى على العيش ما الذى
يراد بعيش نحن فيه نقاد
سوى ان عيش المرء بالشك فاسد
وان يقينا فى الحياة رشاد

ومثل تشبيه الامل برحمة الله :

فيا رحمة الله التى عمت الورى
ولم يخل منها جارم النفس جامح
على صاحب الكوخ المهدم مشرق
بمشرى ورب القصر راج وطامح

ومثل قصيدة « الملك الثائر » وغيرها — (الملك الثائر فى الجزء السادس) (١) .

فان بعض الناس ينكرون على (واخيرا وافق شكرى على ان الوطنية والعقيدة الدينية ! وهذا

---

(١) كان بعض الادباء يكتبون الى الشاعر ليرسل اليهم دواوينه وابحاثه المنشورة او غير المنشورة ، لاعداد الرسائل الجامعية عنه ، فارسل اليهم كل مالديه ولم يبق عنده منها شيء . ولم يكتب اكثرهم عنه شيئا .

(١) الصواب : الجزء السابع ص ٢٧ ط — ١ — ١٩١٩ .

متعب جدا ـ خصوصا فى هذا الوقت مع انه ظاهر جدا خلاف ذلك !

فاذا اقتنعت بهذه القصائد فلا بأس بنشر المقال !

المخلص عبد الرحمن شكرى

(اذا كان السيد على الحطاب الكتبى ـ واظن انه بالسكة الجديدة ـ (اظن هكذا اسم شارع بالميدان ـ لا يزال موجودا ، امكن ان تستعير منه الجزء الثالث والرابع ـ والحلاق المجنون (كتبت بامضاء ع . ش) .

ويصح ان تكتب الى الاستاذ .. غراب (١٥ شارع .. القصر العينى القاهرة) بانك ساع لاجل الحصول على الجزء الثالث والرابع . ولك وافر الشكر .

المخلص عبد الرحمن شكرى

ـ ١٧ ـ

٢٤ اغسطس ١٩٥٥

السيد الأستاذ . . .

تحية واحتراما ـ ارسلت اليك امس خطابا . وانما ذكرت السيد على الحطاب لانه هو الذى طبع الدواوين على نفقته . فيجوز ان عنده منها باقيا .

« الحلاق المجنون » قصة سيكولوجية طبعت بامضاء ع . ش وقد شاعت بين التلاميذ عندما طبعتها سنة ١٩١٩ أو نحو ذلك . ويجوز ان تجدها عند السيد على الحطاب لانه هو الذى تعهد بطبعها . او يجوز اذا كنت تعرف احدا من تلاميذ ذلك العهد ان يدلك عليها .

ان قصيدة « ليتنى كنت فى السماء الها » قصيدة امدح فيها واذم الرجل الذى يود تلك المنزلة . ولكن من الغريب ان بعض الجهلة ظن انها مفهوم منها خلاف ما قصدت . مع ان احد زعماء الثورة (١٩١٩) كان يقول فى خطبته بحسب نفسه الها فى السموات ! والملك الساق كان ايضا محبا للفن لاجل الترف ، وقد عزل المترف فى القصيدة . على اى حال اذا اردت ان تنصفنى وجب الحذر وتجنب القصائد التى يشك فيها ـ لان الناس لا يتجنبون الشك مهما كان الامر واضحا !

المخلص عبد الرحمن شكرى

ـ ١٨ ـ

٢٥ اغسطس ١٩٥٥

السيد الأستاذ . . .

بعد التحية . اكتب المقالة كما تشاء . واستشهد بما تشاء . فليس لى ان امنعك من شىء

المخلص عبد الرحمن شكرى

ـ ١٩ ـ

٢٧ اغسطس ١٩٥٥

كتبت باليد اليسرى

السيد الأستاذ . . .

بعد التحية ـ ذكرت لك فى رسالة سابقة انك حر فى كتابة ما تشاء عن حياتى . وان « الحلاق المجنون » قصة سيكولوجية . وقد علمت انها شاعت بين التلاميذ لانى كنت اهديت الاستاذ غانم محمد المدرس بالمدرسة نسخة . وكان يسكن معه تلميذ قرأها وعلم من هو مؤلفها ثم سألنى اصحابه عنها .

كتب الى الاستاذ احمد غراب يقول انه ينقصه الآن من كتبى ، التالية فقط : الجزء الرابع من الديوان ،

والصحائف ، والحلاق المجنون . هل عرفت اين مستقر على الخطاب الكتبى ؟

المخلص عبد الرحمن شكرى

— ٢٠ —

٣١ اغسطس ١٩٥٥

السيد الأستاذ . . .

بعد التحية .. وجدت صورة قديمة ولكن متأسف انها غير مطابقة للشكل الحاضر . اذا اخذت صورة جديدة ارسلتها اليك .

المخلص عبد الرحمن شكرى

— ٢١ —

٨ سبتمبر ١٩٥٥

السيد الأستاذ . . .

بعد التحية — قلت انك نقلت . فهل ممكن أن تحجز لى منزلك اذا كان موافقا وبه اربع حجرات وصالة للاكل او نحو ذلك . وارجو ان تكون الاجرة معقولة (١)

المخلص عبد الرحمن شكرى

— ٢٢ —

١٣ سبتمبر ١٩٥٥

السيد الأستاذ . . .

بعد التحية — كلما تقدمت صحتى فكرت فى النقلة الى الاسكندرية . فاذا ساءت كما ساءت الان ، رجعت عن هذا العزم . فاذا قابلت ابن اخى فاخبره انى ساءت صحتى الآن ، حتى لا استطيع السير الا بصعوبة واحس بدوار شديد .

المخلص عبد الرحمن شكرى

— ٢٣ —

٢٧ سبتمبر ١٩٥٥

السيد الأستاذ . . .

بعد التحية — مبروك على المدرسة قدومك عليها . لا شك ان فى تغيير البيئة مزايا كبيرة . منها تحريك الذهن والنفس . فضلا على تعديل المزاج وتنشيط الخاطر برؤية مناظر جديدة ، وسماع اشكال من الانسانية واظن انك قد كتبت قصصا جديدة تناسب هذه البيئة الجديدة . واظن ان الهواء جاف . وهذا يؤدى الى تغيير آخر فى المزاج والصحة .

سنراك قريبا بخير ان كان لنا فسحة من العمر وبقية من المنامه ! (٢)

المخلص عبد الرحمن شكرى

— ٢٤ —

٣٠ اكتوبر ١٩٥٥

السيد الأستاذ . . .

بعد التحية — قرات مقالة « عودة الى التفاؤل والتشاؤم » ويودى لو قرات مقالات التفاؤل والتشاؤم كلها ولو كانت عندك كما فهمت ، اكون

---

(١) كان ينوى الانتقال الى الاسكندرية ويبحث عن شقة .

(٢) يقصد عزمه على الانتقال من بورسعيد الى الاسكندرية — وقد جاء اليها فى اكتوبر ١٩٥٥ — نزولا على رغبة اسرته .. وبها قضى الاعوام الثلاثة الاخيرة من حياته ومات ودفن بها .

شاكرا لو تكرمت باحضارها . (١)
ولكم الفضل والشكر .
قرأت : « صوت من وراء الحجاب »
ورأيت معضلة الدكتور جـــلال ـ
والقصة جميلة جدا . (٢)

المخلص عبد الرحمن شكرى

ـ ٢٥ ـ

٢ نوفمبر ١٩٥٥

بعد التحية ـ ارجو ان تبحث لى عن مقالات « التفاؤل والتشاؤم » لكي أقرؤها واعيدها اليك . اما « العودة الى التفاؤل » فقد قرأتها .

المخلص عبد الرحمن شكرى

ـ ٢٦ ـ

٥ نوفمبر ١٩٥٥

السيد الأستاذ . . .
بعد التحية قرأت مقالتكم .
اذا وجدت « التفاؤل والتشاؤم » أكون شاكرا . وكذلك اذا وجـدت مقالة فى الرسالة عنوانها « باقـــة » أكون شاكرا فضلكم ـ (باقة غـــزل وما شابهها) .

المخلص عبد الرحمن شكرى

ـ ٢٧ ـ

١٧ نوفمبر ١٩٥٥
السيد الأستاذ . . .
بعد التحيـة . تذكرت لصديقك الاستاذ الجليل عبد القادر (ما باقى اسمه ؟) قصيدة « نرجس » . واظن انها فى الجزء الرابع . واولها : «نرجس انت الحسن يا نرجس » ـ انت مؤنثا فهى قصيدة ذات أنغام ! (٣)

المخلص عبد الرحمن شكرى

ـ ٢٨ ـ

١٥ فبراير ١٩٥٦

السيد الأستاذ . . .
بعد التحية . لا شك انك فى فترة الاجازة قد استفدت مكرها من صحة وبدانة . وارجو ان اراك ـ اذا صح لى ان اراك ـ فى صحة تامة ان شـاء الله . (٤)

المخلص عبد الرحمن شكرى

ـ ٢٩ ـ

٢٤ فبراير ١٩٥٦
بعد التحية ـ ارجو ان تكون بخير فى « الفنت » وان يكون الجو صحوا جميلا فى بنى سويف كلها . فاليـوم الجو صحو فى الاسكندرية ـ اقـول اليوم والواجب ان أقول الساعة ـ الجو بلورى !

المخلص عبد الرحمن شكرى

ـ ٣٠ ـ

٨ يولية ١٩٥٦

السيد الأستاذ . . .
بعد التحية ـ ارجـــو اذا امكنك

---

(١) كنت قد احضرت اليه معى فى زياراتى له بمنزله بسيدى بشر بعض اعداد مجـــلة « الرسالة » وبها بعض مقالاته القديمة ـ ومنها مقالاته عن « التفاؤل والتشاؤم » ليهديها الى السائلين من مريديه .
(٢) يقصد احدى اقاصيص كاتب هـــذه السطور .
(٣) هى احدى قصائد الشاعر (ج ٤ ص١٩١٦) وكان قد سأله عنها احد زائريه .
(٤) كنت قد نقلت من الاسكندرية ناظرا بمنطقة بنى سويف . فقلت زيارتى للشاعر . وشغلت بالاعمال عن الرسائل . وكانت الاحاديث فى منزله تغنى عن الرسائل فى تلك الفترة .

صرف الاستاذ .. م .. عن زيارتى كان أليق . فانه يكثر من اجهاد اعصابى ولا سيما انى قابلته مرات كان اكثر احتشاما منه الآن . وتفضلوا بقبول احترام (١)

المخلص عبد الرحمن شكرى

— ٣١ —

الاحد ١٩ اغسطس ١٩٥٦

السيد الأستاذ . . .
مبارك عملك الجديد .
انا الآن مريض — مرض على مرض — من شاء ان يكتب عنى فليكتب . اما انا فلا ذهن لى اكتب به . فاذا شاء مراسل الجمهورية فليكتب بعد اطلاع او بغير اطلاع . اما انا فليصدقنى انه لا ذهن عندى !

المخلص عبد الرحمن شكرى

— يصح ان تنشر مقالتك من غير اطلاعى عليها فان ذلك يكون احسن

* * *

(وفى ١٥ سبتمبر ١٩٥٦ نشر عدد خاص من مجلة « العالم العربى » بالقاهرة وكان يرأس تحريرها الاستاذ أسعد حسنى وذلك فى الذكرى السبعينية لميلاد عبد الرحمن شكرى وبه مقالات وصور وذكريات عن الشاعر — وارسلنا اليه المجلة تحية فى عيده .. فتأثر لهذا العمل الودى وقرأ ماكتب عنه وراح يعلق عنه فى رسائله)

— ٣٢ —

الاربعاء ١٩ سبتمبر ١٩٥٦

السيد الأستاذ . . .
بعد التحية — وصلنى خطابك . وانى اشكرك شكرا جزيلا على الرسالة التى فى « العالم العربى » وقد تسلمت عددا منها . وهل رد احد الناس على الرسالة ؟

وقد ارسلت اليك من ايام كتاب قصص لبلزاك وغيره . فكيف لم تستلمها . ارجو افادتى ان كنت لم تستلمها الى الآن .

المخلص عبد الرحمن شكرى

— ٣٣ —

٢٤ سبتمبر ١٩٥٦
السيد الأستاذ . . .
بعد التحية — ارجو ان تعتبر الكتب المرسلة منى هدية — وقد نسيت ان اهديها — اما المقالة فقد قرأتها مرات عديدة وهى احسن ما يكون . واشكرك شكرا جزيلا . والظاهر انك قد سبقت اساتذة الجامعة الذين كانوا يريدون الكتابة فى هذا الموضوع . ولو انى كنت مريضا ، وتباطأت فى السماح لهم بذلك .

. . والاستاذ احمد غراب كذلك لم يكتب فى هذا الموضوع . والحمد لله على كل حال .

المخلص عبد الرحمن شكرى

---

(٢) كان يصحبنى احيانا لزيارة الشاعر بعض الاصدقاء الادباء المعروفين . وكان (م) يكثر من الضجيج .

الجمعة الحزينة

بقلم : عبد الله خورشيد البرى

قضيت الاسبوع كله فى عمل مرهق متصل يستغرق اثنتى عشرة ساعة تبدأ من التاسعة فى الصباح . وكنت اقاوم التعب كلما تذكرت اننى سانعم براحة تامة فى نهاية الاسبوع عندما انفق يوم الجمعة القريب بين السرير والمائدة .

وبدات اليوم المنتظر بحمام دفىء طويل . ولكنى لم اكن قد فرغت تماما من الافطار حين تلقيت آخر نبأ كنت اتوقع سماعه فى خلال الاعوام العشرة المقبلة . مات صديقى « ر .. » فجر اليوم فجأة ، وما زال جثمانه فى المستشفى ينتظر النقل الى القرية .

وجلست وقد بدا لى الامر ـ للحظات ـ غير معقول ، وغير منطقى ، وغير ممكن . وخفف الشك المتعمد قسوة المفاجاة ، فنهضت ، ولبست ، وذهبت الى المستشفى .

كان زملاء الصديق واقاربه يتبادلون العزاء فى صمت وبلا دموع . وكان المستشفى فى يوم العطلة فارغا ، باردا ، معتما كانه خاص بالموت فقط . وخرجت الجثة من باب خلفى كانت تنتظرها عنده سيارة سوداء لم تلبث حتى انطلقت . وركبنا نحن سيارات اخرى مضت بنا فى اتجاه مخالف . وانتبهت الى اننى اختلف لاول مرة مع صديقى فى الطريق الى غاية واحدة .

استقامت سيارتنا فى الطريق الضارب فى قلب الدلتا . طريق فسيح ، ناعم كالحرير ، تقوم على جانبيه علامات تبين المسافات ، واخرى تنبه الى المعابر والمنحنيات ، ولافتات تحمل اسماء البلدان الهامة المتناثرة على الجانبين . والمحرك يهدر فى دوى رتيب يدل على سلامته . والسائق ، فى قميص نظيف ، وشعر

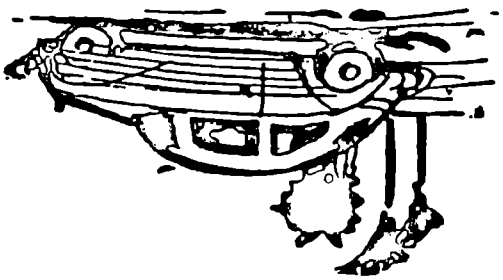

مهذب ، ولحية حليقة ، تبدو عيناه فى المرآة عسليتين يقظتين هادئتين ، قد اسند مرفقه الايسر فى اطمئنان الى النافذة ، يرفع يده بالتحية بين الحين والحين لزملائه القادمين من الاتجاه المقابل لاتكاد سياراتهم توازينا حتى تختفى . وقرآن الجمعة ينبعث من مذياع السيارة قويا جليلا . ومن النافذة يندفع هواء الظهيرة دفيئا

صفعما برائحة الارض والحقول . والسيارة تنطلق بسرعة ثابتة كلما تمضى الى قدر محتوم .

النبات الكثيف القوى ، ذو الخضرة المركزة ، يمتد يمينا الى اقصى الشرق ويسارا الى اقصى الغرب دون أن تلمح العين اثرا لصحراء او يتراءى عند الافق طيف جبل ، بل دون أن يبدو شبر واحد غير مزروع . والماء فى القنوات غزير ميسور ، يعكس الخضرة الدسمة التى يشق طريقه فى وسطها . والرجال يسيرون ويعملون فى هدوء لا يحتاجون الى اكثر من ستر رءوسهم بطرف ثيابهم . والمراة تسعى معتدلة القوام ، بارزة الصدر ، متينة البنيان .

كنت ارمى ببصرى فاستوعب كل ما استطيع من معالم الطريق الذى يقطعه الآن للمرة الاخيرة هذا الصديق الذى احب تلك الارض ، ووقف قلمه على خدمة ابنائها وتصوير حياتهم ومعالجة مشكلاتهم . ثم انعم النظر فى احد اقاربه فاهتز لما بينهما من تشابه فى تكوين الرأس ، وشكل الاذن ، وتركيب الكتفين .

* * *

وبعد ساعة كاملة بلغنا بلدة الصديق ، ودلفنا بين الربوع التى طالما سمعته يتحدث عنها . نزلنا فى وسط القرية حيث تمر القناة الكبيرة فتقسمها قسمين ، وبجوارها يسعى الطريق الرئيسى الذى لا يلبث حتى يعبرها من فوق جسر عريض منطلقا نحو عاصمة الاقليم ، فى حين تقوم منازل اسرة الصديق على ميدان فسيح جلس فى ناحية منه جماعة من الرجال ، عيونهم مشدودة نحو الجنوب ، ينتظرون وصول الجثمان .

كان كل شىء يبدو هادئا تماما . السحب الرقيقة تمنع الشمس وتخلع على الكائنات لونا ابيض مشوبا بشىء من الرمادة . والناس يمرون من بعيد صامتين ، عيونهم مصوبة الى الامام . وقد يصيح صبى فيبادر احد الكبار الى زجره . ثم يؤذن ديك ، ويخترق بوق سيارة ، ويرتفع نداء بالأغنية ، ثم يطبق الهدوء من جديد . والكون ، على فخرارات متساوية ، يرتفع كالسلان من لهيب ، صياح جماعى النبرة مختلطات كانهن « كورس » من الناياديات فى مأساة اغريقية .

واخيرا وصلت السيارة السوداء التى كانت تقف عند باب المستشفى الخلفى . وفى حركة آلية اندفع اليها من جهات مختلفة رجال يضربون الارض باقدامهم الثقيلة ، ونساء يشققن الفضاء باصواتهن الحادة ، وصبية يتبعون غيرهم بعيون متسعة متطلعة . وخانت الرجال دموعهم ، وارتجت اجسامهم الصلبة كانها ابنية يتلوى من تحتها زلزال ، وارتفعت الايدى بالمناديل الى الوجوه . وتحركت السيارة السوداء فى موكب من العجيج والدموع الى منزل الصديق ليدخله للمرة الاخيرة قبل ان ينتقل الى منزله الجديد الابدى . وبعد زيارة قصيرة للمسجد تحول الصديق الى اعناق الرجال الذين ازدحم بهم الشارع الضيق ، تثير اقدامهم غبارا يعلو الرءوس ، ويكسو الوجوه ، ويختلط بالدمع . ومن كل بيت ترتفع صيحة باكية ، او عبارة ناعية .

وسرعان ما افضى الطريق الى الحقول — وفى الدلتا يقوم كل شىء على هامش الحقول — حيث بدا غير بعيد سور قصير تطل من فوقه شواهد قبور ترابية اللون .

ودلى الصديق الى مثواه الاخير ، وطلب اللحاد قالبا يوسده الرأس الذكى ، وجار الرجال ، واعولت

النساء ، وضج الجميع ، وبدا كأن شيئا اقوى من كل الاشياء يحدث فيصبح كل واحد ازاءه طفلا عاجزا لا يملك اكثر من البكاء .

وقفز خارج القبر رجل غريب الخلقة ، عارى الساقين دالذراعين ، يسد منخريه واذنيه بقطع من القطن الناصع البياض ، ومضى يصافحنا بكف قد علقت بها ذرات من تراب الفناء متمتما بعبارة عزاء وكأنه يعلن أن كل شيء قد انتهى .

وساد صمت عميق لم ترتفع صوت الملقن التقليدى الذى وضع فمه على سطح القبر ، وراح يدعو الصديق الراحل باسمه واسم أمه فى صوت طويل ممدود كأنما ينادى شخصا مبعدا يزداد على الوقت امعانا فى الابتعاد .

ثم استدرنا ، واعطينا الصديق ظهورنا ، وتركناه لرفاقه الجدد — ومن بينهم زوجته التى سبقته بأربعة شهور — يرحبون به ويفسحون له فيما بينهم . واستقبلنا الحقول ، والبيوت ، والناس ، والسيارات ، والشمس ، والهواء ، والماء ، وكل هذه الاكذوبة الحلوة ، الاليمة ، اللذيذة ، الزائفة التى نسميها : الحياة .

أغنية الى سيرين

ت . س . اليوت

ترجمة : ماهر شفيق فريد

الهى : ان ازهار الياسنت الرومانية لتزدهر فى الاصص
وان شمس الشتاء لتزحف على تلال
الجليد . لقد وقف الفصل العنيد .
ان حياتى لخفيفة الوزن تنتظر ريح الموت
فكانها ريشة على ظهر يدى .
ان الغبار فى ضوء الشمس وان الذكرى فى الاركان
لينتظران الريح التى تنجمد ناحية الارض المينة .

* * *

فلتهبنا سلامك . لقد سرت سنينا طوالا فى هذه المدينة .
لزمت الايمان والصوم ، اعطيت الفقير ، وهبت
الشرف والطمانينة وتافيتهما .
ما رددت قط منبوذا من بابى .
ترى من عساه أن يذكر دارى حيث سيعيش اطفال اطفالى
حيث ياتى اوان الندم ؟
لسوف يلجاون الى درب العنز ، وبيت الثعلب
فارين من الوجوه الاجنبية والسيوف الاجنبية .

* * *

قبل زمان الحبال والاسياط والبكاء هبنا سلامك
قبل محطات جبل الباب
قبل الساعة المؤكدة التى تندم فيها الامهات
وفى موسم ميلاد الوفاه
ذر الطفل ـ الكلمة التى لم تتكلم بعد ولا قيلت
تمنع عزاء اسرائيل لمن بلغ الثمانين ولا عذر له .

* * *

طبقا لكلمتك لسوف يمجدونك ويعانون فى كل جيل بالمجد والاستهزاء
نورا على نور ، يرتقى درج القديسين .
ليس من حظى الشهادة وطرب الفكر والصلاة
ليس من حظى الرؤيا الكاملة فهبنى سلامك .
(وليخترقن سيف قلبك ، وقلبك انت ايضا)
لقد ضقت بحياتى وحيوات من بعدى .
انى لاموت فى ميتتى الخاصة وموت من بعدى
فذر عبدك يرحل بعد ان راى خلاصك .

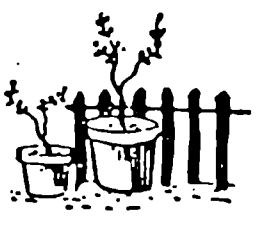

طفل من دمشق

من شرفة عربيـة اللمحات فى قلب الشـآم
مضربة أموية القسمات فى حضن الغمـام
أضلاعها نبضت باحلام الطفولة فى السـلام
من شرفة الحب الخضيرة بالزهور وبالغـرام
قد بكر الطفـل المدثر بالغنـاء مع الحمام

* * *

هلت له عينان ضاحكتان رنقهـا المنـام
ودنا من العصـفور يقفز فوق نافـذة الوئام
واظل ترتشف الصـباح جفونه غب الظـلام
ودنا الى بردى يداعبـه ويهديه ابتسـام
فتلفتت للطفـل ضفات العروبة فى هيـام

* * *

ياشرفة الحب التى فى الصبح خضلها النـدى
يا شرفـة الحب الانيقة بالصـغير اذا بدا
ما للصـغير تراجعت خطـواته مترددا ؟
فزعا الى الام الحبيبة يتقى شـبح الردى :

* * *

اماه : ما هذى المدافع أتخمت جوف الطريق ؟
وبكل منعطف جنود روعـوا الطير الطليق
ومدرعات طوقت بيتى وبسـتانى الوريق
جثمت على صدرى الخفوق فبنبض احلامى الرقيق

* * *

اماه : هل هذى الجنود جنودنا خلف المدافع ؟
عهدى بهم كانوا هناك ـ كما ذكرت ـ على المواقع
صوب اليهود ، ليدفنوا فى الرمل مسعور المطامع
تبكين يا اماه ، تهمى فوق وجنتك المدامع ؟
أترى الجنود جنود اعـدائى اليهـود ؟

ام جند ـ ديغول ـ الذى قد كان بالامس البعيد
يحتل سوريا الحبيبة بالرصاص وبالحديد ؟
ام جند من غالوا السلام ببور سعيد ؟

* * *

كلا ارى اماه خالى بينهم وسط الرفاق
لكن فى اجفانه ظلا لجرح لا يطاق
جرح الذى عق الامومة بالخصومة والشقاق
وعلى ملامحه الحزينة مسبل الدمع المراق
اماه : خالى يرفع الرشاش فى وجه الوطن
ويلف طفلة امتى بنت العروبة فى كفن
لكن كفيه اصابهما ارتعاشات الوهن
واراه ينشج كالثكالى فى مناحات المحن

* * *

اماه : طفلتنا الحبيبة روعوها بالخناجر
ومشت مداهم جائرات فى المعاصم والخناجر
كانت كبرعمة الضياء تالقت ملء النواظر
جدلوا لها تحت الظلام وفى سراديب المقابر
حبل الفناء ليلتوى كالافعوان وكالمقادر
هواه يا اماه قد فقاوا لطفلتى المحاجر ؟ ؟
قد جرجروها فى الدروب الثاكلات من الضفائر

* * *

اماه : طفلتنا الحبيبة ادرجوها فى اللحد
هالوا عليها من تراب النذر اكوام الحسد
كلا ، فقلب حبيبتى رغم النامر واللدود
خفاقة نبضاته لا لن يموت الى الابد

* * *

انى اراها فى الجموع تهز قضبان السجون
فى قبضة الفلاح ينثر فى الثرى عرق الجبين
فى ثورة الحقل الذى حصدوه رغم الزارعين
فى زحفة العمال فى غضب الحفاة الجائعين
انى اراها فى الجموع تحطم القيد اللعين
قيد التآمر والخيانة والفلول الآخرين
انى اراها فى غد بعثت من الجدث الحزين
ومشت على بردى توزع بلسما للجاهدين
انى اراها فى دمشق تصيح باسم الكادحين :
لا لن اموت فانني من نبضة الشعب الامين
لا لن اموت فانني يا ام بنت الخالدين

المنصورة — على حسن المزب

مستقبل صفا

محمد رجب البيومى

لم الق طفلا بائسا ... الا ذكرت طفولتى
وعرفت محنته التى ... نهضت تماثل محنتى
ورحمت شقوته وان ... لم يستفد من رحمتى
اسفى عليه مؤرقى ... اذ بات يعرض صورتى
ولعله فى عمره الباقى يجدد سيرتى
فيلسف الاشياء فلسفة تطابق حكمتى
نبتت لديه التجربات السود احلك منبت
يرنو ليسبر كل شر ... فى الحياة مبيت
يلج المسارب فى النفوس ... ويستضىء بخبرتى
فيرى رياء الذل يفصح عن ضمير ميت
ويرى البغى تدثرت ... بثياب عف مخبت
ويرى الاباحى استعار ... عباءة المتزمت
والبشر يلمحه كمينا ... فى التجهم لمحتى !
يرنو ويُرنو ثم يبسم عن حشا متفتت
مثل ابتسامى اذ اغاظ ... فاستجير ببسمتى
كم شاهد الابصار تر ... مقه فلم يتلفت
بل سار فى صمت العيى ... ومن يحاذر يصمت
تطغى عليه شجونه ... والويل ان لم يكبت
ويبيده فرط الشعور ... كما اباد شبيبتى
لو كان من حجر لما ... انتقضت عليه علتى
ولعاش بين البلة فى ... أوج يناقض وهدتى
ويح الحساسية الرقيقة ... اذ دهته بنكبتى
يشقى ويالم مستميتا ... فى ترسم خطتى
يغشى الدغال المدلهمة ... تائها فى ظلمتى
وتطول ليلته عليه ... كما ترامت ليلتى
ان ضال ذرعا صباح ... ماذا جنيت وما جنى
ويسوق اسئلة تمر ... بلا جواب مسكت
فاذا دهته منية ... وافته مثل منيتى
فيقول جثته ثرى ... تتماع فيه جثتى
يا رباه طالت حيرتى ... بعد اللتيا والتى !
انى شرحت حياته ... سلفا لاشرح قصتى

الفجر ينطلق

يس الفيل

ليسبح الرجاء فى السماء
على مشارف الافق
ترنح الغروب
وقصة قميئة تذوب
لتبدا الحقيقة
طبقة تلون الشفق
فى حمرة الدماء يانلق
لينطق الرجاء :ـ
يا امة تذوب
لتصنع الحقيقة
دقى الطبول ، ايقظى البشر
فالليل يحترق.
على مشارف الافق
لينطلق ..
لم تجهل الطريق يا بحار
يا قبضة من نار
تداعب النهار
تقبل اللهيب فوق وجنة القدر
لبسكب الضياء فى مسارب
المصير
لينشر العبير
لبنثر السلام فوق موكب
الحمام
ليبعث المطر
فتورق الصخور والحجر
يا ايها الجبار :ـ
يا قبضة من نار
الى الافق
اراك تنطلق
بلا صخب
تجمع النجوم فوق زورق
الحياة
وترفع القلاع
لتصعد البشر
فلم يعد فوق الثرى اله
ليسبح الرجاء فى السماء
على مشارف الافق
لينطلق ....
مواكب الظلام عاريات
ستختفى
وان بدت على الطريق كالهوان
ستحترق
فلا حياة للظلام
لا حياة ..
فلم يعد فوق الثرى اله
يسبح المصير فى يديه
ويسجد القدر
وتنحنى الجباه للاله
لم يعد اله
فالارض تنتفض
والمارد الحبيس ينطلق
فلتنطلق
يا ايها الجبار :ـ
يا واثبا الى الافق
الركب ها هنا يمور
وموكب البشر
بكل ما عداك قد كفر
فلا يعد فو ق الثرى اله
ليسبح الرجاء فى السماء
على مشارف الافق
لينطلق
الفجر من رداه ينطلق

الصمت

ظل صمت الباب حتى قلت مات ودفن
وتصلبت اذناى فى برد السكون فانا اذن
سمعت احديث الذباب
ودبيب اقدام النسيم على التراب
وتعجبت من تمتات الصمت عنـد الباب !

• • •

محمد محمد عنانى

صوت يطن
ويطول صوت
يذكى المرارة فى دمى
وترددت اصوات
بحت بحلق السلم
ثم التوت
وتماوجت فى البهو نحوى
وذوت
وتجاذبت اذنى اطراف الزفيف
وخطى الحفيف
ثم الصدى
حتى الصدى المسكين مات
قد خص حلقى بالرفات
يا صاحبى
بينى وبين الناس باب
بينى وبين الناس الف حجاب
لم لا تدق الدقة المترقبة
فيهب فى قلبى النسيم
واعود للاحياء .. ياباب القبور !

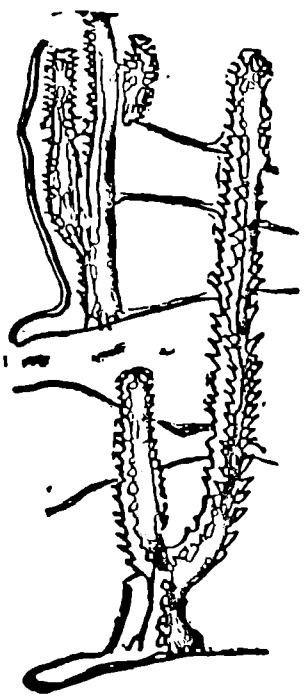

حل المساء .. وسح الغيظ من فيه
ومد كفيه . . واسودت مآقيه
واطبق الليل جفني ناعس ورمى
قلبا على جنبات الآه فى التيه

* * *

اضحت سريرتها فى الليل مرثيه
يبكى لها الفجر من دمع يواتيه
وتسأل البدر انصافا لحاجتها
ويعجز البدر فى شتى مساعيه
فأطبقت جفنها .. والدمع منسرب
وعضها الغيظ واستشرت دواعيه
وصاح خاطرها : رباه انت لما
أبكيه فى ليلتى . . يارب تدريه
مظالم شانها حقد .. ومفسدة
فكيف اسكت حقدى ؟ كيف أخفيه

* * *

كحلت عينيه مذكنا بأغنية
وبسمة . . وغرام راح يرويه
زوجى .. ووالد اطفالى ومامالكت
يمناى فى زحمة الدنيا .. وافديه
غنيته فى الهوى ما عز مطلبه
وكنت فى عينه احلى أمانيه
وصنته .. وعيون الناس حاسدة
وهمت فى حبه . . حتى نواهيه !
وكان فى مهجتى ريحان مورقة
من جنة الخلد . . عشت الدهر ارويه

* * *

وارسلت سهمها الايام فى كبدى
ولم يدم لى سوى ليل اقاسيه

* * *

مضى وخلف لى حقدا يسائلنى
ان ارسل النار ترعى فى لياليه
مضى وخلف لى حقدا يساءلنى
هدم الذى عشت طول العمر ابنيه
مضى وخلف ظنونى هاتف اندا
(هدما بهدم . . وتسفيها تسفيه)
لكننى . . وظنونى فى مراهقة
اقول للنفس : لا تمشى بواديه
واطفىء الشعلة الهوجاء فى كبدى
وبين عينى درب الآه امشيه
ولست ازعم انى فى الهوى ملك

* * *

له الجمال . . وان الحسن احكيه
لكنها .. ضرتى .. مثلى ومامالكت
غير الحقارات : من زور .. وتمويه
اب لخمس عيال كان سامرهم
فكيف عن حاجة الاطفال تقصيه
وكيف اطعمهم من خير عائلهم
وحاجة الزوجة الاخرى تناديه ؟
خمس جياع .. حيارى فى مضاجعهم
لم يبق من والد الا مآسيه

* * *

كنا لهم دوحة من لفح هاجرة
وكوخنا جنة .. مما يرى فيه
حميته وحماه .. والدا . . زمنا
وعاد والدهم بالويل يرميه
دعته شهوته .. فارتد يتبعها
واسقطت عينه ما كان يطريه

* * *

رجوته لسفينى مرفا رقصت
على منابته الاحلام فى تيه
فكان مقوده فى كف سارقة
راحت تدوس به ازهار ماضيه
فكيف اطمع ان ينجو بزورقنا
وفاقد الشىء .. هل للغير يعطيه !

* * *

رباه .. هانذا فى اليم واحدة
امد حبل سفينى .. ثم ادنيه
والموج يدفعه دفعا ويلطمه
والعاصفات على الايام تبليه
ولم ازل خلف ستر الليل صابره
اطمئن الركب ان الامن آتيه

احمد محمد فرج

قطرات المطر

طارت عصافير الجنة فى سرعة شديدة ، وبتشكيلات جماعية فوق سطح الشارع الضيق ، حتى كادت اجنحتها الرقيقة الملونة ان تلمس ارضه .. ثم اختفت فجأة كماظهرت وتجمعت فى أقصى الشمال سحب كثيفة سوداء تنذر بشتاء قارس .. وهبت رياح ديسمبر الباردة ، وتلاعبت بفروع النخيل المنتشرة على ضفاف النهر مقتلعة فى قسوة شجيرات صغيرة لتلقى بها الى خضم النهر الجارى .. وتقاذفتها امواجه الثائرة كدمى صغيرة بيد ماردجبار ، وفاضت مياهه على ضفتيه مكتسحة امامها عيدان البرسيم الخضراء .. واظلمت السماء تماما الا من ومضات ضوء برق خاطف كان يضفى على المدينة طابعا موحشا .. وبين الاونة والاخرى كان صوت الرعد يرتفع مزمجرا متوعدا ..

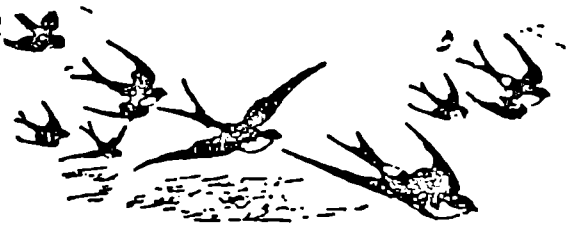

هرب الناس من شوارع المدينة وازقتها الى دورهم ومتاجرهم يلوذون بها من ثورة الطبيعة وغضبها . . . وخلت الشوارع الطويلة المتعرجة من الاحياء . . واصبحت المدينة مقبرة واسعة لا نهاية لها حط عليها ملك الموت فسلب اهلها الحياة عدا سقاء ماجا يقى جسده المتهدم غزارة المطر .. وبجهد وصل الى جدار منزل قديم استظل به واحتمى فيه . . . وافرغ ماء القربة فوق ارض الشارع وهو يتأمل فى غير مبالاة اندفاعه من فوهتها ليختلط بطين الارض . . . وارتجف جسده الواهن رجفة شديدة عجوز يسير بخطا متعبة وسط ذلك الفراغ وهو يحمل فوق ظهره المقوس قربة ماء ممتلئة ينوء بحملها جسده المنهك بينما يصطرع فى ذهنه افكار ومشكلات عديدة .. واحس عم جمعه بوحدته وبحاجته الى احياء كثيرين يندمج فيهم ويصبح جزءا منهم ، واجهد ساقيه النحيلتين باحثا عن واصطكت اسنانه فى حركة متصلة سريعة وقد نفذ ماء المطر الى جسده النحيل من خلال ثقوب ثوبه .. انه يذكر آخر جلباب اشتراه فقد كان هذا قبل ان يصبح الماء فى كل طلمبة بالمجان .. وعاد عم جمعه الى الماضى واحس بحاجة الى استعادته فنحى القربة من على كتفه ووضعها بجوار الجدار ، وجلس عليها وهو غائب عن الوجود حوله ، متدمج مع افكاره وذكرياته واسند راسه على ركبته واحتضنها بكفيه المعروقتين ، وهو يجتر ذكرياته فى صمت .. واهاجت الذكريات بعضها البعض فتوالت على ذهنه صور متلاحقة متتابعة تمثلت لعينيه شيئا حقيقيا .. ذكر ايام الطفولة ونشاته يتيما يعمل عند واحد من سادة الارض طوال يومه مقابل

طعامه .. ثم ذكر ايام الشباب والحرب التى ساقوه اليها كالسائمة لا يعرف من اجل اى شيء يحارب .. وانقضت فترة الشباب بكل ما فيها من سعادة وشقاء .

سار عم جمعه من ايام عمره وذكرياته متمهلا حتى انتزعته من اسارها قطة صغيرة اقبلت عليه تلتمس الدفء والطمانينة فى كنفه .. وتاملته بعينيها اللوزيتين الصغيرتين فى لهفة ثم دارت حوله دورة كاملة وهى تتمسح بملابسه المبتلة .. ثم تكورت على نفسها بجواره وانفصلت بدورها عن الوجود وهى تقرأ اوراده بطريقتها الخاصة فى التنفس بنظام ورتابة .. وبسط عم جمعه كفه يمسح فراءها فى حنان بالغ وهو يرجو لو كان له ولد يرعاه فى كهولته .. ودمعت عيناه ومن خلال دموعه تراءت له القطة طفلا كبيرا راى فيه حياته كلها .

وتنهد عم جمعة ومسح بكفيه دموعه وذكر زوجه العجوز الطيبة والتعريشة الكيبية التى تضمهما صيفا وشتاء .. وتحسست كفاه من غير وعى جدار المنزل ثم اراح جسده عليه والتصق به وتامل بعينيه الكليلتين المجهدتين دورا جديدة ضخمة تشيدها الدولة فتمنى لو امتلك فى واحد منها اية حجرة .. تحميه وزوجه من قسوة البرد الذى تغلغل فى رئتيها وعظامها واقعدها عن الحركة والسير .. وبصوت مرتفع ساءل نفسه هل يتحقق الحلم .. ؟ وهز راسه مستنكرا ولكنه عاد يتشبث باحلامه فى اصرار وعناد .. وبكل ما فى روحه من امل حاول ان ينتصر على يأسه وضعفه وهو يتذكر كلام الناس عن انظمة جديدة وقوانين جديدة ومشروعات عديدة واشياء كثيرة تقام من اجله .. وتنهد فى ارتياح وهو يتخيل زوجه العجوز الطيبة يظللها سقف حجرة . وتنعم اخيرا بالدفء والامن .. وسقطت دمعة من عينيه حاول ان يخفيها حتى عن نفسه فاتجه الى القطة يمسح فراءها الناعم بحركة لا شعورية . ونظره مشدود الى تلك المساكن الجديدة لا يريد ان يدعها تغيب عن عينيه ويده فى حركتها اللاشعورية تمر على ظهر القطة وهى مستكينة بجواره تقرأ اورادها .. وفجاة انهمرت الدموع من عينيه غزيرة ، واحس بجفاف قاس فى حلقه ، وعطش شديد ، وجاهد لينهض باحثا عن ماء يشربه ولكنه لم يقدر ان ينتزع جسده المثقل بالاوجاع من مكانه بجوار الجدار .. واحس بثقل شديد فى راسه .. وبجسده كله مشدودا الى الارض متحدا بها .. فجاهد بكل ما فى طاقته من قدرة ليرفع راسه لا على عساه يلتقط بلسانه بعض قطرات المطر الذى خفت حدته ولكنها ما لبثت ان سقطت على صدره .. فانغمض عينيه واحس بخدر لذيذ يسرى فى اوصاله فاستسلم له واستكان .. وشعر براحة شديدة وجمدت يده على ظهر القطة فتحركت تتأمله بعينيها اللوزيتين الصغيرتين .. ودارت حوله تبحث فى سعار عن اليد الحنونة التى افتقدتها فجاة .. وقفزت الى حجره واستقرت فيه واخذت تلعق بلسانها الخشن كفه الجامدة وانفاسها تتلاحق وهى تموء مواء متصلا .. ومن اقصى الشمال ابتدات السحب تختفى والسماء تصفو . ثم ظهر بعرض السماء قوس جميل متعدد الالوان . وفجاة كما اختفت ، عادت عصافير الجنة تطير فوق سطح الشارع الضيق وهى ترفرف باجنحتها الرقيقة الملونة فرحة بالشمس وتلاشى صمت القبور وامتلأ الشارع بضجيج الحياة

مصطفى الاسمر

سر الحياة

واخيرا خرج الاستاذ من معمله واشعل سيجارة من سجائره وراح ينفث الدخان فى راحة عميقة وكان هناك فى اقصى الصالة شبح طالب كان يبدو عليه انه قد امضى وقتا طويلا فى انتظار خروج الاستاذ من معمله وغالب الطالب التردد الذى اعتراه ومضى نحو استاذه بخطوات وجلة وقد تزايدت ضربات قلبه .

انه استاذ سيء الطبع والمزاج ولكنه رغم ذلك كله طيب القلب كثيرا ما يصغى لمناقشات تلاميذه .

ولمحه الاستاذ وهو يسير اليه فابتسم ابتسامة عريضة وقال له :

ـ انه دورك لقد اكتشفت معادلة الحياة اليس كذلك ؟

وتلعثم الطالب وهو يقدم له قصاصة من الورق قائلا :

ـ أجل يا سيدى ها هى ذى

وتناولها الاستاذ ونظر اليها نظرة عابرة ثم اطلق ضحكة ساخرة .

ـ انها نفس الغلطة التى وقع فيها مازن يا صديقى العزيز

اتظن ان هذه المعادلة تدل على طريقة صنع الخلية الحية

ـ أجل يا سيدى لقد صنعتها بنفسى وراقبتها تحت المجهر عدة ساعات وكانت تمتص الغذاء بشكل مستمر .

والاكثر من ذلك انها كانت تنقسم

ـ كلا يا عزيزى ان الذى صنعته لم يكن خلية حية وانما هى باورة كيماوية .

صحيح انها تنمو وتنقسم ولكنها لا تتنفس ولا تتحرك ولا تنفعل ولا تحصن نفسها ضد الظروف الغير المواتية .

لقد توصل الى هذه المعادلة نفسها زميلك مازن اننى احتفظ بها فى مذكرتى .

واخرج الاستاذ مفكرته من جيبه وراح يقلب صفحاتها حتى عثر على صفحة من هذه الصفحات ادناها من صاحبنا الذى لاحت عليه امارات الياس والقنوت .

ـ الم يخبرك مازن باكتشافه هذا ؟

اننى اعتقد انه لم يفعل فلقد كان يظن انه وقع على اكتشاف عظيم اراد ان يفاجىء العالم به .

عجبا لكم ـ اننى انصحكم ان تتموا دراساتكم اولا قبل ان تنصرفوا الى البحث والاكتشاف كثيرا ما نصحتكم بهذا ورغم ذلك فمنذ ان القيت المحاضرة الاخيرة عن تكون الحياة وكل منكم ياتينى بما يسميه « معادلة صنع الحياة » .

ـ اخبرنى هل استذكرت مقرر الكيمياء العضوية ؟

ـ اجل يا سيدى

ـ دعنى القى عليك بعض الاسئلة اذن

وراح الاستاذ يسال الطالب المسكين ويوقعه فى الخطأ بين كل سؤال وآخر .

واخيرا تنهد الاستاذ فى الم مصطنع وقال فى لهجته الساخرة :

ـ اننى اعلم ذلك ايها العبقرى العظيم ـ اعلم انك لم تستوعب شيئا من دروس الكيمياء العضوية .

واخرج الطالب المسكين منديله من جيبه وراح يجفف قطرات العرق المتصببة على جبينه ثم قال لاستاذه :

ـ اسالنى سؤالا آخرا وساجيب عنه بكل تاكيد .

واجاب الاستاذ :

ـ وما جدوى اجابتك على سؤال واحد اذا كنت قد فشلت فى الاجابة على سبعة اسئلة متوالية .

ان هذا يؤكد انك لم تستوعب ثلاثة ارباع المحاضرات على الاقل

ولكن ما الذى بيدك ؟

ـ انها قصة « فاوست » لجيته يا سيدى .

ـ شىء عظيم لطالب العلوم ان يقرأ الادب فيضيع وقته فيما لايفيده انك لا تصلح لدراسة العلم ، اولى بك ان تكون اديبا او صحفيا او شيئا من هذا القبيل .

ـ لقد كان جيته عالما وله بحوث فى علم الحيوان وعلم النبات .

ـ ولكن « فاوست » ليست بحثا علميا لجيته .

هيا ياصديقى « مامون » لقد قضينا وقتا طويلا اذهب واستذكر محاضرات الكيمياء العضوية وارجو لك حظا موفقا فى المرة القادمة .

ومضى صاحبنا مامون وهويزدر د ريقه فى صعوبة بالغة . وقد اخذ يجفف قطرات العرق التى سالت بغزارة على جبينه وقد انتابه ضيق شديد جعله يسير غير منتبه تماما لما حوله حتى كاد يصطدم بشخص كان يقبل نحوه .

ورفع وجهه ليرى من ذلك الذى كاد يصطدم به وابتسم فجأة فقد طالعه وجه مشرق صبوح . انه وجه هناء زميلته فى الدراسة .

وبدا عليها كأنها تهم بان تقول شيئا لم تجسر على البوح به وظلت هكذا فترة وهى تنظر اليه ثم قالت :

ـ كراسة المحاضرات من فضلك

ـ يؤسفنى انها ليست معى الآن يمكنك ان تنتظرى حتى احضرها من غرفتى .

ـ شكرا ـ فى فرصة اخرى ـ الى اللقاء

ـ الى اللقاء

قالها وقلبه يدق فى عنف انها تبدى اهتماما خاصا به فى هذه الايام

انه لا يظن انها بحاجة جدية الى كراسة المحاضرات فهى لا يفوتها ان تسجل كل ما يقوله الاستاذ . وتملكه شعور لذيذ ليس يدرى اين مصدره عندما جال بذهنه هذا الخاطر . . .

وظل يستعيد صورتها الى أن وصل الى باب غرفته بالقسم الداخلى بالكلية فولج من الباب ثم اغلقه ثم ادار مفتاح النور فغمر الغرفة ضوء ساطع .

ومضى بعد ذلك الى سريره فجلس عليه وقد تملكته خواطر متفرقة .

كان بعضها فى العلم والايمان وفى فاوست الذى حاول الشيطان ان يسلبه روحه الطاهرة

وكان البعض الآخر فى زميلته هناء التى يانس الى حديثها ويميل الى نفس الافكار التى تؤمن بها . وتملكه التعب الشديد فتمدد فى فراشه واطفأ النور وراح فى سبات هو أقرب الى الاغماء

ليس يدرى امضى عليه وقت طويل ! وهو فى سباته عندما راى نورا يومض فجأة فى سماء الغرفة ثم يخبو مخلفا رهبة عميقة .

واومض النور من جديد ثم امتلات الغرفة به ثم انكمش بريقه واخذ يبتعد رويدا عن جيران الغرفة ليتخذ شكلا رهيبا
وصرخ مامون فى رعب
ـ ما هذا
ـ اننى الشيطان يا عزيزى

ـ وماذا تريد ايها الشيطان اللعين

ـ لماذا يلعننى البشر دائما رغم انى اريد مساعدتهم اما تكفينى لعنة السماء ؟

ـ تريد مساعدتى حقا ولكنى لا اريد أن تساعدنى
ـ كن عاقلا يابنى اننى سادلك على معادلة الحياة

ستكون اول انسان يصنع الحياة فى انابيب الاختبار
ـ اننى لن ابيعك روحى ايها الشيطان
ـ لست أطلب منك شيئا
ـ اذن فلماذا تود مساعدتى
ـ لا تتدخل فى شئونى يكفيك انى لن أطلب منك شيئا

ـ كلا لن أصل معك الى اتفاق الا اذا اخبرتنى ما هو غرضك من مساعدتى

ـ يا لك من لحوح يا فتى وما دمت مصرا على طلبك هذا فاصغ الى

« انت تعلم ان السماء ناقمة على وانت تعلم ايضا ان ثلاثة ارباع البشر على الاقل ينتظرون أن يهتدى عالم الى صنع الحياة فى معمله حتى يكفروا بالله نهائيا وستكون انت هو هذا العالم يا صديقى

ـ تريدنى ان اقود الناس الى الكفر !
ـ كلا بل اريد ان اقودك انت الى الشهرة والخلود .. انك جديربهما فانت الوحيد الذى قارب أن يصل الى سر الحياة فى معادلتك السابقة

والخطأ الوحيد الذى وقعت فيه حتى تدب الروح فى خلية الحياة ـ هو طريقة الارتباط بين ذرات الكربون

راح الشيطان يتابع حديثه بينما مامون يصغى وهو يرتجف من الخوف العميق

كيف غابت عنه كل هذه الحقائق العلمية التى يبسطها الشيطان فى دقة ووضوح

وخطر له خاطر مفاجىء فسأل الشيطان
ـ ولكن ما هى الروح ؟
ـ تريد ان تعرف كل شىء ايها الماكر

انها من امر ربك .. الى اللقاء يا عزيزى
وسطعت الفرقة فجأة ثم غرقت من جديد فى ظلام دامس
وهب فى ذعر ليجلس فى فراشه
لقد كان حلما مزعجا كانما كان الشيطان ماثلا امامه حقا
وفطن الى أن ثيابه كانت مبتلة من العرق الغزير
ولكنه لم يعر الامر اهتماما
اذ أن حديث الشيطان كان لايزال ماثلا فى ذاكرته
ونهض واشعل النور وقد تملكه دوار مزعج
انه يخاف أن ينسى المعادلة التى املاها عليه الشيطان لو انتظر الى الصباح

واجال نظره فى الغرفة فعثر على قطعة من الطباشير ملقاة على الارض وامسك بها وراح يكتب على الحائط ما أملاه الشيطان عليه فى نومه واحس فجأة بأن جدران الغرفة تدور فى سرعة رهيبة وبان الارض تتمايل من تحت قدميه فسقط على الارض فاقد الوعى

* * *

لم يكن ليدرى من أتى به الى ذلك المكان عندما حاول أن ينهض واذا بيدين رقيقتين تعيدانه برفق الى الفراش واستسلم لهما ثم أجال النظر حوله فى الغرفة

كان هناك استاذه يجلس على كرسى بجوار سريره
وكانت زميلته هناء هى التى اعادته الى فراشه قائلة له
ـ انك لم تزل تعانى من اثر الحمى يحسن بك ان تستريح

وكان هناك زميله مازن فى اقصى الغرفة يقرأ فى مجلة علمية كعادته دائمة

وسأل مامون من حوله
ـ اين أنا ؟
واجابه استاذه
ـ انك فى مستشفى الكلية فلقد أصبت بالحمى يا عزيزى

لقد اكتشفنا تغيبك عن حضور المحاضرات فمضيت انا وزميلاك الى غرفتك حيث وجدناك ملقى على الارض فى حالة يرثى لها

ـ الم تقرأ شيئا على الحائط يا سيدى اقصد معادلة مكتوبة بالطباشير على الحائط ؟

وضحك الاستاذ وهو يقول :

ـ اتعنى معادلة الحياة ؟ لقد قرأتها بالطبع وكانت المعادلة سليمة مائة فى المائة

ـ أحقا يا سيدى هل يمكن صنع الحياة فى المعمل
ـ لا تخف لن يكفر الناس بالله يا عزيزى كما كنت تهذى اثناء مرضك اذ ان الحياة لايمكن صنعها فى أنابيب الاختبار باى حال من الاحوال

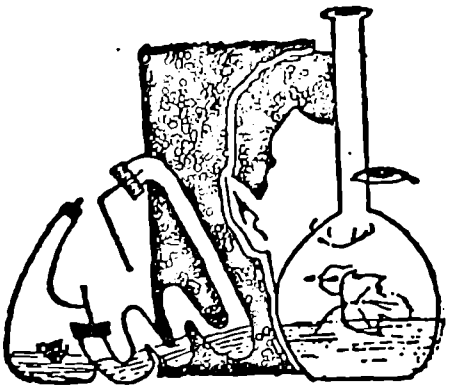

ـ لست افهم شيئا يا سيدى
ـ ان الذى كتبت معادلته هو سر الحياة حقا

فلقد توصلت يا عزيزى الى المعادلة الكيميائية لمركب عجيب يعتبر من أقوى المضادات الحيوية التى عرفها البشر

تصور انه يفوق السنفا مئات المرات فى قوة تأثيره وسلامة مفعوله
اننى اهنئك يا صديقى واغفر لك اهمالك فى مذاكرة دروس الكيمياء العضوية

ولكن الغريب حقا الذى يدهشنى هو أن هنـــاء قد توصلت قبلك بساعات الى نفس المعادلة
ـ الم يرشدها الشيطان الى ذلك ؟

واطلقت هناء ضحكة مرحة وقالت له بصوت رقيق
ـ اى شيطان يا عزيزى ، ان هذا الاتفاق فى الافكار هو مايسمونه بال TELEPATHY او توارد الخواطر ان افكارنا واحـــدة يا عزيزى . اليس كذلك ؟

وهنا قال الاستاذ
ـ من فضلك يا هناء لا تذكرى المصطلحات الاجنبية فان لغتنا مرنة يسيرة مطواعة

وقالت هناء معتذرة
ـ آسفة يا أستاذى

وهنا ارتفع صوت مازن يقول :
ـ ولكن هذا الاتفاق العجيب فى افكاركما يمثل مشكلة بالنسبة لكما فالى ايكما سننسب هذا الاكتشاف ؟

وساد الغرفة صمت عميق بينما كانت هناء تدس الترمومتر تحت لسان مامون ثم أخرجته بعد برهة وقالت
ـ الحرارة عادية تقريبا ٣٧ر٥ م

وقال الاستاذ معقبا
ـ لقد ابدت هناء عطفا كبيرا عليك واهتماما بالغا بك اثناء مرضك

واحمر وجهها خجلا بينما تزايدت ضربات قلب مامون وقال وهو يبتسم
ـ هذا يحل المشكلة التى اشار اليها مازن . سأتنازل لهناء عن حقى فى الاكتشاف كما فعل بيير كورى

وابتسم الجميع بينما قالت هناء
ـ لطالما كنت أتمنى ان اسمعك تقول هذا . ولكم يسعدنى ان اكون مدام كورى

وانحنت عليه وطبعت على جبينه قبلة حارة اودعت فيها كل ما تكنه من مشاعر حبها الكبير

البدارى

نصار محمد عبد الله نصار

بريمان

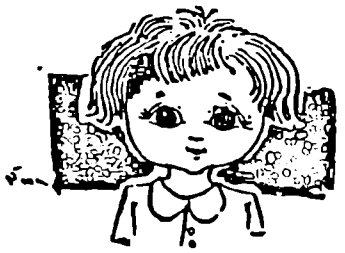

حاولت فوزية بشتى الطرق ان تبقى ابنها طارق فى البيت ، الى ان تعود اختها فى المستشفى وترجع فى الحال ، خوفا عليه من وقوع غارة جوية من تلك الغارات التى اخذت تزدادها تيك الايام ، والملابس العسكرية تنتشر فى المدينة .

ولكنها لم تقدر ابدا .. احاطته بذراعيها تضمه الى صدرها وتغمره بالقبل ، ووعدته بهدية ثمينة ، ثم خوفته فى النهاية من عدوى المرضى ، وضربته على ساقيه ، وقطبت وجهها غاضبة منه .

غير انه ركب راسه كالمعتاد ، واصر بعناده السخيف ان تاخذه معها وظل ينازعها ساعة كاملة لم يهمد فيها لحظة ، اراق خلالها دموعه . وعندما انخرط فى البكاء ، دخل غرفة الصالة « اهىء اهىء .. اهىء .. » يؤلمها ويعتصر قلبها من بعيد .

ولما تبينت فوزية ان لافائدة معه لم تشا أن تصمم وتراجعت عن موقفها ودخلت اليه تجفف له دموعه بالفوطة علامة القبول .. ثم اعطته منديله ، وصففت له شعره ، فانقلب وجهه الباكى الى وجه ضاحك .

والحق ان فوزية لا تعرف بالضبط لماذا ثنت عزمها هذه المرة ورق فؤادها وهى التى تحتكم الى عقلها فيما يعترضها من شئون ، اكثر كثيرا مما تتحكم الى العواطف .

بالتاكيد لان اباه — زوجها — سافر من بضعة ايام مع السرية الى بورسعيد حين بدا العدوان واتته الاوامر . ويعز عليها ان تغضب طارقا هنيا ، بينما ابوه ، فى المدينة الباسلة ، تطالع ملامحه القوية فى ملامح وجهه الدقيقة فترى فى جسمها كله اختلاجة من الشوق تلهبها بالانفعال الداخلى ، والكره للاعداء ، مستغربة ممن يسود وجه الحياة وكلها احلام .

فلا غرو اذن ان تجد نفسها تعطف جدا على طارق ، فى حنو يعوضه حنان الاب الغائب الذى تعد اللحظات حتى يؤوب ، ولا شك عندها انه سيؤوب قبل ان تهوى من طولها اليوم بعد اليوم .

فى هذا اليوم لم تتشدد فوزية مع طارق ، واذنت له بالمجىء . وبالطبع لم تنس ان تشترط عليه بدل المرة

مرات الا تبدو منه شقاوة ، فوافق دون ادنى تردد ، وعلى وجهه تبدو علامات البهجة الشديدة .

وبعد ان وصلا الى المستشفى ، دخلا احدى غرفاتها جنبا الى جنب ، وما ان رات فوزية اختها انعام راقدة على الفراش حتى اسرعت تحتضنها بمنتهى الشوق ، وسلم عليها طارق بادب جم . ثم وقف عند قدمى أمه الجالسة ، منكس الراس قليلا ، يدور بعينيه البراقتين صامتا فى اركان الغرفة كأنه ينقب عن شىء معين .

ثم بدأ العواد ياتون . ولكن هل يمكن ان ينقضى الوقت حسبما ظنت فوزية ؟ امر بعيد المنال ان تعلق بطارق . والحق انه برىء تماما هذه المرة . فكيف وقع ما وقع ؟

استرعى طارق بصمته المطبق انتباه خالته ، اذ انها لم تعتده منه ابدا ، وعهدها به منذ كان فى الرابعة من عمره انه جنى فى صورة انسان . هل يمكن ان تنسى الحرب التى كان يشنها ضد كل من يجىء بيتهم ؟ والسلاح الذى كان يشهره ؟

وقد حفزها ذلك الى ان تخلع عنه هدوءه المدعى ، فسالته فى بادىء الامر عما اذا كان يملك مهر بنتها الحلوة سلوى « وسلوى لا تزال رضيعة » فلم يرد عليها سؤالها او يلتفت ولبث مطرقا الى الارض ، كانه يعرف بحسه الطفلى وازعها من وراء السؤال .

عندئذ مدت انعام ذراعها تعابثه على خده ، فزوى حاجبيه لها فى ضيق ظاهر وتخاذل قليلا ، وسرعان ما مرق يعدو بعيدا عنها غير حافل بشىء ، وفضلت امه تركه وقالت فى سرها : يعنى ح يروح فين .

اما هو فاخذ يجرى فى الطرقة ، كحمامة عانت الاسر ثم قدر لها ان تطير . وعند انتصاف الطرقة وقف عنى اطراف قدميه يطل من الشباك عنى الحديقة ، يقطف اوراق الشجرة ثم واصل جريه حتى انتهت به قدماه عند عتبر الاطفال ، فدنا بخطى بطيئات من غرفة ، ولج بداخلها بنتا فى مثل عمره ، يتدلى شعرها العميق الاسوداد على كتفيها الصغيرتين .

كانت البنت تجلس على حافة الفراش ، وتمسك بيدها كوب ماء مثلج تحتسيه على مهل رشفة رشفة وبعد كل رشفة تضم شفتيها للحظة قبل ان تشرب الماء ، والى جانبها كوميدينو عليها زهرية ومادية .

وقف طارق عند عتبة الباب ، يبادرها بصوت خافت دل على حدسه الصغير .

— سعيدة

فالتفتت اليه مباشرة وردت بعد نظرة تأمل

— سعيدة

وما ان تنسم منها بادرة المودة حتى انعطف عليها يسالها بادى التاثر

— انت عيانة ؟

فرنت اليه بمقلتيها متعجبة وقالت :

— امال . لما لوزى التهبت ماما وبابا جابونى وعملت عملية . شوف انا معنديش لوز خالص .

وفتحت له فمها قبالة ضوء الشباك ، فتقدم اليها بقلب جرىء ، واطلت عيناه فى الحلق المفتوح .

ـ آه والله ده بصحيح . طيب شوفى انا عندى لوز ؟

وفتح لها فمه بدوره ، فضيقت مابين حاجبيها تدقق النظر باهتمام شديد .

ـ ياه : دول قد البرتقان . أنت لازم تعمل عملية . ده الدكتور طيب خالص .

واكملت مشفقة من تجربتها التى تئن منها دائما .

ـ انت بتخاف من الابر ؟
وكمن يوشك ان يسقط فى الفخ ، هز راسه وتدارك موقفه بسرعة
ـ ده وانا صغير خدت ميت ابرة ايه يعنى .

وقبل ان يتم حديثه ، مدت البنت يدها واخذت من درج الكوميدينو مجلة فردتها على ركبتها ، وجلس طارق بجانبها ، فبدوا لمن لايعرفهما كالاخوين المتفاهمين .

ومن خلال تصفح المجلة المشترك ، انس بها طارق والفها ، واحست نحوه هى أيضا بالانس ، والفته فوقما الفها وراقها وجوده الى آخر المدى . وبلا تمهيد سالها :

ـ انت اسمك ايه ؟ انا اسمى طارق
ـ وانا اسمى منى .

وتهدج صوته واصابعه على مقربة من فمه

ـ انا ماشى لحسن مامازمانها بتدور عنى .

لم تعرف البنت باى الطرق يمكن ان تبقيه ، وفى النهاية قالت بلهجة رقيقة :

ـ طيب اللى ييجى هنا لازم ياخد طوفى وناولته ثلاثة وضعها فى جيب البنطلون واكملت

ـ اسمع . انت ح تيجى بكره ؟

أجاب :
ـ لو ما كانشى فيه غارات وماما خت عشان تانط ح آجى معاها على طول

وبعد ان بارح الغرفة وهو يحييها برفع يده ، تمددت تحت اللحاف ، وجاءت الممرضة تعطيها نقط الدواء السائل .

جرى طارق فى عودته مغتبطا ، ينقر البلاط بجذل ، ويتواثب كعصفور لا يقر على الغلال . وحين رأته امه يدخل ، كانت قد قامت تهم بالبحث عنه .

وفى البيت أوى الى فراشه ليلا يتحسس حلقه ، وحلم بعملية اللوز وبالمستشفى ، وبالممرضة تتخايل امامه ممسكة بالابرة تشكه بها وهو يستنجد بأبيه .

ومضى صباح اليوم التالى ككل صباح . فوزية تفكر فى زوجها وتعيد بناء الامنيات التى اهالتها عندما داجاها ظلام الليل ، وهى تعانى وحدتها الموحشة ، وترى فى تصوراتها الاسلاك الشائكة ، والرصاص ، والبيوت التى تتقوض ، والموت الذى يشوى الارض .

ولما اتى العصر ، نفض طارق الغبار عن ملابسه ، كى تفهم امه ان ذهابه معها امر مقرر لا سبيل الى الرجوع

فيه . ولمع حذاءه كذلك ، وسوى شعره .

اذ ذاك لم تجد فوزية مفرا ، ورات ان من الاصوب الا تتركه وحده . ونزل معها فى نفس ميعاد الامس .

لبث طارق اثناء الطريق يسترق النظر اليها بين آن وآخر متلهفا ، فبعد دقائق معدودات سيرى معمنى صور المجلات الباقية ، وعليه الآن ان يدبر فى راسه سكة الفرار .
نعم ، ها هو يقترب من الغرفة .

وما كادت امه تدلف من بابها كالتائهة حتى جمع جراته ينتهز الفرصة المتاحة قبل أن تضيع .

اسرع متجها الى عنبر الاطفال بدافع لا يستطيع رده . وفى منتصف الطرقة ابطا قليلا يتلفت وراءه ، خشية ان تراه امه وتجىء تدهمه هناك . وحينما لم يبصر احدا تاكد انها لن تبرح مقعدها ، وعاد يجرى مشرق الوجه جدا ، لاتسعه الدنيا من فرط مسرته .

نبيل فرج

اجازة الادب

تستاذن « الأدب » قراءها فى اجازتها السنوية
« شهرى اغسطس وسبتمبر »

وستقدم لهم الكتاب البديل
عن الاجازة وعادتها

الصبى الاسود

الان والعنصرية يجن جنونها ، فى غير قارة من قارات الارض ، لم ترد « الادب » مانعا من اللفت النفسى الحى لالام الملونين ، بقلم كاتب زنجى ، هو ريتشارد رايت فى قصته الصبى الاسود ، التى ترجمت قبل الان ، وطبعت فى دمشق بدار اليقظة العربية سنة ١٩٦٢

.. لقد كانت رواية « كوخ العم توم » سببا هاما ودافعا قويا للحرب الاهلية التى كانت نتيجتها هى تحرير العبيد فى الجنوب . حيث كان الرق منتشرا

.. ولكن .. هل انتهى الرق فى امريكا كلها بعد الحرب الاهلية .. ؟؟ فى الحقيقة أن قضيتهم لم تنته بعد ، بل هم بسبب التفرقة العنصرية التى يصطنعها البيض يعانون اسوأ وضع يعيش فيه الان ادمى

وهنا يجىء دور أدب « ريتشارد رايت » ذلك الاديب الاسود الذى يكشف لنا فى صدق بعيد عن خداع العاطفة حالة الزنوج فى الجنوب

* * *

وريتشارد رايت ولد عام ١٩٠٨ فى احدى مزارع المسيسبى . وقد عمل عند بلوغه الخامسة عشرة حمالا . وعمل فى مهن متعددة . ثم صمم على أن يصبح بعد ذلك كاتبا فرحل الى نيويورك حيث تجرع الضياع وذاق البؤس الى أن خرج على الناس بروايتيه « الصبى الاسود » و « ابناء العم توم » وهاتان الروايتان تعتبران صورة صادقة للماساة التى تطحن هذا الجنس . والذى لم يجن ذنبا سوى أن الله منحه لونا اسود

ومؤلفات ريتشارد رايت لا تدعو الى استعمال العنف ولا القوة . لان رايت لم يلجأ فى كل ماكتبه الى السياسة بل حاول عن طريق الفن الدفاع عن القضية القادرة ـ بلاشك ـ على تحريك الضمير الانسانى لنصرة هذه القضية العادلة .. وروايته « الصبى الاسود » تعتبر تقريبا سجلا لحياة رايت نفسه . ولقد عبر

عن موقف الزنوج . وتناوله بالتحليل والشرح ..

ففى بداية الرواية تبدأ ذكريات الصبى الاسود الذى يفتح عينيه فاذا بالحياة من حوله قاسية منجحفة . فالاب يعمل كالعبد . ويدفعه ذلك الى اذابة همومه فى الخمر الرخيصة ثم يهجر الام . وتضطر الى ان تعمل طاهية حتى تذود خطر الجوع عن اطفالها . وعندما يجد الصبى الاسود — وهو لايزال فى الخامسة من عمره — حاجاته الضرورية صعبة المنال عليه يبدأ عندئذ فى التساؤل . ويقول رايت فى هذا

« .. ان مراقبة القوم البيض ياكلون تبعث التقلص فى معدتى الخاوية فيثور غضبى فى غموض . لم لاأستطيع ان آكل وقتما اكون جائعا . وفيم يجب على الانتظار دائما حتى ينتهى الآخرون منه . ولم استطع ان افهم لماذا يملك الناس ما يكفيهم من طعام . بينما اخرون لا يملكون شيئا ؟؟ »

وبجانب تعسر حصوله على حاجاته الضرورية لحياته ، تلتقط اذناه الاحاديث عما يقع من حوادث هنا وهناك . فيقول الصبى الاسود لامه بعد ان سمع حادثة مثل هذه الحوادث التى تقع كثيرا فى الجنوب واصبح وقوعها شيئا عاديا .

« سالت امى ..
— فيم جلد « الرجل الابيض » « الصبى الاسود » اذن ؟؟
فاطلعتنى امى

— ان الرجل «الابيض» لم يجلد الصبى «الاسود» لقد ضرب الصبى الاسود
— لكن لماذا ؟
— انت اصغر بعد من ان تدرك ذلك .. !! »

وتبدأ الحيرة تقوى والدهشة تتزايد ، ويلتقى الصبى الاسود بحوادث اخرى مماثلة . وتسمع الصبى الصغير «

« .. لاحظت لاول مرة ان ثمة صفين من الناس عند شباك التذاكر . صفا «ابيض» وصفا «اسود» لقد تولد فى خلال زيارتى لجدتى شعور جاد بالعرقين (١) لن يموت قط حتى تواتينى المنية .

ولما ركبت القطار شاهدت انا نحن الزنوج نشغل جانبا من القطار . بينما يشغل البيض جانبا اخر . واردت ان اذهب لارى كيف يبدو البيض وهم جلوس فى جانبهم من القطار

سالت امى
— هل استطيع ان اذهب واسترق النظر الى القوم البيض ..؟
— اهدأ انت ..
— لكن لا باس فى ذلك ما ..

---

(١) العرق الابيض والعرق الاسود .

ـ افلن تهدأ ؟

ـ كف عن هذه الاحاديث الحمقاء

وبدأت الاحظ ان امي تنضايق حينما اسالها عن البيض والسود . فلم استطع فهم ذلك جيدا . كنت اريد ان اعرف هذين الصنفين من الناس الذين يعيشون جنبا الى جنب ولا يتماسون قط على ما يظهر الا في العنف .. »

.. وعندما يلتقي الصبي الاسود برجال بيض يلتقي بهم وينظر اليهم في دهشة تتحول الى شعور بالغموض ويقول :

« كنت اقف ساعات على ابواب بيوت الجيران اصغي الى احاديثهم لاعرف كيف صفعت امرأة بيضاء امرأة زنجية . وكيف قتل رجل ابيض رجلا اسود . فيملؤني ذلك رهبة وتساؤلا وخوفا فاروح اطلق سيلا لا ينقطع من الاسئلة »

وتتحول دهشة الصبي الزنجي الى خوف ويشعر شيئا فشيئا أن هناك شيئا ثقيلا يجثم على صدره . ومطرقة تدق رأسه .

« .. وغدا الفزع والحذر والريبة جزءا من كياني وازدادت ذاكرتي حدة واضحت حواسي اشد حساسية وبدأت اعرف نفسي كشخصية متميزة تجاهد ضد الاخرين . واغلقت نفسي خائفا من الحركة او الحديث .. حتى اتاكد مما يحيط بي وبدأت احس في اغلب الاحيان اني معلق فوق هاوية فارغة »

.. ويمتد نطاق تساؤل الصبي فيشمل ابناء جنسه الاخرين . انه يعبر عن ذلك بقوله :

« .. كنت افكر في افتقار الزنوج العجيب لصفات اللطف الحقيقي . وفي مبلغ عدم استقرار عواطفنا وكم تعوزنا . الاصالة الصريحة وينقصنا الامل العظيم . وكم يبدو فرحنا خجولا وتقاليدنا عارية . وكم تبدو فارغة ذكرياتنا . وكم نحن نحتاج الى تلك العواطف النابضة التي تربط الانسان الى الانسان وكم ان ياسنا نفسه سطحي

.. وتستولي هذه المسالة التي تحرق حياة السود المساكين ، على افكارهم وتستحوذ على احاديثهم . وعندما يجتمع بعض الصبية الذين بلغوا السابعة او الثامنة يكون حديثهم غريبا :

« .. ويتبع ذلك بيان وقور لمسالة عتيقة .

ـ هم .. القوم البيض يخافوننا بكل تاكيد .. وفي مزيج من التباهي والشكوى ..

ـ اجل . هم يرسلونك الى الحرب ويجعلونك تسحق هؤلاء الالمان . ويعلمونك كيف تحارب . وحينما ترجع يخافونك ويريدون قتلك . . . . توسيع وتطور للموضوع .. وتفاخر ملىء بروح التضحية ..

ـ تقول امي ان العجوز البيضاء في

مكان ممثلة تتحدث دائما عن عزمها على صفعها فتقول امي ((يا آنسة جرين اذا ضربتني فساقتلك . وامضي الى جهنم فسادفع ثمن ذلك ..))

همهمة غامضة تعني تاكيدا للشعور العرقي ..

ـ يا للجحيم كنت قتلتها لو قالت لي هذا ..

صمت ..
شكوى ..

ـ يا رجل اولئك القوم البيض وضيعون حقا .. ابلاغ

ـ ولهذا يغادر الجنوب كثير من الملونين ..

فخر بالقيمة الفردية والعرقية

ـ وبالتاكيد يا رجل .. فهم يكرهون ان ترحل

ـ اجل هم يبغون ابقاءك هنا لتعمل لهم حتى الموت . تمرد ساذج

ـ ان اول ابن كلبة ابيض يضايقني سيعود بثقب محفور في راسه

رفض للتمرد الساذج ..

ـ هذا لا ينفعك البتة .. يا للجحيم سوف يقبضون عليك حقا

كبرياء مرة لدن ادراك ما تكلف هزيمتهم

ـ اجل فالقوم البيض يرسلون حميرهم البيض ليلا ونهارا . ولكن فليفعل الزنجي شيئا مهما يرسلون في اعقابه كل كلب متعطش للدماء .

يعثرون عليه ..
رجاء متسائل خجول

ـ يا رجل هل تعتقد ان هؤلاء القوم البيض سوف يتغيرون

رفض لهذا الرجاء خوف الايتحقق
ـ يا للجحيم ابدا .. لقد خلقوا على هذا الشكل ..

تمرد على الرجاء غير المجدى والركون الى الفرار ..

ـ هراء يا رجل . . سامضي الى الشمال حينما اكبر))

* * *

ولا تقف الحياة موقف المتفرج . فالعمل محدد للزنوج وفرصة الارتقاء امامهم معدومة . وكذلك التعليم . وفي حياة الصبي الاسود تبدا الحياة تنفث قسوتها ـ فتصاب الام بالفالج وكانت تعمل طاهية في احد المنازل . وترقد في السرير ويبدا الصبي في البحث عن عمل . في الصباح المبكر ينهض من نومه . الجوع رفيق دائم له . ويذهب الى منازل السادة البيض يحلب البقر . ويكنس ويمسح ثم يعود الى المدرسة . ويخرج من المدرسة ليعود الى منزل السادة البيض .

.. لقد نضج شعور الصبي واحس بمرارة الحياة . وقسوة موقفه منها وموقفها منه . وكلما ادرك مايحيطه من عذاب . يتضاعف هذا العذاب ويثقل فوق نفسه

ويتقدم العمر بالصبي الاسود . والجوع رفيق دائم له يقوى ويشتد كلما مر يوم . وتتقلص معدته كثيرا

ويخيل للبيض ان الزنوج ليسوا

بشرا . ويحطون من قدرهم ويقللون من قيمتهم الانسانية . ويعتبرون حفنة التراب اغلى قيمة من مليون زنجي . حتى فى المواقف الانسانية . فانهم يظنون الزنوج من غير طينة البشر لا يؤثر فيهم شيء . والحوار التالى يدور بين الصبى الاسود واحد البيض بعد ان عقر كلب الصبى الاسود

.. ورجعت الى العمل وانا اتوقف بين لحظة وأخرى لافحص اثار الاسنان كانت تنتفخ . وتوجه صوبى اخيرا رجل ابيض يلبس بذلة بيضاء . وقبعة من القش . وحذاء ابيض . استوضح صبيا اسود وهو مشير الى

ـ اهذا هو الزنجى .. ؟؟

فرد عليه الصبى مجيبا .

ـ نعم يا سيدى فنادانى

ـ تعال هنا يازنجى

فمضيت اليه ..

ـ اخبرونى ان الكلب عضك

ـ نعم يا سيدى ..

وانزلت سروالى . وتطلع . جمجم ثم ضحك ..

ـ هم .. م . م .. ان عضة الكلب لا يمكن ان تؤذى الزنجى

ـ لكنها تنتفخ وهى تؤلمنى

ـ اخبرنى اذا ضايقتك . ولكننى لم ار حتى اليوم كلبا يمكن ان يؤذى زنجيا حقا ..

ويزداد شعور الزنجى بماساة اخوانه التى هى ماساته ، فكلما تقدم فى طريق الحياة الشائك خطوة . لايرى حوله سوى الاحداث القاسية الظالمة التى تحيق بقومه . وكذلك يرى الجوع يفتك بهم . والمرض ينشب انيابه فى اجسادهم ونفوسهم ولا يستطيع هو عملا ازاء هذا .

ولا تلبث هذه الاحداث القاسية ، وقائع الاضطهاد العنيفة ان تمتد الى حياة الصبى الاسود رايت (١) نفسه . وفيما يلى احد الاحداث التى وقعت له مع السادة البيض

« .. كان المخزن يملك دراجة اسلم بواسطتها المشتريات وذات يوم فى طريق عودتى من الضواحى ثقب دولاب دراجتي فرحت اسير على طول الطريق الحارة المتربة . انضح عرقا واجر الدراجة من مقودها

وتمهلت سيارة الى جانبى

صاح رجل ابيض

ـ ماذا حل بك يا صبى ؟

فاخبرته بقصة دراجتى . وانى فى طريقى الى البلدة . قال :

ـ ما اسوا ذلك . اقفز على دواسة السيارة . واوقفت السيارة . فامسكت دراجتي بيد وتعلقت بالاخرى بجانب السيارة ..

ـ هل انت جاهز ؟؟

(١) ريتشارد رايت اسم بطل القصة وهو فى نفس الوقت اسم مؤلفها .

ـ نعم يا سيدى .

وسارت السيارة . كنت تعج بالشبان البيض . كانوا يسكرون ورأيت القنينة تنتقل من فم الى فم

سال احدهم ..
ـ أتريد جرعة يا صبى ؟؟

وغمرت ذهنى ذكرى سكرى فى السادسة من العمر . وملاتنى حذرا لكننى ضحكت . والريح تعصف بوجهى ..

قلت :

ـ أوه كلا ..

ولم تكد هاتان الكلمتان تنصبان من فمى حتى احسست شيئا قاسيا يتحطم بين عينى . تلك كانت زجاجة وسكى فارغة . ورأيت نجوما . وهويت عن السيارة المسرعة فى تراب الطريق . واشتبكت اقدامى باسياخ عجلة الدراجة الفولاذية . وهبط الرجال البيض وتجمعوا فوقى .

سال الرجل الذى ضربنى

ـ يا زنجى .. افلم تتعلم افضل من هذا ؟؟ افلم تتعلم ان تقول « سيدى » للرجل الابيض بعد ؟؟ »

وسرعان ما يتعلم الصبى الاسود كيف يكون حذرا بصورة كاملة . وكيف يحافظ على تحركاته . وسكناته تجاه القوم .

* * *

ومشكلة الخبز خالدة فى حياة الزنجى . فلا بد له ان يعيش . ولكى يعيش لابد له من أن يحصل على الخبز ولكى يحصل على الخبز كان عليه ان ينحنى للسادة البيض . وان يغسل صحونهم ويمسح بلاطهم واحذيتهم ولو لم يفعل الزنجى ذلك لفقد رغيف الخبز . وقد يفقد حياته على ايدى السادة البيض قبل ان يشعر بفقدانه لرغيف الخبز . وقد يسعى المرء لكى يصل الى ابعد الكواكب . لكن عندما يتعلق وجدان المرء بالحصول على رغيف من الخبز فان هذا الرغيف الضئيل من الخبز لا يقل اذن اهميته عن الكواكب نفسها . ويكره السادة البيض كل خطوة يخطوها الزنجى فى طريق التقدم . ويقاومونه بكل مافى وسعهم من قوة . والرحيل الى الشمال يمثل محورا هاما من اهتمام الصبى الاسود رايت . فهو يدخر النقود ويعمل ويقبل الذل ويرتضى الاهانة . لكى يرحل الى الشمال « شمال اميركا » حيث يخيل له أن هناك مجالا للحرية اوسع . والشمال فى الكتاب رمز للمكان الذى يجد فيه الزنجى حقوقه الانسانية الطبيعية . وعندما يصل رايت اخيرا الى الوضع الذى يهيىء له امكانية الرحيل الى الشمال . يختتم قصته بجمل رائعة موجهة الى هؤلاء الذين اغفلوا ان الزنوج بشر . هؤلاء الذين لم يأتوا ذنبا سوى أن الله قد خلقهم سود البشرة

تقديم : جمال الغيطانى

دنيا الله

تاليف : نجيب محفوظ
نقد : هانى مطاوع

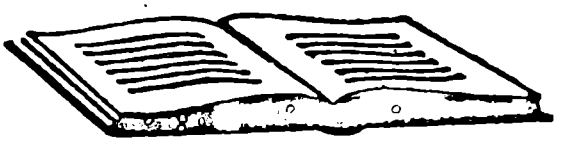

مجموعة قصص « دنيا الله » لكاتبنا الكبير « نجيب محفوظ » ، تضم ١٤ قصة مختارة من بين قصصه التى ينشرها تباعا بجريدة الاهرام .

وان كان نجيب هو بحق كاتب القصة الطويلة ، فانه يثبت فى « دنيا الله » انه ايضا كاتب القصة القصيرة المتمكن من فنه .

ارتفع الجسد مصلوبا ، ونبتت الماساة فى حمى فيئه الملقى على الارض . واحس الانسان بائمه ، فاندفع ينشد خلاصه ، بيد انه نسى لفرط اضطرابه ان جانب الماساة لا يكمن كله فى صلب المسيح ، وانما هناك ايضا هذا العسكرى الرومانى الذى طعن الجسد الهامد برمحه ، هذا العسكرى يولد فى كل عصر الف مرة .

لقد وكل العسكرى حنظل بعيدا عن دولة الحلم ، حيث كل شىء محبب ، فادرك ـ لفرط يأسه ـ أن العسكرى لم يتغير ، فقد امتدت يده بالرمح تطعن الجسد المصلوب على صليب الادمان واليأس . لو ان العسكرى الرومانى القديم فهم المسيح .. لما اقدم على طعنه ، ولو فهم عسكرينا حنظل .. لمد له يدا آدمية . لا حديدية . ولا عسكرية . ولكن جوهر الماساة ، ان كلا الاثنين يعيش وحيدا فى عالم صنعه لنفسه ، وكلاهما يعتقد انه وحده على حق ، فحنظل على يقين من انه مظلوم تاعس وان العسكرى متجن عليه لغير ما سبب ، ويتحتم عليه أن يتركه لحاله ، والعسكرى من وجهة نظره على الاقل ـ موقن من ان حنظل لا يستحق اى طعن ، فهو لا يزيد عن مدمن متشرد ، لا يفيق ابدا ، وهو مضطر لان ينفذ القانون بحرفه معه . ان المامور يقول لحنظل فى حلمه الرطيب : « الشاويش معذور فى قسوته عليك يا حنظل ، فالقانون هو القانون » . والخلاف بين الاثنين لا يقبل توفيقا ، فلا معدى من شفاء حنظل (١) .

---

(١) راجع مفهوم هيجل للماساة فى كتاب قواعد النقد الادبى ترجمة د . م عوض محمد .

س : ما هدفك يا استاذ نجيب من ربط معظم ابطالك بالفشل ؟

ج : ان اغلب شخوصى يتعثرون بعقبات اجتماعية تشير بوضوح الى أهدافى .

والواقع ان اهداف نجيب محفوظ اتضحت فى كل رواياته ، وبخاصة الثلاثية ، حيث تبلورت الاشتراكية كغاية لتطورنا ، وعلاج الآلام مجتمعنا ، وقصة حنظل والعسكرى ، صرخة الم ندت عن طبقة البروليتاريا . او عامة الشعب التى يرمز لها حنظل ، فقد كانت اولت ثقتها لنوابها فى الحياة النيابية لما قبل الثورة ، فخذلوها ، وانحازوا لصف الجهاز الحاكم البعيد كل البعد عن مشاكلها وآلامها ، المشغول بأطماعه .

المهم فى كل ذلك ، ان المأمور هو الوحيد الذى يفهم حنظل ، والذى له القدرة على تحقيق كل ما يطلب !.

والواقع أن حنظل — وان كان هذا لا يقلل من احترامى العميق لحلمه — لم يكن اول من حلم بمجتمع اشتراكى ، فقد سبقه الصول فرحات ، فى مسرحية جمهورية فرحات ليوسف ادريس ، فقد راى دنيا انفتح فيها باب الثراء لجذع غلبان زى حالاته ، فاشترى مضانع .. وبنى مساكن للعمال ، وفتح فى كل شارع سينما ، وبالامز لازم كل كبير وصغير يخش ، وعمل اكشاك قزاز فى قزاز فى وسط الشارع للعساكر ، علشان وسطهم ما ينخلش ، وجاب مكن من المانيا ، فراح المهندسين والصعايدة زارعين الصحرا ، ولبس الفلاحين بنطلونات كاكى لحد الركبة ، والنسوان كذلك ، بس دول فى غيط ، ودول فى غيط .. وعلمهم القراية والكتابة ...

الجبار :

ماساة ابو الخير بطل القصة ، هى انه لم يرتكب جريمة ، ومع ذلك فهو مطارد ومضطهد يواجه اتهاما قائما على الافتراء ، محروما من حقه فى الدفاع عن نفسه ، وقضيته هى قضية « كافكا » الخاسرة حين يواجه تهما لا يعرفها ، ويصدر مجهولون حكمهم عليه بالموت بعد ان يحرم حقه فى الدفاع المشروع !

ان فى مأساة ابو الخير ، الصورة الواضحة المعالم لماساة فلاحى مصر كلهم ، حين اغتصب الجبار «السلطة. القانون . الحياة والموت » الارض من تحت اقدامهم ، وتمرغواهم فى مخاضها والعجز يهدهم .

وثمة قضية يثيرها نجيب فى قصتيه « حنظل والعسكرى » و « الجبار» ، فهو يرى حتمية تغيير الطليعة الثورية فى مجتمعها للقانون الجديد تغييرا جذريا ، فان الجانب الاكبر من مشكلة حنظل وابو الخير هو انهما يواجهان قانونا لم يوضع اصلا لتنظيم علاقات أو لفصل فى خلافات يكون أيهما طرفا فيها ، وهما يعرفان أن هذا القانون لن ينصفهما ابدا . وهذه القضية اثيرت فى كثير من اعمال كتابنا ، ولعل من ابرزها مسرحية القضية للطفى الخولى .

وقد استعمل نجيب محفوظ الرمز فى قصتية استعمالا فنيا موفقا ، ولم يكن الرمز عنده لمجرد الرمز ، كما هو الحال مع جويس مثلا فى اغلب الاحوال (١) ، والواقع ان الظروف

---

(١) هذا الحكم على جويس اطلقه الكاتب الايطالى البرتو مورافيا فى حديث له « المجلة » .

الاجتماعية وملابسات العصر الذى يعيشه نجيب ، تفرض عليه نوعا من الالتزام باتجاهات معينة . وتاتى عظمة نجيب من انه (وكما يقول بول ايلوار) يؤثر فيما حوله مثلما يتاثربه ، وشخصيتا حنظل وابوالخير كسائر شخوص نجيب ، نماذج انسانية بتخيرها من صميم الواقع ، الا انها دائما تلقى ظلا يتخطى هذا الواقع ، انها فى رحلة الى عالم ما وراء الواقع ، تحاول جاهدة ـ دون جدوى ـ أن تعثر على حقيقتها وعلى الحقيقة الكبرى على نطاق واسع . ويقول ادوار الخراط « ان اشخاص نجيب انماط .. هم نماذج رئيسية كبرى ، أو هم بؤرات تتركز فيها الى درجة التوهج والاشعاع الحاد ، تكوينات نفسية واجتماعية دقيقة مستلهمة بحدس صادق نفاذ ، من صميم حياتنا المصرية اولا ، ثم من جوهر تشكيلاتنا النفسية التى تشارك الانسان فيها طالما كان هو الانسان » .

* * *

ولما كان الكاتب يكيف مجرد الاحداث فى قصصه وفقا لنظرته الفلسفية فى الحياة ، وللاتجاه المذهبى الذى يلتزمه ، فان قصص نجيب تضعه متارجحا بين كتاب الواقعية والطبيعية فهو يرجع سبب محنة الانسان الى تضافر ظروف المجتمع ـ سواء اكانت سياسية أو اقتصادية ـ من جهة ، وطبائع النفس البشرية من جهة أخرى عليه ، ويجب الا نغفل ذكر هذه القوى القدرية الخفية التى تطارد شخوصه فى عنف ، قدر سوفوكليس وهاردى ، والتى عبثا تحاول هذه الشخوص أن تهرب منها ، فهى تنتهى من حيث تبدأ ، وعبثا تحاول ان تستجير من شقوتها بأحلامها ، فتعيش بلا رجاء .

سالوا نجيب مرة : لماذا أنت حزين الى هذا الحد ؟ . .

اجاب : انا من جيل غلب عليه الحزن حتى فى لحظات الفكاهة ، ولم يوجد به سعيد الا من كان لا مباليا ، أو من الطبقة العالية غير الشعبية .

وليس الغريب اننا كنا نكتب قصصا حزينة ، ولكن الغريب كان أن نكتب قصصا مرحة . والحزن غير التشاؤم . فالتشاؤم رفض للحياة وانكار لقيمها . وشخصياتى محبة للحياة ، ولحياة افضل ، ولكن تصرعها ظروف خارجة عن ارادتها .

والعبارة الاخيرة تنطبق تماما على حنظل وابو الخير .. وعلى بيومى ايضا .

بيومى يشعر بانه غريب فى هذه الدنيا . الانسان يشعر بغربته عندما لا يستطيع ان يعيش وسط ماحوله ، وبيومى لا يستطيع ان يعيش فى هذه الدنيا لانها مصممة على مقاطعته . قد تكون له دنياه الخاصة التى ينعم فيها بالهناءة . وهى دنيا مفعمة باطعمة

الخلفاء ، وحسان الحريم ، وبحور الشراب ، وجبال السطل . الا انه لا يستطيع ارتيادها الا فى احلامه . وقد يكون فى استطاعته ان يتنفس وربما ان يبكى فى احلامه ، ولكنه لا يستطيع فيها ابدا ان ياكل .. ان يشرب ، ولكى يعيش فى دنيانا لابد له من جواز سفر للمرور .. لابد له من شىء من المال . وليحصل على المال لا يجد سبيلا غير القتل ، واذن فلكى يعيش يجب ان يقتل ، ولما كان القاتل يعدم ، فان وكسته تتلخص فى كلمات : لكى يعيش يجب ان يموت ! . وعندما خرج بيومى من السجن لم يكن قد وجد مخرجا لوكسته بعد ، فقد كان الجميع اعرضوا عنه ، حتى تجار المخدرات ابوا ان يمنحوه ثقتهم ، فانزوى فى ركن القهوة مثارا لامتعاض المعلم ، وتفكر فوجد نفسه وحيدا مع ام ضرير نصف مشلولة بعد موت ابنه وهروب زوجته وهو فى السجن ، وحدثته نفسه بأن يعود الى السجن ثانية ، لكانه حاسب نفسه عائدا الى الملاذ بكهف الرقيم (١) .

وكان المخرج حين عرض عليه المعلم على ركن ان يقتل الحاج عبد الصمد لقاء خمسين جنيها لحساب المعلم الكبير ، الدهل محمود صاحب وكالة الخيش وكبير تجار الكيف ، ورغم فتونة بيومى ومجدعته ، فان يده لم تقبض على جنيه بالكامل الا فيماندر . لكنه ايضا لم يقتل . ضرب وسرق ، ولكنه لم يقتل ، لم يقتل وان كانت ضربته قاتلة . وجاء يوم التنفيذ ، وانتابته بعض الافكار المثبطة ، لماذا يقتل هذا الرجل ، انه لا يعرفه ، لم تكد صورته تستقر فى ذهنه ، لا يكرهه ، ولا يحنق عليه ، ولا ياتيه اى ضرر من ناحيته ، فلماذا يقتله ؟ ولكنه تاكد فى آخر الامر من انه ان لم يقتل الحاج عبدالصمد قتل ، وان قتله ابتسمت له الدنيا ، او هكذا وعد . فتربص به فى مخبا تخفيه الظلمة ومر الوقت عليه كحز الالم ، وعندما دقت ساعة قديمة الواحدة ، كان الحاج قد ولج الشارع عائدا من سرادق صديق مات ؛ فاستل بيومى السكين وطعنه طعنة قاسية . ترنح بعدها جسده الضخم مرة ثم سقط .

ويختم نجيب قصة « قتل » بهذه العبارة : « اندفع بيومى هاربا ، وهو ينتفض ، ناسيا السكين فى صدر الرجل ، ماوث العنق والجلباب — وهو لا يدرى — بالدم » .. ان بيومى عندما استقرت قدمه على الطريق التى حسبها طريق الخلاص ، ايقن انها ليست سوى مسرب ضيق للهروب ، مبقع بالدماء ، تلاحقه فيه انفاس ضحيته حارة تلسع قفاه ، فينكفىء على وجهه ، دافعا الثمن حياته وهو يردد لو تدوم الحياة هنيئة بلا قتل . حقيقة انه ارضى الدهل ، وحصل على المال ، ولكن ما فائدة كل ذلك وهو على اعتاب العدم ، ان عفو الامر القاطن فى القلعة (٢) . وانفراج ازمة كافكا

---

(١) فى مسرحية اهل الكهف للاستاذ توفيق الحكيم يعود يمليخا وميشلينا الى الكهف مرة ثانية ، عند ما ينعدم الشىء الذى يربطهم بالحياة .

(٢) موضوع قصة القلعة لفرانز كافكا يدور حول مساح اراضى يخفق فى ان يمارس عمله فى قرية يحكمها امير نبيل مستبد اسطورى ، ذو سلطان اعمى على رعاياه ، ولكن احد رجال الحاشية يتعرفه وهو فى شبه اغماءة ويخبر طيب طويته ، فيعده بالسعى له لدى الامير ولا يعى كافكا ما يقول ذلك الرجل . وفى احتضاره يخبره اهل القرية بانه قد تم له السماح بمباشرة عمله فى الجزيرة . وتقترن لحظة النجاح بالموت الذى يتوج كل جهوده العابثة ضد المجتمع والقدر . د . لطيفى هلال .

لم يكن بالشيء المجدى له وهو على فراش الموت .

ان ثمة تشابها واضحا بين بيومى وسعيد مهران فى « اللص والكلاب » فكلاهما مطارد ، كل ما هناك ان سعيد تطارده كلاب يعلو نباحها فى اذنيه ، وكلها تعض عندما تسنح لها الفرصة . . نبويه عايش . . رءوف كلها كلاب تعض ، أما الكلاب التى تطارد بيومى فهى لا تنبح ولا تعض ، فقط تكتفى بان تحاصره حول بئر سحيقة ، وتربض امامه يوما ، اثنين . . اسبوعا ، فانفاسها تشى بتنمرها ، فتنهار مقاومته ، ولا يحتمل عذاب الانتظار ، فيلقى بنفسه مختارا فى البئر ، ليلتقفه الضياع واليأس . والعدم . .

وقد شبه الدكتور لويس عوض ، سعيد بجان فالجان بطل رواية البؤساء « لفيكتور هوجو » نموذج اللص الذى يطارده المجتمع حتى بعد أن يستوفى قصاصه . وهذه المقارنة قد تنطبق على بيومى أيضا . ولكن ثمة ما يفرق بين هوجو ونجيب ، ان هوجو يعثر على الحل المبهج فى النهاية وينتصر الخير فى شخص اللص الطيب فالجان ، على المفتش جافير رمز السلطة المتعسفة ، الذى يلقى بنفسه فى النهر . اما نجيب فيرى ان حلا كهذا لا يتوفر الا فى عوالم دراويش الرومانسية مثل هوجو اوديماس ، وثمة فارق كبير بين هذه العوالم وعالمه : فهو يعلم « أن موسى لم يستطع أن يصل الى أرض كنعان ، لا بسبب قصر حياته ، ولكن لان حياته انسانية وان انتظار الارض الموعودة يمكن أن يدوم بلا انقطاع دون ان ينتج عن ذلك شيء آخر » . ويقول ادوار الخراط . « ما من شك فى أن عالم هذا الفنان الكبير ليس بالعالم المشرق النير بالتفاؤل السهل ، ويردف قائلا : انه ما من فن كبير ويقوم على التفاؤل الرخيص القريب المنال .

تساؤل : ان كان مقصد نجيب من قصة « قاتل » هو أن يؤكد عجز الانسان أمام سطوة القدر ، فهو لا يأتى بشيء جديد .

انا لا اعتقد هذا ، فالقصة تتخطى مرحلة التأكيد للسمة القدرية الغالبة فى كتابات نجيب ، الى التحديد الواضح المعالم للدور الذى يلعبه القدر فى ادبه ، ان ايسكيلوس مثلا كان يترك للقدر ان ينزل بأبطال مآسيه الفواجع التى لايكون لهم فيها أى دخل ، او يكونوا حتى على دراية بها بحيث تنصب اللائمة كلها على القدر وحده . اما نجيب فيرى أن مسئولية القدر ليست مطلقة ، فالانسان مسئول هو الآخر عما يصيبه ، ودور القدر هو ان يؤلب جوانب السوء فى الانسان على الجوانب الخيرة فيه ، ومأساة حياتنا هى أن الشر له من القوة ما يجعله يهزم الخير . ونجيب يتذكر دائما انه لو لم يكن قابيل هو الشر والضعف الانسانى برمته ، لما تمكن القدر من تدبير جريمة الازل الاول ، التى راح ضحيتها هابيل رمز الخير الصريع منذ ذلك العصر السحيق ، ولما زاد دور القدر من يومها ، عن مراقبة اطراد الحياة فى عالمنا العريض فى صمت ووجوم .

والقصة تبرز ابعاد هذا المفهوم لدور القدر ، فالمعلم الدهل ورجالته هم رمز لقوى القدر التى تدبر فى الخفاء لقتل الخير فى شخص الحاج عبد الصمد ، وبيومى فى ضعفه ونزوعه للشر هو الاداة التى يتم بها التنفيذ .

والواقع ان خلع دلالات رمزية على القصة ، ليس اجتهادا منى ، فبيومى يقول فى موضع من القصة عن الدهل

ورجالته : « يا لهم من عصابة ، كانها خالف من المعلم ورجالته ، تحسدثه نفسه بعصيان امرهم ، ولكنه لايقوى على ذلك .

القضاء والقدر » ، فهم يدبرون كل شيء ، ومع ذلك لا يشتبه فيهم احد ، والحاج عبد الصمد ، صورة واضحة للانسان الخير المؤمن المتدين ، المقبل على الحياة بنفس راضية متفتحة ، فهذا هابيل الضحية التعسة التى لم تجن شيئا تستحق به ما حل عليها . واما بيومى ، ففى ضعفه الصورة المجسمة لضعف الانسان بصفة الشمول ، ويبدو هذا فى امور ثلاثة :

أولها : نهمه للمتع الحسية ، ويتمثل فى تفكيره الدائم فى المعجزة التى تجعل منه هارون الرشيد ، حتى يستطيع ان يفرق فى اطعمة الخلفاء ، وحسان الحريم ، وبحور الشراب وجبال السطل ، وهو فى مساء الليلة التى يتسلم فيها عربون المهمة ، يسكر ، ويسهر فى سيرك الحملاوى ، ثم يبيت ليلته عندعيوشة الفنجرية .

وثانيها ، حقده ومقتهلسائر الناس « كلهم مناكيد لا يبتسمون لغير ذويهم » ، « ذهب وهو يقول لنفسه انتم تستحقون القتل » (قد تكون الظروف القاسية التى مرت ببيومى هى التى ولدت فىنفسه هذا الشعور ، ولكن هذ لا يتعارض مع رمزيةالقصة فى شيء) .

وثالثها : ترددد وجبنه « المسألة فى حقيقتها العارية انه سيقتل رجلا لا يعرفه ، ولم تتصل بينه وبينه الاسباب على أى وجه كان ؛ لحساب ا ناس يمقتهم لحد المرض » ، ولكنه تأكد من انه ان لم يقتل الحاج قتل ، وان قتله ابتسمت له الدنيا » . . فهو

ولا ينبغى ان نختم المقال دون الاشارة الى المميزات الاسلوبية التى تتضح فى ثنايا قصص المجموعة ،

ومن ابرز سماتها ما يعمد اليه كاتبنا من المزج بين دروب المدرسة الواقعية التقليدية ، وطرائق المدرسة النفسية الحديثة فى الادبينالاوربى والامريكى ، وهى الطرائق التى ابتدعها دورثى ريتشاردسون وفرجينيا وولف وفرانزكافكا وجيمسجويس وتوماس مان ، ووليم فوكنر ـ بحيث ينجمعن اتحاد هذين اللونين فى أدب نجيب محفوظ ما يمكن لنا ان نسميه بالواقعية النفسية . فهو يلجا الى تقديم التجربة الواقعية فى اطار فنى حديث ، وذلك عن طريق استخدام المنولوج الداخلى ، واللجوء الى الرمز والتعبير عن باطن الشخوص ، كما يتبدى فى أحلامها وكوابيسها ، وهو يستخدم فى التعبير عن ذلك كلهاسلوبا خصبا يمتاز بالايجاز والقوة والصلابة وتروعنا وسائله فى الربط بين اطرافه تشبيهاته بجدتها المبتكرة حين يقرن المعنويات بالماديات .

ولاشك فى ان هناك الكثير من القضايا الفنية والفكرية التى تثيرها قصص هذه المجموعة ، ونخص بالذكر منها قصة « زعبلاوى » ، ولعلنا ان نفرد لها مقالا آخر ان واتتالظروف .

عرض : هانى مطاوع

* * *

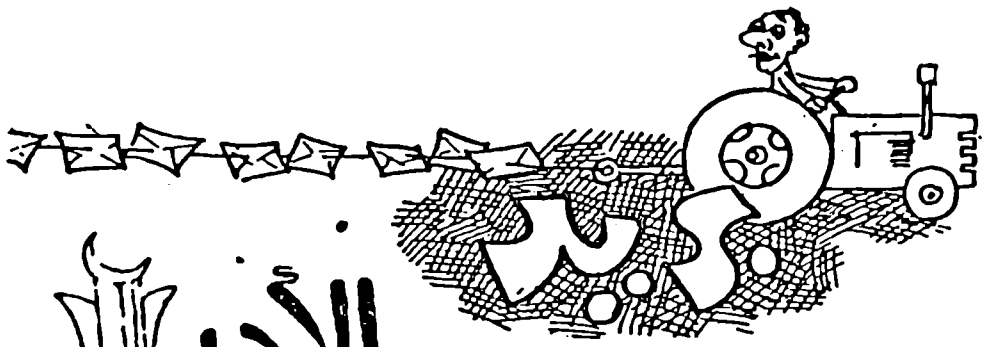

تقويم وتدريب

كريم على نفسى

هذا شعار الامناء الذى دحلوا الحياة ، ونوره يسعى بين ايديهم .

الذى لخصوا فيه كل سلوكهم الفنى والعملى .

الذى رسموا به الهدف لرسالتهم من الفن والحياة .

الذى رفعوه شعارا ساميا تلوذ به الاجيال الخالفة

ومن تركز سلوكهم ، وهدفهم ، ومثلهم فى الكرامة لن يقبلوا لحظة ما ، من ابن انثى ان يقول لهم ، فى اى ظرف ، ولاى سبب ماقاله مرسل فى خطاب اليهم :

« وهى — اى الادب — لا تعلم انه من باب التفضل قد ارسلنا ما ارسلنا »

ولو قلتم من هذا الذى يتفضل. بما يرسل لقلت لكم انه الذى يقول. فى خطابه نفسه : « وان من ينشر لهم ليس بينهم اسما واحدا لامعا « كذا » كما يقول : ان يعرف الاستاذ للناس قدورهم « كذا » ولا يكتب هذا مرة واحدة بل يكرره فى خطابين بصورة واحدة ، تلاحق ارسالهما ، فاكد ان هذا المرسل حيث وضع نفسه ، وانه يتفضل بستر نفسه اذا تفضل من هذا الميدان من غير مطرود ولو كانت الادب تقوت الامناء وتمونهم لصرخوا فى وجه الدنيا بكرامتهم على انفسهم يؤكدون المثل الابى : تجوع الحرة ولا تاكل بثديها .

فاربع على ظلعك .. ودع العصا بلحائها .. ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه

وبعد .. فاقول للشباب — وغم زلل من يزل منهم — لقد قال هذا

الباب فى مثل هذا الشهر من العام الماضى ـ يوليو ١٩٦٢ ـ ما عبارته :

« تقبلت بصبر ، بل بترحيب ، برطمة هذا الشباب مرارا ، والشتم والتوبيخ ، والتهديد ، وكنت قد اغضب احيانا ، ولكن بين قراءة الرسالة وكتابة الرد يتبخر الغضب ، وان بقيت منه طراطيش احاول تجاهلها .

« والادب » ذات امل فى الشباب دائما ، ولا تتردد فى ان تجاهره بالنصح ـ مهما يغضب » .

والآن اذكر بهذا الكلام نفسى ، واذكر أولئك الشبان بهذه الخطة ؛ وازيد عليه قولة آبائنا :

سماح يا عين .. ان عاب العزاز فيك .

لكن ذلك التقبل والسماح لن يكون قيما يتناول كرامتنا على انفسنا ، حين يبلغ العائب من الجهل بنفسه أن يحسب انه يتفضل على « الادب » فهيهات .. هيهات ..

وبالامل القوى دائما فى الشباب عدة المستقبل اتبع خطاب هذا المرسل بخطاب آخر ، عما اسميه كما يسميه قومنا :

حسبة برما

يريدون بها كل حسبة ملخبطة ، لايتبين وجهها ، ولا يستقيم ميزانها ، وهى حسبة المال والمادة فى حياة « الادب » فانها حسبة يتوه فيها المحاسب لو اراد ان يقيمها على اصل من العمل والجزاء ، والجهد والاجر مكتفيا من الجزاء بالمادة ومن الاجر بالمال ، لانه لن يجد فى عمل «الادب» من هذه الناحية ما يمكن ان يكون مبررا ماديا ، وعاملا ماديا ، للمضى فى هذا العمل ، والبذل لذلك الجهد واضع امام هذه الحسبة اولا خطاب مقترح عن ثمن « الادب » ورفعه يقول فيه :

وعندى اقتراح يا سيدى انا متحمس له اشد الحماس

ماذا ياسيدى لو رفعتم ثمن المجلة من ستة قروش الى عشرة قروش مثلا .. ان عشرة قروش فى النصف الثانى من القرن العشرين لم يعد لها قيمة .. ادنى قيمة .

ان مجلات يا سيدى مثل الجيل والكواكب والمصور وآخر ساعة والوان وما اشبه .. مثل هذه المجلات العاهرة ـ ولا تؤاخذنى فى هذا التعبير ـ تتابع صدورها اسبوعيا وبنجاح كبير .. لانها ـ ككل العاهرات لا تزال تتبرج وتتزين وتتحفلط حتى تروق لقارىء عاهر او قارىء مراهق .. مخفية بهذا المظهر الخادع الخلاب ما تنطوى عليه من روح هرمة شائخة وقلب كافر صغير وعقل ينخر فيه سوس العدم وديدانه .

اما مجلة الادب يا سيدى ـ وكما تعرفون ذلك جيدا ـ فهى شهرية تمشى على استحياء دامعة العين أو قل دامعة القلب هامسة حينا فى زمن لا ينفع فيه الهمس .. صارخة حينا ولكن هيهات ينفع الصراخ ايضا بين ناس آذانهم سميعة وقلوبهم صماء .

وانا لا اعفيكم من المسئولية يا سيدى .

الا ترى انكم تتجاهلون ظاهرة نفسية ليس الى تجاهلها من سبيل .

هذه الظاهرة النفسية يعرفها جيدا علم التسويق واصحاب الاقتصاد .. ذلك ان المشترى ـ بالتاكيد ـ يقبل على السلعة المرتفعة السعر ويناى بجانبه عن اختها المنخفضة السعر حتى ولو كانت الاثنتان بنفس الدرجة من الجودة والكمية .

ولن يكون تجارة يا سيدى او ما يشبه التجارة ان يزيد ثمن المجلة هذه الزيادة الطفيفة لانه بذلك .. وبذلك وحده يمكن ان يعلن عن الادب فى صحيفة او فى مجلة اخرى .. وبذلك وحده يمكن للادب ان تأخذ شكلا آنق .. والشكل فى مجتمعنا ـ اصلح الله حاله ـ لا يزال ذا اهمية قصوى .. ما فى هذا شك .

فهل تنفذون اقتراحى يا سيدى .. ارجو .. وارجو .. وارجو

* * *

فعلى العين والرأس رجاؤك هذا المشدد .. ولكن تكرم فاسمع شيئا من طرائف هذه الحسبة التى تظن انها تسوى برفع ثمن « الادب » الى عشرة قروش ، لان عشرة قروش لم يعد لها قيمة .. ولان الناس يشترون السلعة المرتفعة القيمة .. ولانه يمكن بذلك وحده ان تأخذ « الادب » شكلا آنق .. فى سوق التبرج .

تكرم فاسمع يا سيدى ، اسمعك الله الخير ، ـ لقد ارتفع ثمن الصحافة علمة ٥٠ ٪ من قرش الى ثلاثة تعريفة ، فرفعت الادب اشتراكها ٢٠ ٪ اى عشرة من خمسين ، فصار الاشتراك ستين قرشا ، وثمن العدد ستة قروش بدل خمسة .. فماذا كان من امر هذا الاشتراك الذى يدفع فى عشرة اعداد ثمنها هو الستون قرشا ، اى الاشتراك كله ، ثم معها كتاب بديل لا يقل عن ثمن عددين ونصف ، وقد يبلغ فى بعض السنين ثمن بضعة اعداد ؟

الذى جرى ، يا سيدى ، ان منطقة تعليمية اشتركت فى اعداد بقدر مدارسها ، لكل مدرسة عدد واحد ، لا يكفى فصلا واحدا يتبادل قراءته ـ او قراءة الخفيف منه ـ طول الشهر ، ما علينا من هذا ! فليست البلية انه عدد واحد لمدرسة فيها مئات او ما فوق الالف احيانا .. بل اسمع التالى :

ارسلت المنطقة تقول : بعد ارسال العدد **والتاكد من وصوله** ترسل فاتورة الاشتراك على دفعتين فى ديسمبر ويونية .. الخ فقل ياصديقى كيف يكون التاكد من وصوله ؟ وهل لو ارسلناه مسجلا بقريب من ثمنه نضمن وصوله ، ونتاكد ، فى هذا البريد ، الذى زادت عجائبه ، عن كل ما حكى الناس من عجائب !!

كان من طرق التاكد طريقة اتبعتها بعض مناطق اخرى ، هى ارسال اعداد الاشتراك ربطة واحدة الى المنطقة ، وهى تتولى توزيعها على مدارسها .. وكلام فى سرك يظهر انها لا توزعها ، لان مدارسها هذه تظل طول السنة تطالب المجلة بارسال الاعداد والا ابلغت المنطقة لئلا تدفع الاشتراك !! فكانها مع ما تتكلفه المجلة لارسالها ربطة واحدة ترمى ـ ككل شىء ـ فى مخزن المنطقة ، او يبيعها الفراش بالاقة ! !

يرجع مرجوعنا للمنطقة التى تحنشصت ، وطلبت التاكد من الوصول فكتبت اليها «الادب» تعرض عليها طريقة الارسال جملة ، فى طرد ، رغم تكاليفها ، ليمكن التاكد من الوصول ، وتخبرها تبعا بزيادة ..١

متيم فى الاشتراك السنوى ، فردت تقول :

... لعدم موافقتكم على التوريد حسب الشروط المبينة بامر التوريد وبالسعر المحدد فى القائمة قد تقرر الاستغناء عن الاشتراك بهذه المجلة .

خد بالك .. امر التوريد والسعر المحدد فى القائمة ، كأنها أدوات نظافة وخيش مسح !!

والعينة من دا .. واسوا ، فمنطقة وسط القاهرة تشترك فى اعداد ، فيرسل اليها خبر زيادة الملاليم فى الاشتراك فلا ترد .. ومايتين الو .. بالتليفون ، ولا حد يرد ، او يرد من يحولك على من لا يرد ..

ومنطقة كذا وكذا تشترك ، لكن فى نصف سنة اى ستة اعداد لا هى مجموعة سنة كاملة لها وحدتها وفهرستها ، ولا هى بقدر اشهر الدراسة ، وهى مع ذلك تضيع على المجلة مجموعة سنة كاملة ، اذ تضيع باقى الاعداد دشتا ، وبعد ذلك كله لاتدفع المنطقة الاشتراك بعد ارسال الفاتورة مسجلة فى العام الماضى ، ثم المطالبة بها بخطاب مسجل حتى يستهلك مقدار نصف هذا الاشتراك ، عن نصف سنة ..

وهذه امثلة من تقدير مناطق التعليم التى وضعت لها ـ فيما اذكر ـ لائحة مكتبات حاولت اغراء التلاميذ بالقراءة عن طريق تكوين مكتبات خاصة لهم ، باخذ شىء من كتب المكتبة الدورية ، وحددت لذلك نسبة مئوية .. ووزارة التربية ، والناس يشكون من قلة الاقبال على القراءة ، وهذه هى وسائل المناطق التعليمية فى التشجيع على القراءة ، والترغيب فيها ، وتأييد الصحافة الادبية المناضلة ، التى تثير طاقات الشباب ، وتشجعهم بالتقييم والنشر !!

وفى الحق ان وزارة الثقافة والارشاد القومى تعوض هذه الصدمات بتأييد للادب حرصت عليه ، منذ بضع سنوات ، مهما يكن حول هذا التأييد ، من تعويق الموظفين الاداريين والحسابيين ، لكنه فضل يذكر فيشكر .

فهل ازيد السيد صاحب الاقتراح ؛ الذى يكرر رجاء قبوله ، عينات من تأييد القراء بالاشتراك والشراء ؟ خلى المغطى مليح .. والتفت يا سيدى الى شىء مهم ، علما بالحياة لا اكثر .. ذلك هو : ان الاعلان أجدى كثيرا كثيرا من الاشتراك والتوزيع ، حتى على الصحافة اليومية ، وفى هذا الجانب من العجائب ما لا اظنك تصدقه ، ولكنه حق وصدق أدلته المادية موجودة : فكتب التراث ، وكتب السلاسل التى تخرجها ادارة الثقافة ، ويشترك فيها غير واحد ، من الامناء تأليفا وتحقيقا يعلن عنها فى المجلات ، التى وصفتها انك بما فيه الكفاية ، وتوضع اعلاناتها بين ماتعرف من الاعلانات عن اشياء لا تسمى ، وتوضع فيها أسماء الغلابة من المؤلفين والمحققين ، بين هذه الماركات ، والادوات ، والسخافات .. ولا يعلن عن هذه الكتب فى مجلة « الادب » ؟ ويكسر بعض المتطوعين على نفسه بصلة ، ويطالب غير مرة بنشر هذه الاعلانات فيعطى له نصف الصفحة الذى ظهر فى عدد يونية ، بربع او خمس ما يدفع عليه فى صحيفة يومية مثلا

ومع هذه الحالة يحصل فعلا ان ناديا من النوادى يطبع برنامج حفلة له سنوية ، فى كراسة هى بروجرام الاحتفال لا تجاوز صفحاتها بضع

عشرات ، على قدر برنامج حفلة ، فيكون فى هذا البرنامج اعلانات قيمتها ستة آلاف جنيه ، واكتبها لك بالحروف لا بالارقام ، لئلا تتهم نظرك بزيادة صفر ، ويمكن صفرين ، لان اعلان كتب الثقافة فى اكثر من نصف صفحة من « الادب » بعد الجهد بعشرة جنيهات يخصم منها دمغة نحو خمسين قرشا ، ومجلة «الادب» تطبع آلافا ، وبرنامج الحفلة طبع منه ثمانمائة نسخة لاغير !!

وعلى ذكر الدمغة يا سيدى ، تفرج لتعرف جوانب من الحياة يسعى أن تعرفها قبل ان تقترح اقتراحك : اشتركت كلية ـ باقسامها المختلفة ـ فى نسخة واحدة من « الادب » وبعد سنوات تذكرت أن تدفع اشتراك هذه السنة فقط فخصمت من ملاليم هذا الاشتراك التى تعرفها سبعين مليما دمغة ، وارسلت الى « الادب » صورة المرسل للحسابات لتسدد بقية الملاليم ،

وهذه الصورة فى فرخ ورق كامل ، مصبوغ على الماكينة ومختوم ، وعليه امضاءات ، ثم عادت وارسلت اذن بريد سندفع عليه دمغة عند صرفها وما تكلفته فى ذلك كله يزيد عن السبعين مليما التى خصمتها من ملاليم الاشتراك فى نسخة من مجلة «الادب» واحدة ، لكية آداب باقسامها المختلفة من آداب اللغاب المختلفة ، وغيرها من المواد .. ويكفيك .. ويكفينى .. ويكفى القراء من الدست مغرفة ، كما تعرف ..

فى مثل هذه الحال وامثالها مما خفى تقترح مضاعفة ثمن المجلة ، ويكون من تعليل ذلك عندك انها قد تجعل شكلها آنق ..

واسالك من ضمن هذه الحسبة المغلوطه : ماذا تعنى باناقة الشكل ؟ التلوين .. والورق أم ماوراء ذلك من مساقط الالوان ، ومزالق الابصار ، انك تعرف أن تبرج هذه المتبرجات ليس بالتلوين فحسب ، ولا بلمعان الورق ، بل بالجفون ـ والصدور ـ والنحور .. والخصور .. وسائر ما تعرف مما يعرض بالالوان والظلال .. فهل ترى « الادب » تجد مادة من « الادب » كهذه !! أو تستطيع وضع هذه المخدرات فى صفحاتها !!

ان « الادب » قد تحملت فى الشكل ما ترى انه يمكن أن يقدم ، وليس من المحتمل عندها أن ترسم رمزا لقصة يستهلك صفحتين منها ، كما يستهلك ذلك ثلثى صفحة فى جريدة يومية ، والثلث ، او ما بقى من الثلث بعد الاعلان هو كل القصة المعبر عنها .. فهل نقلد فى ذلك !!

ومن بنود حسبة برما هذه ، التى لا يعرف الحاسب لها أولا ولا آخرا الاعلان عن « الادب » !! آه يا سيدى من الاعلان فى الصحف اليومية ، انه المورد الذى اثرت لك قريبا انه المورد العذب ، لان اعلان الصفحة الاولى لا يمكن أن يحسب الا على مساحة بعينها لا يقل الحساب عنها ، ولو صغر اعلانى الى نصفها ، والاجر المقدر للمساحة المحتمة هو بضع عشرات من الجنيهات لا اقل !! .. ولا زمالة .. ولا معرفة .. ولا اى شفاعة تجعل لمجلة شيئا من اكرام حين تعلن فى صحيفة ، بل هى والويسكى سواء ، والويسكى احب اليهم ، لانه يدفع بسهولة ، ويتعاقد بالسنة ، واشباه الويسكى اليوم كثير من الكباريهات وملكات العرض الفنى اللاتى تزين الصحف بصدورهن العارية ، وبطونهن المهتزة .. والدنيا كده .. يا سيدى .. ومحسوبة .. محسوبة الف مرة .. لكن هناك مجالا لشىء من الاتزان .. أو قليل من الحياء .. و .. شوية

فى العين دى .. وشوية فى العين .. خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ..

ونحن موطنون العـــزم على بذل ما تبخل به علينا الحياة من تاييـد ليتأكد أن ضعف الفضيلة هو سبب قوة الرذيلة ، وان ثباتهم فى سـبيل باطلهم ، لن يكون اكثر من ثبـات أصحاب الحق ، فى سبيل حقهم ، وان كانوا يجدون وسائل للتأييد وضـيعة او نازلة او متحللة ، ولن نجد مثلها فانا نجد من المتعة النفسية ، فى الثقة بانتصار الخير ما يعوض علينا كـل ألم يحتمل بلذة فى سبيل هذه المقاومة .. وتظل بعد ذلك ثقتنا بخيرية قومنا وقوة الامل فيهم تغالب كل عـوامل الضعف والافـــساد . . فلتمض « الادب » على استحياء ، كما يقول الصديق ، لكنها تمضى على اعتداد ، واعتزاز يتمثل لكل مجاهد وهـــو يقدم تضحيته ، ويذهب ضحية .. ولو فكر بمنطق هذا الواقع ، وقواعد تلك الحسبة لما دنا من الميدان ، ولا سعى اليه بقدم ..

وقد شاء الله ان تدخل « الادب » الميدان فعلا ، وهى ثابتـة فيه حتى احدى الحسنيين ..

ولتـكن الحسبة حسبة برما ، او حسبة اى شىء ، فالادب قد عرفت من ذلك اعقد ما يعرف ، واســوا ما يعرف ، فعرفت معها انها تستطيع أن تحقر هذا كله .. ولا تتذكر منه شيئا وهى فى الميدان تقاتل ، ان لاح لها من ذلك شـــبح واهم ، فى فترة استجمام طردته ، وطاردته لئـــلا يخيف شبان الجيـل ، الذين تريد لهم ومنهم : **ان يجدوا فى معنـويات المنع الحيوية ما يستحيل على اصحاب المادة ان يظفروا منه بشعرة وشـكرا** شكرا على تاييد صاحب هذه الرسالة « للادب » ، وانه ليعرف معنا حقـا ان قوله فيما لم ينشر من رسالته :

« ومجلة الادب ، والحق يقال ، خليقة بهذا الحرص ، واكثر منه .. واكثر منه بكثير »

هو قول امتع للنفس من كل جزاء مادى وربح مالى .. وان مـكانه فى النفس ــ يا شباب ــ اغلى واقنع من مكان اى رصيد فى البنك ، او نقـد فى الخزانة .. وها انتم هؤلاء ترون فى الاشتركية تاييـدا وتصديقا لكل ذلك ــ ونعود ــ فى نشـوة ــ لنتابع هذا الحديث ، بقوته ورقته ، عـن رسائل المراسلين ، تقـويما وتدريبا تزكو به الحياة الادبية ، وينمو الشعور بالمعنويات ، التى هى ابقى اللذائذ ، واقـواها ، وانما يسعى الانســـان لتحقيق لذته ..

ونبدا الحديث عن هذه الرسائل باشارة الى ضرورة قدر من النقد الذاتى الذى هو فى حقيقته قدر من معرفة النفس ، مع قدر من الشجاعة الادبية اذا صحبهما ما لابد منه من حســن التقدير ، وسلامة البصـــيرة عرف الانسان ــ الى حد ما ــ قيمة عمله ، ولم تغلبه الفتنـــة به ، حتى يسىء تقـــديره ويخفى عليه بادى الشين فيه ..

وهذا القدر من النقد الذاتى ، الذى هذه عناصره يغنى اصحاب الرسائل ، ويغنى « الادب » معهم عن الاجابة على مثل قـول احدهم : انه لا يعرف : اانتاجه فى الشعر احسن ، ام انتاجه فى القصة احسن ؟ ولهذا يطالب سرعة موافاته بالراى فى ذلك ليتجـــه الى الجهة التى يرى له الاتجاه اليها ..

ولو كانت الرغبة وهى المحتـكمة الطبيعية فى ذلك واضحة .. ويجب ان تتضـــح ، ولو كان مع ذلك كله

ابسط ما يكون من التقدير الصحيح، فى جملته ، لكان الامر الى السائل نفسه ، لا الى المسئول !! واذا كانت تلك الملامح لشخصية السائل غامضة خفية الى هذا الحد فمثله لن يكون صاحب وجدان يجد وقع الوجود ، ويعبر عما يجد غيره ولا يحسن العبارة عنه ..

ان شيئا من هذا النقد الذاتى ، الذى تريد الحياة العامة ، ان يكون له فيها مجاله ، لو توافر فى جوانب الحياة كلها واولها الحياة الفنية لأغنى عن شغل الوقت ، بمثل السؤال السابق ، وبمثل هذه الاجابة ، بل لو توافر شيء من هذا النقد الذاتى لاغنانا عن كل ما نضيعه :

شيئا من النقد الذاتى يا قوم .. يجنبكم ويجنب الناس منكم مثل نظرات .. وذات صيف ويخلصكم ويخلصنا من مثل هذه المواقف .. وان لم تصيبوا هذه الطاقة من النقد الذاتى فاسألوا بعض من حولكم من ذوى البصيرة قبل ان تتكلفوا هذا الارسال ، وتكلفوا الناس منه ما لابد ان يكون فى حديث عن البريد .. واذكروا أن مثل هذا الصنيع يفت فى عضد الراغبين فى تعضيد الشباب ، وكشف مواهبه .. اذ يخشون ان يكون مثل هذا التعضيد دافعا الى طفو الكثير من مثل هذا .. ومعذرة اذا كان فى الموقف ما لا يرضيكم فانه صدى لما لا يرضى احدا من الحريصين على تأييدكم .

وقبل ان ادع هذا المقام ارجو لكم شيئا من **الوعى اليسير** يخلصكم ويخلصنا من النقد الاعجر ، ففكروا او كلفوا انفسكم شيئا من مراجعة النفس ، أو مراجعة بعض المراجع قبل ان يكتب منكم ناقد يقول :

« وقبل أن أختم الرسالة يسرنى ان اشير الى عبارة وقفت امامها طويلا ـ خذ بالك من وقوفه طويلا ـ فلقد ورد بعدد ابريل لهذا العام من الادب وفى قصة للأخ : ابراهيم ستيت بعنوان مهما كنت نذلا .. !! هذه العبارة !

احس كثيرا برغبتى فى الجلوس بالشرفة فى أوقات راحتى ، واننى ، وحسب معلوماتى ، وارجو ان اكون مخطئا ارى أن فعل لا تجمع على افعال قياسا الا اذا كانت معتلة الوسط نحو : ثوب فجمعها اثواب ، واما وقت فكيف جمعت على أوقات علما بانها ليست معتلة الوسط ؟ !!

هكذا بكل علامات التعجب ، كما هنا يكتب هذا جامعى ، بكلية الاداب، وتسأله : يا سيدى ما دمت ترجو ان تكون مخطئا ، فلماذا لا تتثبت ومثل هذا ليس بالصعب ، على طالب بقسم اللغة العربية ، بل باى قسم !! واذا كان الجمع القياسى لا يكون الا لمعتل الوسط ، كما تقول ، فاين الجمع السماعى ؟ ولو فتح القاموس ، فى مادة وقت اوجده يذكر غير مرة : أوقات . ولو راجع الكلمات الشائعة لوجد رب فعل جمعت على افعال .. ارباب ، ووجد وغد ، وهى كوقت جمعت على اوغاد يا سيد النقاد !! وبعد ذلك كله فان هذا الصنف من النقد قد مضى زمانه ، وتحركت الهيئة اللغوية المحافظة نفسها ، لتكمل صياغة المادة ، ولتشتق من الجامد ، ولتطرد ما تستطيع طرده من المصادر أو الجموع ، ولتؤمن جملة ، بان للتطور حقه من اللغة .. وللغة حظها من التطور ..

وفروا ـ يا هوه ـ على انفسكم وعنى الدنيا هذا الصنف من الكلام او النقد او النشاط مطلقا ، واقبلوا على شأنكم ، وكونوا انفسكم ، ولا تحاولوا سبق الزمن فيسبقكم

الزمن . .لا محالة .. ولا تعـودون بشيء .. واضـع

خارج النقد

مثل ما وصل بعنوان «نظرات» مما لم يستقم فيه لفظ ، ولا معنى ، ولا وزن ..

ومثل : « ذات صيف » التى يكتب صاحبها مثل : استعملوه ككرسيا .. ومثل : يحمل اضخم كرشـــا . . ومثل : ولم أرى شيئا .. الخ ، ثم فى اى شيء من القول يستعمل مثـل هذا الغلط ؟ لا ادرى ، ولا يستطيع اى قارىء أن يدرى ، فيما اعتقد ، انه راح يحلق فى اغسطس ، ويظهر انه راح يحلق عند الحلاق الذى تروى عنه الفكاهة الشعبية انه كان يبل هو وجاره الاسكافى ، من جرة ماء مشتركة بينهما ، هذا يبل فيها النعال القديمة ، وجاره الحلاق يأخذ منها ماء حلاقـة الذقون !!

فحلاق صـــاحبنا بذباب دكانه ، وتجريح موسه ، وتمزيق فوطته عند شدها وسد الجـروح بها . . شيء من القذى والقـذر يعاف الاسـكافى شريك حـــلاق الفكاهة الشعبية أن يسمعه ، أو يراه عند جاره الحلاق . فاين وجده صاحب « ذات صيف » وهو مقيم فى الاسكنـــدرية !! وعلى شاطىء بحرها فى كلية الآداب ..

الشعر

* وصلت « آه » وعلى مقـربة من سور النقد اضعها ، لانها ليست فى شيء من الشعر ، فاما الشـــكل فليس من الفصحى ، ولا من غيرها ، واما المضمون فقد اوشكت أن أعد لصاحبه فيه شـــيئا ، لكن لم تلبث السذاجة الصارخـة أن افســدت معانى ، لو سلمت لكانت تلك المعانى التقليدية المعروفة ، فى غير مضمون !! وما قيمة هذا لو كان !!

* ووصلت «لم تمت» و «لا يقول آه » ويقول صاحبهما : ان الجـدل طال بينه وبين اصـدقائه وزملائه ، ولا نعرف اينا على صـــواب : واى الكلام اكثر فائدة لخدمة وظيفـــة الشعر ، وسلامة كيانه ؟

واقول له : لقد ظللت وقتا فى مثل هذه الحيرة ، أكرر قراءة هذا الكلام الذى ليس فى شيء من الشكل الشعرى التقليدى ، ولا من الحديث حـــين يلوذ بشيء من التفاعيل ، ولا ينجو مع هذا من تعثر تعبير ، لا اظفر منـــه فى سهولة بمعنى كقوله فى « لم تمت »

ماذا لو مات حبيب وكان الاخر
لاستمر قلبانا فى عناقهما

فماذا يريد بقوله « كان الآخـر » وكيف يستمر عناقهمـا .. على أن حول ذلك ومثله معان قد تسلم ، وقد تكون جديدة وصادقة ، مع ســـوء الطريق اليها .. وآخر ما استطيع ان اقوله له يا سـيدى : اذا كان الفـن وجدانا وتعبيرا ، فانت ربما تكون قد وجدت وتجد شيئا من وقع الوجود ، مع غموض ، ورؤية مرتعشة . اما

التعبير فلم يتيسر لك بعد .. ولا أحد يدرى متى تتضح لك الرؤية الفنية ، ومتى يسلم تعبيرك عنها ؟ الزمن اقوى الاشياء .. فحاول ، والوقت معك .

* ووصلت «من وحى ثورة اليمن : الاسطول السادس ـ اسطورة تعيش فى عالم الاقزام » لسيد مدرس للغة العربية ، وعواطفه وآماله اقوى كثيرا من شعره ، فلا تسعفه العبارة فى مثل قوله : أدرك طويل العمر فالسلال فى اليمن انبثق .. فما انبثاق السلال ، وفاه الله !! وتتحكم فيه القافية فتفسد المعنى ، كقوله :

يرغى ويقذف بالهلا
ك وبالصواعق واللهب

فما اضعف اللهب بعد الهلاك والصداعق .. وكقوله : « وتراهمو يتخبطون اليوم من الم الصداع » .. والصداع اهون من ان يسبب لهم التخبط الذى يريده .. ولا يعيش فى معانيه فهذا لاسطول بينا يقذف بالهلاك وبالصواعق لا يلبث أن يكون عنده ، فيما يقول بعد : فما بدا أسطولكم أسطورة من الف ليلة .. فكيف يكون مصدر الهلاك والصواعق اسطورة من الف ليلة .. يا سيد لم يسعفك بعد شعرك على أمانيك وآمالك .. فتذوق القول بحس اقوى وانفذ ..

* ووصلت « الويل من نسل آدم » و « فى عيد الام » و « تمنيت الشهادة فى نزال » و « اسطورة الوفاء » لسيد فى الرابعة والستين ، كما يقول هو عن نفسه ، فى خطابه لامه .. وقدماه ثابتتان فى القديم التقليدى الاول ، كما بنت له « الادب » ذلك قبل الآن ، فالمعانى معان خارجية لا وجدانية ، والنظم متنى تقريرى .. واللفظ أكثر من المعنى .. والقافية تعبث عبثها المعهود حينما تحكم .. والبيت الواحد من هذه القطع المتعددة يقدم المثل الكافى لهذا كله كقوله ، الذى تقع عليه عينى بلا تخير :

والشعر يا أم اغنى ما احتفظت به
ان عشت او مت فهو الدمع يبكينى .

والنظم الحكمى اطوع له .. والشعر التعليمى مجال فسيح لنشاطه .. ولو رقت شاعريته لنظم الملحمة اذا صدقت المواتاه .. وليس فى الذى وصل ما يتسع له فى «الادب» مكان فسيح .

* ووصلت « أين الحب » لسيد قانونى نشرت له « الادب » شيئا من القصة قبل الان .. وفى شعره مطاوعة لا بأس بها ، ومعان وجدانية او عمقت عما هى الان ، واكتملت صورها ، وسلمت العبارة من يسير ما فيها من اخطاء لغوية كقوله « حتى صحيت » فى الفعل الواوى .. وتخير اللفظ الشعرى فلم يقل مثل « لم تكرنى حيث يرضى العاشقون » وهو فى الطريق الى ذلك كله على مايبدو . و « الادب » تنتظر تواليه الاتية بعد هذه .

* ووصلت من الادب الشعبى « قبلة العشاق » فى وصف روضة بالصور المكررة المزدحمة فى غير تنسيق ، فالقمر والليل ، وشمس الضحى ، ثم الفجر ، والنسيم مع وهج الشمس ، والغصون والطيور والميه ، والعنر والريحان ، والورد ، والفل ، والياسمين ، والقرنفل ، والتمرحنة ، وكل شىء مما تختلف فصول ازهاره او تتفق ، والقول عنها كما نشكو دائما اخبار عن جمال ، لا تعبير عن الاحساس به .. وعلى كل حال فان هذا الحس الفنى قد يصل يوما الى حديث عن تجربة كاملة

متسقة .. فالى غيرها .

* ووصل للزجال الصديق القديم « **مبروك يا ست** » وقد رجوت بعد تكرار قراءته ان يكون ممارسة اجتماعية حيوية عن تطور المراة ، والى اى شيء تغيرت ، ولكنه لم يلبث أن جعل أمه أكثر وعيا لهذا الجديد ؛ تحدث فى بساطة عن الحبس القديم ايام المرحوم والده ، وما فاتها من أن تكون عضوة كبيرة .. وهو وضع مقلوب ، وترديد لنغمة ساذجة لا تغنى عليها أمه التى عرفت « أن الخبا عز » ، ولو كانت القطعة كما قلت ممارسة نافذة البصيرة فى فهم هذا التطور تحدث عنه بغير هذه المعانى القريبة لفكرت « الادب » فى نشرها .

وبين **النثر والشعر** نشير الى مراسلات منهما تصل عن طريق غير مباشر ، اذ يرسل واحد عن زميله قصيدة له ، او يرسل طالب عن استاذه درسا او بحثا له .. ونحب أن نقول لمن يفعل ذلك : انه لا يملك هذا الارسال ، ولا تستطيع « الادب » أن تتلقاه عنه ، لينشر باسم أصحابه ، لانها لا تعرف انهم يريدون نشره ، على هذه الصفة ، ولا تحب أن تنسب اليهم ما لم يصلها منهم ، ولو أن هذا الفضولى المرسل قد جعل هذا الذى يرسله باسم غيره موضعا لدراسته له هو لكان له فى هذه الحالة أن ينسب لهم ، ويعزو اليهم على مسئوليته هو .. وليس مثل هذا التصرف الا ضربا من عدم الدقة فى منهج النقل ، واصول النشر — وعلى هذا الاساس لا نذكر فى رسائل الشعر او النثر ما يصل « الادب » على هذه الصفة ، ولا نشير اليه بأكثر من اللفت الى هذا المبدأ العام .. والى رسائل :

النثر

* فقد وصل ما عنوانه « **كلام فى الادب** » وهو نوع من اللم ، الذى لا يستوفى موضوعا ولا يقصد الى شيء .. وتلك شنشنة يعرفها المراقبون لناس فى اللجان او المجالس لا يحدث أحدهم بشيء منه هو ولا عنه ، بل يلخص ما قيل ، فتنتظر ماذا يريد أن يقول بعد هذا التلخيص فلا ترى جديدا ، ويكون امين الجلسة قد كتب هذا على اساس انتظار ما بعده ، فيبقى فى المحضر والسجل سوادا كبرا فى بياض فسيح ، ولاشيء له من فائدة .. وخير للشاب الذى ارسل « **كلام فى الادب** » الا يعود نفسه هذه العادة فيكون غدا من هؤلاء المكركرين الفارغين .

ولو علم القراء ان صاحب « كلام فى الادب » هو الذى اعتاد ان يرسل الى «الادب» مالفيره من شعر او نثر لرجونا له الاقلاع عن هاتين العمليتين اللتين تمهدان لفقر نكرهه لهذا الشباب مهما يكن حاله .

* ووصل **تعقيب** على ما نشر فى العدد الماضى ، من أصداء ادبية ، بلا عنوان ، وكان قد وصل من الشخص المشار اليه فى هذه الاصداء كلام كثير أرفقت به رسائل لناس كتبوها له ، فى مناسباتها .. ووصل الامر فى هذا التعقيب ، وفى كتابة المشار اليه الى تلك المهاترة التى تنحدر الى مستوى يعز على محرر هذا الباب أن يقول : انه ضرب من الكلام تنفر «الادب» من أن تنعته ، فضلا عن أن تنشره .. والمعقب والمعلق فيما تدل رسائلهما الشخصية ، التى القيا بها كانا صديقين ، فليتقيا

الله فى صداقتهما ، وليحترما ماضيهما وليستغنيا عن فصل « الادب » أو غيرها فيما بينهما ، وحسبها من ذلك ان تدعوهما الى الترفع عن مثل هذا الاسلوب ، الذى كتبا به فانه غير جدير بمن يحمل القلم ، ولكنه جدير بمن يحمل الشومة .. وشتان ما بين الصنفين .

* ووصلت قصة « بطل » لسيد نشرت له « الادب » القصة غير مرة ، لكنها تشعر فى هذه بأنها ابسر من ان تمد بطولة ، أو ما يرادف هذا التعبير ، لان هذه البطولة كلها هى أن طالبا يتصل بناد رياضى ، ويخفى ذلك على أبيه الرياضى فعلا ، وتتململ ابوه من سوء حاله فى الدراسة ، ولا يجد تفسيرا لهذا التخلف ، حتى يراه فى بور سعيد متطوعا يفعل ويفعل ، فيطمئن لان البيت سيكون فيه خلف له رياضى .. وما أهون البطولة اذن .. فتعمق .. وامض الى بعيد ، وسم الاشياء باسمها ، لان هذا التهويل من الشىء العظيم ، والتهويل فى الشىء الصغير يفسد التقدير ، ويضيع القيم ..

* ووصلت « كبرياء » وصاحبها يمس جانبا حيويا ، هو حال الابن أو البنت ، بالتبنى ، حين يعرف بعد ما يكبر انه ليس ابن هذا الاب ، وتلك الام .. ولم يعط تنويرا ما لهذا الموقف الصعب ، بل ترك الفتاة تأخذ ثيابها ، وتخرج من البيت الى الشارع وكأنما ردت لقيطة ليومها هذا وهى شابة متعلمة مخطوبة .. فهل يفعل ذلك من يكونون فى مكانها ؟ !! .. لعل القراء يذكرون قصة « فجر » التى نشرت فى عدد مابو من هذا العام ، وعرضت لموقف شبيه بهذا او اقسى صورة منه ، حين عرف الابن من أوراق أمه الخاصة ، عقب دفنها انه ليس ابن هذا الاب الذى يحمل اسمه ، ولكن الجو حوله — فيما أحاطه به القاص — قد وجهه توجيها نفسيا الى التغلب على هذه الازمة المرهقة ، والتطلع الى فجر جديد فى الحياة .. الخ ، وهذا لون من ممارسة الفن لواقعات الوجود ، والافاضة عليها من حس الفنان ، لما يجد الناس فى حياتهم ، ولا يحسنون التعبير عنه ، أو الفهم له ..

* ووصلت « وا أسفاه .. لقد مات » لسيد جامعى ادبى ، وفيها مثل : ونظنها آثار ! . . ومثل أرقظهما !! من اليقظة .. ومثل : ابتسمت الى ابنها ! .. ومثل : لن يعجز على أن !! .. ومثل : كانت امه جحود ! .. كما يكتب : فتثائب . على ياء ! وسقاءا الفين . . وصوره البيانية أشد مفارقة كقوله : القت بدموعها تنهمر ، وكفكفت التنهيدات ! .. وقوله : ويلازمه الى غير رجعة !! ولا يعرف ما يريد من مثل قوله : سكون دون سكون المقابر .. قاصدا أن سكونها أكثر من سكون المقابر !! انه صاحب ذات صيف ، التى وضعت خارج النقد .. وما أغرب وما آسف أن يجىء هذا من الجامعة ، ومن الآداب !!

والى دردشة مع أصحاب الرسائل والقراء :

محرر .. أو محررو هذا الباب .؟

لعل « الادب » قد أجابت غير مرة عن مثل هذا السؤال ، وقالت ما خلاصته : أن فنون القول من الرسائل يقرؤها ذو اختصاص فيها ، وقد يكتب ما يكتب عنها ، وقد يضع نقطة على هامشها ، فيتولى صياغتها صاحب هذا الباب ، الذى لا يجب فى العرف الصحفى أن يعرف شخصه القراء .. ولا يعنيهم هذا كثيرا ..

لكن ذلك يعد فى حساب بعضهم موضع نقد .. بل موضع عجب .. اذ سال عن اسم المحرر الكريم فلم يجد اجابة صريحة .. وماله يا سيدى .. ثم استنتج بالمعيته ان كاتب هذا الباب هو فلان ، فصار السؤال عنده الآن : كيف يحدث فلان هذا عن نفسه ، أهو اللامعقول وبدعته !!

واقول له : يا أخى لا هو اللامعقول ولا اللامفهوم .. ولو صح ما قلته رضا فان من حولك فى قسم اللغة العربية من طلبة ، قبل الاساتذة ، يذكرون شيئا اسمه التجريد ؟ فاسالهم ما هو لتراه معقولا ومفهوما قديما .. لا بدعة فيه ..

طلب عنوان

ويا ترى هل من الفضول ان ابلغ السيد علاء الدين وحيد طلب غير واحد لعنوانه ، فيكون ذلك كالسؤال عن محرر أو محررى باب البريد ؟ ! لا اظن ذلك لان الشخص معروف فنيا ، ومعروف بتخصصه فى ذلك ، والمطلوب معرفة العنوان .. لا غير .

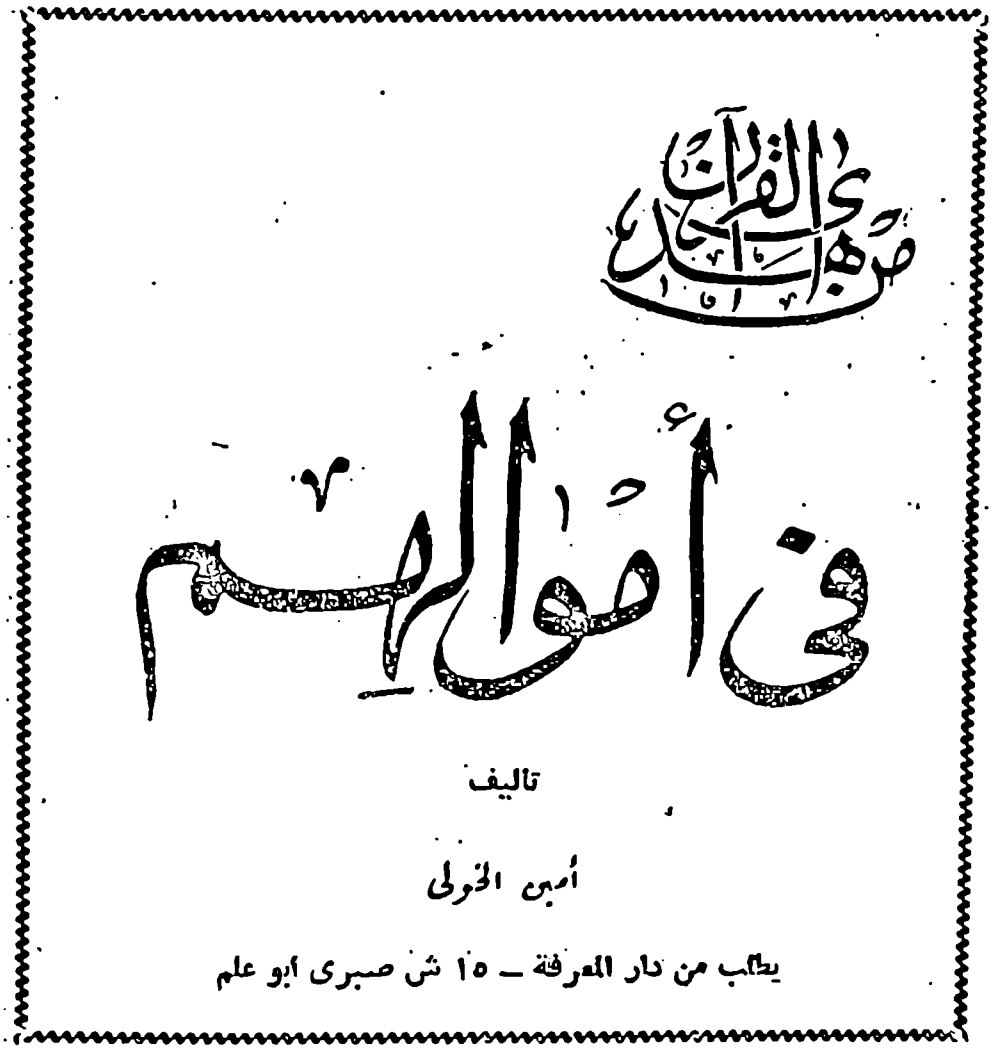

الأدب

فنية • شهرية
يصدرها الأدباء

الادارة: مصر الجديدة. العجم: ١٣
ت: ٦١٧٥٠

الرسائل الفنية والمالية ترسل باسم
أمين الخولي

الرسائل الادارية ترسل باسم
محمد جابر عبد العال

الاشتراك:

الجمهورية العربية	٦٠ قرشا
الخارج	٩٠ »
ثمن العدد	٦ قروش

البريد الجوى والمسجل بحسابه
تصدر فى اليوم السابع من كل شهر

العدد الخامس ـ أكتوبر سنة ١٩٦٣ ـ السنة الثامنة

دار الهنا للطباعة ت: ٧١٢٢٧

مع الرسالة والثقافة
أمس.. واليوم

- ١ -

ذكـــريات

تحية عاطرة .. للرسالة والثقافة

وتحية الرسالة والثقافة هنا مكانها .. وهذا قلمها .. وتلك بواعثها ، من الذكريات التليدة الطويلة .

فالرسالة والثقافة ليستا الا انبثاقتين من لجنة التأليف والترجمة والنشر ، التى عرفت عضويتها منذ عقود من السنين .

ولا كهذا القلم ، ذو قدرة على المضى مع الرسالة والثقافة مضـــيا يتصل بماض من أعوام ، كانت نضرة العمر ، وجلوة الحياة ، اذ الشباب غض ، والنشاط جم ، والامل واثب ، والعزم صادق ، والجد عارم ، فى أعوام تتلو أعواما ، ومناسبات القول متجددة ، والتعاون فرض ، والقلم طيع ، والرسالة تتلقى وتؤدى .

وما انس لا انس ـ مهما يبعدالعهد ـ اذ خرج الزيات من العراق، وهبط القاهرة ، فتلقاه اصحابه ، من مشيخة لجنة التأليف يؤمنونه .. واذا اعلان عن مجلة تسمى الرسالة ، واذا تناد بالتصميم ، على أن تعيش هذه الرســـالة ، ويعمل الزيات .. فيكتبون ويكتبون ، واكتب واكتب ، حتى يبلغ ما كتبت فى الرسالة ، على حدس بعض الشبان ، أن يكون كتابا مفردا ، يستاذن فى أن يخرجه مطبوعا ، فلا امانع ، لانى احتاج الى الرجوع لبعض ما فيه ..

وشهد الله والناس اجمعون انلم يدخل يدى من هـذا كله ابيض ولا اسود ، الا أن يكون اسود الحبر على هامة الاصبع الوسطى ، وجانب

السبابة ، اذ كانا آنذاك لا يحملان تلك الريشة الطيعة التى لا تمل ولا تغمس أياما .

وكان ذلك عن رأى فى الفن والمادة ، لم يلبث أن صار مذهبا يدان به ، ويذاد عنه .

ثم كانت « الثقافة » بعد ذلك ، لشيء مما يكون بين الناس ، رأت لجنة التاليف من أجله أن يكون لها مجلة ، لاسباب .. والاسباب واذكر ، لقد سئلت وقتها الرأى فى تسميتها فقلت « اقرأ » فقال الزميل السائل ، رحمه الله ، فان قال : ما أنا بقارىء ! ! فقلت اذن فهو نبى .. وكان اسم « اقرأ » بعدها نصيب سلسلة دار المعارف المشهورة

والرسالة والثقافة صدرتا عن أفق واحد ، وتصور واحد ، وهدفتا الى هدف واحد ، فكانتا صورة حقبة من المحافظة الرزينة ، فى الحياة الادبية لهذا البلد ، فى وضعه الاجتماعى المعروف ، الذى كان صاحبهذا الادب المحافظ فيه يبارك نشاط المال الناجح وينعى على الفقير الفاشل .

ثم تتغير الدنيا حول الرسالة والثقافة ، والتطور ماض فى سبيله ، والتحول جاد سريع بسرعة الدنيا حوله ، وهما تنظران الى ذلك كله نظرتهما الخاصة

وتكتهل الرسالة ، وتكبر الثقافة ، والزمن أقوى الاشياء ، وفعلهبهما ماض عنيف ، واجيال الشباب تتوثب حولهما حياة ، وتستجيب لكل جديد ، ودبيب الشيوخ ، وهدوء الكهول لايرضيهم ، ومجال نشاط الشبان مسدود أو محدود بذلك كله ! !

ولا تمتنع «الرسالة» ثم «الثقافة» عن ان تسلم كل واحدة منهما قيادها الى شباب أمناء معروفين ، فيحاول هذا الشباب ما يحاول ،بنظرته وطريقته ، فيكون بينه وبين الشيوخ مايكون على عادة الاجيال ، وسنه الاخلاف من الاسلاف

وتستريح «الرسالة» ، وتهدأ «الثقافة» لاسباب لا مفر لمتابعالتطور من رصدها ودرسها ، فينتهى — ولابد — الى ان ذلك قدكان وفقا لعوامل تسير الحياة الادبية والمادية جميعا ..

والحياة فى هذا الحين قد جد جدها ، وطار خطوها ، وبعد أملها وهدفها ، وعنف نضالها .. وينعى النعاة شهيدتى التطور ، بما ينعى به كل ذاهب بعد ما يروح المقبرة .. ثم يجد جد الحياة اليوم ، فيبعث الرسالة ، و « الثقافة » خلقا يرجىأن يكون جديدا .. « تحيتهما فيه « الادب » تحية عاطرة ، تحفها تلك الذكريات العتيدة ، التى تثيرها تلك الصلة الوثيقة ، فيما كان ، وفيماسيكون ان شاء الله . .مهما يكن من أمر أو رأى

ـ ٢ ـ

تجـــــارب

أمانة صادقة تؤدى للرسالة والثقافة من نتائج تلك التجارب الطويلة التى مارستها معهما ، ثم مارستها بعدهما فى مجلة « الادب » ثمانى سنوات مع ممارسة للشباب ونزوعهم ثلث قرن .

والامانة رسالة هؤلاء الامناء ، المكلفين بادائها ، تكليف رائد لا يكذب اهله .. ومؤمن هو مرآة اخيه .
وتلك **الامانة** ، شعارا لهم ، هى رأس التجربة ، وملاكامرهم فيما تنادوا به منذ نحو ربع قرن ، ويسمعون فيه اليوم كلمة غيرهم عنها اذ يقول :

« .. ان من الواجبات على الاديب اثبات الامانة ، لان الامانة تحمله على ان يكون شريفا تجاه نفسه وتجاه غيره ، فهى تفرض عليه الزاما غير قابل للنقض ، يرفض بموجبه كل تدخل اجنبى فى مثله الاعلى ، الادبى والفنى ، كما انها تجعله فى الوقت ذاته عديم المبالاة بالوعد والوعيد ، ولن تالو الامانة ، فى اقناعه بان لا حسيب عليه الا الحقيقة ، والحقيقة وحدها » .. (١)
تلك هى **الامانة الفنية والاجتماعية** ، التى تحدد افق الفن بعامة والفن القولى معه ، وتعين مستواه ومكانه بين نشاط الانسانية ونزوعها ، فلايكون الفن بكافة ، **الا شيئا فى الحياة ، ومن الحياة ، وللحياة ، يشارك فى طموح الانسانية الى الحياة السعيدة ، ومن اجل ذلك ترادف فى شعارهم وهتافهم انهم : الامناء ، مدرسة الفن والحياة** . وما يعنون من ذلك الامعانى صرفة لاشخوصا زائلة .. وما هم ـ فيما كرروا ـ الا مدرسة ادبية ، لا جمعية ولا شبهها .

واحب ان تقدر الرسالة والثقافة اليوم بحرمة العهد الذى لقيتهما عليه امس ، ان هذه الامانة تسمو .. وتشف .. وتعظم .. وتدق .. حتى تغتظم كل ما احب ، وتحب الحياة أن اتواصى واياهم به ، حتى نكون فى قومنا لسان صدق يؤدى لهم مايطمحون اليه من مهمة كبرى للفن فى نهوضهم ، وتطلعهم ، وجهادهم .. ونكون فى حياتهم شيئا ليس نافلة .. ولا ترفا .. ولا اهون شانا من اقوى ما يتسلحون به ، فى هذا الجهاد من نضال .. ونشاط .. ووعى .. وايمان بالنفس .. وشعور بالذات .. وثقة بمستقبل مجيد ، اصحاب الفن هم اصح الناس له فهما ، واهداهم فيه رأيا .
فما **الامانة** لانفسنا ولقومنا الا ان يكون الفن **سيادة وقيادة** .. يتلقى من الافق الاعلى هتفاته ، بالكلمة الوجدانية فوق كل اعتبار مادى ، ومنفعة شخصية ، ومسايرة مصلحية .. وتحت ذلك معان كثيرة تشير الى آفات قديمة ليس اليوم موعد الافاضة فى بيانها .

---

(١) طه حسين : من بحث عنوانه « الاديب فى المجتمع الحديث » ، قدمه لليونسكو وترجمة الدكتور ابراهيم الكيلانى ، لمجلة المعرفة الدمشقية ، فى عدد يوليو ١٩٦٣ .

وما الامانة لانفسنا ولقومنا الا ان يكون **الفن كله وحدة تعبر عما تجد** بالنفوس ، فتجسم خفق القلوب ، وهمس الضمائر ، وتؤدى من ذلك مايجده اهلها معها ، ولا يتهيا لهم من التعبير عنه ما استطاعه الامين لهم بفنه السمعى والبصرى ، قولا وغير قول .

وفى هذا الاجمال تفصيلات كثيرة للاحظ عن نقص ادبى .. لبيانها مجال افسح .

وما الامانة لانفسنا واهلينا الا ان تكون الصحافة الادبية **كتاب الدعوة** الفنية المقدسة ، المستشرفة لسامى الاهداف ، وكريم الآمال .. كتاب لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وكم ذا يختبىء تحت هذا التعبير من صرخات وشكاوى من هذه الصحافة ، التى تعرف سبيلها الى غير قلب القارىء ، ووجدان المواطن وتقيس نجاحها بمايقيسه به مهرج يمشى على يديه ، ويثب وثوب البهلوان المأفون !!

تلك ، ومثلها معها معان من الامانة ، ومعاناة فى سبيل الامانة ، جهرت بها « **الادب** » سنوات ، ولا تريد لتجملها هنا فى ذلك المقام ، فالرسالة والثقافة اذكى من ان يفصل لها فى مثل هذا الكلام ، أو تحتاجا الى عبارة مكان اشارة .

لكن واحدة من ذلك كله هى عندى احق بالجهر الصادع ، والصراحة الصارمة ، وهى :

الايمان بالشباب ايمانا يصدر عنه الشعور الصادق بانهم **اصحاب الغد** وانهم الابناء الذين نحب ، نحن آباءهم ، ان يكونوا خيرا منا واكمل

ولن يفوت هذا « الرسالة » والثقافة ، ولا يصح ان يفوت غيرهما فردا أو هيئة ان هؤلاء الشبان هم صناعة التطور ، وعدة المستقبل وانهم كما قال الاول ـ **خلقوا لزمان غير زماننا** ، وان مبلغ الكمال فينا هو الشعور بالنقص ، نتلافاه فيهم .

وفى الحق ـ يا قادة الثلث الثانى من القرن العشرين ، وصناعة الثلث الاول منه ـ ان الدنيا بعدنا وبعدكم قد تغيرت وتحولت تغيرا وتحولا سريعا طائرا . خاطفا ، صاروخيا .. فاذكروا يا من لا يزالون يعيشون فى ذلك العصر او قبله ان التطور الانسانى بعدكم قد اتم فى لحظات مالا يتم فى اجيال وادهار .

اذكروا ، يا رفاق ، انا وانتم قد فتحنا عيوننا فى غبش الفجر ، وعلى ظلام يلف الضوء .. والآن ، بعد بضعة عقود من السنين قد فاض النور ، وسطعت الشمس وغمر الضياء ، واصبحت الرؤية بعيون ابناء هذه الايام

اوضح .. واعمق .. وادق مما كنا نرى ، ونحن نتلمس طريقنا فى شبه غلس ، وامشاج ظلام .

لا تنسوا ، انا وانتم ، يوم اريد لنا ان نعرف شيئا من نواميس الكون لم يستطع المدبرون لذلك ان يسموا ما ندرسه علم الطبيعة ، **لان القول بالطبع والعلة كفر عند اهل الملة** .. وسموا ذلك الدرس : خواص الاجسام التى اودعها الله تعالى فى خلقه .

واما الآن .. والساعة فلم يعرف جيل هذا الشباب بفتيانه وفتياته طبيعة ما حوله ، فحسب ، بل راحوا ينفذون من اقطار الارض ، ويخرجون من جاذبيتها ، ليسكنوا كواكب اخرى . فهل ترون ما سمعه اصحاب خواص الاجسام يمكن ان يقال امام اصحاب **انعدام الوزن !!**

ان هذا الشباب قد غاص العلم حوله ، فى اعماق النفس البشرية ، على مثال ما خلق هذا العلم وراء اجواز الفضاء ، وصار له من هذا التعمق الدائر ، والتوثب الطائر ، مالا يحل لنا معه ان نكشف انفسنا بالحديث عن عمود الشعر ، ونصاعة اللفظ ، وجزالة الديباجة !! واى عمود ، وقد طارت الخيمة كلها ، وذهب مع الريح عمودها وطنبها ، ووتدها وعفت السوافى على ثويها .. فهل نقتل انفسنا بحثا عنها ، وجريا وراءها ! !

واخزى ما يخزى ان حولنا وحولكم مالا اساس له ولا دعامة ، ممن تسلق شيطانيا ، وتوثب بلا منهج ولا مدرب فهو ينفى عن نفسه ويثبت وينقض ما يبرم ، فاذا هو يصرخ حينا بان الانطلاق الحى قد احوج الى التخلص من ظواهر قيود الوزن ، واغلال القافية ، ثم اذا هو بعدها ينعب مع بوم الاطلال الخربة أن لامكان لجديد !! فهل ترانا نلقى بهذا الوجه ذلك الشباب ، الذى لا يسمح لاحد ما ، ولا لشىء ما ان يحدد انطلاقه ، او يحبس وثوبه ، اذ لو احتمل شيئا من هذا السجن والكبح لما مضى عقله يخترق تلك السبع الطباق ، على ما كان ونفذ .

كل التجارب فى جوف هذه التجربة يا رفاق ، فلو حفظتم من ثقة هذا الشباب بنا مايصفى معه الى دعوة منا صادقة للاحتفاظ بشخصيته .. والايمان بقوميته ، فلا عليه بعدها ان يقيم التراث .. او يجدد الفد .. او يتقدم ويترقى ما شاء له التطور السارى فى كيان الدنيا .

ومع التفصيل ، بعض الشىء ، فى هذا الايمان بالشباب فان **للقول فيه بقية بل بقايا** .. فهل انتم مصدقى فى هذا الاصل والاساس فمحسنون انى انفسكم بذلك ، ومستجيبون لواقع الحياة ، لنؤدى من الامانة مانستطيع جميعا اداءه .. وما اصعب هذه الامانة وما اجدر الواعين ان يشفقوا منها ويأخذوا عدتهم لادائها .

عمر الأصنام

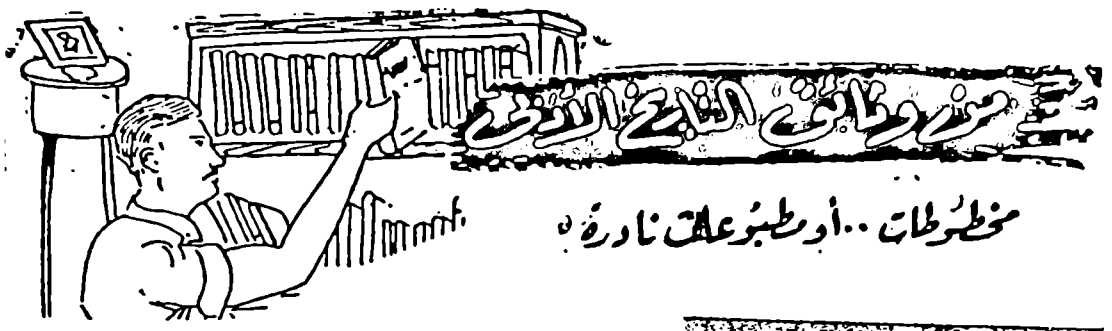

عبد الرحمن شكرى
فى رسائله الأدبية

— ٣٥ —

١٩٥٦/٩/٢٥

الأستاذ . . .

تحية واحتراما . أرجو ان تبلغ شكرى للاستاذ اسعد حسنى ، والاستاذ عبد المنعم عواد يوسف ، والاستاذ اديب كدوانى (١) وان تخبر الاستاذ اسعد حسنى انى بحمد الله استطيع ان امشى ! وان كنت فى بعض الاحايين يثقل عندى السعى والكلام .

— ٣ —

ويوجد فى العدد بعض الاغلاط المطبعية — اذا شاء ان يصححها فى عدد قادم فله الشكر . ولو ان الناس قلما يهتمون بذلك . وهى كما يلى فى الصفحة التالية (٢) .

اذا شاء صححها ، واذا شاء تركها وانا شاكر فضله وفضل الاستاذ عبد المنعم عواد ، والاستاذ اديب كدوانى .

المخلص عبد الرحمن شكرى

— ■ —

— ٣٦ —

١٩٥٦/٩/٢٦

الأستاذ . . .

بعد التحية . ما كنت اظن انه يوجد فى الوجود من قرا قصيدة

(١) يقصد الادباء الذين كتبوا عنه فى مجلة « العالم العربى » — العدد الخاص بشكرى .
(٢) ذكر الشاعر كشفا بما وقع فى اشعاره من اخطاء مطبعية فى ذلك العدد .

« شهداء الانسانية » ، و « المصر الذهبى » و « نحو الفجر » و « فن الحياة » ـ هذه القصائد الاربع ـ ولكن الظاهر انه فيه من قراها وتذكرها فمن هو عبد المنعم عواد الذى استشهد بها ؟

والظاهر انه فى الاغلاط المطبعية ـ اغلاط اخرى . فمثلا فى صفحة ١٥ جاء : (ولا يردى) فانكسر البيت . والمعنى ، والصواب : (ويردى الفاسد القدر العجول) من غير لا .

وفى صفحة ١٩ جاء : فيخمد ـ والصواب فيحمد ـ ارجو ان لاتوجد اغلاط اخرى .

سلامى الى الأستاذ اديب كدوانى والاستاذ عبد المنعم عواد ، والاستاذ اسعد حسنى . (١)

ارجو الله ان يكفينى بحظى من انشغل فى الجانب الايسر ، وبما اشعر به من الضعف ـ والسلام .

المخلص عبد الرحمن شكرى

ـــــ ■ ـــــ

ـ ٣٧ ـ

٢٩ سبتمبر ١٩٥٦

الأستاذ . . .

بعد التحية ـ ارسلت اليكم اليوم بالبريد طرد به كتاب عن قصص اناطول فرانس ، وموباسان وغيرهما . واتمشم أن يصل .

اشكرك على المقالة .

توجد بعض الاغلاط المطبعية مثل (حسنى عياد) والصواب (حسن عياد) . ولا يوجد ابن الرومى بين دواوين المكتبة . لأن ديوان ابن الرومى لم يكن طبع .

اتمشم ان تعجبك القصص .

المخلص عبد الرحمن شكرى

ـــــ ■ ـــــ

ـ ٣٨ ـ

٣٠ سبتمبر ١٩٥٦

الأستاذ . . .

بعد التحية . ارجو ان لاتزعل ولاتغضب لانى اوضحت بعض الأغلاط المطبعية .. والواقع انى اظهر منها بعضها دون كلها . لأن الأغلاط بعضها دقيق ـ مثلا الفاء والقاف ـ (وهل يستقاد الحر ما دام آبيا) ص ١٦ بالقاف يستقاد (بدل يستفاد بالفاء) اى يقاد بدل يستفاد .

والحقيقة أنها هذه اغلاط مطبعية لا غير ـ اصلها مكتوبة صوابا .

وكذلك مقال الأستاذ عبد المنعم عواد يوسف ص ١١ (اذا ما هالك الفوه ظلوا) ـ حرفتها المطبعة الى انقوة بالتاء . ولا ملام عند المؤلف الناقد .

واعيد شكرى على هذه المقالة الجليلة .

المخلص عبد الرحمن شكرى

---

(١) يكرر الشاعر شكره لمن يكتب عنه . وقد ابلغتهم شكره لهم فيما عدا الاستاذ كدوانى فقد توفى الى رحمة الله فجاة يوم صدور العدد .

— ٣٩ —

الخميس ٤ اكتوبر ١٩٥٦

الاستاذ . . .

اسفت اسفا كثيرا لوفاة الاستاذ اديب كدوانى . وهكذا الدنيا والمرء فيها يأتى ويروح وكأنه لم يكن !

مادمت تفكر فى عمل كتاب ادبى فيحسن ان اشير لبعض اغلاط مطبعية اخرى : (١)

ففى صفحة ١٦ (والخوف ينقض عقدة من عزمه) — ينقض بالقاف .

١٦ (وهل يستقاد الحر ما دام آبيا) — يستقاد بالقاف .

١٦ (له فى القضاء امر الحكيم) — القضاء بالقاف .

٢٢ (فى مكتبة ابيه ديوان ابن الرومى) — لم يكن موجودا ولم يكن طبع .

٢٢ (القوافى والعروض على طريقة الاعراب) — القوافى والعروض لادخل لها بالأعراب .

وتفضلوا بقبول عظيم الاحترام

المخلص عبد الرحمن شكرى

— ■ —

— ٤٠ —

١٩٥٦/١٠/٥

الأستاذ . . .

بعد التحية — لا تظن انى غضبت لكثرة الاغلاط . وكيف ظننت ذلك يا استاذ ؟ اظهار الغلط ليس بغضب بل ان انكار الصواب هو الغضب . ان انكار الصواب على كثرته هو الغضب . فهل كان الواجب واللازم ان امضى الساعات الطوال فى اظهار الصواب اظهارا ظاهرا لكل قارىء ؟ لا — لا داعى لاظهار جيد الاختيار وانما اردت ان لايقع الغلط بين الصواب . ولا سيما اذا أريد التمييز فى طبعة جديدة .

المخلص عبد الرحمن شكرى

— ■ —

— ٤١ —

١٩٥٦/١٠/٦

الأستاذ . . .

كيف انسى انك قلت : انم لم انسى وطنى الراسف فى اغلال الاحتلال والجمود والرجعية — الخ .

وكيف انسى انك استشهدت ببعض من اللامية (صفحة ١٥) والنونية (ص ١٥) والبائية (١٦) واللامية (١٦) وغير ذلك مثل صفحة (١٧) الميمية .. الخ (٢) وكل شىء استشهدت به .

فكيف انسى انك استشهدت بابيات من احسن الشعر وانك مدحتنى كل المدح ؟ امن اجل اغلاط قليلة انسى كل هذا الفضل ؟ لاتحسب ذلك .

المخلص عبد الرحمن شكرى

---

(١) يقصد الاغلاط المطبعية التى وقعت فى شعره بالعدد الخاص من المجلة — ولم تصحح

(٢) صفحات المجلة — التى نشر بها بعض ابيات شعره .

— ٤٢ —

١١ اكتوبر ١٩٥٦

الاستاذ . . .

بعد التحية — ان رسالة الاستاذ الجليل مصطفى غنيم دليل على ما ذكرت فى خطابى من انك قمت بمجهود كبير لا يقلل منه ما جاء به من الأغلاط المطبعية او غيرها .

ولا يسعنى ان اشكرك كل الشكر عنيها فانك قد اوضحت انى قد التزمت تاريخ حياتى الاول فى دواوينى فى قصائد قد اظهرت ما خفى منها . وما بعد الدواوين مثل قصيدة (سنة ١٩١٩) الخ . . قد سار على نهج الدواوين .

وقد اظهرت ان العقيدة الدينية كامنة فى النفس مثل العقيدة الوطنية ودعوتى الناس اليها ، ولم يقلل منها الحزن والالم .

واظهرت عقيدتى فى البطل المنتظر الذى قلت به فى كل ديوان مضى . فما كان يمكننى ان افعل اكثر من هذا .

ولكن الشاعر المنسى لم يكن منسيا كل النسيان . بل كان بعض النسيان به غيظ وبه حقد لا اعرف بسببه ، حتى طلبت ان استزيد من النسيان(١)

اما كتابى القصص الفرنسية ، فقد كانا كتابين — كتاب قصص بلزاك الخ وكتاب قصص موباسان وانا طول فرانس الخ . . الم تستلم الثانى كما استلمت الثلاثة الاول ؟ (٢)

سلامى الى الاستاذ الكبير مصطفى غنيم (٣) .

المخلص عبد الرحمن شكرى

— ■ —

— ٤٣ —

٢٦ اكتوبر ١٩٥٦

الاستاذ . . .

بعد التحية — اذا كنت عزمت على طبع المقال فى شكل كتاب (اى مقال المجلة) ، فيحسن اضافة بعض اشياء زائدة — مثل الكلام عن سعد المغربى (ص ٢٢) بعد الكلام على اسرة سعد (اسرة مغربية قديمة) — يزاد : « وهذه الاسرة المغربية اول ما نزلت فى مصر ودخلت فيها ، استقرت فى بنى سويف جنوب الجيزة التى استقرت فيها اسرة حسن عياد المغربى) . (٤)

« وكانت والدة محمد شكرى عياد مغربية ايضا بنت السيد محمد المغربى . وقد عمرت طويلا . واذكر انها كانت مولعة بقصص الخيالات وكنوز الذهب — حتى ان الاطفال كانوا يصدقون ما تقول . وكانت قد ابقت على نصيب من جمالها . وكانت تصيح اذا لم يصدق اهل البيت قصصها . فكان صوتها مسموعا فى البيت دائما !

---

(١) اشارة الى مقاله بالمجلة لقب فيها احد الكتاب شاعرنا « بالشاعر المنسى »

(٢) يشير الى بعض مجموعات من القصص التى اهداها حين كنا نتبادل هدايا الكتب .

(٣) اديب كتب عن شكرى مقالة بالمجلة .

(٤) اضافات نسيت من تاريخ اسرة الشاعر وذكرها هنا للايضاح .

بودى ان تقـــرأ كتاب ستاسى اوموتيه ، والمقدمـــة التى كتبها جالزورذى !

— ٤٤ —

٢٨ اكتوبر ١٩٥٦

الأستاذ . . .

بعد التحية — وهذه قطعة اخرى تضاف الى الكتاب عنـد الكلام على سعد المغربى (ص ٢٢ راس اســرة مغربية) : (١)

« وقد نبغ فى الهندسة (باشمهندس) حتى صار رئيسا . واثرى واسرف وخلف نســلا كثيرا من الاحـرار والعبيد . وصار أولئك الذين خلفهم لكثرتهم لا يعرفون بعضهم بعضا .

وقد اندثر بعض هذا النســل اندثارا عجيبا . وبعضـهم اختفى فى طيات النسيان » .

عند الكلام على رفت الشاعر من مدرسة الحقـوق ، قل انه اتهم بالتحريض على الاضراب . ولا تقـل أنه حرض على الاضراب .

وعنـد الكلام على قصـــيدة « الامل » قل انها طويلة ، واستشهد بابيات منها . واذا لم تقدر أرسلت اليك ابياتا . وكذلك عند الكلام على قصيدة « الفصول » استشهد بابيات منها ، وبابيات من قصيدة « نحـو الفجر » .

ويستحسن أن أطلع على المقـالة اذا استصوبت ذلك .

المخلص عبد الرحمن شكرى

— ■ —

— ٤٥ —

١٢ نوفمبر ١٩٥٦

الأستاذ . . .

بعد التحية — لماذا انت مقيـم فى برما الى الآن وقد سافر المدرسون والنظار الى بلادهم ؟ (٢)

ان الحـرب قد التهمت كل شىء عندنا . فقد فقد ابن اخى الاصـغر فى السويس . وابن اخى الاكبر لانعلم عنه شيئا فى بور سعيد . وهـــدم الجزء الاعلا من منزلنا فى بورسعيد. وربما اذا طالت تقضى على البقيـة الباقية منا .

المخلص عبد الرحمن شكرى

---

(١) كان شكرى على احدى جلساتى معه قد وافق على ان اضع عنه كتابا ، ففوض الى نشر شعره ونثره والكتابة عنه بما اشاء . واطلعنى على حيـاته وشهاداته وتواريخه . ولكنه كان ينسى احيانا بعض الملاحظات فيكتبها فى رسائله هذه .

(٢) كنت ناظرا لمدرسة برما الاعدادية — طنطا — ولم اتركها لاشتغالى بالتعبئة العامة فى حرب بور سعيد . وهو يشير فى هـذه الرسالة الى تحطيم طائرات العدوان الثلاثى لبيت الشاعر فى بور سعيد واسر ابنى اخيه الضابطين البحريين فى أواخر اكتوبر ١٩٥٦ — وقد خرب منزل الشاعر كله .

٢ يناير ١٩٥٧

الأستاذ . . .

مبروك منزلك الجديد . ولكنك لم تذكر سبب الانتقال . وهل الجديد به حديقة ؟ وهل أنت مستقل به لا شريك لك فيه ؟

المخلص عبد الرحمن شكرى

— ■ —

— ٤٧ — بطاقة

الأستاذ . . .

كل عام وانتم بخير . وان تبلغ الإستاذ الكبير ابراهيم المصرى كل تحية .

المخلص عبد الرحمن شكرى

— ■ —

— ٤٨ — بطاقة

الأستاذ . . .

بعد التحية — مرضت بالانفلونزا الاسيوية ، وبقيت مضعضعا جدا الان . كيف حالك ؟ وكيف حال الاستاذ صاحب المجلة الاسبوعية ؟ وكيف حال الادب ؟

المخلص عبد الرحمن شكرى

— ■ —

— ٤٩ — بطاقة

الأستاذ . . .

تحية واحتراما — وصل خطابكم وانا مريض ولا زلت . والحمد لله .

٢٢ يناير ١٩٥٧

الأستاذ . . .

بعد التحية وصلتنى خطابكم ، وسلام الاستاذ حسنى والاستاذ غنيم .

ولا أفهم معنى قولك الذين زارونى فى الاسبوع الماضى . ويظهر أنك تريد الاشارة الى استاذة جامعية — ولكنك لم توضح . أرجو الافصاح الى قولك كى نستعد !

المخلص عبد الرحمن شكرى

— ■ —

— ٥١ —

مارس ١٩٥٧

الأستاذ . . .

ان منزلنا كما هو لم يبن . وانقطع ايراده . وقلت المؤونة . بلغنى أن مجلة العالم العربى نشرت صورة لى ذى صورة ؟ وهل تسمح بارسال العدد منها ، ولكم الشكر .

صحة وزن البيت : « منى ان تكن حقا تكن أحسن المنى » .

المخلص عبد الرحمن شكرى

— ٥٢ —

٦ أبريل ١٩٥٧

الأستاذ . . .

بعد التحية — تسلمت خطابكم وبه الصورة واشكركم .

هل بطنطا مكتبة عمومية . أو

بمدرسة الاقباط الثانوية . او بمدرسة حصة برما مكتبة خصوصية بها اعداد مجلة الرسالة مجلد سنة ١٩٣٨ كى تبحثوا فيه عما نشر فى تلك السنة لى فى الرسالة عن اسماء القصائد لان لى فى سنة ١٩٣٨ قصيدة سيكولوجية اود ولا اتذكر اسمها ، ولا اقدر أن اسير الى مكتبة المجلس البلدى باسكندرية . ولكم الشكر ان ذكرت اسماء القصائد فى تلك السنة.

المخلص عبد الرحمن شكرى

■

— ٥٣ —

٢٧ فبراير ١٩٥٨

الأستاذ . . .

هل يذهب الاستاذ احيانا الى طنطا . وهل له كتابات وقصص . فلماذا سكت ؟ هل يسمح لى الاستاذ أن اسأل هل فى صيدليات طنطا « أجوكولين زيزين » وحقن الجلطة الدموية المسببة للشلل .

المخلص عبد الرحمن شكرى

■

— ٥٤ —

٥ مارس ١٩٥٨

الأستاذ . . .

بعد التحية — لقد قرأت رسالة الاستاذ رجب البيومى . وماذا تكتب ؟ (١)

المخلص عبد الرحمن شكرى

— ٥٥ —

الجمعة ١٤ مارس ١٩٥٨

الأستاذ . . .

تحية واحتراما . لا بد ان تكون مقالة الاستاذ اسعد حسنى — صاحب مجلة العالم العربى — التى سميتها حسنة جدا — لابد أن تكون فى الواقع حسنة جدا . والا ما سميتها هكذا مع التأكيد . فأرجوك — لاجل الادب نفسه — لا لاجلى ، اطلاعى عليها .

وماذا جرى فى مقالات « نظرات فى النفس والحياة » قد سألتك عنها فلم تجبنى . مع انه فى حديثة معنا جعل يقارن صحائف مجلته بما يمكن أن تسعه من مقالات النظرات فلم عدل . وهل سألته لماذا عدل ؟ (٢)

انا يعجبنى راى الاستاذ الكبير اسعد حسنى . خصوصا مقالته القصير الذى نشره فى « العالم » بعنوان : « كى لا تنسى » !

المخلص عبد الرحمن شكرى

وفى اليوم نفسه ارسل الشاعر الى الاستاذ اسعد حسنى — رئيس تحرير مجلة «العالم العربى» والمحرر بجريدة الجمهورية — الخطاب الاتى بالمعنى نفسه) :

١٤ مارس ١٩٥٨

الاستاذ الكبير اسعد حسنى .
كاتب بجريدة الجمهورية
بعد التحية — كتب لى بعض

(١) اشارة الى مقالة عن شكرى نشرها الاستاذ محمد رجب البيومى فى عدد اول مارس ١٩٥٨ من مجلة العالم العربى . وارسلتها الى الشاعر وكان الاستاذ بيومى قد بدأ بمراسلته فى ذلك العام .

(٢) كان الاستاذ اسعد حسنى قد صحبنى لزيارة شكرى فى منزله — وجاء لذكر كتابه « نظرات فى النفس والحياة » واعادة نشر بعض فصوله بالمجلة .

الادباء ومنهم محمد رجب البيومى الاستاذ الكبير بمدرسة المنصورة الثانوية ، وصديقنا الاستاذ الكبير نقولا يوسف ـ ناظر حصة برما الثانوية ، وصديقنا الاستاذ الكبير عنى فى مجلة « العالم العربى » . فشوقونى اليها . ولذلك رأيت ان ارسل لك ثمنها لترسلها . فهل تسمح بذلك ؟ ارجوك . لانى احب أن اقرأ للفكر والادب المقالة التى يسميها نقولا يوسف حسنة جدا وجيدة جدا . والتى يطريها الاستاذ البيومى غاية الاطراء ـ لا لنفسى ولكن لنفسها . وانى اشكرك غاية الشكر .

وتفضلوا بقبول الاحترام .

المخلص عبد الرحمن شكرى

ـــــ ■ ـــــ

ـ ٥٦ ـ بطاقة

١٤ أبريل ١٩٥٨

عيد سعيد ـ أطال الله بقاءكم ـ قد وضعت بعد برما علامة تعجب . فهل هذا تبرم بها ؟ (٣)

ـــــ ■ ـــــ

ـ ٥٧ ـ

٧ أغسطس ١٩٥٨

الأستاذ . . .

كل عام وانتم بخير ـ مشتاق لقصصك .

ـ ٥٨ ـ

سبتمبر ١٩٥٨

الأستاذ . . .

بعد التحية والاحترام ـ مبروك النقلة الجديدة لانها على اى حال اقرب الى الاسكندرية من برما . ثم انك تأتى الى منزلك كل يوم . وتبيت فى منزلك . وان كان تعب نقلك هكذا . (ماعليهش) ـ الحياة كلها تعب .

المخلص عبد الرحمن شكرى

ـــــ ■ ـــــ

(وفى شهر ديسمبر ١٩٥٨ بدت بوادر النهاية لحياة الشاعر ، وتكالبت عليه امراض الشلل والسكر ووهن الشيخوخة ـ وعملية خراج فى برد الشتاء ـ وكنت أزوره كالعادة ـ ولاحظت انه لم يفقد شيئا من قواه العقلية حتى اليوم الاخير . وفى ٨ دسمبر طرق بابه أحد محررى الصحف اليومية الكبرى ومعه مصور الصحيفة واثنان من موظفى الجريدة وكاد الليل ان ينتصف . وايقظوا الشاعر ليأخذوا منه حديثا صحفيا ـ للسبق الصحفى ـ وهو يحتضر . ونشر الكاتب فى اليوم التالى ٥٨/١٢/٩ مقالة بعنوان : « شكرى ـ ذلك المجهول » ـ وحشا المقالة بالاوهام والاخطاء .. وقراها الشاعر فى فراش الموت .. ولم أعرف بما حدث الا من الجريدة .. وتحامل الشاعر على نفسه وأرسل الى رسالته الاخيرة لابلغها الى ذلك الكاتب الذى لم يره من قبل ولا يعرفه) :

المخلص عبد الرحمن شكرى

---

(٣) هى بلدة برما قرب طنطا حيث كنت اعمل.

١٩٥٨/١٢/١١

الاستاذ . . .

بعد اهداء مزيد السلام — وصلنى جوابكم . وارجو اذا زرتنى أن تزورونى ما بين الساعة ٩ والساعة ١٢ وبين الساعة ٣ والساعة ٦ — فهذه انسب الاوقات . .

أنا مريض . . فى الشتاء . . دايخ . . واكاد اموت . .
قل لصديقك انسب الاوقات ! .

المخلص عبد الرحمن شكرى

وفى اليوم التالى طلب ورقة وكتب عليها بيده اليسرى بضع كلمات ثم وضعها فى مظروف كتب عليه : « لا يفتح الا بعد وفاتى » — وكانت تلك الكلمات :

« لا تدفنونى فى حجرة تقفل على كالسجن . ولكن فى قبر يهال عليه التراب ! »

واسلم الشاعر الروح بعد ظهر الاثنين ١٥ من ديسمبر عام ١٩٥٨ »

تقديم : نقولا يوسف

اقرأ

صرخة في القرن الحادي والعشرين

في أموالهم

بقلم
امين الخولى

تحرير الفكرة الأسلامية
فى حل مشكلة المال
على أساس من مثالية القرآن لا مذهبيته المحدودة

ترجمة

اليوت

في عيد ميلاده الخامس والسبعين

بقلم : ماهر شفيق فريد

خلال أجازة الادب ـ على وجه التحديد فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٣ ـ بلغ الشاعر الانجليزى العظيم ت . س . **اليوت** الخامسة والسبعين من عمره.

لقد كتب كثيرون عن اليوت ، وفى المكتبة الغربية وحدها ما يقارب العشرين كتابا وضعها أصحابها لدراسة هذا الشاعر الفحل ولما يزل بعد حيا ، وهذه الكتب تتفاوت فى تقويمه تفاوتا بعيدا ولكنها فى مجموعها تعبير صادق عن اثر هذه الظاهرة الادبية المتفردة ..

ان صدور مثل هذا العدد الكبير من الكتب عن اديب كان لا يزال يواصل نشاطه الادبى حتى عهد قريب ، فضلا عما لا يحصى من المقالات والابحاث ، يوجب على كل من يكتب عنه أن يكون مبتكرا خلاقا ، والا اصبح ما يقوله معادا مكرورا ، وهذا ما يجعلنى أحجم عن أن أضيف الى آلاف الصفحات المكتوبة عن اليوت صفحات أخرى مثلها ...

ان هذه السطور محاولة مخلصة لرسم معالم تجربتى الفنية مع اليوت ، كما عاينتها من خلال ترجمتى له ، ولعلها أن تلقى ضوءا على مشاكل ترجمته .

عرفت اليوت لاول مرة حين التحقت بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ قسم اللغة الانجليزية ؛ وكان الدكتور رشاد رشدى يحاضرنا فى مادة

النقد الادبى ، ومن بين شفتيه عرفت اليوت ناقدا ، وان كان اعجابى به هادئا معتدلا .

وفى ليلة لا انساها عدت من مكتبة الانجلو حاملا معى كتابا من الشعر الانجليزى . وفى هداة الليل رحت اقلب خفحاته ، والهواء يهب رفيقا من نافذتى ، وتولانى الملل بعد قليل . كان الكتاب يضم اكثر من مائة وخمسين قصيدة انجليزية ، ويمتد من تشوسر الى ستفن سبندر ، وقد تولانى السقم وانا اطالع فيه قصائد ملتون وكاولى ودريدان وبوب وبراوننج وارنولد — وكلهم شعراء ابغضهم لحد المرض — وفيما عدا نفحات الشعر الاليزابيثى وفحول الرومانسيين بدا لى الكتاب ثقيل الظل ..

هممت بالقاء الكتاب جانبا لولا أن وقعت عينى مصادفة على اسم اليوت فى الصفحات الاخيرة ، ولا بد من ان يكون حب الاستطلاع هو الذى اغرانى بالتعرف عليه شاعرا ، لارى ما يكون من امر هذا الناقد الكلاسى الصارم ، وكان بالكتاب ثلاث قصائد له هى الرجال الجوف والصخرة والارض اليباب ..

وكانت نقطة التحول فى حياتى الفنية ..

لقد كانت الكلمات الجامدة على الورق تستحيل امام عينى الوانا براقة ، وانغاما سماوية ، واضواء باهرة ، وكان كل سطر كشفا جديدا .

نحن الرجال الجوف

نحن الرجال المحشوين الذين يتساندون معا

لقد حشيت رؤوسنا قشا .. وا اسفاه !

ان اصواتنا الجافة اذ نتهامس

لتخرج خافتة خاوية من المعنى .

كهبوب الريح على العشب اليابس

او كوقع اقدام الفئران على الزجاج المهشم

فى قبونا الجاف ..

واقلب الصفحات لاقرأ الارض اليباب مذهولا : افكار غريبة ، اقتباسات لا حصر لها ، وصور شعرية لا اعرف لايحائها مثيلا ، وقوافى لها رنين الدنانير الذهبية على الرخام المصقول ، وموسيقى خفية تتمشى فى تضاعيف السطور ، والوان زاهية واخرى قاتمة ..

كانت قصائد اليوت هى الوجه القولى للوحات شاجال ..

قال اليوت ذات مرة :

(انى لاستطيع ان استرجع فى وضوح ذكرى اللحظة التى تصادف لى فيها — وانا فى الرابعة عشرة او نحو ذلك — ان اقع على نسخة فتزجرالد من (عمر الخيام) ملقاة فى مكان ما ، وذكرى هذا المدخل الجارف الى عالم جديد من الاحاسيس التى اثارتها فى هذه القصيدة . لقد كانت اشبه بتحول مفاجىء ، وقد بدا لى العالم شيئا جديدا ،

تصبغه الوان براقة عذبة مؤلمة ومن ثم فقد سلكت درب المراهقة المألوف بقراءة بيرون وشلى وكيتس وروزتتى وسوينبرن)

ولا اجد خيرا من هذه الكلمات الملهمة للتعبير عن انفعالاتى بقراءة اليوت ...

لقد ترجمت لاليوت قصيدتى « الارض اليباب » و« الرجال الجوف » فى «الادب». وان لم تكن ترجمتى لهما خالية من الاخطاء ثم ترجمت لهثمانى قصائد فى « الادب » ايضا ازعم انها جيدة صحيحة تمثل الاصل قدر المستطاع .

وبين الخطأ والصواب علمتنى التجربة ان ترجمة اليوت تحتاج الى :

١ ـ اطلاع تام على التراث الكلاسى فى الادب والفن .

٢ ـ اطلاع تام على الدراسات الانثروبولوجية واصول الاديان والعقائد المختلفة .

٣ ـ اطلاع تام على الآداب الاوربية كلها .

٤ ـ اطلاع تام على الادب الانجليزى واللغة الانجليزية

٥ ـ اطلاع تام على التراث الادبى الامريكى

٦ ـ اطلاع تام على آثار اليوت كلها فى الشعر والنقد والمسرحية .

٧ ـ اطلاع تام على كل ما كتبه عن اليوت نقاده وشارحوه .

ومن الواضح أن هذه الشروط لا تتوافر الا مع الدراسة المنهجية المنظمة ، والتخصص الدقيق ، مما يجعل اصحاب الادب الانجليزى فى جامعاتنا الثلاث أول المسئولين عن تقديم اليوت الى القارىء العربى .

وماذا ترجمنا من شعر اليوت ؟

لقد ترجمنا (اغنية العاشق ج . الفرد . بروفروك ـ فواتح ـ خلط ذات ليلة عاصفة ـ البوسطن ايفننج تراسكريبت ـ الفتاة التى تبكى ـ صباح عند النافذة ـ العمة هيلين ـ مستر ابوليناكس ـ فرس النهر ـ الارض اليباب ـ الرجال الجوف ـ اربعاء الرماد ـ الروح الصغيرة ـ ايست كوكر) .

وماذا ترجمنا من مسرحيات اليوت ؟

ترجمنا (مقتله فى الكاتدرائية) و (حفلة الكوكتيل)

وماذا ترجمنا من نقده ؟

ترجمنا كتاب (ملاحظات نحو تعريف الثقافة) وكتاب (مقالات فى النقد الادبى) .

وماذا ترجمنا مما كتب عنه ؟

ترجمنا كتاب (ت.س. اليوت) لليونارد انجر ومقالات (ت.س. اليوت أو نهاية مدرسة أدبية) لكارل شابيرو و (خديعة مستر إليوت) لماكجريجورى هيستى ، و (زمان اليوت ومكانه) لوالتر آلن

وقد اقتصرت فى هذا الاحصاء على ذكر الترجمات الكاملة الامينة ، واما الترجمات الناقصة فهى لا حصر لها ، ولا غناء فيها .

أن حركة النقد الحديث التى ازدهرت فى بلادنا خلال السنوات الاخيرة قائمة على آراء اليوت فى النقد ، وان قصائد صلاح عبد الصبور وعبد المعطى حجازى ، ومقالات محمد عنانى وعبد العزيز حمودة وسمير سرحان كلها تنذر بأننا مقبلون على مرحلة فكرية خصبة لعلها لا تختلف كثيرا عن تلك التى مر بها الشعر الانجليزى خلال العقود الاولى من هذا القرن ، وكان باوندو اليوت على رأسها .

واليوم ونحن نحتفل ببلوغ اليوت الخامسة والسبعين يطيب لى ان اترجم هنا ست قصائد له من ديوانه (قصائد) ١٩٢٠ كيما تضاف الى سجل الترجمات الكاملة الامينة التى ذكرتها ، ولا شىء يسعدنى قدر أن أجد فى القراء والنقاد من يلفت نظرى الى ما لابد وان يكون فى هذه المحاولة من مواضع الملاحظة والنقد .

١ ـ جيرونتيون

(لست بالشاب ولا بالشيخ لكن كأنما كنت فى اغفاءة اعقبت العشاء تحلم بالاثنين)

ها أنا ذا ، رجل عجوز فى شهر جاف .
ان غلاما ليقرأ على وقد لبثت فى انتظار المطر .
الا انى ما كنت قط لدى البوابات الملتهبة
ولا أنا قاتلت تحت وابل المطر الدافىء
ولا أنا حاربت وقد غاصت ركبتاى فى مستنقع الملح
شاهرا سيفا تضربه الهوام .
ان دارى قد دب اليها البلى
وان اليهودى ليجلس القرفصاء على حافة النافذة السفلى
وان مالك البيت قد انجب ذريته فى بعض مقاهى التغرب .
وعلت جلده البثور فى بروكسل وقشر وسلخ فى لندن
ان العنزة لتسعل فى الحقل هنالك .
صخور وطحالب ونبات طحلبى أصفر الازهار وحديد .
ان المرأة لترعى المطبخ وتصنع الشاى .
وتعطس فى المساء واخزة الميزاب النكد .
وانا رجل عجوز وذهن بليد بين الفجوات الريحيه .

* * *

ان الدلائل لتحمل على محمل العجائب (نريد ان نرى دليلا !)
الكلمة داخل كلمة عاجزة عن ان تفوه بكلمة

وقد لفها الظلام فى قماطه . وفى مطلع العام .
أتى المسيح النمر !

* * *

فى شهر مايو الداعر ثمة ، كرز ، وكستناء ، واشجار يهوذا تزدهر
كيما تؤكل .. كيما تقسم .. كيما تشرب بين الهمسات
بواسطة مستر سيافرو ذى اليدين الحانيتين فى ليموج
ذاك الذى كان يذرع الغرفة المجاورة طوال الليل .
وبواسطة هاكاجاوا الذى ينحنى بين المردة
وبواسطة مدام دى تورنكيست فى الغرفة المظلمة
اذ تنقل الشموع . وبواسطة «الفراولين» فون كولب
التى استدارت فى الصالة ويدها على الباب . ان المكوكات الفارغة
لتنسج الرياح . وأنا لا تلم بى الاشباح
فانى لرجل عجوز فى دار يسرى فيها تيار هواء
تحت مقبض ريحى .

* * *

اما وقد علمت هذا فأى عفو ترتجى ؟ الآن تفكر :
ملء التاريخ نصوص مكاره وممرات خداعه
وعواقب . انه ليخدعنا بالمطامح الهامسه
ويوجهنا بالاباطيل . الآن تفكر :
انها لتعطينا حين يتشتت منا الانتباه
وان ما تعطيه ليعطى فى غمرة ارتباكات سخية
حتى ليقتل العطاء التوق اليه جوعا .
انها تعطينا بعد فوات الاوان ما لا يؤمن به أحد
ولئن ظل مؤمنا به ففى ذاكرته وحدها :
توق اعيد النظر فيه . انها لتعطى سريعا
الايدى الواهنه مما يتجه الظن الى انه يمكن الاستغناء عنه
الى أن يولد الرفض خوفا . فلتتفكر :
لا الخوف ولا الشجاعة بقادرين على انقاذنا . ان الرذائل الشاذة
لابنه بطولتنا . وان الفضائل قد فرضتها جرائمنا الغافلة علينا فرضا
ان هذه الدموع لتتساقط من شجرة الغضب

* * *

ان النمر ليقفز فى العام الجديد . وايانا يلتهم . فلتتفكر
فى نهاية الامر : اننا لم نبلغ الخاتمة بعد حينما
اتجمد فى بيت بالايجار . لتتفكر فى نهاية الامر .

فانى لم اقم بهذا الاستعراض اعتباطا
And it is not by any concitation of the backward devils.

* * *

فالاقيانك على هذا مخلصا .
انا الذى كنت قريبا من قلبك قد نقلت من هنالك
كيما أفقد الجمال فى غمرة الرعب والرعب فى غمرة التحقيق
لقد فقدت عاطفتى : اذ ما حاجتى الى الحفاظ عليها
مادام كل ما يحافظ عليه لابد وان تشوبه الشوائب ؟
لقد فقدت بصرى وشمى وسمعى وذوقى ولمسى
فكيف يتاتى لى استخدامها كيما ازداد منك اقترابا ؟
ذاك والف ترو صغير
يزيد من فائدة قشعريرته الباردة
ويوقظ الذاكرة حين يخمد الحس بالوان الصلصة اللاذعة
ويزيد التنوع فى متاهتة من المرايا .
ترى ما عسى العنكبوت ان يفعل ؟ ايمد من نطاق عملياته ؟
او ترى الجندع يتباطا ؟ ان ((دى بليهاش)) و ((فرسكا)) و ((مسز كامل))
ليبومون وراء دائرة انجم الدب المرتعشة فى ذرات مكسوره
وثمة نورس ازاء الرياح فى المضايق الريحيه لجزيرة بل
او هو يعدو على الهورن :
رياش بيضاء بين الجليد ، وان الخليج ليطالب
وثمة رجل عجوز رمت به الرياح التجارية الى ركن نائم
مستاجروا لمنزل آلما هم افكار ذهن جاف فى فصل جاف

(٢)
Burbank with a Baedeker :
Bleistein with a Cigar
Tra-la-la-la-la-la-lalre- ni nisi
divinum stabile est ;
caetera fumus—

(توقف الجندول وكان القصر العتيق هنالك . . ما الطف الوانه الرمادية والوردية ! . . معزى وقرود ، اولها مثل هذا الشعر ايضا ؟ . وهكذا مرت الكونتيسة . حتى وصلت الى المنتزه الصغير حيث قدم اليها انيوب صندوقا ومن ثم كان الرحيل)

* * *

قد عبر بريانك جسرا صغيرا
حيث ينزل فى فندق صغير
وما لبثت الاميرة ((فوليوباين)) ان وصلت
وصارا معا فزلت قدمه

* * *

ان موسيقى مينة تحت البحر
قد سرت ازاء البحر مع الناقوس المار
في بطء . وان الرب هرقل
قد تخلى عن ذاك الذى احبه حبا صادقا

* * *

ان الجياد تحت الجزع ..
لتضرب الفجر من ايستريا
باقدام مستوية . وان قاربها المغلق
قد توهج على صفحة المياه طوال النهار .

* * *

لكن طريقة بليشتين كانت هذه أو تلك :
انحناءة مقوسة للركبتين
والمرفقين وقد انبسطت راحتا اليد
انه لسامى من ((شيكاجو)) و ((فينا)) .

* * *

ان عينا كابية جاحظة
لتحدق من المادة اللزجة الاولية
لدى مرأى كاناليتو
نهاية الشمعة الناخنة للزمان

* * *

تضعف . فى ((الريالتو)) ذات مرة .
ان الجرذان لتحت الاكوام
وان اليهودى لتحت مستوى النوع
ان المال لفى الفراء . وان البحار ليبتسم .

* * *

ان الاميرة فوليوباين لتمد
يدا عجفاء زرقاء الاظافر مسئولة
كيما ترتقى درج المياه . الاضواء .. الاضواء !
انها لترفه عن سير فرديناند .
كلين . من قص اجنحة الهزبر
وسائخ كفله وقشر مخالبه ؟
ذاك ماجال بذهن ((برياك)) اذ يتامل
انقاض الزمان والقوائم السبعة .
٢ ـ سوبنى منتصبا
(والاشجار التى تكتنفنى

دع اليبوسة تدب اليها ودع الاوراق تتساقط عنها . دع الصخور
تئن من دوام الاصطخاب ، واما الذى خلفى
فاجعله كله بابا . انظرن انظرن ايتها الفتيات !)

* * *

فلترسم لى شطا كهفيا فسيحا
قد القى فى ((السيكلاديز)) التى لا تهدأ
ولترسم لى الصخور المتعرجة الجرداء
التى تواجهها البحار العادية الكاشرة عن انيابها .

* * *

فلترنى ايولس فى علاه
اذ يستعرض العواصف الثائرة
التى تعقد شعر ((اريادن))
وتملأ مسرعه الاشرعة الحانثة .

* * *

ان الصباح ليحرك الاقدام والايدى
(نوسيكا وبوليفيم)
ان اشارة السعلاة
لترتفع من الالاءات زافرة بخارا

* * *

ان هذا الاصل الذابل لعقد الشعر
قد قد من تحت وشخب مع العيون
هذا الشكل البيضاوى اواه قد لاح مع الاسنان
الحركة المنجلية من الافخاذ .

* * *

سكاكين الى اعلى عند الركب
ثم استقامة من العقب الى الردف
دافعة هيكل الفراش
وآخذة بالمخلب كيس الوسادة

* * *

قد نصب ((سوينى)) قامته ليحلق
اكرش وردية من قفاه الى اسفله
انه لخبير بالمزاج الانثوى
وانه ليمسح غسالة الصابون من حول وجهه

* * *

(ان الظل المتطاول للانسان
هو التاريخ كما قال ايمرسون
الذى لم ير الخيال المظلل
لسوينى متفرشحا فى الشمس) .

* * *

انه ليختبر الموسى على ساقه
منتظرا ان تهدأ الصرخه .
وان المصابة بالصرع على الفراش
لتتقوس الى الوراء قابضة على الجنبين .

* * *

ان سيدات الطرقة
ليجدن انفسهن وقد زج بهن وافتضح أمرهن
فيجلبن الشهود على مبادئهن
ويستنكرن قلة الذوق .

* * *

فاذا ما هى لاحظت ان تلك الهيستريا
يمكن بسهولة ان يساء فهمها
المعت مسز تيرنر
الى ان هذا ليس فى صالح البيت على الاطلاق .

* * *

لكن دوريس وقد خرجت من الحمام فى بشكير
تدخل ماشية على قدمين مفلطحتين
جالبة معها روح النشادر الطيار
وكوبا جاهزا من البراندى .

٤ ــ بيضة للطهو

قد جلست ((بيبيت)) منتصبه فى كرسيها
على غير مبعدة من مجلسى
(وصور كليات اكسفورد)
على المائدة الى جوار التطريز .

* * *

صور شمسية على الواح معدنية وصور مظلله
لجدها وخالات خالاتها
وقد قامت على رف المدفأة
(دعوة الى الرقص) .

* * *

لن أتوق الى المجد فى السماء
وانما سالتقى بسير «فيليب سيدنى»
ولا تحدثن الى « كوريولانوس »
والى ابطال آخرين على شاكلته .

* * *

لن أتوق الى الرفعة فى السماء
وانما سالتقى بسير الفردموند .
ولنضطجعن معا وقد لفنا
صك مالى ارباحه خمسة فى المائة .

* * *

لن أتوق الى معاشرة اهل الجنة
ولا تخذن « اوكريشيا بورجيا » لى عروسا
ولاجدن فى نوادرها من الطرافة
ما لا تستطيع تجارب «بيبيت» أن تقدمه لى .

* * *

لن أتوق الى «بيبيت» فى السماء
فلسوف تكون «مدام بلافاتسكاى» لى مرشدة .
وفى مرات التجلى السبع المقدسة
ليقودن «بيكاردا دى دوناتى» خطاى .

* * *

لكن أين تراه يكون ذلك العالم الرخيص الذى اشتريته
كيما آكل مع «بيبيت» خلف الشاشة ؟
ان الكناسين الحمر العيون ليزحفون
من المدينة الكنتية وجولدر جرين .

* * *

ترى أين عساها تكون النسور والابواق ؟

* * *

قد ووريت تحت ثاوج الالب العميقة
فوق ما طال بالزبد من الكعك والعجائن
وان جموعا تنوح تنوح
لتذوى فى مائة ا .. ب .. ت ..

٥ ــ همسات الخلود

كان الموت هو الشغل الشاغل لوبستر
وكان يرى القحف تحت الجلد

ومخلوقات لا انداء لها تحت الارض
وقد انكات الى الوراء كاشرة دون شفاه .

* * *

ان ابصال النرجس الاصفر بدلا من المقل
قد حملقت من حجاج العيون
كان يعلم ان الفكر يتعلق حول ميت الاعضاء
ليشند من شهواتها وغلمتها .

* * *

وكان دون ــ فيما اظن ــ من هذا النوع
الذى لم يجد بديلا عن الحواس .
يمسكها ويقبض عليها ويسبر غورها
خبرته تفوق التجربة .

* * *

كان يعرف عناب النخاع
وبرداء الهيكل العظمى
وانه ليس فى مقدور اى اتصال بدنى
تسكين حمى العظام .

* * *

ان «جريشكين» لجميلة : وان عينها الروسية
لتحتها خط بغية التوكيد .
وان نصفها الاولى دون مشد
ليعد بالسعادة الهوائية .

* * *

ان الجغور البرازيلى المضطجع
ليقسر المرموز الهارب
بالاندفاع الماكر للهر
وان جريشكين لتملك منزلا صغيرا .

* * *

ان الجغور البرازيلى الزليق
فى ظلماته الشجرية
لا يستقطر تلك الرائحة السنورية الزنخة
التى تستقطرها جريشكين فى غرفة الاستقبال .

* * *

بل ان الموجودات المجردة لتطوف بسحرها .
فى حين يدب طرازنا بين الضلوع اليابسة
ليبقى ميتافيزيقيينا دافئين .

٦ ـ سوينى بين العنادل

(انظر ، انظر يا سيدى : ان يسروعين متدينين ليقبلان !)
ان ((ابنيك سوينى)) ليبسط ركبتيه
تاركا ذراعيه تتدليان الى جانبه ليضحك .
وان خطوط الحمار الوحشى على طول فكه
لتنتفخ مطخة الزرافه .

* * *

ان دوائر القمر العاصفة
لتنزلق غربا ازاء نهر ((بليت))
وان الموت والغراب ليكتسحان من فوق
وان سوينى ليحرس البوابة القرناء .

* * *

ان كوكبه وكلبة الشعر المظلمتين
لمحتجبتان . وان البحار المنكمشة لساكنة
وان الذى فى الراس الاسبانى
ليحاول الجلوس على ركبتى سوينى .

* * *

انها لتفلت قماش المائدة وتجذبه .
وتقلب فنجانا من القهوة
فاذا ما رتب ثانية على الارض
تثاءبت وجذبت جوربا الى أعلى .

* * *

ان الرجل الصامت ذا الجزع البنى
ليتمدد على حافة النافذة السفلى فاغرا فاه
وان التادل ليأتى بالبرتقال
والموز ، والتين ، وعنب الدفيئة .

* * *

ان الفقرى فى البنى
ليعقد ميثاقا ويركز انتباهه وينسحب
ولقد ولدت راشيل راينوفتش
وانها لتمزق الاعناب ببرائن قتالة

* * *

انها والسيدة التى فى الراس
ليداخلهما الشك ويتجه الظن الى ان بينهما خلقا

ومن ثم فان ذا العينين الثقيلتين
يتراجع باتفه قطع شطرنجه مدعيا التعب

* * *

انه ليترك الغرفة ثم يعاود الظهور
من وراء النافذة متكئا
وان اغصان الوستاريا
لترسم تقطيبة ذهبية .

* * *

ان المضيف وشخصا مجهولا
ليتحدثان بعيدا عند الباب
وان العنالب لتغنى قرب
دير القلب المقدس .

* * *

ولقد تغنت داخل الغابة الدامية
حين صاح اجا ممنون عاليا .
تاركة نخلاتها السائلة تتساقط
ملطخة الكفن اليابس المشان .

ماهر شفيق فريد

وزارة الثقافة والارشاد القومي
المؤسسة العربية الحديثة للطباعة والنشر والترجمة والتأليف والتوزيع

تقدم

ديوان اسماعيل صبري
(ابو اسيمة)
صفحة ٢٩٢
حققه
الدكتور محمد محمد القصاص عامر محمد نخيري
الدكتور احمد كمال زكي
صفحة ٥٥
يطلب من المؤسسة العربية الحديثة للطباعة والنشر

المغني
في ابواب التوحيد والعدل
صفحة ٣٨٨
املاء
القاضي أبي الحسن عبد الجبار
الأسد آبادي
صفحة ٧٠
الموجود من
الجزء السابع عشر
الشرعيات

حرر نصه من صورة واحدة
امين الخولي
اشرف على احيائه
الدكتور طه حسين

يطلب منه الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع

مقالات

شاعر اليوت

ت . س . اليوت

بين لويس عوض وماهر شفيق فريد

بقلم : أنيس توفيق

رغبت « الادب » فى نوع من المراجعة لترجمات اليوت ، فطلبت فى ذلك رأى الاستاذة الدكتورة نور شريف استاذة الادب الانجليزى بجامعة الاسكندرية ، فجاء هذا المقال مع بطاقة تحية منها . .

فى العدد الثالث من مجلة **الادب** فى سنتها السابعة (يونية ١٩٦٢) نشرت ترجمة السيد / ماهر شفيق فريد لبعض اعمال الشاعر الانجليزى المعاصر توماس ستيرنز اليوت : انحركتين الاولى والرابعة من **الارض الخراب ـ دفن الموتى ـ والموت غرقا والرجال الجوف** . وفى العدد الثالث من مجلة **الادب** فى سنتها الثامنة (يونية ١٩٦٣) نشرت ترجمته لسبع قصائد اخرى لنفس الشاعر . وقد اشفقت على السيد / ماهر شفيق فريد من هذه التجربة ، فالترجمة فى حد ذاتها تجربة كبيرة ، أما ترجمة اليوت فهى تجربة رهيبة فالسيد المترجم نفسه يقول عن اليوت نقلا عن الناقد الانجليزى ايفور ايفانز: « . . وقد تكون طريقته ثقيلة فى اول الامر لانها تعتمد على اشارات متعددة لكتاب غيره ، ولكنها حتى اذا استعصت على **الفهم (١)** لابد مستحوذة على الخيال . . » (٢) لكن من مطالعتى لما ترجمه السيد / ماهر شفيق فريد من اليوت ادركت انه مقدر مسئوليته الى حد ، وانه بذل فى الترجمة جهدا ما ، وانه يتمتع بلمسة شاعرية وسع ذلك اعتقد ان ترجمة اليوت تحتاج الى معاناة روحية وفكرية والى صرامة منهجية لم تتوافرا بعد للسيد / ماهر شفيق فريد .

ولما كان التعليق على كل ماترجمه

---

(١) التخطيط من وضعى .

(٢) السيد / ماهر شفيق فريد نقلا عن ايفور ايفانز ، مجلة الادب ، يونيه ١٩٦٢

السيد / ماهر شفيق فريد من اليوت سيستغرق حيزا زمانيا ومكانيا لاقبل لنا به الآن ، فقد اكتفيت بالتعليق على ترجمته للحركة الاولى من **الارض الخراب : دفن الموتى** . وليت السيد / ماهر شفيق فريد اكتفى بترجمة **دفن الموتى** عام ١٩٦٢ **والرجال الجوف** عام ١٩٦٣ ، بدلا من حشد كل هذه الترجمات جنبا الى جنب فى حيز زمانى ومكانى حبيس ، فربما كان ذلك ادعى الى ان يقدم لنا اليوت فى صورة اقرب الى الحقيقة من الصورة التى قدمه بها الينا الآن . وفى تعليقى على ترجمة **دفن الموتى** تتضح المبادىء التى ينبغى ان يراعيها المترجم بصفة عامة ومترجم اليوت بصفة خاصة . ويمكن بعد ذلك ان تطبق هذه المبادىء على ترجمة السيد / ماهر شفيق فريد لاعمال اليوت الاخرى . ثم يمكن لاى مترجم لاليوت ان يهتدى بها . ومن حسن الحظ ان الدكتور لويس عوض كان قد ترجم جزءا من دفن الموتى فى كتابه **فى الادب الانجليزى الحديث** عام ١٩٥٠ ، فكان من واجبى ان أقارن بين الترجمتين ، مما يزيد اليوت وضوحا بلا شك ويساعدنا على وزن كل من الترجمتين بالاخرى .

دفن الموتى

April is the cruellest month, ...

ابريل اعتى شهور العام !
(ماهر شفيق)

ابريل أقسى الشهور ..
(لويس عوض)

واضح أن «أعتى» هى ترجمة السيد / ماهر شفيق فريد لكلمة "cruellest" وان « أقسى » هى ترجمة الدكتور لويس عوض لنفس الكلمة . واعتقادى أن ترجمة الدكتور لويس عوض هى الاقرب الى روح القصيدة . فكلمة « عات » تحمل ظلال الاستكبار والعنف والطغيان حيث لا محل لهذه الظلال . فمجرد ما توحى به الكلمة الانجليزية منا هو القسوة . وحتى فى اللغة الانجليزية ذاتها لم تعد كلمة "cruel" تستعمل بمعنى « عات » . ثم أن « العام » لا داعى لها ، فهل هناك شهور فى غير العام ؟ والنص الانجليزى يخلو من علامة التعجب التى اضافها السيد / ماهر شفيق فريد . فاضافة كلمة « العام » تخلخل المعنى واضافة علامة التعجب تضفى عليه مبالغة لا داعى لها . واليوت قادر على الايحاء بما يريد عن طريق اللغة ، لا عن طريق علامات التعجب .

..... breeding

Lilacs out of the dead land, ...

انه ينبت الزنابق من الارض الميتة
ففيه يزهر الليلج فى الارض القواء
(لويس عوض)

« الزنابق » هى ترجمة السيد / ماهر شفيق فريد لكلمة "lilacs" و « الليلج » ترجمة الدكتور لويس عوض . يبدو أن السيد / ماهر شفيق فريد يقصد كلمة "lilies" لا كلمة "lilacs" وان كانت كلمة « ينبت » أقرب الى الروح من كلمة

« يزهـــر » ، فالاولى اقرب الى "breeding" من الثانية ، ثم ان الامر لم يصل فى تجربة اليوت الى حد الازهار بعد .

..... stirring

Dull roots with spring rain

ويجعل الجـــذور **المعتمة** تنبض بامطار الربيع (ماهر شفيق)

... وتنتعش الجذور **اليابسة** بامطار الربيع (لويس عوض)

فكلمة « معتمة » لا تكاد تؤدى شيئا من هذا المعنى « اليابسة » افضل على كل حال . كلمـــة "Dull" هنا لاعلاقة لنا بالعتمة ، انها تؤدى نفس المعنى الذى قصـده شكسبير حين قال :

الامر كله متعلق هنا بالموت والحياة

When I ..... sleepe in dull cold marble

ثم ان الشاعر العظيم لابد ان تكون الصورة الشعرية التى يعطيها موحدة وكلمة « تنبض » فى ترجمة السـيد ماهر شفيق فـــريد كان ينبغى ان

ترشـده الى معنى "Dull" . ان الشاعر يتكلم هنا عن الحياة والموت عن النبض والجمـــود ، عن الرى واليبوسة .

Winter kept us warm, covering

Earth in **forgetful snow**, ...

لقد أدفانا الشتاء ، وكـا الارض **ثلجا منسيا** (ماهر شفيق)

اما الشتاء فقد ادفانا حين كـــا الارض **بثلوج النسيان** (لويس عوض)

لا معنى « للثلج المنسى » . انهـا « ثلوج النسيان » بلا شك . والمقارنة

انى يعقدها اليوت هى بين الشـتاء والربيع . فالشتاء مريح : كله دفء كله نســيان . والربيع قاس يحيى فينا الذكرى والرغبة ، ذكرى الحياة والرغبة فى الحياة من جـــديد . والذكرى اليمة والرغبـــة اليمة ، والآلام هى آلام الولادة من جديد ، آلام البعث .

..... feeding

A little life with dried tubers.

وخلف **الدرنات اليابسة** تقـــوت **حياة صغيرة** (ماهر شفيق)

واطعم **الحشرات بالجذور اليابسة**

(لويس عوض)

« الدرنات اليابســـة » ادق من « الجذور اليابسة » . لكن ما معنى

« حياة صغيرة » ؟ يقينا ان هـــذه ترجمة حرفية وقد يكون المترجم قد

ترجمهـا دون ان يدرك معنى النص بوضوح . اليوت يقصد هنا «حشره» أو « دودة » والديدان افضل هنـا لارتباطها بالموت . وقد يكون لعبـارة ما استعمال بيانى فى لغتها الاصليـة فاذا ترجمت حرفيا ضاع هذا المعنى البيـانى ، وعلى المترجم ان يراعى اللغة التى ينقل اليها .

Summer surprised us, coming over the Starnbergersee
With a shower of rain ; .....

ولقـد باغتنا الصيف ، حاطا على ستارنبرجرسى ، حاملا معه شؤبوبا من المطر . (ماهر شفيق)
والصيف اثار فينا العجب عندما عبرنا بحيرة شتا رنبرج وانهالت علينا شآبيب الغيث .
(لويـس عوض)

يخيل الى ان ترجمـة السيد / ماهر شفيق فريد هنا ادق من ترجمة الدكتور لويـس عوض .

فعبارة "coming over the Starnbergersee" تصف الصيف لاضمير المتكلم فى هذه السطور .

Bin gar keine Russin, stamm' aus Lituaen, echt deutch.

كلا ! لست بروسية ، وانمـا انا المانية أصيلة . المانية من لتوانيا .
(لويـس عوض)
لم يترجم السيد / ماهر شفيق فريد هذا السطر . ما يفعله اليوت هنا معروف عبر عنه الدكتور لويس عوض بقوله : « فالشعر التقليـدى المعروف حتى ظهور اليوت يقوم على التتابع المنطقى فى اى جزء من اجزاء السياق ، وفى السياق كله ، وماخرج على ذلك يعد هذيان محموم أوترهات مجنون . أما الشـعر الانجليزى المعاصر فيقوم على التتابع العـاطفى وتتابع الذكريات قبل اى شىء . ..
وهذه الطريقة فى الانشاء لا تختلف فى شىء عما يسـمونه فى التحليل النفسى تداعى المعانى اللامترابطة .. واليوت الى كل ذلك يحشو شعره باختبارات شخصية لا يشاركه فيها انسـان . فمن حـوار عارض سمعه فى مقهى (لست بروسية ، وانما انا المانيـة اصيلة ، المانيـة من لتوانيا) .. (١) وانا لا امانع فى ان تبقى هذه الكلمات دون ترجمة لخلق جو القصيدة كما هو . غير ان السيد / ماهر شفيق فريد يعطى نفسه الحق فى ان يترجم سطرا جاء فى آخر الحركة :

"You! hypocrite lecteur! — mon semblable, — mon frère!"

والمفروض ان يتبع منهجا واحـدا غير متناقض .

---

(١) فى الادب الانجليزى الحديث ، مكتبـة الانجلو المصرية ، عام ١٩٥٠ ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٣ .

..... And down we went.

In the mountains, there you feel free.

ثم انزلقنا الى الجبال التى يحس المرء فيها الانطلاق .

. ثم بدانا ننزلق . انما نحس بالحرية بين الجبال .. (لويس عوض)

انا لا ادرى كيف ينزلقان الى الجبال : هل كانا فى السماء ثم انزلقا الى الجبال ؟ ثم من اعطى السيد ماهر شفيق فريد الحق ان يدمج اللحظتين معا : لحظة الرعب ولحظة الحرية .

يقول الدكتور لويس عوض « ثم بدانا ننزلق » . وهذا خير مما قاله انسيد / ماهر شفيق فريد ، وان كنت اعترض على كلمة « بدانا » فعلاوة على عدم وجودها فى النص فهى تخلخل المعنى وتميع لحظة الرعب ان ما يفعله اليوت فى هذا الجزء من الحركة الاولى هو تصوير خوف الانسان المعاصر مجسما هذا الخوف فى خوف الفتاة مارى حين الانزلاق . والكلمات لابد ان تصور الرعب بحدته وفجائيته . الرعب لا ينبغى ان يميع بهذا الشكل . « ثم انزلقنا » : هذا كل ما هناك .

(الى هنا ينتهى الجزء الذى ترجمه الدكتور لويس عوض من دفن الموتى ونتابع مناقشة ترجمة السيد / ماهر شفيق فريد .)

..... Son of man

You cannot say, or guess, ...

الا يا ابن الانسان ، انه ليس فى مقدورك ان تعرف ولا ان تحدس . فى الشروح التى الحقها اليوت بالارض الخراب يشير الى انه اقتبس هذه الكلمات "Son of man" من سفر حزقيال ، الاصحاح الثانى ، الاية الاولى . وبالرجوع الى كلمات حزقيال نجد ان الترجمة العربية المعترف بها لهذه الكلمات هى :

« يا ابن آدم » . فكما ان اليوت اقتبس هذه الكلمات من التوراه (النص الانجليزى) ، كان لزاما على انسيد / ماهر شفيق فريد ان يقتبس الكلمات كما هى ايضا من النص العربى للتوراه . ثم ان عبارة « ابن الانسان » اصطلح على اطلاقها على المسيح فقط . ويقينا ان اليوت لا يعنى المسيح هنا على الاطلاق ، فالنص لا يوحى بذلك اطلاقا . ومن الناحية الشكلية لو كان اليوت يعنى المسيح لكانت الحروف كلها : « بالكابيتال » . وانا لا انكر على المترجم ان يعطى نفسه حق الخلق ، لكن عليه ايضا ان يأخذ بعين الاعتبار ما قد اصطلح عليه فعلا حتى لا يحمل المعنى اكثر مما يطيق .

..... for you know only

A heap of broken images, where the sun beats,

And the dead tree gives no shelter, the cricket no relief .....

انت لا تعرف غير هذه الصورة المكسورة ، والشمس تسعفها .

ان الشجرة الميتة لا تعطى ظلا ، والكرسى الواطىء لا يجلب الراحة .

.. وفى الطريق أهوال واللوز يزهر والجندب يستثقل والشهوة تبطل لان الانسان ذاهب الى بيته الابدى والنادبون يطوفون فى السوق .

ويشير اليوت فى شروحه الملحقة بالقصيدة الى اقتباسه هذه الكلمات من سفر الجامعة ، الاصحاح الثانى عشر ، الاية الخامسة . وبالرجوع الى النص العربى لسفر الجامعة نجد : « فاذكر خالقك فى أيام شبابك قبل أن تأتى أيام الشر أو تجىء السنون اذ تقول ليس لى فيها سرور

« فكلمة » هنا لا علاقة لها « بالكرسى الواطىء » ، وترجمتها على هذا النحو ترجمة قاموسية بحتة . كان المفروض أن يرجع المترجم لسفر الجامعة كى تتضح رؤيته . ومن ناحية اخرى فالمفروض أن الصورة الشعرية — كما قدمت — تدور فى فلك واحد . والكلام هنا عن الشمس والشجر والحجر والماء والجندب .. الخ .

And the dry stone no sound of water.

والصخر اليابس لا يبعث خرير الماء .

وانا أعرف ما هو الصخر اليابس. الصخر الجامد ، الصخر الاصم ، وبخاصة الاصم ، فالامر هنا متعلق بأماد صوتية فيها خرير ، والمفروض فى الصخر أن يكون كالقيثارة يوقع عليه الماء فيبعث الالحان .

فاذا انتقلنا الى الجزء التالى وجدنا خطأ بليغا يستلزم ان ننقل الجزء الانجليزى كله وترجمته العربية كلها كى تتضح الصورة :

"You gave me hyacinths first a year ago ;
"They called me the hyacinth girl."
— Yet when we came back, late, from the hyacinth garden,
Your arms full, and your hair wet, I could not
Speak, and my eyes failed, I was neither
Living nor dead, and I knew nothing,
Looking into the heart of light, the silence.
Od' und leer das Meer. (1)

---

(1) علامات الترقيم كلها فى النص . .

لقد أهديتنى السنابل البرية ، لاول مرة ، منذ عام ،
وقد اطلقوا على اسم فتاة السنابل البرية .
وعندما تاخذنا (٢) فى العودة من حديقة السنابل البرية ،
وقد امتلأ ما بين ذراعيك بها ، وابتل شعرك ،
لم يعد فى مقدورى الكلام ، فخفضت عينى .
لم أكن بالحية ولا بالميتة ، ولم ادرك شيئا ،
فقد كنت انظر فى قلب الضوء والسكون .

يبدو أن السيد المترجم لم يتنبه الى علامات التنصيص فى النص الانجليزى ، أو انه لم يدرك انها تؤدى وظيفة هنا ، فضاع منه المعنى كلية . عندنا فى هذه القطعة متحدثان : فتاة وفتى . الفتاة تتحدث فى السطرين الاولين ، والفتى يرد عليها فى بقية السطور . ولكى نفهم موضوع هذه السطور لابد أن نفهم موضوع الحركة الاولى من الارض الخراب : دفن الموتى . يقول ج . م . كوهين : « بعث الذكرى هو الموضوع الرئيسى للقصيدة ، لكن أولا تعزف التغيرات على موضوعات الملل والخوف والخواء : ملل حياة الفتاة مارى بعد لحظة رعبها ، رعب حبيب فتاة السنابل البرية الذى لم يجد سوى الصمت حيث كان يتوقع النشوة ، الخوف من المستقبل فى زبائن مدام صوزو ستريس ، ملل الجماهير الذاهبة الى العمل فوق جسر لندن ، الرعب من الجثة المدفونة فى الحديقة والتى هى فى نفس الوقت الجذر الوحيد الذى يمكن أن تنبت منه الحياة من جديد ، موت الحياة القديمة . » (١) فموضوع السطور التى نحن بصددها الان هو « رعب حبيب الفتاة الذى لم يجد سوى الصمت حيث كان يتوقع النشوة » لا نشوة الفتاة . الموضوع هو الخيبة لا التحقق ، ومن يقرأ ترجمة السيد / ماهر شفيق فريد يظن أن تحقق الفتاة هو الموضوع ، وهذا مغاير تماما ومحطم تماما لمدلول القصيدة . كيف لم يدرك السيد / ماهر شفيق فريد اهمية علامات التنصيص وكيف لم يدرك اهمية كلمة « Yet » فى السطر الثالث ؟ هذه السطور ينبغى أن تترجم هكذا ، وساكتفى بتصحيح سطور السيد / ماهر شفيق فريد :

لقد أهديتنى السنابل البرية ، لأول مرة ، منذ عام ،
وقد اطلقوا على اسم فتاة السنابل البرية .
— ومع ذلك فعندما اخذنا فى العودة من حديقة السنابل البرية ،
وقد امتلأ ما بين ذراعيك بها ، وابتل شعرك
لم يعد فى مقدورى الكلام ، ولم اعدارى
لم أكن بالحى ولا بالميت ، ولم أدرك شيئا
فلم يطالعنى سوى الموت فى قلب الضياء .
Od und leer das Meer.

---

(1) J. M. Cohen, **Poetry Of This Age**, Arrow Books Ltd., London, 1959, p. 140.

(٢) لا ريب أن هنا خطأ مطبعيا والمترجم يعنى : اخذنا فى العودة .

(٣) بمعنى الموت .

وانا التمس العذر للسيد / ماهر شفيق فريد فى قصوره عن فهم اليوت ، ففنان كبير مثل الدكتور لويس عوض لم يوفق تماما فى فهم الجزء الاول من دفن الموتى فهو يقول : « واليوت الى كل ذلك يحشو شعره باختبارات شخصية لا يشاركه فيها انسان . فمن حوار عارض سمعه فى مقهى (لست روسية ، وانما انا المانية اصيلة ، المانية من لتوانيا) الى حادث جرى له (وخرج بى الارشيدوق لينزلق على الجليد فاضطربت نفسى) . » (٢) واليوت فى الجزء الاول لا يتكلم عن انه انزلق على الجليد هو والارشيدوق ، بل عن الفتاة مارى ورعبها وهى تنزلق على الجليد .

A crowd flowed over London Bridge .....

اعتلى هذا الجمع التل

كلمة « اعتلى » تحمل ظلالا لا تتمشى مع القصيدة ، ففيها اعتلاء . ثم ان اليوت يتكلم هنا عن الكثرة العددية .

I had not thought death had undone so many.

ما كنت احسب الموت خليقا ان يطلق هؤلاء الناس جميعا .

يشير اليوت فى شروح التى الحقها بالقصيدة الى اقتباسه هذا السطر من جحيم دانتى ، الانشودة الثالثة ، السطور من ٥٥ — ٥٧ :

"si lunga tratta
di gente, ch'io non avrei mai creduto
che morte tanta n'avesse disfatta."

وهذه السطور نقلها هـ . ف . كارى الى الانجليزية هكذا :

..... and following came
Such a long train of spirits, I should ne'er
Have thought that death so many had despoil'd. (1)

ولفهم نص اليوت لابد ان نقارن الكلمات الثلاث "disfatta", "undone" "despoil'd" ويقينا ان كلمة "undo" لا تعنى فك السراح او الاطلاق . انا اعلم انها قد تعنى ذلك لغويا ، لكن ليس هذا معناها هنا . هنا مقارنة بين لندن والجحيم وبين نهر التيمز ونهر الموت « اخيرون » وبين جسر لندن والمعبر الى الجحيم . فكيف اطلق الموت هؤلاء ، وهو يحملهم عنوة ؟

(1) The Rev. H. F. Cary (trans.), The Divine Comedy, Everyman's Library, London, 1948, p. 11.

(٢) التخطيط من وضعى . فى الادب الانجليزى الحديث ص ٢١٢ . قال الدكتور لويس عوض هذا عام ١٩٥٠ فربما يكون له الآن رأى مخالف .

"You! hypocrite **lecteur!** — mon semblable, — mon frère!"

« أهذا أنت أيها المحاضر المنافق ؟أى شبيهى ! أى أخى ! »

ويشير اليوت فى شروحه الى اقتباسه هذا السطر من مقدمة **زهور الشر** لبودلير . وبودلير واليوت كذلك يعنيان بكلمة "lecteur" « القارىء » لا « المحاضر » . هنا يسخر الشاعر من نفسه ومن القارىء ، فالشاعر منافق لانه يكتب والقارىء منافق لانه يقرأ . وهذا منتهى الحكم بالموت على الشاعر والقارىء معا ، لكنه منتهى الحكم عليهما بالحياة كذلك .

فى البناء السيمفونى للقصيدة :

أباح السيد المترجم لنفسه أن يقسم الحركة على نحو مغاير لتقسيم الشاعر . فالجزء الاول منها حسب النص يعالج تجربة الفتاة مارى ، والجزء الثانى يعالج تجربة حبيب فتاة السنابل البرية ، والجزء الثالث ينتهى بحديث العرافة ، والجزء الرابع يتحدث عن الجماهير فوق جسر لندن وينتهى بالحديث الى ستيتسون والقارىء . أما السيد المترجم فيدمج الجزئين الثانى والثالث معا . ثم هو يدمج السطور بعضها فى بعض ، وقد تقتضى اللغة العربية ذلك أحيانا ، لكن كان المفروض بذل جهد أكبر فى هذا الصدد . فنحن نلاحظ أن السطور الانجليزية أقصر من السطور العربية ، وذلك قد يضر ضررا بليغا : انه قد يكسب القصيدة عاطفية ليست فيها أصلا ، ويحرمها من قوة تتمتع بها أصلا . بل أن طول السطور قد يكسبها نغمة قصصية حيث لا قصصية على الاطلاق . ينتج عن كل هذا أن موسيقى الترجمة غير موسيقى الاصل . فاذا أخذنا فى اعتبارنا البناء السيمفونى الذى يلتزم به اليوت ، اتضح مبلغ الضرر الذى تصاب به القصيدة نتيجة لذلك . التجربة التى يعبر عنها اليوت كثيرة الابعاد ، والبعد الموسيقى ليس أقل هذه الابعاد ، واغفاله يضر بالتجربة كلها .

فاذا ترجمنا هذه التفاصيل الى مبادىء عامة قلنا ان على مترجم اليوت :

١ — أن يدرس اليوت كله قبل أن يترجم أصغر عمل من أعماله . وغنى عن القول انه لابد راجع الى ما قاله النقاد عنه فى هذه الدراسة .

٢ — ان يقدر كل كلمة فى اى عمل يترجمه فى ضوء التجربة الاليوتية كلها .

٣ — ان يرجع الى الكتاب الذين يشير اليهم اليوت .

٤ — أن يراعى الدور الذى تلعبه الموسيقى فى شعر اليوت والبناء السيمفونى لاعماله .

ثم لابد له قبل هذا كله وفوق هذا كله أن يكون ذا تجربة روحية فكرية فنية لا تقل كثيرا عن تجربة اليوت .

إلى أخي في اليمن

اليه وهو يصنع الحياة في ضمير الانسان .. ويمسح الظلام عن جبين الملايين العربية المتطلعة للنور .. اليه وهو في نضاله من أجل الانسان العربي بكل ما منحه الله من قدرة .. بكل حياته وآماله .. اليه .. الى اخي « أحمد » .. والى كل المناضلين في صنعاء .. وفي كل مكان .. هذه الباقة من المشاعر والشوق والامل :

يا ليل ان ضلت بارضك غنوتي وتبعثرت الحاني
وغدوت في درب الحياة حكاية غابت مع النسيان
لم يبق لي غير الدموع وما بها من لوعة الفنان
ولهيب شوق للحياة وحسنها في قدرة الانسان
فاضمم لصمتك سبحتي في الذكريات فقد مضت أزماني
واعزف بنايك للحبيب حكاية قدسية الالوان
تنمو مع الاعوام مثل محبتي للنور والاوطان
انا لم أزل يا ليل همسة عاشق تسري بلا شطآن
للحسن في كل الجمال ولو غدى مثل اللهيب القاني
فيد البطولة كم اقامت مجدها بالنار والايمان
ولطالما صنعت طلائع فجرها في ظلمة الطغيان
يا ليل ما بي شقوة ... لكنما شوقي يهز كياني
لما كتبت رسالتي وتفجرت في مقلتي اشجاني
وانساب لحن من حنين رائع للنور ... للبركان
في أرض صنعاء التي . . . فيها اخي حوت من الحيتان
يحمي الصباح على جبين بلادنا من قبضة القرصان
فهناك شعب قد طوى طوفانه بالسجن والسجان
فيه النسيم تلونت لمساته بحرارة النيران
والمجد ايقظ امة . . . قاست مع الايام كل هوان
كتبت لذاك الشعب كل مفاخر في عزة وتوان

وامتد غصن باسم برياضنا فى لهفة الظمآن
يرنو الى حرية تسمو به لمحبة وأمان
حتى غدت يمنا سعيدا ثائرا كتدفق الطوفان
يا ليل . . . ان حملت نسائمك الهوى لاخى مع الشجعان
فاعزف له لحن البطولة والفدى فى ساحة الميدان
واذكر له عن بور سعيد حكاية الطغيان والعدوان
لما أتوا كالظلمة الحمقاء يغزونا بكل مكان
وتساقطوا من طائرات حومت فى ذلة الجرذان
لكنما تلك النسائم لم تكن الا لهيبا دانى
والارض لم تصبح سوى قبر لهم من غير ما أكفان
حتى التقت آمالهم فى ارضنا بمذلة الخسران
وتلفعوا بدموعهم مثل الجريح اقتات بالاحزان
يا ليل ... ان حياتنا أنشودة جلت عن الكتمان
تسرى بلون النور ثائرة برغم صلابة القضبان
فهناك فى أرض الجزيرة ثورة لا تبتغى اعلانى
والفجر فى عمان أيقظه الظلام وقسوة السلطان
لما أتوا مثل النسور لارضنا كالمارد اليقظان
قد راعهم حكم الخيانة بينهم وشريعة البهتان
وتدفقوا كالسيل يعلن عزمه فى عزة وتفانى

* * *

يا ليل ان شعورنا زحف يشق معالم الوجدان
لهب يحطم كل قيد قد اقيم لذلة الانسان
فاعزف لحون النصر فى قلب الحياة وفى لمى الوديان
واحمل تحياتى « لناصر » انه قلبى وعمق جنانى
انا عاشق الذكرى وكل بطولة كانت بكل زمان
أهوى الحياة كريمة بسامة فى حسنها الفتان

على الشباشى

في كلمات :

الى راويتى

شعر : البيلى حسن

يا وحى الهامى ، ونبع حياتيه . .
وربيع أيامى ، وسر هنائيه ..
يا كعبة .. أنا فى حماها عابد ..
هيمان ، أثير فى سماك صلاتيه ..
يا جدولا ينساب فى حقل المنى ..
نشوان ، يروى بالهوى .. أياميه ..
يا نجمة .. عشق الانام ضياءها ..
أنا حائر !! ، هلا نرت سمائيه ؟ ! !
يا أفق أحلامى ، ووحى خواطرى
وربيع أيامى ، وسر هنائيه ..
يا غنوة حصنت نشيد الصمت ، من
عمرى ، وأحيت بالمنى آماليه .. !!
يا كوكبا يهدى حياتى للسنا ..
ويجد فى حصد الليالى الداجية .. !!
رحماك يا أختاه .. انى ظامىء ..
أفلا سمحت برشفة .. يا راوية ؟ ! .

دموع بريئة ..

أنا المرء الذى دنياه « ليل » من الآلام ..
لم يشهد صباحه .. ،
مضى فى الكون زورقه .. فريدا
يبعثر فى الدجى الطاغى جراحه ..
وحاصره الضباب ، فصار أعمى ،
وريح الليل ، ما رحمت جناحه ..
فراح يردد الآهات شتى
ويسكب فى فم الدنيا نواحه!

زورق فى عاصفة

فى محيط الحياة سرت وحيدا ..
أتلقى الرياح ..
بيضا وسودا .. ،
وأمامى الوجود .. بحر عميق .. ،
وسنا شطه يلوح بعيدا .. ، !!
قد أتيت ..
وما أتيت اختيارا .. ،
وسأمضى ..
ولست أبغى خلودا .. ،
كيف أحيا ؟
وكيف أفنى ؟ ..
سؤال سر مدى .. أظنه مفقودا

* * *

موال بحراوى

بقلم : حامد الاطمس

يسعدمساك ياقمر ، النور علينا احنا
احنا اللى شوك الهوى خالف مايجرحنا
واحنا اللى طبع الشطارة فى ملامحنا
لو يوم زمانا الهوى ماميلش ع الليل
مانميلش الا على اللى تعشقه روحنا

* * *

قالوا : منين القبائل قلت أنا بحرى
شاطر فى بادى وشاطر فى بلد غيرى
نزلت سوق البلد اسال على طيرى
اتحاوطوا بيه (النور) فى رجعتى م السوق
لولا انى صاحى لكانوا عطلوا سيرى

* * *

لفوا عليه النور — نورى وزا نورى
ماحد منهم قدر يسالك مع أمورى
من يومها حلفوا ما يبجوا السوق فى
حضورى
غلبت معايا النور باللى بتسالنى
عن الف نورى ولا واحد دمنهورى

ما برحت ذاكرتى صـــورة ... تذكرها العـــين لقط ضرير
قد سارت الاعـوام من خلفها ... وطيفها الماثل ما ان يســـير

* * *

شاعـــدته عن كثب حذرا ... يشم ترب الارض كالفـاحص
يلمس فيهـــا مطعما ، انمـا ... قد بعـــد الدر عن الغـائص

* * *

الانف يا للانف يـــوحى له ... بان فى البيت طعـــاما يفوح
والعـــين يا للعين تنـأى به ... عن قصـــده فهو حزين ينوح

* * *

كم يرفع الرأس كمن يشـتكى ... فان وهى عن حمـــله اطرقا
له مـــواء شف عن حسرة ... كاد بهـــا الاعجم ان ينطقـــا

* * *

مواؤه الضـــارع مسترسل ... تلمس فيـــه ذلة السـائل
يحســـبه يعطف بعض الورى ... لكنـــــه يمضى بلا طـــائل

* * *

وربمـــا يصمت فى غفـــوة ... صمتا يدوى حـــزنه الواضح
كالجمـر يغشـاه الثرى برهة ... ووقـــــده من حـوله لافح

* * *

هزاله المر دليـــل الطـوى ... ووجهـــه الجهم دليل الضجر
رعشـــته تنبىء عن خافـق ... فى صدره لاقى الضنى فانفطر

* * *

اعمى الورى يفصح عن نفســه ... لكنـــه الابكم لا يفصـــح
ماســـاته فاقت مآسى الورى ... وما لهـــا من ناطق يشرح

* * *

فى صـــدره الزمرة لم تنطلق ... الا تفـــاريق بمجرى النفس
كهـــائج البركان لم ينفجـــر ... رسا عليـــه طـــوده فاحتبس

* * *

يشم ما يرجـــو فان رامـــه ... لم يلق غـــير الاسف اللاذع
كالآل يبـــدو لامعا انمـــا ... قد ضـــاع فيـــه امل الطامع

* * *

يفتح جفنـــا يد لهم الدجى ... به فما من قبس يســـطع
ان بدت الشمس مضـــت دونه ... حسرى طـــواها ليله الاسفع

* * *

قد هان عنـــد الفار واحسرتا ... فحـــوم الفار عليه لا هيـــا
رأى به ذلا فـــــلم يكترث ... وخف فى فرحتـــــه شاديا

* * *

مقلتـــه الخضراء تحت الدجى ... تشـــع بالضـــوء ولا تبصر
جـــوهرة زيفهـــا حظهـــا ... فمـــا لها قيمـــة تذكـــر

* * *

ينصب من خلف الدجى سمعه ... كمجهـــر يبرز ما يختـــفى
صـــوت الشواء الحلو يجلى به ... لكنـــه بالصـــوت لا يكتفى

* * *

يظن ما فى الارض من جنســـه ... يشكو الدجى فالليل مستحكم
ظن يريح النفس اذلا حجـــا ... يرشـــده ، والرشد قد يؤلم

* * *

بحثت عن كاف له مســـعد ... بظلمـــة اطبق فيها الشـــقاء
وكنت استيئس فى حـــيرتى ... لولا يقين ثابت فى الســـماء

* * *

اسأل نفسى ما الذى قـــد جنى ... وما غنـــــاء الكون من بؤسه
يحيـــا حياة ما استفادت به ... ارغـــد منها النوم فى رمسه

* * *

لعله اعتاد الدجى فاغتـــدى ... بالفـــه ذا ســـلوة وارتضـــاه
وبت وحـــدى شاكيا همـــه ... وذو الاسى مستمرىء ما دهاه

* * *

لا فانكسار الراس فى خطـــوه ... ينبىء عن احساســـه الناقم
وصاحب الاحســـاس ، والهفتا ... من حســـه بين لظى حاطم

* * *

قد يرتقى القط باحســـاسه ... الى سماء القمـــة العاليـــة
وفى طغـــام الناس من يرتمى ... اذ يفقد الحس الى الهـــاوية

محمد رجب البيومى

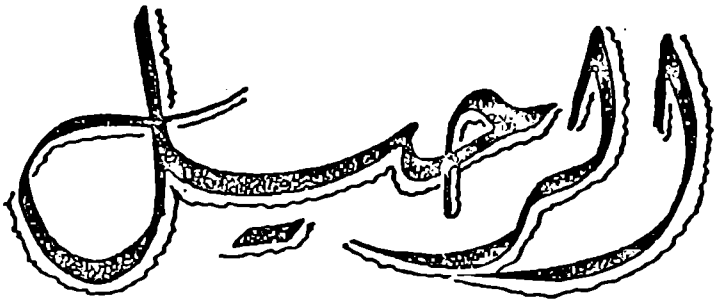

قصة : ليام أوفلاهرتي

كان كوخ باتريك فيني حافلا بالناس .. ففي المطبخ الفسيح كانت الحوائط تكاد تختفي وراء الرجال والنساء والاطفال ، وقد تسمر ثلاثة منهم في أماكنهم بينما جلس الباقون على الكراسي والمقاعد الصغيرة وعلى أرجل بعضهم بعضا .

وكان ثلاثة أزواج منهم يؤدون رقصة سريعة فوق الارض الاسمنت ويثيرون بذلك قدرا من الغبار كانت النار المتوهجة في المدفأة تدفعه الى اعلى في المدخنة .

كانت المساحة الخالية الوحيدة في المطبخ هي ذلك الركن على يسار المدفأة حيث جلس بات مولاني على كرسي أصفر وقد استند بكوعه الايمن على ركبته اليسرى ووضع على رأسه منديلا ذي نقط حمراء يفوح برائحة العرق بينما كانت أساريره تنقبض وتنبسط وهو يعزف على أكورديون عميق مهلهل .

وكان هناك باب مغلق تتوهج فوقه الصفائح المعدنية في ضوء النار .. اما الباب المقابل له فكان مفتوحا تبدو منه سماء يونية بنجومها فوق رؤوس الصبية الصغار الذين تزاحموا عند الباب يشاهدون الراقصين بأعين نصف مفتوحة .. وقد امتدت الظلال الرمادية الشاحبة ، والحقول السابحة في الغمام الأبيض ترقد بلا حراك هادئة مظلمة .

كان الصمت عميقا خارج الكوخ بل وداخله رغم ما يدور فيه من رقص وموسيقى في المطبخ وغناء في الحجرة الصغيرة التي على اليسار حيث جلس مشيل الابن الاكبر لباتريك فيني على الفراش مع ثلاثة من أترابه . كان حزن رقيق يكتنف المكان .

كان الناس يرقصون ويغنون في فرح صاخب يبدو كما لو كان مفروضا عليهم .. غير انه اخفق في اخفاء السبب الحقيقي لوجودهم ها هنا يرقصون ويغنون ويضحكون .

كان الحفل بمناسبة رحيل مشيل ومارى ابني فيني الى الولايات المتحدة في صباح الغد . كان فيني ذا لحية سوداء ووجه أحمر ، وهو فلاح في أواسط العمر تزين سترته الزرقاء أزرار عاجية بيضاء .. وكانت يداه تتعلقان بحزام واسطه الجلدي وهو يجول قلقا في المطبخ يحث الناس على الغناء والرقص بينما تسبح أفكاره طيلة الوقت في بحر من الاحزان .. ففي الغد سيفقد اثنين هما اكبر أولاده .. ربما لن يراهما ثانية .

كان يحدث كل شخص عن أشياء جميلة ويصيح مشجعا الراقصين في صخب وحشي . ولكن .. بين آونة وأخرى كان يغادر المطبخ بحجة الذهاب الى الاسطبل ليرى خنزيرا صغيرا كان يدعي أنه مريض .. وهناك كان يقف صامتا يرقب النجوم في أسى

بينما يضطرب ذهنه بافكار غريبة مبهمة تراوده .

لم يكن ليستطيع ان يفقل شيئا بكل افكاره هذه . لكن غصة كانت تجتاح حلقه دائما .. ويشعر بقشعريرة رغم دفء الليل .

« عالم غريب ! لاشك فى ذلك » هكذا كان يقول وهو يتنهد ثم يأفل راجعا الى الكوخ ويعود الى حيث الراقصين والضحك والصياح وهو يقرع الارض بقدميه .

كانت الارض تضيق بازواج الراقصين عند الفجر وقد انتظموا فى أربعات يضربون الارض بأقدامهم ويذرعونها جيئة وذهابا ، عندما انسحب فينى الى الاسطبل وتبعه ابنه — ومشيا جنبا الى جنب على بحر من الاحجار الصغيرة التى تناثرت بالامس فى الفناء ، وكانا صامتين يتشاءبان بلا داع متظاهرين باستنشاق الهواء ولكن هذا لم يكن الا نتيجة انفعالهما .

كان مشييل اطول من ابيه غير انه لم يكن بدينا ، ورغم هذا فقد كانت سترته الزرقاء التى اشتراها خصيصا للذهاب الى امريكا ، كانت تضيق بعرض منكبيه ويتسع المعطف عند وسطه ، كان خشن المظهر تبدو يداه بعظامهما البارزة كبيرتين حمراوين لا يدرى ماذا يفعل بهما !

وخلال اعوام عمره الاربعة والعشرين لم يرتد قط سوى الملابس البيتية المصنوعة فى انفرانا ولهذا كانت الثياب الجاهزة تبدو غريبة عليه غير مريحة كما هو الحال لمن يعمل فى المجارى ويرتدى بذلة .

كان وجهه الاحمر شرقا لامعا وعيناه الزرقاوان تومضان بالانفعال . وكان بين آن وآخر يجفف العرق المتساقط من جبهته ببطانة غطاء راسه الرمادى الصوفى . واستقر الاب اخيرا فى موضعه المعتاد عند طرف الحظيرة وهو يحفظ توازنه على كعبيه واضعا يديه فى حزام وسطه وسئل قائلا « سيكون يوما دافئا »

واتخذ الابن موضعا بجانبه وهو يضم ذراعيه ويحنى كتفه الايمن عند طرف السقف وقال : كان كرما من خالى ند ان يقرضنا تكاليف الحفل يا ابى فكم كنت سأبغض التفكير فى اننا رحلنا هكذا بدون اى شىء كما يذهب اى شخص اخر . سأرسل لك اول اجر اكسبه حتى قبل ان اسدد ماعلى لعمتى مارى من رسو السفر ، وعلى ان ادفع كل هذه النقود خلال أربعة اشهر وعندئذ سيكون لدى بعض الفائض من المال فارسله لك فى عيد الميلاد ..

كان ميشيل يشعر بالقوة والرجولة كلما عدد ماسيفعله عندذهابه لبوسطن دماساشوتس ، كانت نفسه تحدثه دائما بأن قوته كفيلة بان تمكنه من كسب قدر هائل من النقود . كان يحس بالقوة والشباب ويملاه حنين الى حياة المغامرات ويتوق الى اللحظة التى ينسى فيها الالم الذى تبعثه فكرة ترك ابيه .

وصمت الاب لفترة من الوقت وهو يقلب بصره فى السماء وقد تدلت شفته السفلى يفكر فى لا شىء . وتنهد اخيرا حين ايقظته الذكرى

وقال الابن « ماذا ؟ لا تضعف يا ابى بحق السماء فانك بهذا تعسر على الامر » وزفر الاب بخشونة مصطنعة قائلا : من ذا الذى يضعف ؟ اخشى ان تكون ملابسك الجديدة قد جعلتك وقحا » وصمت برهة ثم عاد يقول فى صوت خافت « اننى فقط تذكرت حقل البطاطس الذى زرعته بمفردك فى الربيع وقت ان كنت انا متوعكا بالانفلونزا . كم هو عالم قاس ذلك الذى يقصيك عن الارض التى خلقك الله لها »

وقال الابن فى ضيق « عم تتكلم يا ابى — ما الذى تجنيه من الارض

سوى البطاطس والفقر والكدح والملح وتنهد الاب مؤمنا على كلامه ثم قال «لكنها ارضك» ولوح بيده الى السماء الغربية وهو يقول « ان عرقك سيبذل لارض رجل اخر » .. ووقفا صامتين لخمس دقائق كاملة ، وكل منهما يتوق الى عناق الاخر او البكاء او ضرب الهواء او الصراخ تعبيرا عن حزنهما ولكنهما وقفا صامتين مظلمين كالطبيعة حولهما . واغلقا صدريهما على الالم وتوجها للكوخ .

وعاد ميشيل الى الحجرة الصغرى على يسار المطبخ حيث جلس الشبان الثلاثة الذين كانوا يشاركونه الصيد على نفس القارب وكانوا اعز اصدقائه اما الاب فتوجه الى الحجرة الفسيحة للنوم على يمين المطبخ

كانت غرفة النوم ايضا مزدحمة بالناس تتوسطها مائدة كبيرة معدة للشاى يجلس اليها دستة من الشباب يشربون الشاى ويأكلون الكعك بالزبد أو مسز فين فكانت تقدم الطعام وتحثهم على الاكل فى جلبة . كانت ابنتاها الصغيرتان تساعدانها وامراة اخرى من اقاربها . اما ابنتها مارى التى كانت سترحل الى الولايات المتحدة هذا اليوم فكانت تجلس على حافة الفراش مع عدد من بنات جنسها . وعلى السرير الواسع ذى الاعمدة الاربعة والستائر الحمراء ازدحم عدد من الفتيات يقارب الاثنا عشر ونبش منها فى هذا الوضع المتعب ، فقد كن صديقاتها الاثيرات ، وذلك ليظهرن مدى حبهن لها . كان هذا هو العرف كانت مارى تدلى ساقيها وهى جالسة على حافة السرير وقد بدت فى التاسعة عشرة ، فتاة رقيقة ذات شعر داكن وقد علا وجنتيها الحمراوين المتلئتين طابعا الحسن . وكانت عيناها البنيتان الشاردتان ترسلان بريقا بين ان واخر الى جبهتها الصغيرة المنخفضة . كان انفها الصغير رقيقا مستديرا . وقد انفرج فاها بشفتين حمراوين .

كان جسدها يبدو — من تحت فستانها بنصفيه الابيض . والازرق وتطريزه عند العنق — كان يبدو ملفوفا رقيقا بديع التكوين ويوحى بطريقة ما بشعور من الحيوية والبراءة .

كانت تبدو كما لو كانت ولدت لتدلل وتلقى الاعجاب فى بيئة ترف بدل أن تكون ابنة لفلاح عليها ان ترحل للولايات المتحدة فى ذلك اليوم لتعمل خادمة او ربما عاملة فى مصنع.

وبينما كانت تجلس على طرف السرير تسحق منديلها الصغير بين راحتيها ، كانت افكار محمومة تدور بخلدها عن الولايات المتحدة تحمل اليها الخوف آنا والحنين آنا اخر .

وعلى خلاف اخيها لم تكن تفكر فى العمل الذى ستشتغل به او المال الذى ستحصل عليه بل كانت اشياء اخرى تشغلها .. اشياء تخجلها بعض الشىء وتفزعها ! افكار تتصل بالحب .. حب الرجال الاجانب والشباب والبيوت .. حيث يتوافر اكثر من ثلاث حجرات ويأكل الناس اللحم كل يوم .. كانت شغوفة بالحياة . وكان الكثيرون من شباب انفرانا ذوى الاصل النبيل يحملون لها الاعجاب .. ولكن ..

واتفق ان التقت عيناها بعينى والدها وقد وقف صامتا مستندا الى النافذة ويداه فى حزام وسطه . واستقر طرفه على عينيها لبرهة ثم اغضاه دون ان يبتسم وخرج الى المطبخ وهو يزم شفتيه .

وارتعدت قليلا .. فقد كانت تخاف اباها بعض الشىء رغم ماكانت تعلم به من حبه لها وعطفه عليها .. ولكنه فى الشتاء الماضى كان قد ضربها عندما رآها ذات مساء بين ذراعى تيم هرفون وهو يقبلها خلف بيته بعد هبوط الظلام ومنذ ذلك الوقت كانت ملامة والدها او التحدث اليه تثير فيها الرجفة .

وناوه فلاح عجوز كان يجلس الى المائدة ممسكا فنجانه الملىء بالشاى ويرتدى قائلة رمادية يبدو من فتحتها عنق نحيل كث الشعر لامع ، وقال « كم هو محزن حقا لجزيرة انفرانا ان ترحل عنها امراة جميلة كابنتك يامسز فينى ! فلو كنت شابا لما تورعت عن سلخ جلدى دون ان اتركها ترحل » وانطلقت ضحكة من النسوة الجالسات على الفراش لكنها سرعان ما ماتت وشعر الرجال الجالسون الى المائدة بالضيق واخذ كل منهم ينظر للاخرين خجلا يحاول ان يستشف حبهم لمارى فينى .

« الله كبير » قالتها الام وهى تمسح شفتيها بطرف مريلتها النظيفة اللامعة ثم قالت « لابد من وقوع المقدر . وهناك امل من البحر ولا امل هناك من القبر ، انه شىء محزن ولكن على الفقراء أن يقاسوا »

وتوقفت فجاة كما لو كانت قد ادركت انها تردد سخافات لا معنى لها كانت كزوجها لا تستطيع ان تفكر بجلاء فى شان رحيل طفليها . وكانت كلما تراءى لها رحيلهم الذى قد يكون الى الابد للعالم الواسع المجهول ، تحس كما لو ان قضيبا معدنيا مجمى يخترق راسها ويستقر خلف جبهتها وما ان تحس بوخز هذا القضيب الوهمى حتى تنسى كل ما ينتظر اولادها من مصير بشع فى هذه الرحلة

كان ذهنها يضطرب بما حولها فى استغراق تام .. كانت مشغولة باعداد الطعام وتسلية الضيوف واشياء عديدة تافهة ولكن لابد من القيام بها اذا ما كانت هناك حفلة فى اى بيت ولا يمكن لاحد ان يقوم بها خير قيام سوى امراة . وكانت هذه الاشياء الصغيرة تنقذها الى حد ما ولو فى تلك اللحظة على الاقل من الانفجار فى البكاء كلما تذكرت لابنتها او فكرت فى ولدها الذى كانت تحبه اكثر اولادها ربما لانها كادت تموت وهى تهبه الحياة أو لانه ظل وديعا حتى بلغ الثانية عشرة . وكتمت فى صدرها ضحكة ساخرة جعلتها تتنفس فى عمق حيث كانت مرولتها ترتفع من حزام الوسط فى انحناء بالغ .

وقالت وهى تهز كتفيها « يبدأ الشخص فى الحديث ثم يتفوه باشياء حمقاء » ووافقها فلاح عجوز وهو يصب مزيدا من الشاى فى جلبة من فنجان الى طبقه . ولكن مارى عرفت من ضحكة امها هذه انها على وشك الاصابة بنوبة هستيرية فقد كانت تضحك هكذا دائما كلما كانت على وشك الوقوع فى نوبة هستيرية . وتوقف قلب مارى عن الوجيب فجاة وهى ترمق جسد امها القصير الممتلىء وتلك الكتلة العجيبة من الشعر الاخذ فى المشيب عند القودين ، ثم عاد قلبها يدق فى معدل رهيب .

ذلك الوجه الجميل ذو العينين الحالمتين البنيتين اللتين كانتا تمتدان كلما نظرنا الى شىء ثم تعودان ثانية لرقتهما وشاعريتهما .. وهذا الفم ذو الشفتين الرقيقتين والاسنان البيضاء الجميلة .. والخطوط الراسية التى تقطع فى عمق شفتها العليا وتلك الرعشة الخفيفة التى تعترى ركن فمها كلما نظرت لاطفالها تعبيرا عن حبها لهم .

كانت مارى تعى كل هذه الاشياء الصغيرة كما تعرف تلك الشامة السوداء الصغيرة على صدر أمها الايسر والورم الذى يعترى ارجلها بين حين واخر مسببا لها حالات الهستيريا التى ستسبب موتها فى يوم ما

كان الرعب يتولاها كلما خطر لها انها ستترك أمها او كلما ادركت انانية تفكيرها .. انها لم تكن تميل الى التفكير فى اى شىء حاد ذى اهمية لكنها

الان ولتلك اللحظة بالذات تراودها ومضات من حياة أمها .. صورة للبؤس المتصل والمكابدة والعمل الشاق .. لفائف الوضع .. المرض .. والعمل الشاق ثانية ثم الجوع والقلق .

وجعلها هذا تقشعر وتكره نفسها فكم هي كسول قاسية انانية بلا قلب كانت تلك الصورة تظهر ثم تتوارى امام عينيها .. وقفزت من الفراش بلفتة سريعة من رأسها كما هي عادتها كلما حركت جسمها . وهمست لامها وهي تعبث باحد الازرار السوداء في ثوبها البني قائلة « اجلسي قليلا يا اماه وساشرف انا على المائدة »

وغمغمت الام قائلة بهزة من جسدها كله « لا . لا .. لست متعبة على الاطلاق .. اجلسي انت ياعزيزتي فأمامك طريق طويل تسافرينه اليوم

وتنهدت مارى وعادت ثانية للفراش واخيرا تحدث بعضهم قائلا « ياله من نهار مشرق » وسرعان ما نظروا الى الخارج قائلين « حقا .. سبحان الله » .. كان من الصعب ملاحظة التحول من الليل الى النهار : من الليل بنجومه الى الفجر الرمادي الحاد

ونظر الناس للخارج فاذا خيوط الصباح تتسلل فوق الصخور المنحدرة في صمت وفوق الارض وهي تدفع سحب الغمام الى اعلى . كانت النجوم اخذة في الافول .. وعلى بعد شاهدوا الطيور تفرد في اعشاشها من تل بعيد

وجاء يوم جديد ، كان النهار ينشر ضياءه ويحرك الكائنات ويصدر الاصوات .. والناس ينظرون اليه متثائبين باحثين عن قبعاتهم استعدادا للذهاب الى منازلهم .

وتصايحت الديكة وغردت الطيور السوداء وانطلق كلب ينبح خلف لص وهمي . كانوا ذاهبين الى منازلهم ليقوموا باعمال الصباح قبل مصاحبة النازحين الى كلمبرج لتوديعهم على ظهر الباخرة الراحلة الى امريكا . وسرعان ما خوى البيت الصغير الا من الاسرة . واجتمعت الاسرة في المطبخ ، وتوقفوا لبضع دقائق يتكلمون كالنيام عن الحفل ومن كان موجودا به ، وحاولت مسز فينى ان تحث كل منهم على أن يأوى الى الفراش ولكنهم رفضوا جميعا .

كانت الساعة الرابعة ، وكان على ميشيل ومارى ان يبدآ رحلتهما الى كليمارج في التاسعة . واعد الشاى وجلسوا كلهم يتحدثون وهم يشربون الشاى ويأكلون الكعك .. كانوا يتحدثون عن الحفل ومن حضر فيه من الناس .

كانوا ثمانية : الاب والام ودستة من الاطفال . كان توماس الابن الاصغر صبيا نحيلا في الثانية عشرة تصدر رئتاه صوتا موسيقيا كلما تنفس .

وكانت برجيت فتاة في الرابعة عشرة ذات عيون راقصة تهز دائما خصلات شعرها الذهبي بين حين واخر دون سبب ظاهر .

اما جوليا ومرجريت التوامان فكانتا في السادسة عشرة تتسمان بالهدوء وشيء من الغباء لهما وجهان مفلطحان كانت اسنانهما العلوية بارزة بعض الشيء وكانتا تمتازان بجدهما في العمل وطاعتهما لامهما .

كانوا يجلسون جميعا الى المائدة وقد فرغوا من تناول ابريق الشاى للمرة الثالثة . وفجاة افرغت الام ما تبقى به من الشاى في قدحها ثم تركته يسقط على طبقه محدثا ضوضاء واخذت تبكي من انفها . وقال ميشيل في حزم « والآن .. ما فائدة هذا يا اماه ؟ » واجابت في هدوء « كلا .. انك على حق ياحبيبي .. انني كنت افكر فقط .. كم هو جميل ان اجلس

هكذا وحولى اطفالى .. كل افراخى فى عشى .. ثم يطير اثنان منهم .. كم يحزننى هذا »

وضحكت كما لو كانت هذه نكتة بلهاء .

« اوه ـ لعن الله هذه الرواية » . قالها الاب وهو يمسح فمه بكمه ثم قال « هناك عمل يجب ان يؤدى .. انت ياجوليا اذهبى واحضرى الجواد وعليك يامرجريت بحلب البقرة وقدمى لنا كافيا للعجل هذا الصباح » هكذا امر كل فرد منهم ان يقوم بعمله كما لو كان يوما عاديا .

ولم يكن هناك شىء لدى ميشيل ومارى ليعملاه فجلسا وقد ادركا انهما قد استبعدا من روتين الحياة اليومى .. لم يعد لهما مكان فيه .. وخلال ساعات قليلة سيصبحان متسولين متشردين .. والان فقط بدت لهما حياة الفقر والمعاناة فى بيتهما كما لو كانت مرحة راعنة .. ذلك لانهما على وشك الرحيل .

وانقضى الصباح حتى موعد الافطار فى السابعة وقد انتهى عمل الصباح واجتمعت الاسرة ثانية . وتناولوا وجبة الافطار فى صمت رهيب .. لم يكن احد يريد التحدث بعد تلك الليلة التى ارقوا طوالها وهم يدركون ان الرحيل آت بعد ساعات قلائل .

وتناول كل منهم بيضة فى افطاره احتفاء بهذه المناسبة . وحاولت مسز فينى كعادتها ان تمنح ميشيل بيضتها ولكنه رفض وكررت نفس الشىء مع مارى ولكنها رفضت ايضا فاكلت هى منها واعطت الباقى لتوماس ذى الصدر الموسيقى .. ورفع الافطار .. ومضى الاب يضع السلال فوق البغلة لينقلها الى كليمارج .. واعد ميشيل ومارى الامتعة وبدآ فى ارتداء ثيابهما بينما كانت الام ـ وباقى الابناء ـ ترتب من شأن المنزل . وبدأ الناس يتوافدون من القرية الى المطبخ لمصاحبة المسافرين الى كليمارج .

واعد كل شىء .. واستنفدت مسز فينى كل الحجج للرواح والمجىء والانشغال باعمال تافهة .. كان عليها ان تذهب الى حجرة النوم الواسعة حيث كانت مارى تضع قبعة جديدة .

وجلست الام على مقعد بجوار النافذة .. كان وجهها يخفى وراءه فيضا من الدمع . ومشى ميشيل فى الحجرة وبداه تعقدان منديلا احمر كبيرا خلف ظهره . ووقفت مارى امام المرآة المعلقة فى الاطار الخشبى الاسود كانت تقضى وقتا طويلا مع قبعتها .. كانت هذه هى اول قبعة تضعها لكنها كانت تناسبها تماما فقد كان تصميمها رائعا . كانت قد تلقتها من ناظرة المدرسة التى كانت تحبها كثيرا . وكان لمارى حس فطرى للاناقة .

ولم تدر الام ما الذى اثار غضبها اذ رأت مارى وهى ترتدى ثيابها الرخيصة وتضع القبعة الصغيرة السوداء فوق خصلات شعرها الغزير الذى يغطى اذنيها والجوارب الحريرية السوداء والحذاء الصغير الاسود الملىء بالالوان لم تدر لماذا غضبت ولكنها فى تلك اللحظة كرهت جمال ابنتها وتذكرت كل الآلام التى عانتها وهى تلدها وتربيها .. كل هذا ليس لشىء الا لتفقدها الان وتتركها تذهب ربما لتخطف عنوة بسبب جمالها ومرحها الفطرى .

واجتاحت الام سحابة من جنون الغيرة وهى ترى هذا الجمال الذى لا تملكه هى .. ومدت يديها بلا داع منها امامها وسرعان ما ذاب غضبها فجاة كسحابة دخان وانفجرت تولول

باكية « آه يا ابنائى ستحملان بعيدا عنى وراء البحر .. بعيدا عنى انا امكم » ثم اخذت تتارجح وهى تغطى راسها بمريلتها .

وسرعان ما ملأ البيت عويل مر . واطلقت النساء الجالسات فى المطبخ صرخات الالم وبدات كل واحدة تقول بعد الاخرى « سيحملون وراء البحر بعيدا » .

وجلس توماس الصغير على مقدمة المدفأة بجوار الكلب وهو يضع يديه حوله ورغم انه لم يكن يدرى سبب بكائه فقد بكى وشعور من الحزن يتملكه لان الكلب كان ينبح والناس كثيرون حوله .

وفى حجرة النوم جثا كل من الابن والبنت على ركبتيه متشبثا بأمه التى كانت تمسك راسيهما بين يديها وتمطرها قبلا ..

وبعد موجة البكاء الاولى توقفت عن النحيب غير ان الدموع ما زالت تجرى صامتة على وجنتيها .. لكن عينيها كانتا تومضان الا انهما جافتان وارتسمت فيهما نظرة وحشية وهى تجول الطرف بين راسى ابنيها وقد عقدت حاجبيها .. كأنما كانت تود أن تبقى لهما بنظراتها هذه الصورة حية فى مخيلتها .. كانت تقبلهما وهى تتمتم بشفتيها المرتجفتين .

وتقاصت يدها اليمنى على كتف مارى الايسر بينما كانت تداعب بيسراها رقبة مشييل .. لابد ان ربع ساعة قد انقضى وهم على هذا الوضع .

وقدم الاب الى الحجرة وهو فى أبهى حلله .. كان يمسك باحدى يديه قبعته السوداء وفى الاخرى كان يمسك زجاجة للماء المقدس وسعل ثم قال بصوت متخاذل رقيق لم يعهد فيه من قبل : « هيا .. جان الوقت » ونهض مشييل ومارى على اقدامهما. ونثر الاب عليهما الماء المقدس ورسما الصليب على صدريهما .. وغادرا الحجرة دون ان ينظرا الى امهما التى تكومت فى مقعد وقد وضعت يديها فى حجرها تنظر للارض فى صمت دون بكاء .

وقبل كل منهما توماس الصغير فى سرعة لانه لم يكن ذاهبا الى كلمبارج .. ثم غادرا المنزل وهما ممسكان بايدى بعضهما . . وبينما كان مشييل يمر من الباب التقط قطعة من البياض المتساقط من الحائط ووضعها فى جيبه .

وانصرف الناس خلفهم الى الطريق كمن يمشى فى موكب جنازة .. وبقيت الام فى المنزل مع توماس الصغير واثنتان من فلاحات القرية المسنات .

وخيم الصمت على المكان لوقت طويل .. ثم نهضت الام متجهة الى المطبخ ونظرت للمرأتين والى ابنها الصغير ثم الى المدفأة كما لو كانت تبحث عن شىء فقدته ثم ألقت بيديها فى الهواء واخذت تعدد من الغناء وهى تصيح « ارجعا .. عودا لى » .

كانت تنظر الى الطريق بأنف منتفخ وصدر مضطرب .. كان هناك خط من أحجار الطريق البيضاء يحوط الصخور الرمادية المحترقة من الشمس . كان الطريق ينتهى بتل ثم يغيب عن البصر ..

كانت شمس يونية الحارة صامتة ورقفت الام تنصت فى غباء لصدى الصرخة .. وتخيلت انها تستطيع سماع الصخور تئن تحت اشعة الشمس الحارة .. كان شىء آخر يتردد فى راسها. وقادتها المرأتان الى المطبخ .. وقالت واحدة « ما من شىء عجز الزمن من علاجه » وقالت الاخرى « نعم الوقت والصبر » .

ترجمة : نادية عبد السلام على

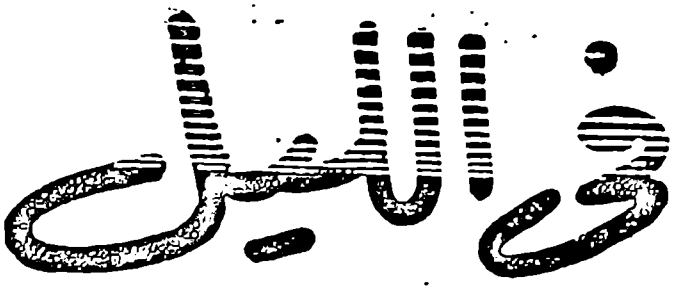

انتصف الليل وكوثر فى مخدعها يعذبها السهاد . تواترت ساعات حاولت خلالها ان تنام بيد أن النوم لم يتسلل الى جفنيها ، وظلت تتقلب فى فراشها بينما أخذت تتواثب فى عقلها عشرات الافكار ، وتزمجر فى فؤادها سوافى الآلام . انها حائرة . تستبد بها الهواجس وتتقاذفها الخواطر المقبضة ، وتعذبها مشاعر لا تخلف غير الحسرة والمرارة والاحساس بقسوة الاقدار . ماذا تفعل ؟ .. كيف تفلت من براثن حيرتها . أتظل معذبة بين الشك واليقين ؟ .. أليس لكل شيء نهاية؟ ما النهاية يا ترى ؟ .. الن يتحقق أملها الحلو ؟ .. أتراه يتحقق أم انها تطلب شيئا بعيد المنال . ولكن لماذا لا يتحقق أملها الحلو ؟ .. السر لانها عرجاء وهو شاب سليم الجسد ، موفور الصحة ، وسيم ومن خير زملائها فى الكلية .

يا لعذابها .. عرجاء .. عرجاء . كم تبغض هذه الكلمة . أتحرم المرجاء من الحياة . انها جميلة . نعم جميلة والناس لايجهلون هذه الحقيقة بيد أن التواء ساقها ينسيهم جمالها. انها حينما تسير فى الطريق لا تلاحقها غير نظرات الشفقة .. لا شيء غير الشفقة ، وانها لتذكر ما حدث منذ أيام . لقد سمعت أحد الشبان يقول لزميله .. يا خسارة .. حلوة .. لكن . ثم مصمص بشفتيه وقال : عرجاء .

يا للشقاء .. لقد هزتها هذه الكلمة هزا ، مزقت قلبها تمزيقا . لا أحد يغازلها وكأنهم لا يرون غير ساقها الملتوية وتأوهت كوثر ، واطلقت زفرة ملتهبة ثم نهضت من فراشها واضاءت نور الغرفة ووقفت تتأمل صورتها فى المرآة .

الوجه ابيض حلو التقاطيع . البشرة ناعمة تتضرج بحمرة خفيفة ساحرة ، العينان تلمعان ببريق حلو، وشعرها الاسود الطويل ينسدل على كتفيها فيبدو وجهها كالقمر فى سواد الليل .

يا للحسرة . أيذبل هذا الجمال . أتحرم من الحياة ؟ .

واطفأت كوثر نور الغرفة وارتمت على فراشها ثانية . يا للشقاء أتظل حائرة تتعذب . مرارة الحقيقة خير لها من عذاب الشك ما الحقيقة يا ترى ؟ أيحبها نبيل . انه يهتم بها . يقف معها كثيرا اكثر من اية زميلة أخرى . يحدثها عن حياته ومشكلاته وآماله. غير انه لم يحدثها عن الحب. أليس فى قلبه مكان لها . انها لا تريد غير مكان ضئيل فى قلبه الكبير . أتراه يحبها وهى لا تدرى . هل الاهتمام دليل الحب ؟ .. ما سبب اهتمامه بها ؟ ! .. انها عرجاء وليست اجمل فتيات الكلية . أتراها الشفقة ام هو الحب . ليته يكون الحب . من

يدرى ؟ .. ربما .. شعاع الامل ما يزال يسطع فى ظلام حياتها. الامل حلو والحياة بلا امل شقاء وضياع . الا يعرف نبيل من نظراتها حقيقة احاسيسها ومشاعرها تجاهه ؟ الا يفهم سبب تضرج وجهها بالحمرة حينما يرنو اليها بعينيه . الا تعنى رجفة يدها فى يده اى شىء . اتراه يجهل انها تحبه ؟ ! .. يا للشقاء . الحقيقة المرة أفضل من نيران الشك واقل قسوة من عذاب الحيرة . . الحيرةعذاب ، وعذابها اليوم لايطاق.

لقد راته اليوم يقف مع سامية . وقف معها فترة طويلة . ماذا كان يقول لها ؟ اتراه يحبها . انها جميلة والاهم من هذا هو انها ليست عرجاء . يا لقسوته !! لماذا لا يرحمها. لماذا يحجم عن الاعتراف بالحب اذا كان يهواها . ولكن لماذا لا يكون اهتمامه بها بداية للاعتراف بالحب . انها تذكر كلماته التى قالها لها منذ ايام حينما تخلفت عن حضور محاضرات ثلاثة ايام . لقد قال لها : لماذا غبت الايام الثلاثة الماضية لقد قلقت عليك كثيرا . ماذا كان يقصد بكلماته هذه التى نفذت الى اعماق قلبها . أهو قلق العشاق ؟ .. اهو شوق الحبيب لمحبوبه ؟ .. اهو محاولة للاعتراف بالحب . آه لو يبادلها عواطفها . ستكون أسعد الناس .

الحب هو أجمل ما فى الحياة .. بل هد الحياة بأسرها . انها تذكر سعادة شقيقتها هدى قبل ان تزف الى الدكتور يوسف عبدالهادى . تذكر كل شىء . نظراتهما .. همساتهما حينما كانا ينفردان . اتسمع يوما همسة حب ؟ .. اترتمى يوما على صدر نبيل فيحيطها بساعديه ويلثم ثغرها بشفتيه . يا لعذابها . ماذا تصنع ؟ ! . ليتها تبوح له بحبها يا للجنون . كيف تفعل هذا ؟ ! . على الرجل أن يخطو الخطوة الاولى دائما . يا للشقاء .. انه لا يفعل أى شىء . أتراه يجهل مشاعرها تجاهه . ويله من قاس منحجر القلب ! !

لماذا لا يرحمها .. لماذا لا يعترف لها بالحب اذا كان قد احبها . أيحبها حقا ؟ .. انها عرجاء .. عرجاء .. عرجاء .. يا ويلها من هذه الكلمة . كم تبغضها . أتظل هكذا تعيش فى حرمان ، يعذبها الظمأ للحب ، وتدور فى راسها — كل يوم — الهواجس التى لا تخلف سوى اليأس والحسرة والدموع . اين عدالة السماء ؟ ! .. يا ويلها ماذا تقول عليها ان تتقبل مشيئة القدر . غفرانك يا رب .. رحمتك وترقرقت الدموع فى مقلتيها فدفنت وجهها فى الوسادة ثم اجهشت بالبكاء .

عنتر عبد السلام مخيمر

بين ثقافتين

وأنتم أيضاً ضائعون *

— ١ —

لاصحاب الثقافة العربية عندنا موقف عجيب من كل كتاب جديد تصدره المطبعة العربية لادبائنا الشبان ممن اشربوا لبان الثقافة الغربية : فهم اما لا يطالعونه اعتمادا على ان باب العلم قد ختم بهم ، واما بكم ازاءه عاجزون لان قلة حظهم من الثقافات الغربية تقعد بهم عن كل كلام ، واما مكابرون يناطحون الواقع ويزعمون لانفسهم ما ليس لها . .

وقد تجلت هذه الظاهرة اخيرا عندما اصدر الاديب (غالى شكرى) كتابه (سلامه موسى وازمة الضمير العربى) وفيه من الدفاع عن هذا الرائد الذى ادرجوا اسمه فى قوائمهم السوداء ، ومن الاراء التقدمية فى الادب والدين والاجتماع ما كان خليقا ان يحرك اكثرهم جمودا لو بقى فيهم رمق ، ولكن غالى شكرى كان يخارب جثثا للاسف الشديد ، فقد ظلوا جميعا نياما لا ينبسون ، وكان بينهم اتفاقا ضمنيا على هذه القاعدة الذهبية : لا ارى شيئا ، ولا اسمع شيئا ، ولا اعرف شيئا . .

والدكتورة بنت الشاطىء وان تكن من اصحاب الثقافة العربية الا انها لا تنتمى الى هذه الفئة التى اتحدث عنها ، او هى على الاقل تختلف عن زملائها فى أمرين : اما الامر الاول فهو متابعتها الانتاج الجديد الى حد لا باس به ، واما الامر الثانى فهو اصابتها حظا من الثقافات الغربية لا باس به ايضا . وهى الوحيدة فيهم التى قرات كتاب (غالى شكرى) وعلقت عليه ، آمن بثقافة الغرب وحضارته يحيا امن بثقافة الغرب وحضارته يحيا مأساة ضياعه الفكرى ، بعد انبتات صلاته بماضيه ، وهو ما تستطيع الاقرار به لتقول لها هذا الذى وضعته فى صدر مقالى : وانتم ايضا ضائعون !

— ٢ —

الضياع الفكرى كلمة خطيرة الدلالات تضم تحتها عديدا من المعانى وتثير اكثر من سؤال ، ولكن الناقدة آثرت — جريا على عادتها — ان تحصر نطاق انبحث فى معنى واحد لا تتجاوزه وهو انقطاع صلة شبابنا بتراثه المجيد وماضيه التليد ، وكيف ان مقومات وجودنا المعنوى تتعرض لخطر محيق وقالت كلاما كثيرا فى هذا المعنى ، مما لا نرى داعيا لايراده وقد علمت جمهرة القراء من امر هذه الناقده — منذ زمن طويل — انها حين ترفع لواء التحرر تقول اكثر مما تعنيه ، وحين ترفع لواء المحافظة تعنى اكثر مما تقول . .

على انه اذا لم يكن ثمة شك فى ان للناقدة الحق كل الحق فى التعبير عن رايها ، فالذى لاشك فيه ايضا انه من حقنا الكشف عن بطلان هذا الراى . واقرب مثال على ذلك ماكان من قولها ان سلامه موسى (لم ير فى ماضينا العربى كله خيرا قط ولا وجد فى تاريخ الحضارة الاسلامية بذرة

(*) مكان هذا النقد حيث نشر موضوعه ، وزمانه مضى منذ شهور ، ولكن « الادب » ، تنشره رغبة منها فى تاكيد قرضية النقد ، واعلانا لرفعها الحصانة على النقد عن كل شخص ، ولا سيما اشخاص الامناء ، ولوى الصلة القريبة بها .

تدلح للبقاء) (١) وهو ما لا اريد الاضافة فيه بعد ان رد الاديب (غالى شكرى) على الناقدة موردا لها من كتابات سلامه موسى فى الاشادة بتراثنا العربى ، والدعوة الى قتله فهما ، ما ينفى عنه كل ظل لهذه التهمة (٢) ، وحسبى ان اقول للناقدة ومن لف لفها : اقرأوا .. وافهموا .. ثم احكموا ..

واقتصار اصحاب الثقافة العربية على تراثهم المجيد ، ومعاداتهم للمفكرين التقدميين من امثال سلامه موسى ، يرسم الخط الاول فى خريطة ضياعهم الفكرى ، وهو الضياع الذى يفسر كثيرا من تصرفاتهم ومواقفهم

اصحاب الثقافة الغربية ضائعون لانهم فى قرارة انفسهم لا يؤمنون بثقافتهم ويأبى عليهم تعاليهم الفكرى ان يرتبطوا بقومهم ، فتراهم ينقسمون الى سكسونيين ولاتينيين (٣) ، والى كل قسم ينضم الاتباع والمريدون ويضرمونها نارا ..

واصحاب الثقافة العربية ضائعون لانهم حين حاولوا ارساء دعائم النهضة الفكرية الحديثة قطع كل منهم على نفسه عهدا الا تكون لغيره ريادتها ، فكان بينهم من المشاحنات والشتائم والمنافرات ما لازالت تشقى به حياتنا الادبية ، فهذا عندهم صنم الاعيب وذاك ولد مسطول والثالث استاذ فى فنون الشعوذة (٤) ، وكثرت فيهم السفافيد والاسياخ والخوازيق ، فمات فيها من مات ، واستشهد من استشهد ، لا يملك المظلوم فيهم لهذا انبلاء دفعا ولا منعا ، مما لا اجد فى وصفه خيرا من قول نجيب محفوظ : قال وهو على الخازوق : قضت مشيئته بأن نلقاه هكذا !..

واصحاب الثقافة العربية ضائعون لانهم يفهمون الدين فهما ضيقا محدودا ، ولا زال فيهم من لايحتمل ان يقال له ان كتب الاديان يمكن ان تدرس دراسة فنية بلاغية بصرف النظر عن اى صفة دينية لها . وهاهم اولاء لازالوا يعقدون فى جو حياتنا الفكرية سحبا خانقة من الغيبية الكهنوتية والاساطير ، حتى ليضطر الادباء الى الرمز والتورية فى حين يتوقون الى التعبير عن انفسهم فى صراحة ، بلا كبت ولا ارهاب ..

واصحاب الثقافة العربية ضائعون لانهم رجعيون لا يريدون لانفسهم ولا لغيرهم تطورا ، وحسبهم ان يروا بادرة تطور او تجديد ليستعدوا عليها السلطات الحاكمة ، على نحو لم يعهد من قبل فى بلد من البلدان المتنورة ، او التى تزعم لنفسها شيئا من التنور ، وهكذا تكون معارك كتاب فى الشعر الجاهلى ، وفنية القرآن ، وأولاد حارتنا : وعلى رغمهم يمضى ركب التطور فى طريقه الواثق لايثنيه شىء ..

واصحاب الثقافة العربية ضائعون لانهم فى هيئاتهم اللغوية يبددون اموال الدولة ، ويتحدون الواقع المادى ، ولا يحسنون بقضهم وقضيضهم فى اخراج المعاجم ما يحسنه افراد آحاد ويضجون بالشكوى من انتفاعنا باللغة

---

(١) صناديق الدمى ومقابر الانبياء ـ بقلم بنت الشاطىء ـ ملحق الاهرام فى ٦٢/٤/١٩ .

(٢) معنى التراث عند سلامة موسى وشباب هذا الجيل ـ بقلم غالى شكرى ـ ملحق الاهرام فى ١٩٦٢/٤/٢٦ .

(٣) أنظر د . عبد الحميد يونس : الاسس الفنية للنقد الادبى ـ ص ٩ وانظر له ايضا : حاجتنا الى ثقافة فنية (مجلة الثقافة ـ ٢٣ يونيو ١٩٦٢) .

(٤) ذكريات وجب نشرها لحرمة الحقيقة وكرامة الرأى وسلام الشباب ـ بقلم امين الخولى (مجلة الادب ـ مارس ١٩٦٠) .

العامية الحية واللغات الاجنبية التى من حولنا ، ولا زال فيهم من يرى افضلية اللغة العربية على ما سواها ، ويخلع عليها من الصفة الدينية ،ماكان القدماء انفسهم اقوى شعورا ببطلانه (١) .

واصحاب الثقافة العربية ضائعون لانهم لم يخدموا لغتهم الخدمةالعلمية الصحيحة وتراهم رغم ذلك يتشدقون بالحفاظ على العربية ، واكثريتهم لاتدرى شيئا من تطورها وتاريخها ونواميسها ، بل هى لا تدرى انغيرنا من الدول قد اصطنع المناهج العلمية فى دراسة اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية لها نواميسها المقررة . وهاهم اولاء طلبةقسماللغةالانجليزية فى جامعاتنا الثلاث يدرسون التطور اللغوى للانجليزية وصوتياتها ، ويدخلون لذلك المعامل ، ويوفدون فى البعوث ، فهلا خجل اصحاب العربية من حالهم ، وهلا نظروا الى ماتصنعه الدنيا من حولهم ..

واصحاب الثقافة العربية ضائعون لانهم لا يحسنون فى تحقيق تراثهم شيئا ، ولا يدركون خطواته رغم مايجب به صوت الدعاة منهم الى سلامة المنهج .. ولو قد كانوا يحسنون من ذلك شيئا لما رأيت من افاعيلهم فى التلاعب بالنصوص وتحريف الالفاظ والعبارات والاعلام ما يجعل المستشرقين الالمان يقولون : أن الكتب التى تنشرها مصر تستحق الرمى فى النيل (١)

واصحاب الثقافة العربية ضائعون حين تصور لهم اوهامهم ان دراستهم للشعر والعروض كافية لان تجعل منهم شعراء يحيون المجاهدةالجزائرية جميلة بوحريد ، اوان قراءتهم للقصص كافية لان تجعل منهم قصاصين يكتبون عن النسوة الخاطئات ، او ان المامهم ببعض مبادىء النقد الغربى كاف لان يجعل منهم نقادا ..

واصحاب الثقافة العربية ضائعون حين يسدون على الشباب مسالك التجديد فى الشعر ويستنجدون بالله من هذا البلاء الزاحف الذى يسمونه الشعر الجديد . وفى الوقت الذى نرى فيه شعراء الغرب المحدثين امثال ت.س . اليوت وسان جون برس يرتادون باهر الافاق ترى اصحاب العربية عندنا ما زالوا يدورون فى دائرة المدح والهجاء ومداعبة الاصدقاء والمكاتبات الاخوانية بما لا يحتمله ذوق ولا خلق (٢) .

واصحاب الثقافة العربية ضائعون حين يحاربون الادب الشعبى وينكرون على اصحابه ما يبذلون من جهد لجمعه من افواه الرواة وتسجيله ودراسته ، أو حين يظنون ان هذا الادب الشعبى اقل منزلة من الادب الرسمى .

---

(١) انظر امين الخولى : مشكلات حياتنا اللغوية . وانظر ايضا : متخلفون لغويا ، ماذا فى المجمع والمعجم ـ بقلم ا. الشربينى (مجلة الادب ـ يناير ١٩٦٠) .

(١) اسف ـ بقلم امين الخولى ـ (مجلة الادب ـ مايو ١٩٥٦) .

(٢) قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف :فاضرب لى مثلا . قال الفيلسوف : جاء فى رجيدة الاهرام (٦/٦/١٩٦٢) ان الاستاذ محمود غنيم زار مدينة اسوان فى رحلة تفتيشية اثناء وجود الاستاذ العقاد بها فقام بزيارته فى منزله وانشده الابيات التالية :

أسوان والعقد فيها كعبة ... سمح الزمان فكنت من حجاجها

- ٣ -

في هذا الجو الخانق الذى يجثم بكابوسه على الصدور وترزح تحته الانفس ، لايجد الشباب منفذا من هذه الجهالات والرجعية والغيبية غير افق الغرب الفسيح ، نستروح منه انسام الحرية وهواءها النقى فنترجم عنه ونقرأ له ، ونستفيد بتجاربه ونعجب برجاله ، ونتابع بأعين مبهورة وثباته الجبارة فى الادب والفن والعلم ونحن فى ذلك كله لا نفتأ نقارن بين حالنا وحاله فيكون مالا مفر منه من كراهة تراثنا والازورار عنه وانقطاع صلتنا تدريجيا بماضينا ، وهو ماتسمونه ماساة ضياعنا الفكرى ، نعترف به آسفين ولا نتردد فى ان نجبهكم يا اصحاب الثقافة العربية بانكم انتم الذين دفعتمونا اليه حين قصرتم فى تعريفنا بتراثنا وحين فوتم على الحياة فرصة الانتفاع به .

على انا وان كنا لا نياس مطلقا من ان نجد فى حقل العاملين فى الثقافة العربية — والامناء على راسهم — فئة مجاهدة تكافح لتطهير الحياة الفنية من هذه الآفات ، الا اننا لا نرى الامل لائحا ، ولا الهدف قريبا : فهناك اوثان فى حياتنا الادبية ينبغى ان تحطم دون رحمة ، وهناك طواطير تتعبد لهذه الاوثان ، وهناك فئة من مدعى الادب ومزيفيه ، وهناك افكار وقيم خاطئة تغلغلت فى تفكيرنا ولاسبيل الى اقتلاع جذورها قبل زمن بعيد ، وهناك ما هو اخطر من ذلك كله : انه كراهة النقد ، والخوف منه والخلط بين القول والقائل .. والى ان تنجلى غمرة هذه الآفات كلها وينحسر بلاؤها ، فسيظل الانفصام بين الثقافتين العربية والغربية امرا واقعا فى حياتنا يبدد طاقاتنا ، ويفتت جهودنا ، فيكون مالا بد منه من ماساة ضياعنا الفكرى .

ناقد اليوتى

= قد كنت ابصرها براس حاسر ... واليوم قد ابصرتها فى تاجها
قالوا لرواد الكواكب انتى ... زرت النجوم الزهر فى ميعانها
الضاد يا عباس انت سراجها ... وانا شعاع من وميض سراجها

وقد رد الاستاذ العقاد بقوله :

اسوان فى دين السماحة كعبة ... بحصاتها والغر من حجاجها
مقبل اليها يا غنيم وزد بها ... حييتها برجا الى ابراجها
والشعر من وحى الغنم غنيمة ... المنى الفتاة مزود من حاجها
انت الوميض من السراج اذا ارتقت ... ومضاته العليا الى معراجها

قال دبشليم الملك لبيديا الفيلسوف : فمن يكون العقاد هذا ؟ قال الفيلسوف : يصفونه فى بلاده بانه امام الصناعتين وحامل اللواءين الرجل الفرد الذى لا يرتفع الى مقام فنه فى نثره الا الشوامخ العوالى من روائع فنه فى شعره . قال دبشليم الملك لبيديا الفيلسوف : ومن يكون غنيم هذا ؟ قال الفيلسوف : يصفونه فى بلاده بانه من الشعراء البارعين الذين يحرصون فى شعرهم على الديباجة الرصينة والاسلوب الجزل المصقول. قال دبشليم الملك لبيديا الفيلسوف : هذا كله عظيم . ولكن متى كانت هذه المساجلة الشعرية بينهما . قال الفيلسوف وهو يطرق برأسه فى خجل : قبيل منح الجوائز التشجيعية على الشعر !؟

أديب ورحلة

اية مجلة او صحيفة عربية لم تعد تخلو من مقالة او استطلاع عن اصقاع تقع فى الشرق والغرب مئات والاف من المبعوثين يلتحقون بالجامعات الاوربية والامريكية كل عام

الاهتمام بالسفر الى الخارج هبطت اثارته القديمة . وكاد يتساوى بالسفر بين مدن الجمهورية وظاهرة وظاهرة .

من الدلائل التى لم تكن تخطىء فى الابانة عن تضعضع الشرق وضعفه وجموده . كراهيته الشديدة لمغادرة بلاده لمدة تطول او تقصر ولاى سبب من الاسباب . فهو يتعلق بها تعلقا مريضا . كالطفل الذى يرفض أن يترك ثدى أمه فى ساعات الليل او النهار جميعا . وهو يظن وقد اغلق على نفسه الابواب . ان كل شىء يسير على مايرام — ولا يمكن فى ظنه الا ان يكون كذلك — ، سواء فى ذلك امور الشخصية او احوال بلده . فبابه المغلق كان معناه لديه الطمانينة والامن . اما ما يحدث خارجه من عواصف هوجاء ورعود زائرة وبروق تعمى العيون ، فاشياء لا تهمه . حتى عندما وجد نفسه وقد طارت الجدران من فوقه وحوله واحاط به وجه الاجنبى من كل جانب . لم يحاول ان يربط بين تصميمه على الانزواء فى حجرة . وبين السفر والترحال الى بلاد هؤلاء المستعمرين . لقد جهل ان هذه الحلقة المفقودة هى التى كانت تتضمن تفسيرا لاعمال هؤلاء الغرباء ونظامهم وقوتهم ولطموحهم .

ولذلك كانت اول انتفاضة دلت على يقظته ، اهتمامه الكبير بما يحدث خارج حدوده . ومعاودته الطريق الذى كان قد هجره ضمن ما ترك من اسباب قوته . حينما كان اجداده يجوبون المشرق والمغرب فى سبيل الدين والعلم والتجارة والمغامرات .

وكان من الطبيعى وبلادنا تحطم قيودها ان يكثر السفر الى الخارج فخرج الالاف من المبعوثين كبارا وصغارا . على نفقة الدولة ، او على نفقتهم الخاصة ، طلابا يتلقون العلم ويهتمون بالثقافة . او تجارا يعملون على فتح مجالات جديدة للسوق العربى ، ورجال صناعة يساهمون فى تدعيم الصناعة الناشئة ..

وليس ثمة شك فى ان من انجح الابواب التى تقدمها الصحافة العربية الى قارئها اليوم . والتى تستجيب فيها لمطالبه ، الكتابة عن العالم الخارجى وشعوبه . فتهم القراء الى معرفة ما يجرى فى بلاد اخرى غير بلادهم . والوقوف على دقائق عالمهم فى شتى المجالات والميادين . مظهر طبيعى لتكوينه النفسى الجديد .

ولقد الفت الصواريخ اليوم حدود القارات . وتحول ركوب الفضاء الى وسيلة عادية للمواصلات . ولم يعد شيئا يحول بين البشر وبين التفاهم وفهم أحدهم الاخر .

وكما حدث فى ميدان الصحف الدورية . حدث مثله فى عالم الكتب فاخذت كتب الرحلات تتكاثر . تتحدث عن جوانب العالم . يتلقفها القارىء مشوقا يريد ان يطلع على عوالم أخرى واجواء جديدة تعيش على نفس الكوكب الذى يعيش هو عليه .

ومن هذه الكتب التى اخرجتها المطابع ، كتاب الاستاذ محمد زكى عبد القادر «صور من اوربا وامريكا» .

والاستاذ زكى عبد القادر ، اديب كسبته الصحافة . فهو باسلوبه النابض المتئد . ومنهجه العلمى الموضوعى اقرب الى الاديب منه الى الصحفى الطائر ..

متامل متعمق فى دنيا الصحافة التى لا يسايرها الا الخطف والسطحية وكاتبنا يسجل فى صوره رحلته التى زار فيها اليونان وايطاليا وسويسرا وفرنسا ثم عبر المحيط الى امريكا

وكان زكى عبد القادر اختارته منظمة الامم المتحدة ليمثل مصر فى برنامج دراسات ١٩٥٨ ، بجانب ممثلين عن الهند والملايو ويوغسلافيا والبرازيل وكولومبيا وسيلان .

والمؤلف يضع لكتابه منهجا واضحا محددا . لا ينكره مع توالى الصفحات ، وهو انعكاس صادق لشخصيته وتكوينه ، راقبت ونظرت وتاملت بعقل متفتح محايد . وسجلت ماسجلت دون ان اكون متاثرا بعداوة سابقة لاحد او انحياز سابق لاحد . بذلت غاية جهدى ان تكون النظرة موضوعية خالصة .. ولكن اترانى تخلصت من الطابع الشخصى فى النظرة والمراقبة والتامل ، كلا . الطابع الشخصى غالب تماما . واذا كنت قد اشرت الى النظرة الموضوعية . فانما قصدت انها نظرة خالصة للانفعال الصادق دون ان يكون مشوبا بتاثر سابق او راى سابق بشان الدول والشعوب التى زرتها » ص ٤ .

ولا يعمد الى الوعظ والارشاد والدعوة الى الاصلاح . او اقناع القارىء بوجهة نظر معينة تلزمه باتباعها . انه يكتفى بعرض صوره النابضة التى ترسل جزيئاتها العين او القلب .

والكاتب يهتم بتسجيل كل ما تعكسه نفسه من أحاسيس وتنتفض به من عواطف ، بلا رتوش أو تزييف أو معاودة تصحيح ومراجعة . انه هنا لا ينقد ولا يدرس ولا يعظ ولا يجادل ، بل يشاهد وينفعل ويسجل مشاهداته وانفعالاته .

وتتضح الصورة اذا عرفنا ان المؤلف يتخذ فى كتابة مذكرات رحلته موقفين متميزين . الاول ما يتصل بانعكاس الاشياء التى تتصل بالقلب والعاطفة على نفسه ، وهى انطباعاته ، والاخر ما يتصل بالعقل وابداء الرأى القائم على الفكر المتعمق

الموقف الاول يسجله فور وقوعه كما هو ، والثانى يتمهل فى اعلانه حتى يهضمه ويبلوره ويعده اعدادا متاصلا غير متهافت يدافع عن نفسه امام النقاش .

يقول فى يومياته ((اما تكوين الراى فلن يكون الا بعد ان اترك هذه البلاد .. وادير ما رايت وما سمعت وما احسست به امام ناظرى واقارن واناقش واقرا ثم ابدا الكتابة . لا كتابة الانفعال الطارىء . الكاذب او الصادق . ولكن كتابة العقل المتمكن الواعى)) ص ٤١٩ .

ولنقرا له ما يقوله عن مونمارتر . الحى الباريسى الذى حفظ القراء العرب اسمه لكثرة ما جاء فى كتابات صحافيينا وادبائنا الذين كتبوا عن العاصمة الفرنسية . يقول زكى عبد القادر « وهذا جبل مونمارتر » أو جبل الشهداء . حيث قتل الرومان اول مسيحى مؤمن من اهل فرنسا وحيث اقيمت كنيسة بارعة الجمال تشرف على باريس كلها تمجيدا لذكرى الشهيد الذى فدى دينه بدمه . « مونمارتر » هذه اصبحت هى اللهو بباريس . فى اقدام الجبل .. وعلى مقربة من الكنيسة العتيدة ، وحيث جاء انسان من الناس بدمه رافضا ان يتحول عن دينه . انتشرت ملاهى باريس واطواؤها ومواخيرها ومشاربها ونواديها الليلية . هناك «المولان روج» الذى انشىء منذ اكثر من خمسين سنة . واشتهر فى انحاء العالم كله ، وعشرات ومئات من الملاهى التى تظل ساهرة حتى الصباح . مامن حد لما تعرض وما تعمل وما تقول » ص ١٤٠ — ١٤١ .

ما اعظم الفارق بين مونمارتر زكى عبد القادر وغيره من الكتاب !

ان اختيار المؤلف للانطباعات منهجا لكتابه ، يشى على الفور بعاطفيته التى تستغرقه وتكون شخصيته وتعمل على تلوين احكامه .

وهى ليست العاطفة الغريرة الطائشة الوقتية ، ولكنها العاطفة المجربة المتأملة الاصيلة الدائمة ، التى انتهت الى ان « كثيرا ما تنبع السعادة من العقل .. ولكن السعادة العظمى تاتى من القلب » (ص ٩٥ — ٩٦) .

ومن العالم المتسع الذى يضمه الكتاب . ومن عشرات الاهتمامات

والارتعاشات الوجدانية التى سجلها المؤلف ، نتحدث عن موضـــوعات بعينها حظيت بقدر كبير من عناية زكى عبد القادر ، فتحاول ان تكون من المعالم الرئيسية التى لا يمكن ان تخطئها عين القارى .

وهى : الدين ، العجائز ، الامم المتحدة ، الوطن .

الصورة التى تتكون هنا فى الشرق فى مخيلة الناس عن الدين فى اوربا وامريكا . صورة مشوهة مهزوزة

فالاضطراب يلحق باحكامنا ، سواء اكانت الكثرة منا التى تتهم الغرب بالكفر العربيد لانحلاله وفسقه واباحيته ، أو القلة التى تؤكد وجود الدين الذى يتعايش سلميا مع استمتاعهم بالحياة .

فأين هى الحقيقة فى فوضى هذا الاضطراب ، وأين مكان الدين فى المجتمعات الاوربية والامريكية ؟

لقد تعرض كاتبنا فى انطباعاته لهذا الجانب من تكوين النفس الانسانية رآهم يهتمون بالطقوس الدينية ، ويقدسون صلاة الاحد حتى فى عرض البحر ، ويضعون الكتاب المقدس عند رأس النائم ، ويبدأون حفلاتهم بابتهالات قصيرة . ويرفعون بابا الفاتيكان الى مرتبة فوق البشر ، الى غير ذلك من مظاهر تتعلق بالدين داخل او خارج الكنيسة .

انهم يتبعون فى ذلك دستورهم القديم فى اعطاء ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، هذا هو أحد أوجه الاختلاف بين طبيعة المسيحية والاسلام الذى لا يفرق بين ما لقيصر وما لله أى بين الحكم والدين . فهما فى نظر هـذا الدين الاخير ينبعان من أصل واحد ويشتركان فى معالم متشابهة . ولعل استعمال هذا المقياس الاسلامى فى فهم دين الغرب هو الذى يوقعنا فى بلبلة الفهم لهذا الجانب من السلوك الاوربى .

وحاجة البشر جميعا الى الدين تتناسب مع طبيعة المؤلف نفسه الذى يؤمن بأن « فى الحياة اشياء لا يمكن ان يحلها غير الايمان . فيها اشياء يعجز عنها الانسان بكل ما أوتى من قوة وعلم ومعرفة وحيلة . فليس له ازاءها الا ان يسلم ويستسلم ويخضع للمجهول ويؤمن به . »

ويلتفت كاتبنا الى المرأة وصلتها بالدين فى الغرب ، فيجد انها اعمق ايمانا واشد تدينا واقرب استجابة .. فأكثر رواد الكنائس من النساء وهن اللائى يبعثن النشاط والحيوية فى الجمعيات الدينية ، ويتصل بهذا ايمانهن بالغيب والحظ واكثر من الرجال .

ومن زاوية أخرى .

فلكثرة ما تردد على سمع المسلمين من محاولات دعاة الاصلاح الدينى

فى القضاء على ما لحق بالدين الاسلامى من وثنيات واسرائيليات وما داخله من اوشاب ليست من معدنه الاصيل . غلب عليهم الظن فى تفرد دينهم بمظاهر هذا الضعف الجاهل . كالايمان فى قدرة الاموات واولياء الله الصالحين ، ووصف البعض منهم بحمايته لمدينة ما ، كما يقال عن الست الطاهرة حامية القاهرة .

وقد لفتنا المؤلف الى مثل هذا اللون من الحماية الذى يبدو انه لايقتصر على الشرق دون الغرب .

من المشاهد التى تكررت بصورة ملحوظة واسترعت انتباه المؤلف — وتسترعى ايضا انتباه كل من يسافر الى الخارج — كثرة العجائز كثرة مدهشة . ويستطيع المرء ان يعد هذه الظاهرة واحدة من الملامح القوية الدالة على الحضارة الغربية النشطة . ورعاية الحكومات للمواطنين من المهد الى اللحد . فليس كبر السن دليلا على العجز ، او بمثابة حكم بالاعدام على الانسان ، او فقدانه حق التمتع بمباهج الحياة بل يعنى ان قدراته لازالت تعمل وان وهنت قليلا . فهو اذا لم يقدر على بذل مثل مجهود شبابه او فى عمل اخر ابسط منه ، فهناك تفرغه لهواياته ورياضاته التى ليست فى معظم الاحيان مترفة ناعمة داخل الجدران .

وقد لاحظ اديبنا ان اكثر هؤلاء العجائز من الجنس القوى الذى يعمر طويلا رغم وصفنا له بالنعومة .. من السيدات . لذلك فهن صاحبات الثروة والمال .

ويتميز عجائز الغرب ايضا بانهم احفل بالحياة والانغماس فى مباهجها من الشباب .. انهم يقتربون من المحطة الاخيرة . فلماذا لا يستفيدون من ساعات الانتظار الباقية فيما يعود عليهم بالفائدة والمتعة واللذة ؟

لقد قامت الرياضة والصلابة والمرح التى انشىء عليها الاوربى منذ طفولته بدورها حتى النهاية ، ولم تخذله حتى يومه الاخير على ظهر الدنيا

لايذكر اكثر الناس فى العالم عن الامم المتحدة الا انها هيئة سياسية فحسب ، ولعل هذا الفهم القاصر يرجع الى ما للسياسة من تأثير سريع مباشر على البشر وغلبتها على كل اهتمام آخر وبذلك ابهتت من القسمات الاخرى لنشاط هذه المنظمة العالمية .

ولنتمهل قليلا عند الموضوع الذى اختاره زكى عبد القادر لدراسته فى الامم المتحدة .. حقوق الانسان .

لقد تطور مفهوم حقوق الانسان فى العصر الحديث ، فذهب باستبداد الانسان لاخيه الانسان اسواء اكان فى داخل الدولة او فى خارجها . ولم تعد اية دولة مهما كان جبروتها بقادرة على الاستهزاء بهذه الحقوق محتمية خلف حدودها ، بدعوى عدم الاعتداء على استقلالها ، فقد انبثق من الوعى البشرى — الذى ترجمته منظمات دولية — طوفانا يهدم

الحواجز العتيقة التى اقامها التعصب والعقل الضيق والحكم الاستبدادى المطلق ، ويعمل على تثبيت دعائم العدل والخير والسلام .

وهذا ما تستهدفه لجنة حقوق الانسان فى عملها ، وهى تبحث ايضا فى التفرقة العنصرية والدينية ، وكذلك فى مساواة المراة بالرجل ، التى لازالت حتى اليوم ذيلا له فى انحاء من الارض كثيرة .

كما لايشعر المرء بقيمة جنسيته داخل بلاده ، لايدرك حبه لارضه الا اذا ابتعد عنها ، عند ذلك فقط يعرف ماذا تعنى هذه الكلمة التى تبدو بسيطة ساذجة .. حب الوطن .

ولعل بعض هذا الحنين المسرف الذى تتلون به مشاعر المصرى البعد عن بلاده نحوها ، يرجع الى عصور الانطوائية الطويلة التى عاشها والتى لم يتحرر من ظلها الكثيف بعد . كما اشتركت الزراعة بخاصيتها فى ربط اصحابها الوثيق بها فى شدة هذا التعلق . وغير هذا وذاك من عوامل ، ساهمت روحانية الشرق فى تقوية هذا العامل العاطفى وتثبيته .

وهو دقيق فى حديثه يزن عباراته جيدا قبل ان يطلقها ، ويتحرز من ابداء الاحكام القاطعة ، ولا يعمم او صافا غير منضبطة . وفى مقارنته الريف الفرنسى بالسويسرى مثل لهذه الدقة .

والقارىء رغم الساعات الطويلة التى قضاها مع زكى عبد القادر ، لا يحس الا مرة او مرتين فى لمحتين خاطفتين جدا ، بأن رغبة المؤلف فى الافادة والامتاع ، مسئولة عن تطفلهما على الكتاب ، كحديثه مع سائق التاكسى البلجيكى عن ادخال البلجيكيين الترام فى القاهرة ص ١١٤ ، واختصار مسرحية تاجر البندقية لشكسبير ص ٤٩٢ .

لكن القارىء يصل الى الكلمة الاخيرة وهو يتمنى مخلصا لو لم يضع الكاتب قلمه واستمر فى حديثه العذب الرقيق .

علاء الدين وحيد

في

٥٨ ش الجمهورية - القاهرة - ت: ٤٨٠٦٩

فى ندوة الأحد ـ الساعة السابعة

حيث يلتقى الشيوخ والشبان حول مائدة حرة

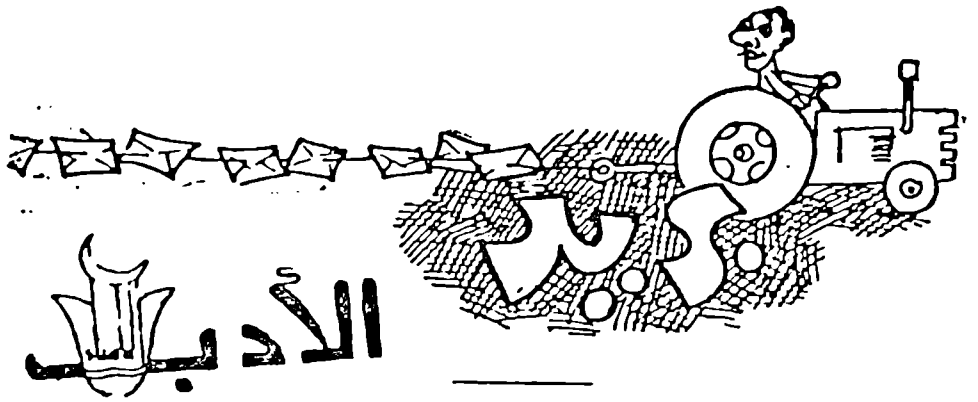

هذه المجلات

اللهم زد وبارك . . دعـــوة من القلب ، ارجوان تستجاب بكل معناها فتكون زيادة وبركة ، لازيادة مع قلة بركة ، وخذ بالك من معنى البركة فى هذا الموضوع .. فهى البركة بمعناها فى اللغة ، وفى فهم الناس حولنا : نماء وخير ..

دعـــوة ادعوها مخلصا ، وامامى خطاب صديق محام واديب سـورى كريم ، يقول فيه :

« .. ان الدوريات الادبيـة كثر عددها فى البلاد العربية (اعنى مصر ولبنان) حتى لقد طغى بعضها على بعض » .

انى لا أخاف هذا الطغيان ابدا ، لو تحققت تلك البركة التى دعـوت بها ، دون خوف من ان ارمى بالجذبة او مثلها من صفات الذين يستعملون كلمة البركة ويتحدثون بها .

ان البركة صحيحة وحقيقية فى الكائن الصالح للحياة ، لانه يكون بهذه الصلاحية للحياة ناميا ونافعا ولابد . واذا حلت البركة فى هذه المجلات فصلحت للحياة ، فاول مظاهر ذلك **ان تعرف وان تهدف** ، تعرف حاجة الحياة الواقعة ـ وليست الحيـاة الادبية الا جانبا منها ـ فاذا ما عرفت عملت ، وفق ما علمت لتصـل الى هدف واضح مرموق ، لا تغفل النظر اليه لحظة واحدة .

ولست هنـا ، وفى باب البريد بحيث اخطط للصحافة الادبية وانظم وانما هى الرسائل وايحاؤها ، وادب الرد عليها .. وهذه رسالة الناقد الشاب يقول فيها عن مهمة «الادب» ماخلاصته :

« ارساء قاعدة ادبية يكون منهـا الانطلاق لبعث ، أو خلق ادبنا البارد الميت من جديد . »

ومع ما قد اخالف فيه من وصف هذا الشـاب لذاك الادب بالبرود والموت فانى انشر هذا الوصف لانى احس الشعور بوجوب الاصغاء الى ما يقوله هذا الشباب ، مهما يكن فيه من حدة .

ويجدد تذكرى لهذا الشعور وقوته ما يقوله الصـديق السورى الاول

نفسه ، فى رسالته التى اشرت اليها اول هـــذا الكلام ، وعبارته فى ذلك هى :

« .. وتاملت تلك العـلاقة بينكم .. وبين الادباء الناشئين ، كم هى دقيقة وحادة » .

واقول للصديق حسن تاملكم لتلك العلاقة ، وحق أن اقول لكم : لوكانت هـذه العـــلاقة بالنشء من الدقة كالشعرة ، لرجوت ان اجاذبهم اياها بحيث لا تنقطع ابدا ، كما قال ذلك الداهية القديم معاوية : اذا شـدوا ارخيت واذا أرخوا شددت .. لان هذه العلاقة بين الصحيفة الادبيـة — بل الصحيفة مطلقا — وبين الشباب بخاصة ، من قرائها ، هى لبـــاب هدفها ، وروح حياتها .

هـــذا اذا كانت شعرة تربط بالشـباب فكيف وهى آصرة وثيقة متينة من **الايمان بالتطور واليقين بحق اصحاب الغد** ، الذى نرجو ان يكون معه لكل حى منا يد فى صناعة شىء من هذا الغد ، او لهذا الغد .. وعن هذا اليقين كانت اطـــالتى الآن فى تلك المناسبة عن هذا الشباب وحقه علينا وواجبنا نحوه ، حين ارد على الرسائل واهمها رسالته .

ولقد سرنى ابلغ السرور ان اعرف وانا اكتب باب البريد بعد ما قدمت مواد العدد للمطبعة ، أن فى هـــذا العدد ما فيه من دعوة للجميع الى **الايمان بالشباب** .. فذلك الايمـان هو اصل كل خير فى البركة ..

والى هنا ويدى تاكلنى وتدفـــع بالقلم ليحدث عما يجب ان تؤمن به وتعمله تلك الدوريات الادبيـــة فلا يطغى بعضها على البعض ، ويكون لكل واحدة منها مكانها فى الحياة وواجبها المتميز ، ولكن باب البريد لا يتســع لهذا الذى تسوله لى نفسى .. والخير ان اتركه لزمانه ، ومكانه وقلمه ايضا فالفرص لهذا غير متناهية .

والشباب .. انبل من هذا

انما نتحمل من هذا الشـــباب جموحه وتطرفه ، ونهدهد غضـــبه لنجنبه الكبت والضغط ، فيخلص من آفات من قبله من مداورة ورياء ، واحتيال وتلاعب ، ويجهر بالحقيقة مؤمنا ، ويتقبل الحقيقة امينا . . والدنيا حوله تتحول الى مايسعفه على هذا كله ويعينه عليه كله .

ولكل اولئك اكره للشباب اشـد الكراهية ما رايته من احـدهم ، اذ أخذت عليه « الادب » مآخذ فنيـة مختلفة ، فى سلوكه ، ونتاجه ، وتناوله وتقديره للحقيقة فاذا به لا يستفيد بشىء من ذلك ، ولا يصدق انه ليس الا بكاء عليه ، فى اخلاص لخيره ، وخير جيله ، ويروح فيكتب ، ويكتب ويكتب ، حتى تشتكى البوسطجية ، ويحرف فى سبيل غرضـه عبارات ، ويشوه حقائق ، يحسب أن ذلك دفاع عنه ، وان خطأ غيره يمكن ان يبرر خطاه ويعتذر عنـه .. ولا اريد ان ادخل من ذلك فى شىء مما دخل فيه مع زملاء له واصدقاء قدامى ، ولكنى اعرض بعض ما حرف على « الادب » وشوه ، كقوله :

« ان الادب فى ديسمبر ١٩٦١ ص ٤٣ قالت كذا وكذا عن قصـــيدة فلماذا نشرت هذه القصيدة فى شهر نبراير ١٩٦٣ ويعجب لهذا ويسرف فى العجب ، وهو يعرف بنفسه ، ومع نفسه انه بتر عبارة صريحة واضحة فى الموضع الذى نقل منه كلام «الادب»

فى ديسمبر ٦١ ــ هو قولها عن هذه القصيدة ما لفظه :

« ويتهيأ لها النشر اذا واتى المجال الفسيح ، وانبسطت الصفحات » فلها وعد سابق بالنشر لم تخلفه بعد بضعة عشر شهرا !! ومثل هذا التحريف للعبارات ، فى غير موضع ، اطال به واكثر مما لا يليق بخلقية الشباب ، الذى نريد له بكل القلب ان يقول الحق كله .. ويتقبل الحق كله .. ولا يحرف الكلم عن مواضعه ، او يفعل ما فعلت اليهود ، يؤمن ببعض الكتاب ، ويكفر ببعض !! ولا عجب ان يكون هذا أقرب معنى الامانة ، واول معنى الامانة ، التى يحرص الامناء على المطالبة بها ، وهم يؤمنون ان الشباب اكرم على نفسه من ان يخل بأقرب معنى الامانة ، واول معنى الأمانة .. وانه لانبل من هذا !!

ومن سوء تقدير هذا الشاب ان يعتذر عن اخطاء خط يده باخطاء المطبعة ، ولا يدرك الفرق البعيد بين هذه وتلك ، ولو راى ما يقع فى يده كل يوم ــ ان قرأ ــ من غرائب وعجائب الخطأ المطبعى لقدر ان المطبعة حتى لو كانت الشخص الآلى لافترقت ــ لا محالة ــ عن الانسان العادى ، ولم يعتذر بخطئها عن خطأ من يكتب رسالته بخط يده !!

وياشباب انك دائما ، ورغم هذا واشباهه مرجو لهذه الحرية الشجاعة فى قول الحق وسماع الحق .

كل جرح له دوا

حكمة عملية ، يكون مثلها ثمرة تجارب طويلة ، وتصديقا لهذه الحكمة هممت بان اغمس القلم فى زجاجة الدوا الذى يشفى جرح ذلك الذى كتب فى عدد الثقافة الاول عن ضياع الامانة !! وان كرهت لنفسى وللادب فى اللحظة نفسها ان تحرص على هذه المشاكلة ، فعدت الى ترفع عن استعمال هذا الدواء كرما لاعجزا وذكرت حادثة لى قديمة احب ان ينتفع الشباب بمثل ما انتفعت به منها : وتلك هى غضبة حادة غضبتها من تصرف موظف كبير ، فى موضوع سبق ان نبهته اليه مرة ، فقال لى الرجل الرياضى المجرب ، الذى راى غضبى ، كلمة بسيطة هادئة هى : ما يعرفش ، فانكرت ان يجهل مثل ذلك ، ولا سيما بعد تنبيهه اليه مرة فبديده بهدوئه الى السماعة يستدعيه واذا به يقول : انه لا يعرف هذا الأمر ، ولا يذكر مطلقا انى عرفته اياه فذهبت بعد نحو اربعين سنة من هذه الحادثة اذكر فى كل مناسبة قول المجرب الرياضى فى هدوئه : ما يعرفش .. واعود فى كل مخالفة فاقول : يمكن ما يعرفش .

وكذلك فعلت فى هذه المرة فامسكت القلم لم اغمسه فى زجاجة دوا هذا الجرح ، واكتفيت بان اقول له :

اعرف ياولدى ان الامانة ليست لمة !! والندوة ليست زبطة !! والنشاط الفنى ليس ضجيجا !! والشخص مهما يكن ليس الا ظلا زائلا ، فلا على الحركة الجادة ان يغيب او يحضر !! وللناس ــ فى كل حال ــ اعذارهم القاسية ، التى يتخلفون بها عن اكبر شىء واهم شىء !!

وبعد ــ ياولدى العزيز ــ فالامناء ليسوا فلانا وفلانا ، من الشخوص ، وانما هم ــ كما قيل وعمل ــ معان كبرى ، ومبادىء عامة ، واهداف مائلة ، وقد استقر من ذلك كله ما اصلته مناهج ، تعرفها ميادين

الدراسة فى الشرق كله .. فهى الامانة التى صانت السموات والارض والجبال ، وليس الاشخاص فيها الا تيارات سارية ، وليست وقفا على فلان ، وليس المعالنون بها اليوم فى هذه المدرسة الادبية الا الواء الذى يلاذ به ، ويلتف حوله والجيش هو الجيش ، وكل يد فيه حامية هذا العلم وحاميته ، والمقاتلة دونه ، كذلك هى الامانة ، يذكر بها من تسموا هذه التسمية ، التى ليست وقفا عليهم ، ولا حكرا لهم ، بل هم لفت اليها واستمرار لها ، وكل ذى وعى امين أمين .

والامانة يا ولدى — ليست تضيع فى جيل ، قام فيه دعاة لها ، ولو خفت صوتهم بعد ذلك لهيأ الدهر للامة الناهضة حاملى اعلام ورافعى مشاعل لايزالون مضطلعين بحمل الامانة مادامت نهضة ، وانبعث شعور ولو عرفت بعض ذلك — ياولدى — لادركت ان الامانة لاتضيع عند من اتروا لها — فى الفن والادب — اهدافا واصلوا مناهج ، وتابعوا البيان بهذه الصحيفة ، وسرى من ذلك كله الى انحياة ماتبثه سنن الكون ونواميس التطور ، ويحميه يقين الامناء ، بان الامانة سر الحياة وروح الوجود ، فى كل نواحيه .

ولعل هذا الدواء يشفى ذاك الجرح ، والا غير بدواء آخر .. لا احوج الله اليه .

و .. المجلة

وفى الذى مضى من حديث عن الامانة والمنتسبين اليها ما يكفى لبيان ما يحتاج اليه سائل عن الامناء ومجلتهم « الادب » ودورها فى رسالتهم وعملهم فيها ، اذ يقول الناقد الاديب ، فى رسالته الاخيرة :

« ومن العجيب — كما كتبت لكم قبلا — انى لا احس بحرارة وثورة الامناء الا فى غير مجلة الامناء » .

واكمل البيان السابق ، عن الامانة وحملتها من كل ذى وعى وايمان بان اشير الى المناهج الادبية التى تجددت فى ذلك العهد ، فخرج حملتها يطبقونها بالتعليم واذا اصحاب الرأى فى تقديرهم ، او المفتشون عليهم ينكرون الامر ، ويهاجمونهم ، فتسقط ضحايا على الطريق ، ليست قليلة ، حتى يؤمن هؤلاء المقدرون ان فى الدنيا شيئا غير الذى تلقوه منذ سنين .. وكذلك كان الفهم للمجال الصحفى ، اذ قدر الامناء ، بتأثير ضغط شديد ان اصحاب النتاج الادبى الأمين لا يجدون المجال ولا المتنفس فى هذه الصحافة الملونة ، التافهة ، الخليعة وان مجالا لا يمثل هذا النتاج الفنى المتطور المتجدد ، فى قيمه ومثله ، واهدافه ، لابد وان يفتح ويعبد ، لتؤدى امانة الجيل على وجهها وحق الاداء .. وكذلك ظهرت « الادب » منذ بضع السنوات الماضية على كره ومشقة ، وداست الشوك ونثير الزجاج ، فى طريق الصحافة اللعين لتهيىء المجال المرجو لاصحاب قيم جديدة فى « الادب » .

وعرفت « الادب » ما ينبغى ان يعرف من ان الامانة يحملها الجميع ففتحت صدرها لما يكتبه ، كل ذى تقدير للامانة وقدمته على ما يكتب الدعاة الذين صح تمثلهم وصدق ايمانهم ، وكررت ذلك مرارا لانهاترى الامانة — كما اكدت — ليست صفة اديب دون اديب ، الا ريثما يلتقى الاثنان ، على فهم ما تطلبه الحياة الامينة اليوم .

وتطبيقا على هذا الاصل نشرت « الادب » لمن لاتعرف شخوصهم ،

بل لاتعرف عناوينهم ، لانهم آمنوا وعملوا .. والسيد الناقد صاحب هذه الرسالة واحد منهم ، عادت « الادب » اخيرا فسالته بعد سنوات عن عنوانه فى باب البريد ذاته .. . فهو عندها حامل امانة لا محالة ، وهو يوم تقدم ليضطلع بذلك كان عند « الادب » احق بالتقديم من المجربين السابقين .. وكانت اوائل حرارته الثائرة بواكير تنمى وتؤيد قبل من فرغ من نضجهم .. وتتفتح الآفاق فى هذه السنوات ، التى قاربت الثمانية ، وتتردد الاصداء ، ويجد الامناء الاولون من مجال القول : مابخبون فيه ويضعون فينطلقون ليؤدوا الامانة ، فى عامة مجالاتها ، ويتسق النغم بينهم ، حيث يكونون وبين مجلتهم « الادب » حين تتابع هى تلك الرياضة الجادة الصابرة للشباب المرجى ، فتتبع بذلك سنة الحياة فى خلق الاجيال الخالفة وانبات الخلف نباتا حسنا ، لاتزحمه طفيليات زحمت الاجيال قبله ، ولاتفسده رواسب ضالة استقرت فى نفوس الاسلاف الذين جاءتهم دعوات التجديد ، ودفعات التطور ، على كبرة فوجموا واستكبروا وضلوا ضلال اليهود الذين توهوا أربعين سنة ، ليخرج بعدها جيل اسلم من آبائه .

وكذلك يكون التجاوب الواسع الافق لاصداء مرددة عن الاهداف الامينة للحياة الفنية ، بين « الادب » وبين كل ما تستطيع المناغاة معه من آفاق النشر ومجالى القول ، ولا عليها فى ذلك ان يكون الرواج والمادة حيث تكون ، لانها تعرف ان هذه المادة ليست — ولا يصح ان تكون — هدفا

* * *

ومن تمام رياضة «الادب» للشباب ان تفتح صدرها لخاص شئونهم ، فتقول لصاحب الرسالة السابقة : ان الامانة تقرر ان ما بين السلف والخلف ليس تلك الصلة الجافة القاصرة المحدودة ، بل هو الانسجام النفسى ، والاتصال الروحى ، يخلص فيه هؤلاء الى اولئك ويشعر اولئك بما يعنت هؤلاء ، ويقدرون واجبهم فى حسن الاستماع لما يقال ، واخلاص النصح وافساح الصدر ، فحدث — ياسيد — بما تشاء وكلنا اصغاء ، ولك الحرية فيما تكتب « للادب » وما تقول لاهل « الادب » من خاص الشئون او عامها .

وبعد .. فقد طلبت تحليلا نفسيا لبعض قدماء الامناء ، ورجوت ان تعرف كيفية التقاء مبادىء الامناء بمبادىء فلان وفلان ممن سميت ولعلك تسمع ردودهم التى نرجوان ينشطوا لكتابتها ، والا يعدوا ذلك مما لايكتب قصدا وابتداء ، بل يجىء عرضا وبمناسبة .. ومحرر هذا الباب معك فى طلبك ومطالبتهم بهذا البيان .

معان معادة ..

او شكليات تكرر القول فيها بهذا الباب كطلب الا يرسل لغير «الادب» ما ارسل اليها ، وان يقرر انه لم يسبق نشره . ومن غير هذه الشكليات اليسيرة قضية اختلاف التقدير ، لان ذلك الاختلاف ظاهرة اصيلة فى المجال الادبى فلا معنى لاضاعة الوقت برسالة مطولة ، عن اختلاف التقدير فى نتاج تم تقويمه فى هذا الباب .

قيل ذلك كله مرارا وتكرارا ولكن فى بريد هذه الفترة ما يحوج الى معاودة الاشارة اليه ، فهذه رسالة طويلة — من رسائل — يتحدث صاحبها عن قصيدته « يامالك الحب »

فاذا حديثه من العذر الذى هو اقبح من الذنب ـ كما يقال ـ اذ مداره على ان القصيدة التى لم تقبل «الادب» نشرها يوما ما كانت قد نشرت فعلا فى مجلة « صوت المراة » وميزت ببنط كبير فى الطبع ، طبعت باصغر منه قصيدة للسيدة ملك عبد العزيز وهذا كلام لا جواب عنه ولا رد له ، بعد ما بحت به الاصوات عن سبق النشر وعن اختلاف التقدير !!

وبهذه المناسبة اقول للسيد صاحب ديوان « زهرات ساخطة » :

ان حقا ان « الادب » تفتح قلبها الكبير لكل جيد من الانتاج الادبى كما اكد ذلك لك غير واحد من اصدقائها وانه انما يعنيها دائما القول لا القائل ولكنها تحب ان تعرف اولا :

هل نشر ديوانك او هو بسبيل ان ينشر ؟ فان كان شىء من ذلك فانها تؤثر بسبق النشر مالا يجد السبيل الى ذلك ، اى مالايجد قارئها السبيل اليه فى غيرها ، ليكون عملها فى ذلك تشجيع الكاتب ، وافادة القارىء ، اما ماوجد السبيل الى النشر فى غيرها فبانها لا تنشط للسبق الى نشره ، لانها لا تشجع بذلك صاحب قلم ولا تفيد كثيرا الراغب فى القراءة

وفى مجال هذا التكرار لما سبق بيانه تعيد « الادب » رايها فى الاتقبل مايرسله شخص غير صاحبه ، لان ذلك ليس من حق مرسله ، ولاتعتمد « الادب » على مثله فى حق النشر ، ولا محل مع مثل هذا الاعتذار بان صاحب النتاج لم يتول ارساله بنفسه لكذا ولكيت من طوارىء الاعذار لان هذه الاعذار كلها فيما سمعنا حتى الان لا تجعل لصاحب النتاج حقا فى عدم ارساله بتوقيعه .

واغرب هذه الاعذار ان صاحب النتاج متهيب او غير متشجع ، لان

ذلك مما لاتحبه « الادب » للشباب ، الذى يجب ان يواجه ويقدم ويتلقى النقد والتقييم ، وبخاصة حين يكون هذا النقد والتقييم من مثل ماتتولاه « الادب » فى نزاهة وبراءة ، قدر الطاقة البشرية .. فاقدم يا شباب بل غامر فان اعتدادك بذاتك ، وثقتك بنفسك لشرط اول فى نجاحك وتقدمك .

وبعد فالى الرسائل من :

الشعر

* ـ فقد وصلت « التجربة » ، ويتمنى صاحبها أن يكون قلبه قد وفق فى الترجمة عن أحاسيسه ولعله يريد « قلمه » او « لسانه » لان عملية الترجمة لهما ، وللقلب احاسيسه ، فالفن ـ كما هو المعروف وجدان وتعبير .

واقول لصاحب التجربة والاحاسيس : ان تعبيرك لا يزال قاصرا عن الترجمة ، لسذاجة فى العبارة وزيادة فى القول لا حاجة اليها ، وتكرار لا موضع له كقولك :

لم صاحبى ، قد جئت انت الى هنا
بفضيحتى ساع الى اخواتى
فاجبتها : يا فتنتى ، انى هنا
من اجل من هى فتنتى وحياتى
انا قد اتيت الى هنا بملابسى
لتذوق شمسك وهى ذات توثب.

قد جئت لا لقيـــامة فى منشرى
لكن لاطرق بالدمـــوع معـذبى

الى اشياه لهذا ، لايحل لى ان اشغل بها فراغا فانشر غسيلا .. فى منشر لن يتحمل هذه الملابس البالية . . ولو قلت ان دون وصـــولك ابعادا ومســـافات لا اظلم تطلمك ، الذى يتحدث عن القلب ، والتجربة . . وحسبك من الدقة انى لم اضـــع مثل هذا الفسيل خارج النقد

* ــ ووصل ما عنوانه « الهمسة الحائرة » ولا اعرف اين اضعه بين فنون القـــول ، ولا اين مستواه فى نوعه ، ان وجد ، ولكنى وضعته هنا لان صاحبته الطالبة تقول انه بعض شعرها .. وهو حقا بعض شعرها هى ، لا بعض ماسماه الناس الشعر قديما او حديثا ، الا ان تبلغ سعة الصدر لهؤلاء الشبان مدى لاحد له ولا نهاية ، فنقول . ان مثل هذا الذى تقوله صاحبة « الهمسة الحائرة » شعور ما ، بشيء ما .. اذ تقول : انا نار .. انا ثورة ثائرة .. فالجنـون فى طريقى .. وانا ابكى ليل نهارى .. ثم تقول بعد ذلك : انها الحب . . الحب .. كلمة يرددها كل من يسمعها ــ وكنت لاهية عنها ابدا ــ ولكن من تكرارها وقعت فى شراكها .. فكنت اردد .. احبك . . احبك ــ لاى انسان اراه امامى .. لا شبع نفسى العليلة الظمأى .

اليس هذا شعورا ؟ اليس هـذا وصفا لبعض ما يتعرض له هـــؤلاء الضائعون على متاهات الحياة فى تلك السن الخطيرة ؟ اليس هذا لفتـــا قويا لواقـع نفسى قاس يتعرض له هؤلاء اللدان الاعواد ، فى العمر الذى قيل عنه فى ندوة عن الاسرة وسلامها : انه الوقت الذى يحتاج اشد الحاجة الى ادق التدبير والرعاية ولا قيمة لتحديث عن الاسرة ، قبل الحـديث الطويل الرهيب ، عن هذه الفترة من حياة طرفى الاسرة .

ان الواعين حولنا من امم العـالم يسلكون مسالك مختلفة متعددة فى التدبير لهذه الحقبة من حيـــاة الاجيـــال المقبلة ، ويتخذون لذلك وسائل ، بعضها مما لا يمتد اليـــه تفكيرنا ، وبعضـــها مما قد تحتمله عقولنا ..

وصاحبة هذه الكلمات دعـــوة صارخة الى وجوب هذه العناية بهم .. وبهن .. ولكنها صرخة قد تذهب مع الريح ، وتخلفهم وتخلفهن حطاما لايدعم بناء اسرة ، ولا كيان مجتمع .. فهل يقدر هذا كله اولئك المكلفون حتما بالرعاية النفسية ، والصحة الروحية لهؤلاء الشباب !!

يا صاحبة الهمسة الحائرة : لن انظر الى هذا العنوان المعروف .. ولن اقف عند اخطائك اللغـــوية ، وشبهها لانى لا اسمعك باذن ناقد ، ولكنى انصت اليك بروح والد . . يرقب فى اشفاق شبيهات لك يجلن امامه ، فيثرن ما اثرت الساعـــة بكلماتك التى قال فيها الناقد الذى قدم الى رايه فيها : انها ليست شعرا ولا نثرا .. وقلت له : انها شعور .. وما ارهب !!

* ــ ووصل ما عنوانه « السراب الخادع » لصاحبة «الهمـــة الحائرة» وحال هذه من حال تلك والوقع على هر الوقع نفسه .. والناقد الـذى قدمها الى قد انتبه فى هـــذه الى ما ارقنى فى سابقتها اذ قال :

و « القصيدة بعد هذا ذات دلالة

نفسية لمن يفرغ لدرسها » .. وهي في العرف الادبي ليست قصيدة ولا فنا من القول اعرفه ، لاسلكها فيه .. ولكنها ـ كما قلت آنفا ـ شعور وتجسيم لحالة يرزح تحت عبئها ارلئك المضيعون في الحياة بغير جريرة الا اهمال الدنيا حولهم التقدير لتبعة هذه الحقبة من العمر وعجزها عن ان تدبر لعلاجها تدبيرا يساير العرف ، والتقليد والعقيدة ، وما يتصل بذلك كنه من اعباء ثقيلة ، على نفوسهم ، مرهقة لارواحهم ، تنتظر من ينتبه لاحساس الشعوب الحية بها ومحاولة علاجها فيكون لهم .. ولهن فرصة للخلاص من هذه الازمة ، التي تمحق صلاحيتهم للحياة ، بعد هذا الدور ، ونسلمهم بقية العمر لآفات ، وعلل ، وازمات هيهات ان يكون منها برء ولا ادري ماذا يمكن ان اقول اصرح من هذا ؟

* ووصلت «**بنت الليالي الحمراء**» وقد يسلم لها عمود الشعر ـ كما يقولون ـ !! وفيها بعض المعاني القوية كقوله :

فرنت الى بنظرة لو صفتها شعرا
لاحرق لحنه الصفحات

وبعض الصور البيانية الجليلة كقوله : والصدر روضة شاعر . . وقوله في المطلع : مياسة .. ملتاعة النظرات ..

وقوله : خد ظامىء القبلات .

لكن فيها اكثر من ذلك من المعاني التقريرية بل الوعظية كقوله في المقطع:

المال والدنيا بغير شريعة
كديانة مبتورة الصلوات

مع صور بيانية مكررة ، اكل عليها الدهر وشرب ـ كما يقولون قديما ـ فالقد كالبان .. والثغر كالصبح ..

ومع هذه قواف قلقة .. الى عبارات تافهة الدلالة ، وغير ذلك مما لا يفسح لها مجال النشر .. ولكن صاحبها على الطريق ، وهو اقبل للفهم الجديد للادب ، والفن والشعر .. فتزود من هذا ، وتابع رياضتك حتى تصل بجدك ويقظتك .

* ـ ووصلت « **عتاب** » وليس لها جو وجداني ، ولا فيها وعي فني ؛ الى صياغة هي من الرصف والرص لا اكثر ولا يتسق فيها معنى ، ولا تتماسك وحدة ، ففيها مثل :

اطفئي نار فؤادي
تسعدي دنيا ودينا

ولا نعرف ما هذه السعادة الدينية باطفاء ناره .. وفيها مثل :

وعليل القلب جاء
باب شافي العاشقينا

وهو ما تسمع فيه رنة منشدي الذكر ، ومجاذيب الست أم العواجز .. وحسبك من القلادة ما احاط بالعنق ، والمجال اضيق من ان يتسع لكثير من هذا .. وصاحبها احوج الى رياضة نفسية الاساس حتى يجد ما يعبر عنه .

* ـ ووصلت « **هل تذكرين** » من القول المرسل ، ولا ازيد في التعريف بها ، وصاحبها قد مارس معها ، في الوقت نفسه الشعر التقليدي فيما عنوانه « **قريتي السمراء** »

والظواهر المشتركة فى محاولتيه ، تبين أن لديه رصيدا غير قليل من الالفاظ والمفردات الشعرية ، لكنه لا يحسن ان يردها خطوطا فى الصورة البيانية الفنية ، فهو يقول :

هل تذكر الغروب .. والشمعة الوالهة

تماما .. كشفتيك فى رعشة الشفق

فما الشمعة الوالهة مع الغروب !! وما رعشة الشفق !! وكيف تكون شفتاها كالغروب تماما !! والغروب نهاية !

وهو يقول : وترى الينابيع الشهية حين رق هديرها

فتدفقت عبر الجداول واستطال مسيرها

فاين الينابيع الهادرة التى تتدفق عبر الجداول فى قريته ، ثم يستطيل مسيرها ! ومتى يرق هدير هذه الينابيع التى لا نعرفها تنبع فى قريته السمراء او الحمراء !! انها كلمات مرددة ، لا تعبير عن شىء يجده ولكن سرد لها لا غير !!

والشواهد على ذلك من قلق القافية مع اضطراب الصور مما لا نجد الفرصة لايراد شىء منه ، حين نمسك عن النشر ، راجين لهذا الثراء اللفظى فطنة فنية ، تصنع منه صورا وتقيم عملا كاملا .

* — ووصلت « عصر الشعوب » لسيد الجليل الذى تحدثت اليه « الادب » فى اكثر من مناسبة عن مقدرته العظيمة التى قد تسعف فى بعض فنون القول ، لكنها فى هذه الفنائيات لا تسعف لاستهلاك جهدها فى الصناعة اللفظية والالتفات اليها اكثر من اى شىء آخر فى العمل الشعرى ، ولو ادى ذلك الى تبدد المعنى ، وتمزق الصور .

والسيد ذوسن عالية لا احسب التغير معها سهلا ، ومن العناء الرياضة فيها — فلو اتجه الى الشعر التعليمى — ان كان له اليوم مجال — والا فلبعض الشعر القصصى ، اذا واتت عليه جوانب الاستعداد .. و « الادب » فى كل حال تحيى نشاطه وترجو له الفرصة المواتية .

والى رسائل :

النثر

* — فقد وصلت قصة « جهل » لسيد نشرت له « الادب » قصة قريبا .. وهو فى هذه يريد ان يقول: ان الجهل هو الذى جعل زهران يفتك ويقتل بوحشية بعد ما تستر تحت السمت الدينى الدجال . . . واحسب ان هذا التوحش الفاتك من اجل المال ليس عمل الجاهلين وحدهم بل يكون ما هو علم او معرفة بشئون انكون وسيلة متفننة فى هذا الاجرام من اجل المال ، وفتنته المادة .. ومن هنا لا تكون هذه الصورة صادقة ، وان كانت تشير من بعيد او قريب الى اشياء من فطرة البشرية وتهالكها على حب الولد ، وجموحها البشع فى حب المادة ، وغفلة المجرم رغم حبكة الخطة .. وان كان بعض اشاراتها هذه تشويه مبالغة احيانا وعلى كل

حال فان القصة وقد اتجه صاحبها هذه الوجهة لا تكون **تعبيرا صادقا بالحادث** ، الى جانب ما فيها من عدم الصلة الكافية بالبيئة التى تجرى فيها حوادثها ، فان الناس لايسمون برذعة الجحش سرجا ولا يقولون اسرج الجحش ، وانما يقولون ذلك عن الحصان .. مثلا .

وهى لذلك وغيره غير جديرة بالتشجيع الذى تفرد « الادب » له نسبة فى النشر .

* — ووصلت « **الاخوان** » لسيد نشرت له « الادب » قبل الان قصة والسيد جدير بوقفة عند اختياره لموضوعاته ، وآفاق تطلعه ، وبعد تلك الآفاق ، وغرابة ذلك الاختيار نوعا ما .. وقصته هذه مثل من ذلك فانه يصور فيها اخوان احدهما يرى الكتاب المقدس ذخر الدنيا ، وحارس الحياة ، والاخ الآخر خارج عن هذا الافق ، يوغل فى قراءات متطرفة ، فيراه الاول — بجذبته المسرفة — شيطانا ، ويعد من القربة الى الله ان يبيد كتبه الشريرة وتضطرب قواه وهو يمارس تلك الابادة بجوار اخيه النائم ، فيتراءى له شيطانا مريدا ، ويغمد مديته حتى مقبضها فى جسد الشيطان .. لان هذا هو هو وليس اخاه .

فى الحق ان هذا الاسراف المفضى الى الهوس يخرب ادمغة ، ويهدم رءوسا ، ويدفع الى مثل هذا الجنون الراهم وما يكون به من جرائم ، وفى المجتمع ضحايا تتفاوت نسبة هذا الهوس عندهم ، وتتفاوت درجات اضرارهم .. وهم فى كل حال جند انذين يعدون الدين حرفة ووسيلة للغنم ، ويشتد خطر هؤلاء واولئك فيعوقون سير التطور ، ويعطلون تقدم الحياة ، وتنتكس بهم النهضات ، اولا اقل من ان تضيع منها طاقة كبيرة ، فى مداراة هذا الصنف من الهوس الهستيرى ، والجنون النوعى وبخاصة حينما يكون مستغلوه من شياطين الانس ، وفى حياة الشرق وفى حياة مصر بالذات مآس سياسية واجتماعية سببها محترفو السياسة المستعينة بأمثال هذا الهستيرى ، الذين سيروا ونوموا ففتكوا وقتلوا ، ودمروا ، واختزنوا الاسلحة .. الخ

لكن الموضوع اكبر من ان يعالج بهذه المحاولة فى قصة « **الاخوان** » التى يبدو الفن القصصى فيها ساذجا وبناء الشخصيات ونمو الاحداث اكثر سذاجة .

يا صديقى مرة هنا ، ومرة هناك وانت مرجو على الحالين ، فدع هذه لا تنشر ، وتعمق غيرها .

* — ووصلت « **فى طريق الرذيلة** » قصة امراة تحترف بيع جسدها : وتصطحب الى الاوكار طفليها وهما بنت وولد ، ويتداولها الشبان فينفرد احدهم قبل نوبته بالطفلين يتحدث اليهما ، ويرى فى البنت جريا على الطريق وراء امها ، وفى الولد غيظا مكبوتا فيكره المباشرة ، ويحرض اخوانه على الا يفعلوا فلا يستجيبون له ويخلو بها ليغطى جسدها ، وتحكى له قصة اصطحابها الطفلين فى هذه الجولة الساقطة ، فتحدثه عن الفقر والحاجة القاتلة التى دفعتها الى بيع جسدها وان اولادها كانوا اذ ذاك ثلاثة تتركهم وحدهم وتخرج ، فمات واحد منهم محترقا عند لعبه بالنار ، فهى لهذا لا تتركهما ، ولا سيما حين تخرج ليلا لان الاطفال يخافون هذه الوحدة فى الليل — وزادت على ذلك انها كانت تستطيع الزواج ولكن حبها

لاطفالها منعها ، وفضلت طريق الوحوش والحياة وسط الغابة السوداء من اجلهما .. ولن تترك الوحوش طفليها ، ولن يفلتا من التأثر بطبيعية الغابة ، كما قال صاحب « طريق الرذيلة »

حقا .. انها غابة ، واشد وحشية ونوضى من الغابة احيانا ، واكثر انحرافا عن سنن الطبيعة من الغابة التى لا يزيد قسوتها رياء ونفاق ، وخداع ، وكذب ، وتزييف واحتيال وتفنن فى الفتك ، بل يجرى فيها ما يجرى من صراع على اساس مكشوف ، من غلبة القوى ، والتهامه الضعيف .. نعم ان الحياة التى يسمونها متمدينة قد تكون فى بعض البلاد ، التى فى وسط الطريق ، لم تحتفظ بسلامة فطرتها ، ولم تبلغ من التحضر مدى صادقا ـ قد تكون الحياة فى هذه افسد فسادا من الغابة .. وتجارة الاجساد فيها من شر آفات هذا الوضع الذى تزيده ضنكا نظم كاتبة ، واكاذيب ناشبة ، واباطيل سائدة ، تصادم الفطرة وتعاند الطبيعة وحقا ما شعرت به ـ فى سذاجة ـ نحو هذه البائعة لجسدها بمرأى من اطفالها .

ولكن الموضوع اكبر من ان يعالج ببساطة هذه الحكاية القريبة الافق الوعظية العبارة ، الضعيفة الاسلوب لقد وجدت ولكنك لم تعبر .. فتابع رياضتك لتكون افسح افقا ، واعمق شعورا واقوى اسلوبا .

* ـ ووصلت « الامل الزائف » لصاحب السابقة . والحديث فيها عن شاب يمثل سذاجة صاحبى هذا تماما . بل عطله الهائل اذ يقف على الشاطىء مطلعا من انصاف المرور كل يوم .. يقف وهو لا يفهم نظرة ولا يستبين اشارة ، ولا يصدق له حس فيحسبها تشعر به ، حين تتقدم لتلقاء غيره ، فى نفس الموضع .. والعبارة فى مستوى السذاجة نفسه فهى تقول له : انا لست فائقة للحديث معك يعنى مانيش فيأه لاك .. وتعريب هذه العبارة بانا لست فائقة لايؤدى هذا المعنى ، ولا له ما للعبارة الدارجة ـ من تأثير ـ والصور البيانية على هذا العيار اكثر تخاطلا فهو يصف نظرة الفتاة اليه وهى فى صحبة من كانت فى انتظاره فيقول : نظرة طويلة كانت كسكين قطعت رقبة شاة فى غير رحمة !!

لقد كان صاحبى فى خير حاليه حينما تحدث عن « طريق الرذيلة » وكان فى غير هذه الحال حينما حدث عن « الامل الزائف » فاذا قلت له فى الاولى ما قلت عن الارتياض و .. و فانى اقول له فى الثانية .. ان الشقة بعيدة .

* ـ ووصلت « امل يتحقق » وهى قصة فتى يتيم حال الفقر دون تعلمه ، وطرد من المدرسة من اجل المصاريف فكان قرار مجانية التعليم مخلصا له ومسعدا لاسرته .

ومع قرب الموضوع ضعف عبارة يشعر ان صاحبها فى اول السلم يكتب : ما عدى تلميذ .. وجميع مدرسين المدرسة .. وانت عندك سنتين .. وترعرع ونمى ونمى ذكاءه وهم ممسكين بجريدة .. والموضوع حكاية بسيطة .. والاسلوب بعيد عن الصحة .. والمسارعة الى طلب نشر مثل هذا سوء تقدير لا تعرف ماذا يقول صاحبه حين يقرأ هذا : ـ وليت المرسلين جميعا يصيبون حظا من الرحمة التى تعد بها القولة السائرة :

رحم الله امرأ عرف قدر نفسه

الأدب

فنية . شهرية

يصدرها الآداب

الإدارة: مصر الجديدة . ص.ب ١٣
ت ٦١٧٥٠

الرسال الفنيـة والمالية ترسل باسم

أمين الخولي

رئيس التحرير

الرسائل الفنية والمالية ترسل باسم

محمد مابر عبد العال

مدير الادارة

الاشتراك :

الجمهورية العربية	٦٠ قرشا
الخارج	٩٠ »
ثمن العدد	٦ قروش

البريد الجوى والمسجل بحسابه

تصدر فى اليوم السابع من كل شهر

العدد السادس
نوفمبر ١٩٦٣
السنة الثامنة

من الطريق
الى الحياة

مافسد الناس .. ولكن

كلمة سائرة . لعل كثيرا من القراء يعرفها بنصها : **مافسد الناس ولكن اضطرد القياس .**

وجوها عند قائليها الاولين جو قاتم . يقيم عليه سر الناس باصنهم . وسوء فطرتهم ؛ وانهم كذلك جيلا عن جيل . ما يتخلف ذلك فيهم . بل هو قياس صادق .

اكنى اجنز لنفسى ان افهم هذه العبارة السائرة المشتهرة . فى غير هذا الجو المتشائم . فلست من الذى يؤمنون بسريه الفطرة البشرية .

فلى ان ابتعد بهذه العبارة عن ذلك العالم المظلم وافهمها بعموم لفظها . لا بخصوص سببها — كما يقولون —

وعلى هذا استشف منها معنى عاما صادقا . فى ثبات السنن واستقرار النواميس ، وجرى الحياة على خال ، من الضبط الدقيق الذى لايتخلف فيه مسبب عن سبب ، ولا نتيجة عن مقدمة .

وبهذا المعنى انتهى بالعبارة الى جو غير جوها الاول . واصل عكس الاصل الذى ربما يكون هو الذى بنوها عليه فبهذا المعنى من الثبات والاستقرار اختص بها من التشائم اليائس . الذى يثيره فساد طارىء . او اضطراب عارض . يسرع الناس معه الى القول بأن الامس قد ذهب بالخير كله . اليوم قد باء بالشر كله . والدنيا مولية . وما راح لا يعود .

وذلك ما يبعده ، ويخلص منه الاطمئنان الى ان الناس هم الناس . وما فسدوا . ولكنه القياس الجارى ؛ والرمان هو الرمان وما انكس .

ووجدت من حقى ان ارد فى الاطمئنان الى هذا المعنى الحيوى . وافهم من القياس المطرد معنى الثبات فى تطور الحياة ، وتغيرها على اساس . لا مباغتة فيه ولا فوضى .

وفيم كل هذا الوقوف عند تلك الكلمة القديمة ؟ وماذا أثار انتباهى اليها ؟ وماذا مد التفكير فيها الى هذه الآفاق ؟

الحق انى عدت بها ، ولجأت اليها ، واطلت التفكير فيها لمناسبة حادة ، بل ضائقة فكرية دفعنى اليها حادث هو ما شعرت بوجوب تسجيله هنا . . وهو الذى كانت فيه تلك الكلمة المعروفة مخلصا مؤقتا . . ومنفذا كافيا . . وحلا سريعا .

والحادث الذى كان هو : لقاء مع نفر من الشباب المتطلع ، والجيل الصاعد ، اصحاب الغد ، وسادة المستقبل . . جاءونى فى حيرة تمازجها دهشة ، وتخفى غضبة ، وبدءونى باستفسار يبطن استنكارا ، لما قرءوه فى مجلة « قافلة الزيت » مرة ، وفى مجلة « الرسالة » مرة ، من القول عن :

« المذاهب الشاذة ، التى أبهمتها العقد النفسية ، والجو الغائم ، كالرمزية ، والوجودية ، والسريالية ،وهلم جرا ، الى اللامعقولية » .

ثم ما تلا هذا من القول عن :

« هذه البدع والاضاحيك ، يستوردها النشء المتـــادبون ، مـن مشعوذى الأدب الغربى ، يريدون بها الاغراب والحذلقة والظهور »

ثم ماكمل هذا من القول بأن :

« هذه الاساليب الملتوية لم تلهمها طبيعة ، ولم توجدها ضرورة وانما هى عبث من العبث ، سوله الطبع المنحرف ، والعقل المريض ، لعبقريات جامحة ، فابتدأت بكتابة ما لا يفهم ، ثم انتهت الى كتابة ما لا يعقـــل ، والبدعة تنقل من المنحرف الى المنحرف ، فيكون المذهب كما تنتقل العدوى من المريض الى الضعيف فيكون الوباء » .

* * *

وتلوا من ذلك ما تلوا . وعيونهم تعبر احد التعبير واقساه . وسكتوا بعد ذلك لحظة . كان فيها السكوت ابلغ واوجع والازمة فى انفسهم — كما تعرف — قديمة ، والمسكلة مزمنة . بدون هذه الاقوال وامثالها . فكيف بها مع هذا الوقود المتفجر !

وتلقيت ذلك كله بصبر مبتسم ، وامليت لهم ليتنفسوا وتركت لهم الكلمة ليقولوا . وينقدوا ، او حتى ليجمحوا ويشتموا فكذلك افعل معهم دائما . ولا ارى الأخذ بشىء من الكتب فما هو الا معجل للانفجار . . والكلام صمام امن يخفف الضغط ويفثأ الغضب .

واقبلوا على تنوشنى السنتهم ، وتتدافع عباراتهم ، فى حال من ثورة العاطفة ، وحدة الشباب ، التى لا ينكرها عليهم من عاشرهم ، ويعرفها كل من سايرهم .

واصطخبت الاقوال ، وتداخلت الكلمات ، فلعلى لم اثبت الا بعضها الذى علق بذهنى ، وطاعت بوعيه ذاكرتى ، وانا فى هـــذا الخضم المائج حولى .. وهذا ما بقى منه حتى كتابة هذه السطور .

فقد بدأوا ــ كما اشرت اولا ــ يسألون تلك الاسئلة التى تحمل من معانى الاستفهام كل ما عرف البلغاء ، مما يخرج اليه هذا الاستفهام فكان من اسئلتهم : ــ

ــ أحقا لا تزالون اليوم تدينون بان هـــذه الدنيا هى النصف ، التى ذهب خير نصفيها ، وان ناخذ منها بنصاب عيش ، كما تقولون !!

*** أحقا لا تزالون تفهمون ان هذه الامم السباقة حولكم ، والتى يظاهر فيها العلم الفن ، ويؤيد النظر العمل ، ولا تعرف لحقها فى المعرفه حدا ، وهى مضية كل لحظة الى تقدم .. هذه الامم حولكم هى التى تهـذى هذيان المحموم ، وتهلكها العقد النفسية ، وانتم الاسوياء الاصحاء الماضون الى الجنة !!**

*** أحقا انكم تعقلون فى هذا العصر ان انحراف المنحرف وعـــدوى المريض للضعيف هى التى تكون المذهبية الفكرية أو الفنية ، وهذه الثروة الانسانية ليست الا هذيان مرضى ،وتخريف مخرفين ، وانتم الحـكماء الراشدون الذين أوتوا الحمكة وفصل الخطاب منذ أجيال وقرون !**

*** أحقا أن لغة العرب وليدة الشمس المشرقة ، والجو الصافى ، فهى لهذا بارئة من الجو القاتم الذى يخلق الرمزية ، وينبت الوجودية ، وما اليها مما عصمكم الله منه ، ووقاكم فانتم اصـحاب الصراط السوى ، والفن السليم ! !**

وظلت حيث انا لم افقد هدوئى ، ولم ابادر الى الكلمة اسابقهم عليها .. فمضوا يمعنون فى هذا التساؤل الموجع فيقولون :

*** أحقا كان سلفكم الصالح ، وماضيكم المجيد صورة المجتمع الفاضل والخلق الكامل ، وهو الفردوس الانسانى المفقود الذى تريدون أن تردوه الينا وتردونا اليه ، وتنتهوا بنا الى حياة شبيهة بما كان فيه ! !**

*** أحقا كان ادب هذاالمجتمع او فنه ــ على اختلاف صنوفه والوانه ــ ليس صورة لما كان عليه هذا المجتمع الخليط من تصدع بالرق ، وتحطم بالظلم ، وتفكك بالاستبداد ، وتطاحن بطبقيات ، لا طبقية واحدة ، فنـــدر أن تجد فى مثل هذا المجتمع صاحب فن يجد نفسه ، ويحترم وجوده ،**

ويكرم انسانيته ، ويحفظ كيانه ، بل هو متسول وضيع كذاب ، وما تعين مثل هذا الجو على غير ذلك ! !

واستطعت بعد هذه القسوة الجارحة أن اضبط نفسي ، و لااسمح للامحى بالتعبير عن شيء ؛ بل كانت الابتسامة بلون من الوانها ، فحمى اليأس وتحول الموقف فاذا هم يجاوزون موقف السؤال . فاذا جرىء منهم يؤخر سواه ليتقدم ، فيقول :

انا لا نسالكم هذه الاسئلة او كثيرا غيرها استفسارا ، أو عجزا عن الاجابة ، وجهلا بما كان ، لانا نعرف ونفهم ، ونؤكد لكم : ان الدنيا ليست فى شيء مما تتصورون بل نحن ندين بانها تمضى قدما ، وتتقدم الى غير مدى محدود ، وان أصابها او أصاب بعض أهلها ما يصيب الافراد مثله من وعكة او آفة فانها تعرف الاسباب الاجتماعية لذلك حق معرفة . وتطب له بالتجربة ، وانها اليوم بحريتها غير المحدودة ، وطموحها الواسع وشعورها الصادق بذاتها وكرامتها وحقها لاقدر على أن تتدبر امرها وتقوم انحرافها: أكثر وأصح ألف مرة مما كانت قبل اليوم ، فما هذا الذى تتوهمون من وباء ، وتتخيلون من هذيان ، لا ندرى أن هى فى حقيقة الامر أهنا أم هناك !

وتعالوا لنعالنكم عن حق وبحث :

*** ان هذا المجتمع السالف والمجد الماضى كان يغرقه الجبن ، ويغمره الرياء ويعمه النفاق ، وفى افضل حالاته كانت خلقيته دون المستوى الصالح ، ودلالة احداثه على تقديره لابطاله وشعوره بكرامتهم تقطع بانه كان المجتمع المستريب المتهم القذاف لا يرعى حرمة ، ولا يحترم كرامة ..**

*** ومحال يا سادة أن يكون الفن فى هذا المجتمع ، على غير هذا المستوى أو فوق هذا الواقع : لان طبائع الاشياء تابى ذلك .**

*** ولن نحجم عن مصارحتكم بان هذا المجتمع قد واتته مثل متطلعة ، فلم تسعفه حاله على كمال فهمها ، فوقع دونها ، وكان واقعه دون مثالها ولنحن أقدر على فهم هذه المثل فى أسمى آفاقها ، وأجدر بالعمل على تحقيقها فلا يلتبس عليكم ما نفهمه اليوم ، أو قد تفهمونه ، من هذه المثل بما كان الواقع الفعلى فى هذاالمجتمع ، الذى سمع هذه المثل ، وحملها فبلغها لاغير .**

*** وحال هذاالمجتمع وادبه وفنه ليست فى شيء مما نخيلون ، ومن أجل ذلك نلتمس فيه ــ بشق النفس ــ ما هو غذاء نفسى ، او مدد روحى فلا نجد من ذلك ما يبل اواما الا رسيسا ضعيفا .**

*** واذ كانت هذه الرمزية الصوفية فى هذا الادب ، هى ومضة الروح،**

وخفقة القلب ، التى يتعلل بها المتعلل فى هذا الادب فما لكم عفرتم اللبن بالتراب ، وصدرتم الرمزية ، فيما ابهمته العقد النفسية ، وغشاه الجو الغائم .. كانما تخربون بيوتكم بايديكم ! !

* ولنكونن فى الحق اصرح واصدق ، فنقول لكم : يا من تتحدثون عن الانحراف والمنحرفين اليوم بالرمزية والوجودية ، خبرونا ماذا كانت اينة ابى نواس ، وعصبة الشيطان الفجار ، حوله وبعده الم يكن انحرافا !!

وماذا كان غزل المذكر ومكانه فى هـــذا الادب ودرسه ! ! الم يكن انحرافا !!

وماذا كان حال المخنثين فى المدينة قلعة الدين !! الم يكن انحرافا .

وماذا كان فجور الخلفاء المعربدين يعبثون بالمقدسات والشعائر ، من يزيد ووليد كانوا اعلام اجناس فى هذا التاريخ . .لا افرادا ! الم يكن انحرافا .

وماذا كانت بيوت المقينين ، وقيناتهم ، ودنياهم التى تزرى بابشـــع الكباريهات وعلب الليل ! الم يكن انحرافا .. ومع هذا ما ان عددناه لم نحصه ..

لكنا لا ننظر اليه نظرتكم الذاهلة ، بل نعـــده اعراضـــا اجتماعية ، واسبابا لها مسبباتها ، ولانقتطعها من الصـــورة الكاملة للمجتمع لنولول بما صارخين ونقعد بها باكين يائسين .

وكذلك لا نفهم المذهبية بدعة تنتقل من المنحرف الى المنحرف ، كما تنتقل العدوى من المريض الى الضعيف فيكون الوباء ، لان المذهبية ليست الا اثر جهاد عقلى ونفسى فى سبيل المعارف لم يكف عنه الانسان منذ عرف نفسه الى اليوم .. وفى سبيل المعرفة نفسها وسلامة وسائلها انكر الانسان فى قديم التاريخ ووسيطه وحديثه امكان تلك المعرفة واتهم وسائلها فكان ما تسمونه سفسطة ، تسخرون منها وتتفكهون ..

ان الانسانية ماضية فى ممارسة حقها ، فى التفكير ، واداء واجبها من اجل المعرفة ، وهى اليوم امضى جهادا ، واشد صراعا .. والمذهبية آية ذلك وعلامته ..

* * *

ونع الجهد بهم على ســـبابهم . وكان ما كان كافـــا لتنفس عنهم والتخفيف من حدتهم .. وجهدت انا لذلك بما سمعت وكتبت فلم اكن اســتطع الا ان اقول احضر ما يقال :ـ .

يا بنى لقد عرضتم لكثير ، وتناولتم الكثير ، وما احسب مجالا مهما اتسع ـ يتسع لتكملة فى هذا او اكثره . .

اسعفتنى تلك الكلمة السائرة : ما فسد الناس ولكن اضطرد القياس ، وجلت فيها تلك الجولة فى سعة من المعنى فرايت فيها شيئا من القديم قد يشعر بمشارفة القوم لاصول الحقائق ، واسس السنن ، ويرد عنهم تبعة ما يقال عن الانحراف ، والهذيان ، والمرض ، والوباء ، والعقد الغبيوم واطمان القوم ـ ولو مؤقتا ـ الى أن فى هذه العبارة السائرة اشارة الى ما يدفع عن الماضين عيب هذه الهرجلة !! ويرد لائمة ما يقال . . وعقبت فقلت :

على رسلكم وامضوا مطمئنين الى استقرار السنن ، وتاكد النواميس ولا تجزعوا لما يقال من غير هذا

ولكم مع الحق كل الأمل فى الغد الافضل مع الدنيا السائرة قدما .

وعلى بصيرة واعية ، وخبرة نافذة ، ومعرفة ناقدة ، تقدموا مجدين منتفعين بما تستبينون من سنن الحياة الاجتماعية والفنية جميعا .

عمر الأمناك

في

دار الأمناك

٥٨ ش الجمهورية ـ القاهرة ـ ت: ٤٨٠٦٩

في ندوة الأحد ـ الساعة السابعة

حيث يلتقى الشيوخ والشبان حول مائدة حره

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

تراث الإنسانية

وهي تتناول بالتعريف والبحث والتحليل روائع الكتب التي أثرت في الحضارة الإنسانية بأقلام الصفوة الممتازة من الأدباء والكتاب والعلماء

يصدر يوم ٥ نوفمبر ١٩٦٣ العدد الحادي عشر من المجلد الأول

إقرأ فيه :-

الجبر والمقابلة الإرشميدس لسوبد تبرج	يقلم	الدكتور محمد مصطفى حلمي
الموسيقى الكبير للفارابي	"	الدكتور محمود أحمد الحفني
الطلسم لولتر سكوت	"	الأستاذ محمود محمود
العين للخليل بن أحمد	"	الأستاذ إبراهيم الإبياري
السير المتناظرة لبلوتارك	"	الاستاذ أحمد ابراهيم الشريف
الملك والزمان والألوهية لصموئيل الكسندر	"	الدكتور يحيى هويدي

تطلب من الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع

٤٧ شارع نجيب الريحاني

بالقاهرة

الثمن ١٠ للطبعة العادية

١٥ للطبعة الممتازة

الخيال في الفن والعلم

بقلم السير سيريل هينشلوود

ترجمة دكتور مصطفى الصاوى الجوينى

مهداة إلى رجل الفن والادب الدكتور محمد كامل حسين

يندر ان لا نسمع بذلك التمييز الكلى الخطير الذى يكمن فى الحقيقة القائلة ان العلوم تدور حول الاشياء بينما الفنون دورانها حول الاناسى . فلذلك يطلق على مجموعة منها انسانيةبينما المجموعة الاخرىتكون ضمنا غير انسانية . واذ ان اللغة مليئة بالشراك الخادعة فانه من السهل فعلا ايحاء الراى بغير الانسانية . وهذا بالطبع قد يكون ملائما جدا لاهتمامات بعينها ، تربوية مكتسبة لا تزال حتى اليوم لديها الرغبة المفهومة تماما فى امتلاك ناصية الاعمال جميعا ، تلك الاعمال التى تتضمن عادة قيادةالناس الآخرين كافة لنتاج انظمة خاصة على زعم ان العلماء المتمرسين غير الانسانيين لا يحتمل ان يستطيعوا فهم الناس .

واظنه حقيقة عبث جد خطير القول بان اى انسان يمكن ان يتعلم فهم الحياة من الادب ، فليست هناك طريقة لفهم الحياة الا بالحياة . والبعض منا الذين لم يجربوا الحب من قبل لن يستطيعوا ان يتعلموا كثيرا عنه بقراءة « روميو وجولييت » .. فالادب يمسك بالمرآة للحياة ولن يعرف الصور المنعكسة الا من لديهم فعلا شيء من الخبرة . اما بالنسبة لغير المتعلم بتاتا فان الوصف الادبى سينقل اليه فحسب مثل ذلك القدر الضئيل الذى يحمله تقرير عن تجربة كيميائية الى شخص لم ير قط شيئا ما يماثل المواد او الظاهرات موضوع التجربة .

الأدب وصاف :

الادب العظيم وصاف ، وهو يفعل ذلك بوجه ما بطريقة التسول ، يعنى، مثلما النظريات العلمية تعمم الحقائق فى فروض . ولكنى لا اعتقد

انه يمكنك أن تعرف الحقائق بما هي حقائق ـ ولازال القليلون يقدرون التعميمات فيها ـ بدون خبرتك الذاتية . ولذلك أستطيع القول ان الأدب لا يعلمك ان تفهم الحياة ولكن بالأولى الحياة تعلمك فهم الأدب .

وفى « البحث عن الزمن الضائع » A la recherche du temps perdu يصف « مارسيل بروس » ، أو بالاحرى يكشف لاولئك الذين لهم عيون لترى كيف انه كلما يكبر الانسان يحيل البصر وكيف أن اشياء عديدة بدت مرة فاتنة لاتدرك تصبح مبتذلة بل وحتى مستقبحة فى وجهها المتغير .. يقول : (لقد قرات هذا العمل العظيم مرتين فى مسافة ثلاثين سنة وهيانى قطعا ما قراته المرة الاولى لما قد أتيح لى ان أجده حاليا . ان خبرتى الذاتية المتجمعة علمتنى تدريجيا فى تلك المسافة الزمنية أن اقدر عند قراءتى الاخيرة المعية بروس فى تعميمه للرؤى) . استطيع القول اذن أن الادب يجمع الحقائق عن الوجود الانسانى ، الحقائق التى يمكن معرفتها كما هى ثمت بالخبرة فحسب ، ويقدمها للكشف عما هو أعمق ولخلق ما هو أكثر دواما من العوارض العابرة . فهل هذا اذن جد مختلف عما يمارس فى العلم ؟

ان دور الخيال فى العلم يساء فهمه غالبا . وانها لسفسطة تامة الظن بأن العلم يتقدم بوسيلة الخطوات المنطقية وحدها . المنطق فى الحقيقة ضرورة ، ولكنه بعيد عن ان يكفى . ان عمل التخيل بين توفره ؛ فالناس غير حقيقيين عادة وكذلك الحوادث ، والكاتب يستخدم خياله ليبدع شيئا ينتج تاثير الحقيقة . رجل العلم عليه أن يصنع مثل هذا وبادراك أكثر ؛ فهو يواجه من الحقائق خليطا متشابكا ، وفى هذه عليه قبل كل شىء أن يميز بعض أنواع الانماط التى يبدو انها ذات دلالة . واذن بوساطة ماهو بتقديريا عمل ابتداعى نراه يتصور افتراضات ليعلل للانماط التى تلقطها . ومن ثم تكون الافتراضات موضوعا للاختبار ، وابتكار الاختبارات ذاتها وبما يتطلب ممارسة قدر عظيم من التخيل بل انه حتى ليتطلب ممارسة ملكة الخيال على مستويات أقل . واى انسان ملم بالمبادىء الاولية للتفاصيل والتكامل يعرف أن عملية ايجاد تكامل يمكن أن تجرى فحسب بتصور عامل ما ينتج بعد التفاضل الممثل المشكلة . ولا توجد قوانين آلية لمفتاح السير فى العملية .

تمييز خاطىء :

ولقد يظن انت ثمت تمييز بين ميدانين فى احدهما تبين المقاييس الجمالية ذات اهمية وفى الآخر ليست كذلك وهذا خطا . ان دور العنصر الجمالى فى الشعر وفى الفنون الجميلة مألوف ولو انه احيانا لا يبدو واضحا ؛ ولكن معرفة ذلك فى العلم وفى الرياضيات أقل شيوعا ولو انه متعادل الاهمية . هذا هنرى بوانكاريه ؛ وهو واحد من أعاظم الرياضيين على مدى الزمن ، يمدنا ببيان عن عمليته الذاتية فى الكشف الرياضى يصف فيه ثلاث مراحل :

أولا فترة من العمل العقيم كنتيجة لان عناصر المشكلة تدور دورانا مثلما كانت فى لا شعوره . ثم فترة تفريخ طويلة يعالج خلالها ـ كما يقول ـ مالا يحصى من التوافقات حتى يعثر على الحل الصحيح لمشكلته . ثم تجىء المرحلة الثالثة حيث يبدو الحل الحاضر وقد أومض اليه بنور فجائى

في شعوره . ولترجمة وصف بوانكاريه الذاتي والى اصطلاح حديث نقول : هناك شيء ما قد وضع برنامج العداد في ذهنه لتنطبع الاجابة حالما تستكمل حالة معينة . وهو يحدد مطلقا في شاهده ان هذه الحالة كانت بالنسبة اليه : جمال ورشاقة وتناغم في التوافق الممثل .

ويمكن ان نجري تمييزا بين العلوم الطبيعية وبعض الفنون في عبارات موضوعية . ولاختبار هذا المبحث بدقة شيئا ما دعنا نقارن واحدا من العلوم الطبيعية بفن التصوير . المصور يعطي منظر الحقيقة ، فما يضعه على اللوحة مطابق في بعض المقاييس لما هو ممثل في الحياة ، ولكن الفنان يمثل تلك الحياة لنا كما يراها هو نفسه ؛ بل الى هذا كما يدعونا نحن لنراها معه . فهي رؤية فردية ومتوقع ان تكون كذلك . تطبيق الفوتوغرافية على التصوير — في الجملة — تعبير مضلل يوحي بان الرؤية ضعيفة او ذات نقص . وسواء كان الفنان المجيد يصور منظرا طبيعيا او طبيعة صامتة او صورة لشخص فانه يرينا عادة شيئا لم نره من قبل ؛ شيئا يؤثر حقيقة وعلى الاغلب دوما في الطريقة التي ننظر بها الى الاشياء . ولا نبعد فقد اتيحت لي فرصة الاهتمام بخاصة بعمل واحد من اعاظم فنانينا المصورين للاشخاص . ومنذئذ اظن ان الناس عامة لم يتراءوا لي تماما كما هم ؛ لانني قد مضيت في رؤيتهم — لدرجات ما — من خلال اعين المصور .

تنسيق الحقائق في انماط :

وانا متاكد ان الرجل العادي سيصنف عادة العلماء مع المصورين الفوتوغرافيين او مع رسامي الهندسة المعمارية دون تصنيفهم مع الفنانين . وبعد فهو هنا مخطيء خطا جسيما . ليس العلم هو التعداد البسيط لحقائق الطبيعة ولو كانه فسوف يمثل خليطا من التفصيلات غير ذات معنى . ان العلم تنسيق هذه الحقائق في انماط يدرك انها ذات دلالة وتوافق .. وحين يشكل النمط يجب ان يفسر ويوضح . ولكن ما هو الايضاح ؟ .. حقيقة ينبغي ان تكون معرفة الحقائق وتسجيلها موضوعية غير متحيزة ، وكذلك ايضا ينبغي ان يضع مصور الاشخاص انف وعيون موضوعه في الموضع الصحيح . ولكن في كلتا الحالتين المتباعدتين يدخل العنصر الشخصي القوي . فاي الانماط هي الممتعة ذات الدلالة ؟ هذا من امور الحكم الذاتي . وحتى ما يكونه الايضاح المقنع يكون اكثر ذاتية .

ولعله يمكن ان تنسق مقالات مطولة في الطبيعيات والكيمياء وتناقش مناقشة ممتعة في عبارات من الامثلة الآلية تمثل فيها الذرات والجزيئات بوساطة اشياء تشبه كرات البلياردو ، قد وصلت معا بقضبان او زنبركات ترتطم وترتد بطريقة سهلة للعيان . ولعله يمكن ايضا التنبؤ بنتائج مفيدة بمعونة هذه الاساليب . ولكن سرعان ما يكتشف انها ذات تحديدات صارمة معادلة للمدرسة الهولندية في التصوير ، تلك التي فشلت في ان تعدل بالنسبة لثراء عالم الاحساس كله . ومن اجل اغراض جديدة قد استبدلت الامثلة الآلية باساليب مجردة عالية من معادلات تحسب حسابا كبيرا لتفصيلات ما في الطبيعة . ويوافق كل انسان على ان الرموز الرياضية المنتسبة لوقتنا الحاضر — ادوات قوية للتنسيق والتنبؤ . ولكن الآراء

ـ وربما من الافضل قولنا الاحساسات ـ تختلف اختلافا عظيما فى مدى الارضاء الذى تقدمه للعقل . وليس من السداد فى مثل هـذه الامور ـ حتى وان امكن ذلك ـ مناقشة من المصيب ومن المخطىء . وما أريد ن اؤكده هو أن قبول مبدا طبيعى أو رفضه كقانون اساسى للطبيعة ينبغى فى النهاية ان يرسى باتساع على حكم جمالى . يتبنى بعض رجال العلم ما يبدو انه ـ شيئا ـ منفعى أو فى الحقيقة اتجاه مدقق فيطالبون بالا يبالى بالشكل الجمالى للمبادىء طالما ان الظاهرة يمكن التنبؤ بها وان النتائج تسلم . واشك انهم حقيقة يمكن ان يقصدوا هذا ؛ اذ انه يتضمن كونهم راغبين فى هجر البحث عن القوانين العلمية جملة ما دامت الاجابات العديدة للاسئلة المحتملة قد جدولت كلها فيما يكون من جنس دليل تليفونى علمى وسيع . وسواء كانوا مستعدين لاستخدام التعبير «جمالى» او لا فانى اعتقد أن العلماء جميعا متاثرون بدرجة أو بأخرى باعتبارات هى جوهريا جمالية بطبيعتها .

المعرفة والجمال :

ان حب الاستطلاع وهيجان الكشف انفعالات قوية . ولنا ان نسأل جيدا ما اذا كانت تعمل عملا مختلفا او تعمل بدرجات مختلفة فى الفنون وفى العلوم . ولقد يشكى احيانا من أن التحليل والفهم يعصفان بالجمال ويقهران الخيال . ويحدث بعض الناس كما لو انهم يخشون من أن تقتل دراسة علم النبات البهجة فى الحدائق ؛ او ان تعتم معرفة الفلك بهاء السماء .

هذه تصورات شيكسبير النباتيةفى « حكاية الشتاء » مؤثرة حقيقة ، وكذلك ابيات مارلو ومنها : « نسيم الليل .. يتدثر بجمال آلاف من النجوم .. »

ولا زالت الاساطير القديمة التى تستدعيها اسماءالابراج لديها القدرة على الفتنة . وبعد ، فانه من المؤكد أن أوهى انواع العاطفية فى التمتع بالصور الشعرية يتوقف علىبعض الميل المتحيز لقبولها حرفيا أو الاعراض عن المعارف الاخرى كلها . كيف يمكن ان سحر خيال شيكسبير اما ان يؤذى او ان يستبقى الاذى من ادراك الاحداث المعجزة والتخيلية التى تفضى الى أصل الحياة على الارض ؟ هل نجد النجوم اقل روعة اذا فهمنا أو عجبنا من العمليات النووية التى لا تكاد تصدق والتى بها تتولد طاقاتها بله ما هو أكثر وهو التاريخ الملحمى لنشوئها ؟

ـ على اى حال فان الشعراء والفنانين بعامة بعيدون جدا عن كراهية البحث والاستقصاء بعيدون عن اهمال التحليل أو الاساليب التى يمكن ان يعبر عنها بالعلمية . ان كثيرا من المصورين بوعى أو بلا وعى يهتمون الاهتمام كله بتحليل ما يرون والوسائل التى قد مثلوها بها عدت غالبا اكتشافات علمية رئيسية . والفلسفة على الاقل تحليلية مثل العلم ، وبعض الفلاسفة طلعة فيما يتصل بالعلم تماما مثل زملائهم العلماء .

« ان فى مناهج درسنا الدينى والمدنى
جميعا لأخطاء واضحة لن يصححها
الا الجمع الشامل للتراث »

لن يصلحها الا جمع التراث

بقلم

أمين الخولى

— ١ —

فى اجازة « الادب » الصيفية ، هذا العام قضت الظروف أن اتحدث واكتب فى شئون هذا التراث ، بعد كثير ما قلت وكتبت عنه ، منذ عقود من السنين .. وقد اكتب واكتب فى جوانب واسعة من هذا الموضوع ، دون اعادة ما ، ولا تكرار .

ثم فى الكلام ، بعد ذلك بقية ، بل بقايا من القول الجاد ، لعل احق مكان بها هو هذه الصفحات من « الادب » أودعها فى أكثر من مقال ، هذا البحث عن أخطاء منهجية واضحة فى بحثنا ودرسنا ، سواء فى ذلك الدرس والبحث الادبى ، بمام معناه وخاصه ، والدرس الدينى بعقائده وشريعته . وهى — كما سنرى فى وضوح — أخطاء اساسية لا يخلصنا منها الا جمع هذا التراث ، جمعا كاملا ، شاملا ، مستقصيا .

* * *

والقضية منهجية أصيلة واضحة ، ليس فيها شىء ما ، من تزيد الدعاوة الاجتماعية ، ولا اثارة من عصبية ، أو تمجيد اسلاف ، او احياء لشاعر قومية ..

واصل هذا كله ان كل معرفة ، سبيلها النقل والتلقى تحتاج حياتها الى اتصال سلسلة سندها ، واستمرار التناقل لها ، جيلا عن جيل ، وسالفا عن خالف ، ليسلم وصول تلك المعرفة ويصح ..

والى مثل هذه الرواية الناقلة ، المتصلة السند ، السليمة الخطو يحتاج تاريخ كل معرفة بشرية ، نظرية عقلية ، او تجريبية عملية . وهذا

التاريخ الصحيح للنقليات والعقليات ، على السواء ، هو الاشعة المسلطة من الماضى ، على معالم الطريق الى المستقبل .. وهى وحدها التى تحدد طريق التطور ، وتدل على اتجاهه ، وتهدى الى السير نحوه وفيه ، الى الغد سيرا مامونا ، مرجوا ، موفقا .

ولن تلتمس الانسانية شيئا ، أى شيء ، من الماضى وتجاربه الا مما نسميه التراث .. ولهذا نتحدث عنه فنطيل الحديث ، ويتشعب القول ، وتنفسح مسالكه ، ويبقى منه مع هذه الكثرة والطول ما يجب أن يقال .. وما لابد من الدأب على المطالبة به ، لنكون قد أدينا الواجب الحيوى ، وشعرنا بما ينقص حياتنا من العمل فى هذا الميدان ، نقصا يهز الكيان ، ويمس الاساس .

ومسالة جمع التراث ، وبذل الجهد المستطاع فى هذا السبيل حتى نوفى منه على الغاية التى تناسب عصرنا ووسائله المختلفة ، فى هذا الجمع ، هذه المسالة مما يشتبه الامر فيها على غير قليل من المتحدثين عن هذا التراث ، والذين يتجه اليهم الواجب العملى فيه ، فيظن ظان أن فى كتب المادة الواحدة مكررات يغنى بعضها عن بعض ، ويمكن الاستغناء ببعضها عن بعض ، ويهم واهم أن فى أصول المؤلف الواحد شيئا من ذلك التكرار ، يمكن معه الاكتفاء ببعضها ، والاستغناء عما عداه ، الى اشباه من هذه الاشتباهات ، حيرت بها اخيرا أقلام من يعملون فى الميدان ، ويتصدون للتحقيق ، واقترحوا بناء على هذه الظنون امكان التعجل بنشر شيء من هذه الاشياء ، يغنى عن غيره ، ويعرف الخلف بسلفهم المعرفة المؤقتة المستعجلة .

ولاشك أن ذلك القول وما يشبهه ليس الا صدى لفهم معالم المنهج النقلى ، والواقع التاريخى للتراث فهما غير صحيح ولا دقيق ، بل فهما مهزوزا ، كما قلت فيما اكتبه عن ذلك فى مجلة « المجلة » وادع التعرض له هنا انما هذا بيان لجوانب اخرى ، من هذا المنهج النقلى ، يتم بها ما لابد ان يتم من ايضاح لهذا المنهج ، وتاصيل له ، واقامة لخطواته ، على أسس من الدقة والمتانة ، التى تجدر بالحياة العقلية لهذا العصر المتحرر المتطلع ، الذى نتقدم لمشاركة أهله بجدارة .

وعند الحديث عن المناهج واخطائها نقدم ما نحن أولى به هنا ، فنبدأ بالحديث عن :

منهج التاريخ الادبى

وهو الدرس الذى يجرى فى مراحل مختلفة من التعليم عندنا ، ثانوية ، وعالية ، وتخصيصا جامعيا .

وتوزع هذه الدراسة ، على ما نعرف من عصور زمنية سياسية ، على ما هو المشهور من أمرها .

وهى خطـــة تردد القول عن فساد تقسيمها ، باقامتـه على مقولة الزمن وحدها ، ونسيان مقولة المكان والبيئة ، بظن ان اهل العصر الواحد يتساوون فى انحاء الدنيا المختلفة ، التى عاش فيها ذلك الأدب العربى ، فغرب آسيا ، كشرق افريقية ، وجنوب اوربا ؛ وهو ما لاتقبله سنة الحياة ولا نواميس الوجود ، لان المعاصرة الزمنية ، والحياة فى وقت واحـــد لا تربط الاحياء بشىء من الصلة الجامعة ، حتى فى المكان الواحد ، بل المنزل الواحد .

وقد قيل فى هذا الخطأ قبل اليوم ما قيل ، وعرف من امره ما عرف ، وليس هذا هو الخطأ ، الذى نقصد اللفت اليه اليوم .

وفى درس التاريخ الادبى ، مع درس الادب ، وتسايرهما مجال واسع للفت الى أخطاء كان الوقوف عندها حينا ، وليس هنا كذلك موضع القول فيها ، مهما ينبه حديث المناهج الى التذكير بها ، واثارة الالتفات اليهـا .

والذى نقصد اليه ، بعمد وعناية هنا ، هـو مافى منهج درس التاريخ الادبى ، مهما يكن تقسيمه ، وحينما يختار وقته ، من مواضع للالتفات خاصة بالتراث الادبى ومادته ومكانها فى هذا الدرس ، واهميتها الجوهرية الاساسية فيه .

فان دارس التاريخ الادبى ليعرف أوسع المعرفة انه يدرس ادبا قد تبددت مادته من النظم والنثر ، بالمعنى الأدبى الخاص ، فى دواوين الادب ، ورسائله ، ومجموعاته ، وبالمعنى العام للادب فى الاجتمـــاع والتاريخ والرحلة ووصف الاقاليم ، وتصوير الحياة واشباه ذلك ، مما هو مكمل للمادة الادبية .

تبدد كل ذلك فى انحاء من الارض ، نائية مجهولة ، وقاصية معروفة ، وفى ايدى هيئات وافراد كذلك ، ربما كان ما نجهل منها مثل الذى نعلم أو أكثر ، ولقد تستطيع ان تحدث بماتراه راى العين فى استنبـــول ، وانقـــرة ، ودلهى ، والمدينة المنورة ، ومخـــابىء اليمـــن ، ثم روما وميلانو ، ومدريد ولندن وباريس ولندرة ، ولينجراد ، و .. ومن انحاء الارض انا لم نعرف ما عرفه اهل كل بلد من امر هـــذا التراث الخطى ، واما ما لا يزال مدشوتا ، او مختلطا ، او سيقت عنه البيانات غير الصائبة فكثير ، كثير كذلك .

والامر فى ضخامة هذا التراث وكثرته ، وفى تبدده وتفرقه ، وفى جلهنا به ، وغفلتنا عنه لا يحتاج الى مزيد من القول ، ولا فضل من البيان .

وعلى أساس من هذه الجهالة الجهـــلاء بالتراث الادبى ـ وغيره ـ يتحدث دارس ، عن العصر الجاهلى ، او جانب من العصر الاسلامى مثلا فاذا هو يوافيك من وصف سمات العصر ، وحياته الادبية ، ومناهج اهله ،

ومدارسهم الادبية ، واشباه ذلك من هذه المضخمات ، بما تحسب معه ان هذا العصر قد أحيط باطرافه ، وبانت خوافيه ، بل حفرت بطون أراضيه ، وتكشف من أمره ما يمكن ان يقال معه هذا القول الواسع العريض .

وعجب عاجب ان دارس التاريخ الادبى بهذه الجراة ليس فى يده ثبت باسماء المعروفين من أهل العصر الذى يحدث عنه ، بل لا يملك جريدة جامعة شاملة للموجود من آثارهم على ظهر الارض ، وقد راى النور ، وعرفه عارفون وفهرسوه ووصفوه ، ولا اقول انهم حققوه او نشروه او ترجموه او أجروا عليه دراسة ما ! !

صاحبى الذى يدرس عصرا او قطعة من عصر ، او فنا من فنون القول ، او حتى شخصا من الاشخاص ، ليس فى يده بيان عن الموجود من آثاره ، واماكن وجودها ، واما وصفها وما دار حولها فهو به أجهل وعنه أبعد .

فأى شىء يدرس هذا الذى ليس فى يده مادته !! بل ليس فى يده الخبر عن هذه المادة ما هلك منها وما بقى ! !

اى شىء يدرس ! ! وعلى اى شىء يحكم ! ! وكيف يطوع له عقل ويجرى قلم بوصف الشعر فى هذا الحين مثلا ، واغراضه ، ومعانيه واخيلته ، وموضوعاته ، واساليبه ، وبم يفترق عصر من عصر ، وكيف جرى هذا التطور وما عوامله ، و .. و .. الخ ما نسمع من اعاجيب يقف فيها عند نموذج او نماذج ، قد غاب عنه أضعاف أضعافها من النماذج والشواهد ، التى تبددت فى انحاء الكون ، على ما عرفنا .

اى أمانة تلك التى وضعت المطولات ، فى تاريخ الادب ، واخرجت عنها المختصرات ، ثم خرجت من المختصرات تلك الموجزات ، التى يستظهرها التلاميذ المساكين اكاذيب مركزة يزدردونها ازدرادا يؤذون به اشد الايذاء فى تكوينهم العقلى والوجدانى ، بل العملى الحيوى ايضا ؛ ولا تنس الجانب الخلقى وفساده فيهم ، بما يملؤهم من غرور خادع يحسبون معه انهم قد عرفوا صورة الادب العربى من جاهليته الى اليوم ، وكيف سار الزمن به ، مع انهم لايعرفون اسماء اعلام من رجاله فى حقب مختلفة ، وتقع على آذانهم غريبة غربة أعلام الادب اليابانى او الصينى .

وهل هذا الخطأ من الخفاء بحيث يحتاج الى بيان وايضاح ، او اقناع واثبات !! هل يحتاج مستنير اليوم الى أن يعرف ان دراسة تاريخ لانملك مادته ، ولا نعرف اشخاصه ، ولم نسمع بآثاره لا يمكن ان يتم بهذه السهولة ، ويشيع بهذه الضلالة ، حين تقرع اسماعنا كل يوم اخبار عن الكثير الفياض من مادة ذلك التاريخ ووجودها ، وكثرة اماكن الموجود منها !!

وهل يستغرب مع ذلك كله أن يقول قائل :

حرموا درس تاريخ الادب الى ان تملكوا مادة هـــذا التاريخ ، او تملكوا اشهر المعروف من تلك المواد . ولا فانتم تضربون فى تيه مسحور لا منجى منه ولا مخلص ..

وهل من عجب ان يقول لكم قائل :

لا تحدثوا عن تاريخ الادب قبل ان تملكوا نصوص هذا الادب وتبذلوا فى ذلك من الجهد ما يغلب معه على الظن انكم قد احرزتم من هذا النصوص ما تستطيعون احرازه .. وهذا الجمـع المستقصى هو وحـــده السبيل المستقيمة ، والمنهج الوحيد لما تزعمونه ، من درس .

ولو كان الامر فى حاجة الى بعث الهمة ، واثارة العزمة لذكرتكم بتاريخ مصر بلدكم ، وما يبذل العلم من انحاء الدنيا ، فى سبيل الكشف عن مادته واستخراج آثاره ، التى يصحح بها كل يوم قديم ما كتب ، قبل جـديد ما كشف ، والجهد فى ذلك متصل ، والعمل دائب .

* * *

ذلك هو الخطأ المنهجى الصـــارخ الذى لن يصلحه الا جمع التراث الادبى جمعا مستقصيا شاملا ، كاملا ، قدر الطاقة الانسانية ، اللهم الا ان تكونوا من الذين يرون الاستغنـــاء ببعض عن كل ، والاكتفاء بما حضر ، ووصف شاعر بأبيات من شعره ، وكاتب بأسطر من نثره ، وعلى غرار هذا يوصف العصر بنتف من آثاره .. وببعض اهله .. والله أعلم ..

ان يكن ذلك عندكم درسا ، وذاك منهجه فهذا فراق بينى وبينكم .. ولا موضع لقول ، ولا مجال لبيان ، ولا حديث عن منهـــج ولا أخطاء ، ولا مايشبه شيئا من هذا .

ولكنى أحسب ان حياتنا الادبية اليوم قد جاوزت هذه البساطة ، وفاتت تلك السذاجة ، وعقلت بمعاهدها وجامعاتها أن الدرس الادبى شىء غير هذه الشواشى والعينات .. ولم تعد تسمع اللغو الذى يقال عن هوان تلك الدراسة ، ويسر امر ذلك المنهج ، وهى أدعى من ان تستكثر جهدا فى سبيل سلامة درسها ، ومسايرته لعصره ، كما انها ابعد بعدا عن هذا الاصرار على الخطأ ، واستنكاف الرجوع الى الحق .. وان يكن فى عالمها اليوم بقية من تلك الاوضار فانى لمطمئن كل الاطمئنان الى غد لها قريب تدرك فيه بحق انها :

يجب ان تجمع المـادة الادبية جميعها قبل ان تفكر فى درس التاريخ الادبى ، وكل جهـــد فى سبيل تصحيح هذا المنهج ســـهل عليها تقبله والوفاء به .

●

تعليقات من

شعر اليوت

ت . س . اليوت

بين لويس عوض و ماهر شفيق فريد

رد : ماهر شفيق فريد

هذا مقال كتبه السيد انيس توفيق فى العدد الماضى من الادب (اكتوبر ١٩٦٣) والمقال ـ على وجه التحديد مقارنة بين ترجمة الدكتور لويس عوض لقصيدة اليوت (دفن الموتى) وترجمتى لهذه القصيدة نفسها . ومن الطبيعى ان اقتصر فى هذا الرد على الجزء الخاص بى تاركا للدكتور لويس الجزء الذى يخصه ..

وقد ذكر السيد الناقد فى مطلع مقاله ـ مشكورا ـ انه اشفق على من ترجمة اليوت . واقول له بعد التقدير لهذا العطف الكبير . لقد اشعر انه بحاجة الى هذا الاشفاق لنفسه ، فانى حين انتهيت من قراءة مقاله بادلته ذات الشعور ، وتوكد لى صحة قول الاستاذ الخولى : ان نقد الترجمة لايقل مشقة عن الترجمة نفسها . ولسوف يرى القارىء فيما يلى ان الناقد غير محق فى اكثر ماظنه اخطاء منى .

قال الناقد ان ترجمة اليوت « تجربة رهيبة » وعلى الرغم من تقديرى لصعوبة اليوت ومشاكله فاننى لا ارى الآن وجها لهذه الرهبة فقد كتب اليوت نفسه عن انتاجه الشخصى فى اكثر من مناسبة وظهرت عشرات الكتب والابحاث عن هذا الانتاج مما يجعل سبيل ترجمته الآن ذلولا ممهودا . والحق انى لاادرى لماذا نميل دائما الى خص اليوت بالصعوبة دون سواه من الشعراء المحدثين فالذى اعلمه ان لازرا باوند وجيمز جويس وولاس ستفنز وارشيبالد ماكليس وكمنجز اعمالا شعرية تفوق اعمال اليوت ايغالا فى الغموض والتعقيد . وعلة ذلك ان اليوت ـ مهما يكن من تجديده ـ كلاسى محافظ فى اعماقه فهو اوثق الشعراء المحدثين اتصالا بتراث الاغريق والرومان وهو اقربهم جميعا الى تقاليد الشعر الانجليزى كما انه يحافظ فى اغلب الاحيان على قواعد النحو المعروفة ويحرص على احالتنا الى المصادر التى يقتبس عنها . ومن هذا يتبين لنا انه لا موجب للرهبة من

ترجمته مادمنا على ذكر من طبيعة امتزاج القديم والجديد فيه او مادمنا نعرف مصادره الثقافية والينابيع التى يستقى منها .

الاهم من ذلك ان ناقدنا يتحدث عن صعوبة اليوت ولكنه لا يشير الى اسباب هذه الصعوبة ولا مواضعها وبالتالى فهو لا يعيننا على تذليلها والتغلب عليها . ولست ادرى اى خير يرجى فى ان نظل نتحدث عن صعوبة اليوت بدلا من ان نقدم على تحطيم عقباته وترجمته .

وانتقل الآن الى مناقشة التفاصيل

١ ــ يقول الناقد : (ليت السيد/ ماهر شفيق فريد) اكتفى بترجمة دفن الموتى عام ١٩٦٢ والرجال الجوف عام ١٩٦٣ بدلا من حشد كل هذه الترجمات فى حيز زمانى ومكانى حبيس ، واقول له : لا حشد فى الامر يا سيدى ولا حبس .. ولو انك تمهلت لبانت لك الرابطة بين القصائد التى اخترتها فى كل مرة .. ففى عدد الادب (يونيو ١٩٦٢) ترجمت (دفن الموتى) و (الموت غرقا) لانهما جزءان من عمل واحد ولان (بينهما وحدة فنية خاصة تتمثل فى اذاعة عرافة القصيدة الاولى لنبوءة الموت غرقا وهى النبوءة التى تتحقق فى القصيدة الثانية) .. ثم ذيلتهما بقصيدة (الرجال الجوف) لانها تليهما مباشرة فى التاريخ .. فقد ظهرت (الارض اليباب) عام ١٩٢٢ وتلتها (الرجال الجوف) عام ١٩٢٥ .. ونحن نجد القصيدتين بهذا الترتيب فى كل دواوين اليوت وفى كتب المنتخبات الشعرية ايضا .

وفى عدد الادب (ديسمبر ١٩٦٢) ترجمت (مباراة شطرنج) و (عظة النار) و (مقالة الرعد) لانها كلها من (الارض اليباب) وفى عدد الادب (يونية ١٩٦٣) ترجمت (خلط ذات ليلة عاصفة) La Figlia Che Piange (البوسطن ايفننج ترانسكريبت) (صباح عند النافذة) (العمة هيلين) (مستر ابولیناکس) (فرس النهر) وكان اساس الاختيار ان هذه القصائد تنتمى كلها لفترة زمنية واحدة فقد كتبها اليوت ما بين ١٩١٥ و ١٩٢٠ .

وفى عدد الادب (اكتوبر ١٩٦٣) ترجمت (جيرونيثون) و (بيضة للطهو) و (Burbank with a Baedeker) و (همسات الخلود) و (سوينى منتصبا) و (سوينى بين العنادل) لانها كلها من قصائد اليوت عام ١٩٢٠ .

وفى عدد آخر من الادب لم اترجم سوى قصيدة واحدة هى (فواتح) كما انى فى عدد الادب (يولية ١٩٦٣) لم اترجم سوى (اغنية الى سيمون) فاين هذا الحشد الذى يشكو منه الناقد ؟ وما الحيز الزمانى والمكانى الحبيس ؟

٢ ــ يقول اليوت :
April is the cruellest month

واقول فى ترجمتى (ابريل اعتى شهور العام !) فيعلق الناقد على ذلك بقوله : (ان « العام » لا داعى لها فهل هناك شهور فى غير العام ؟ والنص الانجليزى يخلو من علامة التعجب التى اضافها السيد / ماهر واقول : اما عن المسألة الاولى فعبارة (شهور العام) يزيد المعنى تحديدا .

واما عن المسألة الثانية فقد رايت ضرورة ادخال علامة التعجب لالفت النظر الى المفارقة التى ينطوى عليها البيت .. لقد جرينا على ان

تصف الربيع بانه فصل الحياة والحب والجمال ولكن اليوت يعتبره – على العكس من ذلك – فصل القسوة .. وهو يريد ليثير دهشتنا ويوقظنا على رؤيته الجديدة . .وقد يقال : ولماذا لم يضف علامة التعجب اذا ؟ وجوابى على ذلك ان لغة المفارقة قد كادت تصبح الوضع الطبيعى فى الشعر الغربى الحديث لفرط ما يكثر كتابهم من استخدامها ، حتى لترى ناقدهم الكبير كلينيث بروكس يقول : ان لغة الشعر هى لغة المفارقة (١) .. واليوت على وجه الخصوص من اكثر الادباء المعاصرين للمفارقة فى شعره ونثره على السواء .. فلا يذيل كل مفارقة بعلامة تعجب للقارىء الانجليزى ، أما القارىء العربى فليس فى مثل هذا الوضع ابدا ..

والاهم من ذلك ان لاليوت حيلة فنية فى قصائده يعرفها كل قرائه .. ولا أجد فى وصف هذه الحيلة خيرا من كلمة (الاستعباط) .. بمعنى أن اليوت يسوق اخطر الامور واجلها شأنا بلهجة بالغة الهدوء – بل البرود – كان الامر لا يعنيه فى شىء . وهذه الحيلة الماكرة تتكرر فى كل قصائده وكأنما يريد ان يقول للقراء : هذا هو الامر الواقع ولست ارى فيه ما يثير العجب .. وبدهى ان هذا الطريق الملفوف لا ينتج شيئا الا اثارة دهشة القارىء وهو ما يقصد اليه اليوت فى نهاية الامر .. والانتباه الى هذا كله لا يتوافر للقارىء العربى منه ما يغنى عن اللفت بعلامة تعجب على أن الناقد الذى ينكر على اضافة علامة التعجب ، يضيف الى النص الانجليزى لبيت اليوت ثمانى نقط من عنده مما يجعلنى اتساءل : اليست النقط من علامات الترقيم كعلامة التعجب سواء بسواء ؟ وكيف احل الناقد لنفسه ما حرمه على غيره ؟ وليت الناقد احسن التصرف فى هذا ايضا فانه وقع فى خطأين لفويين حين النقطة (.) (Stop) بجوار الفاصلة (،) (Coma) ووضع النقطة – فى موضع آخر – بجوار الشولة (؛) (Semicolon)

وكلا الامرين مما لا تجيزه قواعد الترقيم والوقف فى الانجليزية Punctuation وقد تتكررا عدة مرات تكرارا لا يدخل فى باب السهو .

٣ – يقول اليوت

, breeding
Lilacs out of the dead land

واقول فى ترجمتى : انه ينبت الزنابق من الارض الميتة) فيقول الناقد : (« الزنابق » هى ترجمة السيد / ماهر شفيق فريد لكلمة "lilacs" و « الليلج » ترجمة الدكتور لويس عوض . يبدو ان السيد / ماهر شفيق فريد يقصد كلمة "lilies" لا كلمة (Lilacs) واقول له : بل انا اعنى جيدا أن اجعل من كلمة (الزنابق) ترجمة لكلمة "lilacs" واما كلمة (Lilies) فهى تعنى (السوسن) . وليعلم الناقد ان الدكتور لويس عوض فى ترجمته المنقحة للقصيدة (مجلة الكاتب – يناير ١٩٦٢) قد محا كلمة (الليلج)

---

(١) د . رشاد رشدى : ما هو الادب – ص ٥ . ونص قولة بروكس الانف ذكرها :
Few of us are prepared to accept the statement that the language of poetry is the language of

ووضع مكانها كلمة (الزنابق) مثلى تماما . ويشايعنا الدكتور محمد غنيمى هلال فى هذه الترجمة (مجلة الثقافة فى ١٠ سبتمبر ١٩٦٣) . هكذا قد اجمع الراى فينا على ان (الزنابق) هى الترجمة الصحيحة لكلمة (Lilacs) فهل لدى الناقد ترجمة اخرى لها ؟ وهلا تفضل بذكرها ؟

٤ ــ يقول اليوت :

stirring,
Dull roots with spring rain.

واقول فى ترجمتى : (ويجعل الجذور المعتمة تنبض بامطار الربيع) ويقول الناقد : (الامر كله متعلق هنا بالموت والحياة . فكلمة « معتمة » لا تكاد تؤدى شيئا من هذا المعنى ، واقول له : بل انا قد اخترت كلمة « معتمة » لان الامر كله متعلق هنا بالموت والحياة . فالاعتام والظلام رموز تقليدية للموت فى الادب كما ان الضوء رمز تقليدى للحياة والتفتح ولا يكاد اليوت يشذ عن هذه القاعدة فى رموزه .. هذا من الناحية المعنوية .. واما من الناحية المادية فالجذور يلائمها الاعتام لانها لا تكون الا تحت سطح الارض ، ومن الناحية اللغوية فالترجمة ــ فيما ارجو ــ دقيقة تطابق الاصل .. وهذا مثل نادر لاجتماع المعنى التقديرى والمعنى الايحائى فى لفظ واحد بين لغتين ..

٥ ــ يقول الناقد انه لا يخالفنى فى الخطة التى جريت عليها فى ترجمتى وهى عدم ترجمة المقتطفات غير الانجليزية وذلك محافظة على جو القصيدة ، ولكنه يرى انى خالفت هذا التقليد مرة واحدة حين ترجمت بيت بودلير الفرنسى فى آخر القصيدة واقول له : انى انما احافظ على ابقاء المقتطفات غير الانجليزية كما هى ما دام اليوت قد اثبتها بنصها ، ولكن الحالة مختلفة فى هذا البيت . لقد كان بيت بودلير فى الاصل :

"Hypocrite lecteur!... mon semblable, — mon frère!"

ولكن اليوت اضاف اليه لفظة انجليزية هى (You) وبذلك صار من الضرورى ترجمة البيت فى صورته الجديدة ، لانه اصبح فى هذه الحالة لاليوت اكثر منه لبودلير ..

ويقول الناقد فى شرح البيت (هنا يسخر الشاعر من نفسه ومن القارىء فالشاعر منافق لانه يكتب والقارىء منافق لانه يقرأ) ولا ادل من هذا الكلام على ان الناقد لم ينتبه لمعنى البيت عند بودلير وبالتالى فهو لم ينتبه لمعناه الجديد عند اليوت .. لقد ذكر الناقد فى تفسيره ان (الشاعر منافق لانه يكتب والقارىء منافق لانه يقرأ) وليس فى قصة بودلير ما يؤيد هذا التعليل .. فالذى يقوله بودلير هو ان (الضجر) اكبر رذيلة بشرية ، وان الشاعر والقارىء منافقان حين يتجاهلان هذه الحقيقة (١) .. ولقد جاء اليوت فغير من معنى البيت بحيث اصبحت وظيفته الجديدة عنده : (ان يرتد دون تمهيد الى القارىء المطمئن الى ابتعاده عن الموضوع كله وليذكر بانه هو ايضا ينتمى الى الخساسة والخطيئة والبذاءة التى تسود عالما هو ارض يباب) (٢) ..

---

(١) انظر اشعار الشر ــ لبودلير ــ ترجمة وتقديم : محمد امين حسونة ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤

(٢) Hugh Ross Williamson, The poetry of T. S. Eliot.

٦ ـ يقول اليوت :

Son of man,

واقـــول فى ترجمتى (الا يا ابن الانسان) ويقول الناقد : (فى الشروح انتى الحقها اليوت بالارض الخراب يشير الى انه اقتبس هـذه الكلمات "Son of man" من سفر حزقيال ، الاصحاح الثانى ، الآية الاولى . وبالرجـوع الى كلمات حزقيال نجد ان الترجمة العربية المعترف بها لهـذه الكلمات هى : « يا ابن آدم » . فكما ان اليـوت اقتبس هذه الكلمات من التـوارة (النص الانجليزى) كان لـزاما على السيد / ماهر شفيق فريد ان يقتبس الكلمات كما هى ايضا من النص العربى للتوراة) .

واقول : انى كنت كلما رجعت الى النص الانجليزى للتوراة وقابلته على النص العربى لها راعنى ما يمتاز به النص الاول من جمال فى الاسـلوب اذا قيس بجمـود النص الثـانى وحرفيته .. ولهذا لم اجد مانعا من ترجمة الآية بنفسى لاسيما وقد صرنا نعد كتب الاديان اعمالا فنيـة يمكن درسها فنيا بلاغيا دون اى صفة دينية او عقائدية . هذا ولا يفوتنى ان الفت نظر الناقد الى ان هذه الترجمـة العربية للتـوراة ليست الترجمـة الوحيدة (المعترف بها) كما قد يظن .. فقد حدثنى الاديب (غالى شكرى) ان الآباء اليسوعيين فى بيروت اصدروا حديثا ترجمة عربية للتوراة والانجيل وهى تمتاز الى جانب دقتها وامانتها بالجمال وقوة الاسلوب .. ونرجو ان تصل هذه الترجمة الجـديدة الى اسواق القاهرة قريبا ..

٧ ـ يقول اليوت :

And the dry stone no sound of water

واقول فى ترجمتى : (والصخـر اليابس لا يبعث خرير الماء) فيقـول الناقد ساخرا : (وانا لا اعرف ما هو الصخر اليابس) واقول له : ولكنى اعرفه يا سيدى واحب لك ان تعرفه: ولو انك فتحت المصباح المنير (ط . الاميرية ١٩٢٥ ـ ص١٩٣٥) لوجدت : (اليبس نقيض الرطـوبة) .. وفى (الصخر اليابس) الذى هـو بيت القصيد ترى فى اساس البلاغة (ط دار الكتب المصرية ج ٢ ص٥٥٩) : (حجـر يابس : صلب « أيبس مـن الصخر » . قال :

اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا

وفى مجلة الشهر (اغسطس ١٩٦١) قصـيدة كاملة للشـاعر السـودانى محمد عبد الحى اسمها « الصخـر اليابس » فضـلا عن ورود الكلمتين على الاقلام عشرات المرات . فهـلا وجد السيد/ انيس توفيق فى قديمه او حديثـه ما يلفتـه الى وجـود (الصخر اليابس) فى العربية ؟

٨ ـ وتبدو الحاجة الى الدقة حين يقول : (فلم يطالعنى سوى الموت فى قلب الضياء) وذلك ترجمـة لبيت اليوت :

Looking into the heart of light, the silence

وهى ترجمة معيبة للاسـباب الآتية :

١ ـ انه يضيف (لم يطـالعنى سوى) ولا اثر لها فى النص الاصلى.

٢ ـ انه يترجم (Silence) بكلمة (الموت) ولاحق له فى هذا التصرف.

٣ ــ انه يقــول (الموت فى قلب الضياء) وهذا الادماج لكلمة Silence فى كلمــة (Light) مما لا يجيزه النص . لان الكلمتين منفصلتــان وبينهما فاصلة (،) والغرض مــن هذه الفاصلة ان يتوقف القــارىء قليلا بعد كلمة (Light) لتــكون كلمة (Silence) بطيئة طــويلة عميقة القرار توحى امتداداتهابالهدوء والسكينة ؛ لا سيما وان الصــوت (s) فى بدء الكلمة وختامها وهــو صوت الهمس والسر والسحر (١)

ومرة اخرى اخالف فى الترجمة فى مثل قول السيد الناقد : (لكن أولا تعزف التغييرات على موضوعات الملل والخوف والخواء) فان قوله (تعزف على موضــوعات) ترجمــة حرفيــة لاسلوب بيانى انجليزى معــروف . وهو ان ساغ فى لغته الاصلية فلا ينبغى أن ينقل كما هو الى العربية . اننــا نقول مثلا : (يعــزف على الاوتار) ولكننا لا نقول ابدا : (يعزف عــلى الموضوعات) . .

ولا يفوتنى ان اشير ايضا الى انه قد رسم اسم Cohen هكذا : كوهين . وليعلم أن حرف H فى هــذا الاسم لا ينطق ومن ثم فينبغى ان يرسم الاسم كما ينطقه اصحابه . وقد وقع الناقد فى مثل هذا حين رسم اسماء الاعلام : Acheron و Cary بل و Shakespeare .

٩ ــ يقول اليوت :

A crowd flowed over London Bridge

ويقول الناقد انى ترجمت البيت هكذا : (اعتلى هذاالجمع التل) .

واقول له فى هدوء : انى لم اترجم البيت الانجليزى المذكور هكذا وانما ترجمتى له كمــا وردت بالادب هى بالحرف : (قد تدفق جمع من الناس على جسر لندن) . واما عبارة (اعتلى هذا الجمع التل) فهى ترجمتى لبيت آخر مختلف تماما وفيــه يقــول اليوت : Flowed up the hill

وليس البتيــان الانجليــزيان متجاورين فيخلط الناقد بين ترجمتهما بل ان بينهما ثلاثة ابيات اخــرى . والفارق بين البيتين واضح فى المعنى والصياغة فكيف جاز للناقد ان يخلط بينهما هكذا ؟

١٠ ــ يقول اليوت :

I had not thought death
had undone so many

واقــول فى ترجمتى : (ما كنت احسب الموت خليقا ان يطلق هؤلاء الناس جميعا) فيقول الناقــد (ان كلمة Undo هنا لاتعنى فك السراح او الاطلاق . انا اعلم انهــا قد تعنى ذلك لغويا لكن ليس هذا معناها هنا) انى ان يقــول : (كيف اطلق الموت هؤلاء وهو يحملهم عنوة ؟) واقول : ان ترجمتى لكلمة Undo هنا صحيحة تماما . . فالموت لم يحمــل هؤلاء الناس عنوة كمــا يقول الناقد وانما هو قد اطلق سراحهــم ورفض ضمهم الى مملكته . . وتلك ماساتهم الحقيقية . . وليس هذا الكلام من عندى ولكنــه للناقــد الانجليزى هيوروس ويليامسون الذى يقول عن اناس هذا البيت بالذات : (ان الموت ذاته يرفضــهم وقد قضى عليهم ان يظلوا الى الابد فى حركتهم المحمومة التى يعوزها الهدف) (٢) . . ومرة

---

(١) انظر تشريح توفيق حنا لهذا الحرف فى مجلة الشهر (اكتوبر ١٩٦١) .

(2) Hugh Ross Williamson, The poetry of T. S. Eliot.

اخرى يقول : (ان السماء قد ابقتهم في معزل لئلا يتطرق الفساد الى جمالها) (٢) .. وواضح من هذين المقتطفين ان الموت لم يحملهم ولكنه آثر تركهم **مطلقي السراح** يتعذبون .

١١ ــ يقول الناقد : (اباح السيد المترجم لنفسه ان يقسم الحركة على نحو مغاير لتقسيم الشاعر فالجزء الاول منها حسب النص يعالج تجربة الفتاة مارى والجزء الثانى يعالج تجربة طبيب فتاة السنابل البرية والجزء الثالث ينتهى بحديث العرافة ، والجزء الرابع يتحدث عن الجماهير فوق جسر لندن وينتهى الحديث الى ستيتسون والقارىء ؛ اما السيد المترجم فيدمج الجزءين الثانى والثالث معا) واقول :

ا ــ لم يقسم اليوت قصيدته الى اجزاء كما يذكر الناقد ؛ وغاية الامر انه ترك بياضا بين بعض الابيات فظن الناقد أن هذا البياض معناه تقسيم القصيدة الى اجزاء ؛ والواقع ان القصيدة كل متكامل واذا كان اليوت يتمهل بين بعض الاجزاء فما ذلك الا ليعود اليها من جديد ويطورها ..

ب ــ ترجمتى للقصيدة ترجمة كاملة ، لم أسقط منها بيتا واحدا ، وقد حرصت على أن اترك بياضا بين الابيات مثلما يفعل اليوت ، الا انى سهوت عن ترك هذا البياض مرة واحدة فى القصيدة كلها . ويسمى الناقد هذا السهو (ادماجا) وهو ما اعتذر عنه على رغم بساطته .

١٢ ــ يقول الناقد : (ان موسيقى الترجمة غير موسيقى الاصل) واقول له : ان هذه نتيجة طبيعية لاختلاف اصول العربية والانجليزية ، فالاولى ــ كما هو معلوم ــ من عائلة اللغات السامية والثانية من عائلة اللغات الجرمانية السفلى . والخلاف بين اعاريض اللغتين ونظام النظم فيهما خلاف غائر يمس الجذور البعيدة ، وهو ما يمثل له قول الدكتور محمد مصطفى بدوى (مجلة الادب ــ مايو ١٩٥٦) : (من الخطر أن نترجم أوزان لغة كاللغة الانجليزية الى أوزان لغة تختلف عنها كل الاختلاف كاللغة العربية فالاوزان الشعرية كما نعلم تنبع من طبيعة اللغة ولا تفرض عليها فرضا ولهذا كان الاختلاف بينا بين الاوزان الانجليزية مثلا والاوزان العربية اذ ان اللغتين تختلفان اختلافا جوهريا ففى نطقنا للغة العربية ترانا نكاد نعطى لكل مقطع من مقاطع الكلام نفس الاهمية بينما فى نطق اللغة الانجليزية نعطى بعض المقاطع أهمية كبرى أكبر من بعضها الآخر . كذلك نرى أن للمقطع فى اللغة العربية قيمة وزنية مطلقة اى ثابتة مهما تغير السياق الذى يرد فيه فمثلا كلمة « قرية » لها دائما القيمة الوزنية الآتية . . . . . بينما الذى يحدد القيمة الوزنية للمقطع فى الانجليزية هو السياق الذى يرد فيه ولهذا ليس له قيمة وزنية ثابتة . ومن هنا نشأ الوزن العربى على أساس يختلف عن أساس الوزن الانجليزى الذى هو الضغط Stress اى الاهمية الملقاة على المقطع) .

١٣ ــ يقول الناقد : (نحن نلاحظ ان السطور الانجليزية اقصر من السطور العربية) الى ان يقول : (ان طول السطور قد يكسبها نغمة قصصية حيث لا قصصية على

(1) Ibid.

الاطلاق) واقول : هذا الاختلاف فى طول السطورنتيجة محتومةلاختلاف اللفتين وقد أقر الناقد بأن اللغة العربية تقتضى ذلك أحيانا . .وهذا الذى يقوله الناقد منأن طول السطور يخلق نغمة قصصية قول قديم ، وهو صدى لتلك النظرة التى ترى فىبحور الشعر قوالب ثابتة لكل منها لونمن الشعر يلائمه فهذه البحور تلائم الشعر الغنائى وتلك للشعر المسرحى وتلك للملحمى وتلك للقصصى .. أو أن بحرا بعينه يلائم الغزل وآخر للرثاء وثالثا للفخر والحماسة .. وانه لما لا يقبل حقا ان نطبق مثل هذه الاقوال العتيقةعلى شاعركاليوت يؤمن بأن انفعالات الشاعر وعواطفه هى التى تشكل وحدته النغمية .. لاسيما وقد علمتنا التجارب أن البحر الواحد يمكن أن تصاغ فيه قصائد مختلفة تمام الاختلاف .. على انى أعد الطابع القصصى لشعر اليوت من المسلمات واحرص على ابراز هذه الحقيقة فى ترجمتى له . .وحسب القارىء ان يراجع القصيدة ليرى أن حكاية مارى ، وحكاية تريستان وايزولد ، وحكاية فتاة السنابل البرية وحبيبها ، وحكاية مدام سوزوستريس وزبائنها ، وحكاية العمال المتدفقين على جسر لندن ، وحكاية ستيتسون كلها ذات طابع قصصى .. بل ان النقاد الغربيين فى كتاباتهم يسمونها صراحة Episodes .. فما هذا الذى ينكره الناقد على من النغمة القصصية ؟

١٤ ــ هذا وقد رأى السيد/انيس توفيق أن يدلل المقال ببعض النصائح والتوجيهات فكان مما قاله فى ذلك : (فاذا ترجمنا هذه التفاصيل الى مبادىء عامة قلنا ان على مترجم اليوت :

١ ــ أن يدرس اليوت كله قبل أن يترجم أصغر عمل من أعماله وغنى عن القول انه لابد راجع الى ما قاله النقاد عنه فى هذه الدراسة .

٢ ــ أن يفسر كل كلمة فى أى عمل يترجمه فى ضوء التجربة الاليوتية كلها .

٣ ــ أن يرجع الى الكتاب الذين يشير اليهم اليوت .

٤ ــ أن يراعى الدور الذى تلعبه الموسيقى فى شعر اليوت والبناء السيمفونى لأعماله .

ثم لابد له قبل هذا كله وفوق هذا كله أن يكون ذا تجربة روحية فكرية فنية لا تقل كثيرا عن تجربة اليوت) .

وارجو ان يعذرنى ناقدنا اذا قلت له اننى فى غير حاجة الى هذه النصائح لانى قد فطنت اليها منذ زمن طويل وسبقته الى الكتابة فيها ، فكان مما قلته فى ذلك (جريدة المساء فى ١٩٦٣/٣/٩) : (اننا فى حاجة ماسة الى متابعة احدث التطورات الادبية فى الخارج والى ترجمة روائع الادب الغربى الحديث شعرا ونثرا ولكن ليس معنى ذلك أن نتسرع فى العملية فالمفروض أن تسبق ترجمة اليوت الى العربية ثقافة شاملة واطلاع على المصادر التى يستقى منها مادته وفنه ، وقراءة واعية لكل ما كتبه عنه النقاد والشارحون) . وفى مجلة الادب (اكتوبر ١٩٦٣) كتبت مانصه : بين الخطأ والصواب علمتنى التجربة أن ترجمة اليوت تحتاج الى :

١ ــ اطلاع تام على التراث الكلاسى فى الادب والفن .

٢ ــ اطلاع تام على الدراسات

الانثروبولوجيـة واصـــول الاديان والعقائد المختلفة .

٣ ــ اطلاع تام على الآداب الاوربية كلها .

٤ ــ اطلاع تام على الادب الانجليزى واللغة الانجليزية .

٥ ــ اطلاع تام على التراث الادبى الامريكى .

٦ ــ اطلاع تام على آثار اليـــوت كلها فى الشعر والنقد والمسرحية .

٧ ــ اطلاع تام على كل ما كتبه عن اليوت نقاده وشارحوه) .

هذا واما ما يشير اليه الناقد الكريم من أن اكون (ذا تجربة روحية فكرية فنية لا تقل كثيرا عن تجربة اليوت) فهـــو ما اعتـــذر عن الالتزام به ، ولا ادعيه ، وحسبى منه أن اشـــعر به واتطلع اليه .

ولا يفوتنى فى نهاية الامر أن اشكر الناقد على مقاله .. وانا أؤكد للناقد ولغيره أن ايمانى بالنقد لايعدله غير حبى باليـوت فزيدونى نقدا ازدكم ترجمة ، ومرحبا بكم فى كل حال .

ناظر شفيق فريد

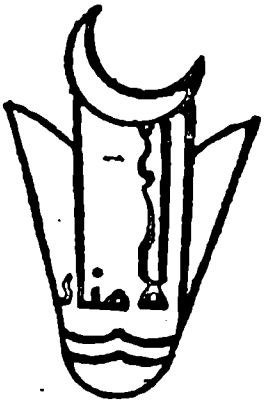

ALGERNON CHARLES SWINBURN

وداع

Aleave Taking

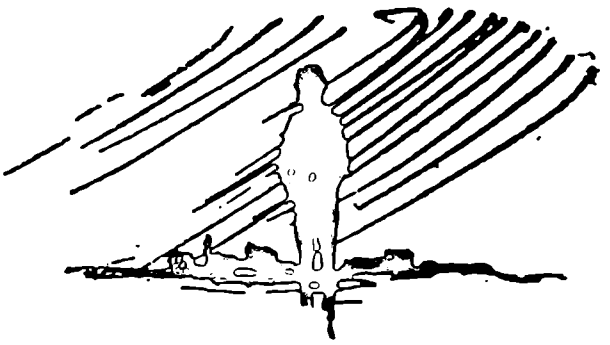

ترجمة : عبد الحكيم عبد السلام العبد

سوف نمضى اغنياتى ، دون خوف . من هنا
لم يعد وقت فنشـــدوا فيـه وجدا وضنى
فهى لن تصـفى الينا او تعـانى شـــجونا

والزمى الصمت .. ضياع كل شىء شـــاقنا
نحن حملنا هواها وهى ليست مثلنـــــا
نذرف الدمع ونقضى فى ســـهاد عمـــرنا
ولو آنا كالملائك قد شـــــدونا لحننـــا

فسيغنى اللحن حزنا وهى لن تصـفى لنا ..

* * *

قم بنا يا شعر نمضى فهى ليست تعـــلم
ولنيمم صـــــوب بحـــــر مزبد يتلطم
كـرياح عاتيـــات بالســـواقى تهـــزم
علنى اشـــــفى جـــراحى او به اتحطم

ودعانا عن حمى لا شىء فيـــه نرحـــل
حطـــم اليـــاس حيـــاتى فانـا لا آمل
وغـــدا الكـــون مـــريرا كدموع تهطل
اضرم الوهـم بقـلبى فهـو منـه مـــرجل

وهى . وا اســـفاه . ليست كل هذا تعلم ..

* * *

ولنعد صوب حمانا .. ليس يبكيها بكانا
كم منحنا الحب احلاما ووهما وحنانا
انما زهر بلا عطر واشواك جنانا !!

كم تمنينا حصادا وارتقبنا اهبته
وانتظرناه بهم وعددنا عدته
انما الوهم مريرا قد حصدنا خيبته

وهى لو متنا هوانا .. ليس يبكيهـا بكانا

* * *

فدعانا راحلينا من هوانا نسترح
فهى لن تعنو لقلب فى هواها قد جرح
او لدمع عز واستشرى حنينا فسفح
لن ترى للحب طرفا بالكآبة تتشح ...

قد كفى يا اغنياتى ولتعودى فى سكون
ان هذا الحب بحر مقفر داج حزين
وهى لو قد اقسمت بالله والغيب الدفين
لا لن ترى للحب معنى رغم هذا او تلين

* * *

فلنستسلم ونغنى فهى لن تعنى لنا
واذا النجم تهادى ذهبيا هينا
وسرى البدر رفيقا يكسب الدنيا سنا
وانتشى البحر فغنى لليالى الحنا

او اذا الامواج جنت فاستحالت فوقنا
تهطل الموت علينا موقنا من حتفنا
فسنغنى كراب وهى لن تعنى لنا

* * *

ولنرحل اغنياتى ولنمضى من هنـــــا
ولنغنى مـرة اخـــرى ســـــويا لحننـا
انهـا لم تســـتطع رغم الليـــالى فهمنـا

وهى يوما ســـوف تلتف قليـــلا نحـــونا
يوم تذكر .. وهى تنهد .. عهدنا ونســـيبنا
بعـــد ان نمضى كانا لم نـكن يـوما هنـــا

W. SHAKESPEARE
Absence

ماذا سافعل فى غيابك اذ انا لهواك عبـــــد
ماذا ســافعل غير ان احصى الدقائق أو اعـد
خلل لاحزانى وبى شـــــوق اليـكم يستبد

* * *

متجـــردا من قـــوتى ارنو لمقيـــاس الزمن
آس وقد خلفتنى بعـد الوداع الى الشجن
ان لم اكن ارجو لقـاك فمن عسى أرجـو اذن

* * *

اهجر وغب ما تستطيع عن العيان فلا عتـاب
لكن عبـــدك مخلصا لما يزل يرجـــو الاياب
لا شىء يشـغل باله الا رحيلك والغيـــــاب

* * *

يال الغـــرام وبؤسه .. هو الغبـاء بعينـــه
مهما فعلتم فهو يغفر ذنبـــكم فى حينـــــه

... ...
...Being your shave what should I do but tend

ROBERT BRIDGES

I heard a Linnet Caurting
His lady in the spring
His mates were idly sporting
Nor stayed to hear him sing
His song of love.

... ...

سمعت طائرا يتغزل

سـمعنا فى الاصـائل عندليبا
يبث رفيـق صـبوته الوجيبا
يقول لهعشقتكعشق قيسلليلىواصطفيتك لى حبيبا
واجهش من تولهه يغنى .. ويسمع من يعاتبه النحيبا
فطار ولم يصـخ للحن اذنـا
يقهقه ملء شـدقيه طـروبا

عبارات الهوى النشـوى الزكيـة
تحـدث بالاحاسيس النقيـة
عبـارات لو انهم عبقـرى
معانيهـا اطاعتـه البريـة
ورددت الملائك من لغـاها
وغنت بالاهازيج الشـجية
ولكن التى اولتـه صـدا
تناسـته ، اذلتـه الشـقية

يكاد يشـق خافقـه الوجيب
ينـادى من يحب فـلا يجيب
يطـير اليـه من غصـن لغصـن
يعيـد غنـاءه وبـه يهيب
يناشـده ويسـتجدى حنـانا
فلا يعنـو له او يسـتجيب
ولو سـكنت خوافقـه واغفى
لمـا رقت حبيبته القلـوب

LORD BYRON

She walks in beauty, like the night
Of cloudlen climes and starry skies,
And all that is best of dark and bright
Meet in her aspect and her eyes.

كالليل تمشى فى بهاء
كالليل قد زهت النجوم به وزينت السماء
بل كل ما قد فاق فى الحسن الدجنة والضياء على السواء
تلقاه يسطع من محياها وعينيها ويشرق بالنقاء .

* * *

LORD TENNYSON

O Swallow, Swallow flying, flying south,
Fly to her and full upon her gilded eaves,
And tell her, tell her what I tell to thee.

عصفورتى بالله يا عصفوره
طيرى الى محبوبتى المغرورة
طيرى اليها فى الجنوب ورفرفى
من فوق نافذة الهوى المنشورة
طيرى اليها خبريها بالذى
أسررت من نجواك يا عصفورة

مسرح التمثيل

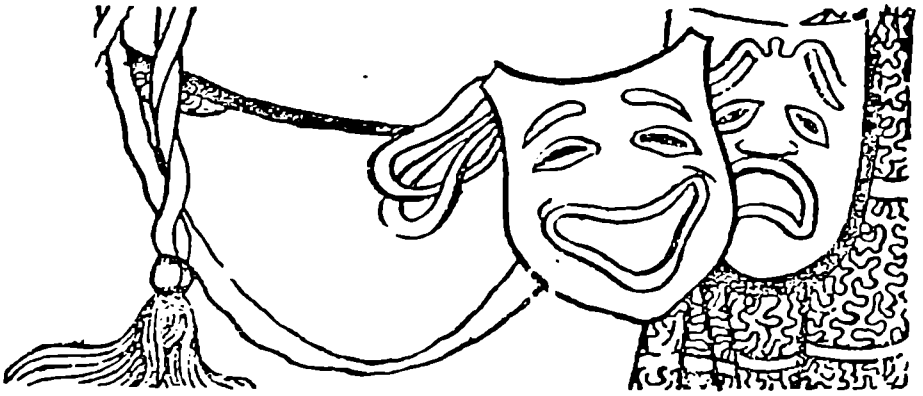

شعر : محمد مهدي البريكي

أقضي حياتي في الوجود امثل ... لتلك التي استاء منها واخجل
أكاشف قلبي بالذي انا صانع ... فتصغر نفسي عند نفسي وتضؤل
ألقي غريمي بابتسام ملاطف ... وفي مهجتي مما أكابد مرجل !
أعبس في وجه الصديق مغاضبا ... وقلبي لمرآه يهش ويجذل
يلوح الضحى طلقا فاعزم انه ... ـ لبعض الهوى ـ ليل على الكون أليل
وآكل اشهى ما يحب من الجنى ... فان سالوني قلت : صاب وحنظل
أيناي شعوري عن حقيقة واقعي ... فكل الذي آتيه زيف مضلل
أبغي رضا الاقوام بالغش مذعنا ... لقمة عيش تزدري حين تؤكل
أعظم من لا يستحق وقد غدا ... بمنصبه المرموق يولى ويعزل
واهمل ذا الفضل المبين ، لانه ... ـ على فضله ـ صفر من الجاه مرمل
وارقب ما آتي فتصرخ مهجتي ... وان يك وجهي وحده يتهلل
أميس انتشاء حين تنعب بومة ... كان الذي هز المشاعر بلبل
وأكتب تقريظا لها متوقحا ... افصل فيه سحرها واطل
ومن عجب يتلوه قومي كانه ... لترديدهم اياه . وحي منزل.

وبعضهمو مثلى يسر احتقاره ... فان اظهر الاعجاب فهو ممثل
اسائل عقلى ، اين نفسى فاننى ... اعيش بلا نفس وذلك مذهل
نايالصدق عن عينى رواحا ومغتدى ... ولو جئته يوما لاسرع يجفل
وراعيت اهواء الانام فلم أزل ... اتابعها فيما اقول وافعل
وفيها الذى يؤذى الكمال اقترافه ... ولكنه للجاه نهج مذلل
يسير عليه اكثر الناس بيننا ... وما عندهم عن وجهه متحول
وياربما قد دافعوا عن فساده ... وليس لهم غير اللجاج معول
قد اعتقدوه من صميم شعورهم ... وساروا اليه مهطعين فهرولوا
ولكننى بينى وبين مشاعرى ... اضيق به ذرعا فما اتقبل
فيا مسرح التمثيل ايان تنقضى ... وتتركنى حرا فخطبك معضل !
واعنف ما يهتاجنى ان صبوتى ... ازيفها تزييف من يتنصل
اكاتم حبى وهو حق عواطفى ... فيقتلنى الكتمان او كاد يقتل
اكاتم حبى ثم اظهر غيره ... وارهق اعصابى فما تتحمل
اعشق هندا لم اذكر زينبا ... وارسل اشعارى بها اتغزل
امالى حق ان اجاهر بالهوى ... فسرى مابين الحشا متغلغل
وزهدنى فى الصدق بؤس رجاله ... فاكثرهم نابى المكان مقلقل
اذا قدروا من فاضل متحرر ... فالاف آلاف تلوم وتعذل
وانى على ما كان من سوء موقفى ... اقدرهم دون الورى وابجل
اهيم بهم جهدى واهوى نضالهم ... وابغى بهم بعض اللحاق فانكل

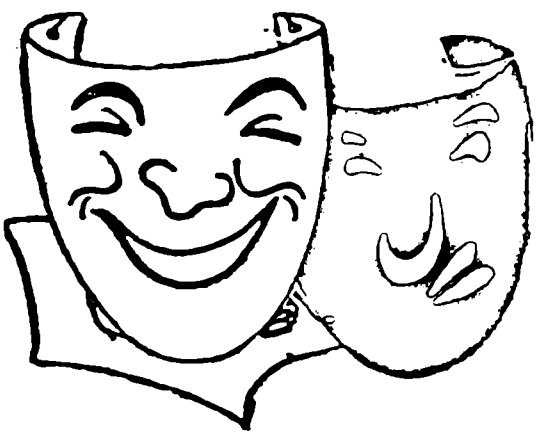

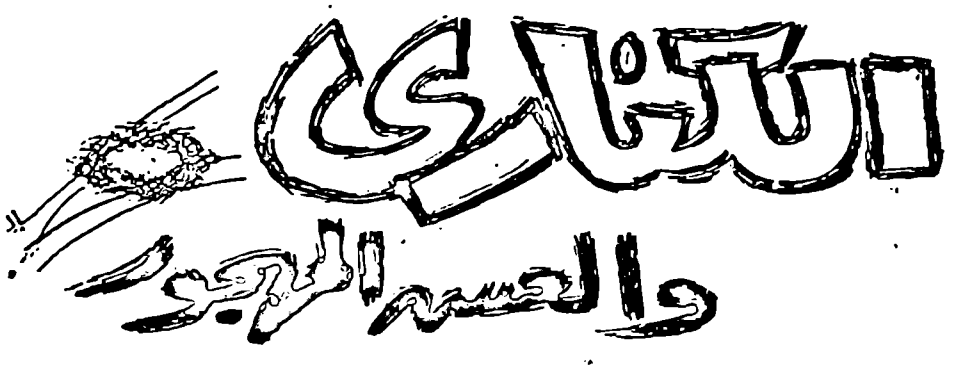

طائرى طائرى الجميـــل تناءى بك عنى على الزمان المريب
قدر يعشــق الدموع ويهوى شــهقة القلب وانبثاق الوجيب

*

يا كنـــــارى الحبيب اين توليت فانى كلت بين الدروب ؟
اى مرج دعاك للغصن واللحن ونبع الهوى ونفخ الطيــوب ؟

*

فى بكورى هرعت للحقل فى فرحة عصــفور الفه فى انتظاره
وجمعت الســنابل الخضر فى ســلة حبى فاينعت بازدهاره
ثم قدمتهــا اليــك كنــــارى فغنى الهــوى عــلى اوتاره
مســحت كفك الرقيقة عن روحى ونفضت معطفى من غباره
وحنـــا قلبــك الحبيب على ثوبى يفك اللهيف من ازداره
ترشــف اللؤلؤ الرطيب من الحقل على جبهتى مندى بفاره

*

ومساء وفــدت فيه من النجم وكحلت بالضــياء جفــونك
ودعوت الاحلام من عالم السحر وداعبت بالطيـــوف فتونك
وحبانى فتى النجوم هدايا صــفتها يا كنــار عقــدا فريدا
ثم طوقت جيــدك الحلو بالعقــد رفيفا حبـــاته ونضــيدا
فى ليــالى الشتاء آويت للعش وهدهدت بالغنـــاء شريدا
وجمعت الاحطاب من كل واد ثم اوقدتهــا بروحى ســعيدا

وجعلت الفؤاد مدفاة الحب تلظى بجمـــره مســـــتزيدا
اقبلت بالشـــــقاء ليلة دمع زارفيها الصقيع قلبى وحيـدا
مد فى مهجتى اناملة الثلجيـــة اللاتى غادرتنى شـــــــهيدا

*

اى شىء اطار عنى كنـــــارى واسرى به بجنح ظـــــلام ؟
اتراه راى غـــديرا على الأفق فطار « الهوى » لرى الأوام ؟
ام تراه راى الحـديقة تهفو بازاهير حلوة الابتســـــــــام ؟
فجفا عشـــه لحلم جميـــل يتراءى على خـــدور الكمـــام
ام غـوته حبـــالة تنثر الحب على بيـــدر بكف اللئـــام ؟
مد منقاره فانشب فيـــه غـــدرها الشوك فى الفؤاد الدامى
ام تراتى نسيت طيرى فاودى من غليل الهوى فؤاد ظامى ؟
ام ترى الحقل قد دعاك فلبيت نداء الجمـــال والانغـــام ؟

*

« ريشة » منك يا كنـــارى رفت فوق روحى وهومت بولوعى
ريشـــــة من جناحك الحلو عنـــدى اتملى بهـــا عهود ربيعى
اتملى بهـــا حديقة حسن يا كنـــارى على سرير ضـــــلوعى
ان يكن وقـــــدة الفـــؤاد عليهـــــا لهبا تبترد بفيض دموعى
ريشـــــة رف خافقى لرؤاها فى حنين الى الكنـــــار الوديع

*

طـــائرى . يـــا حبيب اين تـــوليت فانى كللت بين ربـــوعى
اى مرج دعاك للغصن واللحن ونبـــع الهـــوى وحـــلم بديع ؟
اجهش العش فى نابن مروع حين اطفات بالدموع شـــــموعى
وتلمست فى الظـــلام طريقى ضائقا فى الدجى وقاع الصقيع

على حسن الغرب

قصة نجم تهاوى

****

نصار محمد عبد الله البدارى

وقصة نجم تهاوى
ساحكى لكم قصته
ساحكى لكم قصة الحب والتضحية
رواها لى النجم لما ذوى

★ ★

وكان يعيش تكل النجوم وضىء الجبين
وكان اذا الليل جاء اطل على العالمين
وداعب هذا الوجود بوجه طليق مبين
وارسل للكون سهما من النور يسبى العيون
ووزع بالعـدل بسماته
لمن بالوجود ، وما بالوجود من الناظرين

★ ★

وفى ربوة من بنات الوجود
اطل عليها الزمان بوجه سعيد
كستها الزروع بوجه الجمال الفريد
وفى صدرها الرحب عاشت عذاب الورود

★ ★

نمت زهـــرة
حباها الوجود باحلى جمال
فكانت من السحر فوق الخيال
وكانت من العتم تشكو الملال
فما كان فى الارض زهر له سحرها
وما كان للزهر يوما شذى عطرها
لهذا انزوت فى الم ..
فما وجدت فى الزهور نديدا لها

★ ★

وفى ذات يوم اطل المساء
ولاح النجوم بوجه السماء
وارسل نجم جميل الى الزهر نوره
يبث الى الزهر قولا ، يهز شعوره
وراح يغيب قليلا يدارى سروره
وعاد وضيئا بشوشا باجمل صوره
لكنه فجاة فى خشوع رهيب
راى زهرة فى جمال مهيب

رآها تطل الى نوره
وفى وجهها الحلو يبدو شحوب
فارسل من قلبه لمحة من سناه
يود بها ان يقبل عطر الشفاه
ودار ، وعاد يبث اليها هواه

★ ★

وراحت تفيق على نوره الزهرة الحالمة
اطلت على النور اوراقها
وزالت مخاوف فى وجهها قاتمة
وكان حديث .. طويل .. طويل
وكان غرام شجى جميل

★ ★

وجاء الصـــباح
ومر النهار طويلا كئيبا
كان النهار مئات القرون
كان الدقائق فيه تمر لهيبا

★ ★

وجاء المســـاء
وكان اللقـــاء
وكان الحديث الجميل .. وكان الهناء

• • • • •

وفى غمرة الحب . فى عالم من صفاء
كان الشحوب يلوح على وجهها
وفى غمرة الحب ، غاب عن النجم هذا الشحوب
ولم يلمح الموت يرقد فى حسنها

★ ★

كان يظن الزهور تعيش طويلا كعمر النجوم
وما كان يحسب أن الجمال سيذوى
ويأتى الفناء الرهيب الظلوم

★ ★

وذاب الظلام وجاء صباح جديد
وكان نهار كئيب رهيب مريد
أطل بوجه المنون على الزهرة العاشقة
ومد اليها يدا من عذاب غشوم عنيد
واطفأ منها الحياة ونور الجمال السعيد

★ ★

وعند المســـاء
وبعد عذاب وشوق طويل
تبسم نجم ، وفى وجهه الطلق همس جميل
لكنه فجاة فى ألم

تبدت على وجهه لمحة من عدم
وبان عليــه الضياع
وبان عليه الســقم
فها هى ذى الزهرة الفاتنة
ذبول من الموت لا يبتسم

★ ★

لكنه لم يصدق رؤاه .
وارسل من قلبه قطعة من ضياه
لعل الضياء يعيد اليها الحياة
وظل يذوب رويدا رويدا
يصب عليها ســناه
.. اخيرا ذوى النجم ، ذاب
وودع عمـــــــرا
كان سيغدو اذا عاش مر العذاب
وحط على الارض من عاليات السماء
ليسكن دوما مع الحب جوف التراب

حول الموقد

صدقيني .. كان حلما لاينال ؟
كان فى الخاطر .. فى حكم المحال
ذلك الصبح المندى بالجمال
صدقيني .. واسمعى
هانا احكى .. فعى ..
كيف عاشت فى لياليها الرجال !

★ ★

قربى الموقد منى .. قربى ..
وخذى الشاى اشربيه .. اشربى
كنت فى امس مطير غيهب ..
كان ليلا .. اى ليل !
تربه يسقيه ويل ..
لا تراعى .. انت فى حضن اب !

★ ★

يا ابنتى .. جنانا كانت اوارا
كانت القيد .. ولم نملك فرارا
اسكنونا الطين وارتدوا سكارى ..
الجوارى الفاتنات
وكئوس مترعات ..
ولنا الحرمان .. ناتيه حيارى !

★ ★

اشربى الشاى اشربيه .. لاتبالى !
انما احكى .. انظرى صنع الليالى ..
انظرى كفى .. ترى حالا بحال
كان بالامس شقوقا ..
وجفافا .. وفتوقا ..
لم يذق من كدحه .. غير الكلال !!
هكذا كنا .. قديما .. يا بنيه ..
قيل :
« فلاح .. وللارض العصية
يخرج الخير .. ويشقى فى البرية
آلة ظلت تدور ..
وعلى الرزق صبور
حسبه الماء .. وخبز فى العشية » !
هكذا قالوا .. وقالت كرمتى :

★ ★

امسك الفاس وحطم .. منبتى
أيها الحارس هانت حرمتى ..
يا جبانا .. لا تخف ..
ارمنى فرعا يجف ..
ان تكن تحيا صريع العزة !

* *

وسمعت الريح تدعونى .. جبانا ..
كيف أجنى طول أيامى هوانا ؟ ..
فتقلبت على الجمر .. مهانا
أيها الريح .. اصمتى ..
منك كانت جنوتى
لست يا كرمة .. والله .. جبانا ..

★ ★

ثارت النفس مع الريح ولم تملك زماما
وعيون من لظى الحرمان قد عفن المناما
وليال مترعات بالاسى تبغى التحاما
هاهنا جوع يثور ..
وجراحات تدور ..
وقصور هدها الاثم فلم تملك قياما !
أيها الاقطاع .. دع أرضى .. شبابى
بل دمى !

هى أرضى .. اسال الليل .. اواسال
قدمى .. !
سل ثراها عن مدى ما ارتجى .. عن المنى
عن مراحى فى الصغر
وهمومى .. فى الكبر
ان تهن أرضى .. فقد هانت كبار الحرم

★ ★

لاتراعى .. وانظرى كيف شقينا ..
كيف قاومنا الليالى .. كيف ثرنا ..
كيف انهينا زمانا .. عفنا !!
وصنعنا من بكاء ..
وشقاء .. واباء
فجرنا الضافى بيمناه .. علينا !

★ ★

اشربى الشباى اشربيه .. لا تخافى ..
انت فى احضان صبح غير خاف
ينبت الخير وبالافراح .. ضاف
اطلعته الف يد ..
بل ملايين بكد ..
وانمحى من افقنا ليل الجفاف !! » ؟

احمد محمد فرج

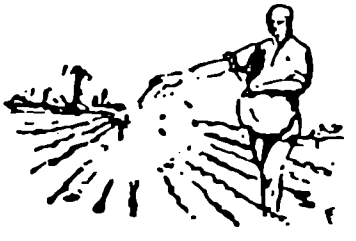

فتوى

السيد حامد اللاوندى كهل لم يتخط الخامسة والاربعين بعد طبقا لشهادة ميلاده ، عين على الثامنة الكتابية بارشيف وزارة الاوقاف ونسى بها .. يحفظ اجزاء القرآن الثلاثين ، ويقرأ متطوعا بترنيم سورة الكهف ـ كل جمعة ـ بزاوية الاربعين .. يؤدى الصلوات الخمس فى ميعادها الموقوت وكثيرا ما اداها اماما .. يصوم رمضان . وليلة النصف من شعبان . وسبعة وعشرين رجب . والستة ايام البيض . وكثيرا من اثنينات الاشهر الاربعة الحرم .. قرأ البخارى اكثر من مرة حتى اوشك ان يحفظه . وكثيرا ما طعم كلامه بمناسبة وغير مناسبة باحاديث مختارة منه .. اطلع على نزهة المجالس . والروض وبستان العارفين وتنبيه الغافلين . .ومنذ كان عمره السادسة عشرة وهو يشارك بانتظام فى الاحتفال بليالى المولد السبعة ، بجانب هذا لم تكن تفوته حلقة ذكر تقام بالمدينة الا وكان قطبا من اقطابها البارزين ..

والسيد حامد زوج لامرأة ولود نحيلة تناديه بالافندى ، وأب لنصف دستة من البنين والبنات بالرغم من زواجه المتأخر .. وللسيد حامد حكمة تتلخص فى الحديث الشريف : «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » كتبها بخط كوفى لا بأس به ـ خطاط مجهو لـ على قطعة خشبية هرمية الشكل على وجهها الاخر حفر اسمه بخط الثلث

والسيد حامد يهتم بالحكمة وباسمه اهتماما خاصا ويعمل على ابرازهما دائما بوضع الهرم الخشبى المستطيل فى مكان ظاهر فوق مكتبه .. وللسيد حامد بالارشيف زملاء ينادونه بالسيد ويحيلون عليه اعمالهم وكل ما عندهم من دوسيهات وملفات واشكالات ، من اجل هذا كان اكثرهم لتوقيع الخصم والجزاءات عليه .

والسيد حامد لم يذق فى حياته للسجائر طعما وان كان من عاداته الثابتة احتساء فنجان قهوة سادة كل صباح بالوزارة حتى اصبحت هذه العادة لازمة من لوازمه كجريدة الاهرام التى تطل باستمرار من الجيب الايمن لسترته القديمة السوداء .. وكان زملاء المكتب وخاصة الاستاذ يوسف عبود .. يقراون الجريدة قبل السيد حامد نفسه حتى اصبحت تلك العادة حقا من حقوقهم المكتسبة ..

وبطريقة تلقائية سحب الاستاذ يوسف وكالعادة الجريدة من جيب السيد حامد فقلب صفحاتها بين يديه بسرعة ثم اتجه اليه ووقف خلفه ـ وهو منكب على دوسيه منتفخ ممتلىء بالتقارير والمرفقات يفحصه بعينيه السوداوين من خلف زجاج نظارته السميك بتدقيق وحرص شديدين كقاض يتهيأ لاصدار حكم بالاعدام ـ فربت على كتفه منبها : ـ اقرأ يا سيد حامد .. ثم نظر لزملائه منبها وعاد يهز كتف السيد حامد ولكن فى شىء من عنف هذه المرة : ـ خذ واقرأ يا سيد هذا الخبز ..

وبهدوء واتزان زائدين التفت اليه السيد حامد واستفسر بكبرياء : ـ ماذا تريد يا استاذ يوسف ؟

ـ اقرأ واستبشر : وصلت كمية جديدة كبيرة من الحبوب .

واستفسر واحد من زملاء المكتب حبوب .. اية حبوب ؟

ـ الحبوب يا جاهل .. حبوب منع الحمل .. واشار له يوسف اشارة خاصة فسأل السيد :

ليتك تفتينا فى شرعية استعمالها

وبخبث ودهاء قال الاستاذ يوسف : الم تجد غير السيد تسأله ؟ ولكن معك حق فهو جهبذ كبير وحلال العقد

وانتفخ السيد حامد كديك رومى واصطنع عدم الاهتمام واكمل الاستاذ يوسف باستفزاز : لكن كيف يعرف وقد افتى شيوخنا وافاضوا فى الموضوع وانتفض السيد حامد واحمر وجهه الاصفر النحيل وجاهد ليتحكم فى اعصابه :

ماذا قلت يا استاذ يوسف ؟

ـ لا تؤاخذنى ياسيد فكيف تفتى فيما لا تعرف .

اتتهمنى بالجهل يا استاذ يوسف؟

استغفر الله فقط اقصد انك لا تعرف .. واسترخى السيد حامد على كرسيه المستهلك المقيد من رجله اليمنى الامامية بسلسلة تنتهى برجل المكتب الخشبى القديم ثم قال بكبرياء اذا قرأت عدد شعر رأسك كتبا لم أدع كتابا يبحث فى امور الدين الا وتزودت منه بذخيرة تنفعنى يوم لا ينفع مال ولا ولد ، فتتهمنى انت ابن الثلاثين بالجهل

لا تلمه ياسيد حامد فقديما قالوا فى الامثال « اللى مايعرفك يجهلك »

واستراحت نفس السيد بعض الشىء وخاصة عندما اعتذر له يوسف وسأله ان يفتيهم فى شرعية استعمال الحبوب

وانتفخت اوداج السيد حامد وخلع نظارته فمسح زجاجها بمنديله وردد بصوت ممطوط : حرام . حرام .. ١٠٠ / حرام وكفر بين ، خذوها عنى فتوى شرعية من يستعملها فهو كافر

ومن يسمح لزوجه باستعمالها فهو كافر لقد ضلت الناس وكفرت ونسوا الدين والاية الكريمة . وفجأة خلع السيد حذاءه ثم تربع فوق كرسيه المقيد وضم ذراعيه الى صدره وقرا بصوت منغوم وهو يلهث ـ بسم الله الرحمن الرحيم ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم . صدق الله العظيم ـ وارخى السيد حامد ذراعيه فى تيه منتظرا التهنئة : « ولكن يوسف خيب ظنه :

ـ اين القتل ولم يولدوا بعد ياسيد حامد ؟.. واهتاج السيد حامد

ـ ابدا هذا كفر واثم كبير وافتراء على رب القدرة عظيم .. « ونظر السيد حامد لزملائه محذرا » لاتصدقوه انه يتهرب من المسئولية ـ آه لو عرف ان تربية الاولاد عبادة وان انجاب الاولاد عبادة .

وغمز يوسف لزميل فقاطعه : ـ وان كلامك هذا عبادة ... وانفرجت اسارير السيد حامد من الفرح وهو يحسب انهم قد اقتنعوا بصواب رايه .. ولكنه لم يهنأ طويلا اذ سرعان ما تكلم زميل ثان .

ـ ويوسف ايضا لم يخطىء فقد اجتهد وللمخطىء المجتهد اجر . . وانتفض السيد حامد ثائرا :

ـ خلاص لم يعد احد معى لقد افسدكم .. « واتجه ليوسف » عد الى الله وتب فانى اخاف عليك عذاب جهنم .

ـ لاتخف .. ومن جديد تربع السيد حامد وتلى الآية الكريمة (وفى السماء رزقكم وما توعدون)

واثاره يوسف من جديد : ما دخل الرزق ياسيد حامد بتنظيم النسل .. انت مثلا ربنا حنن عليك بنصف دستة كاملة الم يكن يكفيك ثلاثة .. واحمر وجه السيد حامد وصرخ مهتاجا :

ـ اتعترض على حكم الله .. اين الحديث الشريف ياعالم ؟ تناكحوا تناسلوا ..

ـ والله ياسيد حامد ان الله لن يغفر لك انجابك نصف دستة وانت موظف درجة ثامنة ثم لقد عملت اكثر بكثير من الحديث ولهذا فانا اشير عليك باستعمال الحبوب .

ـ اعوذ بالله منك لم لا تتركنى فى حالى لم تريدنى ان اكون مثلك كافرا ؟ اقسم بالله ثلاثا ان لم تصمت فلن يحدث لك خير ..

ـ خلاص يا سيد حامد انا سكت .. انت حر ..

ـ ايوه حر .. وسكت يوسف بعد ان حرك فى ذهن السيد حامد افكار عديدة .. فمنذ عين بارشيف الوزارة وهو على الثامنة لم يحصل على ترقية ابدا .. تزوج عائشة ، وانجب محمد وزينبا وعليا ومحمودا وفاطمة وام كلثوم والرزق كما هو .. رزق بعلى ومن بعده محمود وبعدهما البنتان وفى كل مرة كان يردد المثل الشائع « الكل ياتى برزقه » وابدا لم يات احد منهم ومعه رزقه كل وافد جديد كان ياتى على حساب اخواته .. افكار غريبة وعجيبة ولا ريب تلك التى تدور برأسه ستعرضه لا محالة لعذاب السعير فتضيع الآخرة المرجوة بكل جنانها وانهارها وحوريها . . . انه يوسف وراء كل هذا انه شيطان

فى ثياب انسان ، من يدرى ربما يكون قد وسوس فى صدر زوجه وحضها على استعمال الحبوب .. نعم .. نعم .. كيف غاب عنه ملاحظة امر خطير كهذا .. فزوجته من مدة لم تخبره كعادتها بنبأ حمل جديد .. اتكون قد استعملتها من خلف ظهره ؟ آه لو صح هذا لن يرحمها .. لن يتراجع .. لن يقف مكتوف اليدين ابدا سيوقع عليها يمين الطلاق ويقسم بالله ثلاثا ان لايظللها سقف بيته بعد اليوم لن يرضى لنفسه وما زالت فى صدره نسمة حياة ان يحمى انسانا باع نفسه للشيطان .. لقد افسد زوجه ، وسيفسد عليه نفسه وعليه ان يتحاشاه من الغد .. ولكن لماذا من الغد ؟ لم لا يكون من اليوم بل من الساعة ؟ سيقدم طلبا بنقله الى قلم آخر او الاستقالة .. فالاستقالة اصبحت هى المخرج الوحيد ولن يخشى التشرد او الموت جوعا ففى السماء رزقه كتب على جبينه قدر مقدور .. اما ان يمتثل لدس هذا الشيطان الرجيم ويشترى الحياة الدنيا بالآخرة والآخرة خير وابقى فالعاقبة وخيمة .. ولكن الم يفت رجال الدين انفسهم باستعمالها ..؟ شىء غريب ان يلتقوا مع يوسف .. ما الفائدة ايتساوى هو الذى قراعدد شعر رأسه كتبا ويوسف الذى لم يفتح ابدا كتابا لواحد من الائمة الاربعة .. ؟ .. سيصاب بالجنون لامحالة هو بحاجة قصوى للاسترخاء فى مكان مظلم شديد الظلمة لا ينفذ اليه ضوء ما .. يود ان يفكر بعيدا عن سطوة هذا الشيطان .. فليأخذ اجازة .. فمنذ عمل بالارشيف ولم ينعم باجازاته كاملة ابدا . بل لم يأخذ اجازة عارضة أومرضية على الاطلاق كان حمار شغل .. نعم انه يعرف انه حمار شغل .. سينفجر لامحالة اكبر شريان فى مخه لو فكر على هذه الوتيرة .. ونظر السيد حامد الى الاستاذ يوسف فخيل اليه انه يراه لاول مرة .. واحس برعب شديد وهو يتأمل عينيه اللتين تقدحان شررا كالزبانية .. ورأسه التى يطل منها قرنان غليظان .. وجاهد ليكتم صرخة تفور بصدره وحلقه .. واحس انه سيختنق وتمنى نسمة هواء .. وتركزت عيناه على القرنين وخيل اليه انهما يختفيان .. فتأمل يوسف من جديد وافتقد عينيه وقرنيه الشيطانيين وهم بمحادثته واستفساره شيئا ولكنه عدل عن رأيه وتناول من فوق مكتبه ورقة حكومية بيضاء كتب عليها بقلمه الحبر المستهلك اجازة عارضة ، ثم غادر الحجرة بعجلة وسط دهشة زملائه وامتصه الشارع بضجيج الحياة .. ولم يشعر بكل ما فيه من حركة وناس وعربات فقد كان يبحث بعينيه عن اية صيدلية .

مصطفى الاسمر

من جماعة الرواد

فكيهة

بقلم : عبد الرزاق المهداوى

كانت حياتها تنتقل فى خطى بطيئة متسكعة بين المقاهى المتناثرة بشارع « الالفى » وكان فمها الذى لايكف عن مضغ « اللبانة » ينبعث منه بين آن وآخـــر نداء متقطع عن أوراق « اليـــانصيب » التى تبرز من بين اصابعها الذابلة .

وكان رواد تلك المقاهى قد تعودوا فى اوقات النهار المختلفـــة ان يروا « فكيهة » بائعة اليانصيب تطـوف بهم فكان بعضهم يأخذ منهـــا ورقة بحكم العادة .. وكان البعض الآخر لا يكاد يسمع صوتها حتى يرفـــع راسه متأملا وجهها ــ كان حـــلو التقاطيع ــ جذاب الملامح ــ على ان هذا البعض كان لايكاد يهبط بعينيه الى قدميها الحافيتين ويتأمل ساقيها النحيلتين كأعواد الذرة ، حتى يعود الى سابق شانه .. وربما يشـــترى منها ورقة ، وربما يعابثها بكلمة . . بيد انه لا يلبث ان يعود الى ما كان عليه ، وقـــــد ابعد عن راسه تلك الخواطر التى اشتعلت فيها فجأة .. وفكيهة لا تزال صغيرة لا تكاد تصلح لشىء .. على ان هناك نوعا آخر من رواد تلك المقاهى كان لايكاد يحس بها واقفة ازاءه تعرض اوراق اليانصيب حتى تهدر شفتاه بالفاظ حانقـــة لا تلبث الفتاة بعـــدها أن تمضى فى خطواتها .

كانت « فكيهة » فى الثانية عشرة من عمرها حين مات ابوها المعـــلم « خميس » الســباك بحارة «الصاغة» وكان من عادة فكيهة ان تلعب امام دكان ابيها ، لتبقى دائما امام عينيه فيطلب اليها ما يريده من المنزل حتى لا يضـــطر الى غلق دكانه او دكانته ــ كما كان يســميه ــ كلما اراد شيئا من المنزل ، على انه لم يعد بمقدور « فكيهـــة » ان تلعب امام الدكانة ، بعد موت ابيها فقد استأجرها رجل آخر فى نفس الصنعة اسمه المعلم

« تهامى » وهو لا يحب ان يصنع الاولاد غارة امام دكانته ..

بل انه لم يعد فى مقدورها ان تلعب مع الاولاد فى اى مكان ، فبعد موت ابيها بدات امها تترك البيت منذ الصباح لتغسل الملابس فى البيوت الكبيرة التى ترفع فكيهة راسها وهى تحدق فى طوابقها العالية . اما هى فقد اصبح لزاما عليها ان تذهب كل يوم الى كشك الحاج رزق لتاخذ من هناك رزمة من اوراق اليانصيب وتمضى بها الى شارع الالفى لتبيعها لرواد المقاهى المتناثرة هناك .

ان عليها ان تبيع اكبر قدر من الورق حتى لا تغضب امها ، وحتى لا ينظر اليها الحاج رزق غاضبا لانه لايحدث ان تبيع فكيهة من الورق ما يرضى امها .. ولا يغضب الحاج رزق .

فرواد المقاهى ياخذون منها بمزاجهم دون ان يعملوا حسابا لاحد .

ومن هنا كان ضيق « فكيهة » احيانا .. ضيقها الذى لم يكن يعدله الا ماكانت تحس به كل يوم حين تمر بدكانة ابيها فيطالعها المعلم تهامى بوجه النكد . وعينيه الحانقتين ابدا وفمه الذى لا يكف عن شتم الاولاد الذين يظهرون امام دكانته .. لماذا لا يموت المعلم تهامى كما مات ابوها ان اباها كان اكثر طيبة منه .. كان يترك الاولاد يلعبون امام الدكانة .. وكان لايتركها تبيع اوراق اليانصيب بشارع الالفى .. فيطردها الجرسون تارة ويزجرها الرواد تارة اخرى . بينما يتوعدها باعة « اليانصيب » الآخرون بانهم سيقطعون رجلها ان هى جاءت الى هنا مرة اخرى .

واذا نال التعب من قدميها الصغيرتين واحبت ان تستريح قليلا فى جانب الطريق .. اقبل عليها العسكرى بقدمه الضخمة التى تميز خطواتها من جميع الاقدام . ووجهه الكريه الحانق الذى يبدو دائما مقطبا كانه فى عراك لا ينتهى ، فلا تكاد تراه مقبلا حتى تهرول الى مكان آخر لايطالعها فيه الوجه الكريه .. لا تدرى فكيهة لماذا يكرهها الناس ؟ لماذا لا يكونون طيبين معها مثل ابيها ؟ حتى امها .. لاتدرى ماذا جرى لها هى الاخرى ؟ لقد اصبحت سريعة الغضب .. تنهرها لابسط الاشياء واحيانا لا تعود الى البيت فى المساء لا تدرى فكيهة لماذا تغيب امها فى الليل ؟ وتتركها وحدها تلك الساعات الطوال ؟ انها تخاف من بقائها وحيدة ولكنها ايضا تخاف ان تسال امها لماذا تتاخر فى بعض الليالى .. فاحيانا حين تعود فى تلك الليالى يكون التعب باديا عليها جدا .. ولا تكاد تدخل الحجرة حتى تلقى بنفسها الى جوارها وهى تزفر : ــ توب علينا بقى يارب .. ؟ احنا كنا فين ودافين

على انها لاتنسى ان امها بعد ذلك تضمها فى حنان ورفق فتنسى كل شىء .. تنسى حتى ان تسالها لماذا تتاخر ؟ ؟ ولكن فكيهة لا تنكر مع هذا كله .. ان هناك اناسا طيبين .. مثل ابيها .. فالشبان الذين يترددون على المقاهى عادة يتوددون انيها بكلمات جميلة ويعابثونها احيانا فيقولون لها :

ــ انت لازم تكبرى حالا يا فكيهة .. انت شربات قوى يا ملعونة ..

وكانت هذه الكلمات ترن فى اذن فكيهة رنينا حلوا حتى انها كانت تستوقفها أحيانا امام معارض المحال الزجاجية لتتأمل ملامحها الحلوة .. وصدرها الذى بدا يرتفع قليلا ويرتفع معه ثوبها القديم .. كانت هذه الكلمات تبعث فى نفسها احاسيس جميلة ولكنها غامضة لاتكاد تتضح فى غمار شقائها اليومى المتجدد .. حتى كان ذلك اليوم الذى وقفت فيه امام احد المعارض الزجاجية تتأمل ذلك الوجه الذى يطالعها فى المرآة .

ولم تلبث ان التفتت خلفها فجأة ثم عاودت النظر فى المرآة .. لم يكن بمقدورها ان تظل ملتفتة لتواصل النظر الى وجه الفتاة التى وقفت خلفها مع والديها لتتامل المعروضات ورات انه يمكنها ان تراها اذا عاودت النظر فى واجهةالمعرض الزجاجية .. كانت الفتاة فى مثل سنها تقريبا .. وبدات تلاحظ شيئا . . شيئا لم يكن يخطر لها على بال .. انها لاتقل جمالا عن الفتاة التى تقف خلفهاهكذا تقول المرآة التى تعكس صورتيهما ولو انها لبستذلك الفستان الاخضر الذى تلبسه .. وذلك العقد اللامع الذى يلتف حول عنقها .. وصنعت بشعرها مثل ما صنعت تلك الفتاة لبدت احسن منها جمالا !!

ولما قال الشبان عنها فى المقهى انها صغيرة .. واحستبموجة من الفرح تجتاح قلبها الصغير .. والتفتت خلفها مرة اخرى وكانت الفتاة تهم بالمسير الى جوار ابيها .. وبلا وعى راحت تتبعهما عيناها حتى غابا فى غمار الناس وعادت لايفارق خيالها صورة الفتاة بفستانها الاخضر وعقدها اللامع وشعرها المقصوص وابيها الحنون .

وبدات لاول مرة تحس بان ثيابها قذرة وان شعرها مهوش . . وان عنقها تحيط به طبقة من السواد ... وانها تكاد تكون الوحيدة التى تمشى حافية فى هذا الشارع الكبير . . واحست بقلبها تعصف به نوبة من الضيق الشديد . لاتلبث ان تنعكس على ملامحها الصغيرة .

كان ينبغى ان يكونلها فستان .. وان تسرح شعرها والا تمشى هكذا حافية القدمين مهوشة الشعر ممزقة الثياب .. انها تقضى معظم النهار فى شارع الالفى .. فلا تبصر غيرالبنات الجميلات .. انها هى الاخرى جميلة .. فلماذا لا يكون عندها فستان جميل ؟ واحست كانها تريد الا يراها احد .. الا ينظر الناس الى قدميها والى شعرها .. والى ثيابها .. وراحت تمشي على غير هدى .. كان الناس يلقونها فى كل مكان . . واحست هذه المرة كانهم ينظرون اليها والى قدميها وثيابها . . والى شعرها .. وظلت تمشى حتى نال التعب من قدميها .. واحست بانها فى حاجة الى ان تجلس قليلا لتستريح . . هنا يمكن ان تجلس قليلا .. لا بل هناك .. فى هذا انركن المنزوى .. حيث لا تصل اليها عين العسكرى .. وتكورت على نفسها بعدان دست اوراقالبانصيب بين جسدها وثوبها ثم نامت فكيهة .

ونامت فى قلبها تلك المشاعر القاسية التى تعتصر قلبها منذ حين .. وتلاشى من وعيها كل شىء .. العسكرى .. الجرسون .. المعلم تهامى .. باعة اليانصيب .. شىء واحد هو الذى لم يستطع ان يحول بينها وبينه ذلك هو الافندى الانيق الذى كان يسير الى جوار ابنته وقد وضع يده حول عنقها هو وحده الذى جاء بعد ان راحت فى النوم ليقول لها : ـ اننا فى حاجة الى خادمة .. وسوف آخذك لتعيشى معنا فى البيت ومضت معه فرحة .. لقد كانت تتمنى ان تكون خادمة فى بيت من هذه البيوت الكبيرة التى ترفع راسها حين تحدق فى طوابقها العليا .. كانت تحسد امها .. كانت لا تعرف ماذا بداخلها ؟ وتمضى فكيهة مع الافندى وهى فرحة يرتسم على شفتيها النائمتين طيف ابتسامة سعيدة .. انها ستدخل البيوت الكبيرة التى كانت تنام وتحلم بها وهى راقدة بجوار امها فى الحجرة التى انتقلت اليها بعد وفاة ابيها .. ووجدت نفسها فى البيت .. بيت الافندى الانيق .. لا تدرى فكيهة كيف كانت الاشياء تتتابع فى سهولة ويسر وكانها حلم .. كانت هناك زوجة الافندى وابنته .. صاحبة الفستان الاخضر .. لقد طلبت منها سيدتها ان تغسل شعرها وان تخلع ثوبها حتى تبدو نظيفة جميلة .. وراحت فكيهة تحدق مذهولة فى الفستان الذى اعطته سيدتها لها .. لقد كان فستانا اخضر .. تماما كالذى ترتديه ابنتها .. لقد وجدت نفسها تلبس الفستان الاخضر وتقف امام المرآة لتسرح شعرها المهوش وتصنع به مثل سيدتها الصغيرة .. شىء واحد هو الذى كانت تراه فى وضوح وهى تنظر فى المرآة هو صورتها فى المرآة وهى تختال فى الفستان الاخضر وشعرها يتلوى فوق راسها !

وازدادت البسمة اتساعا على شفتيها الحالمتين وامتدت على قسماتها النائمة ظلال سعيدة .. لو ان الشبان الذين كانوا فى المقهى يرونها الان ماذا كانوا يقولون عنها ؟ اكانوا يقولون انها صغيرة ؟ وامها ؟ ماذا تقول لو راتها الان ؟ سوف تسعد بلا شك عندما تعرف انها اصبحت هكذا !! وسوف لا تبيع اوراق اليانصيب بعد اليوم .. ولا يعود الجرسون يزجرها .. ولن ينظر اليها المعلم تهامى .. ولن يضربها العسكرى بمقدم حذائه الغليظ كلما ارادت ان تنام و .. وفتحت فكيهة عينيها فى ذعر وخوف وبدت عن شفتيها صرخة مكتومة .. كان العسكرى ينظر اليها مهتاجا وعيناه الحانقتان ترمقانها فى غيظ ومقدم حذائه الاسود الكبير يحثها على أن تقوم من هنا .. وان تذهب فى داهية !

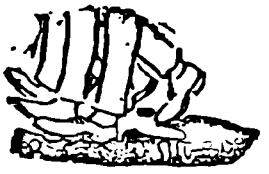

وانتفضت فكيهة تلملم اوراق اليانصيب المبعثرة وترمق العسكرى بنظرات ضارعة كانها تستمهله ان تجمع الاوراق المتناثرة .. كان قلبها متناثرا مع الاوراق .. وعيناها المذعورتان بين الحذاء الاسود والاوراق المبعثرة .. ومشت فكيهة ـ ويدها المرتعشة ـ تتقلص فوق الاوراق .. الاوراق المرتعشة ايضا لماذا يكرهها الناس ؟ لماذا لا يكونون طيبين مثل ابيها ؟ واغرورقت عيناها بالدموع .. ومن خلال تلك الدموع انبائسة تسرب الى قلبها امل .. امل جميل .. لايزال هناك من يحبها .. هؤلاء الشبان الذين يترددون على المقاهى .. انهم يحبونها ولكنهم يريدونها ان تكبر .. فمتى تكبر .. متى تكبر ؟ ؟

يقولها ...

ارتعش صوته بالرغم منه وهو يستفسر الساعى الذى فتح له الباب هل الاستاذ موجود ؟ .

ولما قال له وهو يقوده الى حجرة المكتب : سيأتى بعد حين

تنهد بارتياح ، وجلس فى أحد المقاعد ، وغادره الساعى . انه حتما سيستفيد من هذه اللحظات التى سيمكثها وحده . فلشدما يشعر بتوتر اعصابه .. فهى المرة الاولى التى سيلتقى فيها واستاذه وحدهما . وزاد انفعاله « سيقابله وحده » . ونهض واقفا وقد شمله الارتباك ، واخذ يقطع الحجرة بخطوات متعثرة وقد تعلق نظره بحركة حذائه ، ثم ارتفع جفناه لاعلى وراح يتفحص اللوحات المعلقة فوق الجدران ، حتى ثبت بصره على صورة كبيرة معلقة بصدر الكان يتاملها فى اعجاب تشوبه رهبة « هذا الانسان الكامل ، لكم هو رائع .. رائع » ووجف قلبه .. ترى هل سيترك له الفرصة لكى يقولها ؟! انه تواق لقولها ، ولكنه لايجد فرصة انتهبر ، فاستاذه دائما يشرح ، ويأمر وينفذ .. وحتى فى اللحظات التى كان يشتد فيها انفعاله ، وينهض محاولا أن يصيح به : رائع .. رائع يا أستاذ حتى فى هذه اللحظات كان أستاذه يسكته ، يشير اليه بطول ذراعه ان اصمت ، فلا وقت للمديح ، وليحتفظ كل برايه ، ولكن الى متى سيكتمها ؟. الى متى ؟

وخيل اليه أن استاذه يبتسم له مشفقا ، فسرت الدماء دافقة تلهب كيانه « نعم يجب أن يقولها ، يجب الا يفلت الفرصة ، فليقلها الان .. حالا » . وارتعشت شفتاه لكنهما لم تصدرا صوتا . فحلقه جاف .. جاف ويحاول أن يستدر بعضا من لعاب بينما ترسل حنجرته نحنحة واهنة كالانين . ثم .. واخيرا تمتم : انت .. اننى يا أستاذى .. اقول .. اننى طالما اختزنت مشاعرى ، واننى ارى أ ..

اشار اليه استاذه ، رفع ذراعه ، دفع به الى امام حتى كاد يمس شعر رأسه يطالبه بالصمت ، فواد الكلمات فى حلقه ، فى حين تمدد بداخله غضب هائل « أتراه سيمنعه دائما أبدا من ان يقولها ؟!! » ، وكاد يجن لما راى شفتى أستاذه وقد تحركتا ليتساقط منهما كلام رنان يدق ام راسه فى قسوة جعلته يشعر بدوار مؤلم من هذا الكلب من ادراه اننى سامتدحه !!.. وتوالى تساقط الكلمات : فلا وقت للمديح ، وليحتفظ كل برايه .

وغامت عيناه ، وكاد يقع ، لكنه تماسك ، فصرخ ، وهو يسد اذنيه : اصمت .. اصمت .. ايها التافه الحقير ، لكم امقتك .

ثم رفع يده بكل يقظة وهوى بها فوق وجه استاذه ، وولى هاربا من الحجرة ، وفى اعقابه انهارت الصورة فوق الارض فتهشمت ! !

فخرى فايد

مع ديوان

حبيبتي

للشاعر: نزار قباني

لا اعرف ما الذى يشدنى الى الجلوس مع دواوينه افضلها عن آخرها فى جلسة واحدة . فنزار قبانى هو احد الشعراء الذين يشدوننى معهم فى آفاقهم الواسعة فلا اكاد انتهى من قصيدة حتى ابدا فى اخرى وربما اعيد ما قرات من قصائد .

اكتب هذا بعد ان انتهيت من قراءة ديوان « حبيبتى » لشاعر الانوثة نزار قبانى .

والشاعر دائما ينجح فى رسم الصورة الحسية فتراه يعرض عليك لوحة فنية رائعة المضمون ، متقنة العرض .. كذلك يسهب فى رسم الصورة التى يعرضها حتى اجدها تتمثل فى الخاطر بدقة متناهية .. فقد تمثلت فى خاطرى صورة المراة العابدة للرجل ، فتتولد لديها معانى كبيرة عميقة من شئون صغيرة تافهة حتى انها ترقب خطواته وسكناته .. فأجد هذه المراة العابدة لرجلها مزهوة معجبة بخيوط الدخان التى ينفثها من صدره ، فتنتشر فى دوائر سرعان ما تتبدد ، والمراة العابدة تشعر حقا بالدخان يتبدد ، حين تشعر به هو الآخر يتبدد من امامها وتتركها هائمة لشئونه الصغيرة .. يتركها هائمة بدخانه وبرائحة التبغ وبشرودها فى ذكريات غائبة .. واجدها مريضة تراه على سريرها يحمل الزهور ، فتتمنى لو ظلت هكذا مريضة حتى تراه وزهوره .. وأجدها متطايرة بالهاتف كطفلة صغيرة ، فتحس بصوته دافئا . . مثيرا .. قويا .. ثم اجد المراة العابدة لرجلها كلما حن بها الشوق اليه ، تذهب لتستعير منه كتابا ، وتتمنى بينها وبين نفسها لو يعرف انها جاءت لغير الكتاب .. ثم يتقصى شاعرنا حركات المراة العابدة وهى تضم الكتاب بين ضلوعها وتنبش سطوره تقرؤها وتقرأ ما وراء السطور .. ثم المس المراة العابدة وهى معه تبكى لانها تتمنى لو تستمر معه دائما ، ضائعة فيه .

والشاعر فى قصـــائده يهمس فى آذاننا بكلماته فنجـده صانع انغـام وليس بصانع كلمات .. واحيانا يعتمد على رنين الكلمات فى ذاتها ، كنوع من الجمال الشعرى فنجـــده يلجأ الى تكرار الكلمة فى بعض قصائده وهـذا واضح فى قصيدة « شعرى .. سرير من ذهب »

له . له
احلته
من سنة
افتل اسلاك الذهب
جعلته
بطول مدات الطرب
تعبت فى تذليله

تعبت فى تطويله
تعبت
كى ينسى التعب
لواحد ..
لواحد ..
اقعد فى الشمس انا

ثم نجد الصدق فى تصوير الشاعر الدفينة التى يصخب بها صور لوليتا .. والشاعر هنا يصور لوليتا فتـاة انتقلت من دور الصـــبا الى دور المراهقة .. فتناجى لوليتا هـــذا الرجل الذى يعامها كطفلة تقول له :

صار عمرى
خمس عشرة
صرت احلى
الف مرة
صار حبى لك اكبر
الف مرة
ثم تهمس اليه بنضجها الانثوى
صار عمرى
خمس عشرة
كل ما فى داخلى
غنى .. وازهر
كل شىء صار

اخضر ..
ثم تهمس اليه بانها اصبحت امراة
صار عمرى
خمس عشرة
صرت اجمل ..
وستدعونى الى الرقص
واقبل ..
ثم نجدها تنهاه لهذه المعاملة الابوية:
لا تعاملنى ..
بشكل ابوى
فلقد اصبح عمرى
خمس عشرة

كما يحرص نزار على أن يعتمد فى قصائده على التشبيهات كمؤثرات تزيد القصيدة جمالا وبهاء .. نلمس هذا فى قصيدته « عنـــدما تمطر فيروزا » فيصف العينين بانهمـــا مرآتان من ذهب ..

اما الشىء الحاد الذى يعتبره دليل الانوثة فى المراة فهو النهدان . . وهو لهذا يصف النهدين بأوصاف مختلفة ويشبهها بتشبيهات متعددة .. ففى لوليتا يرى النهدين قبة مرمر . .وفى « الكبريت .. والاصابع »

من هنا الفارس ؟
طار له فى صدرى
زوج من حجل ..

وفى قصيدة « الى مراهقة » يشبه النهدين بارنبين فى وثبتهما واندفاعهما الى امام .. ثم لا يلبث ان يغير رايه فى قصيدة « جميلة بوحيرد » فيقول انهما زوج حمام .. ولكن اروع ماكتب نزار قبانى فى وصف نهدى المراة هو ماكتبه فى قصيدة « الرجل الثانى »

وتاهدناك .. **كانا اميرين ..**
اجيبى من اذلهما **كانا لعبتى خزف**
ويوم كنت انا **تقوم دنيا اذا قاما ..**
لله ما سجدا .. **وان قعدا ..**

وللشاعر قدرة عجيبة فى الانتقال بنا من جو الى جو ، ومن طبيعة الى طبيعة .. فهو احيانا ينقلنا من الجو الذى نعيش فيه ، ومن الطبيعة التى لمسناها ، فبينا نحس بشاعرنا يناجى المراة فى قوة واحيانا فى ضعف .. نجده ينتقل الى جو آخر والى طبيعة اخرى . فنرى المراة تناجى الرجل تغريها بذلك رجولته .

وقصيدة « الرسائل المحترقة » ترتعد من اروع قصائد الديوان حيث يتفوق الشاعر فيها على نفسه ، **وعلى مسالة الجنس التى يعانيها فى اغلب شعره** .. ففى هذه القصيدة ينزع انى الرمزية الجميلة المعبرة . . ففيها نقرأ :

الم تترك النيران **الم ينج حتى مقطع**
منها بقية ؟ **من مقاطعى ؟**

وفى قصيدة «خطاب من حبيبتى» نلحظ كذلك نفس هذه النزعة الرمزية الجميلة المعبرة .

وبين قصيدتى « الى قديسة » و « الى مراهقة » تباين جميل ومفارقة عجيبة .. فنراه يثور على القديسة ويدعوها ان ترضى رجولته وترضى « عنف الاربعين » .. بينما هو يحنو على المراهقة الصغيرة ويلجم جماح اعصابه بحكم «منطق الاربعين» .. فسن الاربعين فيها عنف الرجولة وفيها منطقها .. فتستثيره القديسة بينما المراهقة الصغيرة تقبله الى اب حنون ، ويرى فيها عمر ابنته ولين صباها .

ثم يصور لنا الشاعر نزار قبانى عمق المأساة العربية التى يمر بها الوطن العربى ، بسبب هذه الفئة المرتدة التى تعيش فى اوحالها ترجع بالامة العربية الى الوراء .. تحس عمق المأساة العربية فى هذه الكلمات المعبرة :

كهوف الليل .. فى باريس **ولا راياتها ارتفعت**
قد قتلت مروءاتك .. **على اشلاء راياتك ..**
فبعت القدس .. **كان جميع من صلبوا ..**
بعت الله .. **على الاشجار فى يافا ..**
بعت رماد امواتك .. **وفى حيفا ..**
كان حراب اسرائيل **وبئر السبع ..**
لم تجهض شقيقاتك **ليسوا من سلالاتك ..**
ولم تهدم مصاحفنا ..

وشاعر المراة الرقيق يرى جميلةبوحيرد العربية تتعذب ، فيخط فى ديوانه آية الضعف التى ينبرى بهاالفرنسيون ، فيقرر ان آية ضعفهم هو انتصارهم على انثى .. ولا يملكالا ان يطلب من الله ان يغفر لفرنسا ما ترتكبه فقدانعدم ضمير فرنسا ..وهو هنا لم يطلب من الله ان ينزل الجحيم على فرنسا ، أو يدعو عليهابالخراب والدمار .. بل نظر اليها نظرةانسان شفوق يرى ضمير فرنسالم يولد بعد .. فهو يلتمس لها العذر ، وينظر اليها نظرة انسان شفوق .. ثم يسهب فى وصف تعذيب جميلة المريع ويجد نفسه كعربى يرفع هامته فى فخر واعتزاز بعروبته وبجميلة المجاهدة العربيةالتى فاقت عذراء اللورين جان دارك ابنة فرنسا التى لم يولد لها ضميربعد .. ثم نغلق الديوان الرائع بعد أن نكون قد قرانا « رسالة منجندىفى جبهة السويس » ، التى تدل على ايمان العرب فى كل مكان بقضاياهم وبأن الوطنالعربى كل لايتجزا والالم الذى يئن به البعض يشعر بتوجعه الكل .. فالمصير واحد والهدف مشترك . فنحس فى قصيدته روحعربى ثائر يكتب الرسائل من قلبه المعركة الى أبيه يطالعه فى رسالتهالاولى بقوله :

ياوالدى !

هذه الحروف الثائرة

تاتى اليك من السويس

تاتى اليك

من السويس الصابرة

ثم يصف فى رسالته الثانيةهبوط المظليين :

هبط المظليون خلف خطوطنا ..

امر جديد ..

هبطوا ..

كارتال الجراد ..

كسرب غربان مبيد

ثم يطالعنا فى رسالتيه الثالثةوالرابعة بالمظليين وهم يتساقطون ويتأرجحون وبالكفاح والنضال .. فالشعب كله قد جاء ليرد قطاع الطريق .

وكما قلت سابقا ان الشاعريهمسفى آذاننا بأحاسيسه ومشاعره الفياضة .. فنرى فيه صانع انغام وليس بصانع كلمات .

حسنى سيد لبيب

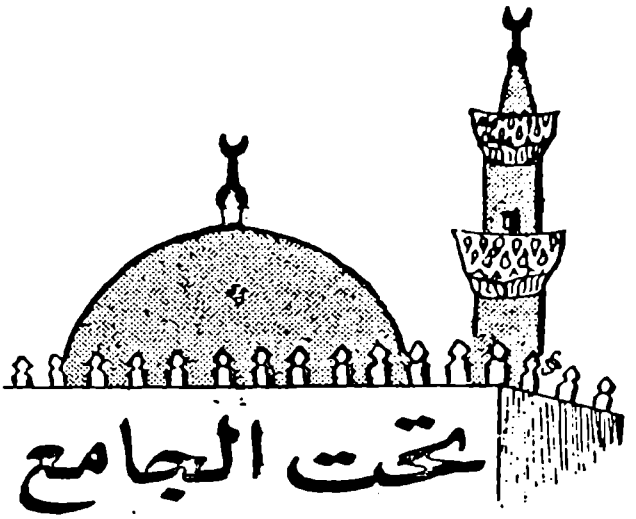

تحت الجامع

« ومما له مغزى انه فى الوقت الذى نال فيه كتابنا الكبار نفوذا واسعا وطابعا تقليديا اختفت مقالات النقد القصيرة التى كانت بمثابة المعامل التى تجرى فيها اكبر تجارب القرن جراة »

ستفن سبندر
(الادب ـ اغسطس ، سبتمبر ١٩٥٨)

قصة : ادوار الخراط
نقد : ماهر شفيق فريد

فى دنيا النقد حولنا ، على ما نعرف من حالها ، وفى نضال «الادب» بضع سنوات ، من اجل فروسية القلم وطهارة النقد ، الذى عدته «الادب» دينها الفنى .. وفى هذا الجو يقول للناقد ما تقرؤه فى التعليق التالى ونصه :

«.. لست استطيع ان امنع نفسى ، عن احساس غامر مغالب ، لا بالشكر والعرفان ، بل بالمحبة ازاء هذه المحبة ، التى يكنها الناقد لعملى وبالتقدير ازاء التقدير الذى يبديه الناقد ، فى اكثر من مجال لما كتبت واكتب » .

« والادب » حين تنشر هذا لاتجدها تعبر به عن غبطتها لذلك الشعور المتبادل ، بل ناقد ومنقود ، وتجد الثقة القوية الاكيدة بمستقبل النقد الكريم الذى ترجوه لحياتنا الفنية .

* * *

ـ امه هاتى قرش ..

ـ يوه جاك قرش يقرشك ، هو انت يا بت متشبعيش قروش ؟ طب سدى سد . هو انا قاعدة لك على بنك يا بت ، والا على حنفية قروش؟ قال ايه قال قرش .. صباحى وليلاتى على الله قرش . هو انت يابت متستكفيش نيلة قروش ؟ انت مش لسه واخدة قرش امبارح من ابوك ، وقرش اصطبحت بيه على وش الصبح ؟

هذا الحوار الذى يبدأ له ادوار الخراط قصته القصيرة الجديدة (تحت الجامع) (المجلة فى فبراير ١٩٦٣) ليس ترجمة حرفية لما يقال فى الحوارى والازقة ـ ولو انه يمكن ان يكون كذلك ـ قدر ما هو تركيبة فكرية لغوية جديدة : تركيبة قوامها الدراسة التسجيلية للهجة العامية القاهرية والبصر بايقاعاتها ونبراتها وملاحظة مفرداتها وصورها ومقاطعها تركيبة هدفها تقديم هذا الحوار العامى فى انشاء فنى جديد يتجاوز الواقع ولا يفقد صلته به فى الوقت

ذاته : مزاج من الصدق الموضوعي والصنعة الفنية ، قوامه المعاناة الحميمة وملؤه الحياة . لا يعوزه التأثير اذا ما تجسد على الورق ولكنه خليق بان يغدو اكثر تأثيرا لو انه قرئ بصوت مسموع . هو حوار يجهد كاتبه في ان يسبغ عليه الوانه الخاصة ذات الاضواء والظلال ، وهو يوفق في ذلك حتى لتستحيل العامية بين يديه قوة تعبيرية لا تنكر . ان الكاتب يبدأ قصته بثلاث كلمات لاغير (امه هاتى قرش) ومع ذلك فالكلمات تؤثر فينا . لماذا يا ترى ؟ الجواب : لانها محملة بشحنة عاطفية قوية . انها انبثاقة مفاجئة تحمل كل الحاح الطفولة ولجاجتها .

لاحظ ايضا هذا الرد الذى تجيب به الام ومدى غناه بالصور الفنية . ما اعظم حيوية هذه العامية في فم متكلميها وما أطوعها للتعبير عن دقيق الانفعالات والافكار ! . ان الام تستخدم في ردها اسلوبا بليغا مركزا تتجاوب فيه اصداء الدهشة والانكار والتانيب والحب والقسوة جميعا . انها تستخدم صورا بالغة الدلالة رغم بساطتها (هو انا قاعدة لك على بنك بنت والا على حنفية قروش ؟) . ولا يتردد الكاتب عن نقل كلمة (نيلة) الموحية بكل ما يشوب هذا الجو من سوقية وابتذال . انه مسئول امام صدقه الفنى وحده !

(والبنت ثبتت عينيها بوجه امها ، يربطهما به سحر الكلمات القاسى . الكلمات اللاذعة تنشال عليها ؛ لن تكف ابدا ، تتقلب وتئز كانما تخرج من موقد الجاز وهو يفح في عتمة العصر التى توشك ان تطمس معالم الفرفة)

هذا الاسلوب الخراطى الاصيل قد يبدو غريب المذاق لمن يقرؤه لاول مرة . ولكن كل من قرأ (حيطان عالية) لن يشق عليه فهم طريقة كاتبنا في انبعاث الجو وتركيب الجزيئات بعضها الى بعض . ان اداوار الخراط يبدأ جملته بالفاعل (والبنت ثبتت) .. كما هو الشان في أغلب اللغات الاوربية الحديثة (١) وهو يصر على هذه الطريقة حتى لتغدو عادة من عاداته الفكرية المميزة . ترى ما السبب ؟ أيريد توجيه الاهتمام الى الشخصية ذاتها ؟ أيريد تحطيم مطالب السرد المألوفة ؟ أيريد تطعيم العربية بتراكيب غيرها من اللغات ؟ كل هذه احتمالات جائزة لاسيما وان تجديد كاتبنا يكاد يغطي كل المجالات . المهم هو أن نلاحظ النقلة من الحوار الى السرد واختلاف النغمة . كان الحوار سريعا متلاحقا تتعاقب فيه حالات نفسية خاطفة يأخذ بعضها برقاب بعض ولكن السرد هنا بطيء متمهل : كأن كلمات الام بعد ان بلغت أوجها خلفت في المكان نوعا من الجمود والخدر . لاحظ الخيال السمعى : الكلمات .. تتقلب وتئز) (موقد الجاز .. يفح) . لاحظ الخيال البصرى (عتمة العصر .. توشك أن تطمس معالم الفرفة) . ان الفنان هنا يبدأ في رسم الجو . .

(أمها تربعت أمام النار تقلب الطاسة بالملعقة الكبيرة الصدئة ورائحة الباذنجان السخن سطعت في الهواء المحبوس . والتفتت اليها أمها لفتة خاطفة تكويها بنظرة من العينين اللامعتين بألق أسود صلب ، وهج النار ينعكس على الوجه الاسمر المنهضم ، النضر مع ذلك بسخونة متضرجة ، والمدورة تحبك الرأس وتلف الشعر الاثيث) ..

لاحظ مرة اخرى اصرار الفنان على

---

(١) بالطبع هناك استثناءات كثيرة . انظر :
Simeon Potter : Our language (A PELICAN BOOK 1961) p. 92.

بدء الجملة بالفاعل (امها تربعت . .) (رائحة الباذنجان سطعت . .) (وهج النار ينعكس . .) لاحظ ايضا ايحاء كلمات (سخن ـ الهواء المحبوس ـ الق اسود صلب ـ وهج النار ـ مسخونة متضرجة) . ان الفنان هنا ينقلنا الى هذا الجو الحار الخانق باقصى ايجاز ممكن . .

(انحنت البنت على عروستها النائمة وسط كومة مهوشة من الخرق ، وازاحت العلب الصفيح والنفايات اللامعة على ارض الشرفة الضيقة تحت الواح الخشب المائلة على الحارة . .

ورفعت عروستها اليها ، خرقة اخرى اخرى ملفوفة محزومة بشريط ناصل ، تتدلدل منها ساقان خرعتان لا قوام لهما ، وذراعان احداهما اطول من الاخرى ، وسندت بيدها راسها المحبوك بمزقة من مدورة امها لم يبق فيها الا بضعة اقراص دقيقة متلألئة من الترتر الازرق . . ما اجملها وما ارقها ، تبتسم لها من عينين لا يعرف احد غيرها جمال نظرتهما ، وابتسامتها حلوة وجسمها اللدن الهفهاف طيع فى يديها بحاجة الى الحنان الذى يدربه صدرها ويغرقه)

كان الحوار ـ على ما ترى ـ دائرا بين البنت وامها . ونحن حتى الان لا نعرف لايهما اسما ولا يعنينا ان نعرف لايهما اسما فكل الذى يعنينا من امرهما هو ان البنت تسال امها قرشا تأباه عليها . ها هى ذى البنت قد ايست من امها وراحت الى دميتها تبثها كل مشاعرها . وها هو ذا ادوار الخراط ـ فى لقطة نفسية دقيقة ـ يوجد البنت نوعا من التعويض النفسى فى دميتها :

(وهى تناغى العروسة . فى كلماتها نبرة من صوت امها ، امها الاخرى الحلوة : \

ـ عايزة قرش يا حبيبتى ؟ خدى يا ضناى . خدى آدى قرش . حتشترى بيه ايه ؟ كراملة . . وحمص . . ومصاصة . . وبسكوت كمان ، تقرقشيه كله لوحدك وما تديش منه لحد . انت عايزة تنزلى فى الحارة دلوقت ؟ طيب انزلى ياختى . . خللى بالك من السكة . . مسافة السكة وتيجى على طول .

. فى همس حميم ، والعروسة تصغى وتبتسم ، وجهها المصنوع من الخرق منور وضاح وتسلم نفسها للحضن الرقيق) .

ان الحوار فى قصة ادوار الخراط قوام عمله كله . قد يكون هذا الحوار مع الام وقد يكون مع الدمية ، ولكن اهم ما فى الامر ان القصة كلها مونولوج داخلى يدور فى خاطر البنت الصغيرة وكما ان الشوارع والغرف والضباب الاصفر والناس والخيالات وعرائس الماء كلها ترتسم فى وعى (بروفروك) (١) فان الام والباذنجان والجو الخانق والدمية كلها ترتسم فى وعى البنت هنا . لا احداث خطيرة فى القصة ، ولا مبالغات ، ولا شىء اكثر من هذا انتوق الطفولى الى القرش :

(ـ امه عايزة قرش ، امه هاتى . . هاتى قرش

فى ضراعة وخفوت وتردد ، ولكن بثقة ايضا ، فى دل من يعرف ان اللحظة حانت والقطاف دنا وفى مكر .

---

(١) ت . س . اليوت : تاليف ليونارد انجر ـ ترجمة د . عبد الرحمن بدوى ص ٢٩ ، ٤٠ .

ـ يوه هو انت يا بت اللى عليك اسمه قرش . خلاص علقت . طيب يا قرشانة انت طيب. روحى يا لله. قدامك على رخامة البوريه فيه قرش اهو تحت المفرش اهه يا بت . خديه يا ختى انجرى على تحت امال .. ما انا عارفة .. بس اوعى تعوقى .. خلى بالك من السكة) .

وهكذا تفلح ماجدة ـ فهذا اسم البنت ـ فى الحصول على القرش من امها ، والحنان يقوم فى نفس الام ازاء هذا الكائن الصغير الذى انفصل عن احشائها ، والذى ترى فى وجهه ملامح من زوجها :

(فى قلبها موجة خفيفة الاهتزاز من الحنان نحو هذه الحتة الصغيرة من احشائها . هذه الجذاذة الحية منها ..وجدها الان ، مستقلة بحياتها الخاصة وان كانت من كبدها ورحمها ، ثم هى صورة غريبة اخرى من ابيها ، فولة وانقسمت فلقتين .الفم الواسع المدرب الحساس ، والسنان الناتئتان شفتاها تعرف ضغط السنتين الناتئتين وابتسامة ترف حول ركنى فمها . شفتاها تتلامسان كانما هى تستطعم الدم الذى انبثق منهما مرة فى الليل قبل ان تولد ماجدة . الليالى القديمة العاصفة المتقلبة بالهوس الساطع فى الظلام حتى يهمد بهما عباب الامواج المتراكبة المليئة وبصلان الى المرسى) (١) .

ينبغى ان يلاحظ القارىء كيف يقدم ادوار الخراط الاب ـ العنصر الثالث ـ الى قصتنا . ان الاب مائل دائما فى اللوحة وان كان بتراجع الى مؤخرتها . نحن لا نلتقى به فى القصة مباشرة ولكننا نحسه قائما ـ على نحو ما ـ فى وعى الام والبنت بصورة دائمة . هذا الاب ـ وهو ميكانيكى سيارات ـ اصبح الان لا يعود كل ليلة الى بيته الامسطولا محمر العينين فى خفايا اركان جسمه رائحة تنقلب لها المعدة :

(الرجل يترك لها دنياها ، وحدها مع البنت ، ويمضى متوترا بالغضب ، والسترة الجلدية الداكنة تلف الظهر الوطيد وتحيط بالكوفية المعلقة حول العنق الركين .. ارض الطرقة تهتز تحت الخطوات القوية بالسخط والشباب والاستهتار . وكل يوم يصبح على هذا الحال : ولا يعود الا فى آخر الليل ، عيناه محمرتان ، والرائحة نفسها ، ليلة بعد ليلة ، تتشبث بملابسه بل بعضلات صدره وذراعيه ايضا ، وتحت الابطين وفى خفايا اركان الجسم . رائحة فيها حلاوة خافتة تكاد تنقلب لها المعدة ، تفوح من الفم بشفتيه الساخرتين المنفرجتين دائما عن الاسنان الحادة . واذ يعود فى النهاية يقر له قلبها مع ذلك ويرتاح من خوفه ويضطرب ايضا بالغيظ والحنق) ..

وهذه لقطة مما يرتسم فى وعى الام :

(وحنفيات مفتوحة وعمود كثيف من الماء ينصب ويصطدم بجدار سطل من الصفيح ، وينثال الماء ويترب من على جوانبه ، والخيشة تدفع السيل على بلاط الطرقة الى السلم . هذه نفيسة ام محمد تكد فى الكنس والمسح والطبيخ والتسوية والغسيل طول النهار ، وسلفتها نجيه متربعة جنب الراديو امام النباك طول النهار تسمع الاغانى المائعة ـ المقروصة فى جنبها ـ وتلعب بعقول الشبان فى الحارة من وراء ظهر زوجها ، عقربة ومستخبية

---

(١) يخيل الى ان فى هذه الفقرة شيئا من التكلف وربما العاطفية المفرطة ايضا .

يا خواتى . وبتخرب على الناس من تحت لتحت) ..

ان ادوار الخراط يحرص دائما على توجيه الاشعة الى ماجده نفسها فهى البؤرة التى تجتمع فيها كل العناصر ، ولذلك فهو لا يطيل فى اشاراته الى الام والاب والجيران ، وانما يعود بنا الى البنت وقد نزلت تعدو الى الحارة :

وهى تشب الان امام دكان السجاير تطاول الواجهة الزجاجية المتربة وترفع يدها بالقرش ، تعلقت عيناها بالمرجة الصغيرة الموقدة ابدا بلهب ضئيل احتاط عليه غلاف علبة بلمونت خمشت النار اطرافه فاسودت ، تنبعث له رائحة شياط خفيف مستمر . تسحرها دائما هذه الشعلة الضيقة المدخنة التى لا تنطفىء ليل نهار .

— ايوه يا شاطرة ساكته ليه ؟ عاوزه ايه يا ست الحسن والجمال انت ؟

كان قد اختطف منها القرش قبل إن تتكلم فافزعتها فجاءة حركته وضراوتها وخشيته ان ترجع عن عزمها

— مصاصة ..
— عينى حاضر ..

ان التصوير هو ابرز ما يميز ادوار الخراط ، انه اشبه بالرسامين الانطباعيين الذين ينقلون الى الرائى تاثيرات نفاذه . انه لا يلجأ الى التقرير الا فى اضيق الحدود . لقد اصبحت الصورة النامية عنده تقوم مقام التحليل المباشر ، واختفى وجه المفكر ليطل وجه الفنان الخالص .

انظر الى هذه اللوحة الحافلة :

(رات من باب الجامع شيوخا يروحون ويجيئون فى الطرقة المبلطة النظيفة يتحركون ببطء كانهم فى النوم ايضا رءوسهم عارية ويلبسون قباقيب وجلاليب بيضاء فى العتمة الخفيفة ويأخذون الماء فى كوز مندى من الزير المدور المركون جنب الباب « الله اكبر .. الله اكبر » . المئذنة ينزل معها صوت بعيد يشدو بدعاء طويل كانما لا امل فيه ، وفيه نشوة بالشكاه وراحة اليها ، ومعرفة خفية وزحمة المغرب فى الشارع الضيق اخذت تلمع فيها انوار مضطربة ، وضجيج مختلط من صلصلة اجراس العجلات وغناء البياعين وصيحات بائعى الزبادى البيتى وتنغيمات الشحاذ وهو يقطع الشارع من وسطه كانما الدنيا كلها ملك يديه وفى يده ولدين « بنفمة رفيعة ملحنة » عليك يارب .. عشانا عليك يارب .. الاجر والثواب عند الله يا محسنين)

ان الحلم واليقظة يندمجان فى هذه اللوحة اندماجا قويا . فعلى المستوى الواقعى يمكن تفسير هذا المشهد بانه ارتسام لما تراه ماجده فعلا فى جولتها بالحارة ، وهى تتلذذ بالمصاصة فى فمها . ولكن هناك اكثر من دليل على ان الكاتب يقوم هنا بعملية ارتداد الى الماضى ، فهذا الذى يقوله الان يمكن ان يكون رؤى ماجده فى المنام ليلة الامس مثلا . ان الحواجز تزول فى خيالات الاطفال :

(انها ميتة وتسمع فى الظلام فى موتها وشوشة وهمسا حارا واصواتا فيها لذة كأن احدا يستقطر بين شفتيه حلاوة مصاصة . هى ميتة ميتة وتضغط على عينيها حتى لا تنفتحا فان الميتين يكونون عادة مغمضى العيون لايتحركون ابدا متخشبين . وفى موتها المضطرب المغلق العينين تسمع شكوى طويلة « الله اكبر .. الله اكبر » .

ـ يوه هو انت يا بت اللى عليك اسمه قرش . خلاص علقت . طيب يا قرشانة انت طيب. روحى يا لله. قدامك على رخامة البوريه فيه قرش اهو تحت المفرش اهه يا بت . خديه يا ختى انجرى على تحت امال .. ما انا عارفة .. بس اوعى تعوقى .. خلى بالك من السكة) .

وهكذا تفلح ماجدة ـ فهذا اسم البنت ـ فى الحصول على القرش من امها ، والحنان يقوم فى نفس الام ازاء هذا الكائن الصغير الذى انفصل عن احشائها ، والذى ترى فى وجهه ملامح من زوجها :

(فى قلبها موجة خفيفة الاهتزاز من الحنان نحو هذه الحتة الصغيرة من احشائها . هذه الجذاذة الحية منها .. وجدها الان ، مستقلة بحياتها الخاصة وان كانت من كبدها ورحمها ، ثم هى صورة غريبة اخرى من ابيها ، فولة وانقسمت فلقتين . الفم الواسع المدرب الحساس ، والسنان الناتئتان شفتاها تعرف ضغط السنتين النابتتين وابتسامة ترف حول ركنى فمها . شفتاها تتلامسان كانما هى تستطعم الدم الذى انبثق منهما مرة فى الليل قبل ان تولد ماجدة . الليالى القديمة العاصفة المتقلبة بالهوس الساطع فى الظلام حتى يهمد بهما عباب الامواج المتراكبة المليئة وبصلان الى المرسى) (١) .

ينبغى ان يلاحظ القارىء كيف يقدم ادوار الخراط الاب ـ العنصر الثالث ـ الى قصتنا . ان الاب ماثل دائما فى اللوحة وان كان بتراجع الى مؤخرتها . نحن لا نلتقى به فى القصة مباشرة ولكننا نحسه قائما ـ على نحو ما ـ فى وعى الام والبنت بصورة دائمة . هذا الاب ـ وهو ميكانيكى سيارات ـ اصبح الان لا يعود كل ليلة الى بيته الامسطولا محمر العينين فى خفايا اركان جسمه رائحة تنقلب لها المعدة :

(الرجل يترك لها دنياها ، وحدها مع البنت ، ويمضى متوترا بالغضب ، والسترة الجلدية الداكنة تلف الظهر الوطيد وتحيط بالكوفية المعلقة حول العنق الركين .. ارض الطرقة تهتز تحت الخطوات القوية بالسخط والشباب والاستهتار . وكل يوم يصبح على هذا الحال ؛ ولا يعود الا فى آخر الليل ، عيناه محمرتان ، والرائحة نفسها ، ليلة بعد ليلة ، تتشبث بملابسه بل بعضلات صدره وذراعيه ايضا ، وتحت الابطين وفى خفايا اركان الجسم . رائحة فيها حلاوة خافتة تكاد تنقلب لها المعدة ، تفوح من الفم بشفتيه الساخرتين المنفرجتين دائما عن الاسنان الحادة . واذ يعود فى النهاية يقر له قلبها مع ذلك ويرتاح من خوفه ويضطرب ايضا بالغيظ والحنق) ..

وهذه لقطة مما يرتسم فى وعى الام :

(وحنفيات مفتوحة وعمود كثيف من الماء ينصب ويصطدم بجدار سطل من الصفيح ، وبنشال الماء ويترب من على جوانبه ، والخيشة تدفع السيل على بلاط الطرقة الى السلم . هذه نفيسة ام محمد تكد فى الكنس والمسح والطبيخ والتسوية والغسيل طول النهار ، وسلفتها نجيه متربعة جنب الراديو امام النباك طول النهار تسمع الاغانى المائعة ـ المقروصة فى جنبها ـ وتاهب بعقول الشبان فى الحارة من وراء ظهر زوجها ، عقربة ومستخبة

(١) يخيل الى ان فى هذه الفقرة شيئا من التكلف وربما العاطفية المفرطة ايضا .

يا خواتى . وبتخرب على الناس من تحت لتحت) ..

ان ادوار الخراط يحرص دائما على توجيه الاشعة الى ماجده نفسها فهى البؤرة التى تجتمع فيها كل العناصر ، ولذلك فهو لا يطيل فى اشاراته الى الام والاب والجيران ، وانما يعود بنا الى البنت وقد نزلت تعدو الى الحارة :

وهى تشب الان امام دكان السجاير تطاول الواجهة الزجاجية المتربة وترفع يدها بالقرش ، تعلقت عيناها بالمرجة الصغيرة الموقدة ابدا بلهب ضئيل احتاط عليه غلاف علبة بلمونت خمشت النار اطرافه فاسودت ، تنبعث له رائحة شياط خفيف مستمر . تسحرها دائما هذه الشعلة الضيقة المدخنة التى لا تنطفىء ليل نهار .

— ايوه يا شاطرة ساكته ليه ؟ عاوزه ايه يا ست الحسن والجمال انت ؟

كان قد اختطف منها القرش قبل إن تتكلم فافزعتها فجاءة حركته وضراوتها وخشيته ان ترجع عن عزمها

— مصاصة ..
— عينى حاضر ..

ان التصوير هو ابرز ما يميز ادوار الخراط ، انه اشبه بالرسامين الانطباعيين الذين ينقلون الى الرائى تأثيرات نفاذه . انه لا يلجأ الى التقرير الا فى اضيق الحدود . لقد اصبحت الصورة النامية عنده تقوم مقام التحليل المباشر ، واختفى وجه المفكر ليطل وجه الفنان الخالص .

انظر الى هذه اللوحة الحافلة :

(رات من باب الجامع شيوخا يروحون ويجيئون فى الطرقة المبلطة النظيفة يتحركون ببطء كأنهم فى النوم ايضا رءوسهم عارية ويلبسون قباقيب وجلاليب بيضاء فى العتمة الخفيفة ويأخذون الماء فى كوز مندى من الزير المدور المركون جنب الباب « الله اكبر .. الله اكبر » . المئذنة ينزل معها صوت بعيد يشدو بدعاء طويل كأنما لا امل فيه ، وفيه نشوة بالشكاه وراحة اليها ، ومعرفة خفية وزحمة المغرب فى الشارع الضيق اخذت تلمع فيها انوار مضطربة ، وضجيج مختلط من صلصلة اجراس العجلات وغناء البياعين وصيحات بائعى الزبادى البيتى وتنفيمات الشحاذ وهو يقطع الشارع من وسطه كأنما الدنيا كلها ملك يديه وفى يده ولدين « بنفمة رفيعة ملحنة » عليك يارب .. عشانا عليك يارب .. الاجر والثواب عند الله يا محسنين)

ان الحلم واليقظة يندمجان فى هذه اللوحة اندماجا قويا . فعلى المستوى الواقعى يمكن تفسير هذا المشهد بانه ارتسام لما تراه ماجده فعلا فى جولتها بالحارة ، وهى تتلذذ بالمصاصة فى فمها . ولكن هناك اكثر من دليل على ان الكاتب يقوم هنا بعملية ارتداد الى الماضى ، فهذا الذى يقوله الان يمكن ان يكون رؤى ماجده فى المنام ليلة الامس مثلا . ان الحواجز تزول فى خيالات الاطفال :

(انها ميتة وتسمع فى الظلام فى موتها وشوشة وهمسا حارا واصواتا فيها لذة كأن احدا يستقطر بين شفتيه حلاوة مصاصة . هى ميتة ميتة وتضغط على عينيها حتى لا تنفتحا فان الميتين يكونون عادة مغمضى العيون لا يتحركون ابدا متخشبين . وفى موتها المضطرب المغلق العينين تسمع شكوى طويلة « الله اكبر .. الله اكبر » .

هل يجدونها فى الصبح ميتة ؟ وتولول امها وتدق خدودها وتملا الدنيا بالصريخ ؟ سيجدونها ميتة فى الصباح والشيوخ البيض الجلاليب سيصبون الماء الدافىء من الزير على جسمها العارى بالكوز . ماء ساخنا على جسمها العارى الممدد على البلاط فى طرقة الجامع والهواء تحته بارد على جلدها المكشوف يهب عليها من الباب)

ان ادوار الخراط يرتاد هنا جانبا دفينا من عالم الطفولة . لقد اعتاد الكتاب والفنانون التغنى بمباهج الطفولة وبراءتها وجمالها ولكن ادوار الخراط هنا يتوغل فى احراش عقد الطفل ومخاوفه والامه . ترى كيف تصبح ماجده هذه حين تكبر ؟. ولكن من هذا الطفل الجديد ؟.

ـ مادا .. بت يا مادا .. مصاصة انا تمان . عاوز مصاصة

التفتت الى الشىء الصغير الذى يتوثب جنبها ويشد يدها المدفوعه الى فمها بالمصاصة . وعلى وجهه الملطخ بالتراب خيوط نظيفة من دموع مازالت تتقطر من غير صوت :

ـ يوه مالك يا ولد يا محمد ؟
ـ نديه ، خالتى نديه ضربتنى

يحكى عن حدث مضى ، بسببه الى الاختفاء منذ الان . تأملته فى غير عطف . دون قرابة . دائما تضربه نجيه زوجة خاله وتطرده لانه يلعب فى الراديو ويتحشر فى الشباك ويعطل عليها وتنقلب الدنيا بينها وبين امه تفيسة وتثور عركة ترتفع لرب السماء لكن الدموع تتسلسل من عينيه دون بكاء ومازال يشهق بانتظام

هذا الولد الصغير الباكى ، كيف يكون موقف ماجده منه ؟

القت ماجده بذراعها على كتفه الصغيرة الواطئة تحس نفسها قوية عالية . وتحسه يحتمى بها . عظامه الرقيقة فى الجلباب الفضفاضة تهتز ما زالت من شهيق البكاء ، يستند اليها كأنه خرق طرية لا تعرف الرفض وهو يتطلع الى ما فى يديها من حلاوة تعوضه عن غضبه العالم وضجيجه . وانفتح فى نفسها عمود منصب مندفع من ماء الحنان يفيض على الوجه الذى يرتفع اليها وضيئا بالثقة . فأعطته المصاصة منداة بعد من ريقها كما تعطيه جزءا من نفسها) .

وهنا تبدأ مأساة ماجده الحقة : فقد اختطف الولد العاق المصاصة منها ، وما ان اطمأن الى انها اصبحت ملكه حتى فر منها هاربا وفى اعتقاده انه ضحك عليها :

(ثم اذا هى فجاة وحيدة . الحائط الذى كانت تستند اليه بعيد عنها وما حولها فراغ . وادركت دفعة واحدة . احست لحظة واحدة قبل ان ترى بعينها ان الولد قد ذهب . انه تسلل من جانبها . ان ذراعها لم تعد ترتكز على هيكله المشدود . انه لم يعد محتاجا اليها . ان احدا لم يعد محتاجا اليها . ثم التقطته عيناها دون بحث كانما كانتا تعرفان لوحدهما الاتجاه الذى انسل فيه الولد دون ان ترياه يجرى بخطواته القصيرة المتلاحقة وسط الحارة بين زحمة الناس المتدافعين وجلبابه الابيض الطويل تتعثر فيه قدماه الحافيتان المتداخلتان وهو يتخايل مبتعدا بين العتمة والانوار) .

ولكى يستجمع الفنان خيوط الحدث كله نرى الام فى هذه اللحظة :

(وامها مائلة على حاجز الشرفة . قلبها مشدود من هذه الصدمة

الصغيرة المضحكة التى اصابت البنت خطف الولد منها مصاصتها وجرى . مضحكة هذه الحكاية . لكنها تعرف ان هذه القطعة الصغيرة من نفسها واقفة هناك بجمود فى الشارع انما ترتعش الان بما ينبض به قلب واحد ممدود داخل الاجيال جميعا وعبر الناس جميعا . اطرافه مشدودة حتى اخر فتائلها مفروز على مسامير مفتوح فى الهواء ترتعد شرايينه العارية الرقيقة بالدم الساخن تخبطه صدمات لا تنتهى ويظل يرجف حيا)

وهكذا يصل بنا الفنان الى لحظة التنوير فى القصة ، حيث تتشكل رؤياه المأساوية الكاملة : انها مأساة العطاء الذى يرفضه العالم الخارجى ان الام التى كانت تبدو قاسية فى مطلع القصة تندغم الان مع ابنتها بحيث يصبحان شخصا واحدا . ان توق الام الى الولد (١) يفدو توق البنت الى العطاء ، اذ ليس فى مقدور احد غير الام ان يفهم حبوط الابنة . لقد مرت الام بنفس التجربة مع زوجها . ان الزوج يندغم مع محمد ويلعب مع زوجته نفس الدور الخسيس الذى لعبه محمد مع ماجده . كلا الرجلين انثى لا يهمه فى سبيل الحصول على لذته ان يطأ قيمة العطاء — وهو الشىء الوحيد الجميل فى هذا الجو المملوء سوقية وابتذالا . ان الظلام يخيم على الحارة فى نهاية القصة بعدما انطفأت ذبالة العطاء . ورغم ذلك تظل ماجده محتفظة بكل كبرياء البطل المأساوى المهزوم :

(لكن البنت الصغيرة لا تحتاج الى احد ولا الى شىء . وجهها الصبيانى فيه كبرياؤه . وهى واقفة فى الشارع بعيدة . سوف تعود لامها بعد قليل وسوف تجد عروستها . وابوها سوف يرجع اخر الليل ويعطيها فى الصباح قرشا وعملة صغيرة اخرى من الحب ، لكنها ليست بحاجة الى شىء وهى عندما تنظر الى اخر الشارع ليس فى وجهها نضوج ، ليست فيه خبرة ، وليست فيه نعمة النضارة ونعومة الطفولة . ولكنه ليس متوترا بل فيه فراغ . شاحب قليلا ابيض فى العتمة ، تحت شعرها الاسود الكثيف المسرح . وجه أمسح خاو جامد ليس فيه دموع)

ويبقى سؤال — مادور الجامع فى القصة ؟

ان الجامع هنا يطل بمئذنته العالية على الحارة مثلما تطل السماء على الارض . انه رمز لهذه السماء المحايدة التى لاتلقى بالا الى مآسى البشر . ان الناس يدبون (تحت الجامع) ولا احد يرعاهم فى هذا الكون ولو غير ادوار الخراط عنوان قصته الى (دنيا الله) مثلا لما حدث شىء . أن الرؤيا المأساوية متوافرة عند نجيب محفوظ وادوار الخراط بشكل لانظير له فى ادبنا القصصى الحديث .

ماهر شفيق فريد

* * *

(١) (لكن ثم جانبا رخيا موطا الجناح فى دخيلة نفسها : فيه رضى وامن ونعمة . هنالك فى ركن منها ، صحيح ، توق غامض وامنية خفية . لو خلف الله عليها بولد .. ! وخيبة صغيرة لان ما جاءت به بطنها بنت مكسورة الجناح . لكنها بنتها وحبيبتها واغلى من الدنيا عندها . ولسانها مع ذلك يلهج بميلة البخت .. كانها تصد العين . كانها تعويذة تقولها بطرف اللسان حتى تدارى قوة شريرة تتربص بها بآذان منشوقة تتسمع وترهف السمع تنتظر لحظة الانقضاض لتخلف ما بقى فى يديها) .

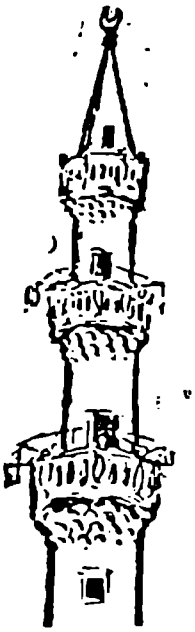

الفنان ناقداً أيضاً ..

بقلم ادوارد الخياط

« ومما له مغـــزى انه فى الوقت الذى نال فيه كتابنا الكبار نفـــوذا واسعا وطابعا تقليديا اختفت مقالات النقد القصيرة التى كانت بمثـــابة العامل التى تجرى فيها اكبر تجارب القرن جراة » !

ستفن سبندر

الادب ــ اغسطس ، سبتمبر ١٩٥٨

مما يجرى به العرف الشـــائع بيننا ان الفنان ــ كاتبا او غير ذلك ــ ينفض يده من عمله حالما يفرغ منه ، واذا به ــ عمله اقصد ــ يصبح ملكا خالصا للجمهور . والنقاد ، فى مقدمة هذا الجمهور ، يفسرونه عندئذ ويرون فيه رايهم ، يكشفون عن خفايات ولا بأس من ان يرشدوا الفنان ــ احيانا ــ الى ما خفى عنه فيـــه من اسرار . وصورة الفنان هنا ، كما يرسمها هذا العرف الشائع ، اقرب الى صـــورة الطفل البارع يتلقى السر وينقـــله ، ثم لا شان له بعد ذلك وللكبار الراشدين ان يقيموا عمله وينصبوا الموازين ، ويجرى مثل هذا التصور عـــلى ان يمتنع الفنان ، من ثمة ، عن ان يتقدم للناس بشرح او تفسير او عـــرض لعمله ، بله ان ينقده ، فالشـــائع ان الفنان ان فعل انما يحكم على نفسه بالفشل ، كانه قد اعترف ان رسالته لم تصل عن طريق الفن وحـــده . وليس من ملامح الفنان ــ كما يجرى به العرف ــ ان يبدو للناس فى صورة المفكر يتناول عمله على غير المستوى الفنى الموسيقى البحت ــ ان صح التعبير ــ وليس من شـــانه اذن ان يضع القاعدة العقلية لعمله او ان يخطط لمنهجه الفكرى فى خارج نطاق العمل الفنى ، ثمة طلاق بائن بين « الفن » و « الفكر » فى هذا التصور ، بل ان هناك من اصحاب هذا الفهم للامور من يشرح للفنان عمله ، ويضـــع له يده على قصده منه ، ان كان لا يدرى ومنهم من ينكرون عليه الكلام فى نقد عمله او تفســـيره ويؤنبه ان فعل ، وبعنفه احيانا .

واغلب كتابنا يقعون تحت سيطرة هذا العرف الشائع ، ويســـلمون له ذتونهم ، ومنهم بالطبع من يستنيمون له ، ويرتاحون الى ما يصـــاحبه من كسل وخمول عقلى ، فهم بازاء النقد احد اثنين : رجل ترتسم على وجهه ابتســـامة شاكرة محرجة ، يفيض امتنانا ، كالعريس فى الزفة ، او رجل جريح يدارى غضبه واستياءه او يجهر بهما ، على مقتضى خلقه ومزاجه . وما اندر من يرى فى النقد ، كمـــا

ينبغي له ان يرى فيه ، محاولة للتفكير والتحليل لابد من مقابلتهما بمقارنة عقلية على اساس من المنهج والاتجاه الفكرى ، او طرفا من حوار ليس فى وجهها نضوج ، ليست فيه الفنى المغلق على ذاته ، بل طرفه الاخر هو الفنان كله ، منشئا ومفكرة وانسانا وفردا مسئولا عن فرديته فى مجتمع انسانى متكامل .

هل يحق لنا ان نجد فى هذه الظاهرة كلها — ظاهرة الفصل بين « الفنان » و « المفكر » عندنا — وجها من اوجه الفجوة التى نحس بها فى معظم الاعمال « الفنية » التى بين ايدينا ونصول نسيجها الفكرى ورثاثته؟ هل نلمس فى ذلك سببا — اونتيجة — لهذا القصور الواضح للمحتوى الفكرى والفلسفى فى معظم الكتابات القصصية التى تطلع بها علينا المجلات والمجموعات ؟

لست اظننى — بداءة ذى بدء — بحاجة الى ان اسوق الامثلة ، من كتاب الغرب وشعرائه ، لاولئك الفنانين الذين يتصدون لشرح كتاباتهم وتقويمها على المستوى الفكرى وبيان مناهجهم العقلية واتجاهاتهم الفلسفية . بل لست اظننى بحاجة الى الرجوع الى تراثنا العربى القديم والتنقيب فيه عن الاحكام النقدية القاطعة احيانا ، واللاذعة ، يطلقها كتابنا وشعراؤنا القدامى ، تقويما لاعمالهم واعمال غيرهم .

وانا استميح المعذرة اذ اسوق هذه الخواطر التى اوحت الى بها قراءة مقال نقدى للاستاذ ماهر شفيق فريد عن قصتى « تحت الجامع » ؛ فقد احببت ان ازعم ان للكاتب — ايضا وربما فى المحل الاول — حقا فى ان يناقش النقد الذى ينصب على عمله ، لا مجرد ان يشكر للناقد سعيه او يميل له السخط فى حالى المدح والقدح كيفما جاءت الامور .

ولكننى احب — قبل ذلك — ان اشير الى راى الناقد نفسه فى مقاله ذلك ان الاستاذ ماهر شفيق فريد لم يخف عنى ، فى معرض الكلام عن هذا المقال ، انه غير راض كل الرضا عن منهجه النقدى ، وان هذا المنهج هنا مضطرب على نحو واضح ، يتراوح بين التشريح الاسلوبى واللفظى من ناحية ، والعرض الوصفى ، والتعليق والتفسير ، وكانما الناقد احب ان ياخذ من كل منهج بطرف ، وكانما راى بعد ذلك ان هذا الاسلوب قد انتهى به الى اهتزاز ملموس فى المقال كله وانا اذ اسلم للناقد بذلك لست استطيع ان امنع نفسى عن احساس مخامر مغالب ، لا بالشكر والعرفان ، بل بالمحبة ازاء هذه المحبة التى يكنها الناقد لعملى ، وبالتقدير ازاء التقدير الذى ماينى الناقد يبديه ، فى اكثر من مجال ، لما كتبت وما اكتب .

فاذا كان لى بعد ذلك ان اتناول هذه القصة القصيرة بحديثى هنا ، فقد احببت اخيرا ان اقرر — والكلمة هى الكلمة المقصودة بالفعل « اقرر » ان الفكرة التى نبعت عنها القصة فى نفسى ذات يوم هى فكرة علاقة القربى الرثيثة بين الحرمان الذى يعانيه الطفل ، فى غضوضة الحياة المنبثقة الجديدة الطرية ، والحرمان الذى يواجهه الكائن الانسانى الراشد البالغ الذى تمرس بالالام المحتومة ، الما بعد الم ، خلال ايام وشهور وسنوات لابد ان تاتى ومعها حصيلتها التى لا تنفد من حبوط الامل ، وصدمة الفقدان ، وتكسر الاحلام . هذه العلاقة بين الطفل والراشد ، امام صدمة الحرمان ، تنبنى بعد ذلك على تقارب اخر او تناغم اخر ، ان احببت ، بين البراءة الاصيلة التى ياتى بها الطفل الى الواقع اذ ينظر ، فيما يشبه المسلمة البديهية او اليقين الاولى ان تكون لرغباته وامانيه واحلامه قوة

ذاتية خاصة كفيلة بان تحقق لهـا ذاتها ، فالطفل يقبل على الحياة وفى يقينه ، بلا مناقشة ، ان رغباته الدفينة العميقـة لابد ان تتحقق ، لابد ان يستجيب لها العالم الخارجى ، لابد أن يأتيه الشبع المشبع بمجـرد ان يصرخ طلبا له ، ولابد ان تمتد اليـه يد المحبة بمجرد ان يبتسم لها ، ولابد ان يرتخى التوتر وتزول الشـدة وينتهى الانقبـاض المؤلم الى الراحة والنعمة . لكن الطفل يتعلم على يد انواقع القاسى ان مطالبه الداخليـة ليست لها قوة القانون النافذ ولاطاقة التحقيق التلقائى ، وهو ينضج ، شيئا فشيئا ، على نار الحرمان والصدمات والتأقلم والتلاؤم والتاجيل والمقاومة والقبول ، نار هى مرة هادئة خافتة ، ومرة لاسعة كاوية وان كانت دائمـا لافحة مؤلمة ، حتى اذا انضـجته الخبرات واصبح الطفل راشدا فانه يظل ـ نحن جميعا نظل ـ نحتفظ بشىء كانه هذه البراءة البدائية التى اتينا بها الى الحياة ، شىء سـاذج ولكنه متاصل لا يعنو امام حـكم الواقع ، شىء مسيطر عنيد لايعرف ابدا ماهو العقل والتنازل والقبول ، ويظل دائما ملحاحا ، متطلبا ، جدلا لا يستسلم مهما حاولنا ونحاول تقليم اظافره وترويض انيابه .

ومن هذه العلاقة بين البراءة الاولى الخام التى تتصف بها مطالب الطفل ونزعاته ، والبراءة البدائية العنيدة المقاتلة التى تظل كامنة فى اعماق الكائن الانسانى ـ مهما حمشت اطرافه نار الصدمات ـ ومن الحرمان والصدمات التى تخبط هذه البراءة فى كل من نسقيها الاثنين : من هـذا التقابل والازدواج : ومن نمو احد النسقين عن الاخر : من ذلك كله اردت ان اقيم التكوين الموسيقى ، او الهندسى ان احببت ـ فاحدهما حميم الى الاخر بقصتى .

و «البراءة» هنا كلمة لااستخدمها بالمعنى الملائكى الذى اعتـدنا أن نستخدمها به ، وانمـا اعنى بهـا الخلوص من الشوائب ، والنقاء من كل اختلاط ، وحال الشىء على اطلاقه وصفائه ، وبقاء جوهره الاصيل . هى ليست هنا كلمة عاطفية بل هى معنى وجودى .

وكنت قد احببت للناقد ان يضع يده على هيكل هذا البنيان فى القصة ولكنه اقترب منه اقترابا كاد يمس حافته ولكنه لم يخترقها ـ فيمـا اخشى ـ عندما قال ان المؤلف ... « يرتاد هنـا جانبا دفينا من عالم الطفولة . لقد اعتاد الكتاب والفنانون التغنى بمباهج الطفـولة وبراءتهـا وجمالها ، ولكن « المؤلف » هنا يتوغل فى أحراش عقد الطفـل ومخاوفه والامه » .

ولكن الناقد مع ذلك قد استشرف ببصيرته الدقيقة ان رؤيا القصة هى « رؤيا مأساوية كاملة : مأساة العطاء الذى يرفضه العالم الخارجى ـ ان الام .. تندغم الان مع ابنتها بحيث يصبحان ! شخصا واحدا » . والزوج يندغم مع « الولد الصغير » محمد »

ولكننى مع ذلك لست استطيع ان اسلم للناقد بان هناك « اندغاما » بين اطراف القصة ، وانما كنت ازعم ، فى بناء القصة ، ان ثمة تقابلات ، على اكثر من مستوى ، بين الاطراف التى تلعب ادوارها ، بل كنت زاعم ان بنيان القصة قائم كله على هذه التقـابلات وحدها ، وكنت ازعم ان هذه التقابلات فيها اكثر من تنويع على النغم ، متعدد الالحـان والالوان . وكنت احب ان يستكشف الناقد ، لنفسه وللقارىء ولى ايضا ، انغام هـذه التقابلات وعلاقاتها المتقـاربة المتطاردة معا . ومازلت ازعم ان هذا المنهج النقدى

ـ منهج استكشاف العلاقات الداخلية العضوية فى داخل العمل الفنى ـ هو من اقدر المناهج على المعاونة فى ترشف مياه العمل الفنى ، وتذوق طعمه الحميم ، واضاءة حناياه الخفية

. . .

ومن هذه المزاوجات المتعددة الالحان نغمات لعلها فرعية وان كانت تسهم فى بناء العمل كله . واحب ان اشير الى احداها ـ فان الناقد قد ذكرها ـ عرضا ـ فى خلال عرضه الوصفى للقصة . ففى وعى الام تنثال الصور تبتعثها البنت الهاربة وفى يدها كنزها ـ القرش ـ حتى تصل الى صورة « الليالى القديمة العاصفة المتقلبة بالهوس الساطع فى الظلام « قبل ان تولد ماجدة » حتى يهمد بهما عباب الامواج المتراكبة المليئة . ويصلان الى المرسى »

وواضح هنا ان الصورة هى صورة اللقاء الجنسى التى تتردد تنويعاتها فى القصة اكثر من مرة ، فى تقابلات وازدواجات متعددة . وقد «خيل» للناقد على حد تعبيره ، ان « فى هذه الفقرة شيئا من التكلف وربما العاطفية المفرغة ايضا » ولست اجادل الان فى هذا الانطباع الذى تركته الفقرة عند الناقد ، فربما كان صحيحا ايضا ـ من يدرى ؟. ولكنى كنت احب منه ان يربط هذه النغمة ـ نغمة العباب المتراكب المليء ـ بنغمة اخرى قريبة البها حيث ترد فى وعى البنت عندما ترى والشيوخ البيض الجلاليب يصبون الماء الدافىء من الزير على جسمها العارى ، بالكوز . ماء ساخنا على جسمها العارى الممدود على البلاط فى طرقة الجامع ، والهواء تحسه باردا على جلدها المكشوف يهب عليها من الماء »

وكنت ازعم ان ثم تقاربا حميما بين «الاب» و «الشيخ ذى الجلباب الابيض » وقد حولته الرؤيا ـ كعادتها الى نسخ متعددة لشيء واحد ، كما يحدث فى الاحلام والرؤى ، وان ثم تقابلا بين هدوء المرسى تصل اليه الام وتمدد البنت على البلاط ، وفى كليهما فى النهاية ، ايحاء باللقاء العضوى الحميم .

على ان هناك ، الى ذلك ، وجوها اخرى كثيرة للتقارب النغمى بين الاب والشيوخ ومئذنة الجامع الطويلة القائمة ـ واعمدة السرير المنتصبة فى الظلام .. الى اخر ما هناك . وانا ازعم ان هذه الحيل الحرفية هى ليست العمل الفنى لانها ـ ان كانت مرفقة الالهام ـ تتجاوز حد الضعة انى سطوع الرؤيا الفنية . والفنان اذ يتأمل عمله ، فى اثناء الخلق وبعد ان ينتهى منه على السواء ، خليق بان يجد فى هذه المادة كثافة او ضحولة ، واستبصارا بالموضوع او زيغا عنه ، وانفتاحا للبصر او غفلة عن الرؤية حسب الاحوال . فانني مازلت ازعم ـ واعود بذلك الى نغمة الخواطر التى افتتحت بها هذا التعليق السريع ـ ان الفنان هو ، فى المحل الاول ، الناقد الاول لعمله ، وانه اذ ينسج خيوط عمله ، فى حرارة الالهام والخلق الاولى انما يقوم فى الوقت نفسه ، عن عمد او عن غير عمد ، بارادته او رغما عنه بعملية تصفية مستمرة ، وغربلة دائمة ينخل مادته ويمحصها ويزنها باستمرار ، او ينفض « الزواق من الحنطة » كما يجرى التعبير الانجيلى وينحى عنها الفضول والحشو لكى تبقى فى يده المادة الكثيفة وحدها .

وعلى مدى توفيق الفنان فى هذه العملية النقدية ـ وهى هى عملية الخلق نفسها ـ وعلى مدى بصره بها وعلى مدى صدق الهامه ، يتوقف نجاح العمل الفنى فى يديه .

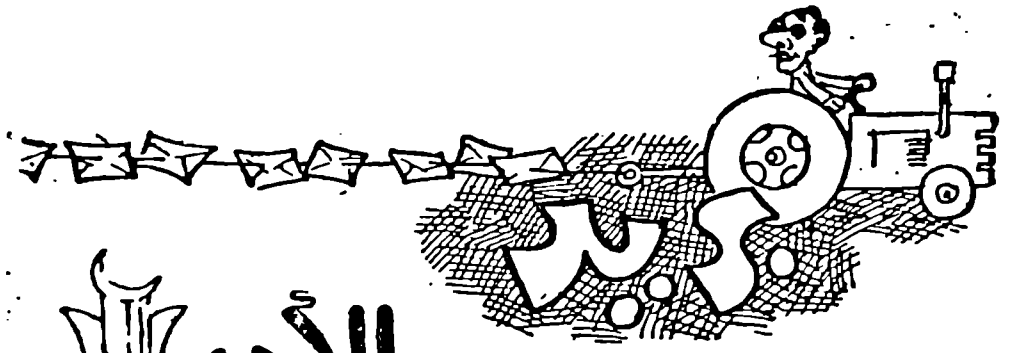

تقويم و تدريب

هذه الابوة

تدفع الى الكتابة عنها فى مفتتح هذا البريد رسالة من شاب جامعى مدرس يقـــول فى ختامها لرئيس التحرير :

« .. فهل تقبل ان اكون تلميذا من تلاميذك . . وهل تقبل خطاباتى التى ارسلها لك من الان فصاعـــدا تباعا .. لانى اريد أن تعيننى على ان أجد نفسى ، وأتأكد من انى لا اسير وراء سراب خادع » .

واقول للسيد ــ وفقـــه الله ــ ماعالنت به « الادب » بعد اجازتهـا هذا العام حين اشارت الى جوانب من اهدافها الواضحة ؛ اذ عدت منها أول ماعدت « ابوة النشء » وكانت ــ فيما يؤمن به كل امين ذى صـــلة بها ــ صادقة الوعد ، اكيدة العـــزم على ما قالت .. لاتتكثر به ولاترسله عفوا ، ولا ناقلة من القول ، يلفت بها معلن وبثير الانتباه ليجلب الزبائن ؛ ويكسب العملاء !

واذ اذكر الجلب والكسب فدعنى ايها الشاب اقول لك ولاخـــوانك وجيلك كافة ، بل للاجيال الخالفـة جميعا :

ان « الادب » تتـــأدب فى فهم رسالتها وادائها بما ادب الله به القادة اصحاب الرسالات جميعها فيما تكرر من قوله :

قل ما اسالكم عليه من اجر . . وما انا من المتكلفين

واذا كانت الفلسفة الخلقيـــة فى مثاليتها تدرك ان الفضيلة لا تبتغى على الخير اجرا ، وان مثلها كمثـــل الارض الخصبة تعطى خيرها دون ان تنتظر عليه جزاء ولا شـــكورا ، فان هذا الهدى القرآنى يقرر هذا واقعا ويكلف به عملا ، ويروض عليـــه من حملهم الامانة ، وكلفهم الرسالة .

على ان هذه الابوة ــ ايها الابناء ــ لاتزال فى فطرتها السليمة تجـــد جزائها فى سعادتها ، وتخلص لبنيهـا

ذلك الاخلاص الذى يجعلها تريد ان يكون ابناؤها خيرا منها ، وتقدم لهم من نفسها ذلك الخادم الذى لاتشوب اخلاصه شائبة ، ولا يمس ولاءه دخل او فتور وعن شعور واع بهذه الحقائق حدثت « الادب » وتحدث عن هذه الابوة وتعقد العزم الاكيد على ان تكون دائما ابدا تلك الابوة السليمة الفطرة الخالصة الجوهر .. فاكتب يا سيدى كل ما تشاء لجميع من تشاء هنا .. وثق ان الدنيا بخير .. وان مطامح الفلسفة ليست احلاما ، ورياضة القرآن ليست بعيدة التحقق ، بل لولا صدقها وثباتها لما ظفرت الانسانية من القادة الرسل بما ظفرت به من مثل حية ، وتجارب واقعية .

فتخلص ياصاحب الرسالة ، انت وامثالك مما تشعر به من الضياع وعدم التركيز ، وتوزع المجهود ، وتقدم جريئا بلا خشية ولا خوف ولا شك فى هدفك رغم دراستك المنظمة .

وما اسعد هذه الابوة بان تمسك بيد شبابك المتفتح ، الذى يتحرق شوقا ، وان تقودك الى حيث تجد نفسك ، وتبعد عن ذلك التشتت والضياع .

واذا كانت « الادب » كما هى سنة الصحافة لاتجد الفرصة المواتية للمكاتبة الشخصية فانها فى مثل ما وصفت من حالتك هذه ستحاول ما استطاعت ان تخلق تلك الفرصة لما لا يتسع له باب البريد من رد او مشورة او معونة ان شاء الله .

- ٢ -

وحديث « الادب » عن هذه الابوة يزيدها استعدادا لسعة الصدر واحتمالا لعبث هؤلاء الابناء بمثل قول احدهم :

« عن تقصير « الادب » فى حق الناشىء ، وقصورها « كذا » على عدد من الاسماء لا تتعدى ذلك ولاتتخطاه »

لتقول لصاحب هذا التجنى : ان الواقع الشاهد ، فى باب البريد — على الاقل — ينفى هذه التهمة ، ويبرئها منها ، فقد قومت خلال هذه السنوات الطويلة لمئات من الشبان .. ونشرت لعديد منهم ، وكانت فى كل ذلك تصدر عن قاعدتها المقررة ، فى معرفة القائل بقوله ، لا باسمه ولا وصفه ولا شخصه ، وتكررت الشواهد على ذلك تكرارا لامجال معه لاعادة ذكر هذه الامثلة الشاهدة ، على مابتوثق بينها وبين بعض الشبان من الصلة ، دون ان تعرف شيئا عن اشخاصهم ، بل دون ان تعرف عناوينهم .

ولعل السبب فيما يتوهمه هذا المتجنى هو تفريقها بين القصور ، الذى ورد فى عبارته وهو عدم القدرة والعصر الذى يريده وهو التخصيص والاقتصار ، فبهذا ومثله من وضوح الشخصية ، وجلاء الفكرة ، وسلامة العبارة وصلاحية النتاج تعرف « الادب » من تنشر له ، ومن تهمله وليس فى ذلك اقتصار على احد دون احد ولا ايثار لاحد دون احد ، الا الاحاد الذين لا تدخلهم اقلامهم الميدان .. وليس فى هذا تقصير من « الادب » فى حق الناشىء ، بل هو اخلاص له ، وصدق نصيحة . ومعه ما يجب ان يكون من سعة صدر ، وصبر على مثل هذا التجنى والمسامح كريم .

- ٣ -

وفى هذه المناسبة تشير « الادب » ايضا الى مالا ينبغى ان يخفى على فطنة الشباب حين يقول ويكرر ارسلت كذا وكذا ومضى عليه من الزمن كيت وكيت ، ولم ينشر منه شيء ، ولم يشر اليه فى تقويم . . فقد بينت « الادب » قبل الآن غير مرة انها تضع الرسائل فى دورها وعلى ترتيبها وانها تبلغ من الكثرة حدا لاتفى به الاعداد الكاملة من صفحاتها كلها لو جعلتها بريدا . . فلها فى ذلك المعذرة كل المعذرة .

نعم . . كانت « الادب » تذكر ان قد وصلها كذا وكذا وهو تحت التقييم ولكن هذه الكثرة نفسها جعلتها تضن بهذا الفراغ على سرد ما وصل من الرسائل لتشغله بماهو اجدى وانفع .

واقول لاخر من وصلت منه هذه الشكوى لعلك تجد مصداق ماقالت « الادب » فيما نشر لك بهذا العدد فتعذر فيما عداه .

- ٤ -

واذا تلقت « الادب» بصبر وسعة صدر تهم الشباب ولومه وعتبه فانها لترجو فى هذا المجال ان يسمح لها بعتب محقق ، على من يقيد حريتها بل يصادر تلك الحرية ، ولا يرى لها ان تقوم وتقدر الا فى حدود ما وما يرضيه فيقول :

« ارجو ان لم تكن هذه القصة ستنشر ان تتفضلوا باعادتها . . اذ ان الايماء اليها وفى حالة النقد عند عدم النشر « قد يؤثر عليها فى المستقبل القريب عندما تظهر مجموعتى القصصية التى من بينها هذه القصة » .

ففى هذا الكلام مجال للوم القاسى لا العتب فحسب . . وبخاصة لان صاحب هذا الكلام قديم الصلة بالاد ب وثيق العلاقة بها فكان جديرا بان يؤمن معها بالنقد الذى تعده فريضة ، وتحسبه دينا ، وتروض نفسها والناس معها ، على الاطمئنان الى ان هذا النقد ضرورة نفسية واجتماعية للناقد والمنقود جميعا ، ولا يجوز بحال ان ينظر احد الى مالهذا النقد من أثر على قصته أو مجموعةاو اىعمل ، لانهذا الحساب المادى هو أشد خطأ واكبر ضرر ترزأ به الحياة الفنية والعملية ، ويقاس به جواز النقد وعدم جوازه ، فهل يحل للسيد بعد هذا العمر كله ان يطلب الى « الادب » الا تقول كلمة النقد لانها تؤثر على مجموعته حين تنشر ، تلك يا صاحب الرسالة زلة لاتغفر . . ولا حرمة بعدها لرغبتك ولعلك مقدر وحدك كيف تكفر عن هذه الخطأة التى ليست صغيرة .

- ٥ -

وبجوار هذه الزلة النفسيةالفنية يخف على النفس وقع هنات اخرى فى رسائل هذا الشباب كأن يتعذر عن اخطائه الاسلوبية بانه لايعيد قراءة ما يكتبه ، فذلك عذر اقبح من ما تسجله على نفسك واى وفاء يحق العمل الادبى ممن لايتحمل مراجعة ما كتبه !

ومن هذا او اسوأ منه ان يعتذر الشخص نفسه بعد ذلك بانه عندما يكتب يضع فى ذهنه ترتيبا عقليا منسقا وتزدحم الافكار فى راسه فلا يجد من حل ـ كما يقول ـ سوى الاسراع فى الكتابة فيكون ما يكون من اخطاء !! فهل هذا كلام يوقف عنده وهو كلام يؤكد الخيبة ، ولامحل معه لما يزعم من عدم مراجعة ما يكتبه ..

ومن مثل هذا كلام كثير تصدق فيه عبارتهم : **عبادته شماتته** .

ونترك مابعد ذلك فى هذه الرسالة نفسها من تقول على « الادب » وبتر للنص مما قيل فى هذا الباب قبل الآن عن مثله :

والشباب انبل من هذا ..

والى رسائل الشعر :

الشعر

* ـ فقدوصلت **((اغنية حبيبين))** لشاب تعرف « الادب » نشاطه ، وترجو له الوصول ، وعلى قلمه عبارات شعرية ، ومعان قد يكون فيها شيءمن حياة ، لكن الوحدة الوجدانية فى ذلك كله ليست موجودة ، ففى الاغنية معان متفائلة ، واخرى باكية ولا تعرف مكان هذه من تلك ولاكيف اجتمعتا .

والتعبير كذلك يبدو اثر المحفوظ عبارات ، ينبو استعمالها احيانا ، فهو فى المطلع مثلا يقول :

سنمضى سويا .. نعب الارق .. فلا تعرف لماذا يأرقان وهما معا وماضيان سويا .. والعبشرب تهم والارق ليس مما يقبل عليه شارب !!

واما الموسيقى الشعرية فلاتستطيع ان تردها الى قديم او حديد وان به لحاجة الى رياضة صحيحة تصقل الوجدان الفنى والحس اللغوى ، وتزيد المعرفة بمقومات الشعر على أى وجه يكون فى قديم او حديث

* ـ ووصلت **((عند الشروق))** لصاحب السابقة ، والاعراض هى الاعراض ، فعند الشروق يتكلم عن دموع السحب .. ووداع الكون واشياء اخرى .. والعبارات على ما هى عليه من عدم التوفيق فهو مثلا يريق الشذى ! .. والكيان الشعرى غير سليم .. والحاجة هى الحاجة الماسة الى رياضة صحيحة توجهها خبرة .

* ـ ووصلت **((الى الطاغيةقاسم))** ومهما يستقم لها الوزن التقليدى فانها العبارة الادبية ، وتغمرها تعبيرات ساذجة خطابية ليس لها من التأثير لتعوزها المعانى القوية ، وتنقصها الا رنين الترديد والهتاف كقوله : افكار بهيمية واسلحة جحيمية .. ونفس لا شعورية .. وقوتهالجنونية واوهام مجنونية ، واشباه لذلك كثيرة لامجال لسردها هنا .. وهو يلم فى ذلك بكل مافى المنطقة ومن فى المنطقة من حكومات وحكام من ايران الى عمان فى اسلوب من هتاف المظاهرات والشعر شيء ادق من هذا واعمق ليكون ابقى واصلح للحياة .

وصاحبهذه الكلمة طالبدراسات دينية غلبه ما الفه من اساليبالمتون فصنيعه يقارب ان يكون خارج النقد مهما تكن تلك المطاوعة النظمية ..

ونعله مع الوقت يدنو من الجوالفنى ويحسن استعمال هذا النظم المطاوع

* — ووصلت « **ترنيمة الروح** » والعنوان شعرى ، وفيهـــا بعض اللمسات الفنية فى المعنى والتعبير ، والوزن فى جملته ادنى الى السلامة فمن شعرى تعبيره مثل قوله :

دنيا كأحلام العذارى .. والفجر مخضل الجفون .. وعرائس الانغام نشوى .. واشباه لذلك لو ائتلفت منها صورة واضحة عن رؤية واعية لكانت شيئا ، لكنه يثب وثبا من هنا الى هناك من الفجر الى النهر والطير والشمس والغاب والكون كله ، فى غير جو وجدانى ثابت أو موحد .. وهو متشائم رغم ما يهزه من مجـــالى الحسن فى الدنيا ، فقد استأثر باكثر ترله حـديث عن الراعى والشياه ، وتسمينها وذبحها ، حتى ينتهى الى أن الكون فى متاهات مريعة ، وله أن يرى من هذا ما يرى ، على ان تكون الرؤية كما قلت انفذ وادق فى غير بأس مستسلم من النخاسة وتجارة الفضيلة وما حشده فى غير اطـــار واحد !

وصاحب الترنيمة — فى كل حال — مرجو حين يتضح وتسدد نظـــراته الفنية .

والى رسائل : النثر

النـــــثر

* — فقد وصل مقال « **سـيرة عنترة بن شداد** » ومع مافيـــه من لمحات لابأس بها فان « الادب » لاتملك ان تنشره مع وجود الكتاب القيم عن عنترة بن شداد وسيرته للاســـتاذ الدكتور محمود ذهنى ، لانها حريصة على أن تقدم للقارىء مالا يستطيع ان يجده وحده ، فى يسروقرب .. ولهذا المبـــدأ رفضت اقتراحات عن نشر مختارات من الشعر القديم واشباه ذلك .

* — ووصلت قصة « **الخـــاتم الماسى** » لسيد لعل هذا اول عهـــده بالكتابة ، فمن اخطاء نحوية ولغوية مثل : دون ان تأكلان ! وكان كل شيء هادىء ! وقوله : شيء ثقيل **يكظم** على صدرى ! الى صور بيانية غريبـــة كقوله : كنت مربوطا بهمومى بخيوط عجيبة .. وقوله : كل شيء هادىء كميدان الحرب بعد المعركة ! وقوله : وكان جمالها يشد قلبى .. واغرب من هذا فى التناول انه يكتب كل مايمر بخاطره مع بعده الشديد عما هو فيه فحين فكر واهتـــدى الى شيء كان كأرشميدس حين وجدها ، وهنـــا يورد الحكاية التاريخيـــة والحمام ، والخروج عاريا .. الخ واشد غرابة انه بهذا الانسياب غير المنضبط يعرض لما يؤذى المزاج ويهيج النفس فهو فى المطبخ الى جانب حبيبته حين تصنع الشاى فيظهر فأر هزيل ، وتراه قطة هزيلة وتصارع القطة الفأر وتصرعه فتتدخل قطـــة ثانيـــة ويتنازعان الفريســـة ، ولذلك كله من سخيف الوصف ما تنفر منـــه النفس ، وأى مطبخ هذا الذى تثبت فيه الفيران وتتخاطف القطط وما لساكن دارهذا مطبخها ولهدية خاتم ماسى يقدمـــه لمحبوبته !! واختيار الخاتم نفســـه مفاجىء ، فقد كان استقر الرأى على بهديها قصة « رجل يعرف كل شيء» لوم ، ثم ماذا كان بعدها ؟ لاندرى .. وبقية الكلام فى قبولها الخاتم ثم رده اليه من هذا النوع الغريب فى الفهم والتصرف والكتابة .

لقد كان مجال هذا الخاتم ولو إنه

ماسى هو الخارج البعيد عن القراءة دون اضاعة هـذا الوقت والفراغ ، لولا رسالة بعث بها مع القصة تشعر بالرغبة الملحة فى أن يسمع شيئا عما أرسله ، وما اقسى اقوال هـؤلاء الشبان ـ فى سذاجتهم ـ حين يرون المصارحة بالحق تخذيلا وتعويقا .. لكن لكل شىء حدا .

واذا لم يوضع هذا الخاتم الماسى خارج النقد ، بل خارج الخارج فانى مكره على ان اقذف بالثانية من هـذا الصنف وهى قصة او فى الاصح كتابة عنوانها « **عرض حال** » .. ولتأخذ معها الثالثة له وهى فيما عنون « **خمسة قروش** » .

وامامك ياولدى طريق طـويل ، ما احوجك فيه الى رائد قريب معاشر ياخذ بيدك ، ويسند خطواتك . . اما هذا التقويم ومثله من بعيد فلا ينفع ولا يشفع .. ولا مجاملة فى مثل هذا مهما يغضب له غاضبون .

* ـ ووصلت « **أسطورة الريف** » وعبارتها خليط من العامية والفصحى لولا ان الفصحى فيها تعوزها فى غير مرة سلامة اللفظ والتركيب ففيهـا مثلا وحوحة شجر الدندان ، ووحوحة السائر على الرمال الساخنة ، وعلى فرض ان الوحوحة تعبير صحيح فى الثانية فانه فى الاولى ليس كذلك بل هو الحفيف !! واما الجزع للشـجر بالزاى كالجزع من الرهبـة ، واما جحزت عيناه بالزاى ، ومشابه لهذه فقد رجوت ان يكون هـذا من خطأ الناسخ على الآلة الكاتبة ، لكن الكاتب مسئول عن المراجعة !!

والمضمون بعد ذلك قريب ، اولادقة فيه ، فقد كان يمكن لمن سبح لاخراج الغريق ان يربط بحبل فلا تشـده العفريتة ، واذا شد بالدوامة المائيـة او بغيرها امكنت المقاومـة ممن على الشـاطىء .. على ان كشف سر الدوامة المائية مع الردم مما لايخفى على الفلاحين ، وان كانوا حقيقـة اميل الى تصديق الاساطير والايمان بالجان .

وبكل هذا وشبهه لايتماسك هيكل القصـة ، لتؤدى المعنى المطلوب من نيام الاساطير على اوهام .. ولكنى ادون ماقاله قارئها :

* ـ ووصلت قصة « **راجل ابن راجل** » وهى من البساطة والقرب بحيث يكثر عليها اسم القصـة او أنصورة القلمية ، والحادث اليسير فيها هو ولادة طفل لرجل بعـد الخمسين مما جعله يشعر برجولته لم يعرض اى عرض فنى ، فمنـذ حملت الزوجة وقبل اشهر قد عرف كل من حوله ان زوجته حامل والكلام فى هذه البسيطة ضياع .. وان كان الموضوع مما كان يمكن ان تغوص فيه اقلام قادرة تجد فيه من النفسيات والاجتماعية مادة غزيرة وصـدى لامور حيوية .

* ووصلت قصـة « **العفاريت** » لشاب ذى ميول فنية واضـحة فى الادب وغيره ، وقد نشرت له «الادب» يوما غير القصة ، ونشرت له فى لبنان قصص ، و « الادب » تقدر واجبها نحو مثل هذا الشاب المرجو ، الذى قومت له قبل الان عملا قصصيا . وهى بقدر ما ترجوه تدقق فى معاملته التماسا للامـل فيه ، وانضاجـا لموهبته .. ـ

واول ما تلفته اليه الحاجة الى طاقة لغوية ، تمكنه من حسن استعمال العربية ، ودقة ادراكها ، فى التعبير عن الخـوالج النفسية والمعـانى الوجدانية ، فلا تقبل منه مثـل : لم يبقى .. وتستقر يده .. وان عيناه

.. لا .. لا تستجيب فى النهى ـ واخفى نفسك ـ فى الامر ، واشباه لهذا لاضرورة لاحصائها.. ولايحسن منه أن «يرتدى نظارة » لانها ليست رداء ..

وبعد فمضمون هذه العفاريت خفى او مستخفف على استخفاء ، وشخصية عطية الذى هو محور اللقطة ، وعاطفته مدارها شخصيته لم تتضح قسماتها ولو على غير هذا الوجه رسمت لكان الامل غير بعيد فى أن تكون شيئا ...

* ـ ووصلت قصة « **عم رفاعى** » للشاب نفسه ، وفى الشكل ماوجهناه الى السابقة ، وما قد نوجهه الى غير قصة له سواها ، ولا حاجة الى سوق الامثلة من عيوب العبارة فالامر يتطلب من الفتى اهتماما خاصا ، وجدا مبذولا ، ولو أن دراسته العملية لا تجود بكثير من الوقت لهذا الاستكمال اللغوى ، لكن عزيمة الشباب كفيلة بالكثير والمسألة أجل من أن يتهاون فيها .. انها مادة الفن وأداته ..

وازمة عم رفاعى فى فشله الجنسى مما يوقف عنده طويلا ، وخواطره فى هذا مما يشتد ويقسو ، لكن تسلقه نافذة امرأة متزوجة غيره بعدما كانت زوجته وكان يوليها ظهره ونظراتها تسحقه .. هذا التسلق غريب نوعا ما واللقطة فى خواطرها الداخلية ، والحديث النفسى دقيقة ، لا فيمابعد ذلك ولو قد بدا اثر هذه الازمة فى حياته وتصرفاته ، لكان المجال فسيحا لذلك فنيا .. وكثير من احداث الحياة تلعب فيها هذه الازمة مهما يكن الرأى فى نظرة فرويد ..

* ـ ووصلت قصة « **الذباب** » للسيد نفسه ، ولا مكان للكلام فى الشكل بعد الذى مضى ، الا ان يلحظ ان الاسلوب يكاد يكون اسلوب مسرحية يجسمها التمثيل ، فلا يهون على القارىء تكوين صورة واضحة عن سير حوادثها واللقطة عميقة حساسة ، فى معاملة الابن للام ، وسقوط تلك الام عاجزة عن الحركة لا تستطيع طرد ذبابة عن عينها ، فى اللحظة التى يطرد ابنها من بيته من أجل زوجته .. وبغير هذه الصياغة، ومع الاستغناء عن شخصيات ليست فى مسير الحوادث ، وبشىء من التركيز تكون قصة قصيرة .

* ـ ووصلت قصة « **الجنوب البعيد** » واذا كان لابد من تأكيد الكلام عن الشكل فى صنيع صاحب هذه وصاحب القصص السابقة فتكفى هذه الاشارة الى ضرورة الاهتمام بكسب المقدرة اللغوية ، والاشارة الى ظاهرة الطريقة المسرحيه التى تحول دون تماسك القصة ، وفى هذه تبدو عناية الشاب حتى بالمؤثرات الصوتية من دق الجرس ، وصفير القطار وحركة العجلات ، وهو نزوع لا يرضيه الا كتابة المسرحية لو كان للشاب فيها نفاذ ، أما هذه الخطة فى القصة القصيرة فتذكر بما تحدثت عنه « الادب » غير مرة ، من ان المسرحية لا تقرأ .. وايا ما كان الراى فى ذلك فان هذه الخطة من صاحب الجنوب البعيد تهز تماسك قصته القصيرة .

والمضمون يتناثر كذلك فى مثل هذا الاسلوب ، وتلك المؤثرات الصوتية المرفة حتى ما يكاد القارىء يتبين صورة الحادث ، فى سفر زوجة ممحد ، ومحاولته اللحاق بها قبل أن تسافر ، بعدما اختلفا .. وبهذا اللون الماحل ضعف التعبير بالحادث الذى هو حقيقة القصة ..

الآداب

فنية . شهرية

يصدرها الآداب

الإدارة: مصر الجديدة . ألبجم ١٣
ت ٦١٧٥٠

الرسائل الفنية والمالية ترسل باسم

أنيس الخولي

رئيس التحرير

الرسائل الادارية ترسل باسم

محمد مابر عبد العال

مدير الادارة

الاشتراك :

الجمهورية العربية	٦٠ قرشا
الخارج	٩٠ »
ثمن العدد	٦ قروش

البريد الجوى والمسجل بحسابه

تصدر فى اليوم السابع من كل شهر

العدد السابع
ديسمبر ١٩٦٣
السنة الثامنة

بين الإعجاز النفسى للقرآن والتفسير النفسى للادب

- ١ -

ذات مساء ، من اوائل شهر نوفمبر الفائت ، استمعت فى البرنامج الثانى ، الى ندوة ناقدة ، لكتاب « التفسير النفسى للأدب » ، فكان فى هذه الندوة ماذكرنى بماض طويل ، فى معاناة القضية النفسية فى الادب ، كما كان فيها من موضوعات المناقشة فى فهم هذه القضية وبيانها ما اشعرنى بضرورة التعرض لهذا الموضوع الهام ، بمثل هذا البحث اليوم ، اذ ذكرنى بما كان للأمناء من محاولات فى هذا الشان ، أساسها عندهم : ان الفنون جميعها انما تذيع سر نفوس اصحابها ، وتفشى حديث قلوبهم ، وتعلن وحى الجمال الى ارواحهم ، وتبين وقع الوجود على وجدانهم .

***

ومن هذا الاصل انبعثوا منذ اكثر من ثلث قرن الى محاولة تجديد البلاغة العربية ، والانتهاء بها الى ان تكون « فن القول » ، فاطمانوا بعد طول معاناة ، الى ان يكون من هذا التجديد المنشود ، وضع مقدمة نفسية مفردة خاصة ، بين يدى درس هذه البلاغة ، بدل ما كان يضع لها القدماء من مقدمات أصولية منطقية ومثلها .

واستقر الأمر على ان تعرض هذه المقدمة لنواحى نفسية ، مثل فهم القوى الانسانية العامة ، وما له منها اثر فنى خاصة كالوجدان ، وعلاقته بمظاهر الشعور الاخرى .. والخيال ، والذاكرة ، والاحساس ، والذوق .. ومعرفة الخلجات الانسانية من حب ، وبغض ، وحزن ، وفرح ، وغيرة ، وانتقام ، وطموح ، وامل وما الى ذلك ، مما هو مادة المعانى الأدبية الكبرى ، فى الفنون الانسانية ، كلها ، ومقومات تلك الخوالج ، وحركة نفس صانع الفن فيها .. الخ ماهو مبين تفصيلا ، فى منهج « فن القول ».

وبين الأمناء جدوى هذه العناية بالنفسيات على حياتنا الادبية وتقويمها ، ودفعها الى الحياة الفنية الكريمة ، الخالصة من شوائب ما نشكوه ، من سطحية ، ونقص ، وقصور فى تلك الحياة ، قديما وحديثا

واستقر وضع هذه المقدمة النفسية فى البلاغةالفنية وتناولها بالدرس كثيرون منهم ، فى غير مجال .

وكتب الاستاذ الدكتور عبد الحميد يونس ، كتابه النقـــدى الذى اعطى جائزة الدولة التشجيعية ، وهو يحاول تاصيل هـــــذه الاسس النفسية ، وغيرها من المقدمة الجمالية ، التى وضعت للبلاغة كذلك ، مما يوصف فى غير هذا المقام .

وجرى الاعتماد على هذه الصلة بين عـلم النفس والفن ، فى فحص المقررات البلاغية القديمة ، واستبعاد كثير منها ليس له بالفن ولا بالنفس صلة .. وتقرير اشياء فى دنيا الفن القولى ، على هدى نفسى .

وتقدموا مع ذلك الى ما تقدموا له من درس الادب ، وهم يدركون فى وعى تلك الصلة النفسية الوثيقة ، بين الاديب وادبه ، ودلالة هذا الادب علىنفس الاديب ، لانطباعه بالطوابع النفسيةلصاحبه .. ومضوا يقدرون انه لا يفهم ادب الا بفهم نفسية صاحبه ، كما انه لا يتم فهم نفسية الاديب وغيره من العاملين فى ميادين النشاط الحيوى المختلفة الا بفهم اعمـالهم وآثارهم ، من ادب وسواه ايضا .

وبينوا السبيل الى فهم الادب بشخصية صاحبه ، وبوصل الاديب بادبه ، كما أن الامر يتداخل ، فلا يفهم الاديب ، ولا تستجلى شخصيته هو ، او سواه من العاملين ، الا الفهم النفسى لآثارهم ثم فـروا هذا الدور المنطقى ، وفكوا تلك الحلقة المفرغـة : بان فى فهم الأدب بالاديب ، وفهم الاديب بالادب ، بان تفهم الشخصية النفسية للاديب اولا ، من ظروف حياته المادية الجسمية ، ووراثته وبيئته ، واحداث حياته ، ويستكمل ذلك الفهم له ، من ظروف حياته المعنوية كذلك ؛ فيكون ذلك الفهم نقطة الابتداء ، فى فهم الاديب تحت اضواء الشخصية النفسية لصاحبه .

ثم يكون ذلك الفهم للادبطريق الاستكمال لفهم خفايا تلكالشخصية تحت الاضواء وما فى ادبه من ايحاءات ، ومرامى ، واغراض ، تتم رسم صورة الاديب والفنان النفسية .

وهكذا يتكامل الفهمان : فهم الأدب بالاديب ، وفهم الاديب بالادب .

ويستقر الأصل المنشود ، فى فهم الادباء من انفسهم ، لا من الدلالات الاولى لالفاظهم .. وهو ما يمكن ان يتم على اساس منه تفسير تاريخهم الادبى ، وتاريخهم فى الحياة الأدبية ، فهما صادقا دقيقا موثوقا به ، الى الحد المستطاع .

واستوفى الامناء شرح ذلك وتطبيقه بالابحاث المتعددة والكتب المفردة ككتاب « راى فى ابى العلاء » .

***

واتصلت دراستهم النفسية بجانب اصيل فى الحياة الادبية العربية ، لا آصل منه ولا اهم ، ومع ذلك لم يكن اصحاب الادب البحت يفون بحقه الوفاء اللائق باصالته وجلاله ، فلا يفيدون منه الفائدة الكبرى المرجوة ، من مثله فى هذه الاهمية والخطر .. وذلك هو القرآن تاج ادب العربية ، وآصل فنها القولى ؛ فقد مضى الأمر ، قديما وحديثا ، على الاشادة بعظمته البلاغية ، سواء عند القائلين باعجازه الأدبى ، على اختلاف تفسيرهم لذلك وعند القائلين بغير هذا الوجه من الاعجاز .

ومن هذه الاشادة بعظمته يتضح المتادبون بحفظه تقويما لالسنتهم ؛ ورجاء ان تجرى عباراته ، على اقلامهم ، فيما يتهيأ لهم من اقتباس وشبهه .. ثم لا اكثر من ذلك ولا اعمق ، فى تذوقه والتمرس بدرسه ، كما تدرس عيون آداب الامم ، عند الواعين .

ومن هنا تجلى للامناء انه :

اذا مادرست من ادب العربية نصوص فلا كهذا النص ، ولا اجدر بالدرس له ، ولا اجدى على الدارسين منه .

ولم يف ، ولن يفى بهذا الدرس ذلك العلم ، الذى سموه « التفسير» فكان جهدهم فيه قريبا سطحيا ، اعجز الروح ، لاهوتى المنزع ، اثرى الاساس ضعيف المنة فى النقل وامانته .

وهكذا نال الامناء من مناهج التفسير ، وانتهوا الى اقرار المنهج الادبى لتفسير القرآن .

ومضى ذلك التفسير الادبى يفيد من كل تطور وتقدم ، فى درس النص الادبى ؛ فكان الجانب النفسى من اخصب تلك الجوانب فى هذا المنهج ؛ لأن هذا القرآن ليس الا رياضة للنفس البشرية ، وتدبيرا لشئونها الدينية ، التى تسامت حياتها الوجدانية ، وتسلم بقدر ما لها من صلة بهذا الجانب الانسانى فى الحياة .

فكان التفسير النفسى لهذا النص المعجز ؛ كما كان التفسير النفسى لسائر الادب ، على ما سبقت الاشارة اليه ؛ ولا مجال لاكثر منها هنا فى التفسير النفسى للقرآن .

***

وامتد الأمر الى الأساس فى تقييم القرآن نفسه ، وتقدير بلاغته ، وكيف يكون ذلك التقدير ، وعلى اى أساس ؟ وهى القضية القديمة الباقية قضية **اعجاز القرآن** .

وفى تناول الامناء لهذه القضية ــ كما اوجب عليهم الدرس ــ كانت الدعائم النفسية فى فهم النصوص الادبية عامة ، وفهم القرآن خاصة هى اساس الفهم لهذا التقييم للقرآن ، أى اساس راى جديد لهم فى اعجاز القرآن .. الى جانب العديد من الآراء فى وجه هذا الاعجاز فكانت نظرية **« الاعجاز النفسى »**

وكانت بجلال موضوع تناولها اجل واعمق فى اثر علم النفس الادبى او الدراسة النفسية للأدب .. لان :

هذا الاعجاز مسالة قديمة عميقة العروق ، فى الحياتين : الادبية والدينية على السواء .. والقول عنها ، والتاليف فيها هو الذى يخطط تاريخ البلاغة ومنزلتها الأدبية .. كما نه هو الذى يشكل أساسا قويا ، فى تاريخ « علم الكلام » وصلته بالحياة الاعتقادية العملية ، التى سيرت التاريخ الاسلامى .

ولا مجال هنا لاكثر من الاشارة الى ان الأمناء قد أجملوا فكرة الاعجاز النفسى بان :

* الأمر لن يدار فى القرآن ، بما هو كتاب الاسلام ، وصورة ادب العربية المعجز معا الا على أن هذا القرآن رياضة فنية قولية للنفس الانسانية ، فى افق وجدانى .. وان :

* ـ تفسير هذا القرآن لن يصح الا حين يقوم على ادراك طريقته في تدبير هذه الأنفس البشرية ، حين يدفعها الى الاعتقاد ، وينتزع منها اعتقادا ، ويهيئها بالايمان للعمل .. الخ .. ولا تفهم طريقته في هذه الرياضة الفنية القولية الا بان يعرف عن كل تعبير فيه موقعه من النفس واثره عليها ، وكيف كان نسجه مؤديا الى هذا الوقع والتاثير .

ولا يكون هذا الا بادراك الاعتبارات النفسية التي اقام عليها هذا النظم ، منذ اختيار اللفظة المفردة ، ومرد هذا الاختيار النفسي ، الى تاليف الجملة ، والمرمى النفسي لهذا التاليف واحوال الجملة جميعها فيه .. ثم الى سوق الفقرة المكتملة المعنى والهدف النفسي لها ، وكيف كان تاليفها تحقيقا له وتبيينا ..

* ـ واذا ما كان ذلك ملاك الأمر فيه فانما يكون تساميه وامتيازه ، اي اعجازه ، ليس الا بقدر ما أوفى عليه ، من النظم الذي يقوم على الرعاية النفسية للنواحي التي عمد اليها في الاعتقاد ، والتاثير ، والمحاجة ، والهداية .. وما الى ذلك من اغراضه ، فاذا ما أوفى من ذلك على مالم يستطعه المتفننون المقاويل ، في عهد نزوله فذلك هو الاعجاز النفسي .

وسواء أكان ذلك موضع التسليم ، أو مجال المشاحة فليس هنا مجال القول في ذلك .. وليس ما هنا الا البيان لما حاول الامناء ـ على الزمن الطويل ـ من اقامة الدرس الادبي ، في مختلف ميادينه على دعائم نفسية

ـ ٢ ـ

وبهذا الرصيد العتيد اصغيت الى تلك الندوة عن كتاب « التفسير النفسي للادب » .. وسمعت تلخيص مؤلفه له ، ثم سمعت مكالمة دكاترة ثلاثة له بعد ذلك التلخيص ، فكان من ذلك ما اثار تلك الذكريات التليدة ، وبعث الى كتابة هذه الكلمات : بين التفسير النفسي للاعجاز ، وهو قمة المحاولة النفسية للامناء ، والتفسير النفسي للادب ، من رجل فيهم رشيد .

***

وتتجه العناية في الكتاب الى التحليل النفسي ، واهميته للدراسة الادبية .. وهو مالا أخوض بشيء فيه ، لانى لست من الجراة بحيث اتحدث عن كتاب لم اقراه قراءة واعية ، مهما سمعت من تلخيصه .

ثم لا أتحدث بالكثير عما قاله المناقشون للكتاب من المخالفة عليه ، وانما أمس من ذلك ما يتصل باساس تلك الخطة التي اطمان اليها الأمناء في محاولاتهم النفسية .

وهي على ما قدمت من بيان بهذه المناسبة انما تقوم على انطباع الادب بنفسية صاحبه ، وان ذلك يقضي بضرورة فهم الادب بنفسية صاحبه ، ثم استكمال تصوير الشخصية النفسية لصاحب الادب ، على هدى من فهم ادبه ..

وهذا القدر هو الذى يبدو ان صاحب كتاب التفسير النفسى للادب قد جاوزه او مسه ، بما احوج الى النظر فى فرق مابين : التفسير النفسى للاعجاز الذى هو آخر شوطه الامناء ، والتفسير النفسى للادب ، فى كتابه الجديد ، الذى جرت مناقشته فى تلك الامسية .

فقد مضى صاحب الكتاب الى ما مضى اليه من قول فى التحليل النفسى واهميته واراد ليطبقه على الفن القصصى ، وفهمت من تلخيصه ، ومن مناقشة المناقشين له فيه انه وقف طويلا عند مسرح شكسبير ، لينتهى الى ان التحليل النفسى لشخصية «هملت» من ذلك المسرح مثلا يكشف عن العقد النفسية عند هملت بشخصيته المعروفة .

وهذا الصنيع ـ كما يبدو ، وكما سنسمع تقرير المناقشة فيه ـ انما هو اتجاه الى التفسير النفسى للادب ، بما يبعد عن الادب وصاحبه انى اشخاص آخرين ، صنعهم الاديب ، واحياهم فى ادبه .. وذلك غير ما شغل به الامناء من تفسير الادب نفسيا ، بما فى نفس صاحبه ذاته ، لا تفسيرا لنفس مصنوعاته !

وفى هذا سمعت احد المناقشين للكتاب يقول ما وعيت منه :

« ان هملت شخصية خيالية ، لا وجود لها ، ولا مكان لتحليلها النفسى من عبارات شكسبير ، لان شخصية هملت هذه ليست الا خلق شكسبير وصنعة صنعها على عينه ، وصاغها على هوى نفسه .. وكل ما فيها مما يدل على تعبير ، او يكشف عنه حوار ، او تشير اليه حركة انما هو منطبع بنفسية شكسبير ذاته ، ومتاثر لشخصيته العقلية والخلقية والاجتماعية ... الخ .. »

ودار نقاش ، وطال الحوار انتهى ـ على ما فهمت ـ الى صواب راى المعترض المناقش ، وقوة مخالفته للكتاب ، فى هذا التفسير النفسى للادب بتفسير مخلومات الاديب وشخصياتها ، لا تفسير شخصية الاديب نفسه

وبهذا سلم من امر التفسير النفسى للادب ، والصلة النفسية للادب بشخصية صاحبه ، ما كان الامناء قد بينوه ، وانتهزت هذه الفرصة لعرضه ، واللفت اليه ، تقريرا له ودفعا الى متابعة العناية به .. فقد صار امانة استودعوها اصحاب التخصص النفسى فى الدراسة الجامعية ليتموا العمل فى ابلاغها المنزلة اللائقة بها تحقيقا للتخصص الجامعى ، وتوثيقا للتعاون بين قوى الجهاد المتنوعة ، فى جيش المعرفة .. على ما قال الامناء منذ بضعة عشر عاما .

ـ ٣ ـ

على ان من وحى الامانة نفسها ان ترجع فى التعليق على التفسير النفسى للادب ، فى كتابه الى ما وراء هذه الموازنة بينه وبين فهم الامناء الاول .. نرجع الى ما وراء هذه الموازنة ، لننظر فيما تشعر به تسمية الكتاب « التفسير النفسى للادب » من ان هذا الوجه النفسى التحليلى او سواه ، هو وحده السبيل الى تفسير الادب ، كما تفهم هذه العبارة عادة واستعمالا ، فحين يقال مثلا : التفسير الاقتصادى للتاريخ تشعر تلك العبارة ان الاقتصاد هو العامل الوحيد المسير للاحداث وبه ، دون سواه يفهم سير الحياة ، ويفسر التاريخ .

نرجع الى هذه التسمية لنقول :

انه لا يسهل الارتياح الى هذا التقدير للعامل النفسى ، بانه هو المسير انوحيد للحياة الفنية دون ما عداه ، وبه وحده دون شيء سواه يفسر الادب واليه المنتهى فى هذا التفسير .. مهما تكن اهمية ذلك العامل النفسى !!

وهذه الالتفاتة الى التعبير « **التفسير النفسى** » وخطر دلالته يذكربما جرى حديثا ، من قول عن المدارس النقدية ، اشارت اليه جريدة الاخبار فى يوميات ١٩٦٣/١١/٢٠ ، اذ ذكر مستمع لندوة فى اسبوع الكتاب **ان المدرسة النفسية فى النقد تقابل المدرسة الاجتماعية ، وتقاسم المدرسة التاريخية فى هذا النقد ، والمدرسة اللغوية ، او البلاغية .. الخ .**

وان فى ذلك القول على جملته لمواضع للملاحظة منها :

* ــ ان النقد مرحلة تتاخر بطبيعتها عن الفهم والتذوق الادبى .

* ــ ان هذا الفهم والتذوق ــ سواء اكانا عملا بين اثنين او عملا واحدا متدرجا ــ لا يكون الا بالعمل ، المتنوع المراحل المتكامل الاجزاء ، المتعدد الوسائل والآلات ، من لغة ونحو ، وبلاغة ، ومؤثرات نفسية ، وعوامل اجتماعية ، وعناية قول ذلك بما سمى « ما حول النص ــ يستعان بكل واحد من هذه العوامل ، فى مجاله ، وحينه ، وموضع فاعليته .

فليس من الدقة فى شيء ان يفرد بالتاثير لعامل من هذه العوامل ، ويرد اليه التفسير ، ويتلو ذلك تسمية مدارس نقدية مختلفة متقاسمة مختلفة فيقال :

ان المدرسة النفسية ، تقابل فى النقد المدرسة الاجتماعية ، او المدرسة اللغوية ، او المدرسة البلاغية ، او المدرسة التاريخية .. الخ لان واحدا من هذه العوامل لا ينفرد بالتاثير على الادب ، واليه وحده يرجع فى تفسير الادب او نقده .

***

وهذا الجانب الاخير من القول ، الذى جرا له اسم التفسير النفسى للادب انما هو جانب يحتاج الى مزيد بيان مستقل مفرد .. وهو ما ارجو ان تعاوده « الادب » فى تطبيق على مبدئها فى وحدة الفنون ، فتعرض خطوات العمل فى الفهم والتذوق الموسيقى ، ومكان النقد منهما .. لترد القول فى الادب الى مثل هذه الاصول فى الموسيقى .

وانه لمجال فسيح للقول ، قد اسس له اليوم ، ما اجمل من محاولات نفسية للامناء فى مختلف الميادين الادبية .. ولعل الظروف تواتى على الوفاء به .

***

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

تقدم

المختار من كتاب

العقد الفريد

لابن عبد ربه الأندلسي

٥٣٤ صفحة

٣٨ ص

اختيار: ابراهيم أبو سعدة

مراجعة: الدكتور لطفي عبد البديع

الناشر: دار الكتاب ١٤ شارع ٢٦ يوليو - القاهرة

من تراثنا

خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال

دراسة وتحقيق

ابراهيم حمادة

٢٤٦ صفحة

٢٠ ص

ويطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابي بالقاهرة ت ٤٦٣٨٣

من الكتب المترجمة

المسرحية

من ابسن الى اليوت

تأليف: ريموند وليمز

ترجمة: الدكتور فايز اسكندر

مراجعة: سعيد محمد خطاب

٤٤٦ صفحة

٣٠ ص

ويطلب من المكتبة القومية ميدان عرابي

الإسلام والمستقبل

عاشت البشرية ، قبل تاريخها المكتوب ادهارا واحقابا ، لكنها تستطيع أن تقرأ هذا التاريخ فى غير احرف ولاصحف ، اذ تجده ماثلا فى مجتمعات بدائية ، لا تزال فى الارض بقاياها.

ثم عاشت البشرية ، بعد تاريخها المكتوب ادهارا واحقابا ، تقرأ تاريخها فى القراميد ، والصخور ، والاخشاب ، والكتب أيضا .

وفى كل هذا التاريخ ، غير المكتوب والمكتوب على السواء ، عاشت البشرية ظاهرة التدين بصورة ما . . وشهدت من ازماتها ما شاهدت ، وسجل لها التاريخ احداثا تحت عناوين :

الدين . . والمعرفة ؛ او الدين . . والعلم ؛ والدين . . والفن ؛ والدين . . والتطور ؛ والدين . . والتعصب ؛ والدين . . والعمل ؛ والدين وكذا ؛ والدين وكيت ؛ وعانت البشرية فى هذه المعارك ما عانت ، وخسرت فيها ما خسرت ، كما افادت ما افادت . . وسواء عليها أكانت تلك الخسائر بسوء فهم رجال الدين وتصرفهم ، ام بسوء فعل الناس وتصرفهم .

وامتدت مع التاريخ ، تلك العقود من هذا القرن العشرين ، التى عاشت فيها اجيال ثلاثة : اجداد . . وابناء . . واحفاد . . شاركناهم الشعور ، ورأيناهم ، وسمعناهم ، واصغينا لشكواهم ، من تلك الازمة القديمة ، حين كان الاجداد يشكون من سلوك رجال الدين الفردى والاجتماعى ، ذلك السلوك الذى تعوزه العزة المؤمنة ؛ ويتبدى فيه عجزهم عن مواجهة اضواء النهضة العلمية والثقافية ، فيهددون المستفسر ، ويكفرون المفكر ، ويشبعون من الكبت والقهر النفسى ؛ ويناوئون ائمة التجديد الدينى منهم انفسهم ، فلا يكون فى صنيعهم شىء من خير للدين نفسه ولا للحياة طبعا .

ثم كان الانتباه ، من الجيل الثانى ، والحال على مثل

ما كانت عليه ، لم تتحسن كثيرا ؛ وان كانت حركة التجديد الدينى قد كثر مدعوها ، والمنتسبون الى دعاتها ، لكنهم كانوا اخف وزنا ، وايسر شانا ، واهون تفكيرا ، من ان يتحدثوا عن الدين والتدين بعقل اليوم ، ولسان اليوم ، ثم هم لا يزالون يسلكون السلوك الوصولى الانتهازى ، الذى ليس من عـــزة الايمان فى شىء !

وجاء الجيل الثالث من الاحفاد ، وقد حلقت الحيـاة ، فى أجواز الفضاء ، واشرفت من العلم على افق جرىء ، فزاد بذلك اضطراب نفوس هؤلاء الاحفاد ، وصارت همهمات الجيـلين قبلهما الى زمجرات غاضبة ، تواكب حركة الالحاد الطاغية ، فهل استطاع المنتسبون للدين ان يكونوا اكفاء لمهمتهم الثقيلة فى هذا الجيل الثالث ؟

هل خفت غيبيتهم الكابتة ؟

هل اتسع افقهم فحدثوا عن الدين بما يفيض على النفوس شيئا من هدوء ؟

اسئلة ادع الاجابة عنها لهذا الجيل الثالث نفسه ، لان اجابات جيل الاجداد او الابناء لا ترضى اولئك الاحفاد .

* * *

والصلة بين الدين والحياة وثيقة ، بل عنيفة الوثاقة .. وأثر الدين على الفن والحياة اكثر عنفا واقوى تحديا .

وهذا ما شعرت به من عواصف الازمة ، منذ بضعة عقود من السنين ، وكانت شكوى الاحفاد ، بعد ذلك اقوى اثارة لهذا الشعور عندى فكانت صلتى بالثقافة الاسلامية تحمل واجبـا كبيرا ، فى محاولة شىء ما من اجل تخفيف ضغط هذه الازمة على اولئك الاحفاد .

ولا اذكر محاولاتى فى هذا السبيل اعتدادا او مباهاة ، ولكن وصفا للجو النفسى والعقلى ، الذى اتحدث فيه الان عن تلك الازمة .

كان تفسير القرآن على منهج آخر فنى متطورا شيئا من المحاولة فى سبيل اداء هذا الواجب .

وكانت اشاعة هذا المنهج ، والتطبيق الاجتماعى عليه شيئا من هذه المحاولة ، التمسته فى الدراسة والاذاعة سنين طويلة .

وكان الحديث عن التطور الدينى وصلة ما بين الاديان المختلفة من هذه المحاولة .

وكانت الاجابة فى المجلات عن السلام الذى يحتاجه الدين والحياة شيئا من هذه المحاولة .

وكان الجهر بالحديث فعلا فى الاذاعة ، عن ازمة التدين شيئا من هذه المحاولة .

وفى هذا الجو ، ومن ذلك الافق ، ومع التنبه الواعى لهذا الواجب دعيت منذ سبع سنوات الى المحاضرة فى جامعة عليجرة بالهند فالقيت فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٥٦ محاضرة عن « الاسلام والمستقبل » لما تنشر حتى اليوم ، وهى التى ارى نشرها اليوم فى « الادب » شيئا من هذه المحاولة ، من اجل الجيل الثالث .

* * *

واذ كان الاسلام ـ فيما يمكن ان يقال ـ هو المرحلة الاخيرة ، فى تطور ظاهرة التدين الانسانى ، فان الحديث عن الاسلام والمستقبل انما هو حديث عن التدين والمستقبل .

لقد اشتد ضغط جيل الاحفاد على الاجداد والآباء ، فى هذه الناحية حتى هممت بان اكتب من اجلهم مقالات ، فى شىء من الشجاعة المجاهرة ، تعلن تجارب الاجداد والآباء ، فى الحياة الدينية ، وتسجل فى صراحة واضحة احداث عصرهم ، مهما يكن وقعها على افراد او هيئات ، ولكنى ذكرت هذا الحديث المتحرر ، فى جامعة اسلامية متحررة فآثرت اخيرا ان اقدمه بين يدى هذه المقالات ، ان تهيات كتابتها غدا .. وهذه المحاضرة شىء من المحاولة فى سبيل تخفيف الازمة .

وها هو ذا القسم الاول منها :

فى هذه الدار التى بادرت الاصلاح الاسلامى بروح وضيئة مستنيرة يحق الكلام عن الاسلام والمستقبل .. لان الذين فهموا الماضى فهما صحيحا ، وادركوا الحاضر ادراكا ناقدا فاحصا .. هم الذين يمكن التحدث اليهم عن المستقبل الذى هو امتداد لذلك الماضى والحاضر ..

اما المتخلفون الذين يعيشون بنفوسهم وارواحهم فى ظلمات الماضى المنقضى الغابر ، ولا يدركون حاجة الحاضر ، السائر ، المتطور ، مما يهون ولا يجدى الحديث معهم ، عن شىء من أمر المستقبل المنتظر ، والغد المرتقب ..

وكذلك كان اختيارى موضوع الاسلام والمستقبل لمحاضرتكم فيه ، من وحى هذه البيئة المتحررة ، ولفت تلك الجامعة المتجددة ..

* * *

كانت للماضى والماضين امجاد وما فى ذلك شك .. وكانت للماضى والماضين مفاخر .. ما لذلك انكار .. ولكن قيمة هذه الامجاد ، وجدوى هذه المفاخر لا تكون **الا بقدر ما لها من منفعة** فى تهيئتنا لمستقبل ، يرتفع على اسس من هذا الماضى ، ويتقدم امتدادا له .. لكنه يغايره ويختلف عنه ، كما يختلف زمن عن زمن ، ويتغير عصر عن عصر ؛ وتتبدل اجيال عن اجيال .. على قدر ادراك هذه الفروق بين العصر والعصر ، والزمن والزمن ، والاجيال والاجيال تكون صلاحية الناس للحياة ، وتكون قدرتهم على المواءمة بين انفسهم وبين تلك العوامل المغيرة ، وهاتيك التغيرات المتطورة ! !

ان الماضى اثير علينا حقا .. وان الماضى كريم لدينا صدقا .. لكنه اثير قدر ما تؤثر مخلفات الاسلام ؛ وكريم قدر ما نكرم تراث الآباء والاجداد .. وهذا الايثار وذلك التكريم لا يصح ولا يسوغ ان يخرج هذا الماضى من طبيعته ، فلا يكون الا شوطا من طريق الحياة الطويل ، وساعة من عمر الانسانية المديد — فهو شوط لا يتقدم على ما تلاه من اشواط .. ولاسبقه ما قبله من تلك الاشواط .. وهو ساعة من عمر الانسانية الطويل ، كانت فيها الانسانية على حال من الطفولة ، أو الفتوة لا يمكن أن تكون هى كل نضجها ونمائها ورشدها ، بل كان قبلها ما هو دونها فى ذلك النماء والتقدم والرشد .. وبعدها ما هو فوقها فى هذا النضج والتقدم .. **فليس من الحق** ان العصر الذهبى فى الماضى وقد ولى .. **وليس** من الصواب ان الخير كله قد ذهب به الماضى ، وليس منه شىء قد بقى .. **وليس صحيحا انه : ما ترك الاول للاخر شيئا** .. وليس من المسلم : ان ليس تحت اديم السماء جديد .. ودون أن ندخل فى قضية التطور واتجاهه ، نكتفى بالاشارة الى القول الاسلامى المأثور الذى معناه : **ان هذه الامة كالغيث لا يدرى اوله خير ام آخره .**

* * *

وكذلك نتقدم وعيوننا فى وجوهنا ننظر الى الامام والغد ، والمستقبل ولا نسلم بأن تكون عيوننا فى اقفيتنا ننظر الى الخلف والامس ، والماضى ، نتقدم فى وعى شجاع يقظ لهذا الحاضر ، الذى اسلمنا له الماضى ، لنرى الى اين نسير واى مصير نندفع او ندفع اليه [illegible]

نتقدم فى هذا الوعى الشجاع اليقظ ، ونحدث عما نرى ونجد ، فى اخلاص وصدق ليس فيه **رياء خلقى ، ولا نفاق اجتماعى** يعوق عن شىء من القول الجهير ، والوصف الصحيح ؛ ولا يتعلل بشىء من التخيل او التوهم ، ولا يرسل فى استرخاء متواكل تلك الكلمات المرددة فى غير تنبه من مثل : **الاسلام بخير .. الدنيا بخير** .. مع ان الشرور تلتهم الدنيا من حولنا ، وتهز اسس الاستقرار والهدوء فينا ..

بهذا كله ومثله معه نتقدم للحديث عن الاسلام والمستقبل .. والحق انه ينبغى أن نقدم من هذا الحديث الكلمة الاولى **عن الحياة الدينية فى العالم ، وحالتها** بين الوان النشاط الانسانية المختلفة ، من علم ، وعمل ، وجهاد وصراع .. او بعبارة اخرى نقدم لكلمة عن : **ازمة التدين اليوم ، وعواملها وأسبابها** ، لنرى على ضوء ذلك وهديه ما يتعرض له الاسلام بخاصة ، من تلك العوامل والاسباب وهل هو بحيث يقاومها حتى ينجو منها ؟ وهل فيه مناعة خاصة تهيىء له سبل تلك النجاة من ازمة التدين وعواملها المختلفة ؟ اولا ..

* * *

وما من شك فى ان التدين يتعرض لازمة لا نمانع اذا ما قلنا : **انها ازمة حادة** .. وبحسبكم تمثيلا لحدتها وبيانا ان نجد ثلاثة اخماس الدنيا اليوم توشك أن تعيش بغير تدين ، او هى تعيش فعلا بغير تدين — وتلك الثلاثة الاخماس هى التى يظلها النظام الكومونستى ، أو النظام الشيوعى أو انبولشفستى ، او التى تدور فى فلكه آخذة معه بتلك النظرة الى الدين او التحرر الدينى ، فى اى لون من الوان ذلك التحرر .

فما هى عوامل تلك الازمة التى ادت الى فقدان الدين تلك المناطق الكبرى من مناطق الارض النشطة ، المتوثبة ؟

* * *

لعل فى طليعة العوامل : عامل قديم هو : **عامل ما بين الدين والعلم من صراع ، عرفته البشرية** منذ عهد طويل — وانه مهما يمكن القول فى التوفيق بين الدين والعلم ، أو جعل الخلاف بينهما صوريا ليس ذا موضوع ، لا يمكن مع ذلك التغافل عما يمضى اليه العقل البشرى من استعمال حقه المطلق ، فى فهم اسرار الكون ، ومضيه فى ذلك الفهم الى ابعد ما يستطيع من حدود ، وتصميمه على الا يحد نشاطه فى هذا التفهم اى حد ما ..

ولقد نجح العقل فى سبيل فهم اسرار الكون وتسخير قواه نجاحا لا ينكر ، فطار فى السماء ، وغاص فى الماء ، وذلل من القوى الكونية ، ما جعل قوة الانسان بعلمه تبلغ اضعافا مضاعفة ، مما له من قوة بجسمه ، وحواسه ، وملكاته ، وطاقاته ..

وهذا النجاح داع للعقل الى غرور بزيد امعانه فى التمسك بحقه الكلى

الكامل فى كشف أسرار الوجود ، واعتقاده انه مستطيع ـ ان قريبا او بعيدا ـ إن يهتك حجب المجهول ، ويخرج للنور ما فى الغيوب المبهمة ، وما وراء الاستار المسدلة ، التى كانت ترده عن اشياء ، وتحرم عليه مناطق لا يجول فيها ولا يتطلع اليها .. وليكن العقل مغرورا ، ولنصف هذا الغرور بما نشاء من اوصاف ولتشبهه بما نشاء من تشبيهات ، فمما لاشك فيه انه يوعز الى الانسان بالنفور من الغيبية ، والتمرد على الاستسلام الراضى الذى يطلبه منه التدين فى جملته ..

.. هذه واحدة من العوامل لا يمكن انكار تاثيرها على التدين ـ مهما يكن افق الدين واسعا ، **ومهما يكن لرجاله** من نشاط فى مسايرة التطور العلمى ،وحسن استقبال الجديد من مكتشفاته وتسخيراته لقوى الارض والسماء ومما هو من ذلك بسبيل فى اسباب ازمة التدين : ـ

٢ ـ **غموض العقائد الدينية بل تعقدها** ، فى غير قليل من الاديان ، ولا حاجة بنا الى التمثيل لذلك فانه معروف ؛ ويكفى أن نشير الى ما اضطر الى تقريره اصحاب البحث النفسي والمعتقدات من : **ان العقيدة لا يجب أن تكون معقولة منطقية ، بل ان منطقة الاعتقاد غير منطقة التعقل** ، وقد اعتقد الانسان فى غير دين وغير امة عقائد لم يشترط مطابقتها لعقله الباحث ـ فهذه العقائد التراكبة أو التى فوق العقل ، او وراءه لا تدع الانسان ـ ولاسيما حينما يرقى ويعرف ويكشف ـ لا تدعه يعيش فى سلام نفسى ، بين وجدانه الدينى ، وعقله النظرى والعملى .. بل هو بين الحين والحين ، ورغم ما يراض عليه من تسليم ، يتساءل ، ويناقش نفسه ، فيعترض .. ويستبعد وينكر ويخالف ..

والبحث العلمى اليوم فى حياة الاديان ، وتاريخها ومقارناتها يعين العقل على هذا الاعتراض ، بما يقدم له من وحدة الاصول ، وقوة التشابه ، ووضوح الارتباط بين عقائد وعقائد ، وآراء وآراء ، مع ان تلك العقائد والآراء التى يشبه بعضها بعضا مما بعده رجال الاديان دينا وضعيا بشريا ، وثنيا تجسيميا او خرافيا اسطوريا .. **وهكذا يخلق جو العقائد ازمات نفسية وفكرية** بما فيها من عدم الملاءمة مع العقل ، وتركب شئونها ، وابهامها حينا ، وغموضها حينا .. الخ فتكون ازمة التدين ..

ثم ان من اسباب تلك الازمة كذلك : ـ

٣ ـ **عدم الملاءمة بين العقائد او العبادات احيانا** وبين سير الحياة انيومية التى تؤخذ اليوم بكثير من الجد ، والدقة المنظمة ، وتبلغ فيها قيمة الوقت قدرا كبيرا جدا ، ولا ترحم الفتور ، ولا البطء ، فضلا عن ان تغفر الاهمال او عدم الانتباه الجادللتدابير ، والنظم التى تسير عليها الاعمال المختلفة فى المصانع ، والمكاتب ، والاسواق .. وفى الاسر والعلاقات ونشاط الجنسين ، وحقوقهما .. و .. الخ وخذ لذلك مثلا من **العقائد مايخفى** مسالة الفاعلية الحقيقية ، وان الله هو الفاعل الحقيقى لاغيره ، فانها بذلك تمتد الى انكار السببية عند المحافظين فى جمهرة الاديان ، فالنار ليست هى التى تحرق عندهم ، ولا الماء هو الذى يروى ، ولا جز الرقبة

هو الذى يميت .. بل ان الله هو الذى يخلق الاحراق عند مباشرة النار ، والله هو الذى يخلق الرى عند شرب الماء . والله هو الذى يميت عند قطع الرقبة .. وهكذا يمتد الامر عند العامة الى الانكار المطلق لسببية اى سبب وتاثيره ، وعدم الثقة بما يعمل الشخص فى اى شىء ، وما يبذل نشاط لانه لايدرى ان كان الله يريد وقوع ذلك الذى يعمل الشخص من اجله ، وينشط فى سبيله وقد ينتهى الامر عند الخاصة بما هو اقل من ذلك انكارا للسببية ، لكنه على كل حال يهز ثقتهم بالاسباب ، وبالتالى يضعف املهم فى النجاح ، ويقلل شعورهم بالمسئولية الشخصية ، لان الامر كله بيد الله ، ومهما يفعل الانسان فلن يحقق ما لايريد الله ان يتحقق .

وعلى كل حال فان العامة والخاصة جميعا بين احدى اثنتين :

ان يغلبهم واقع الحياة ، ويدفعهم بعنفه الى النشاط الواثق بضرورة تحقق النتائج ، متى وجدت مقدماتها ، فيشعرون بالمسئولية فى انفسهم ، ويؤاخذون معاونيهم على التقصير ويحملونهم المسئولية التامة ، ويلزمونهم بتعويض ما يفسدون .. واذ ذاك تهتز فى النفوس ـ بلا شك ـ العقيدة المتدينة المحافظة المستسلمة ..

واما ان يكون هؤلاء العامة والخاصة اميل تماما او اميل كثيرا الى التسليم وانكار السببية فتضطرب اعمالهم ويتخلفون فى ميدان الحياة ، وان نجح منهم احد فبالصدفة والاتفاق ، والى حين ، ثم يضطرب امره بفعل الفوضى التى لا تحدد المسئولية .. الخ .

فى جمهرة الاديان ..

هذا مثل من عدم الملاءمة بين العقيدة وواقع الحياة اثرت الاطالة فيه نوعا ما لانها ستحتاج الى العناية به عند الكلام على ما يتطلبه مستقبل الاسلام منا من عمل .

وهناك وراء ذلك عقائد فى اديان اخرى فيها من الغرابة وعدم التلاءم مع الحياة اشياء ، يعرفها من له المام بتاريخ التدين ، وحياة الاديان ! !

واما الاعمال غير المتسقة مع تطور الحياة فتبدو فى كثير من طقوس يلزم بها اصحاب الاديان اتباعهم ، ولا يهون عليهم الوفاء بها مع وفائهم بحاجة الحياة العملية اليومية .. وهو ما يبدو فى الديانات ذات الشكليات والرياسات ، بخاصة كما تعرفون ولا احتاج الى سوق الامثلة لشىء من ذلك .

٤ ـ ومن اسباب الازمة الدينية المؤثرة :ـ

صعوبة التطور فى البيئة الدينية مع ضرورته لها ، باعتباره سنة كونية ، وناموسا مقررا لا مفر منه .. كما هو الامر فى جميع الظواهر الحيوية مادية كانت او معنوية ..

والتطور ـ كما هو معلوم ـ تحول وتغير يوائم به الكائن بين نفسه وبين تغيرات الدنيا المستمرة حوله .. **والكائن الصالح للحياة الذى يدرك ضرورة هذا التحول والتجدد ، ويتهيأ له ، ويعين عليه ، اذا ما اهتدى الى اتجاهه ..**

والتطور بهذا مرونة واستجابة للمؤثرات ؛ فمن تهيأ لها وفر على نفسه ، الكثير من الخسائر ، ومن لم يتهيأ لها تعرض لخسارة فى الوقت وفى النفس ، ثم تم التطور فى حياته هو كارها او راضيا ..

واذا ما كنا دائما نرى ونسمع المعركة الدائرة بين القديم والحديث فى كل شيء ، ونشهد آثار هذه المعركة بين كل خلف وارث ، وكل سلف موروث ، فان الامر فى الحياة الدينية لن يخرج عن هذه السنة الكونية ، التى تخضع لها الشئون المادية العملية ، والشئون المعنوية النظرية ، فى المعاملة ، ونظم الاجتماع ، وفى الاخلاق والتقاليد ، وفى الفنون والآداب .. الخ ..

ونحن ندرك جليا **ان البيئة الدينية بطبيعتها ، وطبيعة ما تتناوله من المعتقدات او العبادات** ، هى بيئة محافظة ، تميل الى الاستقرار ، والاقتداء ؛ او قل الى التقليد والاخذ عن السلف دائما ، فى اجلال وهيبة . ومن اجل ذلك تكون عملية التطور فيها بطيئة شاقة ، لا تستجيب لها جمهرة أهل التدين ، الذين هم اتباعيون اكثر مما هم ابتداعيون ؛ والذين يميلون فى الكثير الغالب الى الانكار على من يتجدد او يتغير حتى لتثور بينهم تلك المعارك الدائمة ، فى انكار البدعة ، حتى ولو كانت بدعة حسنة ، كما يقولون ، فى تقسيم البدع ..

والاصول التى تقوم عليها الشئون الدينية انما هى من الوحى المقدس ، المتلقى بغير قليل من الاعتراف بالقصور العقلى ، والعجز البشرى عن الاهتداء الى شيء من الحلول والتوجيهات التى يجيء بها هذا التوجيه الدينى ..

اننا لنعرف ان اصول الاحكام فى الاعمال اربعة من بينها **القياس** الذى هو محاولة عقلية انسانية لمعرفة اهداف التشريع ومراميه معرفة تهيىء للتوسع فى تطبيق احكامه على اشياء لم ينص على احكامها صراحة ـ ولكننا نعرف كذلك ان هذا القياس موضع انكار من الفقهاء الظاهرية ، المعروفين بحملتهم على هذا القياس .

واننا نعرف ان مسألة حسن الاشياء وقبحها كانت موضع البحث الاصولى .. وان الآراء قد انشعبت فى الحسن العقلى للاشياء ، وامكان العقل الاهتداء الى التحسين او التقبيح فانكره منكرون ، تمسكوا بالحسن والقبح الشرعى التوقيفى ، ووقفوا عنده .

تلك الامثلة وما اليها تكشف عن نواحى صعوبة التصرف فى المقررات الدينية تصرفا يساعد التطور الضرورى للحياة ويعين عليه .. وتلك هى الصعوبة التى اعتبرها من اسباب ازمة التدين ..

ان معاونة هـذا التطور تحتاج الى قوة نفاذة فعالة لا تصـدر الا عن مجتهدين يانفون من التقليد ، ويكرمون هـذا الانسان الذى كرمه الله ، فلا يرضون له الجمود المقلد .. ونحن نعرف ما كان من اقفال باب الاجتهاد في الاسـلام مثلا ، وصعوبة فتح هذا الباب . وهو ما لانتعرض له هنا الا بقدر الدلالة على ان عملية التطور التى لابد منها للتدين عملية ليست سهلة ولا قريبة لانها تحتاج الى شيء من الاجتهـاد على الاقل ، وهـو ما لا يتيسر كثيرا ، ولا فى سهولة .

وعدم سهولة التطور تجعل بين الحياة الدينية والحياة العامة شيئا من من التخلف لا يعدم ان يحرج صدور المتدينين ، ويدعـوهم الى البرم والضجر ، من هذا التخلف أو من وقوفهم فى الخط الثانى من خطـوط الحياة وصنوفها ..

وهذا التخلف عن الصفوف الاولى فى الحياة تتفاوت مسافته سعة وضيقا بتفاوت الاديان فحينا يكون الفرق واضحا كبيرا ، وحينا يكون اقل من ذلك واضيق .. لكنه على كل حال فرق يحدث من الآثار النفسية ، أو قل من العقد النفسية ما يحدث ؛ فيكون لذلك صداه فى حياة الدين والتدين ..

٥ ـ ولا اتردد كثيرا فى ان اعد من اسباب ازمـة التدين المعاصرة : للرياسات فقد كانت الرياسات الدينية على مر التاريخ مثارا لنزاع بعيد الاثر فى حياة الجماعات على اختلاف صورها من الاسرة الى الامة ، وحديث التعاون بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية مستفيض معـروف ، وتقسيم السلطتين الى زمنية وروحية ، من اصداء هـذه الصلة بين السلطتين .. وما قاست الانسانية من ذلك لاينسى .. وتاريخها حافل باحداث هذا الصراع .

والى جانب ذلك يجعل التاريخ ايضا بما للسلطة والرياسة الدينية من يد فى تاريخ الخصومات الدينية بين الاديان بعضها بعضا ، وبين النحل والطوائف بعضها بعضا .. ومهما يكن القول بأن ظهور الرياسة الدينية كان خطوة اجتماعية مقررة ، فان التقدير الصحيح لاسباب الكثير من هزات الحياة كما يرجع الى هذه الرياسة الدينية الروحية الرهيبة بالذات ..

نعم فقد خلقت طبقة لا كسائر الطبقات التى عرفتها المجتمعات وكانت تستمد امجاد مالية ، أو امجاد عسكرية يحتاج كل منهـا فى اكتسابه واستبقائه الى جهد كبير ، وعمل شاق طويل ، يستحق مثله أن يجزى ويقدر ؛ كما أنه عمل لا يخلو من فائدة للجماعة أو لنفر منها ، ربما كانوا غير قليلين .. أما هذه الطبقة الرهيبة الدينية فتستمد قوة من السماء ، أو تؤيدها الارواح ، وتنصرها الملائكة ، وتلوذ من ذلك بما يشل الارادة ، ويقهر الروح ، ويدعم السيطرة على رهبة المجهول ، وفى هـذا المجال من استعمال الوسائل الزائفة ما فيه ..

كما ان استبقاء هذه السيادة الطبقية الدينية ، لا يحتاج الى جهد وعمل وجد ذى أثر ؛ بل يحتاج اكبر ما يحتاج الى الخلابة والدهاء وحسن الحيلة وما الى ذلك ـ فهى سلطة لطيفة لا شبيهة لها ، فى قـوتها ، وشمولها ، وعمقها ، وتمكنها ، وصعوبة مقاومتها ، وبعدها عن تاثير الجهاد الديمقراطى ، وما يشبهه عليها ، او المساس بشيء من قوتها ، وكذلك

قاصلت الانسانية كثيرا فى اتقاء سطوة هذه الطبقة من الرؤساء الدينيين على اختلاف درجاتهم ، وتعدد مراتبهم .. فهم حكومة داخل الحكومة .. وهم جيش الى جانب الجيش .. وهم وزارة دعاية خاصة الى جانب وزارة الدعاية للدولة .. وهم امنع الهيئات على السلطة والنظام .. وهم اقدر الناس على كسب الناس ، وتحريك الجماهير ، حتى اليوم ..

ومثل هذه الرياسة ذات السلطة الاخطبوطية جديرة بان تثير رد فعل فى نفسى للتخلص منها ، والنجاة من رهبتها ، وانقاذ العقل الانسانى من قيودها ..

تلك هى كبريات العوامل التى يمكن ان تفسر بها ازمات التدين ، فى مختلف الاديان ، وعلى تغاير العصور ، وان كانت تلك العوامل اكثر وضوحا فى عصرنا هذا بالذات لما يغمره من نشاط حيوى ، وتجدد مستمر ، وتغير سريع ، لعل البشرية لم تتعرض لمثله ، بهذه السرعة ، فى عصر من العصور .. ولاعجب لانه تطور هيأت له العصور التى قبله ، حتى توافر للبشرية هذا النشاط وامكنها ان تجد وتداب فى تجددها جدا تنتفع فيه بكل ما عرفت الدنيا حتى اليوم .

وهناك عوامل ثانوية ، واسباب لازمة التدين امام الحياة ، ليست من الاصالة والقوة بدرجة العوامل الكبرى الاصيلة التى سبق بيانها .

فمن ذلك مثلا : عجز رجل الدين — فى دين ما — عن ان يعرض هذا الدين عرضا خلابا ، مؤثرا ، يستعمل فيه ما حوله من المؤثرات التى تجمل لعرضه الدين وتعريفه به وقعا محببا — ولذلك تجد وعظا مملا ان لم يكن منفرا .. وايضاحه وشرحه للحقائق الدينية ليس فيه شىء من التشويق والاجتذاب .. على حين تغرى الناس مغريات اخرى تجتذب انتباههم ، وتثير اهتمامهم ، فينفضون اليها وكذلك تكون الحقائق الدينية فى أيدى امثال هؤلاء الرجال — غير الموفقين — وعلى السنتهم كالجواهر فى الطين ، لا يقدر احد قيمتها ، ولا يعطيها قدرها .

ويتصل بذلك قصور الدعاية الدينية وفتورها ، وممارسة مناسباتها ، فى الخطابة الدينية ممارسة آلية شكلية غير فعالة ، مع ان الاديان تعد لهذه الدعاية ، وتهتم بها ، بما لا نطيل فى بيانه هنا ..

وهذان المظهران وما يشبههما ليسا الا عوامل فرعية فى اخماد النشاط الدينى او اثارة ازمة فيه ، ويمكن رجعهما ورجع ما يشبههما الى بعض العوامل الرئيسية والسابقة ، كصعوبة تطور البيئة الدينية ، وعدم مسارعتها للاستجابة الى التجدد .

* * *

والآن نكتفى بما قدمنا من الكلام عن اسباب ازمة التدين التى تعرض الدين لهجوم المهاجمين ، ونقد الناقدين ، وتعمل على اضعاف الشعور الدينى ، فى قلوب الملايين من البشر ، فتحرمهم من الخير الخلقى ، والاصلاح النفسى ، الذى يقدمه التدين للبشرية فيقلل من ضراوتها ، ويخفف من شراستها ، ويدنيها من المثل العليا الكريمة ، التى تحلم بها الانسانية منذ فجر التاريخ .

« البقية فى العدد القادم .. »

قصائد من اليوت

ترجمة : ماهر شفيق فريد

« الى من جعلتنى ـ فى مساء الاربعاء ١٦ اكتوبر ١٩٦٢ ـ اذوق كل ماينطوى عليه قول اليوت :
انى تحركنى الاوهام التى تدور حول هذه الصور ، وتتعلق بها :
فكرة شىء رفيق الى غير حد معذب الى غير حد » .

١ ـ اغنية حب ج . الفردبروفروك

S'io credesse che mia risposta fosse
A persona che mai tornasse al mondo,
Questa fiamma storia senza più scosse.
Ma per cio che giammai di questo fondo
Non tornò viva alcun, s'i'odo il vero,
Senza tema d'infamia ti rispondo.

دعنا نمضى اذن ، انت وانا ،
اذا ما انتشر المساء على صفحة السماء
فكانه مريض مخدر على مائدة ؛
دعنا نجوس ، خلال بضع شوارع نصف مهجورة ،
والتراجعات الهامسة
لليالى القلقة فى فنادق الليلة الواحدة الرخيصة
والمطاعم التى تغطى ارضها النشارة وتقدم اصداف المحار :
الشوارع التى تتتابع وكأنها جدال ممل
ينطوى على هدف خداع

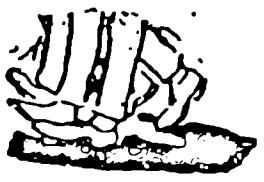

كيما تفضى بك الى سؤال آخذ بالخناق ...
اواه ، لا تسلنى ، « ما هو ؟ »
دعنا نمضى ونقوم بزيارتنا .

• • •

فى الغرفة تروح النسوة ويغدون
متحدثات عن ميكائيل انجلو .

• • •

الضباب الاصفر الذى يحك ظهره على زجاج النوافذ ،
والدخان الاصفر الذى يحك خطه على زجاج النوافذ
قد لعق لسانه فى اركان المساء ،
وتريث فوق البرك التى تقف فى بالوعات ،
وترك السناج المتساقط من المداخن يسقط على ظهره ؛
ثم انزلق بحذاء الشرفة ، وقام بوثبة مباغتة ،
حتى اذا ما راى انها كانت ليلة ناعمة من اكتوبر ،
التف حول الدور مرة واحدة ، ثم اخلد الى النوم .

• • •

ومن المؤكد انه سيكون ثم فسحة من الوقت
للضباب الاصفر المنزلق على طول الشارع
ماسحا ظهره على زجاج النوافذ ؛
سيكون ثم فسحة من الوقت ، سيكون ثم فسحة من الوقت
كيما تعد وجها تلقى به الوجوه التى تلقاها ؛
سيكون ثم فسحة من الوقت كيما تقتل وتخلق ،
وفسحة من الوقت لكل اعمال الايدى وايامها
الايدى ترفع على طبقك سؤالا وتسقطه ؛
فسحة من الوقت لك وفسحة من الوقت لى ؛
وفسحة من الوقت — لا تزال — لمائة تردد ،
ولمائة رؤيا واعادة نظر ؛
قبل تناول الخبز المقدد والشاى .

• • •

فى الغرفة تروح النسوة ويغدون
متحدثات عن ميكائيل انجلو .

• • •

ومن المؤكد انه سيكون ثم فسحة من الوقت
كما اتساءل : « اترانى اجرؤ ؟ » و « اترانى اجرؤ ؟ »
فسحة من الوقت كيما استدير راجعا واهبط الدرج ؛
وثمة بقعة صلعاء فى منتصف شعرى ـ
(لسوف يقولون : « لكن ما اشد ما يتساقط شعره » !)
ومعطفى الصباحى ، وياقتى التى تبلغ ذقنى فى نبات ،
ورباط عنقى الانيق المتواضع ، وان يكن مثبتا بدبوس بسيط ـ
(لسوف يقولون : « لكن ما انحف ذراعيه وقدميه » !)
اترانى اجرؤ
على ازعاج الكون ؟
ان دقيقة واحدة تكفى
للقرارات والمراجعات التى ستغيرها دقيقة اخرى .

• • •

ذلك انى قد عرفتها كلها ، عرفتها كلها ـ
عرفت الامسى ، واوقات الصباح ، والاصائل ،
لقد وزنت حياتى بملاعق القهوة ؛
انى اعرف الاصوات التى تتبدد عند النهاية
تحت صوت الموسيقى الآتية من غرفة بعيدة .
فكيف تواتينى الجراة اذن ؟

• • •

ولقد عرفت الاعين ، عرفتها كلها ،
الاعين التى تسمرك فى عبارة متشكلة ،
وعندما اتشكل ، ممددا على دبوس ،
عندما اسمر واتلوى على الحائط ،
فكيف ،ابدا اذن
فى ان ابصق كل نفايات ايامى واحوالى ،
وكيف تواتينى الجراة اذن ؟

• • •

ولقد عرفت الاذرع ، عرفتها كلها ،
الاذرع البيضاء العارية التى تحيط بها الاساور

لكنها فى ضوء المصباح ، تبـدو مكسوة بالزغب البنى الفاتح !
أهو عطر من ثوب
ما يجعلنى استطرد على هذا النحو ؟
الاذرع التى ترقد على مائدة ، او تلقى شالا
فهل تواتينى الجراة حينذاك ؟
وكيف أبدا ؟

• • •

هل اقول ، انى مضيت فى وقت الغروب خلال شوارع ضيقة
وراقبت الدخان المتصاعد من غلايين
رجال يحسون الوحدة فى قمصان قصيرة الاكمام
ويتكئون على النوافذ ؟
كان الاخلق بى ان اكون زوجا من المخـــالبه المهترئة
يهرولان على أراضى البحور الصامتات
والظهيرة ، والمساء ، ينام فى سلام غاية السلام !
تمهده اصابع طويلة ،
نائما .. متعبا .. او متمارضا ،
ممتدا على الارضية ، هاهنا الى جوارك وجوارى
اكان ينبغى ، بعد الشاى والكعك والمثلجات ،
ان تكون لى القوة الكافية كيما ابلغ باللحظة ذروتها ؟
لكن على الرغم من انى بكيت وصمت ، بكيت وصليت ،
على الرغم من انى ابصرت راسى « وقد ذب اليها بعض الصلع » مجلوبة على طبق ،
فانى لست نبيا — وما هذا بالامر الجلل ،
لقد رايت لحظة عظمتى تختلج ،
ولقد رايت الخادم الابدى يحمل معطفى ، ويكتم ضحكه ،
وموجز القول ، انى كنت خائفا

• • •

وهل كان يجمل بى ، بعد ذلك كله ،
بعد الاكواب ، ومربى الفواكه ، والشاى ،
بين الخزف الصينى ، وبعض الحديث من جانبك وجانبى ،

اكان يجمل بى ،
ان ابدأ الموضوع بابتسامة ،
واعتصر الكون فى كرة
وادحرجها نحو سؤال آخذ بالخناق ،
واقول : « انى لعازر » آتيا من الاموات ،
آتيا لاقص عليكم كل شيء ، ساقص عليكم كل شيء ،
لو ان واحدة ، وهى تسوى وسادة قربه راسها ،
قالت : ما كنت اعنى هذا على الاطلاق .
ما كان هذا ما اعنيه ، على الاطلاق .
وهل كان يجمل بى ، بعد ذلك كله ،
اكان يجمل بى ،
بعد مغارب الشمس وافنية الدور والشوارع المرشوشة ،
بعد الروايات ، بعد اكواب الشاى ، بعد الجونلات التى تجرجر اذيالها على الارضية ـ
وبعد هذا ، وما هو اكثر منه ؟ ـ
انه لمن المستحيل ان اقول ما اعنيه تماما !
لكن كانما قد طوح مصباح سحرى بالاعصابه فى قوالب على شاشة :
اكان يجمل بى
لو ان واحدة ، وهى تسوى وسادة او تطرح شالا ،
وتستدير نحو النافذة ، قالت :
ما كان هذا ما اعنيه على الاطلاق ،

• • •

الا انى لست الامير هاملت ، وما كان لى ان اكونه ،
انما انا سيد تابع ، شخص صالح
ليزيد موكبا ، ويفتتح مشهدا او مشهدين ،
وينصح الامير ، لا ريب ، فى انى اداة سهلة ،
اظهر الاحترام ، ويسعدنى ان اكون ذا جدوى
سياسيا ، حريصا ، ومدققا ،

ملء ابرادى الراى القويم ، وان اكن كليلا الى حد ما ،

ومن المؤكد ، انى اكون احيانا ، مضحكا ـ بل واكاد اكون ، فى بعض الاحيان ، اضحوكة البلاط .

• • •

انى اهرم .. انى اهرم ..

لسوف أترك باطن سروالى مقلوبا

هل ارسل شعرى الى الوراء ؟ اترانى اجرؤ على اكل خوخة ؟

لسوف ارتدى سروالا من الفانلة البيضاء ، واتمشى على الشاطىء

لقد سمعت عرائس البحر يغنى بعضهن لبعض

• • •

لا اخال انهن سيغنين لى

لقد رايتهن يمتطين متن الامواج نحو البحر

وهن يمشطن شعر الامواج الابيض ، اذ يتطاير الى الخلف

وذلك عندما تهب الريح على الماء فيغدو ابيض واسود

• • •

لقد تباطانا فى غرف البحر

قرب نبات البحر المصفرات بالاعشاب البحرية ما بين حمراء وبنية

الى أن توقظنا الاصوات الآدمية ، وعند ذلك نغرق

• • •

سراب

كامل سعفان

قطيع نساء ـ على غير درب ـ يمزق خطواتهن الضباب
فلا يستطعن حياة النعاج .. ولا يستطعن حياة الذئاب
وكلب هزيل يكاد يموء .. وشاة .. وضب .. وعش غراب
وسيارة سخرت بالنجوم .. تمرغ احلامها فى التراب
وبئر من الزيت تطفو عليه حكاية شعب غزاه السراب
فعلق انفاسه فى السحاب . . وعمق اقدامه فى الشعاب
بقية اسطورة .. لا يزال يدور بها عربى (مهاب) ! !

***

ضياع بعيد المدى تلتقى باعماقه فى عيون الشباب
وتجبهك الكبرياء بعنف مزيفة فى حياة خراب
فتأسى لشعب حشا سمعه بامجاده . . ببقايا كذاب
تمر به قهقهات الحياة . . فيرغى ويزبد سما وصاب
ويعرى على عتبات البغايا بهاليل سالت لحاهم (شراب)
(ربالاتهم) تتخطى الحدود خطايا معربدة وذئاب
وفى كل بيت قطيع نساء . . قلوب معنبة ونقاب !!

***

مهازل تنساب ـ دون اهتمام ـ بشعب يعزبه مر السحاب
وانشودة كفحيح الافاعى ممزقة فى صدور رطاب
ونار نشب . . شراراتها نداء ذليل بدون جواب
وفوق الهضاب منات القصور تطاول سخرية بالهضاب
وجيش الملايين يرعى الجراد . . ويختال ملتفعا بالضباب
اساطير مغروزة كالحراب . . ولا من يحس بتلك الحراب !!

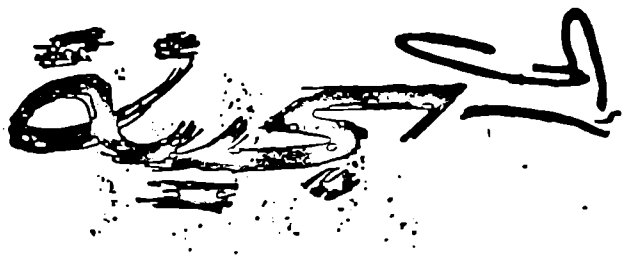

فى سجنك المحزون كم طافت اغانى ذكرياتى
ورنا الى شباكنا المسحور طيف الامنيات
وعلى الشفاه حديث حب تاه عبر الاغنيات
يا انت .. يا سمراء .. يا عمرى ويا املى وذاتى
كم جئت مشتاقا وتواقا الى حلو السمات
للفجر فى عينيك اضواء بها معنى الحياة
وعلى الشفاه كؤوس حب بالامانى مترعات
فيك الحياة وانما قد روعت بيد الطغاة
اواه للنهد الابى اذا نما كالبرتقال
والثغر كالشفق الجديد يزف صبحا من جمال
وسحابة الماضى طوتها همهمات فى النضال
وانا وانت على الطريق نعيش ما بين التلال
ونغوص مابين الدموع .. حرارة ..عمق انفعال
لن تنضج البسمات فى ثغرى .. وانت تناضلين
فالكرمة الخضراء فى ارضى وعطر الياسمين
والعمر .. عمر طفولتى فى موطنى الحر الامين
والدار .. دارى .. لم تعدسكنى ولاصرح السنين
فانا المعثر فى الدنى احيا على العطف المهين ! !
انا لاجىء . . قد ضج فى عمقى الهوى لوتذكرين
يا ارض اجدادى فلسطين الحبيبة لن اكون
غير انتصارات وعزم فى قلوب اللاجئين
لن نستكين لظالمين وحاقدين وغاصبين . .
انا عائد .. انا عائد .. للثار للماضى وامسى
لك يا دنى الآمال يا شعبا يعيش بعمق نفسى

لما تزال ظـلالك الوطفـــاء اشـــــواقا بكاسى
انا فى سواد الخيمة المفزوع مصـــــلوب بياسى
انا فى شرود الغربة الحمقـــاء مغـــلول برمسى
والغاصبون بارضنا يجنـــون ما زرعتـــه فاسى
فى ظل يافا .. فى ربى حيفا .. وفى اضواء شمسى
هم ينعمـــــون واننـــــا ما بين آلام وبؤس
قسما بمآضيك البليد وسجر قريتنا الجميـــلة
والشوق يغمر صبيتى لمروجنا الخضر الظليـلة
وسؤالهم فى كل عيـــد فى براءات الطفـــولة
عن يوم عودتنا فقـــــد مرت بهم حقب طـويلة
فى لهفة الظمآن يا وطني لنسمتنا العليـــــلة
ودعاء أجـــدادى تنادى وقفـــة الكوخ الهزيلة
الثـــار للوطن الاسـير ونظرة الشـعب الذليلة
قسما بهم وبحبك القدسى يا ارضى الاصـــيلة
سنعود يوما كالصبـــاح ونوقظ الجثث القتيلة
سنعيد يوما يا بلادى ملحمـــــات للبطـــولة
سنعود يوما يا بلادى بعـــــد ما طال اشتياقى
وأراك احلى أغنيـــات صـــــورت بين المآقى
قسما فانا عائدون الى الحيـــــاة الى التلاقى
على الشباسى

وحدى مع الليـــل

وحدى مع الليل الطويل بغرفتى طرف المـدينة
وعلى المـدى جثم الظلام يمـد اذرعه الثخينة
وترى نجـــوم الليل احداقا محـــيرة حزينة
وتشع احداق الدجى نظـــرات قديس حنونة
وكان كل نجيمـــة خلف الدجى لهفى سجينة
وكانهـــا بلورة تطفـــو على لجج خـــئونة
ويمور تيـــار بها فتـغور فى قاع دفينـــة
والصمت يزحف مثل ظل الليـل فى طرق المدينة
انى مع الليـــل الطويل وغرفتى وضبابهـــا
لما نثرت الذكـــريات وفاض ثم عبابهـــا
وبدت دمى عريانة ممســـوخة انصـــابها
دلفت الى رشـــيقة ذكرى يشف اهابهـــا
عن قلب مجـــروح يجرعـــه المنيـــة صابها
الف الاسى واشتفه كاسا يثـــور حبابهـــا
ورنا الى الدنيـــا بمنظار عليـــه ضبابهـــا
عرف الخطيئة يافعا واضـــل بين دروبهـــا
ثم انثنى بعـــد الونى يشكـو خلود ندوبهـا
آوى وقـــد غشيت به آثامـــه وغثى بهـا
هلعا الى ارض منـــاة بروح طيوبهـــا
عبقت بتوبته التى تنســـاب ملء دروبها
لكن فى اهـــدابه ورفت ظـلال من ضـــباب
عكست طيوف خطيئة اشـباحها تذكى العذاب
وعلى بريق جفـــونه الوطفاء بالقلب المـــذاب

عرضت روايته التي رفت بانداء التـــــاب
لكن ياربا لا زالت بقـــايا من ضـــباب ؟ ؟
وطوت جوانحـــه العذاب وغيبت احناؤه
ندما ، تشقق حلقبـــه وتحـــرقت امعاؤه
يقتات فى شره البخيـــل وقـــد غذته دماؤه
هذى الدماء الراويات بفيضـــها اعضـــاؤه
نضبت ، وما بل القليـــل ولا رواه ذماؤه ؟ ؟
اضواه فرط ندامـــة وتهدمت احنـــاؤه ؟ ؟
فى وحدتى قد غبت فى حـــلم يزخرف لى فنونه
سرحت خواطرى الكئيبة تجتـــلى فيـــه فتونه
هبطت على من الســـماء ملائك رفت بهـــاء
أهـــدت الى هدية من صـــنع ابناء الســـماء
هذا الجناح المرمرى نســـجته ربات الهنـــاء
من برد احـــلام العذارى فى مســـاء من رواء
وكانما قبســـته روح الفن من ضـــوء القمر
فبدا ضـــياء من ضياء فى ضياء فى الســـحر
ويمس وجدانى الجناح فتغمـــر القلب السكينة
ويرف ايمانى باحـــلام مقدسة مصـــونة
ويفيض فى روحى الجمـــال واجتلى فيه فنونه

على حسن العزب

* *

وثيقة نصر

وثيقة غدر
سياط لهيب
بقايا نفخة رعناء
بقايا نحس
حطام مروءة شمطاء
من الماضى
واذرع حفنة بتراء
من الاعداء
تخط على الفيحاء
وثيقة غدر
ان ناسو جراج الجائع الظمآن
وتسرق منك يا مسكين اجر الغدر
وتصرخ :
ايها الانسان
دعانا الله
ان ناسوا جراح الجائع الظمآن
ويمضى موكب الايتام
لايدرى
يلاحق موكب الشيطان
ويفترش الثرى نجم

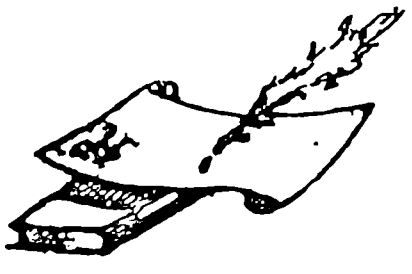

وتقتات الاسى روح
وتسبح انه خرساء من جوعان
وتعبث فى ظلام الريح كف جبان
تلطخ بالدم المسفوح أزهارا
وتلفح خاطر الايام
سياط لهيب
من الماضى
واذرع حفنة بتراء
من الاعداء
تخط على ثرى الفيحاء
وثيقة غدر
ويزار فوق ذاك التل عملاق
وفى اعماقه برق ورعد شتاء
ويأتى من ضمير الغيب
طيف حواء
من الشهباء
يدوى فى سكون الليل كالبركان
تمرد يا اخى الانسان
تمرد يا حبيس القيد وانسف قوة السجان
وناد العايد المصلوب فى جذع من الاوثان
فما اقسى من الايمان بالشيطان
ولن تحيا . اذا لم تشرب العصيان
وهذى الارض لن تحيا
اذا لم تنبت النيران
ولادين لمن صلى صلاة الله للانسان
فهيا امة الموتى ، نشورا ايها الانسان
ويمضى موكب الايتام
طوفانا

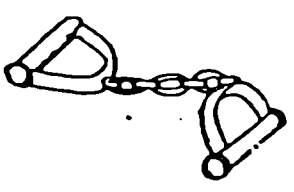

يدق الارض كالاعمى
يصب مناهل العصيان
يصلب من دعى للشر عريانا على الميدان
فلا سوط يمزق كاهل الجوعى
ولا سجن ولا سجان
ويلمع فى الدجى نجم
ينير الدرب للانسان
يخط على ثرى الفيحاء
ان ارادة الانسان
كف الله
تدك خرافة الاوثان
تذيب معاول البهتان
وتحفر فى ذرى التاريخ
وثيقة نصر
وتطوى فى ثرى الفيحاء
قصة عار
وظلم نهار
واذرع حفنة بتراء
من الاعداء
ويبزغ من جديد فجر
وعطر ضياء
من الشهباء

يس الفيل

شعلة .. وشاعر

وعندما يطلع النهار ... تغيب لالاءة الدرارى
وتختفى نجمة اضاءت ... على مدى رحلة النهار
حتى اذا اجتاز كل سد ... وطرز الكون بالنوار
اذابها فيه . . واحتواها ... كقطرة فى مدى البحار

***

وهكذا نحن . . . يا رفيقى ... حياتنا للورى وسيلة ! !
نموت يا شاعرى . . ليحيا ... حياته الحلوة الجميلة
تخوطه بهجة الامانى ... وظل ايامه الظليلة
كانه طائر طليق . . . ... يرف فى ملعب الطفولة

***

وكم من الدمع قد بذلنا ... ونبذل اليوم فى سخاء
لاننا نمنح الليالى ... من عمرنا شعلة الضياء
حتى اذا كاد ان تذرى ... بركبها هبة العفاء
كنا لها آية التوقى ... ومعقد البذل .. والفداء !!

***

فانت يا شاعرى .. نشيد ... يرن فى مسمع الخلود
بكل قدسية المعانى ... تتيه فى عالم القصيد
وفيك للمبتلى عزاء ... يمد من بحرك المديد
وللمعانى ارق لحن ... قد ترجم السحر فى نشيد

***

لكنهم بعد .. يا رفيقى ... لن يذكروه على الزمان
بانه شاعر رقيق ... قد خلد الخلد للمعانى
وعلم الارض كيف تحيا ... على سنا الحب .. والحنان
وبرعم الورد فى رباها ... وناغم النور بالامانى

***

فما يبكيك يا رفيقي .. ! ! وكلنا في الاسى سـواء !
قد راعني فيـك ما اراه من حيرة ما لها انتهـاء
ودمعـة ضلت المآقي وضل عن دربهـا الرجاء
فرحمـة منك يا رفيقي فكم يبكيني البكاء

* * *

ألست الا كمثنا ترانى ولا يرى غيرك الصوابا
قديسة ودعت صباها ولم يزل عمرها شبابا !!
وأفنت العمر في صلاة وقدمت روحها احتسابا
كقربة ، لا ترى عليها ان تطلب الاجر والثوابا

* * *

وعندما تقبل الصلاة تكون قد جفت الزيوت
فتنطفى شعلتى وتخبو ويعترى بهجتى الخفوت
وليصبح الكون غير دار بانني شعلة طفيت
وليس ذنبى .. وانت ادرى لكن برغمى انا .. اموت !!

* * *

وعندما يطلع النهار ! ! تغيب لالاءة الدرارى
وتختفى نجمة اضاءت على مدى رحلة النهار
حتى اذا اجتاز كل سد وطرز الكون بالنوار
اذابها فيه ، واحتواها كقطرة في مدى البحار

* * *

محمد الفقى

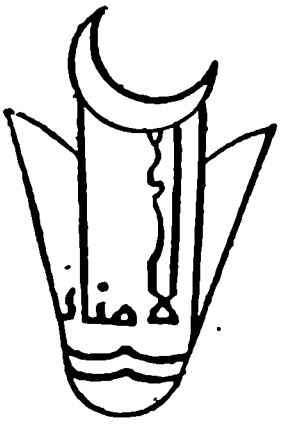

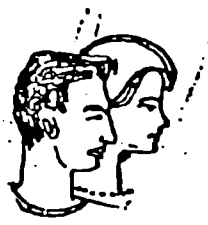

نزوات في المحراب

دكتور
ماهر حتحوت

تقلب في شـــوقه ولظـــاه ... وعاش على جمـــره .. وهـــواه
يحرقـــه الشوق في كل صـــبح ... يؤرقـــه الحب طول مســـاه
فلا الليل يطفي له نار شـــوق ... ولا الصبح خفف عنـــه جـواه
اصاحبتي .. وانظري في شفاهي ... ترين عـــذاب الهوى في ظمـاه
وكم مرة قد جلســـنا ســـويا ... وطاف الهـــوى بيننا في بهـــاه
ليضرم في جانحينـا ســـــويا ... فيشعل انفاســـنا من لظـــاه
وتتقـــد انـــار في كل ذاتي ... لهيبا . . تشع عيوني ســـناه
وتزحف عيني . . على تل شبر ... .. تعانق في كل شبر حياة . .
كان عيـــوني غـدت قبـــلة ... وانك . . مجموعة من شـــفاه
تصـــوم يجفف فاك الظمـــا ... ونبـــع الحيـــاة شهيا تراه ..
أيا رعـــدة الشوق طافت بذاتي ... فهزت كيـــاني بكل قـــواه
انا لست أهـــوى جحيم الصيام ... وكم ضـــاق صدري بثقل رحاه
وقلبي اضـــناه طول الجـــوى ... وما زال يهفـــو الى مشتهـاه
ولكن حبي لهـــا يا فـــؤادي ... حرسناه بالطهـر من مبتـــداه
أغمنا الفضـــيلة حول هـــوانا ... تبارك امجـــاده . . وحمـــاه
ترتل انغامـــه كل صـــــبح ... كانا نعيش به في صـــلاه
فان اضرم الشوق حـرماننا . . ... . فحـــرماننا قـــربة للاله
وللطهـــر في حبنـــا كبرياء ... عتـا على الرغبـات العتـاه
وانا نعيش على موعـــد ... نلون احـــلامنـا من منـاه
لافـــرغ في ذاتهـــا نار ذاتي ... وابلغ في وصـــلها منتهـــاه
وافنى بها في عنـــاق طويل ... تبـــاركه نفحـــات الاله
ولـــكن الى ان يجـيء المـــنى ... ونبلغ من حبنـــا مبتغـــاه
ســـاحيـــا اكابد جمر الهـوى ... ويبقى كيـــاني على مصطـلاه
وآه لقلبي . . وما يصـــطلي ... وآه من الشـــوق آه . . وآه

المرآة

للكاتب الفرنسي : كاتول منديس
(١٨٤١ – ١٩٠٩)
ترجمة : ابراهيم السيد الخضرى

لم يكن فى تلك المملكة مرآة واحدة فقد هشمت مرايا الحائط واليد بامر من الملكة وحين كان يحدث ان توجد قطعة صغيرة من مرآة فى منزل انسان كائنا من كان ، كان قاطنوه يعدمون بعد ان يصب عليهم سوط من العذاب بامر الملكة .

ويمكن تفسير ذلك بان الملكة كانت مفرطة القبح حتى لتبدو اقبح من اقذر حيوان اذا هى قورنت به .

ولم تكن الملكة تشعر بقبح منظرها فحسب وانما كانت تتحاشى ان تجازف برؤية منظرها عندما تسير فى المدينة وان كانت تستمد بعض الطمانينة من الحقيقة الماثلة فى ان الآخرين عاجزون بدورهم عن رؤية جمالهم .

اذ ما فائدة ان يكون للمرء أجمل عينين فى العالم او ان يكون له فى فم فى جمال الورد او ان يزين راسه بالزهور ان لم يكن المرء قادرا على رؤية وجهه فى مرآة ؟

بل انه لم يكن ثمة امل فى ان يرى المرء انعكاس صورته فى القنوات او إنبحيرات مذخبات وحجبت عن الاعين بواسطة الاحجار بطريقة ماكرة حاذقة وروعى فى حفر الآبار التى يمكن رفع المياه منها ان تكون بالغة العمق كيلا يتمكن امرؤ من رؤية انعكاس صورته على صفحة مائها ، وروعى فى صنع الجرار الا تكون مسطحة وان يتعذر النظر فى مائها .

وكانت تلك المأساة تفوق الوصف لاسيما لاولئك النسوة اللائى يبدين اهتماما بالغا بزينتهن ولم يكن عددهن فى تلك المملكة اقل منه فى اى بلد آخر .

– ٢ –

وفى احدى ضواحى تلك المدينة كانت تعيش شابة تدعى جاسينث ولم تكن بالغة التعاسة مثل الاخريات فقد كان لها عشيق يعوضها عن المرآة بوصفه الدائم لجمالها الخلاب ولقد غزا الخجل وجه جاسينث عندما سالها فتاها : أو تنوى ان تتزوجه ؟

ولم تكن تخشى ان تقول له لا الا انه كانت توجد تلك الملكة التى تجد لذتها على انقاض سعادة الاخرين . وكانت جاسينث تخشى ان تصل اخبار خطبتها الى مسمع الملكة الشريرة لاسيما وقد كانت الملكة تكرهها اكثر مما تكره الاخريات فى المملكة .

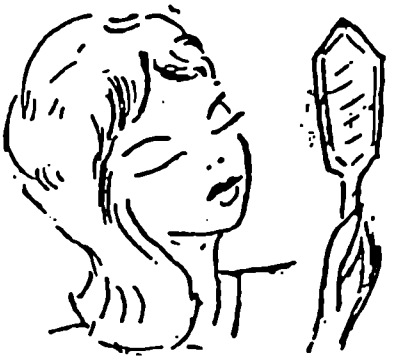

وحـــدث ذات مرة بينما كانت جاسينث تتجول فى البستان ان جاءتها عجوز تستجديها وفجاة تراجعت تلك العجوز الى الخلف وهى تطلق صرخة تنم عن الذعر كما لو كانت قد وطات بقدمها ضفدعة كبيرة وهى تهتف : يا الهى ! من هذه التى ارى ! ؟

فتساءلت جاسينث :

ـ ماذا حدث ايتها العجوز الطيبة؟ ماذا ترين ؟ خبرينى ؟

فاردفت العجوز قائلة :

ـ اقبح من رايت فى الوجود

ـ يجبـــنا اننى متاكدة من انك لا تعنينى

قالتها جاسينث مبتسمة فرددت العجوز قائلة :

ـ يا للاسف انهـــا انت ياطفلتى المسكينة . اننى عجوز كما ترين ولكنى لم ار طوال عمرى شابة اقبح منك منظرا .

ـ اتعنين اننى قبيحة المنظـــر ؟ انا ؟

ـ اقبح الف مـــرة مما تستطيع الكلمات ان تعبر

وما لبثت تلك العجـــوز الشمطاء التى لا بد وان تكون جنية او صديقة للملكة الشريرة ان اختفت وهى تطلق ضـــحكة قاسية هازئة . وارتمت جاسينث على مقعد تحت شـــجرة التفاح وهى منخرطة فى عويل جارف

ولقد بدا ان من المستحيل طرد هذا الكابوس من عقل جاسينث فقد باتت تردد دون انقطاع « انا قبيحة . . ان قبيحة » .

ولم تجد اقسام حبيبها الغلاظ فى اقناعها بالعكس . وعندما الح عليها ان تحدد ميعاد الزفاف ردت عليه قائلة : « انا اصبح زوجتك ؟ هـذا مستحيل ! مستحيل ان تتخذ من مثل هذا القبح زوجة لك ! » قال لنفسه : « وماذا افعل اذا كى اثبت لجاسينث كذب تلك العجوز ؟ »

وتفتق ذهنه عن ضرورة احضار مرآة لها . بيد انه لم تكن توجد ولو مرآة واحدة . وعزم محب جاسينث فى نهاية الامر على الذهاب الى بلاط الملكة وهو يظن انه مهما بلغت وحشيتها وضراوتها فان دموعه وجمال جاسينث قمينان باثارة عاطفتها .

وتساءلت الملكة الشريرة : « حسنا ماخطبكما ؟ من هؤلاء الناس وماذا يريدون منى ؟ »

ـ انه يا جلالة الملكة اتعس عاشق فى العالم يجثو بين يديك ..

ـ هذا ولا شك مبرر وجيه لمضايقتى .

ـ رحمة بنا يامولاتى

ـ ولكن ماشأنى بمشكلات حبكما؟

ـ اذا تفضلت ان تأمرى لنا بمرآة

ـ كيف تجرؤ على التلميح الى مرآة ؟

قالتها الملكة وهى تقف منتشيطة غضبا مزبدة وهى تطحن اسنانها بين فكيها .

ـ سامحينى يامولاتى . . اضرع اليك .. ولا تستشيطى غضبا ولكن تفضلى بسماع قصتى .. ان هذه الشابة التى امامك تعانى من جراء وهم غريب .. انها تظن نفسها قبيحة المنظر .

فقاطعته الملكة قائلة وهى تطلق ضحكة ثائرة :

ـ انها بالطبع كذلك . . انها على حق . . ولا اخال اننى رايت من هى اتبح منها منظرا .

واحست جاسينث انها تكاد تموت حزنا عند سماع هذه الكلمات وبات من المستحيل ان تشك فى قبح منظرها مادامت قبيحة فى عينى الملكة كما هى قبيحة فى عينى العجوز . وارخت طرفها ببطء ثم استسلمت لغيبوبة عند قدمى العرش وشحوب الموت يعلو وجهها . على ان محبها حين سمع كلمات الملكة القاسية لم يستطع ان يستسلم وصاح باعلى صوته : ان الملكة اما مجنونة او ان وراء كذبها سببا خفيا .

ولكنه لم يجد متسعا من الوقت كى يقول اكثر من ذلك فقد امسك به الحراس فى لمح البصر وتقدم الحاجب الذى كان يقف تحت قدمى العرش فى مثل هذه المناسباب ـ تقدم باشارة من الملكة التى أومأت الى الرجل الذى اهانها قائلة :

« اد واجبك » ورفع الحاجب سيفه على مهل وفجأة ندت صرختان مختلفتان تماما فان جاسينث التى لم تكن تعى اين هى قد رات وجهها فى صفحة السيف الصلب العارية وذلك عندما فتحت عينيها . عند ذلك صاحت لرؤية وجهها بجماله الخلاب اما الصرخة الثانية فقد ندت عن الملكة : لقد كانت صرخة الم .. حشرجة الموت . ذلك ان الملكة الشريرة قد ماتت من الخزى والغيظ حين رات وجهها فى تلك المرآة على غير انتظار .

اشتدت به الريح

الناس تعودوا ان يقولوا عن الامر العسير الحل انه : « اعقد من ذنب الضب » .

وهكذا كانت مشكلتى التى عييت بحلها .. رغم اعصابى التى احترقت من ادمان « الفكر » ، وطول السهر . فاشتقت ان اتناول كاسا « اذا الهموم يشربها نفت عن الهموم » .. واغرتنى بذلك احدى امسيات (تموز) حيث كانت قليلة الهواء كثيرة الرطوبة ، وكنت قد تعبت من الضرب فى شوارع الاسكندرية الطويلة العريضة ، محرج الصدر ، جم البلابل . فملت الى حانة كنت قد جلست فيها بضع مرات قبل زواجى ، واخذت مكانى فى الداخل قرب الباب ، وكنت أوثر البراح ، لولا انى استحيت من ان يرانى احد على قارعة الطريق ، وامامى كاس خمر !

على انى لما امنت العيون ، زايلتنى القناعة ، فطلبت زجاجة كاملة من « الزبيب » وثلجا زيادة ، ثم اشعلت لفافة تبغ بعد القدح الاول .

ولم اكن حتى هذه اللحظة قد جعلت بالى الى الالمام بالمكان ، وما عساه يكون قد تغير فيه ، او تبدل ، بعد ان هجرته اعواما .. اقول لم ارسل طرفى رائدا لا الى هنا ، ولا الى هناك .. لانى احسست ان كل ما يعنينى انما هو الزجاجة والكاس .. فلما تحلق الدخان وتلوى ، فوق راسى ، اتبعته بصرى ، متلذذا برؤيته يذهب اباديد ..

واخذت عيناى لما تلاشى الدخان مرئيات ، فيها رجال ، ومناضد ، وثلاث نسوة ، وظهر امراة تجلس وحدها ..

كنت اعرف هذا النوع من النسوان قبلا .. واعرف اى حياة هى التى اوصلته الى هنا ، واى دور يقمن به الآن ليعشن ، ولينتفع من ورائهن شخوص اخر ، من بينهم صاحب « البار » . ولذا لم انشط

التفكير فيما رايت ، ولا فيما وراءه ، واعرضت عن « التفلسف » لان ما عندى لنفسى كان يكفينى ، ويغطينى ... !

وامتدت يدى الى الزجاجة تصب ، واشرب ، ثم انبسط قليلا ، وتسبح خلايا عقلى ، فى سحب لها الوان الطيف ورقته ...

وكانت ضحكات النسوة حين يتهانفن تأتينى منغومة ، يبتسم لها جلدى فقط ، وتختلط بقية الأصوات ، فلا اتبين منها الا ما يتبينه المدوخ من هينمة الراقى ... ولكن اذنى ميزت نداء مشفوعا بطلب ... كان صادرا من هناك ... من ناحية امراة وحدها فى أقصى اليمين .

ـ سامبو . سامبو . ناولنى « بيرة » مثلجة .

ـ حاضر . ح ... ا ض ... ر لكن . ؟ هى حكاية ؟ ... « بيرة . بيرة » انت مولودة فى (خمارة) ؟!

ـ يا تقل دمك . يا بارد ... يا ابن الـ ...

والتفتت مغضبة فرايت صفحة خدها ...

ـ مالك ؟ ..

ـ انتظرى بس .

ـ تعرفها ؟ .

ـ يا ستى صبرك . احم . اح ... م .

ـ تعرف اسمها ؟ ...

ـ اف . يا لطيف !

ـ يا اخى امرك عجيب . انت هارب من التفكير . . . فما الداعى للـ ... ؟

ـ اسكتى انت . اسكتى . اه . « نعمه » . اسمها « نعمة » !

ـ طظ !

دار هذا لحوار بين نفسى وعقلى ، وكانت القارورة قد فرغت أمامى ، وانتصب خلفها الكوب بفم مفتوح ازداد اتساعه ، وبدا النضد ، وما عليه فى شكل متغير جدا . شكل صنعه خيالى المترنح ، ومضى يصنع غيره ، ويصنعنى ...

المقعد من تحتى « حمار » اهز فوقه رجلى ، واحثه على الركض لاعبر « المزلقان » قبل ان يدهمنى قطار الليل القادم من « البندر » . انه امامى يتناثر دخانه القاتم من شىء مفتوح الفم ، ويملأ صفيره سمعى . حا . حا ... حه . خلاص . فات ...

وعادت قريتى فى الصعيد الى سكونها الرزين الدائم الذى احبه . ولكنى بعد قليل سمعت فيها ـ فى القرية ـ صوت غناء . وكنت فى طور المراهقة ، فاندفعت اعدو الى مصدره .

كانت « نعمة » هى صاحبة الصوت .. تبارك الخلاق . كاعب تأسر بالجمال ، والغنج والدلال .. ومن احاديث الكبار فى مقهى «زكى سليمان» فهمت ...

قالوا انها « غازية » طوافة تتعيش من الراقص والغناء ... وواظبت على الحضور الى المقهى كل مساء ، لارى ، واسمع ، واحلم ...

وكان المقهى يمتلىء كل ليلة بشباب القرية ، ونفر من شيبها ، وتهتز لبنانه حين ينثنى كشح الفتاة الهضيم ، أو يترجرج ردفها ، وتهدأها . وكنت معجباً بالكفل المحنى الظهر الاعور ، وبأصابعه النحيلة ، التى تعزف

« تقاسيم » عذبة على « قانون » متواضع ، كان يخاف عليه ، ولا يداعب أوتاره الا بعد أن يجلسه على فخذه ، وكان يطربنى موال :

عجبى لبنت بيضا شعرها ذهبى ...

حين تغنيه نفس هذه البنت البيضاء ...

وتوالت اسابيع « ونعمة » باقية مع هذا الرجل الذى يزعم انه ابوها ، ولا يحتشم منها حين يضع « فص » الافيون على طرف لسانه ، ثم يستحلب مرارته مع جرعات الشاى الكثيف ، الكثيف ؛ ولا يكف عن سرد نوادر ماجنة تضحك طوب الارض ، كما لا يكف زر طربوشه المائل فوق حاجبه الاشمط عن الاهتزاز ، وبخاصة لما يعتدل مزاجه ، ويتسلطن مع النغم ... وكان جلبابه ، وسترته المخروقة عند مرفقيه لا يعرفان النظافة ابدا ...

وفى يوم سمعت خبرا .. سمعت ان « عبد الموجود » ابن الليل ، واشطر الشطار ، اختار البنت الغريبة ، واختارته ، وآثرت ان تقيم معه ، وتعيش له وحده ، بلا تشرد فى البلاد ، ولا رقص ، ولا غناء !

— والرجل الاعور ؟

— عمك « فتح الله » ؟ أخذ قرشين وتوكل ...

وهكذا عاد الى القرية سكونها ، بعد ان طوى الحب رجلا وامراة تحت جناحه . وهكذا راح « عبد الموجود » يتذوق مع « نعمة » حلاوة الوصال صادقة ، بعد ان امتلأ قلبها بشخصه ، وبالوفاء له دون ان يعرف التلون .

وخلط الرجل امراته بنفسه ، فكان يطلعها على ادق اسراره ، وبرامج لياليه ، بعد ان عرف فيها الجراة ، والاخلاص ، والنزاهة . وكانت كتوما ذات عقل وتدبير ، وذكية ...

وكان يقول لها أمام صديقه وهم على الطعام :

ـ اصحابي كلهم كوم ، و « مطاوع » وحده كوم ! رايت غيره دخل بيتي ؟ . . . .

ـ ابدا .

ـ اصله رجل . والليل يكشف الرجال .

ـ ربنا ما يحرمكم من بعض !

وكان ذكاؤها يلمح اشياء من « مطاوع » هذا . . . اشياء تدرك الانثى انها مقصودة بها وحدها . وكانت تفهم ، وتتغابى ، وتسكت .

* * *

وخرج «عبد الموجود » فى احدى ليالى المحاق ، وكانت هى تعرف وجهته ، ومع من سيكون . . . كانت تعرف ان زوجها وصاحبه سيغيران على بيت صهر العمدة الاقطاعى الشحيح .

وبالرغم من تعود الحياة معه ، فقد تخوفت عليه ، وانقبض صدرها ، وعربدت فيه ظنون سيئة تنهش امنه . وعمدت الى تقريع نفسها ، ومخاصمتها ، لانها لم تقعده عن الخروج . . ولكن هذه النفس كانت تلتمس الدفاع قائلة : وهل كان سيرضى او يقتنع بهواجس امراة ؟ . . .

ثم تروح تتخيل فى جزع ما لو وقع المحذور . . . وتهتف فى نجواها : استر يا رب . كانت تبقى مصيبتى مصيبة . . . ويدوخنى الزمان . الفه مرة بعد الشر . احفظه يا رب . حامينى وصاينى ، ومخلينى «برنسيسة» !

وترامى اليها من بعيد صوت اطلاق النار متتابعا ثم على فترات ، وارهفت السمع فامكنها ان تستخلص من نباح الكلاب صوت طلقة مكتومة . . . فاحست ان قلبها قد وثب الى حلقها ، وسرت فى فقار ظهرها البرودة ، وتوهمت شيئا ثقيلا ـ كحجر الطاحون ـ قد اطبق على حقويها ، وتضايقت انفاسها من شحوب ضوء السراج ، فقامت تشخص فتيله ، وبينما هى تعالجه انطفأ بين يديها ، فتشاءمت ، ونهضت تبحث عن الكبريت . . . فلدغتها عقرب فى الظلام ، وكادت تصرخ ، لكنها تجلدت ، واسرعت تطب لنفسها بما علمت انه يبرئها . . واوشكت تفرغ من ذلك . . . حين طرق الباب ، ومن خلفه سمعت انفاسا لاهثة ، ممزوجة بأنين خافت . . .

وقال لها « مطاوع » وهو يريح « عبد الموجود » بين يديها :

ـ انا راجع حالا . .

وقالت عيناه كلاما آخر ، وصفق الباب خلفه وهرول . .

ونظرت الى رجلها يشخب دمه الدافىء ، وحدقت فى سراج جسده فهالها ان يتحول الى قطعتين من زجاج مطموس . . ولما رات موضع الاصابة فى صدره فهمت اشياء كثيرة وخطيرة . .

* * *

لم تكن جثة « عبد الموجود » قد تفسخت فى قبرها تماما ، حين بصر مزارع فى وجه النهار بقتيل تحت نخلات الجزيرة .. ودهش الرجل لمرأى بندقية « عبد الموجود » ـ تلك التى تميزها كرنافة مكسورة بالقطيفة وكانت مطروحة فوق الجسد الملصق خده بالتراب ..

وصرخ لما تبين صاحب الجثة !!

ـ هاه ؟ ؟ « مطاوع » ؟ ؟ !

ولم تظهر « نعمة » من يومها فى القرية .

* * *

انبعث ضجيج موسيقى هو خليط من اصوات طبل كبير ، وبيانو ، وصنج نحاس ، وبوق . وكان العازفون يجلسون على منصة ساذجة فى طرف الحانة المقابل للباب ، ورايت « نعمة » تعلو هذه المنصة ثم تقف ، وتغنى ..

وانكرت عيناى واذناى وقفتها الذليلة ، وحشرجة انفاسها والصوت المضغوط كانما تعترضه غصة .. وملأنى اشمئزاز عنيف ، حرك غثيانا فى بطنى ، واحسست أن الكلمات تتعثر فى جفرة حلقها ، وتتثاقل ، ثم تخرج صدئة خرساء الرنين يحتضنها رثائى .

نفس الكلمات : عجبى لبنت بيضا ...

وذعر فى داخلى الصبى الذى كنته يوم كانت ... ذعر وانتفض يتألم ويكويه العذاب .. وتوهمتنى اختنق بهذا النشاز الذى ينبعث من كل شىء . من صور الجدران الزيتية العارية ، وافواه السكارى العابثين ، والمقاعد الشاغرة ، والقطة السوداء التى يضيع مواؤها بين الارجل .

فنهضت عجلان الى الشارع والتسكع من جديد ، تاركا عقلى ياخذ ويعطى ويدور ثم يدور .

ووضعتنى قدماى امام البحر ، وغاظنى ان ارى هذا الجبار نائما ـ تماما كما ينام الخلى وقد مضى يراوح بين جنبيه فى حركة يهتز لها سرير امواجه ، فتخطيت الحاجز الصخرى ، وبيدى لطمت وجه الماء ، ثم انثنيت اصيح فى غضب :

يا بحر : اسمع يا بحر . انا داخ فى مشكلة . . وهناك ايضا تلك المراة التى تركتها تغنى ، والقطة الضارعة ، واطفالى الخمسة ، وصغار « بط الشهرمان البرى » .. وكل الضيوف الذين ينزلون فى اعماق الهاوية بأحزان الضياع ..

هل تسمعنى ؟ والا تصنع شيئا ؟ ..

ها . ربما ؟ ! ...

محمد هريدى

النتيجة

كان صخب الاحتفال باستقبال العام الجديد يسيطر على جو المدينة .. الشوارع مزدحمة بالناس . . والمبانى غارقة فى الانوار الكهربائية ، « وبابا نويل » بذقنه الطويلة البيضاء وطرطوره التقليدى ، وملامحه السمحة يقف بواجهات المحال التجارية وقد اصطفت حوله هدايا الاطفال المختلفة ، والبالونات الملونة .

وبصعوبة بالغة شق يسرى لنفسه — بين الناس المتجمهرة — طريقا حلزونيا متعرجا حتى وصل بلاب بيت ذى طراز عربى فاتجه من فوره لعيادة الدكتور مجدى للتحاليل الطبية ..

وبقلق بالغ استفسر : الدكتور موجود ؟

وأجاب الممرض بصوت اجش :

— متى يجىء ؟

— ربما لا يأتى الليلة ، الليلة عيد رأس السنة ؛ كل عام وانت بخير ..

— وانت بخير .

وتصاعد رنين جرس التليفون فجأة فانصرف الممرض يجيبه وبقى يسرى واقفا فى مكانه ، وبعد برهة عاد الممرض وهو يقول :

— حظك كويس يا استاذ ، الدكتور قادم فى الطريق . تفضل استرح وانتظره قليلا .

وجلس يسرى فوق اول مقعد صادفه ، وبلا مبالاة اخذ يتامل فى اللوحات والحكم التى تملأ جدران قاعة الانتظار .. وفى توتر قرأ بعينيه حكمة كتبت — بخط كوفى جميل — بلون فضى فوق لوحة سوداء ، ثم رددها بصوت هامس اكثر من مرة (الصبر مفتاح الفرج) . . واغتاظ يسرى عندما ضبط نفسه متلبسا بترديدها ، وانتابته حالة نرفزة كانت جديدة عليه فلم يعهدها فى نفسه من قبل ، واشاح بوجهه عنها ليركز كل انتباهه على صورة زورق تتقاذفه امواج بحر هائج ، بينما فى ركن الصورة طائر ابيض يرفرف بجناحيه ويقاوم فى استبسال واستماتة — عاصفة شديدة — وهو يسعى للوصول الى شراع الزورق .

وشعر يسرى بتعاطف كبير مع الصورة ، واحس باسى عميق تجاه الزورق التائه وسط الموج ، والطائر المجهد الوحيد فعادت عينه من جديد تجوب ارجاء القاعة تنقب فى محتوياتها باهتمام اكثر حتى استقرت على نتيجة حائط معلقة فوقه بعناية كبيرة . . وتركزت عينا يسرى على الورقة الاخيرة الباقية فيها من عام كامل ، سينقضى بعد ساعات ويمر عليه كما مر غيره من قبل دون ان يتحقق حلمه .

مضى الآن على زواجه بماجدة خمسة أعوام كاملة لم يرزق خلالها اثناء .. بينما شوقه لطفل يلعب فوق حجره ويلوذ باحضانه ، ويتعلق بكتفه ويشد باصابعه الصغيرة شعر راسه يتزايد عاما بعد عام وهو يئد هذا الشوق حرصا على مشاعر زوجته .

وذات مساء قالت له :

— ساعرض نفسى على طبيب فان قال لا خير فى فلتتزوج باخرى .

وضحك ساعتها ضحكا مفتعلا وقال :

— من قال لك انى اريد اطفالا .. لم يبق على زواجنا يا حبيبتى بعد

الا ثلاثة اعوام والمستقبل امامنا ما يزال عريضا ، فلا تتعجلي فسنرزق في الوقت المناسب بابناء كثيرين .. كثيرون الى درجة اننا سنضيق بهم ولا نطيقهم ..

ولم تفاتحه بعدها في هذا الامر ابدا ، انه يذكر هذا جيدا .

ومرت الايام كئيبة مملة فارغة ،

كان يعود الى البيت في امسيات الشتاء الباردة وليالية الطويلة فيصطدم بالوحدة والسكون المخيمين عليه .. كل شيء في مكانه مرتب منظم لم تعبث به يد صغير ، عندها كان يعلم بصراخ رضيع يشرخ هذا الصمت الكئيب ويبدده ، ويبعث الحياة في حجرات البيت بحركته ولعبه .. وكثيرا ما اشتط به الخيال بعيدا فتخيل انه قد اصبح فعلا ابا حقيقيا ، ابا لطفل وطفلة جميلين يناغيهما ويعلمهما النطق ، وتطن في اذنه نبرات صوتيهما وهما يناديان عليه بالكلمة الحلوة « بابا » .. وهو يرقبهما في نشوة وسعادة وهما يحبوان ويحاولان السير ، ثم يحملهما فوق ظهره ـ غير عابيء باعتراضات الام وتحذيراتها ـ ينتقل بهما بين حجرات البيت حتى يغلبهما النعاس فيضعهما بنفسه في فراشهما .

وكان يسرى يفيق من تلك الاحلام الخدرة اللذيذة فلا يجد حوله غير انفراغ الذي يعيش فيه منذ تزوج .. والايام تمضي فتزيد من شقوته وشوقه الى طفل من صلبه .. طفل واحد .. حتى لم تعد لديه قدرة على الاحتمال اكثر من هذا وفكر فعلا في الزواج .. وملأت الفكرة حياته ولازمته كروحه حتى اصبحت شغله الشاغل تلاحقه في نومه ويقظته ، وتطارده في البيت والشارع ، واشار عليه بعض اصدقائه المقربين عندما عرفوا نيته ان يعرض زوجته على طبيب اخصائي كبير قبل ان يقدم على ما اعتزم .. ولكنه كعادته رفض الفكرة من اساسها ولم يعمل بمشورتهم حرصا على شعور ماجدة .. واخيرا اهتدى هو الى فكرة وجد فيها حلا لحيرته . . وسيذهب الى هو الى الاخصائي يعرض نفسه عليه ثم ينتظر نتيجة تقريره ليتزوج بعده وهو مرتاح الضمير . . بالطبع

سيحاول ما استطاع ان يخفي خبر زواجه هذا عن ماجدة .. لقد تزوجها بعد حب كبير تحدث عنه الجميع .. وهو ما يزال يحبها كما كان يحبها دائما ولا يريد ابدا ان يؤلمها بخبر كهذا .. ولكنه ايضا يحب الاطفال .. يداعب خياله دائما صورة طفل .. بل دستة كاملة منهم .. دستة كاملة من الابناء تطول بهم حياته وتزدهر .. وانتزعه صوت الممرض الاجش من افكاره وخيالاته :

ـ الدكتور وصل .. تفضل .

وقفز يسرى من فوق المقعد متجها الى حجرة الطبيب . . وبقلق ظاهر على محياه ثم استفسر في لهفة :

النتيجة يا دكتور . .؟

وابتسم الدكتور وجلس امام مكتبه ثم اشار له بالجلوس فجلس يسرى في ملل وعاد يستفسر من جديد بلهفة اكثر :

النتيجة يا دكتور ؟

ولم يجب الدكتور فامتقع وجه يسرى واعتقد ان هناك شيئا ما يحاول الدكتور ان يخفيه عنه فعاد يسأل في اصرار وعناد وانتزع الدكتور من بين شفتيه ابتسامة باهتة وقال بهدوء مصطنع واختصار مقصود . مقصود :

ـ للاسف غير مشجعة . .

وانتفض يسرى واقفا :

ـ ماذا .. قلت ماذا ؟

ـ لا امل حتى الآن تقريبا . .

وبدون وعي ضرب يسرى في عنف

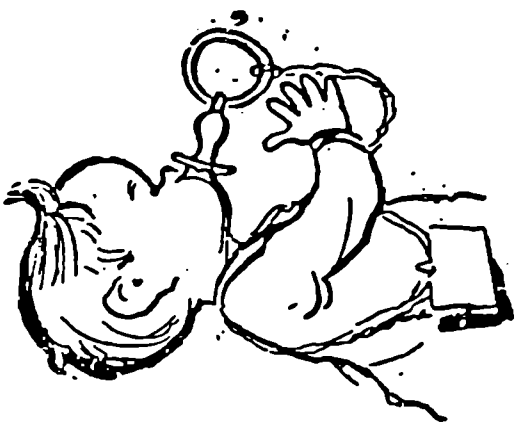

قرص المكتب البللورى بقبضته وارتفع صوته وهو يردد فى جنون :

ـ كل الاطباء لا يعرفون .. كلكم جميعا بلا استثناء .. حتى انت ايضا .. نعم انت ايضا لا تعرف تكذب على

ـ تشجع يا استاذ يسرى .. العلم يفاجئنا كل يوم بجديد .. والعقل البشرى كما تعرف لا حدود لمحاولاته وجهده .

ـ ومتى يتقدم العلم ؟ قل لى متى ؟ متى يحدث هذا ؟

ـ لا يتأس فهناك احيانا اشياء مستحيلة ولكنها تحدث .. اشياء خارقة للعادة لا ينتظر وقوعها ابدا ولكنها تقع

ـ اشياء مستحيلة تحدث .. اشياء خارقة تقع .. اعرف .. كما تفهمنى يا دكتور ؟ لن استطيع ان اعرف ايضا اننى لن اكون ابا ابدا .. اسلم شعلتى لآخر وقد حرمت من امتلاك سر الحياة .. حاول ان تفهمنى ولا تواسينى لن استطيع ..

ـ من يدرى

ـ اتسخر منى اتهزأ منى ؟ انت تعرف اننى لست شيئا . . لست شيئا بالبتة .

وبمرارة تأمل يسرى نتيجة موضوعه فوق المكتب بنفس العناية المعلقة بها نتيجة القاعة .. ثم تركزت عينه على ورقتها الاخيرة الباقية .. وطال تأمله فيها ، ثم امتدت أصابعه اليها فجأة فانتزعها فى عنف وقربها من عين الدكتور وقال :

ـ اقرأ ..

ـ ٣١ ديسمبر من هذا العام

ـ اتعرف معنى هذا .. انه سيولد عام جديد ما كان باستطاعته ان يكون لو لم يكن هذا اليوم .. هذا اليوم هو جواز المرور الذى يجدد الحياة وبهبها عمرا جديدا طويلا .. يهبها عاما كاملا .. اما انا فلا املك ان اكون مثله .. سأنتهى .. سأندثر واتلاشى وما سمع عنى أحد .

ـ الناس بالخارج تضحك وتمرح .. اخرج وشاركهم افراحهم واحتفالاتهم وستنسى احزانك بينهم

ـ نعم الناس تضحك لانها لا تحس بى .. انا وحدى الذى ابكى .. انظر لعينى سابكى الآن . . سابكى بكاء حقيقيا الا ترى دموعى ؟ لماذا صمت .. ؟ تكلم .. قل اى شىء .. فقط لا تحتقرنى فليس ذنبى ..

وصمت الدكتور ولم يتكلم فقد كان يعرف من خلال تجاربه القليلة ان افضل شىء يصنعه فى تلك اللحظات ان يصمت تماما بل لا يتحرك او يتنفس ان استطاع .. فلا يوجد شىء مما امر واقسى على الرجل من ان يكون عقيما .. كل شىء يهون الفقر يهون .. الجوع يهون .. الفشل يهون .. فقد المال يهون .. كل شىء يهون الا ان تحكم على رجل ان لا فائدة فيه للحياة . .

وانهار يسرى والقى بثقل جسمه كله على المقعد وهو يبكى بحرقة .. واحترم الدكتور آلامه فتركه وحيدا وانصرف ووصلت لاذن يسرى ضحكات الناس وصخبهم .. فأحس بالوحدة والضياع اكثر من اى وقت مضى .. واستعان باصابعه يسد بها اذنيه ويحول بينهما وبين الضحكات .. ولكنها ظلت تلاحقه ساخرة من عجزه

.. فتمنى الموت وفكر في الانتحار ولكنه تذكر ماجدة ورثى لها .. كان سيظلمها بزواجه من غيرها كما يظلمها الآن بحبسها معه .. سيحررها من سجنه .. من عقمه ويرحل هو الى ارض قفر لم تطاها قدم انسان من قبل ابدا ليموت فيها بمفرده وحيدا بعيدا عن الناس .

وسحق يسرى التقرير الطبى بين اصابعه .. ثم القى به الى الارض وغادر عيادة الطبيب وهو يجر قدميه وينتزعهما من الارض انتزاعا ..

وابتلعه الشارع الكبير المزدحم بآلاف الناس المحتفلين باستقبال العام الجديد .. جميعهم بلا استثناء كانوا يسيرون فى شلل وجماعات يطبلون ويزمرون ويتصايحون وينكت بعضهم على بعض وهو الوحيد الذى يسير بينهم بمفرده ..

وحاصرته مجموعة من الشباب والتفوا حوله بطراطيرهم الملونة وطبولهم ومزاميرهم وبالوناتهم وصخبهم .. وامسك اثنان منهم

بذراعه اليمنى ثم بسطا كفه اليسرى بالقوة بينما وقف الاخرون فى طابور طويل يصافحونه واحدا اثر واحد بطريقة مضحكة وكأنهم يقولون له انت لا شيء .. وقاوم يسرى لفترة ولكنه سرعان ما استسلم لهم كأن الامر لا يخصه او يعنيه ..

واشتد تزاحم الناس عليه وشارك الكثيرون فى اللعبة وقد ظنوا ان دموعه التى اخذت تنهمر من عينيه شيء مدبر مقصود ..

وامتد الطابور وامتد حتى لم تعد له نهاية ابدا .

كانت الناس ترى الطابور طويلا فتسارع بالوقوف فيه دون ان تعرف السبب ، وازدادت غزارة دموعه وهو يرى الناس تضحك عليه ولاتقدر ـ مع كثرتهم ـ ظروفه او تشعر بآلامه .. وحل شاب من الواقفين سأل عمة كان يرتديها بطريقة ساخرة وغمز لاخرين فحزموا يسرى وهو واقف بينهم فى استسلام تام لا يقاوم وتعالى التصفيق على الوحدة بطول الشارع الطويل وعلى امتداد الطابور وامره الشابان بالرقص ولم يستجب فصاحت الجماهير الواقفة هائجة كالوحوش كأنها كانت قد خدعته فى لعبة دفعت فيها ثمنا باهظا .

واحتضن الشابان يسرى واخذا يرقصانه بالقوة .. حتى انقذه من بين ايديهما زميل له وهرب به الى شارع جانبى مهجور مظلم .. فتركه فيه لوحدته وعاد هو من جديد الى شلته وجماعته ..

واتجه يسرى الى البيت وهو يتحاشى نظرات الناس واماكن تجمعاتهم متخيرا الشوارع المهجورة المظلمة ما استطاع ..

ودخل البيت وما تزال دموعه حائرة فى عينيه .. ولاحظت ماجدة شروره ووحدته فسألته بحنان كبير :

ـ يسرى ... مالك ؟

ـ لا شيء ..

ـ اما زلت بشوق لطفل ؟

وحاول يسرى الكلام ولكنه لم يستطع فهز رأسه فى الم واتجه الى حجرته واغلق على نفسه الباب بينما صوت ماجدة يصل اليه رائقا جميلا وهى تستفسر

ـ ما رايك لو تبنينا طفلا .. ؟

مصطفى الاسمر
من جماعة الرواد
بدمياط

رسالة شاب الى مجلة الثقافة

اعطت « الادب » نفسها الحق فى تلخيص هـذه الرسالة وتخليصها « حرصا منها على أن تحقق الرسـالة اغراضها ، فيكون الشاب المرسـل قد استعمل حقه المقدس فى النقد . . وتنتهى الثقافة الى تقبـل الصحيح منه اداء لواجبها فى اجلال النقـد والافادة منه .
ولعل الشاب لاينقم هذا التدخل من « الادب » .

* * *

ومن عبارة الرسالة بلفظها ـ قدر الامكان ـ الفقر التالية :

١ ـ الثقافة ـ كما تظهر الآن ـ تقصر كثيرا عن بلوغ المنزلة ، التى نسمع من يقولون بانها كانت لها ، فى عهـدها الاول ، الذى لم ادركه ولم اشهد طرفا منه وانمـا سمعت فى وصفه مالا اجده فيها الان ، وقـد خلقت خلقا جديدا بعـد احتجابها ، وانما نصغى لما يقال عن ماضـيها لنرجو لها حاضرا كريما ومسـتقبلا أكرم .

٢ ـ الثقافة قد صدرت اليوم فى عصر ابرز سـماته « التخصص » الدقيق العميق ، وقد رجونا (الثقافة) أن تعى حرمـة التخصص فى عصر التخصص ، ولكنهـا اخطأت فسمت نفسها مجلة (**الآداب والعلوم والفنون**) فتنكبت بهذا وظيفتها الاصلية ، وهى أن تكون **مجلة ادبية** واخطأت معرفـة موضعها فى الحياة اليـوم ، فظنت نفسـها قادرة على تعرض للاداب صفحة !! واعرض عنهـا الذين كانوا والعلوم والفنون فى اقل من خمسين أول الدعاة الى اصدارها من جديد .

٣ ـ ان الثقافة ليست عفة اللسان فقد لقيت اجمل الترحيب من مجلة « المجلة » فى اغسطس سنة ١٩٦٣ ، ومن مجلة « الادب » فى اكتوبر ١٩٦٣ واذا بها تتجاهل ابسط قواعد الذوق والزمالة لتأخذ على المجلـة : (تلك الدائرة المحـدودة ، التى حبست نفسها فيها طول مدة ظهورها) . . وا تحدث (عن الامانة الضائعـة فى ندوة الامناء) .

و (الثقافة) فيما يبدو شـديدة الحساسية ، الى درجة مرضية ، فقد كتب صاحب هذه الكلمات فيها مقالا ذكر مجلة (المجلة) من بين مراجعه وحين نشرت الثقافـة المقال فوجىء بحذف كل اشارة الى مجلة (المجلة) ولما سال فى ذلك اصحاب الاختصاص لم يفز الا باجابة مؤداها ان الثقافـة الان فى ميدان منافـة وبراز ، ومن ثم فهى لا تحتمل ان تذكر مجـلة اخرى على صفحاتها !!

٤ ـ اخلقت الظن منذ عددها الاول واذا تركنا المظهر جانبا وجـدنا فى المخبر اخطبوطا قد مد اذرعه وارجله عبر الثقافة منذ العـدد الاول ، باشخاص هم أدق معادلات موضوعية لمستر ابولیناکس وبلیشتین وبرنانك وسويتى .

ولقد تنشر احيانا مقالات قيمـة

لدوى اقلام فلا تدرى اى منطق هذا الذى يضع مقالات الأساتذة مع مقالات اولئك السالف ذكرهم !!

٥ ــ لقد جعلت الثقافة يضطر ــ وله العذر ــ الى ان يتشكك فيمن يقول : ان فن الرواية (اقل مرتبة) من الشعر والنقد .. ومن يدافع عن النظرية العجيبة المبسوطة فى كتابه « الشرق الفنان » وانها انسانية واحدة لكنها متعددة الحضارات .. ومن يتحدث عن السلفية الجديدة فلا تدرى ما هذا الذى يريد ان يقوله ؟؟

وقد ثارت على صفحات الثقافة معارك حامية حول الشعر الجديد . وكان السبب المباشر لها ان الاستاذ محمد فريد ابو حديد عجز عن فهم (اربع رباعيات) لاليوت ، وشق عليه ذلك كثيرا ، فرمى قفاز التحدى ولما تحدث الدكتور عز الدين اسماعيل عن امبسون وانماطه السبعة من الابهام وضح ان كلا فى واديه ، ولن يلتقيا ولا يعنينى هنا ان يتمكن الاستاذ ابو حديد من فهم اليوت او لايتمكن ولكن الذى يعنينى هو نوع الشعر الذى يرتضيه وينشره ، ولقد نشر حتى الان خمس عشرة قصيدة منه ، لا اقول عنها وعن ناظميها الا ماقاله اليوت :

اننا خليقون بان نسمع اسماء العشرات من الشعراء حين نلقى باسماعنا الى الصيحات المضطربة لنقادالصحف ، والىالهمهماتالمتكررة التى ستتلوها من جانب الجماهير ، ولكنا حين نطلب المتعة الشعرية ، ونبحث عن الشعر ، لا عن المعلومات التى يقدمها الكتاب الازرق ، فاننا قلما نجد قصيدة واحدة » !

٦ ــ وماذا فى الثلاثةالابواب الاخيرة من الثقافة باب « من المجلات الادبية العربية » ينقل مستريحا مقتطفات من مجلاتنا الادبية .

وباب « جولة الثقافة فى اسبوع » يشطح ما بين بضع ندوات ودور السينما شطحا يذكرنا بقول اليوت فى ختام قصيدته (صلوات المستراليوت فى صباح الاحد) :

Fouad Nour shifts from han to ham stirring in his bath.

The masters of the subtle schools are controversil, poly-math.

وباب (بين الثقافة والقراء) ينصب ميزان نقد ليقرر المصائر ، فنرى من احكامه النقدية مثل قوله : **(والمسرحية من المسرح الرمزى الذى لم يعد يمثل شيئا فى حياتنا)** ان التعبير الشعرى يأبى اسلوبه

٧ ــ ولا اريد ان اتحدث بشىء عن موقف الثقافة من الادباء الناشئين ، ولا عن معرفتها الحق بالرجال لا الرجال بالحق ، فالحديث هنا ذو شجون .

وانما حسبى ان اقول للقائمين على تحرير الثقافة :

ان هذا الشباب هو صانع المستقبل وصاحب الغد وهو يملك من الايمان بحقه والوعى لذاته ما يكفل له الصمود فى الميدان ، ويوم يصل هذا الشباب الى مراكز القيادة الفكرية فلا تالموا ان هو انكركم ، او فعل بكم ما هو اقسى من ذلك . اذكروا حينذاك انكم لم تكونوا له نعم الاباء

حاشية : فى سطر عن مجلة الرسالة .. ؟ ارجأتها « الادب »

ناقد اليوتى

وبعد : فمهما يكن تدخل التحرير السلمى المخلص فجميع ما هنا انما نشر اداء لحق الشباب ، وعملا بحرية النشر .. على مسئولية كاتبه .

جسر الشيطان

تأليف : عبد الحميد جودة السحار
نقد : عبد الرحمن وصيف

رواية السحار مهما إختلفت
الآراء حولها جديرة حقاً
بما تثيره من قضـــايا هامة

يقول توفيق الحكيم لصديقـــه الفرنسى « ان هزة التصادم بين الشرق والغرب هى وحدها التى تفتح الاعين المغلقة فى الشرق والغرب ان تلاقينا لمعنى اوسع من كل معنى شخصى أو فردى . ان فيـــه قوة الرمز . . وما من مرة تلاقى وجه الشرق بوجه الغرب ونظر احدهما فى عين الآخـر الا وابصر جمال نفـــه كانه ينظر فى مرآة » (١) .

وهذه هى النظرة الموضوعية التى تنصف ولا تميل مع الهوى مـع اى من الجانبين . وتعادلها ضرورى لانه يمنع التعصب ويؤيد الصدق ويبلور الحقيقة . ولكن السحار اتخذ موقفا مغايرا فهو لم يشأ الكشف عن ملامح العالمين وامكان تعايشهما السلمى معا بل آثر ان يبرز ثراء الشرق الروحى وامكانياته الضخمة واستعداده للبذل والعطاء . ولعل هذا ما جعله يجنح الى تجاهل مزايا الغرب والاغضاء عما قدمته الحضـــارة الحديثة للبشرية جمعاء . وسنرى الى اى مدى اساء هذا الموقف الى الرواية .

---

(١) توفيق الحكيم : زهرة العمر . ص ١٠٧ ـ ١٠٨ .

لقد اراد قاصنا ان ينفذ من خلال شخصية آنر الالمانية الى تصوير الغرب فى احد نماذجه ..

ولكن هل استعان المؤلف بالوسائل المفضية الى ذلك ؟ .. ابدا .. اننا لم نحس الا نادرا جدا ، باننا قد انتقلنا الى بيئة اخرى ، لها عالمها الخاص وارضها وطقسها وناسها وعقليتها التى تختلف فى كثير او قليل عن بيئتنا . حتى اسماء الاماكن والشخوص الاجنبية ، لم تستطع شحنتها الضعيفة ان تحملنا على البساط السحرى اليها . لماذا ؟ لان السحارلم يعتن اية عناية بهذا العنصر فى القصة . فقد ركز اهتمامه كله فى جانب واحد ، هو درسه الصوفى ، واغفل ما عداه . حتى عندما تحدثت آنر عما فعلته الحرب العالمية الثانية والخراب والانقاض والجوع . اضطر الكاتب الى ذكرها اضطرارا بلاحماس ليقنع نفسه قبل القارىء انه حقيقة يكتب عن الخارج ، ولكن بدا واضحا انه كلام من وراء القلب ، لا ينفعل به ابدا ، لانه حديث عالم بلا خصوصية فهو يمكن ان ينطبق على حرب طروادة أو حرب بور سعيد على السواء ، وليس وقفا على المانيا ؛ فلا سمة المانية له على الاطلاق .

القصة اذن لاتكاد تشعر القارىء انه يعيش فى القارة الاوربية ، ولعل هذا أول الاسباب التى لم تطمئنه الى حماس الكاتب ، فما بالك اذا كان يبتغى رمزا أيضا ! فالاحداث التى تقع امامنا ، معلقة لا تصل اقدامها الى الارض ، لانه لا ارض هناك ! أعنى الارض الاجنبية التى قامت « جسر الشيطان » اصلا على وجودها

والسحار لم يصل للاسف فى قصته الفنية وصفحاته التى تربو على المائتين بكثير ، الى ما وصل اليه فى سطوره الاديب الذى لم يكتب القصة المرحوم احمد امين فى ترجمة حياته عن معلمته الانجليزية . فقد اقنعتنا تلك السطور التى حملت دعوة المعلمة اليه الحب الزهو واللوحات ، ان « مسز بور » غريبة حقا ولا يمكن ان تكون مصرية او شرقية بحال من الاحوال وهذا مالم تفعله آنر الا مرة واحدة فقط فى كل الرواية !

فمن المرات النادرة ، التى احس معها القارىء ان المؤلف يعبر عن فتاة اوربية فعلا ، عندما اعترفت آنر بسر اختيارها لمهنة الدعارة .

ان كل واحدة من بنات الليل ، تكتشف الدافع الذى اوصلها الى تجارة الجسد ، كالفقر او الشبق الجنسى ، او الغرام بالكماليات . ولكن بطلتنا تجد دافعا آخر قاسيا ولكنه واقعى بالنسبة الى الغرب . لقد اختارت موقفها « نتيجة تفكير ومقارنات عقدتها بين مهنتى التى امارسها وعملى فى متجر او مصنع اننى اكسب من مهنتى كثيرا سأتناوله اجرا فى الاسبوع استطيع ان احصل عليه فى ليلة ، وما افعله مع روادى ربما فعلته مع صاحب المصنع او المتجر او مع زميل من زملائى دون ان اتخذ عليه اجرا . وجدت ان العمل ان يحصننى ، وان كل ما يحققه لى انه يقلل من دخلى . » ص ٧٤

وهنا لابد ان نذكر « عصفور من الشرق » وصاحبه .

لقد عاش القارىء غرب توفيق الحكيم تماما ولم يعش غرب السحار ابدا . لماذا ؟ لان المؤلف الاول جعلنا نقيم هناك كما اقام هو ، والثانى دفعنا الى خطف زيارته كما خطفها هو ،

والفرق كبير بين الاقامة والزيارة . الحكيم اتسع له الوقت ليستوعب اقصى ما يمكنه من المقومات الشخصية والآخر لم يتسع له الوقت فاستعان بالصنعة تعوض له ما فاته وليست الحقيقة كالخيال «عصفور من الشرق» جمعت بين السطح والاعماق بينما اكتفت جبر الشيطان بالتناول الخارجي . ولعل هذا ما يدعونا الى الحديث عن السحار الرحالة .

فمما افسد على الاستاذ السحار قصته ايضا ، تعمده القيام — حتى فى ادق المواقف — بدور الرحالة ، الذى لا يسعده الا المناظر الجديدة التى تقع عليها عينه . ولذلك فان الارض لم تشترك مع شخصيات الرواية واحداثها فى وحدة واحدة ، وبدا الاطار اكثر ارتفاعا او انخفاضا من الصورة . فلم يأتلفا فى مستوى واحد ولم يلتقيا وكأنهما خطان متوازيان .

لقد اراد أديبنا أن يستفيد برحلاته خارج القطر . وهى فكرة حسنة فما اشد حاجتنا الى عوالم وبيئات اخرى لنخرج القصة المصرية من رتابتها المألوفة التى كادت ان تجمدها . ولكن عندما وضع السحار فكرته موضع التنفيذ كتبها باسلوب المقالة لا القصة ولذلك فقد تميز عنصر الرحلة عن عنصر الاحداث ، ولم يستطع ان يدمج الاولى فى الثانية ، وكانت النتيجة انفراد كل من القاص والرحالة بحديث قائم بذاته ، فكأنهما شخصان اثنان لا واحد . وتفككت اوصال الرواية بهذا التضعضع البنائى .

قامت آنر بزيارة على بناء على دعوته لتوثيق صداقتهما الخالصة ، وشربا الشاى ثم خرجا يتريضان فى حديقة ، وقد اخذ الشعور بالثقة فى الآخر عند الالمانية يتأكد ، واحست انه لم يعد مجرد رجل يتشابه مع المئات الذين يجيئون الى الملهى الليلى ويلتقون بها ، بل صديقا عزيزا تطمئن وترتاح اليه وتسعد بلحظاتها معه فى نشوة روحية ، وكذلك احس على فاخذ يحدثها عن خصوصياته وعائلته وبدا الخط الدرامى ينمو والاحداث تأخذ طريقها الى القمة لتكون « العقدة » ، وبينما القارىء ينفعل بالمشاهد البنائية التى تترى ، اذا بالسحار يقطع السياق تماما وينحرف الى جانبى ، ليقول لنا فى اهتمام شديد « ورأى بعض الشبان يبتعدون ثم يعودون وفى ايديهم جيلاتى يقدمونه الى فتياتهم واثار عجبه ان رأى الفتيات يدفعن ثمن ما يقدم اليهن ، وحتى الذاهبات للنزهة فى النهر كن يشاركن رفقاءهن فى دفع ايجار الزورق » ! ص ٧١ . وهكذا «يميع» المؤلف مشاعر القارىء فى ادق مواقفه

على الرغم من أن مفهوم الدين اليوم عند الكثيرين لا يعادى الفن ولم يعد الاديب يتهم فى عقيدته اذا تناول موضوعا دينيا فى احد قوالب الفن الجديدة كالقصة والمسرحية ، الا أن القصة الدينية أو التى تنزع الى الدين ، لم تسلم بعد من الكثير من المآخذ التى جاوزتها انواع القصص الاخرى . ولا يعتذر عن ذلك بأن القصة ذات اللون الدينى اكثر حداثة من القصة المصرية « الحديثة » بوجه عام . ولكن السبب يكمن فى قلة من يتصدى لكتابتها من القصاص ، ومنهجهم غير التحررى الذى يخشى ان يصدم اصحاب التقاليد ، وتجاهل النقاد لهذا اللون تجاهلا يكاد يكون تاما ، وابتعاد المواهب الناشئة عنه فلم يمد بدم جديد ، وقبل هذا كله ، غلبة ذاتية الكاتب المتدينة — وهى غالبا الدافع الوحيد لهذه الكتابة — على اصول الفن القصصى .

وعلى ندرة من يتحدث عن امتزاج

الدين بالفن ، نجد أستاذا جامعيا رائدا كامين الخولى ، يهتم بهذا الميدان ويكتب عما يمكن ان نعده اساسا أصيلا فى مجال القصة ايضا ، من حيث وصول عنصرى الامتزاج الى مستوى واحد من اهتمام الفنان ، عندما « يتصل اشراق التدين ، يتسامى الفن ، وتلتقى الارواح فى الافاق الكريمة ، متجردة من أوضار المواد ، تتعارف فيها الحقائق ، فاذا هذا الانسان فى تفلسفه ، مثله فى تدينه ، شبيه به فى تفننه ، يتآخى عنده الحق والخير والجمال » (١)

ونقطة الضعف التقليدية الاولى التى تصيب معظم من يتناولون موضوعات دينية عندنا ، هى الانزلاق الى الخطابية ، ولم يستطع السحار ان يتحاشاها رغم ما يردده دائما من انه يبغض الوعظ ولا يعترف به ، لانه يعرف جيدا طبيعة العمل الفنى والصنعة القصصية . ونحن نثق بصدقه وهو يعرض وجهة نظره الشخصية هذا من العنصر الدخيل على الادب الحق . الا ان الكلمة الاخيرة ابدا للنص نفسه قبل كل شىء ، فهو وحده يقطع الشك باليقين .

فماذا نجد فى جسر الشيطان ؟

وعظا يتمشى فى الرواية من اولها الى آخرها . ولكن الحيرة التى تاخذ بالقارىء ، ليست فى اكتشاف هذا الوعظ ، فهو يكاد يلمس باليد ، بل فى ايجاد تسمية مناسبة له حتى لا يظلم الكاتب . فما لاشك فيه ، انه ليس وعظا صادرا عن طبع مقيت ورغبة فى الاستعلاء ووظيفة شهرية يؤجر عليها آخر كل كل شهر . ولكنه وعظ ناضج يستفيد من معارف الحضارة الحديثة ، ويرفض ان يظهر بصورته البدائية الساذجة القديمة . فهل من تفسير لهذا الموقف المتناقض من قول السحار وعمله ؟ نعم . وانه ليعلل بان غرام صاحبنا لعرض المثل العليا اقوى من قلمه ، ولذا فهو كثير الاستسلام لهذا الحب ، لا يستطيع مقاومته ، تاركا له ان يقوده وفق ما يهوى .

ومن ناحية اخرى فان طبيعة هذه المثل الانسانية الرفيعة المستوحاه من الدين ، جعلتها تقترب تلقائيا من الاسلوب الاول الذى اصطنع للوصول الى قلوب الناس ، المقتربين من الفطرة والمعاصرين للنبوة ، اسلوب الوعظ والارشاد والخطب المنبرية . وكانه حمل بعضا من « التقديس » لطول ممارسته الدعوة الدينية ، وحينما اراد كاتبنا المعاصر المتأثر بالعقيدة السماوية ان يستوحى مثالياتها ، خيل اليه انه مقيد الى حد ما بهذه الوسيلة ، فاراد ان يطورها لتناسب المستوى الفنى الحديث ، وحتى لا يجلب لنفسه السخرية بدلا من الاعجاب . ولكنه لم يوفق لانه لم يبتعد كلية ويخرج من تلك الدائرة العتيقة ، ولو فعل مستحدثا تكنيكا جديدا لبلغ من نجاحه ما يشتهى بدلا من اضاعة جهده فى ترقيع ثوب بال .

وشىء ثالث كان له اثره الكبير فى تعميق احساس القارىء بالعنصر الوعظى ، وهو تأثر المؤلف تأثرا بالغا باسلوب القرآن ، وخاصة من ناحية خطابيته لا فنيته ، التى تحيلنا على النور الى الدين .

---

(١) امين الخولى ـ مالك بن انس ـ ترجمةمحررة . ص ٢٦٣ .

لم يترك السحار نفسه على سجيتها ، بل كان دائم الانتباه الى انه يقوم بدعوة ما . فهو يحمل بحماس غير مكتوم لافتة معينة يسعده أن يرفعها دائما . لقد كان هدف جسر الشيطان على الدوام واضحا الى درجة تعشى العين ، صارخا الى حد يخرق صماخ الاذن . فما أقر بها الى القصة التعليمية ، نفس الشعور بعدم الارتياح ، الذى يتولد فى نفسية القارىء من وقوفه على تحايل المؤلف غير المشروع فى تسلله الى قلبه . فهو ـ أى الاديب ـ لايطالعه بوجه صريح ، بل يعمد الى غرضه التربوى او الارشادى فيدسه دسا عن طريق يعرف مقدما انه يستملح ويرتاح اليه . لكن وقع اكتشاف هذا الاسلوب الملتوى ، وما أسرع ظهوره ، يفسد من متعة القراءة ويوحى الى المتلقى انه ضحية كاتب يسخر من ذكائه ويحتال عليه احتيالا غير فنى .

وهكذا يدفع الحماس واحدا مثل السحار الى ان يبدد بيده جهده الكبير .

●

تبرز جسر الشيطان قدرة السحار على البناء الهندسى الذى لا روح فيه ، والذى لا يعدو أن يكون خطوطا بالقلم والفرجار ، فكل شىء قد أعد بصرامة مقدما ، ورسم القاص لشخوصه حدودها الهندسية وخطها القدرى الذى لابد أن تسلكه بدقة ، وتسلط عليها وسلبها حريتها وحق التحرك الذاتى الذى ينبع من داخلها ولايخلق بالامر . لقد أعانها وعبد لها الطريق واشفق عليها أن تحفره باظافرها مستهدية بما ركبه فيها خالقها القاص من فطرة تقود وتميز السلوك وتختار فتاتها الصغير الخاص بها والذى يبعث فيها الحياة والحيوية ، ولم يكتف بهذا كله بل نزل اليها وتشبث بالاخذ بيدها ، فكان هو قدمها التى تتحرك بها ، كاننا اذن فى مسرح عرائس ، والشخصيات لا تملك لنفسها خيرا ولا نفعا ، فهى مجبرة لا مخيرة حتى فى النطاق المحدود لهذا الاختيار . وهذا هو الفارق بين الكاتب الملتزم المقيد بدعوة ، والكاتب الحر المقيد باحساس . الاول لايستفيد بكل امكانيات شخوصه ، لانه يقتطع منهم اثمن ما فيهم وهو ارادتهم الحرة ، التى بدونها يصبحون عبيدا ان رايناهم يتحركون كغيرهم من الناس فهى حركة تقليد ، مهما تكن براعة المتحكم فى خيوطها فهو لايتمكن من تجسيدها نبضا حيا ، لانها غير اصيلة لا تنعكس من ذواتهم ولا تنبع من اعماقهم .. شىء مستعار .

والعكس صحيح عند الكاتب الآخر ، الذى يكتشف لنا فى كل خطوة أرضا واعماقا جديدة ، ولكنه لايخترع شيئا ، لان وجهته التى ارتضاها لنفسه لا تنهض فى تخطيطها الاساسى على الاسلوب الهندسى والادوات العلمية ودقة « الاختراع » التى تجفف ينابيع الفن . وهذه الدقة تختلف اختلافا كبيرا فى نوعها عن مثيلتها عند الفنان المكتشف ، فهما على طرفى نقيض ، فبينما تعطينا الاولى خطوطا مجردة باردة ، تضيف الثانية لمسات حية دافئة .

ولقد اتخذت جسر الشيطان من الدعاية والخطابة اسلوبا . ولم ينجح الكاتب فى التخلص من نبرته العالية وتعبيره المباشر ، فكأن اجزاء القصة جميعا سلسلة من اللقطات الصارخة التى لا تفترق الا فى مستوى هذا الصراخ بين الغليظ والرفيع والمرتفع والمنخفض نسبيا فى درجاته .

ان البحار لا يترك لقارئة لحظة واحدة ينعم فيها ببعض الهدوء ليستخلص لنفسه ما يكمن فى الموقف من تفسير ودلالة وفى الكلمات من معنى وايحاء . ان نصوص كاتبنا ليست فى حاجة الى شروح لانها شروح أصلا . وهذا الاسلوب المبسط لايمنع القارىء لانه يهبط الى المستوى الادنى فى الفهم ، ويفقده متعة الاحساس بما خلف الكلمة والعبارة من عالم ، عمل القاص الجيد حياله ان يفتح له بابه ليقتحمه المتلقى وحده مزودا بطبيعته وثقافته وتجاربه ، ومن انعكاس العمل الادبى على هذا كله تتكامل اللذة القارئة . ان الفرق بين الانتاج القصصى الممتاز والعادى ، ان الاول يقدم الينا شيئا ويترك لنا اشياء ، تحتاج منا الى عملية تعادل عملية الخلق نفسه ، من تفسير وكشف وتجسيد واستيحاء ، ونحن نحس ان صاحبه معنا لم يغادرنا بمجرد انتهائنا من القراءة . عمله لا يفقد صلته بنا لانه لا ينتهى ابدا ، فكل قراءة يمكن ان تكون اضافة جديدة . اما الاخر فعلى العكس نشعر انه يلفظ كلمته ليلفظ هذه العلاقة التى بينه وبيننا وبالتالى يقطع صلته بنا ، فكأنك لم تكن قارئه ولا تعرفه ! والبحار للاسف فى «جسر الشيطان» من الصنف الثانى ..

فى نهاية الفصل الثالث تم الاتفاق بين على وآنى على ان يقدم اليها طعاما شرقيا فى اليوم التالى ويضعه فى مطبخها ، فأعطته مفتاح شقتها لانها تستيقظ متاخرة عادة ، فلننظر كيف عرض علينا المؤلف هذه التجربة .. « اخرج على المفتاح من جيبه وقلبه فى يده وهو نشوان ، فقد نسى كل ما كان بينه وبين الرجل الاخر الكامن فى اعماقه طوال ليلته الماضية وماوجهه اليه من اتهامات ، فقد عنف عليه واصر على ان تقديم المفتاح اليه ان هو الا بداية علاقة داعرة واقرار منها بتسليم مدينتها المفتوحة ، بل اكثر من اقرار ، انه اغراء وتحريض ؛ وان نظرة ماجنة منه كافية بان تهتك كل ما بينهما من حجب . .» ص ٨١

هكذا بكل بدائية وقول مباشر ، الغى البحار كل ايحاء وكل انفعال عميق ، يمكن ان يستشعره القارىء مستخلصا اياه بمجهوده الخاص من انعكاس سلوك معين . لقد جاوز المؤلف حقوقه ، وبدا كالرئيس المحب للسيطرة الذى يدس انفه فى كل كبيرة وصغيرة ولا يترك لمرؤسيه من عمل الا التفرج عليه ، و فى النفوس غيظ مكبوت لانه استبد بالامر كله دونهم ، فحرمهم لذة العمل الذى يجعل لوجودهم معنى ، وهكذا فعل مؤلفنا ، حرم القارىء لذة الاشتراك فى تحويل الكلمة المكتوبة الى حياة مجسدة .

●

ويسوقنا هذا الحديث الى الالتفات الى ظاهرة اسلوب البحار الموحد رغم اختلاف طبائع الشخوص .

لقد انتظر القارىء ان يختلف اسلوب تصوير آنى عن اسلوب تصوير على ، لا لان هذه امراة وذاك رجل وهما يختلفان بيولوجيا ، ولكن لان تكوين كل منهما النفسى وفلسفته ، لا تتفق فى الكثير من النقاط . هو مؤمن متدين يعيش على الارض متطلعا الى السماء وهى ملحدة فاسقة تعيش على الارض منغرزة فى الطين . واذا كان الكاتب قد عرض علينا صورة على وقد تلونت باللمسات الصوفية الدينية ـ ونحن لا نتناول الان مدى اجادة هذا التلوين ـ فكان من الطبيعى اذن ان يلون الحديث عن الراقصة بما يتفق ومنهج حياتها . ولكن قاصنا لم يفعل ، فكان الاسلوب هو الاسلوب ،

فلم يعكس طبيعة آني بل عكس طبيعة علي وبالتالي وجهة نظر المؤلف نفسه . ولنذكر هنا ما فعله كاتب عربي آخر في قصة « اللص والكلاب » لقد فطن نجيب محفوظ الى ضرورة اختلاف الاسلوب لتتكامل شخصياته وتزداد ابعادها عمقا متلائمة مع نفسياتها ، ولذلك تباين اسلوب الكتابة في تناوله لشخصيتين الرئيسيتين ، سعيد مهران ونور . فالعبارات التي صورت الرجل الموتور الثائر على اصدقائه الذين خانوه ، كانت كصاحبها الذي يحمل مسدسا ليفرغه في صدور الخونة الكلاب ، قصيرة سريعة مذكرة قاصمة حاسمة لا تدع مجالا لفراغ او ثرثرة او تراجع . أما اذا صورت نور الفتاة البغي التي ملت حياة الليل وأملت في عيش هادىء مستقر في احضان الرجل الذي تحبه ، فالجمل تكون سيمفونية طويلة حلوة متصلة النفس كالامل في الغد المطمئن .

كان السحار يأخذ على القارىء انه لا يفهمه حين يرمز في قصصه ، لا لان رمزه يصل الى مستوى الالغاز التي تحتاج الى عمليات عقلية عويصة ، ولكن لان هذا الخيط غير واضح خافت النبرة يكاد يتوارى خجلا ويختفي عن الانظار . فلا يحس به القارىء ولا يلتفت اليه ، وبذلك يضيع تعب مؤلفنا سدى ، لا لان القراء لم يستمتعوا به ولكن لانهم لم يتريثوا قليلا ويتعمقوا انفهم وما وراء الالفاظ ليكتشفوا مامن اجله امسك الكاتب بالقلم . وانا لنتخيل اله وحزنه وهو يقول بقلب موجع معلقا على فشل رمزه في احدى قصصه السابقة .

« واذا عجز القراء والنقاد عن فهم مدلول الرمز ، واكتفوا بما يوحيه ظاهر النص او الحادثة او الشخصية ، كان ذلك دليلا على اخفاق القاص في استخدام ادواته الرمزية . » (١)

ولكن اعتراف كاتبنا بهذا النقص والقصور ، لا يمنعه من رفع اصبع الاتهام في وجه القارىء ، سواء أكان قارئا عاديا او ناقدا « يحتاج الى قارىء متفتح الذهن ، يفطن الى حقيقة ما يريد القاص أن يشير اليه ، ويحسن تأويل النص او الحادثة ، او الى ناقد يلقي الاضواء الكاشفة على الرمز ، فلا يجد القارىء صعوبة في فهم ما ظهر مما يقرؤه وما بطن » (٢)

ويبدو ان السحار قد اخذ حذره هذه المرة ، وعول على ان يتقدم خطوات في تجسيد الرمز والاشارة اليه ، حتى يجيء اكثر وضوحا من المرات الفائتة ، وحتى لا يدع لاحد حجة واهية او غير واهية ، يتعلل بها في عدم الاحاطة بما يكمن في احشاء القصة من معان بكر لم تكتشف بعد . ونجح اديبنا فيما اراده واكثر مما أمله الى الدرجة التي خشي معها ان يخرج من الرمز كلية الى التصريح ومن الكلمة المغلفة الى المجردة ، او تقدم خطوة اخرى !

« اما بعد ان التقينا وقبست منك بعض النور فقد تبدلت حتى انى في كثير من الاحيان انكر نفسي » ص ٩٦ ١ . ونفحة الايمان التي جئت بها من الشرق الساحر ستظل في سويداء قلبي ما حييت . ص ٢٢٧ .

●

وجسر الشيطان تدفع المرء دفعا

---

(١) عبد الحميد جودة السحار . القصة من خلال تجاربي الذاتية ص ١١٦ .
(٢) المرجع السابق .

الى مقارنتها بعصفور من الشرق للحكيم ، كل منهما تريد أن تكتب عن الشرق والغرب ، وتختار ارض الحضارة الحديثة مسرحا لاحداثها ، وتتحدث عن المادية والروحية . ولكن اى القصتين كانت افعل فى النفس وادق فى رسم الصورة والتعبير عن مضمونها واقرب الى ما اراده صاحبها ؟

لا اكاد اشك لحظة فى انها قصة الحكيم . ولا اظن أن الرجل اجهد نفسه اجهادا زائدا كالسحار . الذى وجدانه لايستطيع ان يحول مايختزنه الى شكل فنى الا عن طريق الرمز . وليس من القسوة القول بان «عصفور من الشرق» الواقعية اكثر ايحاء بالرمزية من جسر الشيطان الرمزية . فهذه هى الحقيقة . والسبب — زيادة على ما المحنا من قصور رمز السحار عن الابانة والعمق والتركيز — أن الموضوع المتناول بطبيعته يحمل فى احشائه بذرة التمثيل الرمزى . فليس من ضرورة اذن للاثقال عليه بالاسلوب الملفوف ايضا ، لان سمة كل شخصية التى يحددها عالمها جو ، ستنبىء بخصوصية هذا العالم .

يذهب محسن الشاب المصرى الخام الى صديقه اندريه الفرنسى وزوجه چرمين ، ليهيئاه ويشذبا من هندامه للقاء الاول لمن يحب . اضطر صاحبنا الى ذلك رغم انه لم يكن يؤمن به قبلا ، ويعلله « المسألة مسألة ذوق ! ما دام هذا المنظر يصلح فى رايكما للذهاب الى المواعيد ، فليس من الكياسة ان اطعن فى ذوقكما » (١) أن هذا ايضا الموقف النفسى للشرق المتخلف وهو يعد نفسه لاستقبال الغرب المتقدم .

●

للسحار راى معروف فى الجنس بلوره فى قوله : «اننا لا يمكن ان ننكر اثر الجنس فى تحريك البشر وسلوكهم ، ولا يمكن ان نلغى اثر الروح ، فعلى القاص الذى لا يحمل مباول الهدم ، ان يصور لحظات الهبوط ولحظات التسامى فى الانسان ، ان يسلط اضواءه على الجوانب السوداء والجوانب البيضاء على السواء » (١)

ولعل هذا ايضا يكون ردا على سؤالين هامين يمكن ان يوجها اليه حول الجنس فى القصة بوجه عام وحرية الكاتب ذى النزعة الدينية فى تناول المواضيع الجنسية . ووجهة نظر كاتبنا صادقة ، فمن الغباء ان نتجاهل شيئا ضخما يشترك فى تكوين الانسان ووكلت اليه الطبيعة بقاء الجنس البشرى .

فكيف استخدم السحار هذا العنصر فى قصته ؟

ان ما يفهمه القارىء من راى اديبه انه يبغى الاعتدال فى الكتابة فلا يسرف

---

(١) توفيق الحكيم — عصفور من الشرق . ص ١٢٥ .

(١) عبد الحميد جودة السحار . القصة من خلال تجاربى الذاتية . ص ١٠٦

فى التعبير عن احد الجانبين . ولكنه أى القارىء عندما يطالع العمل الادبى يجد ان القاص كان أبعد عن الاعتدال ، فهو يسرف فى الحديث عن الجنس اسرافا شديدا وملحوظا الى درجة لا تحصى مواقفه .

ولقد عمد مؤلفنا الى الاكثار من هذه المواقف الجنسية بمناسبة وغير مناسبة بشكل يسترعى الانتباه ، ويخيل الى انه لم يكن يهدأ الا اذا حشى كل فصل ببعض منها لينطلق بالكتابة خفيفا الى فصل آخر . والامثلة على ذلك كثيرة ، يطول بها القول طولا مسرفا : فلنلتقط بعض هذه الخطوط فى فصل واحد هو الرابع من الفصول الثمانية ..

رفض آنى اكتفاء على بخلع سترته وحدها وهو يعمل فى المطبخ فتاخذه معها الى حجرة النوم لتخرج له بيجاما ، وما يثيره مخدع الانثى الخاص — وبغض النظر عن كونها عفيفة او غير شريفة — فى نفسية الرجل واعصابه. واكثر من ذلك صورتها العارية الكبيرة المعلقة فوق السرير .

ثم معاونتها اياه على ارتداء المريلة — وكانها عملية صعبة — فيتلامس الجسدان .

الخاطرة التى استبدت به فى ان يجرك الطعام بيد ويداعب جسدها باليد الاخرى وتقهقره فى آخر لحظة بعد أن كاد يفعل .

وعبارتها عن قرب الحمام اذا تخلل رائحة البصل شعرها ، وكيف اهاجته الكلمة .. وتصادم القدمان .. الخ ..

ويدافع السحار عن هذا الاسراف بقوله « قد يضطره عمله الفنى الى ان يسرف فى القاء الاضواء عليها — على الدوافع الجنسية — ، ولا عيب فى ذلك ، ولكن العيب ان يكون هدفه الاثارة . وان يسهب فى المواقف الجنسية دون ان تكون هناك ضرورة فنية . » (١)

ونتساءل ولماذا يسرف القاص وهل الاطالة اكثر تعبيرا ، ان الاسراف بلاشك اخذ الطرق الموصلة للاثارة . ومحاولتنا التفريق بين الاسهاب والتهييج الجنسيين عذر ساذج غير معقول . ان الرجل الامى يقول بفطرته ان الشىء اذ زاد عن حده انقلب الى ضده ، وانا لنتفق مع عباس خضر حينما نقد قصة « المستنقع » لكاتبنا وقد ظهرت فيها نفس الظاهرة : «وقد أسرف المؤلف فى بيان الاثارة الجنسية اكثر من مواقفها ، ولكنى ارى ان اختيار حوادث القصة بهذا الوضع لابد فيه من ذلك الاسراف ، وماكانت تتم منطقية الوقائع بغيره .. ولكن لم اختار المؤلف حوادث قصته بحيث تحتاج الى الافاضة فى الوصف المثير » (٢)

---

(١) عبد الحميد جودة السحار . القصة من خلال تجاربى الذاتية . ص ١٠٧

(٢) عباس خضر . الرسالة الجديدة . يونية ١٩٥٨ .

نعم لم اختار السحار حوادث قصته بهذا الشكل ؟ هذا هو السؤال ! وليس الاسهاب الجنسي هو كل ما يؤخذ على السحار ، فعباراته وان لم تكن شديدة العرى فهى عارية بما فيه الكفاية ، ولعله لا يجد حرجا فيها البتة ، لانه يتمثل دائما باسلوب سفر الانشاد المكشوف ويعجب به ، واظنه يريد بذلك ان يفحم كل معارض بتستره خلف هذا الكتاب السماوى. ومن الطريف ان نقارن فى هذا المجال بين هذه القصة الحديثة للسحار وبين قصة اخرى حديثة ايضا لنجيب محفوظ .

ومن المعروف عن نجيب محفوظ انه لا يتحرج فى تناول الجنس فى قصصه والقارىء العربى لازال يذكر الضجة التى اثارها النقاد حول هذه الناحية فى ثلاثيته عند ظهورها ، ورغم ذلك فهو لا يسرف فى تلمس الخطوط الجنسية وتناولها بعنف كما يفعل السحار المتدين ..

ولنأخذ هذا النموذج - الذى لا يعد بالطبع مثالا مطلقا لصورة الجنس عند نجيب - من قصته الاخيرة « اللص والكلاب » .

لقد كانت نور وصديقها او صيدها ابن صاحب مصنع الحلوى تبه عاريين وغارقين فى الدنس فى سيارة انشاب ، عندما ظهر لهما سعيد مهران مهددا آمرا بالخروج من العربة . فماذا كتب صاحب الثلاثية فى وصف هذا الموقف العارى الذى لا يملك اى كاتب ازاءه الا ان يستخدم قاموس اللفظ الخادش للحياء مضطرا ؟

« القت نور بجسمها الى الخارج قابضة على ثيابها فى كومة واحدة ، وتبعها الشاب وهو يدس نفسه فى بنطلونه متعثرا » (١)

لا كلمة واحدة عارية او نابية او حتى غامضة ذات اسلوب ملتو . انها الفاظ مهذبة جدا وواضحة . وهكذا استطاع الكاتب ببراعته الفائقة ان يعبر بلفظ مؤدب عن لحظة عهر غير مؤدبة . واكثر من هذا ينبغى لنا ان نذكر ايضا ان نور لم تكن امراة عادية بل مومس تبيع جسدها ، اى ان المادة المثيرة بل الاكثر اثارة موجودة ورغم ذلك فلم يدفعنا اليها الكاتب البارع ابدا ..

●

وقارىء السحار سوف تفاجئه فى هذه القصة ، اختفاء ظاهرة كانت تشترك فيها معظم روايات اديبنا ان لم نقل كلها ، وهى كثرة شخصياتها كثرة غير قليلة ، فهو يكتفى بوضع على وآنى فقط فى منطقة الضوء ، اما كارل وماكس وفؤاد معرض المجوهرات فى الفندق فهم فى منطقة الظل ، يكاد الاهمال يلفهم لفا ولذا خرجت شخصياتهم مسطحه جامدة قليلة الجدوى فى اغناء القصة .

ويعمل السحار من اول القصة

---

(١) نجيب محفوظ . اللص والكلاب . ص٩٠ .

حتى تقديم بطله الى القارىء ، غير مغفل شيئا من سماته حتى تتكون له فكرة شاملة تستوعبه تماما ظاهريا ونفسيا ووجدانيا .

وهذه الطريقة التى يتبعها اديبنا دائما ، تريح المتلقى لانها لا تتعبه فى البحث وترقب الحوادث حتى يفهم الشخصية تمام الفهم محيطا بها من كل جانب وهذه الطريقة لا تسمح للقارىء بأن يتنفس لانها تتنفس بدلا عنه : لقد حول هذا التكنيك القراءة الى عملية استرخاء لذيذة خفيفة لا تستهلك « سعرا » واحدا من هذه الوحدات الحرارية التى يحتاجها الجسم فى الاحتراق نتيجة للمجهود البشرى :.

« وانما يتحقق وجود العمل الادبى على قدر المستوى الدقيق لطاقة القارىء . وحين يقرأ فيخلق مايقرؤه ، يظل على علم بانه يستطيع دائما أن يذهب الى ابعد من ذلك فى قراءته ، ممعنا فى تعمقه قراءة وخلقا . وانتاج القارىء لصفات ما يقرأ — على هذا النحو المطلق الذى يصدر عن ذاتيتنا ، فلا يلبث ان يتضح أمام اعيننا فى شكل « موضوعى » — هو انتاج منيع يمكننا ان نرى فيه مشابها من العلم الواضح الذى خص به « كانت » الذات الالهيه » (١) .

لا اظن القارىء يجد قاصا عربيا يغرم بالتفاصيل كعبد الحميد جودة السحار ، انه فى احيان كثيرة لا يهتم بالتفرقة بين التفاصيل الضرورية والحشو . انه يعتمد على ان الرواية ترحب بالجزئيات الصغيرة وهذا كل شىء . والتفاصيل الزائدة تعوق التطور الدرامى . لانها تستلب من القارىء التفاتا جانبيا يبعده عن الخط الاصلى فى القصة . ولعل ابسط الامثلة على هذا الجانب فى « جسر الشيطان » قول كاتبنا : « كان يرتدى اجمل ثيابه وكان شعره الاسود يلمع من اثر الدهان الذى اشتراه ذلك الصباح ، من محل التجيل المواجه للفندق » ص ٦٤ . ما اهمية معرفتنا بالمكان — دعك من الزمان — الذى ابتاع منه البطل دهانه ؟ !

ولقد خلق هذا الاسلوب المسهب ظاهرة واضحة كل الوضوح ، وهى تعمد اديبنا تعريض بطله المتدين الى اكبر قدر ممكن من الهزات الجنسية ، وكانه عالم يجرى التجارب على مادة جامدة فى المعمل ، ليبلوها ويتحقق من قابليتها للطرق والثنى والتشكيل الى آخر هذه العمليات الكيميائية .

المصادفة الخارجة عن طبيعة الحدث تسير دائما فى ركاب الضعف ، تؤيده وتشايعه ، ولذلك تبدو كالرقعة فى الثوب ، تفضح رثاثته وتكشف هلهلته وتمنع القارىء من الاطمئنان الى صدق العمل الادبى وجديته . يقول د . مندور عن تدخل المصادفات

---

(١) جان بول سارتر : ما الادب . ترجمة : د . محمد غنيمى هلال . ص ٥٧

« لا يسمح بتصوير الشخصيات تصويرا حيا صادقا لان تهشم الخطوط الدرامية نتيجة لتلك المصادفات خليق بان يذهب بالابعاد الحقيقية للشخصيات » (١)

فالمصادفة هى التى جعلت آنى وعلى بصحبتها فى حديقة الحيوان ، تختار أحد الموائد ثم تكتشف انهما بالذات هى التى جلست اليها قبلا مع كارل وتكون المناسبة لسرد قصة الحب !

والمصادفة وحدها التى دفعت راقصتنا الى دخول متجر لتبتاع شيئا ، فتصطدم مرة بعد مرة قبل الشراء وبعده بشاب هو كارل ، وتبدأ قصة حبهما !

والمصادفة ايضا هى التى ساقت كارل الشاب الجاد للذهاب لاول مرة الى الملهى الليلى الذى ترقص فيه آنى ، فى نفس الليلة التى عولت فيها صاحبته التى اخفت عنه مهنتها ، ان تعترف له بها قبل الزواج منه ، فراها عارية تماما ، وتنتهى قصة الحب ! !

من الالفاظ القليلة المترادفة التى تقوم بدور المنقذ وتكون بمثابة طوق انجاة بالنسبة للقاص ، تنتشله من المازق الذى وضع نفسه فيه غالبا ، كلمة « فجاة » ! فبعض الكتاب يرون فيها سحرا عجيبا قادرا على صنع الاعاجيب ، والاعاجيب تعنى هنا عدم الاضطرار الى التبرير والاقناع ووجع الدماغ ! وهذا ما وجدنا عليه السحار فى هذه القصة ، فهو فى اكثر من موقف حاسم يختصر الطريق ويقطعه ولا يقدم مبررات ويرتاح الى المفاجاة ، ربما لان المعنى فى اسلوب الاقناع يكلفه من امره عسرا ، وقد تعرض ادبنا لهذا كله لعدم المقولية والمغالاة فى اتخاذ المثالية التى توسل بها الى تصوير موضوعه فابعدته عن عواطف القارىء . ونكتفى بمثال . هو ما فى ص ٩١ عندما كان على فى مطبخ آنى وهاجت شهواته ، فاقترب من الراقصة يريد ان يضمها اليه و « فجاة » استيقظ شيئا ما فيه فشلت يده !

●

من نواحى الضعف فى هذه القصة حوارها ، ففى اكثر من موضع نجد حوارا ثقيل الظل طويل النفس ، يتحرك ببطء وكانه قوالب الطوب ويمضى فى رتابة يجر نفسه جرا ، حتى تجمعت رغبة القارىء فى المرور عليه سريعا وخطفه خطفا وينتهى منه ليسلم من ضيق السام الذى تملكه . بل لعل الاوفق والاكثر عدلا ان نقول ان اكثره ليبدو كذلك ، لا لانه هكذا فى حقيقته ، ولكن لان المؤلف تزيد فيه بغير داع واطال فيه بلا موجب حتى اسام القارىء الى درجة الاملال الخانق ! ربما اراد فنانا ان يبين ان الشخصيات المثالية اشباه على

(١) د . محمد مندور . مسرحيات عزيز اباظه . ص ٢٠ ـ ٢١

على جانب كبير من الثرثرة والثقل والجمود !

وشيء آخر أعان على اضعاف الحوار ، وهو شكل الحوار نفسه ، فقد اتخذ له الكاتب اسلوب السؤال والجواب ، وهو اقل الاشكال جاذبية وحيوية وحركة وفنية بطبيعة الحال. انه اشبه بمحاضر الشرطة مثلا ولكن على مستوى ارفع قليلا !

●

واذا كانت هذه الرواية قد تميزت بكثرة الخطرات الفكرية والفلسفية ، فمن الطبيعى اذن أن يلتقى القارىء بومضات ذهنية بارعة بين حين وآخر تتسم بالاصالة . كما قرأ عن العلم وتثبيته دعائم الايمان ص ٥٣ ـ ٥٤ ، وكذلك تحليله الرائع للشاب المتعلق بالمثاليات وهو يتمزق بين حاجة الجسد الطبيعية الى الانثى التى لا يستطيع أن ينكر وجودها وبين اللذة الذهنية التى تستوعب هذه المثاليات ص ٦٠ ، وفى اضطراب المرء بين فهم قوى اعماقه التى تحبذ له عملا وتصرفه عن آخر ص ٦٣ ..

لقد كسب القارىء فى « جسر الشيطان » عبد الحميد جودة السحار مفكرا متدينا وخسره قاصا فنانا .

علاء الدين وحيد

في

٥٨ ش الجمهورية ـ القاهرة ـ ت: ٩٠٤٨٠

في ندوة الأحد ـ الساعة السابعة

حيث يلتقى الشيوخ والشبان حول مائدة حرة

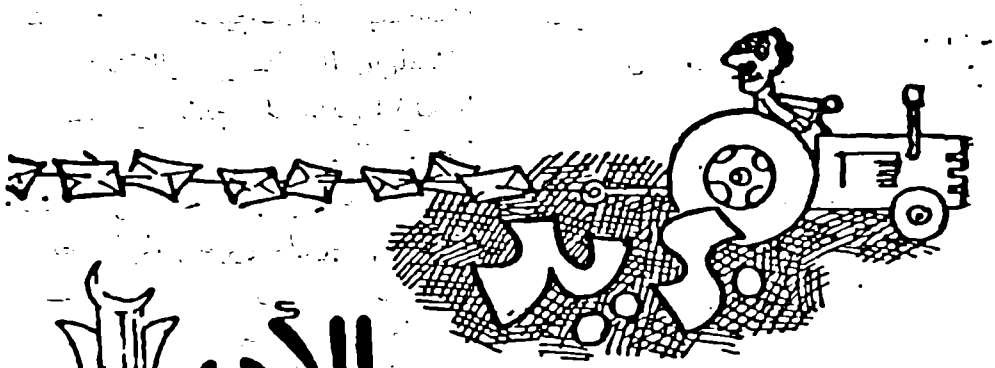

الأدب

تقويم وتدريب

هذه الابوة

اى شىء هذا البريد . . ؟

احقا هو تقويم وتدريب ام هو شىء آخر ؟ وما هذا الشىء الآخر ان كان ؟

اضع هذه الاسئلة ليسمع القراء فى اجابتهـا ما سمعت من جامعى بآداب الاسكندرية ، اذ يقول :

« وفى البريد ـ كما تقولون ـ تقويم وتدريب يستفيد منه النشء والمستحدث « كذا » وان كان هذا مجرد اكليشيه من الاكليشيهات التى تستخدم كثيرا ، فى موضع وفى غيرذى موضع « كذا » ، فتدوى من غير معنى ، وليعذرنى سيدى لهذه اللهجة ، فلقد دلت التجارب والاحصائيات « كذا » ان هذا الباب لم يفرد الا اللهجاء فقط وانا اقول ذلك عن تجربة ، فلقد ذقت منه من القسوة ما ذكرنى ببيت ابن الرومى :

افلا كان منك رد جميل

فيه للنفس راحة من عناء

ولكنى لا اكتمك القول كذلك فى ان الانسان يجد الكثير من السرور فى متابعة هذا الهجاء العباسى ، ومتابعة الرد عليه . واغلب ظنى ان هذا يوجد نوعا من الالفة والتآلف بين الهاجى والراد . . اليس كذلك !!

حبذا لو كان هذا الباب ـ البريد الادبى ـ تقويما وتدريبا بحق ، كما تقول الاكليشيهات . . وهذا مجرد خاطر يرد على الذهن عند متابعة البريد ، ورد المحرر .

وفى خطاب بعد هذا من الجامعى الاديب نفسه يقول .

« . . ولقد قسوت فيها ـ رسالته السابقة ـ بعض قسوات الا انهـا

قسوات هينة ، فليعذرني السيد ، فان اقصى ما يمنى به انسان ان يرى نتاج عمله وقد قوض وان كان غثا « كذا » .

فاما العذر فله منه ما يشاء ، ومنذ عهد غير بعيد قلت لصاحب له : سماح يا عين .. الخ .. فدعنا من هذا ولا تخف من اى قسوة لك او قسوات فعلى هذا واكثر منه قد وطنا النفس ، وهذا الباب حافل باشباه واشباه لهذه القسوة والشعار دائما هو ما سبق : سماح يا عين .

وخلنا — يا ولدى — فى تقويم ما كتبت ولنقومه عقليا اولا :

فقد بدات تقول : دلت التجارب والاحصائيات ان هذا الباب لم يفرد الا للهجاء فقط .. وهى دعوى عجيبة ففى الباب تدريب كثير !! وفيه تشجيع اكثر ، ووعد بالنشر يتحقق فعلا ، ثم هذا الذى ينشر كله للشباب والقريبين من الشباب ، ينفى ان هناك تجارب او احصائيات !! بل انت نفسك لا تلبث أن تكشف نفسك فتقول بعد اقل من سطر : وانا اقول لك عن تجربة فلقد ذقت منه القسوة فهل صارت تجربتك ، وتجربتك وحدك تجازب واحصائيات !! وهل هكذا يفكر الجامعى !!

فاذا جئنا الى التقويم الادبى ثانيا بعد التقويم العقلى اولا :

فاستشهادك بقول ابن الرومى فى طلب الرد الجميل مما اربأ بك عنه ، لان ابن الرومى ، كما لابد أن تعرف معتاف مسقوط او قل بصريح اللفظ متسول بمدحه ، فهل تريد انت ان تستعطى النشر !! اعيذك والشباب جميعا من ذلك .. ثم هل القسوة فى التقويم تكون فى الفن الادبى هجاء !! مع انك تعرف ان ذا العطف يقسو على من يرحم . ولا بد انك سمعت « الادب » غير مرة تذكر من بكانى وبكى على .. الخ .

وادع هذا وذاك لاقول لك فى كل تلطف ، لكن مع كل صراحة :

لقد كتبت فى خطابك تقول : ولست ادرى كيف عجبتنى « كذا » ، كما كتبت تقول : اهل ستعجبكم كذلك ام لا « كذا » والاشارة فى هذا تكفى جامعيا اديبا !! وانت بالامس صاحب الاعذار عن الخطأ بعدم المراجعة واشباه ذلك مما لا يقبل ولا يسمع .

فاعلم — ياولدى — انى لن افكر فى عرض شىء مما تكتبه للتقويم الابعد أن تحسن كتابة خطاب ترسله به .. وما اعدل هذا فى معاملة جامعى آداب مهما تكن قسواتك فلن يثنينى هذا عن واجبى الذى هو واجب القاضى حين يحكم باقسى العقوبة .. وواجب الجراح حين يعمل مشرطه غائرا .. وواجب المدرس حين يجرى الدم الاحمر على صفحة ورقة الامتحان . ولو كان واحدا من هؤلاء يخل بواجبه خشية مثل قسوتك او قسواتك لصار الامر فوضى لاصلاح له !!

على رغم ذلك الاينك . فلا اطيل التعرض للناحية الخلقية فى كلامك اذ تقول : فان اقصى ما يمنى به انسان

ان يرى نتاج عمله وقد قوض وان كان غثا .. فهل يقول هذا جامعى آداب بعد ما بحت الاصوات ، على صفحات « الادب » مناداة بان النقد ضرورة فنية ، وفريضة اجتماعية ، فهل تحول الانانية دون ذلك كله حتى يكون تقويض عملك وان كان غثا من اقصى ما تمنى به ولا تجعل ذلك شعورك وحدك ، بل تحدث عنه بعموم فتقول : اقصى ما يمنى به انسان !!!

الا انصف من نفسك يا ولدى تنصف نفسك ويرجى لك ان تكون شيئا .

وباب البريد دائما تقويم بلا شك وتدريب بلا مشاحة ، وقل بعد ذلك ما تشاء فغيرك قد قال مثل هذا وربما اكثر ، ولكن الصبر عليه انتهى به الى أن يثوب لصوابه ويلوم نفسه .. وفى الباب تجارب من هذا لا احصيها .. فحط على الكوم الكبير .

على ان الدنيا والحمد لله بخير وان جحد جاحد او جاحدون ، فقد نقدت « الادب » قبل اليوم ناشئا موفقا ، حين طلب عدم نشر النقد لئلا يؤثر على مجموعة قصصه حين تنشر ، فاذا به فى بريد هذا الشهر يعترف بكل شجاعة صريحة انها كانت منه هفوة ، وحركة غبية يأتيها ابن . . وانه يعتذر بحرارة ، وكل ذلك ومثله معه فى اطار من روح البنوة ، التى يغتبط بها بل يعتز ، ويرجو ان يكون حنان الابوة وانسه اليها هو الذى املى له فقال تلك الكلمة فى غير تحفظ كما يكون الابن فى بيت ابيه .. رسالته فى ذلك طويلة طويلة .. لو نشرتها لاستهلكت فراغا كبيرا .. فله الشكر على سلامة الاحساس « وللادب » المسرة بمثل هذه البنوة ، التى لها منها الكثير ، ولله الحمد .

وفى هذا البريد نفسه ، اكثر من رسالة تحدث عن ثقة بهذا التقويم تدفع الشباب — كما يقول قائلهم — الى مزيد من العرق ، ومزيد من الجهد حتى يكونوا اهلا للثقة التى يعتزون بها ويفخرون .

ومن غريب ما اذكره — فى هذه المناسبة — ان جامعى الاداب هذا كان يرما على خلاف متجن ، مع الشاب الذى يعتذر بصراحة وشجاعة وبنوة كما سمعنا فكان مما كتب هذا الجامعى فى عباراته غير المتحرية — اين اديب الجامعة — يريد نفسه من اديب المزرعة — يريد هذا الشاب اللبق ، فهل اقولها له الان .

اين اديب الجامعة من اديب المزرعة !! شتان ما بين الاديبين فى اشياء كثيرة .. لا اذكرها هنا الآن .

الابوة .. والتلمذة

وفى هذا الجو يحرص الباب على نقائه وصفائه ، ويراه — كما تكرر القول — معقد الرجاء ، وموضع الامل فى جهاد « الادب » اذكر رسالة فى بريد هذا الشهر يقول صاحبها مقالة اخوان له سابقين : —

« فهل تسمحون لى ان اطلب منكم كما طلب زميل لى من قبل ، ان اكون

تلميذا مخلصا من تلاميذكم » فاقول له : حبا وكرامة ، وعلى الرحب والسعة فانها المدرسة الادبية ، لا الجمعية الشكلية ، التى يحتاج الملتحق بها الى شيء من رسوم او تقاليد او نظم .. وقد كررت « الادب » مرارا هذا المعنى ، وقالت : انها الامانة يحملها كل من يستطيعها .. والامناء معان لا شخوص ، الا فى قدر رسمى ضرورى يقيم الكيان المادى الرسمى الذى تتقمصه الروح العامة المنطلقة المتحررة .

ومن فكه ما يذكر فى هذا المجال ان فى بريد هذا الشهر رسالة من صيدا مرسلة الى :

حضرة المدير العام المسئول لمدرسة الفن والحياة المحترم .. وفيها : تحية و .. باسم العروبة نرجو من حضرتك ان ترسل لكل منا نحن الطلبة البيان العام المفصل ، وطلب الانتساب ، مع الموجز للشهادة التى تمنحونها للخريجين والخريجات والمراسلة باللغة العربية .. ونحن بالانتظار ولك الشكر .. الخ .

والتوقيع من اثنى عشر شابا وشابة من اسرة واحدة .. واقول ـ الى ان انعث لهم بالرد الشخصى ـ :

انها مدرسة بغير حوائط ولا ابواب .. لانها روح من الفن سارية ، تسمى بها « الادب » واشباهها ، دون برامج ولاشهادات ..

بيان .. تكرر

حتى ما تمكن معاودة القول فيه الا بالاشارة لما سبق من قول «الادب» لمن يطلبون استعجال النشر ، ليعرفوا انفسهم ، فقد ذكرت « الادب » غير مرة ان كثرة ما يرد من الرسائل تمنع الوفاء بما يطلب من السرعة التى لا تمكن اجابتها الا ان صارت المجلة كلها بريدا ادبيا ، وهو ما لن يكون .

والباب يستأثر بالكثير من الصفحات ، حتى ما تحتمل الزيادة .. نعم ان فى البريد ما قد يفرض نفسه فيقدم للنشر بقيمته لا بشيء آخر ابدا الا قيمته الذاتية دون معرفة ما بأصحابه ، وذلك هو الانصاف فى التقويم .. فمعذرة ثم معذرة والى الرسائل التى يتسع لها هذا العدد حسب الترتيب ، وابدا من ذلك فاضع :

خارج النقد

من الشعر ما عنون له صاحبه « عادت من جديد » فاذا هو ليس بالمنظوم ولا بالمنثور ، الى خطأ مثل قوله نستنى !! وحقا ما قال صاحبه : انه ما زال فى اول الطريق ، بل هو لم يضع قدمه بعد على الطريق . ولا قوة فى الحق .

واضع معهما ما سماه صاحبه قصة قصيرة جدا عنوانها « امنية » ، وهى فى الانصاف قاصرة جدا .. اذ هى حافلة بأخطاء لغوية ونحوها ، مما لا اجد الفسحة لسوق امثلة منه .. ثم لا قصة الا ان فتاة الـ ١٢ سنة تقلب ملابس امها واختها الكبرى ، وادوات زينتهن متمنية أن تلبس بعض ثيابهن وتستعمل بعض ادوات زينتهما ، واكثر المكتوب اسماء لانواع التريحات .. وادوات الزينة من البنكيك .. والاحمر الخفيف .. واحمر الشفاه ، الفامق والفاتح والبمبى .. الخ كأنما صاحبنا سبى فى محل حلاق .. اوصالة تجميل .. !! وعذرا ..

الشعر

* فقد وصلت « **غرام الربيع** » ، وعلى الرغم من كل شيء فانى احيى فى صاحبها تصميمه على الوصول ، وتمثله بقول جورج واشنطن : **انما الهزيمة عامل يحفز الهمم ، وسوف ننجح فى المرة التاليه**» . لكن ليس من الطريق الى الوصول فى شيء مثل قوله : وارجو ان ترق اعينكم ، وان يصدر عنها بعض ثنائكم ، فليس لرقة عين وقلب ان تفيدك شيئا ، ولكنه جدك .. وصبرك .. وغلابك .

واعتذارك يا بنى عن خطئك فى رسالتك السابقة فيه ايضا خطأ لان يصلحه ان ترجو ان يشملك عطف كريم ، فذلك كما قلت لك ليس طريق تصحيح خطئك .. وغرامك الربيعى — ولا مؤاخذة — لا اعرف انظم هو ام نثر ! او شعر تدعيه او زجل .. فتصف عباراتك عامى ، والباقى شبيه بالفصحى مع خطأ .. وصورك البيانية عجيبة فموج البحر كيف ينسكب فى اخرة معانيها .. انك فى مقاعد الدرس ، والطريق امامك مفتوح ، فالتمس رائدا من معلميك ، واعمل .. ثم اعمل ، ومع تصميمك هذا على الوصول — ان كان صادقا — ستصل ومكان غرامك الربيعى قريب جدا من الباب الخارجى .. لتعرف الحقيقة ..

* ووصلت « **من وحى الميثاق** » لجامعية آداب .. وما اكثر الجامعيين فى هذا العدد .. ونظمك تقريرى تقليدى ، خاو لا روح فيه ، على رغم قولك :

سلس القصيد ، وكان غير ميسر — فنظمت هذا الشعر من اعماقى ! !

من غير جهد « يا جمال » اذا به — يشذو بفضل محرر سباق فقد زادت السلاسة ، حتى سالت .. وليس من عبارة الشعر مثل قولك :

لا شك انك يا جمال موفق ! ! روحى الميثاق اقوى من هذا وافعل ، لكن فنك لم يكف لشعورك .. وفى كل حال يظن ان تكون مطاوعة النظم لك — مع الزمن — مما تستطيعين به شعرا سلسا حقا !! فتابعى الجهد ، وكلية الاداب باقسام لغاتها المختلفة بيئة صالحة تهديك من معنى الشعر الى ما هو اعمق شعورا ، واقوى اداء .

* ووصلت « **دمشق** » لجامعى تجارى ، وقد تلقت منه « الادب » قبل اليوم رسائل قومتها ، فقدرت انه فى حاجة الى الجد والجهد .. وهو فى هذه يتقدم ولو انه تقدم بطىء فلا يزال يعوزه الاهتداء الى الموقع الحسن للفظ ، مع صحته ، فلا يقول : من حيا فى الظلمة .. ولا يقول ، مثل : انى احس النور يغمر اعرقى ! ! ولا : كنا نبضنا شوقا ليوم النصر .. وفى ثناته ومتابعته ما قد يكون معه شيء بعد ..

* ووصلت «**يا حبيبى**» وصاحبها يقول :

فمتى تنصف روحا ارغمت
فى ظماها المران تشرب حبك
فما هذا الحب المرغم عليه ! ..

وعبارته فضفاضة ، فى مثل قوله : ايها الساكن قلبى وضلوعى — لان ساكن قلبه ساكن — لا مفر — ضلوعه ! والقافية تحكم .. ويقول : ونادتك ربوعى ، وقد اعتادوا ان ينادوا الربوع ، لا ان تنادى هى

والمعانى فى جملتها ساذجة من الشائع المكرر ، تعوزه مع ذلك دقة العبارة ، وحسن الصورة البيانية ..

فقوله : ووعود نلتها من شفتيك قد يرجى انها من الشفتين لا اعمق يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم . وقد يكون له غير هذا أشعر منها ..

* ووصلت « منى روحى » ليس بالناشىء ، وله غير هذه لكن معانى « منى روحه » مفتعلة .. والفاظها اكثر من معانيها ، مع تكرار تلك المعانى فى غير غرض شيق .. والحس اللغوى لا يواتى الصور البيانية ، كقوله : وعبير الحب نهرى .. مع قوله ايضا : فاح عطرك فى القلوب ـ وللعطر ايحاء ينعش الروح .. وقوله :

وجمال الروح يلهب كل خلجات الصدور

ليس مما ينتظر من جمال الروح الالهاب .. بل ما هو اعمق واهدأ .. وهذه لا تصلح للنشر ، فى الجملة ، فالى غيرها .

* ووصلت « اهديك صوتى » لكن الحديث لم يقف عند اهداء الصورة ، بل كان ذا شجون اخرى : وهو لايريد ان يكتب على الصورة اهداء ، وان لم يجد لذلك من حسن التعليل معنى فنيا .. وتضعف العبارة حتى تخرج عن ان تكون شعرية وتهدم المعنى كقوله :

ربما لم ترغبينى !! فمع عامية التعبير لايكون الامر بينهما مجرد رغبة . ولا يتبين له منهج شعرى قديم او حديث .

* وارسل « نشيد مدينة طما » لمدرس فيها مطبوعا ، ومثل هذا لا تخف « الادب » لنشره ، ولاضرورة بعد الطبع والنشر لملاحظة عدم مواتاة التعبير فيه ، وليس مثل قوله : ونعلى علاها بحزم سديد ، الا مجرد نظم لاحياة فيه .. وحسبنا هذه الاشارة ، وستحكم الحياة والبيئة على النشيد المطبوع المنشود

.. * ووصلت « تأملات شعبية بالاحزان » ولهذا العنوان دلالته ؛. والوحدة مفتقدة فى التاملات .. كما لاتسلم المعانى ، اولا استطيع فهمها كقوله :

على مذبح الغيب ماتت الطيور .. تضم البراعم والسوستا !! فهل هذه طيور . وقوله : « عزا الله احزاننا .. وانقذت كفى .. باعماق صدرى .. واخرجت قلبى .. شقى الجنى .. وقطرته .. ملء كفى .. عذاباً وقدمت لله اكسيرنا » مما يرهب ولا يبين .. ولهذه الصورة اشباه والسيد صاحب دراسات جامعية عليا لعلها تكون فرصة لشىء من تروية وتهذيب يكون له بعدهما ما ينشر .

* ووصلت « وحدى مع الليل » لجامعى ادبى ايضا ، وفيها وحدة فنية لاباس بها ، مع مطاوعة نظم فى سلامة تعبير ، ومعان وجدانية ، تبعد عن السطحية القريبة ، وان احتكمت القافية حينا ما كقوله : وشوق الحنين .. ويبدو التكرار تارة ، مع الاطالة فى غير معنى جديد ، ودون ان تختلف صورة المعنى .. وصاحبها جامعى آداب ، ينتظر منه شىء ، ولو لم تنشر هذه حين تسمح المناسبة ، لكان له فيما يرجى من غيرها ما هو اسرع الى النشر .

* ووصل من الزجل « يا ابن العراق » وصاحبها ـ فيما يقول ـ يرحب بالنقد والتوجيه ، ويرجو ان تكون هذه الخطوة على السلم ، واشاركه ـ الى حد ما ـ هذا الرجاء وان كانت هذه قريبة المعانى ، غير متخيرة العبارة دائما ، وبلغة العامية على كل حال بلاغتها ، التى ارجو له ان يكون قوى الوعى لها ، فى اختيار التعبير ، فلا يكون مثل قوله : وامشى وصدرك فيه فرج .. او قوله : وروح عند قبر الشهداء وانده وقول يا ابرياء .. من العبارات القوية الوقع والمعانى السليمة .. فالى غيرها .

* ووصل زجل « **اغنية الربيع** » لصاحب الزجل السابق ، ومهما يكن له من حق الكتابة باللغة العامة فانى لا ارضى له ولا يرضى لنفسه ان يكتب خطاب الارسال فى سطرين فيلحن فيه بمثل قوله : وهذين الرسالتين ، فى موضع الابتداء ، او قوله عن الرسائل « لم ارلهم » وفى زجله الثانى مثل مافى زجله الاول من ملاحظ . ولى فيه من الرجاء مثل ما للاول من عدم دقة المعنى ، كقوله عن الوردة : ترقص وتميل على عنقدها .. فليس للوردة عنقود ، وليس احتكام القافية مبررا .. ولا تكون مغانية حشدا كقوله : الورد، والياسمين والفل والنرجس .. بل يكون حديثه عن الازهار قول شاعر بما يقول ..

* ووصل للصديق القديم الزجال المشاغب « **النصر تالت مرة** » وقد كان فى بعض ما ارسل قبل الآن اقوى منه فى هذا الاخير ، وليس من الجيد مثل قوله عن النصر « اللى انت بادره زمان .. لان النصر لا يبدر ، بل ينال بجهد وجهاد .. واذا ابتدر هان وتفه وهو فى هذا كعادته طويل اللسان لا يعف عن عبارات نابية كقوله : انت يابن كذا .. فمعذرة اذا ما تاخر نشر هذا الزجل .

النثر

* وصل مقال « **الاغريق والرومان** » وهو عرض جد خفيف لاهمية مكان الاغريق والرومان فى التاريخ الانسانى مع بيان مستطرد لمعنى كلمه كلاسيك ومثل هذا لاتخف « الادب » لنشره مع خفته هذه .. وان كان مقدمة لتناول اعمق كما وعد صاحب المقال فلا مكان لهذه المقدمة الخفيفة ، التى تقدم صورة يسيرة الشأن .. واحسب ان ما اشار اليه من تفصيل عن اليونان والرومان مما يستغرق الكتب ولا تفى فيه المقالات ، الا ان تكون عن ناحية خاصة من حضارة احدى الامتين ، او فى حضارتهما معا .. وحين يتهيأ للسيد من ذلك ما هو موضوع للمقال تستعد « الادب » لنشره فى وقته .

* ووصلت قصة « **عم على والكحول** » وتدل على فقر صاحبها فى اللغة واستعمال الكلمات فى غير مواطن استعمالها . باسلوب مفكك لم تتهيأ له السلامة الاولى . فضلا عن أن تكون اسلوبا قصصيا له الطابع الفنى الخاص لهذا الاسلوب . ثم لاقصة بعد ذلك ، ومع ذلك فهو وصف شجار بين الاب ضحية الكحول والابن الجاد ، جاوز فيه كل واحد منهما حده ، ولم يحسن صاحب الرسالة الانتفاع بعاطفتى الابوة والبنوة فى لوم كل منهما لنفسه وصاحب عم على والكحول يحتاج الى الكثير من التمرس الفنى والرياضة الادبية .

* ووصلت قصة « **بائع الفجل والعيد** » لصاحب السابقة ، وهو ما هو فى العوز اللغوى ، والضعف الاسلوبى ، واما القصة فدشت وخليط من شخصيات ، لم يتيسر له عرض واحدة منها ، وخبرته بالحياة يسيرة فبائع الفجل الذى اراد ان يمثل ازمته على العيد ، وملابسه الجديدة ليس بائع فجل ثروته بضعة قروش بل هو صاحب جاموسة وشىء من الارض تفلحه امراته ومركزه يجعل ابنته تتزوج ، ويدفع لها مهر خمسة عشر جنيها .. اما أن يصرف منها جنيهات فى مرضه فليس ذلك لونا من قسوة الازمه التى يصر عليه

جلها فمثله ممن يقرضهم الناس وعلى رايهم يستطيع ان ياخذ على ربع الجاموسة او ضفرها ـ اى الثمن ـ كما يقولون ، فلماذا يفكر فى بيعها او فى اخراج ابنه من المدرسة ليشتغل خادما .. كل هذا ضعف فى وعى صاحب هذه التى يسميها قصة .. ولو رجع الى واحد من هؤلاء الاوساط الذين يملكون جاموسة ، وشيئا اى شيء من الارض لوجد عندهم حلولا اجدى من هذا المؤلف فى فهم الحياة وممارستها . . ان القصة خبرة حيوية .. وقوة وجدانية فنية لا تخليط من هنا وهناك . . واولا ان صاحب الرسالة محاول جاد كما يبدو من عنايته برسائله لما كان لبائع فجله مكان الا خارج السور .. فساعد هذا الجد بممارسة جادة : وقراءة ، ووعى لما حولك من شئون الحياة ، وبعد الكثير من ذلك كله فكر فى أن تكتب القصة ، بثروة من اللغة وسلامة فى الاسلوب والى اللقاء بعد فترة غير قصيرة .. بل طويلة .

* ووصلت قصة « تجربة ميلاد » وصاحبها سليم الاسلوب فى الجملة ، وان لم يكن قصصى الاسلوب ، فهو رجل يظهر قدرته على الاسهاب وعطف التفسير ، والجمل المكررة فى المعنى الواحد ، وليس هذا ما يكون به القص قصيرا او طويلا ، بل هو لون غير بهى من ممارسة الموضوعات الانشائية .. واللقطة تصلح للعرض القصصى القصير ، فالاستاذ تلد امراته البكرية وتتعسر ولادتها كالعادة فى امثالها ، فيذكر بالمناسبة ـ ولوانها بعيدة ـ ان امه ماتت منذ عشر سنوات ، ولا يطيق بعدها الحرمان من زوجته ، التى تملأ فى حياته هذا الفراغ . وتنجاب الازمة : وتلد الزوجة وعى ضائقة كانت تمرض بانفعالاتها النفسية ، فى الشعور بالانثى فى حياة الرجال وبعد الزوجة للفراغ الروحى الذى يخلقه موت الام ، فى ظروف يكون للرجل من الصلة بامه ما يجسم حاجته اليها .. لكن صاحب تجربة الميلاد لم يتفعل لابظاهر الازمة .. الا ـ فى كل حال ـ على الطريق اذا جد فى السير وتعمق .

* ووصلت قصة « الشرف » وهى انسانية الآفاق ، فى صاحبها نواة قصاص ، يحمل اسلوبه غير قليل من خصائص اسلوب القصص القصير ، لولا ميل الى الاطالة نوعا ما ، وانتباه لصناعة اللفظية ، وما اكثر ما قيل : ان القصة ليست تدبيج عبارة ، على مذهب اصحاب الزخرف اللفظى الذين مضى زمانهم ولم يكونوا فيه اصحاب اسلوب قصصى .

والموضوع كما قلت حساس يمثل قسوة الفقر على اسرة ، يلجأ عائلها آخر الشهر لبيع ما يستطيع بيعه من دمه ، حتى يرفض المستشفى الاخذ منه ، وقد سدت السبل فى وجه القرض وشبهه من نجدة الناس .. ويعود دون ان يقبل الشراء من دمه فتخرج زوجته لتبيع هى من دمها . وتغيب فى الخارج دون ان يعلم الزوج اين ذهبت لكنه قد قل دمه ، يغلى منه الدم مع هذه الاشتباهة فى تصرف امراته وخشيته ان تزل تحت قسر الحاجة الطاحنة ، فاذا عادت ومعها تذكرة بيع دمها كما يفعل هو جشعا يستغفرها ويطمئن الى شرفه الفقير .

على انى ما ارتضيت من صاحب « الشرف » الا اعفيه من ملاحظ فى سلامة التعبير لايليق ان تفوته ، كقوله : مقابل خمسون قرشا وتكراره مثلها .

وقوله : وشراء بعضا من دمه .. واما رسمه « الذين » بلامين فهى تخدش وجه عبارته .. ولا عذر فى مثلها لانها تهز الصورة كثيرا .

* ووصلت قصة « البريانتين » لسيد نشرت له « الادب » اكثر من قصة ، واسلوبه فى هذه اقل مستوى من سابقاتها ، تشوهه اخطاء متناثرة

لايصعب على مثله تجنبها ، وهو يستعمل الكلمات الاجنبية ، دون اهتمام باستعمال مايحل محلها من جديد الفاظ الحضارة العربية . . على ان هذا ليس كل ما فى الامر بل المضمون نفسه موضع لغير قليل من التوقف والتردد فى قبوله ، فان خلاصة القصة المؤلفة من بضع صفحات ان حلمى كان يشتهى ان يستعمل « البريانتين » فى شعره وابوه يمانع لاكثر من سبب واخيرا سمح له باستعماله واعطاه حق البريانتين الذى كان مصادرا من قبل ، وعندئذ تردد قبل استعمال البريانتين ترددا واضحا بل شديدا ، ثم بدأ استعماله فتقزز منه او قرف كما يقول المؤلف والقى بالحق الى الشارع . . وهذه هى النهاية . . فهل يريدان يمثل بوضوح الحكمة القديمة القائلة : **كل ممنوع متبوع** » وان الطريقة الصحيحة ، فى رياضة الاجيال الصاعدة هى طريقة اعطاء حق البريانتين ، الذى يتلهفون عليه لينتهوا الى قذفه من النافذة !!

قد يقال هذا او شبيه به لكن حلمى فى الثالثة عشرة ، ومعرفة مثل هذا بالبريانتين لاتتأخر الى هذه السن ، حتى تقتدى عينه وتفثى نفسه من ملمسه ، فالمسألة ليست محبوكة . . ولا تستحق كل هذه الاطالة فى نحو ست صفحات كبار . . والعبارة مبالغة احيانا مبالغة منفرة . . والاسلوب يرتفع وينخفض حتى تكون بين فقراته مطبات ، تكون مع المبالغة انواضحة هوات عميقة . . فمرة تقرأ اقتباسا قرآنيا جزلا رصينا . . ومرة تقرأ عبارة مهلهلة بالكلمات الاجنبية العصرية . . فالمطلب دان قريب . . والسفر اليه شاق بعيد . . و«الادب» توفر هذا الجهد كله ، وتدخر مكانه لاصل منه .

* ووصلت قصة « انه اخى » لجامعى هندسى ، نشرت له «الادب» مرة غير القصة تشجيعا . . ولو قلت انها موضوع وشخصية للقصة لم ابعد. وان كانت القصة لم تكتب والشخصية لم ترسم رسما قصصيا ان امرأة تحدث عن نفسها حديثا واعيا عميقا بما سبب تعقدها النفسى من سلوك ابيها فى البيت ، وتصرفاته وشخصيته حتى كرهت كل رجل وكرهت ان تنام بجوار رجل ، ونفرت من ان تتلقى قبلة رجل . . ولكنها مع تلك اليقظة كلها تزوجت ، لانها لابد ان تتزوج . . ومع معرفتها الحتمية هذا البلاء لم تستطع ان تساير زوجا يحبها ، بل نفرت وطلبت الطلاق . . ولما آوت الى بيت اخيها رات من معاملة زوجته السيئة ما جعلها تعود وحدها الى مطلقها وتقبله هى . . وقيل ذلك كله على صورة حكاية من هذه الشخصية التى لم تسم ولم يسم زوجها ، ولم يصور من واقع هذه الحكاية المروية شىء . . ان هذه الشخصية وما تأثرت به من البيت وصورة الاب شخصية جديرة بالدرس القصصى القدير ، لا بمجرد الحكاية ، وهو ماقد يحاوله الجامعى مرة اخرى ليكون قد كتب القصة ، لا حكى الحكاية . . ولعله يتجنب الثغرات فى تصوير هذه الشخصية التى دق حسها حتى حكت انها شعرت بأن اباها لايحبها كحبه لاخوانها ، لان الشركة التى كان يعمل فيها افلست يوم ميلادها ، وقد سمعناها تصف فى وعى تأثرها بصورة الرجل فى ابيها فهل المراة التى لها هذا التنبه النفسى واليقظة الشعورية تجهل ازمة طبيعية شائعة بين السذج الغافلات من النساء وهى ازمة اخت الزوج ، فلا يردها عن خطئها فى معاملة زوج يحبها الا ان تعيش فى بيت اخيها فعلا ، فتعود بعدها لتنطح باب الزوج براسها بعد ما رفسته فى حمق !! احسب ان الشخصية التى قلت انها محور قصة صالحة لا تقع فى مثل هذه

المفارقة .. فان فكرت فى كتابة قصة هذه الشخصية كتابة يكون فيها طابع القصة واضحا ، ولا ينتهى العمل فيها عند سرد الحدوته ، فقدر حين تفعل ـ ان فعلت ـ الا تجعل فى صورة هذه الشخصية خطوطا ضالة وكما كانت تلك المحاولة حكاية ما هو مادة لقصة ، وحكاية يعوزها الانطلاق الفنى فان الشكل فى كتابة الجامعى الهندسى كذلك ليس الا محاولة كتابة ، أو مشروع تعبير قصصى ، لا كاصطلاحهم الهندسى فى المشروع بل هو تخطيط اسلوب ، يبدو عليه الخوف فكانه يتحرك وهو مكتف يتعثر فالقلم فى حاجة الى مرانة تجعله يجرى على الورق مطمئنا الى المعانى ولا يهتز مترنحا بسنه كلمة بكلمة ويجهد حتى يؤلف جملة . . واليك مثالا صغيرا هو قولك : لكننى سأتحدث اليك حتى تبعد الدهشة عن محيط فكرك ، فليس كل المراد الا ان الحديث يزيل الدهشة . . وذكر البعد ، والمحيط والفكر هو ما اشعر بان القلم فيه مكتف الخطى متلجلج .

واما الشكل من حيث المادة اللغوية فيوحى بالحاجة الى مزيد من الثروة اللغوية ، والبصر باستعمالها ، ففى الاسلوب فعل تكرر غير مرة هو « اخنثت العهد » !! وهو غريب لا يعرف اهو من الخبث بالخاء وقد صيغت منه افعل خطأ او هو مادة اخرى لاتستعمل هنا .

وبسائط النحو غير متوافرة فى مثل قوله : لم يعطينى !! وصرنا مستقلون ولم يخفى !! الخ .

وللتأدب عدة او عدد لابد لك يامهندس منها مادامت لك هواية أدبية .

ولقد اطلت الحديث معك عامدا لانى اشعر من خطاباتك وكتاباتك أن لك رغبة صحيحة ، وانك تجد ، وتوشك ان تعبر . . ومثل هذه الحالة مما تجب العناية به . . واذا لم انشر لك هذه لما سمعت من حالها فقد كانت مادة لفهمك ، ووضع الصورة امامك واضحة ، وذلك اجدى عليك فيما تستقبل من امرك من ان تستعجل نشر قصة .

* ووصلت قصة «زيارة» لصاحب السابقة ، وحالها كاختها فى جملة امرها ، فهى حكاية بلا معالم من زمان او مكان او اسماء . . لكن هنا شخصية عجيبة نوعا ما . . امراة مات زوجها منذ ثلاثة اشهر وهى لاتريد ان تصدق انه مات ، وتذهب كل جمعه الى القبر تحسب انها تناجيه ، واذا قال لها احد انه مات ثارت ونادت زوجها ليجيبها انه ليس ميتا ، وانه فى المقبرة ولكنه امامها ، وتحفر فى الرمل لتقنعهم ان زوجها حى يرزق لانه قال لها : لن نفترق . . وقال : لها لن تفنى ، اننا نعمر الكون وتظل كذلك حتى تموت يوم الجمعة التالى من بدء القصة وهى مستعدة لزيارته فتدفن الى جانبه !! صنف من الشخصيات ولون من الناس ان عرفته الحياة وعرفها منها هذا الجامعى فانه لم يعرف كيف يصوره ثم لم يعرف كيف يصنع منه قصة

والاسلوب فى هذه كالاسلوب فى تلك تقرأ فيه مثل ستبقى قلوبنا على بعض دائما سوف نبقى بجانب بعض دائما . . فنحس من مثل هذه العبارة ماوصفت لك من اسلوب صاحبى تكتيفا وتعثرا وحاجة الى حظ لغوى

وقد تعثر فيها بمثل قوله : ان هناك جديدا . . وجوله آخرين او اشباه لذلك تعلن الحاجة الى ما اشرت اليه آنفا من التأهب للتأدب واخذ العدة له فدع الكتابة الان ، واقرأ . . ثم اقرأ . . ثم اقرأ ، وتدبر ماوسعك الوقت والعمل فانك تستطيع ـ فيما ارجوه ـ ان تكون شيئا .

الأدب

فنية . شهرية

يصدرها الآداب

الادارة: مصر الجديدة . ابجم ١٢
ت: ٨٧٠٧٥٠

الرسائل الفنية والمالية ترسل باسم

أمين الخولي

رئيس التحرير

الرسائل الادارية ترسل باسم

يعقوب عبد النبي

مدير الادارة

الاشتراك :

الجمهورية العربية	٦٠ قرشا
الخارج	٩٠ »
ثمن العدد	٦ قروش

البريد الجوى والمسجل بحسابه

تصدر فى اليوم السابع من كل شهر

السنة الثامنة
يناير ١٩٦٤
العدد الثامن

ستراعى عرض الاعلان - وفصوص من الكتب بكتاب عرب الخارج

التراث .. والحياة
أقوة دافعة .. أم مانعة ..؟

تحدثت « الادب » منذ يومها الاول عن التراث ؛ فنشرت فى عددها الاول ، من سنتها الاولى ـ مارس ١٩٥٦ ص ٨٥ ـ مقالا عن : تشريعات ينبغى أن تصدر .. قالت فيه بقوة : انه ينبغى أن تصدر أربع تشريعات عن

ـ وجوب التبليغ عما فى حوزة الافراد ، والهيئات غير الحكومية من المخطوطات ..

ـ اعطاء الدولة حق تصوير المخطوطات التى فى حوزة هؤلاء الافراد او الهيئات ..

ـ استيلاء الدولة على النادر النفيس من المخطوطات .. بتعويض
ـ منع خروج المخطوطات من مصر .. والعقاب الرادع لمن يحاول ذلك

ومضت « الادب » بعد ذلك طوال سنيها تحدث عن التراث ، والمناهج والمطالب فيه .. ما تكل من ذلك ولا تمل .. بل تحكى نشاطها ، ونشاط أسرتها من أجل التراث ، فى الداخل والخارج : فى المؤتمرات .. والادارات واللجان حتى لقد اجتمع لها من ذلك ما يؤلف كتابا قيما عن « تراثنا »

قالت « الادب » وأهلوها من اجل التراث ، وفعلت وفعلوا ، وسما بهم الامل ، حتى اقترحوا ، فى بيان مفصل ، انشاء دار للحكمة جديدة ، تعيد سيرة دار الحكمة العباسية .. وتفرغ لترجمة ما كتب عن تراثنا فى لغات شرقية او غربية .. يصدر فى كتاب حكمة دورى .

كان ذلك كله ، على كثرته وقوته ، دون ان يخطر ـ ولو على سبيل الوهم ـ ببال احد أن هذا التراث يعوق سير الحياة ، ويمنع تقدمها ، على أى فرض أو تقدير .. !! لان كل عناية بالتراث واعية ليست الا مادة المعرفة بالنفس ، والاعتداد بالذات ، وذلك قوام الشخصية ولن يقعد او يتعثر

او يتأخر معنى بالتراث يتفهم ماضيه ، ومعانى الحياة فيه .. وانما الذى قد يصاب بشىء من هذه الافات هو من لم تتهيأ له الحيوية ، ومثل هذا لن تكون له عناية بتراث غابر ، ولا جد فى نشاط حاضر ، فليس التراث هو الذى يقعده ، بل هو قاعد بسوء حاله ، رابض فى أوحاله .. وما ينتظر التراث من مثل هذا شعورا به او عملا له .. !!

***

وكانت « الادب » بما هى صحيفة الامناء : مدرسة الفن والحياة ، انما هى انعكاس لجدهم فى التجديد ، ومضائهم النافذ فيه ، لا يخافون احدا ، ولا يرهبون شيئا ، ولا يجمدون على قديم .. وكانت وثبة التجديد فيهم مساوية لدعوة التراث منهم ، وما مضى لهم من شعارات فى ذلك يعلن ويترجم عن هذا التوازى فى خطى سيرهما .

لقد كان اعرق شعاراتهم فى التجديد هو قولهم : **اول التجديد قتل القديم فهما** ويسايره فى خط تفكيرهم شعار مركز هو : **تجديد .. لا .. تبديد**

وكل ذى حس لغوى فنى يدرك ما فى الشعار السائر **بقتل القديم** ، من ايحاء عميق لمعنى القتل ، ولو كان القتل فهما ؟ ؟ ـ فهذا القتل فهما يكون هو القتل الذى يقال فيه بحق : **القتل أنفى للقتل** .. فهو قتل ينفى قتل القديم ، وينجى حياة الصالح للحياة منه .. وهو فى الوقت نفسه قتل لفاسده الذى لا يصلح للبقاء

ومضوا فى ظل هذه الشعارات ، وما يكملها للتجديد الجرىء ، الفعال المتوثب ، كقوة الحياة ، لا يعوقه شىء .. ولا يرهبه شىء

وكانت « الادب » فى ذلك قوة قوية ساوقت دعوتها المبكرة الدائبة لحماية التراث ، صرختها المدوية بالتجديد .. فاذا كان أول اعدادها يخرج بالدعوة التى سمعناها الى حماية التراث ، فان أواخر اعدادها ، التى قراناها تجار بزئير التجديد الجرىء ، فتقول فى عدد نوفمبر سنة ١٩٦٣ ، عن الماضى والادب فيه ما عبارته :

« .. احقا كان هذا المجتمع ، أو فنه ـ على اختلاف صنوفه والوانه ليس صورة لما كان فى هذا المجتمع الخليط : من تصدع بالرق وتحطم بالظلم ، وتدهور بالاستبداد ، وتطاحن بطبقيات ، لا طبقية واحدة ، فندر ان تجد فى مثل هذا المجتمع صاحب فن يحب نفسه ويحترم وجوده ، ويكرم انسانيته ، ويحفظ كيانه ، بل هو متسول ، وضيع ، كذاب .. وما يعين مثل هذا الجو على غير ذلك

كما قالت فى المجال نفسه ، تتمة وبيانا ما نصه :
« ان هذا المجتمع السالف ، والمجد الماضى كان يغرقه الجبن ، ويقهره

الرياء ويعمه النفاق ، وفى افضل حالاته ، كانت خلقيته دون المستوى الصالح .. ودلالة احداثه ، على تقديره لابطاله ، وشعوره بكرامتهم ،تقطع بانه كان المجتمع المستريب المتهم ، القذاف ، لايرعى حرمة ، ولايحترم كرامة

ومحال ـ يا سادة ـ أن يكون الفن فى هذا المجتمع ، على غير هذا المستوى ، أو فوق هذا الواقع ، لان طبائع الاشياء تابى ذلك

وبهذا الاتزان الجرىء مضى الامناء : مدرسة الفن والحياة ، ربع قرن من الزمان يجددون ، ويتجددون ، فى الجامعة ، فيحطمون مناهج ، وينسفون شوامخ ، ويقيمون مكانها ما لايزال فى الدنيا من يستكثره ، وتتهيبه هيئات ، من جامعات ومجامع ! ! كما يعرف ذلك كل ذى صلة بالادب والحياة الادبية .. وعلى هذا العهد المجدد وهو يناضل عن التراث ويعبىء لحمايته التقى شباب الامناء وشيوخهم ثم مضوا يمارسون نشاط الحياة

- ٢ -

وبينا تستقر الامور هذا الاستقرار الجلى ، وتتحدد المفاهيم هذا التحدد الواضح ، وترقب عوامل التطور الفعال ما يطلق عقالها ، ويحرر فاعليتها ، لتمنح الحياة بهذا **التجديد بلا تبديد** ، ومع **قتل القديم فهما** ، اذا بالاديب الشاعر المجدد ، الاستاذ صلاح عبد الصبور ، الذى عرف ذلك كله حق المعرفة ، فى مقاعد الدرس ، وميادين العمل ، يكتب فى ملحق اهرام الجمعة ١٩٦٣/١٢/٢٠ ، مقالا عنوانه : «**وجهة نظر فى التراث ، عبء أم قوة دافعة**» وهو مقال تطيب فيه المناقشة والمخالفة ، بين شريكى رأى ، وصنيعى مدرسة ، وهو ما أريد أن يكون الان هنا

يقول السيد الشاعر : « تحمل بعض الامم تراثها الادبى كعبء على ظهرها ، يحنى استقامته ، ويثقل خطى الساقين ، ويهد الحركة ، ويشدها خطوتين الى الوراء اذا خطت خطوة الى الامام .

واقول له :

ليتك فى نظرتك الاجتماعية هذه كنت قد ذكرت شواهد لها من حياة أمم . عرفت التراث ، وفهمت معنى حمايته ، ثم كان التراث بعد ذلك عبئا على ظهرها ، لان من يعرف أن له تراثا ، ويمد يده اليه ، ليحمله على ظهره لا يفعل ذلك الا وهو واع ، يقظ ، مذخور الحيوية ، يعرف ما لماضيه وتراثه ، من ضرورة لفهم غده ، وتقدير مستقبله ، والا يكن كذلك فمحال أن يكون قد عرف معنى التراث وقيمته ، فتصدى لحمله

لقد رنا الشاعر ، فيما قال الى حقبة مرت بنا كنا فيها نحمل تاريخنا كله على ظهورنا عبئا ومشقة ، لاقوة وحرارة ، وكانت نغمة الفخر ببنوتنا للفراعين والعرب تتردد فى كل مجال فكانها اغنية رثاء للنفس .. الى اخر ما أطال به الاستاذ الكاتب ، ونظر له باسطورة شيخ البحر والسندباد ،

وركوب شيخ البحر للسندباد ، وخنقه وتسخيره ، وتدنيسه .. وكان ذلك عنده مثلا للتراث حين يكون عبئا ، وقوة مانعة

واول ما اناقش فيه الاستاذ الكاتب ، عن هذه الحقبة وذلك التنظير ان اسأله :

احقا كنا فى هذه الحقبة نعرف تاريخنا ، او نعرف معنى التراث ، او شيئا عن تراثنا فتقدمنا لحمله على ظهورنا ! ! ام الحق اننا كنا فى هذه الحقبة قد صحونا نفرك اعيننا من ثقل النعاس ، فاذا تاريخنا قد فسره لنا الغاصبون المستعمرون تفسيرا متلفا ناسفا ، ولقنونا فى مدارسنا ان هذا التاريخ بسوءاته هو سبب غفلتنا ، وتواكلنا ، وتخلفنا ، وجهلنا ، بل وحشيتنا .. فما يذكر من علمنا وفننا ليس الا شيئا بدائيا تافها ، وسرابا كاذبا ... بل فضيحة تدارى ، وسوأة توارى باقبالنا اليوم على ماعندهم من ثقافة ، وحضارة ، وعلم ، وفن ، نعوض به ما افسد هذا الماضى من امرنا .. وكذلك تناولوا بهذا التفسير المدمر ، كل مقدساتنا ومقوماتنا الاجتماعية والاعتقادية لنتناساها ونتجاهلها ، ونلتمس عندهم سواها .. وتعاون على ذلك كله من تشوبهنا ذلك الثالوث المخيف : **من الاستشراق .. والاستعمار .. والتبشير**

وفى هذه الغمرة ثارت بنا بقية ، من حفظ الذات ، ومحاولة من الواعين فينا ، تريد لتاخذ بيدنا من طريق هذا الطوفان الرهيب .. ونظر اولئك الدعاة فاذا نحن بلا سلاح مادى ولا معنوى ، وما نملك من امرنا شيئا ، حين تعز علينا نفوسنا ، وتصرخ فينا شوامخ آثارنا ، فلم يكن الا ما تفعله تلك التى تتباهى بشعر بنت اختها فاذا نحن - اذ ذاك - كما قال الاستاذ الشاعر :

« فقير قد القى نفسه الى ظهر جدار مترنما باجداده الاغنياء »

وحقا كان ذلك ، وكنا فى هذا الترنم نلتمس اناشيده نفسها ، من بعض فضلات القول لاولئك الاعداء انفسهم ، حين يقول قائل منهم - صدقا او لحاجة فى نفسه - ان لنا تاريخا ، وان فيه شيئا من مجد ، او علم ، او عمل ، فنلتمس ذلك التماسا لنترنم به ، اذ كنا ونحن نحدث عن بنوتنا للفراعين العرب لا نعرف شيئا ، هم الذين يجوبون الوادى ، ويحفرون فى جنباته ، ليستخرجوا اثار اولئك الفراعين ، فينقلوها الى متاحفهم ، وبهاديهم حكامنا الاجانب الاغبياء بنفائس منها ، مما بقى لهم

وكنا كذلك لا نعرف تراثهم ، واكبوا على تاريخهم يدرسونه ليكشفوا - كما قال قائلهم - عن سر بغضنا لمدنيتهم ، ويجدوا الطريق الى حكمنا

فكنا فى هذه الحقبة التى وصفها الشاعر لا نعرف تاريخا ولا تراثا فنحمل منه شيئا على ظهورنا ، بل لم يكن لنا كما قال هو ظهور ، اذ كنا ذلك الفقير الذى القى نفسه الى ظهر جدار ، لانه لا ظهر له يقوم به كيانه !!

وهكذا لا تكون تلك الحقبة التى وصفها فى حياتنا مثلا لحمل بعض

الامم تراثها كعبء على ظهرها .. اذ لم يكن لنا ظهر ، ولا كان عندنا عن هذا الذى يسمونه التراث خبر ..

وحين جاوزنا دور التمطى والتثاؤب تركنا الفخر الكاذب ، وكان شعورنا بان لنا تراثا هو العلامة الكبرى والدليل القوى ، على اننا بدانا نعى ماحولنا وشرعنا نعرف انفسنا .. وهكذا كان الحاحنا فى الحديث عن التركة المنتهبة ، والتراث المستلب مظهر حركة حية فى وجودنا ، وسيظل جدنا فى حصر هذه التركة ومعرفة ثرواتها ، وفى استردادها والاستيلاء عليها ، وفى تقديرها وفهمها مقياسا صحيحا دقيقا لخطوات نهوضنا ، ودرجة وعينا ، **لان الشعور بالتراث ، وجعله مادة لقد** اصله ثابت وفرعه فى السماء ، هو سنة الحياة فى الاحياء الجديرين بالحياة .

وبكل اولئك لم يكن التراث عبئا على ظهرنا فى تلك الحقبة ، لانه لم يكن لنا ظهر ، ولا كنا نعرف تراثا .. وانما هى حيلة الغلبان .. وتعلة العاجز يتعلل بماضيه فى دعاوى فارغة جاهلة ، وحين يعرف الماضى ، وتصدق دعاواه فيه يكون قد جاوز منطقة العجز ، ودبت فيه الحياة

- ٣ -

وفى بيان أن التراث عبء على ظهورنا قال السيد الشاعر فى مقاله :
« **وفى هذه الايام تشيع الدعوة الى بعث التراث العربى من جديد** ، ويتحدث عنها بعض الناس فى توسع وافراط ، وهم يظنون ان كل ورقة قديمة هى تراث وكل صفحة صفراء او مخطوطة ينبغى ان تعاد طباعتها على الورق الابيض المصقول » .

واقف هنا لاساله من هؤلاء الذين يرون بعث التراث العربى بطبع كل ورقة قديمة ، وكل صفحة صفراء او مخطوطة على الورق الابيض الصقيل ؟!!! واى شىء هذا فيما استقر منذ عقود من السنين ، من مناهج العمل فى حماية التراث ؟ لقد عرفت وزارة الثقافة التى تتبعها المؤسسة العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ، التى يقوم الشاعر فيها مقام الموجه .. عرفت الوزارة منهج هذه الحماية للتراث مما قال المجلس الاعلى لدار الكتب عن التحقيق وقواعده ، وعن قسم حماية التراث ومهمته كما عرفت الوزارة منهج هذه الحماية فيما جاءها من تقرير ضخم للجنة التراث فى مؤتمر الادباء بالكويت سنة ٥٨ . وعرفت الوزارة منهج هذه الحماية مما وضع بين يديها مؤتمر الثقافة والفنون الذى اقامته وزارة الثقافة نفسها فى القاهرة .. ولابد أن تكون الوزارة قدعرفت ما كتب ونشر فى المجلات ، والصحف ، وانشطها فى ذلك مجلة « الادب » مثلا

وفى كل هذه المصادر لمعرفة وزارة الثقافة فصل القول واجمل ، وشرح وكرر ، فبين أن خطوات العمل فى حماية التراث هى :

١ - معرفة التراث ، أو حصر التركة
٢ - جمع التراث أو الاستيلاء على التركة
٣ - توثيق هذا التراث حتى يكون مادة للتاريخ العام ، والتاريخ الخاص

بفروعه المختلفة ، واساسا لكل تجديد عن فهم لما نجدده بتعمق ماضيه

وتلك كلها خطوات مرتب بعضها على بعض ، ويقوم بعضها بعد بعض واولى هذه الخطوات الطبيعية هى معرفة التراث ـ أو حصر التركة ـ وما اشق واطول ؛ ولا تكون الخطوة التالية لها وهى الجمع الا عن معرفة وبعد المعرفة التامة ليكون الجمع الشامل المستقصى ، الذى لا يمكن أن يصح تحقيق الا بعده .. وقد ارتفعت الاصوات حتى بحث بيانا لاهتزاز المفاهيم فى هذه الميادين ، وان معنى التحقيق لما يستقر بعد صحيحا فى اذهان المحققين ، كما أن جمع الاصول كذلك يلفه الضباب فلا يعرف المتصدون للتحقيق اصله المنهجى ، ومعناه فى نظام الرواية !!

تلك هى كبرى خطوات العمل للتراث ، أما الطبع واما النشر فشىء ليس من تلك الخطى .. لانا نريد حماية التراث ، ودرسه ، لا نشره وطبعه حتى لقد قيل لدار الكتب نفسها : لو أن القسم الادبى فيها حقق مخطوطا واودع نسخته المحققة فى الدار لتمت بذلك مهمتها ويكون الطبع بعد ذلك هينا ميسرا .

وفى كل حال فان النشر عمل تال لهذه الخطوات الاساسية فى العمل للتراث ، ولم تتم واحدة منها ، ولا فرغ من اولاها وهى معرفة التراث معرفة تستحق ان تسمى حصرا للتركة .

فما هذا العبث بالنشر الذى يريد الشاعر صلاح ان يصل منه الى بيان ان التراث يكون عبئا !! ان هذا العبث بهذه الصورة الفاسدة ، بطبع كتب لم تتم معرفة اصولها ، واستقصاء جمع تلك الاصول .. الخ .. انما هو عمل فاسد لا يقبله منهج ولا طبيعة الحياة ، ولم يقم بهذا العمل ويطنطن مشروع المكتبة العربية الذى لم يقم فى اصله على شىء من الاساس المنهجى وقد نقد مرارا فى الصحف والمجلات .. والاستاذ صلاح عضو مجلس ادارة هذه المؤسسة ، التى لم تصحح فكرتها عن العمل للتراث ، وليس على هذا الاساس الخاطىء يقال : هل التراث عبء أو قوة دافعة !! ان فهم بعث التراث بانه الطبع والنشر خطأ يعد الشاعر صلاح احد المسئولين عنه ، بل المؤاخذين عليه ـ ولا سيما حين يعتبر هذا الفهم الخاطىء اساسا للفصل فى قضية عامة هامة فى الناحيتين الاجتماعية والعلمية !!

ـ ٤ ـ

وشاعرية الشاعر قد دفعته الى وضع قضية الشعر الجديد فى طريق القول عن التراث وضرره ، وقد عرض لهذا غير مرة ، فقال فى الاولى : ان المعركة بين الشعر الجديد والشعر القديم تقوم على ساق وقدم .. الخ

بينما تمضى التجارب الروائية والمسرحية طليقة حرة .. ثم قال : وانا ازعم ان السبب هو ان الرواية عندنا لاتراث لها ، وكذلك المسرح ، ولذلك استطاعا ، ويستطيعان ان يتحركا الحركة الحرة المطلقة ، وسيظل الشعر يرسف فى اساره **الا اذا اعدنا النظر فى تراثنا منه** .

ولا اخالف عليه فى هذا الا بقدر ما اقول له : ان معركة الشعر اثر لظواهر اجتماعية تستغل تقديس القديم ، وتتاثر بعوامل كثيرة ، وربما يكون التراث آخرها ، وفى التراث نفسه ثورات شعرية مجددة فى المشرق والمغرب. لو عرف الجامدون تراثهم ، تلك المعرفة التى ننشدها .

على ان عبارته الاخيرة « **الا اذا اعدنا النظر فى تراثنا منه** » جرته الى الحديث عن اعادة النظر وذكر معان من نقد الادب القديم يقول هو : ان الادباء كانوا يهمسون بها همسا .. وهذا مالا تسهل موافقته عليه ، لان هذه المعانى التى ذكرها فى الحكم على الادب العربى نقلا عن الاستاذ الدكتور عبد العزيز الاهوانى ايسر واهون مما كان يردد فى عقر دار المتزمتين الجامدين ، بل كان يصب فى آذان مدرسى اللغة العربية ، فى معهد الدراسات العليا لهم ، تجاهرهم بان ليس فى الادب العربى الا فى النادر القليل ـ صورة بيانية ذات ايحاء ، وان ذلك يلتمس فى مثل تشبيهات القرآن ، فتتجلى فيها الفطرية ، والصلاحية للبقاء الخالد ، بما تحمل من ايحاء وجدانى لا تقف عند المظهر الخارجى والشكل المادى ، الذى لم يعن الادب بغيره ..

والشاعر هو نفسه الذى قال : ان كتاب قيم جديدة للادب العربى ، قدمته الادب بديلا عن اجازتها سنة ١٩٦١ كان فأسا هوت على راس الادب العربى !!

وقد مر القارىء فى صدر هذا الكلام بآخر ما قالت « الادب » عن هذا القديم وسمع أقدم ما قيل عن قتل القديم اساسا للتجديد .

والذين قالوا ذلك كله هم اشد الناس نشاطا وحماسا فى الدعوة الى حماية التراث وتاصيل مناهج تلك الحماية .. فلا تجعل ايها الاديب الشاعر شيئا مما عرضته فى مقالتك وسيلة للقول بان التراث يكون عبئا ـ لان التراث ليس الا قوة دافعة ـ ولا عليه ان يخطىء الناس فى فهم ما يجب عليهم لحمايته ، وفى البدء من آخر المراحل وفى الجمود .. وفى الركود .. فتلك كلها ظواهر ليس التراث علتها .. وليست الحياة غافلة عما يجب ان يفعل ليكون التراث مادة صالحة فى صنع مستقبلنا .. لان التراث بطبيعته ليس الا قوة دافعة .

عبد الأمناف

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

تصدر في ٥ يناير سنة ١٩٦٤
العدد الأول من المجلد الثاني من سلسلة

تراث الإنسانية

رئيس

وهي تتناول بالتعريف والبحث والتحليل روائع الكتب التي أثرت في الحضارة الإنسانية بأقلام الصفوة الممتازة من الأدباء والكتاب والعلماء

اقرأ في هذا العدد

١- دروس في الفلسفة الوضعية	لأوجست كونت	بقلم الدكتور محمود قاسم
٢- العقد الفريد	لابن عبد ربه	بقلم الأستاذ محمد خليفة التونسي
٣- الليالي	لألفريدي موسيه	بقلم الدكتور علي دروش
٤- إضافات الى جيولوجية وجغرافية الصحراء الليبية	للبسطاء	بقلم الدكتور محمد يوسف حسن
٥- سقط الزند	لأبي العلاء المعري	بقلم الأستاذ أحمد ابراهيم الشريف
٦- الخواطر	للبسطاء	بقلم الأستاذ إلياس فرحات حكيم

الثمن ٥ قروش صاغ سمنا

تطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابي ت ٤٦٣٨٣
ومن باعة الصحف

الإسلام والمستقبل

بقلم

أمين الخولى

- ٢ -

كان القسم الاول من هذه المحاضرة ، وهو الذى نشر فى العدد الماضى من « الادب » بيانا مستوفى لعوامل ازمة التدين وهى :

ما بين الدين والعلم من صراع ـ وغموض العقائد الدينية ، بل تعقدها فى غير قليل من الاديان ـ وعدم الملاءمة بين العقائد او العبادات احيانا ، وبين سير الحياة اليومية ـ وصعوبة التطور فى البيئة الدينية ، مع ضرورته لها ـ والرياسات الدينية .

الى جانب اسباب ثانوية ، من عجز رجل الدين عن عرضه عرضا مؤثرا محببا وقصور الدعاية وفتورها .

والقسم الثانى الذى تنشره « الادب » هو علاج هذه العوامل .

وببيان هذه العوامل قد مهدنا للقول فى مستقبل الاسلام قولا لا يقوم على مجرد التفاؤل ، او حسن الظن بالمستقبل ، بل يقوم على التقدير والوزن الدقيق لما للتدين وما عليه ، حتى يكون الحديث عن المستقبل اكثر من مجرد الحدس والتخمين ، وهو ما نتقدم اليه ، فى اطمئنان ، وعلى اساس صحيح قدر المستطاع .

* * *

اذا ما قدرنا ان التدين انما هو ظاهرة اجتماعية فى حياة البشرية ، تخضع فى نظر البحث الاجتماعى ، لنواميس واحدة ، وسنن متماثلة ادركنا فى وضوح ان « الاسلام » من بين الاديان لن يتخرج عن هذه النواميس ، ولن يشذ عن تلك السنن ، وانه يتأثر بالعوامل التى اشرنا اليها فيما سبق ، بيانا لاسباب ازمة التدين التى تعانيها الحياة الحاضرة .

ولقد يكون للاسلام مع ذلك ، بسبب الوضع السياسى للمسلمين ، فى انحاء الارض ، مشكلات خاصة ، وصعوبات متميزة ، يتولاها البحث الدقيق عن حاضر هذا الاستسلام اليوم .. ولا نقف عندها هنا لان شرحها جدير بأن يخصص له بحث منفرد .. وانما نعرض لبيان مدى تأثره وانفعاله بالظواهر العامة التى قدمنا بيانها ، ليكون القول فى مستقبله قولا منضبطا ، لا افتيات فيه ، ولا تهاون ، ولا ادعاء ، بلا بينة وبيان ..

فلنعرض لهذه العوامل واحدا واحدا لنرى نصيب الاسلام من الانفعال به ، ولنشير — ولو فى اجمال — الى ما يتطلبه منا علاج هذه العوامل ، صونا لمستقبل الاسلام واملا فى تلافى اضرار تلك العوامل عليه قدر ماتستطيع الحيوية الاسلامية ان تفعل ، ويقيننا انها تستطيع الكثير فى هذا السبيل ، لو صدقت النية ، واجتمعت الكلمة ، على الوفاء بواجب المسلمين فى هذا الميدان .

* * *

واول ما سبق ان ذكرنا من هذه العوامل المسببة لازمة التدين فى هذا العصر هو :

١ — **العامل القديم : عامل ما بين الدين والعلم من صراع** .. ومن الواجب ان نقول فى صراحة « ان تاريخ المسلمين قد حفل بالصفحات الناصعة فى خدمة الحركة العلمية ، وحمل شعلتها متوهجة منيرة ؛ خلال عصور كانت مظلمة جاهلة فى الغرب مثلا ، ومن يد المسلمين تلقت اوروبا التركة الانسانية ، فى المعرفة ، محفوظة ، ونامية ، ومزيدا عليها ؛ واتصلت بها فى غير مكان من اوربا .. ففى اسبانيا .. كما فى صقلية وجنوب ايطاليا ، والقسطنطينية ، بل فى الشرق نفسه ايام احتكاك الغرب به فى الحروب الصليبية .. لكن يجب ان نقول كذلك : ان تاريخ المسلمين مع هذا لا يخلو من صفحات اقل وضاءة واشراقا فى خدمة العلم والتفكير ، اصطهدت فيها الفلسفة حينا ، حتى قيل بتحريم المنطق ، كما تحفظ ذلك عبارة من السلم المشهور :

فابن الصلاح والنواوى حرما وقال قوم ينبغى ان يعلما

وفى الغرب الاسلامى ، الذى تدفقت منه اشعة النور العلمى الاسلامى الشرقى قد احرقت كذلك كتب « ابن حزم » العالم الحر ، العاطفى .. كما صدرت فى الشرق فتاوى بتحريم كتب فلان او فلان ..

ومن هنا ليس من الصواب ان ننظر الى اصول الدعوة الاسلامية وجوهرها من حيث تقدير العلم ، وتكريم اهله ، دون ان ننظر الى فعل المسلمين ، او نفر منهم احيانا .. بل الصواب ان نقول : **ان هذا الجوهر الاسلامى الصحيح فى الحث على العلم والحض عليه ، لم يبعد الاسلام بعدا تاما ، عن الصراع المعتاد بين الدين والعلم** .. واننا لنعرف الصراع الحاد الذى كان فى مصر منذ نصف قرن او اكثر قليلا حول تعليم الحساب والجغرافيا لاصحاب الدراسة الدينية من الازهريين .. واحسب ان الهند حتى الساعة لا يزال ينشب فى بعض انحائها مثل هذا الصراع .. وحتى الآن لا يزال فى المتنورين من يشفق من ان يدرس تاريخ الاديان ومقارناتها فى الازهر الممثل للبيئة الاسلامية ، والذى يحاضركم اليوم قد درس ما درس من العلوم الطبيعية ، منذ نحو ثلاثين عاما تحت اسم : خواص الاجسام التى اودعها الله تعالى فى خلقه » لان اصحاب التعليم الدينى كانت

لهم مشاركة فى ادارة المعهد ، الذى درس فيه ، وفى تنظيمه فابتكروا ان يكون بين مواده علم الطبيعة ، لان متون العقيدة الاسلامية تقول :

ومن يقل بالطبع او بالعلة فذاك كفر عند اهل الملة . . واظن ان مثل هذا فى القديم والحديث يدل على ان الاسلام ـ فى عقـــل المسلمين على الاقل ـ لم ينج من الصراع التاريخى مع العلم .. ولا يزال فى المتعلمين من يتوجس خيفة من اطلاق حرية العقل فى البحث والمعرفة ، ويقيم دون تلك الحرية حواجز تجعل بعض المناطق محرمة على العقل ، لانه مقضى عليه فى علم الله الا يبلغ من ذلك الا مبلغا محدودا ويعللون ذلك القول ومثله بعجز العقل ، وتحدد قوته ، ولا تزال تقوى عندهم الفكرة بأن العقل مهما يكن ميزانا ، فان الميزان لا تتسع كفته لوزن الجبل !! .

لكن ما اشرنا اليه ، عند الحديث عما بين الدين والعلم من ان هـــذا العقل قد نجح فى فهم أسرار الكون نجاحا لا ينكر ، وان هذا النجاح قد دفعه الى ما يمكن ان يسمى غرورا مثلا .. الا اننا لا نحســـن الى الدين ولا الانسانية اذا ما حملنا اقامة شىء من الحواجز ، تكبح جماحه ، وتلزمه حدودا معينة .. وليس من خير التدين ان يحاول شيئا من ذلك ، بل الخير فى ان يتركه يذهب الى ابعد مدى مستطاع او سيستطاع ، فان عاد من تجاربه بأى شىء مجرب لم نستطع انكاره .. وان وصل الى حد عجز عما بعده فان الدين والتدين لم يخسر شيئا ، بل استفاد ..

وهكذا يكون المستقبل الذى يستطيع ان يرســـل العقل حرا حـــرية لا حد لها ما دام لا يطلق اسم العلم الا على ما يجرب .

واذا كان المستقبل للدين الذى يمنح العقل العلمى هـــذه الحرية المطلقة ، فانى اعتقد ان جوهر الاسلام الصافى يؤثر ان يكون هو الدين الذى يكتب فى تاريخ البشرية هذه « **الماجنكارتا** » للعقل البشرى .

لان الاسلام فى يسر ، يطلب العلم فى كل مكان ، ولو فى الصين ، التى كانت أمس مثالا للبعد ويطلب العلم فى كل زمان ، من المهد الى اللحد ؛ ويطلب العلم عند كل احد ، وضالة المؤمن الحكمة يلتقطها انى وجـــدها وليس علينا من فعل المسلمين ، فى القديم او الحديث باس ، ما دام جوهر الفكرة الاسلامية ، فى العلم ، قائما باقيا ، صافيا .

فمستقبل الاســـلام لا يهدده الصراع مع العلم فى شىء ، اذا ما صح تقدير المسلمين اليوم ، لنجاح العلم ، واتسعت صدورهم لتقبل كل مايصل اليه عن طريق التجربة لان حرج صدورهم بمثل هذه الحقائق المجـــربة يضرهم جدا ، ولا يشفع لهم فيه اى عـــذر ، ولن تغنى عنهم اية محاولة لانكار هذا العلم التجريبى او مقاومته ..

وبهذه المناسبة نلتفت الى ما يقرر **الاســـلام انه علم ويسميه بذلك**

فنراه علم ما فى السموات والارض ، التى امر بالنظر فيها ؛ والتى امر برؤيتها ، وفصل ما ينبغى ان يرى فاذا هو العلوم الكونية حين يقول : **الم تر ان الله انزل من السماء ماء ، فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر ، مختلف الوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك ، انما يخشى الله من عباده العلماء ، ان الله عزيز غفور** ـ فاطر : ٢٨ .

ومن هنا نقدر اصح التقدير ان **ليس من الحق فى شىء ان نقسم العلوم الى دينية دنيوية ، لان الدين انما يثبت نفسه بهذه المعرفة الكونية . .** وهى العلم الذى يثبت العقيدة ، ويدلل عليها .. **وكل العلم دين ،** والاسلام اذا صح ان يميز بشىء يمتاز به امتيازا واضحا فانما يتميز بانه **رسالة المعرفة . .**

ومن هنا يبدو مستقبل الاسلام من ناحية صلته بالعلم مستقبلا مامونا ، لا خطر فيه ، ولكن على **شرط ان يعرف المسلمين** ان ما كان من اخطاء بعض اسلافهم فى هذا السبيل ، اذ حرموا علما ، او اضطهدوا معرفة ، او حددوا منطقة جولان العقل .. الخ قد كان عملا خاطئا .. ان سباغ ان يقع والانسانية فى مرحلة دون ما هى فيه اليوم فلن يسوغ اليوم وقوعه مطلقا ؛ **ولا يؤمن الاسلام** فى هذا المستقبل الا ان يحرر العقل والعلم اكمل حرية يمكن ان تتحقق لهما . .

* * *

وننتقل بعد ذلك الى تقدير مستقبل الاسلام امام العامل الثانى من عوامل ازمة التدين وهو :

٣ ـ **غموض العقائد الدينية او تعقدها وتركبها ، مما لا يتيسر معه** تعقلها او تقبلها لاصول المنطق البشرى ، حتى تقرر ان العقيدة لا يلزم ان تكون معقولة . .وفى ذلك ما فيه من العسر المثير للازمات ـ على ما بينا ـ

واذا ما اردنا ان ننظر فى خطر مثل هذا العامل على الاسلام بخاصة احتجنا الى مثل ما بيناه فى العامل السابق ، من النظر الى حال العقيدة الاسلامية فى جوهرها ، الذى تحتفظ به اصولها الاساسية ، ثم فى حال المسلمين الفعلية ، من حيث فهم هذه العقيدة وشرحها وتعليمها لصغار المسلمين وكبارهم .. وسيكشف لنا هذا النظر الى الجانبين ـ الاسلام والمسلمين ـ عن مثل ما تكشف لنا فى العامل السابق ـ صراع العلم والدين ـ . .

سنرى ان العقيدة الاسلامية ، كما حملتها اصولها الاساسية .. وكما تلقاها المسلمون الاولون ، قد نجت تماما ، من اسباب التعقيد والغموض ، وظفرت باكثر ما يمكن الظفر به من الوضوح ، واليسر ، والقرب ،

والسهولة والتكشف .. فلم تدخل شيئا من مآزق صلة اللاهوت بالناسوت ، ولا التجسد وما يشبهه ؛ ولا الحلول وما اليه ؛ ولا التناسخ وما يدانيه ، ولا .. ولا .. من تلك الغوامض التى تجهد العقل ، وتولجه فى ظلمات مبهمة ، وتحوجه الى التبرير المكدود ، والتوفيق المتكلف ، والتفلسف الذى يضيع به الوقت والنشاط ، وتجهد به البشرية ، وتقلق .. ولا يتيسر للكثرة الكاثرة من الناس ، لانه لا يستطيعه الا من اتيحت لهم ثقافة طويلة ، ذات منطق خاص ، ليتفهموا تلك المعقدات ، التى لم يكتف فيها بالسمعية والغيبية ، على ما فيها من قياس غائب على شاهد ، وتمثيل بما يصور ويقرب ، بل ضمت الى السمعية والغيبية اعباء ثقيلة ، من وصف صلة المعبود بالعابد على ما نعرفه من معقدات الاعتقادات ، فى أديان غير الاسلام ، ليست قليلة .. وقد رافق هذا الوضوح فى العقيدة الاسلامية تسمح ويسر ، فى التبليغ والارشاد ، فاذا ما سئلت الجارية اين ربنا : فقالت فى السماء .. امر بتخليها وما تستطيع فهمه ..

والشواهد على هذا الوضوح الاعتقادى الاسلامى ، والسماحة الميسرة فى فهمه لا تحتاج الى مزيد بيان .. ولو قد ظل الامر على ذلك لما عددنا لعامل الغموض والتعقد اثرا ما فى ازمة الدينية ، عند الاسلام اليوم ـ **ولكن الامر لم** يقف عند هذا الحد ؛ بل مضت سنة التطور ، وفعل الاختلاط ، الى ما لابد ان تمضى اليه ، من تركب فى العقيدة الاسلامية على مر الاجيال ، حتى كان ما نعرفه جميعا من ظهور علم الكلام ، الذى لا يخلو اسمه من دلالة ما على كثرة القول المردد فى العقائد .. واتصل هذا العلم بما اتصل به من عدوى الاديان المركبة العقائد ، ومن تأثير الفلسفة اللاهوتية ، وما اليها حتى تراكمت تلك التلال من المشكلات الاعتقادية ، التى تتسع لها رقعة كتب الكلام الفسيحة ، ولم يفد ذلك فى تأييد العقيدة الاسلامية ، فى قلوب المعتقدين ، ولا فى شىء من اشرابها الطمأنينة التى تنشرح بها الصدور .. فكان الاسلام مع ذلك كله ليس بمنجاة من ازمة التدين المعاصرة ، بل الازمة الاقدم من هذا العصر .. اذ انتهى الامر بالذين يفنون اعمارهم فى درس علم التوحيد ، او ما شئت ان تسميه الى ان يتحداهم المتحدى ان يقيموا دليلا سليما على وحدانية الله ! !

- **فهل يستطيع الاسلام فى المستقبل القريب ان يطيح بتلك الاحمال الثقيلة التى اثقل بها كاهله ناس ، وظروف ، وعدوى ، و و .. و ..** ليخلص من ازمة تركب العقيدة وغموضها تركبا يثير الالم فى حياة اتباعه ؛ اد تتململ عقولهم من هذا التعقيد الغامض ، الغموض المركب ؟

ان الجواب عن هذا السؤال ليس من اليسر بالدرجة التى يظنها الكثيرون .. لان المجتمع الاسلامى مكبل باوضاع معوقة من مراكز القائمين على الشئون الدينية ، او الهيئات التى تعيش باسم الدين .. ومتى كان فى الامر عيش ومنفعة ، **ومصير طبقات تكونت فى هذه البيئات عسر التخلص من كل اولئك** الا بعزمة صادقة ، بل بعزمة ثائرة .

والشرق ـ و منه جمهرة اتباع الاسلام ـ لم يصح عزمه على التحرر الصحيح حتى الآن ، ولم يانف الرجعية الى اليوم انفة اصيلة ، تدفعه الى التخلص منها ..

على انى لا ارى امرا مستحيلا ، ولا ارى الشرق سيمضى طويلا ، غير معتزم التحرر الصحيح ، وغير مستنكف هذه الرجعية التى تصدع بناء مجتمعاته ، فى مختلف الاقطار تصديعا موهنا ، بل قاتلا ..

فان صح العزم على التحرر الصحيح ، وصدق اليقين بنسف الرجعية فالاسلام اطوع ما يكون للتخلص مما خلفت فيه المؤثرات المتعددة ، من تعقد العقيدة وغموضها ، واثارة الازمات بهذا الغموض .

وهنا احب ان اقف لاقول :

هل العزم الصادق على التحرر سيرجع الاسلام الى منابعه الاولى ، ومصادره السابقة ، ليكون صافيا نقيا ، كما اريد له ان يكون منذ يومه الاول .. كلا ، **فذلك شيء كان ، ولا يعود ما مضى** ، وهذه التطورات قد تحققت ووقعت .. وهذه الاجيال التى غبرت بضعة عشر قرنا تتداول الاسلام خالفا عن سالف قد عاشها الاسلام حتى انتهى الى دنيا اليوم ، فاذا ما اريد الاحتفاظ بعقيدته على سماحتها التى هى فى طبيعتها ، وبيسرها الذى هو اصل فيها ، فلن يكفى فى ذلك القول برد ما كان من امره ، الى مثل الذى فهمه به مبلغه محمد عليه السلام .. وهى عبارة يرددها بعض الناس فى سذاجة وبساطة ظانين ان الامر لا يتطلب الا ان يقولوا بالرجعة فنكون .. مع ان الامر ـ كما تقضى طبائع الوجود ـ يحتاج الى جهد كبير فى تخليص الجو الدينى من هذه الدراسات الاعتقادية التى صارت حرفة ومرتزقا .. وليس ذلك كل ما فى الامر ، ولا اهم ما فيه ، وان كان هذا التخليص غير يسير فى الجملة ..

والاهم من ذلك والالزم لدفع الاسلام الى هذا الوضوح انما هو : **الفهم العصرى الصحيح للاصول النفسية للاعتقاد ، وتكوينه ، وتدعيمه ..** مع الفهم العصرى الصحيح **للحاجة النفسية عند اهل العصر الى الايمان** والتدين .. وما يمكن الدين ان يؤديه لحياتهم .. وعلى ضوء المعرفة لهذا وما اليه تفسر الاصول الاعتقادية فى الاسلام تفسيرا يمهد لها الطريق الى النفوس ، ويمكنها من ان تقدم للبشر ما يشد تلك الحاجة النفسية الى التدين والايمان ..

قد يكون من اليسير الاستغناء عن دراسة العقائد ذلك الدرس النظرى الذى هو مضيعة للجهد بل مضيعة للايمان ، لان الاستدلال على الصفات صفة صفة ، بمثل ما فى دليل صفة التقدم مثلا من الدور والتسلسل وبطلانهما لا يمكن ان يكون ثقافة دينية اليوم .. ولكن الاهم والافعل من

ذلك التخلص هو تقديم ما يملأ القلوب ، ويشغل النفوس ، ويريح الارواح .. وهى ضاعة لا يتيسر لرجال الدين نعرفهم استجلابها ، وتوفيرها للملايين الفارغة القلوب ، المنصرفة النفوس ، المتعبة الارواح .

ومستقبل الاسلام من هذه الناحية ليس بالمامون كثيرا ، ما دامت الحال على ما نعرفه فيها من تخلف وعجز .. والجهد الذى يعوض عن هذا ويتلافاه جهد هائل .. ولا يبذل شىء فى سبيله ممن يستطيعون فى ذلك شيئا .. ليس هنا مجال لدخول فى تفصيل ذلك ، والحديث عن الواجب فيه .. قالى مكانه ..

وايسر ما يتيسر هو دفاع المناعة الاسلامية عن نفسها ، والملاءمة بينها وبين الزمن ملاءمة تشق طريقها الى المستقبل .. وما ذلك الا أمل متفائل .. أعلل النفس منه بالآمال أرقبها .

وندع هذا العامل واثره فى أزمة التدين ، ونحن مشفقون ، لنتحدث عن العامل الثالث وهو :

٣ ـ عدم الملاءمة بين العقائد أو العبادات أحيانا وبين سير الحياة اليومية .. والتعبير جرىء بلاشك حين يسمعه أهل الاديان ، ولكن عدم الملاءمة لا يلزم أن يكون متبعثا عن طبيعة الدين وجوهره ؛ بل قد يكون عدم الملاءمة ناشئا عن اشياء ادخلت فى الدين ، واشياء غيرت منه .. وعلى كل حال فانا نقول كلمة الواقع ، التى يجب أن تقال مهما يغضب غاضبون .

واذا نظرنا الى عدم الملاءمة هذا نحتاج الى ما احتجنا اليه فى العوامل السابقة ، من التفريق بين جوهر الدين ، الذى تحتفظ به أصوله ، وبين عمل المسلمين على تطور الازمان .

وبالنظر الى الاسلام ترى ما عرفناه له قريبا من الوضوح واليسر لا يفترض جوهره فى عقائده ولا عباداته شيئا من عدم الملاءمة الذى نخشاه .. والنزعة الواقعية العملية فيه تمتع ما قد يوجد مع الايام ، من مخالفة بين الحياة العملية وبينه .. فهو يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه .. وماجعل عليكم فى الدين من حرج .. لكن الذين فهموه من مفسرى نصوصه ومن مستخرجى النظم منه قد فهموه طبعا من أفق حياتهم ، وفى حدود المستوى الاجتماعى والثقافى الذى عاشوا فيه ، وعند الدرجة الحضارية التى كانت قد وصلت اليها البشرية فى عهود حياتهم .. على أنا لا نطيل القول ، ولا نورد الامثال لبعض ما كان فى تلك الافهام من أحكام أو تنظيمات تنقصها المواءمة مع الحياة وتعوزها المرونة .. بل نكتفى حين ننظر لعمل المسلمين ، بعدما عرفنا سلامة جوهر الدين ـ نكتفى بالمثال الذى أشرنا اليه عند الحديث عن عامل عدم المواءمة مع الحياة واثره فى

الازمة الدينية ـ فان هذا العمل بقدر ما شرحناه هناك ينتهى الى عدم الايمان بالعلم ؛ وعدم الاطمئنان الى شيء من استقرار النواميس والسنن ، كما ينتهى الى فتح أبواب وابواب للهرب من المسئولية العامة والخاصة ؛ على نحو ما نشهد فى احداث **حياتنا الفردية والجماعية فى الشرق كله** ؛ فما ايسر ان يقال : قسمة ، ونصيب ، وحظ ، ومقدر .. وما اطول ما نظل ننتظر المفاجآت والخوارق ، وما ليس فى الحسبان .. **والعجب الذى فى الغيب** وما الى ذلك من تعبيرات متشابهة وامثال سائرة ، كلها فرار من الواقع وهرب من الحقيقة ، وتنصل من المسئولية .

وقد قال احد كتاب الغرب بحق : ان المسلم حين يذهب الى المدرسة **ثم الجامعة يتعلم القوانين العلمية ، ويطمئن الى ان النار اذا مست البنزين احترق ، يبدأ يشعر بان شيئا قد تدخل فى ارادة الله ، فيتحول الى المادية ومنها الى ما بعدها مما هو فى السبيل كالشيوعية .. ان المستقبل لايرجى حقا الا اذا حررت العقيدة الاسلامية تحريرا واضحا يقرر السببية ،ويثبت اضطراد القوانيس ـ ويلغى من كتب التعليم فى اى مرحلة من المراحل القول بان جز الرقبة لا يميت** . ويقرر ان المعتزلة الذين يقررون هذه السببية ليسوا كفارا **وليسوا بعيدين عن الاسلام** ، وان افعال العباد لا يكفى فى فهمها الكسب الذى يتمحل له الاشعرى ، بل ان فاعلية العباد الحقيقية لما يمارسونه من فعل لا تمس قدرة الله تعالى ولا تؤثر على الايمان بها والتسليم لها ؛ لانها هى العليا وهى واضعة هذا النظام الكونى والمشرفة على تنفيذه ، وفى ظل هذا النظام يفعل الناس ويتركون وهم واعون لما يفعلون ، يعرفون هذا فيفعلونه ، ويعرفون ذاك فيتركونه ، كما يقول القرآن الحكيم « **وهديناه النجدين** »

تلك مسألة اكتفيت بها للتمثيل على ما لابد لنا من مواجهته لوضع الامور فى نصابها **وتحرير العقيدة الاسلامية من عدم الملاءمة للحياة الواعية العاملة المسئولة ، وكل مسالة تعرض لنا من هذا الصنف غير الوائم لابد لنا فى حلها من الاستنجاد بيسر الاسلام وعدم الحرج فيه ، وعدم المضارة لاهله .. وتقدير الواقع وتذليل ما يخالفه من آراء او اعمال**

* * *

ثم ننتقل بعد الى العامل الرابع من عوامل ازمة التدين : وهو :

صعوبة التطور فى البيئة الدينية ، مع ضرورته لها باعتباره سنة مقررة لا مفر منها .

والاسلام دين عام للانسانية كلها فى صريح دعوته ودين خالد باق

ما بقيت البشرية على الارض ، ومثل هذا العموم الشامل لايمكن أن يتحقق الا بوعى يقظ لما تحتاجه البيئات الانسانية المختلفة باختلاف الانحاء والأهواء ، ويجعل التعاقد والاعمال وكافة الاسس الدينية فى الوقت الواحد مرنة مرنة تتسع للالوان المختلفة ، والاجواء المختلفة ، والطبائع المختلفة

كما ان هذا البقاء والخلود لا يكون الا اذا تقبلت الدعوة الاسلامية تغير الاعصر ، وتطور وسائل الحياة على الزمن .. ودون هذا لا يمكن أن تصدق الدعوة التى يرددها أصحاب الدين انفسهم عن صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان ! !

والاسلام كما قلنا هنا غير مرة ـ فى جوهره يدرك ضرورة هذا التطور ويؤيده ، ويدبر له ، واسلوبه فى تدبير الحياة وجدانيا ، وخلقيا ، وعمليا يقوم على البدء بواقعية عملية من صميم حياة الناس عند اول عهده .. ثم لا يقف عند هذه الواقعية ، بل يفتح منها بابا لمثالية غير محددة الا بما تطبقه الانسانية فى كل عصر .

والقرآن وهو أصل الاصول فيه يقدم هذه الخطة فى رياضة الحياة على أساس البدء من لواقع ، والاستشراف للغد وتغيره ، وتقبل كل ماتستطيع الانسانية أن تبلغه من الترقى . ولا مجال هنا لسوق شىء من الامثلة عن ذلك **فخطة هذا التدبير القرآنى بخاصة ، والجمع بين طرفى الامر من واقع أول الى مثال ليس له اخر ـ هذه الخطة تحتاج الى القول المفرد بل لعلها** تحتاج الى التأليف المفرد لها فيما بعد شاهدا موجزا فى قبول الاسلام لهذا التطور حديث التجديد المعروف : ان الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الامة امر دينها ، فهذا حديث قد وصل قول الاقدمين فيه الى حد تقرير تواتره ، واشتغلوا بتعيين المجددين على رءوس المائة ، وللسيوطى فى ذلك تاليف مفرد

ولكن جوهر الاسلام الصافى ، وقبوله التام للتطور لن يجعل هذا التطور يتم فى يوم وليلة ، فكم من رءوس مليئة بعداوة هذه الفكرة الضرورية لحياة الاسلام ، وهى محتشدة تقطع الطريق لتحقيق هذه الغاية الكبرى

ومن هنا نشعر بان الاسلام لا يتهيأ للمستقبل الا بسيادة هذه المبادىء الاساسية بل بالعمل على تحقيقها قبل ضياع الفرصة وضراوة عداوة التدين واعداء الدين .

وانه لامر جليل بل جلل لا يقوى عليه الا الصابرون .. وقد بينا ذلك بعض بيان عند شرح هذا العامل فى القسم الاول من هذا الحديث

* * *

فاذا ما انتقلنا الى العامل الخامس من عوامل ازمة التدين وهو :

٥ ـ الرياسات الدينية ـ وضراوة اهلها وخطر سلطتهم التى تقوم على جوانب من الضعف الانسانى يسهل اقتيادها وتسخيرها .

والاسلام حينما تنظر الى مستقبله ، وما لهذا العامل من خطر عليه ، ستجد ماوجدناه دائما من انه فى معدنه الصافى ، واصوله المحفوظة بنصوصه الحيوية المرنة لا يعرض اهله لشىء من خطر الرياسة ، فهو لا يجعل لبشر على بشر سبيلا ، وهو لا يجعل احدا وسيطا بين الله وعباده . وهو بما اوضح وجلى ويسر من امر العقيدة يقطع الطريق على مثل هذه الرياسة حين تحاول التسلل الى الوجدانات والقلوب باساليبها الخادعة ، فدخول الاسلام بقول لا اله الا الله ، ولا شىء من اعماله يتوقف على طقوس خاصة يلقنها ذو صفة خاصة ، وعقوده عملية قانونية ، على اختلاف عنوانها ، من احوال شخصية او امور مدنية اخرى . والتوبة من الذنب بعقد العزم على عدم العودة دون وساطة احد او مفاتحة احد ، فضلا عن الاعتراف لاحد .. الخ

لكن ما اشرنا اليه كثيرا من فعل الزمن بكل مادى معنوى قد آوجد فى حياة الاسلام صورا من الرياسة ذات الصفة الدينية ، ولا سيما فى متاخر عصوره ـ فلقب شيخ الاسلام ومركزه لون من الرياسة الدينية الى حد واضح ، فليس للاسلام مشيخة ولا شيخ ، وليس لها فى الدين عمل ما .. ولقب المفتى من هذا النوع ، فاهل الفتوى ليسوا محصورين فى واحد ، ولو كان هذا المفتى مجتهدا لما كان قوله ملزما لاحد ، فكيف وهو مقلد ينقل من الكتب ، فيحسن النقل والتطبيق او يسيئه ، هذا واو ذكرت الصوفية والتصوف لرايت رياسة دينية باوسع معانيها ، بل بافحشها ، فهى تلقين وتوجيه من الشيخ المسلك لمريده السالك . وهى منازل وطبقات من اقطاب وابدال تؤدى الى اهوال ، حينما تشيع بتنظيم التصرف فى الكون وتوزيعه على القادة المختصين ، ممـــا لا نخرج منه لو دخلنا فى شىء من تفصيله .

وعلى كل حال فمن قاضى القضاة منذ اول العهد ، الى شيخ الاسلام والمفتى اخيرا ، كانت هذه الرياسة الدينية تكأة لالوان من الحكم الاستبدادى الفاسد ، ووسيلة لايجاد طبقة تنتفخ كروشها وتتورم عمائمها ، وتصب فى جيوبها انهار من المال ، عن طريق الحاكمين ، والواقفين ، والجهلاء والسفهاء وكان منهم من يجمع بين الشريعة والحقيقة على راى الصوفية ، فيكون شيخ اسلام وشيخ طريق او ابن طريق كما يقولون ، فيكون تاثيره النفسى على العامة ، وهم الجمهرة والكثرة ، وعلى خاصة كانوا فى ذلك الوقت عامة او عامة العامة ، من اشباه مماليك الشراء الذين كانوا يتسلطون .

وندع القديم لننظر فى حديث الاسلام وحاضره القريب فنرى شيخ الاسلام مطهما معمما ، وهو شيخ معهد ، لا يساير الحياة ، ولا يستطيع الحديث عن الاسلام بكلمة تقع موقعا من نفس أحد ابناء عصره المثقفين ، وحوله شيوخا يرددون ما يحتاج مستقبل الاسلام الى احراقه من حديث عن السببية وافعال العباد سمعت شيئا عنه ، أو وهميات خرافية يعتدونها من المعقول ، ويلتمسون لها الفحول ، ككون الصفات عين الذات او غير الذات . والاسم عين المسمى او غيره وأن سؤال القبر بالسريانى ، وان .. وان .. مما يعتبر ذكره مضيعة للوقت ، ومعهم الوف مؤلفة من شبان يتعطشون للحياة ، ويحملون أطيب شعور نحو العلم والمعرفة ، فيخدعون بظن آن هذا وما اليه خير المعارف واشرف العلوم ، لانه يوصل الى الله وشرف العلوم بشرف مقاصدها .

وتتكتل هذه الجمهرة تطلب الدنيا كلها ، فهم علماء ، وهم دكاترة ، وهم جامعيون ، فكيف لا يكون لهم ما لغيرهم من كادرات ، ودرجات ، ومعاشات وامتيازات يزيدها انهم أهل الفضل والتقوى ! ! وتسالهم ماذا عليهم مما على غيرهم ! وماذا يقدمون بعلمهم لحياتهم هم انفسهم ! وكيف سيكون حالهم لو خليت لهم الدنيا واخليت من غيرهم ليدبروها بعلمهم ، ويفيدوها بفضلهم ! ! ثم ماذا يكون حال هذه الدنيا لو أخليت منهم هم فلم يبق منهم ديار ولا نافخ نار ! ! وماذا من أمرها بتعطل بفقدهم وماذا من حياتها يقف باختفائهم ! ! اما والله لولا الملامة لقلت عن الذى تفيده الحياة اذا فقدتهم .. لكن فى فمى ماء

وهكذا ترى ان مستقبل الاسلام مع وجود هذه الطبقة من صورة الرياسة مهدد ، لما تفقده هذه الطبقة من الحيوية ، وما تمنعه عنه من نور حين تزعم ان حكم الله عندها ، وكلمة الاسلام حكرها ، وحماية الاسلام مهنتها ، فلا يكون أفرادها أسودا الا على مسلم او شرقى رجا الخير ، وابتغى البر ، ففكر وعبر ، او تململ فتحرر .. اما حين يكون المتكلم مبشرا او مستشرقا او متكلما غربيا ، فلا غناء عندهم ولا خير فيهم ، ولاهم أصحاب فكرة تقرع فكرة ، ولا أصحاب لسان يقدم بيانا ! !

فمستقبل الاسلام لا يتفتح لحيويته المذخورة فى اصوله ، ولبابه الا اذا تخلصت الجماعات الاسلامية من كل ذى صفة من الرياسة الدينية وحبست كل أجر لهذه الصفة ، وانفقت ذلك وما اليه من الاموال المعنية على هيئات للبحث تعطى قبل أن تأخذ ، وتفيد والا فلا تستفيد لاكهيئة كبار العلماء . وان هذا اللقب لكبر وحده عظيم .. فأين العلم ؟ وأين الكبر فيه ؟ وماذا تجد الدنيا منه ، حتى لو كان علم الثرثرة والكركرة الذى احتوته الحواشى والتقارير عندهم ! !

والان قد عرضنا عوامل الازمة الدينية فى العصر الحديث حسب أهميتها وتحدثنا عن قوة الاسلام فى مقاومتها .. وبقيت بعد ذلك العوامل الثانوية التى ينتظمها بعض هذه العوامل الجوهرية ، فلا نقف عندها وقفة خاصة ، بل نخلص بعد ما قدمنا الى :

النتيجة

وهى ان الاسلام باصوله النقية المحفوظة ليس عليه اى خطر من هذه العوامل مجتمعة او منفردة ، لانه متخلص منها جميعاً فى حقيقته ولبابه

ولكن

ماذا فعل الزمن بهذه الحقيقة ؟ وماذا يجب ان يفعل اليوم ليكون لهذه الحقيقة مستقبل وعمر ؟

هذا ما نركزه فى الاعمال التى يتوقف عليها مستقبل الاسلام وهى :

١ ـ تحرير العلم بالمعنى الحديث ـ العلم التجريبى ـ تحريرا تاما ، يعلنه الاسلام نفسه ويناضل عنه ، ويجاهد فى سبيل اشاعته . لان طلب العلم فريضة ، ولا حياة للامم الا بعلم الحياة .

وحين يحرر الاسلام العلم مؤمنا بقيمته يشعر فى الوقت نفسه أن تعليم الدين ليس وسيلة وغاية معا ، بل ان تعليم الدين وسيلة لخلق علماء بالحياة عاملين فيها ، ذوى خلق مؤد للنجاح

فلا يعلم الدين الا لتحقيق هذه الوسيلة ، اما ان يكون تعليم الدين حرفة ومرتزقا فهذا ليس من الدين فى شىء

واذا قدر أن تعليم الدين وسيلة فسيكشف له الزمن عن الاساليب التى يستطيع بها ان يحقق غاية فى الحياة ، من بث عقيدة واصلاح نفسى فيكون تعليم الدين عملا منتجا أو لا يكون

٢ ـ تخليص العقائد الاسلامية من كل ما اضيف اليها من صناعة علم الكلام ، وعرضها واضحة يسيرة ، فى صور من العرض الذى تهدى الحياة اليوم الى حسن وقعه على النفس الانسانية ، وجميل اثره .

٣ ـ تخليص الاسلام فى عقائده وعباداته من كل ما يلائم الحياة الجادة العزيزة ، فتخلص العقيدة مما يؤثر على سير الحياة .

وتؤدى العبادات بوسائل عملية حيوية ، مؤثرة غير معوقة وتترك الكلمة فى المعاملات للمصلحة التى يقدرها الدرس التجريبى الاحصائى

امين الخولى

أمثالنا تاريخية ..

بقلم : عبدالله خورشيد البرى

١ - جنود من عسل

لعبت مصر دورا اساسيا فى الثورة التى انتهت بمصرع الخليفة عثمان فى ذى الحجة ٣٥ هـ . وفرض الخليفة الجديد ، على بن ابى طالب ، سلطانه على مصر اذ كان له فيها انصار اقوياء من نفس الزعماء الذين نفذوا الانقلاب الخطير . وسرعان ما تكتل ـ كرد فعل مضاد ـ المطالبون بدم عثمان فى تشكيل عسكرى قوى ، وتمردوا على السلطة الجديدة ، واشتبكوا معها فى صراع مسلح فى الصعيد وفى الشمال انتهى بهم الى ان عسكروا فى خربتا يرقبون سير الحوادث بعيدين عن السلطة المركزية التى اضطرت الى مهادنتهم .

وهكذا لم تصبح مصر ميدانا صريحا للصراع بين المعسكرين منذ اللحظة الاولى فحسب ، ولكن اصبحت كذلك العامل الحاسم فى هذا الصراع اذ كان واضحا ان النصر النهائى سيكون فى جانب المعسكر الذى يستطيع ان يتحكم فى موقعها الهام ويسيطر على مواردها الضخمة . ولما كان عمرو بن العاص ، القائد الخبير بمصر ، يعرف ذلك تماما ، وكان فى الوقت نفسه يتحرق شوقا الى العودة الى حكم مصر التى تعدل ولايتها الخلافة فى رايه ، فانه لم يكف عن تحريض معاوية ، زعيم المعسكر العثمانى القائم فى دمشق ، على المبادرة الى انتزاع مصر من قبضة على .

وبالرغم من ان العثمانيين المعتصمين فى خربتا كانوا عشرة الاف من «وجوه اهل مصر ، لان والى على هناك ـ قيس بن سعد الصحابى ، الانصارى السيد ، الجواد ـ كان سياسيا حكيما استطاع ان يعتمد على صلاته الشخصية ببعض زعماء اهل خربتا وعلى مسلكه الكريم الرفيع ، فى عقد هدنة غير مكتوبة بينه وبينهم ، اخلدوا بعدها الى الهدوء التام .

ولكن معاوية الداهية راح يصور سياسة قيس هذه التى شلت حركة

العثمانيين فى مصر وحرمته من الاعتماد عليهم عسكريا ، على انها اتفاق سرى بينهما ، ويعمل على أن يصل ذلك إلى على الذى لم يلبث حتى تشكك فى قيس فعزله بعد اربعة اشهر فقط « رجب ٣٧ هـ »

ولم يكن معاوية قد فرغ بعد من تلقى التهنئة بنجاح سياسته حين فوجىء بعلى يختار لمصر رجلا عنيفا من رجال الحرب ، لا يعدل بطولته وبطشه سوى ولائه لعلى ، ذلك هو الاشتر النخعى ، مالك بن الحارث ، الذى أثار العجب والاعجاب فى موقعة الجمل (٣٦ هـ) حين تماسك مع عبد الله بن الزبير ابن اخت عائشة — وكان ايضا من الابطال — فلم يزل يضربه حتى كاد يمزق اعضاءه لولا قرابته من رسول الله ، وعبد الله يصيح وهو واقع تحته :

اقتلانى ومالكا واقتلا مالكا معى

ولم تفقد المفاجأة السيئة معاوية دهاءه ، بل بادر الى التدبير للتخلص من هذا الوالى الجديد الذى توقع انه سيجد فيه خصما شديد المراس . فاتفق مع صاحب خراج القلزم على اغتياله حين وصوله اليه فى طريقه الى عاصمة حكمه ، وذلك فى مقابل مكافأة كبيرة .

ووصل الاشتر القلزم قادما من العراق . ونزل ليستريح ويريح دوابه استعدادا للجزء الاخير من الرحلة الشاقة . فقدم اليه صاحب الخراج تكريما له ، ووفاء بحق ضيافته — طعاما من بينه عسل مسموم لم يكد يشربه حتى مات .

وطار الخبر الى عاصمة الدسائس دمشق ، فارتاح معاوية الى النجاح الجديد الذى أحرزه ضد منافسه على . فى حين علق عمر على ذلك اللون الغادر من الصراع بقولته الساخرة : « ان لله جنودا من عسل ! »

اما على فقد جزع لفقد الاشتر جزعا شديدا ، وراح يتفجع عليه بقوله : « لله حالك ! لو كان جبلا لكان من جبل فندا ، ولو كان من حجر لكان صلدا . مثل مالك فلتبك البواكى نهل موجود كمالك ؟ » فوالله — يقول الراوى — مازال متلهفا عليه ومتاسفا حتى راينا انه المصاب دوننا .

وشاركت النساء الرجال فى بكاء الاشتر بشعر جميل سجل بطولته وشجاعته مثلما صور مصرعه الغادر اللئيم . قال احدهم :

فقل لابن هند : لومنيت بمالك
وفى كفه ماضى الضريبة باتك
لالفيت هندا تشتكى علن الردى
تنوح وتحبوها النساء العواتك(١)

---

(١) هكذا اورد الكندى وابن نفرى بردى اخبار حادثة الاغتيال . وهناك اكثر من سبب يحمل على الاقتناع بانها ذات اصل شيعى . وتعطى الروايات المختلفة صورة واضحة لحرب الروايات التى كانت على اشدها بين المعسكر الشيعى والمعسكر المضاد .

٢ - ولكن الله أراد خارجة

محمد بن ابى بكر الصديق هو الوالى الذى هيىء له ان يشغل المنصب الحساس الشاغر فى مصر عام ٣٧ هـ . ولم يمنحه على ثقته لانه ابن الصديق الاول للرسول فحسب ، ولكن لانه ربيبه كذلك وشهد معه الجمل وصفين . ولا شك ان حداثة سن الوالى الجديد ، الى جانب بعض صفاته الشخصية ومنها : الغرور والتسرع ، هى التى دفعته الى ان يبدأ حكمه بالتحرش بالثوار القابعين فى خربتا ، فهدم دورهم فى الفسطاط ، ونهب اموالهم ، وسجن ذراريهم . ولكنه لم يلبث حتى كف عنهم حالما تأكد من وعورة جانبهم . ثم ارتكب خطأ فاحشا عندما آثر السلامة فتوهم ان خير حل لمشكلتهم ان يسمح لهم - وهم عشرة الاف مقاتل ، اى جيش كامل - بالخروج من مصر الى الشام حيث انضموا الى قوات معاوية التى تتحين الفرصة للانقضاض على مصر وادرك معاوية أن الكمثرى قد نضجت فاذن لعمرو - تنفيذا لاتفاق مفروغ منه - ان يتحرك لقطافها . واستطاع عمرو ، الذى يعرف كل شبر فى مصر ان يفتحها للمرة الثانية بعد معركة رهيبة فى المسناة فى صفر ٣٨ هـ .

وبذلك تمتد مرحلة هامة فى الصراع بين على ممثل الاتجاه المثالى ومعاوية ممثل الاتجاه الواقعى . غير ان الامر بدا غريبا فى الدولة الاسلامية ، ففى الكوفة يوجد على الخليفة الرسمى الذى لا يتجاوز نفوذه حدود العراق وشبه الجزيرة ، فى حين يقوم معاوية فى الشام خليفة غير رسمى له استقلاله التام ونفوذه الكامل ، وفى مصر ينفذ عمرو سياسة معاوية ولكنه مطلق التصرف فى خراجها يستولى عليه كله بعد ان يدفع مرتبات الجند ونفقات الشئون العامة . وهكذا بدت الجماعة الاسلامية منقسمة على نفسها انقساما خطيرا ولما يمض على وفاة النبى سوى ربع قرن . وهال ذلك بعض الرجال المتحمسين من حزب الخوارج ، فظنوا ان القضاء على زعماء الاحزاب يقضى على الاحزاب نفسها ويقضى بالتالى على الانقسام ويعيد الى الامة وحدتها ، وصمموا على اغتيال على ومعاوية وعمرو فى ليلة واحدة (١٧ من رمضان سنة ٤٠ هـ) .

كأن المتآمرون اخوة ثلاثة ، اسهم الزعيم منهم - عبد الرحمن بن ملجم فى فتح مصر ، واختط بالفسطاط ، واتخذ لنفسه مسجدا بها . وقد جمع بين التفوق العسكرى اذ كان فارس قومه المعدود فيهم ، والتفوق العلمى اذ كان من قراء القرآن واهل الفقه ، قد قرأ القرآن على معاذ بن جبل باليمن ، حتى ان عمر بن الخطاب امر ان يخصص له منزل بقرب المسجد ليعلم الناس القرآن ، ثم انتقل الى مذهب الخوارج مثله مثل كثير من القراء .

وفى الموعد المحدد توجه كل من

المتآمرين الثلاثة ـ عبد الرحمن ، وقيس ، ويزيد ـ الى المسجد الجامع ليفتك بضحيته فى صلاة الفجر . وتدخل القدر بالنسبة الى عمرو اذ عرض له عارض منعه من الخروج الى الصلاة ، فناب عنه صاحب شرطه ـ وكان يستخلفه عادة كلما تغيب ـ خارجة بن حذافة الصحابى الذى كان يعد بالف فارس حتى ان عمر جعل عطاءه فى مائتين تقديرا لشجاعته والذى تزوج من امرأة قبطية من سبى سلطيس وانجب منها ، والذى كان احد زعماء العثمانيين فى مصر ، والذى ظل يخدم عمرو بن العاص منذ معارك الفتح حتى تلقى الطعنة القاتلة بدلا منه فى تلك الليلة الموعودة .

قبض المصلون على القاتل يزيد بن ملجم ، ودخلوا به على عمرو ، فلم يحاول انكار جريمته بل لم يحاول انكار هدفه الحقيقى اذ قال لعمرو : « انا والله ما اردت غيرك يا عمرو » واجاب عمرو المحظوظ فى هدوء وثقة وسخرية : « ولكن الله اراد خارجة » وظل عمرو ثلاث سنوات كاملات بعد ذلك يتمتع بالحياة والمجد والسلطان حتى ادركته منيته فى فراشه ليلة عيد الفطر سنة ٤٣ هـ هو الذى ظل طول عمره يتعامل مع الموت وجها لوجه ويقول : « ما كنت بشىء اتجر منى بالحرب » .

٣ - احذروا أبا سليمان

اضطر الخليفة الوليد بن عبدالملك الى ان يعزل اخاه عبد الله عن مصر سنة ٩٠ هـ بعد ان حكمها اربع سنوات لم ينجح فى خلالها الا فى اثارة سخط الرأى العام عليه وكراهية الشعب له نتيجة ارتشائه ، وانصرافه الى الملذات ، واشتداد الغلاء فى ايامه حتى هجاه شعراء مصر وسخروا منه سخرية قاسية .

وكان الطبيعى ان يبدله الخليفة بوال كفء يصلح ما افسد سلفه غير ان الوليد زاد الطين بلة ـ كما يقال ـ حين ارسل قرة بن شريك ليحكم مصر اربع سنوات كاملة ، كل ما فعل فيها من اصلاح انه « دون الديوان الثالث » اى اعاد كتابة اسماء الجند ومرتباتهم فى السجلات الخاصة بذلك للمرة الثالثة منذ الفتح تمشيا مع ما طرا من تغيرات ، وانه زاد فى المسجد الجامع ، وزوقه ، وذهب رءوس بعض اعمدته ، واصلح قبلته ، وجعل محرابه مجوفا ، ونصب فيه منبرا جديدا لم يلبث حتى اصبح اقدم منبر فى العالم الاسلامى بعد منبر النبى نفسه .

وفيما عدا ذلك يقول عنه التاريخ :

كان خليعا ، من اظلم خلق الله ، سيىء التدبير ، خبيثا ، ظالما ، غشوما فاسقا ، متهتكا . قيل انه كان اذا انصرف الصناع من بناء المسجد دخل المسجد ودعا بالخمر والطبل والمزمار فيشرب ويقول : « لنا الليل ولهم النهار » . وانزل بلايا عظيمة على اصحاب عبد الله . والنصارى والمسلمون طرحهم فى السجون ، اقاموا فيها سنة . ولما ذهب اليه البطرك يهنئه بالولاية وفقا للتقليد المتبع طالبه بمبلغ كالذى دفعه لعبد الله بن عبد الملك «ولو انه يبيع لحمه» وانتهى به الامر الى ان اغلق مقر البطريركية واخذ كل ما فيه من الاوانى والذهب والفضة والكتب والبهائم ، وكان كل ارخن « رئيس » يموت يأخذ جميع ماله ، حتى الاساقفة اخذ ميراث الجميع . وزاد على البلاد مائة الف دينار سوى خراجها المعروف . وعظم ظلمه اكثر ممن تقدمه . وكان عمر بن عبد العزيز يعتب على الوليد لتوليته . وقد قال عمر يوما : « الحجاج بالعراق والوليد بالشام ، وقرة بن شريك بمصر وعثمان بالمدينة ، وخالد بمكة !! اللهم قد امتلات الدنيا ظلما وجورا فارح الناس ».

وضاق الناس صدرا بالظلم الموصول ، والعذاب الطويل . ولم يكن بد من حل .

وخرج قرة ، بعد عام من توليه مصر ، الى الاسكندرية يزورها ، ويطلع على مجالى الحسن فيها ، ويستمتع بجوها القريب من جو دمشق . وكان فى الاسكندرية فرع قوى لحزب الخوارج ، يضم حوالى مائة من الرجال الاشداء ، يتزعمهم المهاجر بن ابى المثنى احد افراد قبيلة تجيب ذات النفوذ والثراء والسلطان ووجدها الخوارج — وكانوا يعبرون عن ارادة الجماهير ، ويمثلون المعارضة الشعبية — فرصة سانحة. فها هو ذا الحاكم الطاغية ، العابث بمقدرات الناس ، الذى يتخذ الحكم مركبا الى ارضاء نزواته ، قد سعى اليهم بقدميه ، وهو فى الاسكندرية بعيد عن العاصمة وسلطتها المركزية القوية ، وهم ادرى بمدينتهم ، ويستطيعون ان يتحينوا الفرصة المناسبة زمانا ومكانا للانقضاض عليه ووضع حد لحكمه الاستغلالى الماجن البشع ، ويتفرق دمه عليهم فيضيع فيما بينهم ، ويكون دمه فى الوقت نفسه خير قربان يتقربون بسفكه الى الله .

اجتمع الرجال الفدائيون عند منارة الاسكندرية — وكانت ما تزال قائمة — فتداولوا الراى ، ورسموا خطتهم ، وبايعوا زعيمهم ابن ابى المثنى والقوا اليه قيادة تنفيذ الخطة .

ولا شك فى انهم قد غلبهم الحماس وهم يتناقشون فلم ينتبهوا الى ذلك الرجل القابع غير بعيد ، يبدو غير ملق بالا الى المناقشات الحامية الدائرة والخطط التى ترسم والبيعة التى تؤخذ . ونهض ابو سليمان — وكانت هذه كنيته — دون ان يثير انتباه احد واتجه مباشرة الى مقر الامير قرة بن شريك فافضى اليه بالامر كله . ولم

ولم يكن قرة الرجل الذي يضيع وقته ، فأرسل فى الحال قوة قبضت على المتآمرين وهم ما يزالون فى مجلسهم عند منارة الاسكندرية منهمكين فى قاعدة المنارة التى رسموا مؤامرتهم عندها . وارسل فى طلب رجال الدولة الموجودين بالمدينة ، فلما اجتمعوا جلس يحقق مع المتآمرين فى حضرتهم سالهم قرة عما بلغه ، ولما لم يكن الخوارج ليكذبوا او يجبنوا اويتراجعوا فقد اعترفوا اعترافا صريحا لا شك فيه . ولما كان الاعتراف سيد الادلة فقد راى قرة الذى لا يبالى شيئا فيه حجة كافية ليصدر عليهم جميعا الحكم بالاعدام .

فشلت المؤامرة ، ونجا الامير المكروه ودفع الشعب الثمن غاليا — مائة من اشجع الرجال المثمرسين على القتال الجاهرين بالحق — وضاعت فرصة ذهبية للخلاص .

وكان رجل من الخوارج لم تتناوله المذبحة الرهيبة لسبب او لآخر ، كان قلبه يتفطر حزنا على رفاقه فى المذهب وصدره يغلى حقدا على الحاكم المفترس ، وضميره يثقله شعور بالعار لا يخلصه منه الا الانتقام . وكان قرة نفسه اقل ثمن يمكن ان يرضى به فى مقابل رفاقه المائة ، ولكن دون ذلك اهوال . فاضطر ان يكف من غلوائه ، ويقنع بابى سليمان الذى باع نفسه للشيطان ، وخان الشعور العام وانضم الى عدو الشعب . ولم يجد الخوارج صعوبة فى الفتك بابى سليمان . وشىء خير من لاشىء .

وذهب ابو سليمان مثلا فى التجسس على الشعب لحساب الحاكم . فكان يزيد بن ابى حبيب ، فقيه مصر العظيم (ت ١٢٨ هـ) ، اذا اراد ان يتكلم بشىء فيه نقد للحاكم تلفت حواليه وقال ساخرا : « احذروا ابا سليمان» ولما كانت جرائم التجسس وخيانة الشعب تجد مرتعا خصبا فى حماة الاستبداد الطاغى فقد كثر من سلك مسلك ابى سليمان فى المجتمع المصرى حينذاك ، وتفاقم عدد المشتغلين بالتجسس طلبا للامان من الحكم الغاشم بالمعاونة عليه والمشاركة فيه ولحظ يزيد بن ابى حبيب هذه الظاهرة الكريهة التى ادت الى ضياع الثقة بين الناس حتى لم تعد حاجة الى التحذير من واحد بعينه ، فقال يوما من ذاك : « الناس كلهم ابو سليمان»

اما قرة نفسه فقد اتخذ من الجماجم المائة كرسيا تربع عليه، وظل يتمتع من فوقه بالحياة والسلطان ويمارس العربدة والاستبداد حتى مات عام ٩٦ هـ ودفن فى رمال المقطم التى طالما ضمت الخالدين .

٤ - أين صلاتك ياوهيب

فى سنة ١٠٤ هـ قام اسامة بن زيد صاحب الخراج بمصر - وكان يلجأ الى اعنف الاساليب لاستخراج اكبر قدر ممكن من المال ارضاء لسيده فى دمشق - بمهاجمة الاديرة وهدم الكنائس . فلما قام هشام فى الخلافة سنة ١٠٥ هـ كتب اليه بان يجرى النصارى على عوائدهم وما بأيديهم من العهد . ولذلك وصف مؤرخو القبط هشاما بانه « كان رجلا خائفا من الله على طريق الاسلام ، وكان محبا لسائر الناس ويخلص الارتدكسيين » . « وكان عنده رجل مسلم يحب البيع الارتدكسية ، فلما نظره الملك هشام يفعل ذلك فرح جدا ، وولاه مصر ، واوصاه ان يفعل الخير مع بنى المعمودية » . « وهكذا كانت امور الابسقوبية - الاسقفية - والبيعة الارتدكسية نامية مستقيمة حتى عادت الى ما كانت عليه اولا واكثر ، الى ان صارت كانها لم تنهب اولا . وبنعمة السيد المسيح كانت البيعة تنمو بغير مقاوم لها ، ولا شقاق فيها » .

وانتهز النصارى فرصة العهد المتسامح - وكانت لا تعرض الا نادرا ليحلوا ما امكن من مشكلاتهم التى كان منها ان نساءهم واولادهم كانوا فى ذهابهم الى الكنائس الداخلة بالفسطاط وعودتهم منها لا يامنون من معترض يعترضهم ، وخاصة فى ليالى صوم الاربعين ، اذ لم يكن لهم بد من اختراق الاحياء الاسلامية الخالصة. فشكوا ذلك الى الوليد بن رفاعة والى مصر حينذاك ، وسالوه - كحل للاشكال - ان ياذن لهم فى اعادة بناء كنيسة ابى مينا الموجودة فى حى الحمراء الذى يقع خارج الفسطاط . وتمشيا مع موقف الخليفة المتسامح من الذميين اذن الوليد لهم . وكان ذلك عام ١١٧ هـ .

لم يكد الخبر يعرف حتى ثارت ثائرة الراى العام ظنا بان فى ذلك خروجا على تعاليم الدين ، وتساهلا غير مشروع ازاء الاديان المخالفة للدين الرسمى ذى السيادة. وكان الخوارج - شانهم دائما - لسان الراى العام ، ومظهر ارادته ، واداة تنفيذ هذه الارادة . وتصادف ان كان فى الفسطاط فى ذلك الوقت خارجى يدعى « وهيب اليحصبى » قد قدم من اليمن موطنه الاصلى منذ قليل ، ونزل على قبيلة يحصب القوية المقيمة بالفسطاط منذ الفتح. ولما كان وهيب لا يزال قريب عهد بالبداوة وعنفها وتمردها الى جانب المبادىء المتطرفة التى يعتنقها ، فما ترامى الخبر الى سمعه حتى استشاط غضبا واعلن خروجه على الوالى الذى خرج بدوره على الاسلام خروجا يوجب ان يدفع حياته نفسها ثمنا له .

وكانت خطة وهيب لاغتيال الوالى بسيطة وجريئة فى نفس الوقت كما هى خطط الفدائيين دائما . فقد راح يتعقب الوالى فى غدوه ورواحه يتحين فرصة مناسبة لينقض عليه

ويفتك به . ولكن حـــراس الوالى سرعان ما كشفوا امره ، فاخـــذوه وقتلوه .

كان قتـــل وهيب زيتا صب على النار المشتعلة ، واحدث رد فعـــل عنيفا فى أوساط القراء ــ حمـــلة القرآن الذين نبت الخوارج اصلا فى بيئتهم ، وافرخـوا بين احضـانهم ، وورثوا عنهم ميلهم الى المعارضـــة العنيفة ــ فتجمعوا فى جزيرة الفسطاط التى بين الجسرين ــ جزيرة الروضة حاليا ــ بزعامة شريح بن صـــفوان التجيبى والدحيوة بن شريح الفقيه المشهور ، واعلنوا الثورة على الامير الذى قتل زميلهم . وخشى الوليدان تندلع نار الفتنة ويتسع نطاقها فبادر بارسال قوات الدولة الى القـــراء الثائرين فى الجزيرة الصغيرة حيث دارت معارك دامت اياما كانت معونة امراة وهيب الشارى ، تطـــوف فى خلالها ليلا على منازل القراء تحرضهم على الطلب بدم زوجها المطلول .

ولم يكتف الوليد بقتل وهيب بل اراد ان يشرك قبيلته فى جرمه فقبض على مروان بن عبد الرحمن عـــريف قبيلة يحصب فى مصر وعدد من رجالها ووجه اليهم تهمة التواطؤ مع وهيب على اغتياله . ونفى مروان الاتهام ، وانكر معرفتهم بميـــول وهيب السياســـية ، ووصـف وهيب بانه طارىء نزل عليهم لا علم لهم به وليس من العدل اخـذهم بجريرته ، قال : « انما هو داف دف علينا لا علم لنـا به ، وقد كان ابليس مع الملائكة فعصى فلم يؤاخذهم الله بمعصيته » . ولم يعجب الوليد بالحجة الذكية فحسب وانما اقتنع بها كذلك فخلى سـبيل مروان واصحابه .

ولم يكن للقراء قبل بمقاومة قوات الدولة فلم يلبثوا حتى كفوا عن المعركة الخاسرة وتفرقوا .

وهـــكذا ضاعت مغامرة وهيب الفاشلة ، وظل النـــاس يضربون به المثل فى ان الاجتهاد فى العبادة وحده لا يكفى لتغيير الواقع ، بل يحـدث ان يكون وبالا على صاحبه ، فيقولون:

« اين صلاتك يا وهيب ؟ ! »

٥ ــ الخراج دائما

فيما بين عامى ١٤٤ ــ ١٥٤ هـ كان محمد بن ســـعيد بن عقبة يلى خراج مصر من قبل ابى جعفر المنصور وكان ــ وفقا للنظام المتبع حينذاك ــ يعين على الســكور ــ اى الاقاليم ــ موظفين من جهته يقومون بجمـــع الخراج منها . فحـدث أن استعمل على اتريب ــ كـــورة شرقى مصر عاصمتها عين شمس ــ موظفا يدعى ابن عتبة ، وكان عنيفا ، فاغلظ على اهل « اتريب » واساء معاملتهم . وكان ينزل اتريب قوم من قبيلة مراد

نالهم شيء من غلظة ابن عتبة ، فغضب لهم واحد من قبيلتهم يدعى ابن شجرة وكان يعمل فى قوات الشرطة بالفسطاط . وبالرغم من ان المحافظة على ارواح الناس هى مهمته الاصيلة بما هو احد رجال الشرطة ، فقد غلبته عقليته القبلية وصمم على اغتيال ابن عتبة انتقاما لابناء قبيلته من جهة ولريح اهل اتريب من سخافاته من جهة اخرى .

وكانت خطة ابن شجرة بسيطة جدا اذ لم يفعل اكثر من ان امتطى جواده ووقف امام ديوان الشرطة - وليس فى ذلك ما يريب - ينتظران يمر به غريمه الذى لا شك فى انه كان على علم بمواعيده . غير انه قبل ذلك حرص - كجزء من الخطة ولسبب لا يمكننا الان تحديده على وجه اليقين - على ان يطلى سيفه مدادا .

وطال بابن شجرة تربصه او قصر - لا ندرى - ولكن الليل كان قد ابدل ظلامه على طرقات الفسطاط المعتمة حين خرج ابن عتبة من ديوان الخراج راجعا الى منزله ممتطيا جواده . وهمز ابن شجرة فرسه وانطلق يظنه من يراه ذاهبا للمرور . وما هى الا خطوات حتى ادرك غريمه فجرد سيفه الاسود فى الظلام واهوى به على راسه . وترنح ابن عتبة من اثر الضربة وسقط من فوق جواده وقد سبقته قلنسوته تتدحرج على الارض . وربما كانت المفاجاة افقدت ابن عتبة توازنه فسقط ، وربما كان هو قد القى بنفسه ليوهم عدوه انه اصيب . وايا كان الامر فان ابن شجرة لما راى القلنسوة تتدحرج لم يشك لحظة فى انها راس غريمه ، فاطمان الى نجاح خطته وتحقق هدفه ، فركض جواده واستدار حول احدى الدور وعاد الى موقفه الاول من ديوان الشرطة . واقبل الناس على الضجة فوجدوا ابن عتبة ملقى لم يصبه شيء وقام وواصل السير الى منزله .

اولى محمد بن سعيد بن عقبة صاحب الخراج الحادث اهمية كبيرة فارسل الى مرءوسه ابن عتبة يساله عمن حاول اغتياله . ولما كان عتبة يجهل الجانى ، ولكنه يعلم فى نفس الوقت ان اهل اتريب يحقدون عليه معاملته القاسية لهم ، فقد القى التهمة على اهل اتريب كلهم وكان فيهم فقيه مصر العظيم الجليل الليث بن سعد وبادر محمد بن سعيد فالقى القبض عليهم وحبسهم بما فيهم الامام الليث بالرغم من ارتفاعه عن الشبهات . وقد اهتز الامام اهتزازا عنيفا ، مع انهم بسرعان ما خلوا سبيله ، وكان يقول : « ان هذا لشيء ما سالت الله العافية منه قط . انى متهم فى قتل نفس ! »

وكان طبيعيا الا يسفر التحقيق مع اهل اتريب عن شيء ، فقد نفى كل منهم التهمة عن نفسه نفيا باتا . ولم يجد محمد بن سعيد بدا من رفع الامر الى الخليفة فى بغداد يخبره ان ابن عتبة يجهل من اعتدى عليه الا بالظنة ، ويساله الراى . فكتب الخليفة برايه وارسله الى قاضى مصر بما هو جهة الاختصاص . وتنفيذا لكتاب الخليفة ارسل القاضى الى

المتهمين المحبوسين فاطلق سراحهم ، وحفظ القضية ضد مجهول .

ولم يقنع محمد بن سعيد بهذه النتيجة ، وخشى ان تؤثر تاثيرا سيئا على سير عمله وعلى مركز الموظفين الذين يعاونونه ، فصمم على عقاب اهل اتريب بصورة ما . فمضى يبحث عن « رجل حازم » يوليه على خراج اتريب بدلا من ابن عتبة بما صنعوا ولم يلبث حتى وفق الى رجل يدعى الخروج بن صالح استطاع ان ينسى اهل اتريب سلفه فى سوء المقابلة والفلظة . وبلغ من وقاحته ان كان يخاطب الموظفين الذين يعملون معه بقوله :

« يا ابن الفاعلة — لا يكنى — : والله لئن لم تجيء بكل اسم اخرجته اليك لافعلن بك ولافعلن » .

اما ابن شجرة الفاعل الحقيقى فقد ظل يأسف على الفرصة التى افلتت منه ويقول :

« لوعلمت ان الذى سقط القلنسوة مازلت حتى ازيل راسه » .

عبد الله خورشيد البرى

في

٥٨ ش الجمهورية - القاهرة - ت: ٤٨٠٦٩

في ندوة الأحد — الساعة السابعة

حيث يلتقى الشيوخ والشبان حول مائدة حرة

"يوليسيز" جيمز جويس

تأليف : ستيوارت جلبرت
تقديم : ماهر شفيق فريد

كان صدور رواية (يوليسيز) عام ١٩٢٢ للكاتب الايرلندى العظيم جيمز جويس (١٨٨٢ ـ ١٩٤١) حدثا ادبيا كبيرا ، فلاول مرة يحاول كاتب حديث ان يكتب ملحمة القرن العشرين بكل تفاصيلها ودقائقها ، مثلما كتب هوميروس ملحمتيه الخالدتين فى القرن التاسع قبل الميلاد ، وما زالت رواية (يوليسيز) تلقى اهتماما فائقا من نقاد الغرب وادبائه رغم مرور اكثر من اربعين عاما على صدورها . وهذا الكتاب الذى صدرت طبعته الاولى عام ١٩٣٠ هو أوفى دراسة كتبت عن هذه الرواية العظيمة .

ومما هو جدير بالذكر ان الاستاذ ستيوارت جلبرت ـ مؤلف الكتاب ـ كان صديقا حميما لجيمز جويس مما اتاح له ان يناقشه فى روايته ويستوضحه ما غمض عليه منها . وقد تلقى الاستاذ جلبرت دراسته فى اكسفورد ، حيث تفقه فى الآداب الكلاسية ، ثم سافر الى بورما وفيها قرأ (يوليسيز) لاول مرة . وحين عاد الى اوربا استقر فى باريس ، حيث التقى بجويس ، وساهم فى ترجمة (يوليسيز) الى الفرنسية وقد اشرف على نشر (رسائل جيمز جويس) عام ١٩٥٧ وهو يعيش الان فى جزيرة سان لوى بباريس فى شقة تطل على نهر

يقول الاستاذ جلبرت فى الفصل الاول « قصة يوليسيز » : ان احداث رواية جويس تغطى يوما واحدا هو ١٦ يونية ١٩٠٤ . وليس فى هذا اليوم ما يميزه عن غيره من الايام ، ولا هو بذى اهمية خاصة عند ابطال الرواية ففى صباح هذا اليوم يدفن احد اهالى دبلن ، وقبيل منتصف الليل يولد طفل . واثناء ذلك ينقلب الجو وينهمر المطر فجاة ويقصف الرعد . ويتحدث اهالى دبلن فى حماس عن السياسة وهم ينشدون قصص الوطنية او الغرام . وحوالى الساعة الرابعة بعد الظهر يزنى اثنان فى مسكن رجل

يدعى ليوبولد بلوم ، وهو منـدوب أعلانات . وواضح من هذا ان اليوم عادى جدا .

ورواية « يوليسيز » مقسمة الى ثلاثة اجزاء ينقسم كل منها بدوره الى عدة فصول او حكايات ، ولكل حكاية فيها جوها الخاص واسلوبها . فنحن نلتقى فيها بشاب مثقف يدعى ستفن ديدالوس (١) وهو مدرس يحيا فى عزلة فكرية ولا يفتأ يعبر عن ازدرائه لكل ما حوله . انه يعيش فى برج مطل على خليج دبلن مع طالب طب ورجل من جامعة اكسفورد . وفى العاشرة صباحا نرى ديدالوس يلقى درسا فى التاريخ الرومانى على طلابه ، ثم نراه يتمشى على شاطىء البحر ونتتبع تيار وعيه المتدفق . اما مستر ليوبولد بلوم — يوليسيز (٢) العصر الحديث — فانه يبدأ يومه — كديدالوس — فى الثامنة صباحا . ونحن نراه يعد شاى الصباح لزوجته فى شقتهما « ٧ شارع اكليز » ثم يخرج قليلا لابتياع « كلاوى » يفطران بها ، تاركا ابريق الشاى على النار . وحين يعود يسلم زوجته الخطابات الخاصة بها ثم يحضر لها صينية الشاى فى غرفة النوم . ومسز بلوم — بنيلوبى (٣) العصر الحديث — تشتغل مغنية . وهى امراة ناضجة جميلة تمتزج فيها الدماء الاسبانية واليهودية والايرلندية ، وتوافق مزاج مستر بلوم المنحدر هو ايضا من اسرة يهودية . على ان مسز بلوم كثيرا ما تخون زوجها مع رجال اخرين فيغضب الزوج لذلك ويعزو فعلتها انى « دمها الاسبانى » الحار . ومن بين الخطابات التى يسلمها مستر بلوم لزوجته خطاب من مستر « بويلان » زميلها فى العمل واخر عشاقها . ونخبرها بويلان فى خطابه بانه سيزورها فى الساعة الرابعة بعد ظهر هذا اليوم ليعرض عليها برنامج احدى الحفلات وفى العاشرة صباحا يبدأ مستر بلوم عمله بداية رومانسية فنراه ذاهبا الى مكتب البريد ليتسلم رسالة من عشيقته التى تشتغل كاتبه على الالة الكاتبة « وواضح انه لامجال للومه » ويتوق مستر بلوم الى سماع أى موسيقى فيدخل كنيسة القديس اندروز حيث يحضر نهاية الصلاة . ونحن نراه يبحث عند الصيدلى عن غسول للوجه طلبته زوجته ، ثم نراه يسير فى جنازة احد اصدقائه . ويفتح باب الاكتتاب لمساعدة ارملة هذا الصديق فيتبرع مستر بلوم بمبلغ سخى . وعند الظهيرة يزور مكتب جريدة للاتفاق على نشر اعلان . ونعلم ان « ستفن ديدالوس » قد زار الجريدة بعد انصراف بلوم بقليل وهكذا لايتفق للرجلين ان يلتقيا . ولما كان ديدالوس قد قبض مرتبه من المدرسة التى يعمل بها فانه يدعو رئيس تحرير الجريدة وبعض الاصدقاء الى تناول الشراب على حسابه فى بار . (وبديهى ان دعوته تلقى قبولا) . ومرة اخرى لا يقدر « لديد الوس » ان يلتقى بمستر بلوم . حتى اذا جاء وقت الغداء شعر مستر بلوم بالجوع يقرص امعاءه واتجه الى مطعم شعبى ولكن منظر « الحيوانات التى تاكل فيه »

---

(١) جدير بالذكر ان ستفن ديدالوس الذى يظهر هنا فى رواية « يوليسيز » هو الذى سبق ان التقينا به فى رواية جويس الاولى « صورة الفنان شابا » ١٩١٦ .

(٢) يوليسيز هو ملك ايثاكا المشهور بالمكر والفصاحة . وقد جعل هوميروس من مغامراته موضوعا لملحمته « الاوديسة » .

(٣) بينلوبى هى زوجة يوليسيز وقد عرفت باخلاصها له خلال غيابه الذى دام عشرين عاما

يثير اشمئزازه . واخيرا يتناول سندوتشا وكوبا من البراندى فى حانة عند ذلك تنتقل الى المكتبة القومية فى دبلن حيث تشهد محاورة شبه افلاطونية بين ديدالوس من ناحية وبعض المثقفين من ناحية اخرى . ويلم مستر بلوم بالمكتبة سريعا « من اجل اعلان ايضا » فلا يلتقى بديدالوس للمرة الثالثة . وحين تبلغ الساعة الرابعة ظهرا يشتد الجوع بمستر بلوم فيتناول غداءه فى فندق اورمون وفى الخامسة يقوم بمهمة خيرية من اجل زوجة صديقه المتوفى . حتى اذا استبد به التعب راح يشم الهواء على ساحل ساندیماونت . وتحت اخر اشعة الشمس الغاربة يستجيب لغواية فتاة ناضجة قبل الاوان ولكنه لا يمضى فى مغامرته الى النهاية . وفى العاشرة مساء يزور مستشفى للسؤال عن احدى صديقاته . وفى المستشفى يلتقى مستر بلوم بستفن ديدالوس الذى كان ينادم بعض طلبة الطب . وسرعان ما ينسجم الرجلان ، ويحس كلاهما ان ثمة رابطة روحية تربطه بصاحبه . ويمضيان معا — تحت جنح الليل — الى ماخور حيث يطلق كل منهما العنان لافكاره وخواطره دون عائق . وفى ختام الرواية يدعو مستر بلوم صديقه الجديد الى ان يأتى معه الى بيته . واثناء الطريق يقرر ديدالوس — وقد اصبح تليماكوس (١) العصر الحديث ان ينتقل من مسكنه الذى يعيش فيه مع شريكيه . وفى طريقهما الى شارع أكليز يتناولان فنجانين من القهوة . ويصلان الى البيت فيتناولان قدحين من الكاكاو فى المطبخ ويدور بينهما الحديث . واخيرا يستلقى مستر بلوم الى جانب زوجته التى يداعب النوم اجفانها بعد ان خانت زوجها فى غيابه وتنساب خواطرها الجنسية اثناء رقادها انسيابا مخيفا .

هذه هى اهم احداث رواية (يوليسيز) . ويقول الاستاذ جلبرت ان اهم ما يصدم قارىء الرواية لاول مرة هو واقعيتها النفسية الفريدة . وقد تبدو هذه الواقعية راجعة الى الصراحة التامة التى يسجل بها جويس ما يدور فى خواطر ابطاله ، ولكنها فى حقيقة الامر ترجع الى شيئين اساسيين

اما الاول فهو موقف المؤلف من موضوعه

واما الثانى فهو استخدامه لاسلوب المونولوج الداخلى .

لقد اعتدنا فى الروايات الاخرى ان نوجه اهتمامنا الى المواقف الدرامية والمشاكل السلوكية وردود الفعل الناتجة عن اصطدام الشخوص ، ولكن الامر مختلف مع هذه الرواية . اننا لا نسأل انفسنا بعد قراءتها : اكان يجمل بستفن ديدالوس ان يفعل هذا الشىء او ذاك ؟ اكان يجمل بمستر بلوم ان يقول هذا الشىء او ذاك ؟ اكان يجمل بمسز بلوم ان تحجم عن هذا الشىء او ذاك ؟ . اننا لا نسأل هذه الاسئلة لاننا نعلم ان شخوص جويس تتصرف كما ينبغى لها ان تتصرف ، وما افعالها واقوالها الا جزء لا يتجزأ من صميم كيانها . وليس معنى هذا ان ابطال « يوليسيز » ضحايا للقدر او الضرورة ، ولكن معناه ان القوانين التى توجههم كامنة فى داخلهم ، وهى جزء من ميراثهم

(١) تليماكوس هو ابن يوليسيز وبنيلوى . غادر ايثاكا باحثا عن ابيه والتقى به اثناء عودته الى الوطن .

الروحى . ان رواية « يوليسيز » ليست « شريحة من الحياة » كما قيل كثيرا ولكنها رواية ذات معنى . ومعناها لا يتضح فى ثنايا احداثها وتحليل شخصياتها ، بقدر ما يتضح فى تكنيك حكاياتها واضطراب لغتها والاف الاشارات والاقتباسات التى ترخر بها . **واذن فالرواية ليست** متفائلة ولا متشائمة ، وليست اخلاقية ولا اباحية ، ولكنها — فى نهاية الامر تفسير كامل متسق للحياة

واسلوب المونولوج الداخلى الذى يستخدمه جويس ليس — فى حد ذاته — امرا جديدا ، فقد سبقه شكسبير اليه ، وكان بطله هملت — على حد تعبير مالارميه — « يتنزه وهو يقرأ فى كتاب نفسه . » ولكن جويس كان اول كاتب حديث يتوسع فى الافادة من المونولوج الداخلى **بحيث لا يجعل فائدته قاصرة على** سبر اغوار الشخوص فحسب ، **وانما يجعله ايضا جزءا من السرد القصصى نفسه . واستطاع جويس — بهذه** الطريقة ان يعطينا تسجيلا دقيقا لتيار الوعى .

ولقد يذكر المرء ايضا ان جويس كتب روايته فى حوالى سبع سنوات « من ١٩١٤ الى ١٩٢١ » متنقلا ما بين تريستا وزيوريخ وباريس . على انه حافظ فى الرواية على وحدة الزمان والمكان . فكل الاحداث — كما ذكرنا — لا تستغرق الا يوما واحدا ، وكلها تدور فى مدينة دبلن .

وفى الفصل الثانى «ايقاع يوليسيز» يقول الاستاذ جيلبرت ان جويس كثيرا ما يلجأ الى حيلة فنية قد تبدو متكلفة فى مظاهرها ولكنها — فى حقيقة الامر — تتمشى مع طبيعة الاشياء فهو يقدم نتفا من الموضوع الواحد فى عدة مواضع متفرقة من الرواية . وعلى القارىء ان يتمثل هذه النتف فى ذهنه ، ويربط بينها ، حتى يتضح معناها كاملا . يقول هربرت اسبنسر : « من الحق دائما ان الحقائق المتراكمة ، فى فوضاها ، تبدأ تتخذ شكلا منظما حين يقدم اليها فرض من الفروض . وتمشيا مع هذا المبدأ يحرص جويس على تصوير المكان « الراهن » واللحظة « الراهنة » خلال شريط متلاحق من الصور . وفى رواية « يوليسيز » يكفى ان تقال كلمة بسيطة او تقع العين على مشهد عابر او تعترض دوامة صغيرة تيار الشعور حتى تنبعث الذكريات فى خواطر الابطال .

ويقول المؤلف : انه لا ينبغى ان نخلط بين منهج جويس فى استخدام المونولوج الداخلى واستيحاء العقل الباطن وبين منهج المدرسة السيريالية

فجويس كاتب كلاسيكى يتابع التقاليد الادبية التى بدأها هوميروس ويخضع كتابته لانظمة لا تقل صراحة عن انظمة كتاب المسرح الاغريقى . وهو فى هذا يختلف عن «السيرياليين» المغرقين فى الذاتية ، الضاربين عرض الحائط بكل الانظمة والقوانين .

وفى الفصل الثالث يذكر المؤلف انه فى اول حكاية نلتقى فيها بمستر بلوم نجد كثيرا من الخيوط التى تتردد فى سائر الرواية . فمستر بلوم تقرأ فى الفراش وتسأل زوجها عن كلمة صعبة صادفتها وهى Metempsychosis فيشرح لها ان معناها (تناسخ الارواح) وتظل الكلمة عالقة بذهنه طوال يومه . كما ان كلمة اخرى هى Parallax (اختلاف مرأى الشىء باختلاف مكان الناظر) تخطر على باله فلا تفارقه .

ومن هذه الاشياء الصغيرة ينسج جويس تاملات ابطاله .

وديدالوس الذى لا يفتأ يسخر من التقاليد ، وآلله يطوى جوانحه على خوف دفين من هذين الامرين . يقول فى (صورة الفنان شابا) اذ يتحدث عن القربان المقدس : (يخيل الى ان ثمة حقيقة حقودة وراء هذه الاشياء التى اقول انى اخافها) . وفى موضع آخر يقول : (التاريخ كابوس احاول ان استيقظ منه) والله عنده (ضجة فى الشارع) على ان سخريته لا تعنى استخفافا بما يسخر منه ، وانما تزداد عمقا كلما ازدادت اهمية موضوعها .

وتحت عنوان (خاتم سليمان) يلفتنا الاستاذ جيلبرت الى ان مستر بلوم اليهودى الاصل لا يفتأ يعبر عن حنينه الى الشرق حيث موطن اجداده . فهو اذ يتجول فى شوارع دبلن يتخيل نفسه (فى مكان ما من الشرق : فى بكرة الصباح خارجا عند الفجر ، مسافرا امام الشمس) ثم يروح يقول لنفسه : (الشرق الاقصى لابد وانه مكان جميل : حديقة العالم اوراق شجر كبيرة كسولة يمشى المرء عليها .. زهور الكسل .. النيلوفر)

وحين يعيره احد الايرلنديين باصله اليهودى يقول : (كان مندلسون يهوديا وكذلك كارل ماركس ومركادانت وسبنيوزا . وكان المخلص يهوديا وابوه يهودى . الهك) . ومرة اخرى يقول : (كان آلهك يهوديا . كان المسيح يهوديا مثلى) . وبينما لايفطن مستر بلوم الى دلالة هذا الحنين الى الشرق نجد « ستفن ديدالوس » على وعى تام به . فهو يرى فى (نداء الشرق) صوت الله ، ولا يغفل ما لهذا الحنين من دلالة روحية واضحة .

وفى الجزء الاخير من هذا الفصل يناقش الاستاذ جيلبرت مشكلة العلاقة بين ستفن ديدالوس ، ومستر بلوم ، اذ من الواضح ان لقاءهما كان امرا مقررا من بداية الرواية ، وانه ما ان يتم هذا اللقاء حتى تصبح حركة السرد اهدأ وابطأ . واذا كان مستر بلوم قد اتخذ من ديدالوس ابنا روحيا له ، فان نوعا من النجوى على البعد كان دائما يصل بينهما حتى قبل ان يلتقيا . انهما نمطان مختلفان يكمل احدهما الآخر : فديدالوس يمثل العقل ، وبلوم يمثل الغريزة . وكلاهما محتاج الى الآخر .

هذه العلاقة الوثيقة بين ديدالوس وابيه الروحى تناظرها علاقة اخرى — من نوع مختلف — بينه وبين أبيه الشرعى . فمنذ الصغر احس ديدالوس بانفصاله العاطفى عن ابيه واصدقاء ابيه . (كان ذهنه يبدو وكانه اكبر سنا من اذهانهم : وكان يشرق فى برود على ألوان نضالهم وسعادتهم واحزانهم مثلما يشرق قمر على أرض احدث منه عهدا) . وهناك اكثر من دليل على ان ديدالوس قد طرح عنه (خرافة) الابوة . (وابصر ايضا ، عزلته الخاصة العميقة . . احس انه لم يكن ينتمى الى نفس دمهم وانما كانت علاقته بهم اقرب الى التبنى الصوفى ، ابن بالتبنى وربيب) ومرة اخرى نجد : (قد تكون الابوة خرافة شرعية . فمن ابو اى ابن حتى يحبه هذا الابن او يحب هو الابن ؟) (الاب شر لاغنى عنه) . ونشعر اثناء قراءتنا الرواية بان والد ديدالوس هو الآخر كان يحس ، دون وضوح بهذه الهوة التى تفصل بينه وبين ولده .

وفى الفصل الرابع يلقى الاستاذ جيلبرت من الاضواء على البيئة

الايرلندية المتمثلة فى الرواية ما يعيننا على فهم أجوائها وشاراتها . ويحيلنا المؤلف الى كتاب (محـــكم تاريخ ايرلندا) لمؤلفه ب . و . جويس حيث نرى اكثر من دليل على أن الجنس الايرلندى اغريقى الاصل . فهنـاك خمس هجرات أو غزوات تدفقت من بلاد اليونان على ايرلندا ، واستقرت بها . الاولى قام بهـا البارثالوثيون تحت قيـــادة قائد اغريقى يدعى باراثالون وقد اصطحب معه زوجته وابناءه الثلاثة والف تابع من اتباعه . والثانية قام بهـا النيميديون وجاء قائدهم من سيثيا . والثالثة قام بها الفيربولوجيون وجاءت من بلاداليونان تحت امرة ابناء (ديلا) الخمسة وقد اقتسموا ايرلنـــدا فيما بينهم . والرابعة قام بها الدنانيون وقـــد اشتهروا ببراعتهم فى فنون السحر ، وحين تقادم عليهم العهد عبدهم الايرلنديون القدامى . والخامسة قام بها الماليليزيون .

هذا وقد عثر فى احدى الحوليات المحفوظـــة بالمكتبة البورجاندية فى بروكسل على أدلة تثبت ان هنـــاك صلة نشأت بين الايرلنديين الاوائل من ناحية ، والاسبان واهالى الساحل الافريقى من ناحية اخرى .

ولا ينبغى ان نغفـــل ما لاهـــل اسكندنياوة من اثر فى تكوين الجنس الايرلندى . فقد وفدوا الى ايرلندا من الشمال ، وتزوجوا من اهـــل الجزيرة . (انه من المشكوك فيه ما اذا كان ينبغى ان يسمى ملوك دبلن فى القرن الحادى عشر ايرلنديين أو اسكندنافيين) . ونجد ان اول عملة ايرلندية قد سكت فى عهـــد ملك يمتزج فيه الاصـــلان . كما ان كثيرا من اسماء الاماكن الواردة فى (يولسيز) اسكندنافية الاصل .

وتحت عنوان (يوليسيز والاوديسة) يعقد الاستاذ جيلبرت مقارنة وجيزة بين أسلوب جويس واسلوب هومر . وترينا هذه المقارنة مدى الثراء اللفظى الذى يتسم به الرجلان ، مما مكنهما من كتابة اعمالهما الملحمية الكبيرة ، فضلا عما ساهم به كل منهما فى اغناء لغته وتطويرها .

وفى الفصـــل الخامس (مناخ يوليسيز) يقول الاستاذ جيلبرت ان **منهج دراسة الحياة الخاصة لكبار الكتاب قد يكون ضارا فى بعض الاحيان ولكنه ـ ان احسن استخدامه ـ يعيننا على فهم اعمالهم . فحيـــاة الكاتب تؤثر فى شكل العمـــل الفنى ومضمونه على السواء ، وقـــراءاته تترك بصماتها ـ ولا بد ـ على كتاباته** ونحن حين نقرأ رواية جويس الاولى (صورة الفنان شابا) لايشق علينـا ان ندرك مـــدى تأثره بوالتر باتر (١٨٣٩ ـ ١٨٩٤) وجورج ميريديث (١٨٢٨ ـ ١٩٠٩) . وفى مجموعته القصصية الاولى (اناس من دبلن) ١٩١٤ نجد اصـــداء من تشيكوف وموباسان وفلوبير . كمـا ان ديوانه المسمى (موسيقى الغرفة) يدل على تأثره خطى كتاب العصر الاليزابيثى فى انجلترا وادباء اللاتين كهـــوارس ، وفرجيل ، وشعراء النصف الثانى من القرن التاسع عشر فى فرنسا . والى جانب هذه المؤثرات الفردية نجد ان المناخ الفكرى فى اوربا خلال اواخـر القرن التاسع عشر واوائل القـــرن العشرين قد لعب دورا هاما فى تشكيل عقلية جويس : فقد كان جويس يطمح الى ان يكون اوربى الافق ، رغـــم تخصصه الحاد فى الكتابة عن مدينة دبلن ، ولعل هذا ان يفسر ـ الى حد ما ـ حرصه على بسط رقعة اشاراته ورموزه . وكان جويس فى شـــبابه ـ كأغلب اقرانه من الكتاب الشبان ـ

مشغولا بدراسة الخير والشر رغم اعتراضات الشيوخ . لقد وجد هؤلاء الشبان امامهم نظاما اخلاقيا راسخ الدعائم فجعلوا منه هدفا لسهام نقدهم ، وكانوا يجدون متعة لاحد لها حين يقال ان نتاجهم (وبيل الاثر) أو انه (علامة على تدهور الاخلاق) . وفى رسالة كتبها جويس الى ناشره « جرانت ريتشاردر » نراه يتحدث فى اعتزاز عن (اريج الفساد الذى يخيم ـ فيما ارجو ـ على قصصى) . وهى امنية عجيبة حقا !

هكذا ينتهى القسم الاول من كتاب الاستاذ جيلبرت ، اما القسم الثانى فهو دراسة تفصيلية للثمانى عشرة حكاية التى تتالف منها رواية (يوليسيز) ولا نرى مجالا للافاضة فى هذه الحكايات ، فان لذلك مكانا آخر ، وانما حسبنا هنا إن نذكر ان لكل منها مكانا تقع فيه ، وساعة محددة ، وصلة خاصة بعضو من اعضاء الجسم الانسانى ، ورمزا خاصا ، ولونا مميزا

فالحكاية الاولى (تليماكوس) تدور فى البرج ، فى الثامنة صباحا ، **ومدارها اللاهوت ، والوانها** الابيض والذهبى ، **ورمزها** الوريث **وتكنيكها** السرد القصصى .

والحكاية الثانية (نستور) (١) تدور فى المدرسة ، فى العاشرة صباحا **ومدارها التاريخ** ، ولونها البنى **ورمزها** الجواد ، **وتكنيكها** التعليم بطريقة السؤال والجواب .

والحكاية الثالثة (بروتوس) (٢) تدور على الشاطىء ، فى الحادية عشرة صباحا ، **ومدارها** فقه اللغة ، **ولونها** الاخضر ، **ورمزها** المد ، **وتكنيكها** المونولوج .

والحكاية الرابعة (كاليبسو) (٣) تدور فى المنزل ، فى الثامنة صباحا ، وتتصل بالكلوه ، **ومدارها** علم الاقتصاد **ولونها** البرتقالى ، **ورمزها** الحورية ، **وتكنيكها** السرد القصصى .

والحكاية الخامسة (آكلو اللوتس) تدور فى الحمام ، فى العاشرة صباحا وتتصل باعضاء التناسل ، **ومدارها** علما النبات والكيمياء ، **ورمزها** القربان المقدس ، **وتكنيكها** عشق الذات .

والحكاية السادسة (الهيديز) (٤) تدور فى المقبرة ، فى الحادية عشرة صباحا ، وتتصل بالقلب ، **ومدارها** الدين ، **والوانها** الابيض والاسود ، **ورمزها** الحارس

والحكاية السابعة (ايولس) (٥) ، تدور فى مكتب الجريدة ، فى الثانية عشرة ظهرا ، وتتصل بالرئتين ، **ومدارها** البلاغة ، **ولونها** الاحمر ، **ورمزها** رئيس التحرير ، **وتكنيكها** اقيسة الاضمار .

---

(١) نستور : هو ملك بيلوس العجوز ، اشتهر بين اليونان بفصاحته وحكمته وبعد نظره .

(٢) بروتوس : هو اله من آلهة البحر كان يتخفى فى اى شكل يريده .

(٣) كاليبسو : حورية تسكن جزيرة اوجيجيا التى تحطمت عليها سفينة يوليسيز ، عشقته وعاقت عودته سبع سنين .

(٤) الهيديز : العالم الخفى ومثوى الاموات

(٥) ايولس : اله الريح . كان يحتفظ بها تحت جبل .

والحكاية الثامنة (البستروجينيون) تدور فى مطعم ، فى الواحدة بعد الظهر ، وتتصل بالمرىء ، **ومدارها** فن العمارة ، **ورمزها** رجال الشرطة ، **وتكنيكها** الحركة الدودية .

والحكاية التاسعة (سيلا وكاريبديس) (٦) تدور فى المكتبة ، فى الثانية بعد الظهر ، وتتصل بالمخ ، **ومدارها** الادب ، **ورمزها** ستراتفورد ولندن ، **وتكنيكها** الجدل

والحكاية العاشرة (الصخور المتنقلة) تدور فى الشوارع ، فى الثالثة بعد الظهر ، وتتصل بالدم ، **ومدارها** الميكانيكا ، **ورمزها** المواطنون **وتكنيكها** التيه .

والحكاية الحادية عشرة (السايرينيات) (٧) تدور فى قاعة الكونشرتو ، فى الرابعة بعد الظهر ، وتتصل بالاذن ، **ومدارها** الموسيقى ، **ورمزها** فتيات الحان

والحكاية الثانية عشرة (السايكلوبس) (٨) تدور فى الخان فى الخامسة بعد الظهر ، وتتصل بالعضلات ، **ومدارها** السياسة ، **وتكنيكها** الجسامة .

والحكاية الثالثة عشرة (نوسيكيا) (٩) تدور بين الصخور ، فى الثامنة مساء وتتصل بالعينين والانف ، **ومدارها** الرسم ، **والوانها** الرمادى والازرق ، **ورمزها** العذراء ، **وتكنيكها** الانكماش والتمدد .

والحكاية الرابعة عشرة (ثيران الشمس) تدور فى المستشفى فى العاشرة مساء ، وتتصل بالرحم ، **ومدارها** الطب ، **ولونها** الابيض ، **ورمزها** الامهات ، **وتكنيكها** النمو الجنينى .

والحكاية الخامسة عشرة (سرسى) (١٠) تدور فى الماخور ، فى منتصف الليل ، **ومدارها** السحر ، **ورمزها** المومس ، **وتكنيكها** الهذيان .

والحكاية السادسة عشرة (ايومايوس) تدور فى المأوى ، فى الواحدة صباحا ، **وتتصل** بالاعصاب **ومدارها** الملاحة ، **ورمزها** البحارة ، **وتكنيكها** السرد القصصى

والحكاية السابعة عشرة (ايثاكا) تدور فى المنزل ، فى الثانية صباحا ، وتتصل بالهيكل العظمى ، **ومدارها** العلم ، **ورمزها** المذنبات ، **وتكنيكها** التعليم بطريقة السؤال والجواب .

والحكاية الثامنة عشرة والاخيرة (بنيلوبى) تدور فى الفراش ، وتتصل باللحم ، **ورمزها** الارض ، **وتكنيكها** المونولوج .

---

(٦) سيلا وكاريبديس : سيلا صخرة تقع بين ايطاليا وصقلية ، فى مواجهة كاريبديس ، وهى خطر على السفن المارة . كان يسكنها سيلا وهى هولة مخيفة . وكاريبديس دوامة خطيرة بين ايطاليا وصقلية تواجه سيلا .

(٧) السايرينيات : حوريات فى جنوب ايطاليا كن يجتذبن البحارة بصوتهن الى موارد الهلاك .

(٨) السايكلوبس : عمالقة لهم عين واحدة مستديرة فى منتصف الجبين .

(٩) نوسيكيا : ابنة الملك السينواس . بينما كانت تلهو مع وصيفاتها على الشاطىء عثرت على يوليسيز الذى جنحت به سفينته وقادته الى قصر ابيها .

(١٠) سرسى : ابنة هيليوس وبرس . ساحرة عطلت يوليسيز عن العودة الى طروادة ومسخت رجاله خنازير .

العام الجديد

للشاعر الانجليزى : لورد تنيسون (*)

جلجلى ايتها الاجراس ، ورجعى صداك فى جنبات السماء
اطردى تلك السحائب الغاربة وذاك الضوء المحتم
عامنا تطويه جحافل الظلام
جلجلى ايتها الاجراس .. دعيه يرحل
اطردى القديم ، وهات لنا الجديد
جلجلى ، اجراس السعادة ، عبر الثلوج
العام تذروه الرياح .. دعيه يرحل
اطردى معه الباطل ، ودعى لنا نور الحق
أطردى حزنا يمتص رحيق العقول
اسى على لقاء لن يكون
اطردى احقاد الغنى والفقير

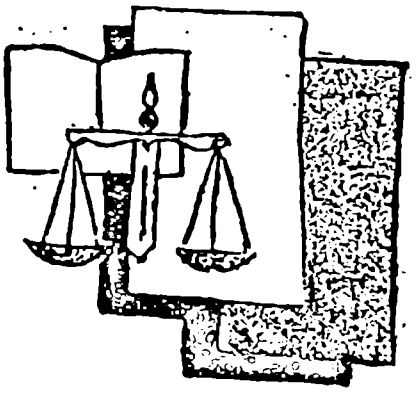

(*) ولد تنيسون بمقاطعة لنكولن سنة ١٨٠٩ م . وهو الرابع بين اثنى عشر ابنا للرئيس الدينى لمدينة سومر سباى ورئيس مدرستها الثانوية ، التى التحق بها ابنه بعد اتمام تعليمه الابتدائى ، وافاد كثيرا منها ، وعندما مات بيرون الشاعر وتنيسون فى الخامسة عشرة من عمره كان تأثره بهذا النبأ عميقا وقال عنه : لقد كان يوم .. بدت لى فيه الدنيا باكملها .. وقد اسدل عليها رداء كئيب ، وهرع الى الغابة المجاورة ليحفر فوق صخرها : لقد مات بيرون ، كان قد بدأ تنيسون الكتابة وهو فى الثانية عشرة من عمره ، وفى الجامعة كان ينظر اليه زملاؤه على انه شاعر عظيم ، ونشر ديوان شعره ولما يتعد الحادية والعشرين وما زال حتى اصبح سنة ١٨٤٢ شاعر بريطانيا الاول ، غير منازع ، وبعد =

وبشرى بالعدل بين البشر اجمعين
اطردى نظم الحياة الياليات
بشيعها القديمة المتناحرة
وقدمى الينا حياة كريمة
آدابها حلوة ، وسننها قويمة
اطردى العوز والهموم والآثام
اطردى جحود اهل هذا الزمان
اطردى ثم اطردى اشعازى الباكيات
ودعينى اصدح باهازيج الطرب والسعادة
اطردى التفاخر الزائف بالنسب او الوطن
بددى شهوة الحقد وروح التباغض
هبينا حب الحق والعدل
امنحينا نصرة الخير
اطردى محن العلل والارزاء
اطردى شهوة المال وقيد الذهب
بددى حروبا طوت آلاف السنين
وبشرى بحلول السلام المقيم

ترجمة : وديع روفائيل

بضع سنوات انعمت عليه الملكة بلقب امير الشعراء ، خلفا لولبم وردزورث شاعر الرومانسية وفيلسوفها ، وحينما عرض عليه غير مرة لقب بارون اعتذر عن القبول بادب واباقة حتى كان الاصرار بعد عشر سنوات على منحه لقب اورد فلم يستطع الا القبول وهو يقول : اما عن نفسى فساظل افضل ردبد اسمى البسيط ، وتحول بعد غزير انتاجه الى المسرح ليسجل تاريخ بلاده فى مسرحيات لم تلق مع جودة اساوبها وامعان بنائها النجاح على المسرح ، كما كان يتوقعه تنيسون لها ومات سنه ١٨٩٢ .

المطلق

محمد على الفقى

خلف جـدار الصمت المطبـق ... قلبى .. كالعصفـور .. يزقزق
بجناحى شـوق .. وحنـان ... يتمطى فى الصـدر .. يحلق
يتحـدى الاسـوار ارتفعت ... وتناهت .. كالياس الاحمـق
ويمـزق استار سـكون ... بلهاء الرعشـة .. لا تخفـق
ويهـز ضـلوعا ـ ميتـة ! ! ... لا تسمع شيئا .. لا تنطـق
ويعـانق فى الـلا شىء رؤى ... تتمـاوج بالامـل المشرق
ويثوب على شـط مـداها ... كالقطـرة .. فى المـد الازرق

***

يا قلبى .. يا قلب الدنيـا .. ... صـدقنى يا قلبى .. صـدق
ضرباتك من خلف ضـلوعى ... وانينـك فى القفص الضـيق
حسـرات تقطـر حسـرات ... فى كبـدى ـ فى الروح ـ تمـزق
وانا .. والضعف .. واحـزانى ... صـلوات للقيـد المرهـق

***

فتمرد .. طر فى الجو .. بلا .. ... ابعـاد .. يا طـيرى .. حلق
ضـاق المحـدود بنا .. وانا ... أتطلـع مثـلك .. للمطـلق
لعـالم آفـاق أخـرى ... تحـوينا .. ابحـار اعمـق

***

بحر الساحرة

لم يدع لى الليل فى تجواله
غير آهات على كف النهار .. !
ونهارى فى مدى ترحاله
تائه الدرب .. غريق فى الغبار ..

■ ■

ها هنا طيف غريب .. وغراب ..
وعويل .. وبقايا من حريق .. !
واذا ما انداح عن عينى ضباب
هدنى قيظ .. وضاقت بى طرق

■ ■

مرة .. يسكت فى نفسى السؤال
ويموت الصوت فى ليل الجوى
فاذا ما شع برق فى الخيال
شهق القلب وبالبرق اكتوى

■ ■

اسكتى يا طير ما يحلو النشيد
والفتى الحارس فى ايدى الرياح
كنت ساقيك وراعيك الرشيد
وأنا ما بين ورد .. وأقاح

■ ■

لا .. دعينى ثم طيرى بالمنى
واسكبى الالحان فى سمع النجوم
فاذا ما عدت فاستجدى السنا
شمعة امضى بها بين الغيوم

■ ■

آه .. لو تسكت انات الحريق
دفقات من لهيبات المطر !
رحمة يا رب .. قد طال الطريق
وعثار السير اشقى .. وامر !

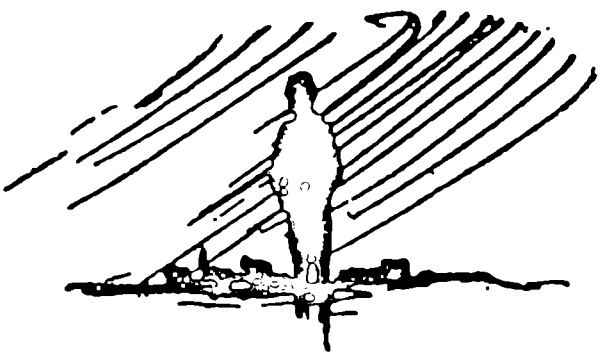

احمد محمد فرج

الأنشودة الحزينة

هنا . وحيث كفن الزمان جثة الامل ..
بخيبة الامل ..
وحيث ما سموه صبرا ضج وارتحل ..
مخلفا حكاية يلوكها الملل ..
حكاية قد سطرت فى عالم الازل ..
وسطرت فى افقها سحائب الامل ..
لكنها تذوب بعد ان ترى الحكاية ..
تذوب دمعا يجعل الطريق كله ملل ..

* *

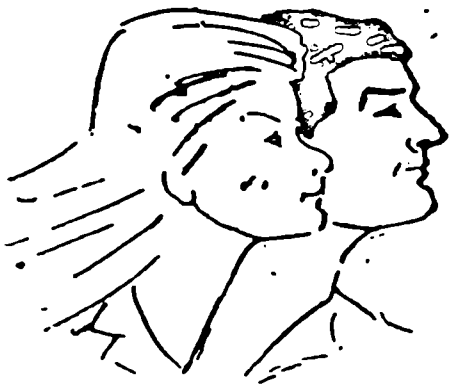

فقصة الغرام عشتها . وعاشها سواى ..
وكانت الحياة عندنا . قيثارة وناى ..
وكانت الحبيبة . الحبيبة ..
تعيش فى هواى ..
كانت كما ادعت ، لا ترتضى سواى ..
لكنه ككل حب جاءه الاجل ..
فصفقت لموته كنائب الملل ..

* *

وصاحبى السعيد نام فى حديقة السعادة ..
جاء الحياة ، والحياة للسعيد دادة ..
فافرغت فى كاسه عصارة البلادة ..
فعب ، عب واستفاق كى يرى الحياة ..
قدا سرعت فى سيرها وكان لم يزل ..
يداعب الامل ..
فصفقت لوهمه كنائب الملل ..

* *

ونصف شيخ ـ يسأل الحياة عن رغيف ..
ـ بلا يد . بلا قدم ..
كانه مهاجر اتى من العدم ..
انينه .. هذا الزمان مرعب مخيف ..
قد حرم الرغيف ..
على الذى جاء الحياة مرغما ضعيف ..
فيفرح الشقاء يبتهل ..
لانه اضاف عازفا لقينة الملل
ومشتر بهاء وجهه طعام اسرتين
قد كباوا احساسه .. وحرروا اليدين
اخوه مات ، لم يترك له شيئا سوى ابنتين
وزوجة مريضة ، وبعض ستر الله ..
ومرت الحيـاة ..
وضاق صدر صاحبى بكل ما احتمل ..
فصفقت لضيق صدره كتائب الملل

* *

وفتية فى قريتى عهدتهم لطاف ..
آمالهم بنت الحلال والرغيف الحاف
وبعدها يكون هذا منتهى الانصاف
ومرت الليالى ..
وفى ركابها تهادت ليلة الزفاف
ومر بعدها شهر بلا عسـل ..
فزارهم ـ برغمهم ـ طيف من الملل .

* *

وعبقرى ملهم شيطانه ملاك ..
شاء الحياة وردة ومالها اشواك
فحط فى بحر الهدوء والمنى شباك
ليخرج الضياء للانسان ..
فى ضفة من اؤلؤ الحنان

لكن شيطان الشقاء للصياد طل ..
فقهقهت لصيده كنائب الملل ..

* *

والف معنى عبقرى جسمه انسان
رسمت عنده لروحى مرفأ الامان
ورحت احمد الزمان . ان آتى به الزمان
وذات ليل هدمت بناه ما بنيته ..
وكان ياما كان ..
وتحت نعلى صاحبى ترنح الامل ..
فصفقت لموته كنائب الملل ..

* *

وفى طفولتى .. وحيث لا هموم
وحيث كنت استطيع اقطف النجوم
حكوا لنا عن فارس .. سموه .. سندباد ..
كانت له خوارق فى سائر البلاد ..
فانتقى لرحلتى ـ كما انتقى ـ سفينة
وابتدى المسير ..
لكن ضوء الصبح ياتى يزعج السكينة ..
ويكسر المجداف ، يكسر الامل ..
فاقتح العينين حيث ابصر الضياع والملل

* *

وناصح يفلسف القضاء والقدر
يصيح يا ناس الحياة كلها عبر ..
خذوا فلانا قدوة فانه صبر ..
لكن صوتا يدخل المكان يخبر الجميع
.. هذا الفلان نفسه قد انتحر ..
فيفرق النصيح والمنصوح فى الوجل ..
وتنقضى هنيهة ويسقط الملل ..

* *

هنا وحيث كان شيء تاه في الضباب
وحيث صار للزمان مخلب وناب
وحيث قدس العذاب من لم يعرفوا العذاب
هنا ، وحيث لا رجاء ، لا أمل ..
وحيث ما يتمنوه صبرا ضج وارتحل
هنا يقوم عالم دستوره الملل ..

* *

وقال صاحبي الشقي ، قال كل ما به ..
وأنزل الدموع ـ أنزل الدموع من سحابه ..
فاغرق الحياة والاحياء في عذابه ..
وقال كل ما به ..
لكن صاحبي ، وكأن مرهف الاحساس
تناسى انه يعيش فوق ارض الناس
فعب من خمر الخيال عب الف كاس
وصور الحياة روضا كله أمل ..
ورحت اهدي صاحبي كأنني نبي ..

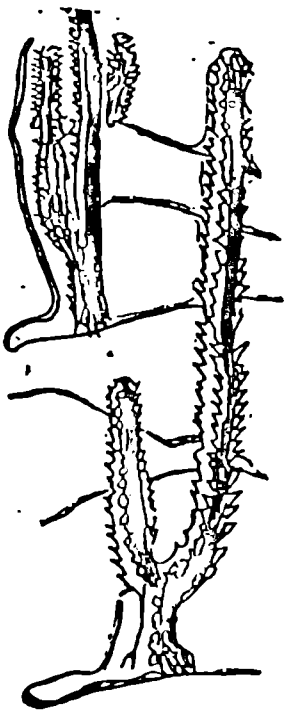

* *

وزارع الخيال يحصد الضياع والملل .. !!
افق فداك مهجتي يا ايها الشقي ..
ونبني أانت حي أم خيال حي ..
وقد نسيت انني وانه سواء ..
فرحت ارمي يأسه بكل ما لدى ..
ولم ترقه خطبتي : فضج وارتحل ..
وصوت وقع نعله متمتما . ملل ..

بدوي السعيد راضي

من الادب الامريكى :

مايو .. شهر الزواج

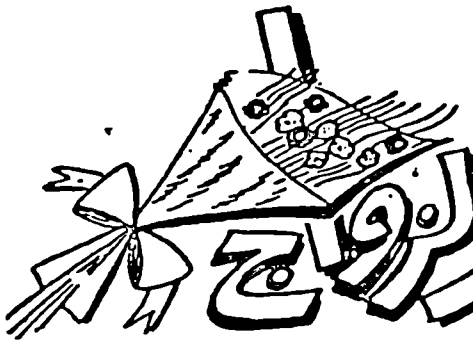

تأليف : و. هنرى
ترجمة : مصطفى الصاوى الجوينى

رجائى اليك ان تضرب الشاعر على عينه ، ذلك الذى يغنيك مدائح فى شهر مايو . انه شهر تتراس عليه ارواح المصائب ويتصدره الجنون .. الخوريات الصغيرات والثرثارات ينتبن الغابات المبرعمة .. والجنى اللعوب وقطار اقزامه مشغولون فى المدينة والقرية .

فى مايو ترفع الطبيعة يدها فى وجوهنا موبخة آمرة ان نتذكر اننا لسنا بالهة ولكن اعضاء مفرطى العجب فى اسرتها العظيمة .. انها تذكرنا اننا اخوة لاشجار الدوم وللحمار ، اننا سلالات وراثية للبانسية وللشامبانزى ولسنا الا ابناء عمومة للحمام الساجع وللبط يبطبط ، ولخادمات المنازل ، ولرجال الشرطة فى المتنزهات .

فى مايو يصوب كيوبيد معصوب العينين ، فيتزوج المليونيرون كاتبات الاختزال ، والبروفيسورون العقلاء ينسجون مئزرا ابيض وهم يمضغون اللادن خلف عدادات النقود فى محال وجبات الظهر السريعة . وسيدات المدارس يستبقين الاولاد الكبار آخر اليوم المدرسى . والصبيان بالسلالم يتسللون فى خفة فوق المروج حيث تنتظرهم جوليت فى نافذتها المعرشة وعلى ظهرها التلسكوب ، وثنائى الشباب يتمشى بالخارج ليعود للمنزل متزوجا . والشبان الكبار يضعون لاحذيتهم غطاء ابيض ويتنزهون قرب « مدرسة المعلمين » . ثم الرجال المتزوجون ، ينمو حنانهم وعاطفتهم نموا غير عادى ، فيخبطون زوجاتهم على الظهر مهمهمين : « ازاى الحال يا بنت ؟ »

مايو هذا ليس الها ، ولكنه ساحر متنكر فى حفل رقص تكريما للحسن الطالع به الصيف ، الذى يخبطنا على رءوسنا جميعا .

ان مستر كولسون الشيخ انينا واهنا ، ثم جلس معتدلا فى كرسى مرضه . كان ذا داء للمفاصل فى احدى قدميه شديد السوء .. ومنزل قرب متنزه « جرامرسى » .. ونصف مليون دولار .. وابنة .. ثم مديرة منزل ، مسز ويداب ، وحقيقتها واسمها كل منهما يستحق جملة ، فهما لها .. حينما سعر مايو النار

فى مستر كولسون اصبح اخا اكبر للقمرية . وفى النافذة بجوار مجلسه كانت صناديق النسرين والعيسلان والجيرانيوم والبانسية ، يجلب النسيم شذاها داخل الحجرة . وسرعان ما قامت حلقة مباراة طيبة بين انفاس الازهار وبين الرائحة الكريهة ، المتبخرة القادرة .. النشيطة ، المنبعثة من دهان روماتيزم المفاصل . وربح دهان الروماتيزم يسر ، ولكن ليس قبل حصول الازهار على ضربة قصيرة خاطفة فى انف مستر كولسون الشيخ

ان عمل مايو القاتل الحقود الافاك الساحر قد عمل .. وجاءت عبر المتنزه الى حاسة شم المستر كولسون روائح الربيع التى لا تخطىء ، الروائح المنميزة صاحبة حق التاليف والمنتمية انى المدينة الكبيرة فوق النفق ، وحدها .. روائح القار الحار .. والكهوف السفلية .. والبنزين .. وشذا غطر الباتتشولى .. وقشر ثمر البرتقال .. والات البانى ، لرفع التراب والسجاير المصرية .. ومورتر المطابع .. والحبر الذى لم يجف فوق ورق الصحف ..

كان الهواء الذى يهب بالداخل حلوا ولطيفا ، العصافير الدورية بكل مكان فى الخلاء سعيدة .. ابدا لا تشق بمايو ..

برم مستر كولسون اطراف شاربه الابيض .. لعن قدمه ، ودق جرسا على المائدة بجواره . لبث مسز ويداب هى فى العين جميلة .. شقراء .. قلقة .. فى الاربعين .. ثعلبية . وبابتسامة مقترحة للتدليك الهزاز قالت : هيجينز بالخارج سيدى ، ذهب ليلقى بخطاب ، اتستطيع تادية اى شىء لك سيدى ؟

قال مستر كولسون المسن : «انه موعد دوائى ، نقطيه لى .. الزجاجة هنالك .. ثلاث نقط فى الماء .. فى هذا الهيجينز المخبول ! ليس هناك شخص فى هذا المنزل يأبه لموتى هنا فى هذا الكرسى من فقر الى الرعاية »

انت مسز ويداب بعمق وقالت : لا تقل هذا سيدى ، هناك اولئك الذين عليهم ان يعنوا بأكثر مما بدركه احد قلت ثلاث عشرة نقطة يا سيدى ؟

ـ مستر كولسون الشيخ : ثلاث

اخذ جرعته ثم يد مسز ويداب .. احمرت .. اوه ، نعم ، يمكن عملها ! احبس نفسك تماما واضغط على طبلة ابرة الفونوغراف ..

ـ مستر كولسون : مسز ويداب ان وقت الربيع غامر لنا جميعا .

ـ مسز ويداب: اليس ذلك صحيحا؟ الجو حقيقة دافىء .. وثمت اشارات عن البيرة الالمانية القائمة على كل ركن والمنتزه كله لونته الازهار بالاصفر والاحمر الوردى والازرق .. وانا بى مثل تلك الالام النارية باعلى رجلى وباعلى جسمى ..

مستر كولسون ، مجعدا شاربه ، آى ـ هذا خيال المرء يتجه بخفة الى افكار الحب ..

ـ مسز ويداب : « انظر سيدى الان ! اليس ذلك صحيحا ؟ يبدو كما لو انه فى الجو ..

مستر كولسون (متابعا) : فى الربيع يسمع قوس قزح وقد اشتدت حيويته فوق الحمامة المصقولة .

زفرت مسز ويداب ، وبتفكير قالت : انهم يمدونه بما يكون به حيويا الايرلنديون ..

مستر كولسون ملقيا بوجهه ناحية وخز قدمه الموجوعة : هذا المنزل سيكون بدونك موحشا .. انا ـ يعنى انا رجل شائخ .. ولكن انا مستحق لجملة معتبرة من المال .. فاذا كان نصف مليون دولار مستحقة من سندات الحكومة ومحبة صادقة من القلب الذى ولو انه لم يعد بعد ينبض بحرارة الشباب الاولى ، فلا يزال يستطيع ان يخفق بخالص .. »

قاطعت الضجة العالية من انقلاب كرسى قرب ستار باب الحجرة اللاصقة ـ الضحية .. الموقرة .. المقدسة . المرتقبة .. لمايو .

تسللت ـ داخلة ـ مس فان ميكر كونستانشيا كولسون .. بادية العظام متينة .. طويلة .. شماء الانف .. جامدة .. مهذبة .. فى الخامسة والثلاثين .. فى جوار « جرامرسى باركيش » وتضع مرقبا للمراسح .

انحنت مسز ويداب بسرعة وسوت الاربطة على قدم مستر كولسون المصابة بداء المفاصل .

ـ مس فان ميكر كونستانشيا : ظننت هيجينز كان معك .

ـ والدها موضحا : هيجينز ذهب ولبت مسز ويداب الجرس .. انها

الان احسن مسز ويداب ، اشكرك لا ، لا شيء آخر أطلبه ..

انسحبت مديرة المنزل تحت وطاة من طعنات التحديقة الباردة المتسائلة لمس كولسون .

ـ الرجل المسن « بحذر الواعى » حقل الربيع هذا محبب ، اليس كذلك يا بنيتى ؟

ـ مس فان ميكر كونستانشيا كولسون « مجيبة فى ابهام شيئا ما » هذا مضبوط ، متى تبدا اجازة مسز ويداب بابا ؟

مستر كولسون : اعتقد ان قد قالت انها لاسبوع يبدا منذ اليوم .

وقفت مس فان ميكر لدقيقة لدى الشباك محدقة تجاه المتنزه الصغير وقد غمره ضوء شمس ما بعد الظهر انهين .. وبعين النباتية اخذت ترمق الازهار ، تلك الاسلحة ذات الفعالية القصوى لمايو المخادع . وبنبضات عذراء كولونيا الباردة ، صمدت هى لهجوم الرقة الاثير .

ارتدت سهام ضوء الشمس البهيجة ، اصعقت ، بسبب مافى عدة حرب فؤادها الذى لم تهزه المشاعر من برودة . لم يوقظ شذى الازهار اية احاسيس رقيقة فى مكامن اسرارها التى لم تطرق من فؤادها ذاك النائم آلمتها زقزقة العصافير الدورية .. لقد هزات بمايو .. لكن ولو ان مس كولسون لم تكن متأثرة بالفصل فقد كانت فطنة كفاية لتعتبر قوته .

عرفت ان الرجال الشائخين والنساء رفيعات الخصر ينطون كالبراغيث المربية فى قطار مايو الساخر ، اكثر شهور المرح سخرية . لقد سمعت من قبل بسادة شيوخ سخفاء يتزوجون مديرات منازلهم ، يا للامر الوضيع وبعدئذ فهذا الشعور يسمى الحب !

فى صبيحة اليوم التالى فى الثامنة حينما قدم بائع الثلج انباه الطباخ ان مس كولسون تريد رؤيته فى البدروم

بائع الثلج « معجبا بنفسه » : حسنا الست انا « أولكوت »و«دبيو» دون ان يذكر اسمه الاول بالمرة .

وآية قبول طوى اكمامه الى اسفل واسقط خطاف الثلج على بنفسجه ورجع . وحينما اذنت له مس فان ميكر كونستانشيا خلع قبعته .

مس كولسون : هناك دخول نادر فى هذا البدروم الذى يستطاع الوصول اليه بالدخول من الكوم الخالى المجاور حيث ثمت حفر للبناء . اريدك ان تحضر من هذا الطريق خلال ساعتين الف رطل من الثلج . ربما يكون عليك ان تحضر رجلا او اثنين لمعاونتك وسأريك اين اريدونعمه . اريد الف رطل يسلم يوميا بالطريقة نفسها مدة اربعة الايام التالية . ويمكن

لشركتك ان تقيد حساب الثلج على فاتورتنا الجارية . واليك هذا عن متاعبك الاضافية .

طلبت مس كولسون فاتورة بعشرة دولارات . . انحنى بائع الثلج ، وامسك بنبعته فى يديه خلفه .

« « والان اذا سمحت لى سيدتى يكون من دواعى سرورى ان اسوى الامور لك بأى طريقة تبرك » . . وا أسفاه على مايو !

وحوالى الظهر اطار مستر كولسون بضربة زجاجتين عن المائدة . . كسر زنبرك جرسه . . وزعق بهيجينز فى نفس الوقت .

مستر كولسون « آمرا بهزء » : احضر فاسا ، أو ابعث فى طلب ربع من حامض البروسيك ، او جيء بشرطى يطلق الرصاص على ، فاننى افضل ذلك على ان اتجمد بردا حتى الموت

ـ هيجينز : يظهر ان الجو مائل للبرودة سيدى ، لم الحظ ذلك سيدى من قبل ، ساغلق النافذة سيدى .

ـ مستر كولسون : افعل ، انهم يسمون هذا الربيع . اويفعلون ذلك ؟ اذا استمر الحال على ذلك طويلا ساعود ثانية الى « بالم بيتش » . . احس بالمنزل وكأنه معرض للجثث المجهولة .

وبأخرة جاءت مس كولسون تسأل ـ قياما بالواجب ـ كيف التحسن فى داء المفاصل .

ـ الرجل المسن : ستانشيا ، كيف حال الطقس بالخلاء ؟

ـ مس كولسون : مشرق ، ولكن بارد . .

ـ مستر كولسون : احساسى بالنسبة الية انه كشتاء ميت . .

ـ كونستانشيا محدقة تحديقا ،غير تفكير خارج النافذة : « مثال الشتاء المتسكع فى حواشى الربيع » واو ان الاستعارة ليست فى اسنى ذوق ادبى . .

وبعد قليل سارت بجانب المتنزه الصغير ثم تجاه الغرب الى برودواى لتقوم ببعض التسوق .

وما لبثت مسز ويداب بعد هنيهات من ذاك ان دخلت حجرة العليل .

ـ سالت وهى تعمل غمازات فى مواضع عديدة : هل دققت الجرس سيدى ؟ . . طلبت من هيجينز ان يذهب الى مخزن الادوية . وافتكر اننى قد سمعت جرسك . .

ـ مستر كولسون : لم افعل .

ـ مسز ويداب : اخشى ان اكون قاطعتك سيدى بالامس حينما كنت موشكا على ان تقول شيئا ما

ـ كولسون الرجل الشيخ : كيف تاتى مسز ويداب ان اجد الجو من البرودة بهذا الحد فى هذا المنزل ؟

قالت مديرة المنزل : برد سيدى ؟ لماذا . . الان ، منذ حديثك عن الجو

يبدو انه بارد فى هذه الحجرة . ولكنه بالخارج دافىء ولطيف مثل يونيو سيدى .. يا لهذا الطقس انه يجعل قلب الواحد ينط من قميص وسطه سيدى .. العليق كله يسقط على جانب المنزل ، ومعازف اليد تعزف ، والاطفال يرقصون على رصيف الشارع انه لوقت رائع ليفصح المرء بالحديث عما فى القلب .

كنت تقول سيدى بالامس .

ـ مستر كولسون (فى زئير) : يا امراة .. انت سخيفة .. انا ادفع لك لترعى هذا المنزل .. انا متجمد لدرجة الموت فى حجرتى هذه .. وانت تأتين لتثرثرى لى عن العليق ومعازف اليد .. آتينى بمعطف فورا .. وانظرى ان كل الابواب والشبابيك مغلقة تحت .. امراة مثلك عجوز .. سمينة .. عديمة المسئولية .. متحيزة الموضوع ، تثرثر عن وقت الربيع والازهار فى وسط الشتاء .. حينما يعود هيجينز اخبريه ان يجيئنى بروم مسكر حار » والان اذهبى ..!

ولكن من سيشين وجه مايو المشرق؟ برغم انه خبيث ومزعج لامن الناس اصحاء العقل ، غير انه لا مكر عذراء فطنة ولا « مخزنجية » برد تجعله يطأطىء راسه فى لمعان « درب تبانة الشهور » .

اود .. نعم ، لم تنته القصة تماما ..

مرت ليلة .. وعاون هيجينز الرجل المسن كولسون فى الصباح ليجلسه على كرسيه بجوار النافذة راحت برودة الحجرة ، وجاء الارج السماوى يصحب عطر الرقة ..

سارعت بالدخول مسز ويداب ووقفت بجانب كرسيه .. وادرك مستر كولسون يده البادية العظام وامسك يدها الريانة .

ـ قال : مسز ويداب .. هذا المنزل لن يصير سكنا بدونك .. انا امتلك نصف مليون دولار .. اذا كان ذلك الى حب صادق لقلب لم يعد فى اوج شبابه ، ولكنه ما يزال البرد غير مستطيع ..

ـ مسز ويداب « مائلة تجاه كرسيه » : اهتديت الى ما جعل الجو باردا .. انه الثلج .. اطنان منه كانت فى البدروم وفى حجرة الفرن ، وفى كل مكان .. ولقد اغلقت تماما المجالات التى كان يجىء البرد من خلالها الى حجرتك .. مستر كولسون ، ايها الروح المسكين ! والان ثانية ، انه وقت مايو ..

ـ كولسون الرجل الشيخ « يستمر وهو شارد قليلا » .. قلب مخلص قد جاء به للحياة ثانية وقت الربيع ، و .. لكن ، مسز ويداب ، ماذا ستقول ابنتى ؟

ـ مسز ويداب « بابتهاج » : لاتخش يا سيدى ابدا مس كولسون قد هربت مع بائع الثلج الليلة الماضية سيدى .. !

لقاء بين كاتب وناقد

بقلم : محمد عبد الحليم عبد الله

هل تقاس « الكلمة » او «الراى» عندنا بما تحتويه من طاقة حقيقية ذاتية بصرف النظر عن شهرة قائلها أو تقاس بالشخص الذى صدرت منه

هذه مسألة من المؤكد ان الناس سيختلفون فيها . ولكن الذى لاخلاف فيه ان الكلمة ذات الطاقة النافعة تعيش ولو قالها مجهول . ولو مات قائلها . والدليل على ذلك تلك الكلمات التى عبرت عن آراء معينة والتى عاشت عبر القرون حتى وصلت الينا فذكرناها لعظم قيمتها ونسينا قائلها حتى ولو كان عظيما كما ننتفع بنور الكهربة ولا نكاد نذكر اسم مكتشفها حتى ولو حاولنا .

لذلك ، فانا اقدس كل كلمة حق ـ لى أو على ـ بصرف النظر عن شهرة قائلها من النقاد . وقبل ان استطرد فى مقالى احب ان اذكر ان الحقول التى تزرع فيها افكارنا هى لاشك من الشباب ، فالاهتمام الذى يبديه الشبان العاديون او الادباء نحو افكارنا يجب ان ينزل من قلوبنا فى المكان الاول .

وقد كتب الاديب الناقد ماهر شفيق فريد مقالا ضافيا حول مجموعة قصصى الصغيرة السوداء . قرأته كما أقرأ اى نقد او اسمع اى نقد حول اعمالى فى الاذاعة او الصحف . فأحسست اول الامر اننى امام شاب متحمس لفكرة درسها وعرف اعماقها وخيل الى ان نبرات الحماسة تمشى فى المقال جنبا الى جنب مع مهابة المنطق . ثم نحيت المجلة واخذت افكر :

« اننى ساكبر فى السن انا وانداد وكاتب المقالة سيكبر فى السن هو وانداده . كل عام يمر على جيلى سيمر على جيله . لكن الاعوام التى سيعيشها جيله اطول بكثير من التى سيعيشها جيلى . سنة الحياة ! ! وبناء عليه فان كلمة الحق اذا صدرت من شاب عاشت مدة اطول »

وهززت راسى واعجبنى منطق نفسى لكن .. عدت فقرات المقال لاننى احسست باعجابى نحو من اعجبنى وهذه ربما كانت رذيلة . فوقفت عند قول الناقد :

« محمد عبد الحليم عبد الله فنان احبه القراء على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم ولكنه فنان اختلف النقاد فى الحكم عليه اختلافا بينا واسرفوا فى عقد المقارنات العقيمة بينه وبين اقرانه

من الادباء .. وهم كثيرا ما يحيدون عن جادة الصواب ويظلمونه ظلما فاحشا »

والمسألة الموضوعية التى اود مناقشتها فى هذه العبارات هى «انصاف القارىء وظلم بعض النقاد» وقد شرح الاديب الناقد لماذا يظلم بعض النقاد اعمالى وهى وجهة نظر ربما كانت سليمة عند النقاد الايدولوجيين . ولكن يبقى موقف القراء الذى يجب ان يناقش . هل يجب ان تلغى اراءهم من حسابنا ؟ ذلك فى رايى متصل بشىء اخر . هو «نوع» القراء الذين يكتب لهم الكتاب واقصد بالتحديد النوع الذى يحاول كل كاتب ان يجتذبه باستمرار ويحرص على استبقائه واشاعة افكاره بينهم

واظن ان لكل كاتب قارئا منسوبا اليه . فيه بعض خصائص الكاتب وسماته النفسية . ولا يضير مطلقا اختلاف السن والامل . ومادام الكاتب سليما من تهمة اثارة الاحساسات الرخيصة متسما بالجدية والبحث عن موضوع والجرى وراء شىء يقال .

ـ مادام الكاتب هكذا فان حب القارىء فيه يجب ان يمنحه الثقة فى نفسه

واخيرا فقد تحدث الاديب الشابه عن الواقعية والشاعرية فى قصصى قائلا : « انه شاعر من شعراء القصة» وهو لم ينكر هذا كما انكره غيره . واحب ان اضيف الى ذلك شيئا هو ان الاسلوب القصصى لكى يكون ثروة قومية يجب ان يختلف من كاتب لكاتب . فنحن اذا عرضنا تجاربنا الفنية باسلوب متقارب او متشابه كدنا ان نحول ادبنا مع الزمن الى تاليف علمى يتكلم عن شخصيات وحوادث .. فاذا تصورنا مرة اخرى ان كل الكتاب سيختارون شخصيات متقاربة الملامح وانهم سيكتبون عنها باسلوب متقارب فمن الممكن بعد ذلك ان نتصور مدى الخسارة التى تحل بادب القصة .

مرة اخرى اردد ما ردده شيخ الامناء : « لنترك الامر للزمن واثقين انه اقوى الاشياء »

محمد عبد الحليم عبد الله

صحافة الفكاهة وصانعوها

تأليف : جمال الدين الرمادى
نقد : عماد الدين وحيد

- ١ -

لم تحظ الصحافة العربية بعد باهتمام الباحثين الاهتمام الواجب الذى يناسب خطورتها فى الحياة والمجتمع . فلا زالت من افقر الميادين فى هذا المجال ، وما اشد حاجتنا الماسة الى كثير من الدراسات التى تتناولها من جميع وجوهها ، ولذلك فعندما تخرج المطابع كتابا جديدا عنها فهو كسب غير قليل ، لا يمكن ان يكون وقعه على سطح البحيرة الساكن ضئيلا لانه لا يتكرر دائما .

ومن احدث الكتب التى صدرت فى الآونة الاخيرة « صحافة الفكاهة وصانعوها » .

●

والضحك لون من الوان حب الحياة والاقبال عليها بتنانى آلامها ، والشعب الذى يفعل هذا لا يخفف من ثقل يومه فحسب بل انه يحمل فى نفسه أمل غده المتمكن القوى الذى يمكنه ان يحطم كل عوائق نجاحه وسعادته . ولما كانت الصحافة فى معناها العام هى لسان الجمهور ، فالصحيفة الفكاهية هى مزاجه . والفكاهة احدى المقاييس التى لاتنقصها الدقة او العمق فى الدلالة على الخط البيانى لحضارة شعب من الشعوب فالنادرة التى تنتزع الضحك من الرجل البدائى ليست هى نفسها التى يقهقه لها الرجل المتمدين . ومن هنا تجىء اهمية موضوع مثل صحافة الفكاهة وصانعوها .

ولقد بدأ المؤلف كتابه بمقدمة عن الضحك . وكانت أول ما صدم القارىء . فهى تناول سطحى انسب ما تكون لطالب ثانوى فى موضوع انشاء . فهى عبارة عن مقتطفات استشهد بها لبيان فائدة الضحك ، فنقرأ من قول النبى محمد عليه السلام الى رأى لين يوتانج واندريه موروا . وتتميز المقدمة بالاحكام المطلقة التى تبعد بين المرء وبين الاطمئنان الى

ما يقرأ لتلاشي الفروق في حالة التعميمات بين الاشياء الدقيقة فيتداخل بعضها في بعض ، وتفتقد الكلمة قدرتها على التعبير المناسب . وليس هذا كل فقر المقدمة ، فلا كلمة عن منهج المؤلف ، ولا تفسير لهذا النوع من الضحك الذي تبعثه في المرء كتابة الضحافة الهزلية والى اي النظريات ينتمي .

ان للضحك روحا جماعية او بالتعبير المتداول ، الضحك غريزة اجتماعية . وكما يقول برجسون « فنحن لا نتذوق المضحك في حالة شعورنا بالعزلة ، والضحك في حاجة الى صدى . الا اصيخوا اليه باسماعكم : انه ليس بالصوت الملفوظ ، الواضح الكامل . ولكنه شيء يريد ان يمتد بتجاوبه مع ذاته شيئا فشيئا . يبتدىء بانفجار ويستمر في غرغرة ، كالرعد يدوي في الجبل . على أن هذا التجاوب لا يستمر الى غير نهاية . وقد تكون الدائرة التي يجول ضمنها متسعة ، الا انها مغلقة على كل حال . فضحكنا هو ابدا ضحك جماعة » (١) .

وهكذا كان تاثير الظريف القديم فيمن حوله من الناس وهو بينهم ماثلا بشخصه ، سواء أكان رجلا ابن حظ او نديما في قصر أو راوي نادرة يقصها في الاسواق . فالمشاركة الوجدانية والتعاطف تبلغ هنا المدى ، فالمحي يتاثر بالحي بلا واسطة . ولكن هذا الوضع تغير قليلا عندما حتم منطق العصر الحديث على ظريفنا ان يتكيف بالوسائل الجديدة التي ابتدعت ، فاصر على الانسحاب بشخصه من بين الجماهير ، ليقوم بدوره على اوسع نطاق خلف الاداة الحديثة .. هذه المطبعة التي تخرج الصحيفة الفكاهية ـ ولنذكر المزج والسيتما من بعض الوجوه ـ فكيف استطاعت هذه الصحيفة ان تعوض لقص المواجهة والتاثير الشخصي الدافىء :

أن لدلالة انتقال اساليب الاضحاك من وسيلة الى اخرى أهميتها في تفسير التغيير الذي لحق بنفسية الضاحك اثر ظهور هذا النوع من الصحافة ، وهي اشارة كانت ضرورية ليتوقف عندها المؤلف في مقدمة لمثل هذا الكتاب . فان هذه القنطرة التي عبرت عليها الفكاهة من شاطىء الرواية الى شاطىء الضحافة كانت تستاهل وقفة قصيرة حتى لا نتعثر في احدى الفجوات كما حدث في فهمنا لحديث الكاتب عن الصحافة الفكاهية . فهذه الحلقة التي تصل بين نوعي الفكاهة المسموعة وبين الفكاهة المقروءة هي الخطوة السابقة على انشاء الصحف الهزلية . وبمعنى آخر التحول الذي طرأ على الفكاهة التي تتردد في المجالس والاسواق وانتقالها الى صفحات الصحف .

---

(١) هنري برجسون . الضحك . ترجمة سامي الدروبي ، عبد الله عبد الدايم ص ١٥ ـ ١٦ .

وعندما ينتهى المرء من المقدمة يصادف بحيرة شديدة وهو ياخذ فى القراءة . فهو لا يعرف هل يطالع ابوابا تجتمع كوحدة تكون الكتاب او انها فصول متفرقة جمعت فى كتاب . والسبب انه لايكاد يربطهـــا رابط ولا ينتظمها خيط من امان . فهو ياخذ فى الحديث عن اخبـــار جحا ثم ينتقل مباشرة الى مجلة التنكيت والتبكيت ، ثم يكتب عن مجلة «ابونظارة» وقد سبقت الاولى فى الظهور ! ــ ثم يتحدث عن شخصيات فى اوائل القرن الثامن عشر ويتلوها بتناول المجلات الفكاهية بعضها فى مجموعة والاخرى منفردة . ويعقب ذلك بشخصيات اختـــارها كالشربتلى وحفنى ناصف والبابلى والعبد والبشرى وحسين المصرى وام كلثوم وفكرى اباظة ، ثم ينهى هذا كله بخاتمة مثل المقدمة سطحية وارتباكا .

وهكذا لحق اضطراب البناء بكل شىء حتى بترتيب وتنسيق فصول الكتاب كما راينا .

ان (صحافة الفكاهة وصانعوها) يقدم بين يدى قارئه دليلا حيا على صدق المثل المعروف « تقدرون فتضحك الاقدار » . لقد اراد د. الرمادى شيئا وارادت الاقدار شيئا آخر فكان لها الغلبة وما ارادت !

لن نشك فى صدقه وهو يرمى الى ان يضع مؤلفا عن الصحافة الهزلية ورجالها ، مؤرخا لهذا اللون من الصحف فى مصر ومسلسلا الادوار التى مرت بها حتى وصلت الى درجة من الاتقان ، ومتناولا لاشهر شخصيات تجومها فى اسلوب منهجى موضوعى . تطلع كاتبنا فى خياله الى شىء من هذا ، لكنه عندما هبط الى الواقع وجسد ما تخيل وجد ان اصابعه لاتكاد تمسك شيئا من خيوطه الذهبية التى رسم لها ابهج الصور ، وما بقى فى يده منها تحول الى نسيج ضعيف ولون باهت زادهما التركيب الضعيف تهافتا . ففى احد الفصول مثلا « شخصيات ضاحكة » تحدث المؤلف بلا مناسبة عن الشاعر المرح عامر الانبوطى عاشق الطعام والشاعر الظريف جعفر السقاف وهما من معاصرى الحمـــلة الفرنسية على مصر . ونسى الرمادى او تناسى ان الفصل الذى سبقه كان عن مجلة « ابو نظارة » ليعقوب صنوع الصادرة فى عام ١٨٧٨ !

●

فى اكثر مواضيع هذا الكتاب ، اذا تعمق القارىء عاطفته ، فهو يشعر بما يشبه الغربة ، هذا الاحساس الذى يتملك المرء اذا انقطعت جذوره بماضيه وتاريخه . ولقد قام د . الرمادى هنا بعملية البتر هذه ، فنحن لا نشعر ابدا بان ما يعرضه المؤلف يتعلق بشعبنا وبامسنا ، وانه يدرس حقيقة صحافتنا الفكاهية ورجالها سواء فى الامس البعيد او القريب ، فهو

لايختم الا بتسجيل النكت والنوادر ونماذج الكتابة الهزلية ، اما دراستها دراسة منهجية توقفنا على الارض التى انبتتها والبذرة التى خرجت منها والبيئة التى ساعدت على انمائها فاشياء لا يلقى كاتبنا اليها بالا ، فبدت وكانها زهرة شيطانية لم تستنبت فى مجتمع منظم بل فى وسط البرية .

بدا الرمادى الصحافة الفكاهية باخبار جحا . واذا كان يمكن ان تعد كلمات هذا الظريف الشرقى بصورة ما من الصحافة الهزلية تجاوزا ، فمن الغرابة ان نبدا بهذا الشكل التجاوزى حديثنا عن هذه الصحافة ونتجاهل ما يمكن ان يسمى صحفا حقيقية ظهرت قبل جحا ليس بعشرات من السنين فقط بل بعشرات من القرون وفى مصر الفرعونية بالذات . لقد اكدت هذه الحقيقة الاوراق البردية التى اكتشفت وحققها علماء المصريات يقول واحد من مؤرخى الصحافة المصرية « وكانت هناك صحف هزلية ، « جريدة القصر » التى كانت تقص اخبار فضائح المدنية ، وتروى الشائق من النزهات الليلية والحفلات الساخرة الماجنة ، التى كان يقيمها فرعون مصر على شاطىء بحيرة موريس . وكانت حافلة بالمقالات العنيفة الساخرة التى حررت فى اسلوب تبدو فى ظاهره الرغبة فى الترفيه عن القراء وشخصيات المجتمع وتكمن فى ثناياه وبين سطوره محاولة اثارة الشغب دون الملك ، بسبب تصرفاته ومجونه ، وابراز معارضة الاحزاب له (١) .

لقد كنا ننتظر من المؤلف ان تكون مثل هذه الدراسة مرآة نطالع فيها احد وجوه مصر ونعرف خصائص المزاج المصرى . هذا الى ان الفكاهة تستطيع ان تعرض كذلك تاريخنا وبمعنى ادق وقع احداثه على شعبنا واستقلاله لها . ولكن الرمادى لم يفعل . ولو كان اراده حقيقة وقدمه فى كتابه فهو تاريخ مهزوز متميع غائم .

ان نضال كل شعب لحاكميه المستبدين يتلون تبعا لمزاجه الخاص — الشعب لا الحاكم — فاذا عمد السلطان الطاغية الى المساس بحرية الصحافة والتضييق عليها ، راينا فى فرنسا ظاهرة كثرة انتشار المجلات الادبية « فانه لما تم للحكومات المطلقة السيطرة على الصحافة السياسية والتحكم فيها حاولت الصحافة الادبية انقاذ بعض الحرية فى التعبير عن الراى » (٢) .

وهذه الظاهرة تقابلها فى مصر ، كثرة انتشار الصحف الهزلية التى

---

(١) د. محمود نجيب ابو الليل . الصحافة الفرنسية فى مصر منذ نشاتها حتى نهاية الثورة العرابية . ص ٢ . نقلا عن كتاب « الجريدة » لجورج قبل ترجمة موصلى وسلومة ص ١٤٠ .

(٢) اميل بوافان تاريخ الصحافة . ترجمة محمد اسماعيل محمد . ص ٢١ .

بدت فى أوجها بعد الاحتلال البريطانى ، تحاول ان تتنفس بعض الحرية التى افتقدتها حولها بعد ان منعها عنها المستعمر وفى ذلك يقـــول مؤلفه مصرى : « اذا تتبع الباحث تاريخ الصحافة المصرية منذ اخريات عهـد الخديو اسماعيل عندما اخذت يد الاستعمار الاوربى تدق اول مسمار لها فى استقلال هذه البلاد ، نلاحظ وفرة المجلات الهزلية التى صدرت منذ ذلك التاريخ . بل ان كثرة صدور هذه المجلات فى اوقات معينة كانت مقترنة بمراحل القضية المصرية نفسها واشتداد الازمات التى تقـع بين المحتل واصحاب البلاد » (١) .

وما اكثر ما اوقع الرمادى قارئه فى الحيرة ، مثل هذه التى نجمت عن تجاهل المؤلف لتاريخ صدور الصحيفة وكأنه لا قيمة له ، فلا نعرف متى خرجت الى الناس ، أفى عهد محمد على أم فى عهد فاروق بن فؤاد ؟ ونتج عن ذلك ضياع خط التطور الذى لايمكن ان تفهم الاشياء ، ونمـوها الا به ، فلم نفهم كيف بدأت الصحافة الفكاهية وتدرجت ونضجت . وكأن هذه الصحافة قد جمدت فى مكانها منذ ان بدأت حياتها بالوان من التفاهة والضحالة والبذاءة والسـذاجة ، ولم تتقدم خطوات فى طريق الرقى . لقد تطورت الصحف الهزلية وغيرت جلدها القديم عدة مرات . وانتقلت من الدور البدائى الذى لم يكن يعدو مجرد تدوين النكات والقفشات بلا أى التفات الى اختلاف طبيعة الاداة الصحفية عن المشافهة والكلمة المنطوقة الى فهم جيد للفن الصحفى والكلمة المكتوبة ، مع مزيد من العمق والعناية باللغة والاقتراب من الفصحى وادخال الكاريكاتور . حدث هذا على عدة مراحل انتقلت فيها الصحافة الهزلية من طور الى طور . وكان الاختلاف واضحا بين اليوم الذى ظهرت فيه وبين هذه الايام ، ولا ادرى ماذا بقى للمؤلف ان يفعله بعد ذلك اذا تجوهل هذا العصب الحيوى لمثل كتابه ، لانه بذلك طمس الكثير من المعالم الرئيسية التى كانت تلقى باضوائها على دقائق بناء الصحافة الفكاهية كقضية الحرية الصحفية مثـلا ، فدارس الصحافة يدهش اذ يجد ان الصحف فى ايامها الاولى كانت اكثر جرأة فى القول منها هذه الايام ، فلم تكن قيودها بهذه الكثرة التى تتفنن الحكومات المختلفة فى العالم كله فى تكبيلها بها رغم اعترافها جميعا بحقوق الانسان ومبادىء هيئة الامم وحرية الصحافة ، ان الصحافة تكاد تشبه الانسان فى تطوره ، فقصتهما فى مزيد من الحرية زعم فى زعم .

يقول د . عبد اللطيف حمزة « الصحافة قبل اليـوم كانت فى دور البداوة ، وهو الدور الذى نعمت فيه الصحافة بكل ما فى هذه البداوة من مميزات الانطلاق والحرية ، فضلا عن ميزات السـذاجة والبساطة والبدائية

---

(١) حامد عطية الله . سكولوجية الضحك . ص ٢٦٦ .

ثم ما لبثت الصحافة بعد ذلك ان تركت دور البداوة ودخلت دور التحضر واذ ذاك اصيبت الصحافة بكل آفات التحضر من تكلف وتعقيد ، الى عناية فقط بظاهر الامور ، الى نقص كبير فى فهم الحرية والديمقراطية ، الى نقص واضح كذلك فى فهم المسئولية . وذلك فضلا عن الفقر الشديد الى مجموعة الصفات الانسانية التى يتمتع بها البشر فى اطوار حياتهم الاولى(١)

ولقد قامت الصحافة الفكاهية المصرية بدورها خير قيام فى شتى المجالات وخاصة فى الميدان الوطنى (٢) . ولما كانت البلاد محتلة فقد وجه معظم الاهتمام الى الناحية السياسية . ولادراك المدى الذى وصل اليه كفاحها نذكر لها فى كشف الحساب انها انذرت وصودرت والغيت . وما خبر « ابو نظارة والاستاذ » بمجهول . لقد كانت كما يقول ابراهيم عبده عنها « صحافة مذهب وعقيدة وهى دائما الى جانب المعارضة ومعارضتها أشد ما تكون خطرا واثرا ، وهى تستعمل اللهجة المصرية الخالصة ، وللغة العامية حظ كبير فيها . وهناموضع الخطر فان استعمال بعضها للغة الغالبة فى الحياة المصرية يجعل قراءتها ميسورة على جميع الناس ويصبح اثرها عميقا فى الجموع الشعبية ، وهى صحف لا تروج فى أوقات الهدوء السياسى بل يغلب نشاطها وازدهارها كلما تحرجت الحياة السياسية » (٣) .

وعلى ذكر انتشار الصحف الفكاهية فاننا نتساءل ؛ متى تنتشر مثل هذه الصحف ، أفى وقت الازمات والشدائد أم فى وقت الراحة والاستقرار ؟

ان حاجة الناس الى الترويح عن النفس تزداد بلاشك فى ساعات الشدة اكثر منها فى ساعات الهدوء ، فهى فى زمن الحرب اعز مطلبا منها فى السلم ، لانها تقوم بالتخفيف من وطأة قسوة الاحداث وبزرع بذور الامل والتفاؤل فى القلوب التى يشدها الواقع المر الى اليأس والتشاؤم والاستسلام فى النهاية .

ولكن المؤلفنا وجهة نظر اخرى ، فهو يقول فى ص ٦٣ : « غير أن هذه المجلات ــ أى الفكاهية ــ لم يتح لها البقاء طويلا ، فسرعان ما اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية ، وسرعان ما شغل الناس بأخبارها واعبائها ، وظهرت على مسرح المجتمع مشكلات شتى كمشكلة الغلاء ، والحصول على الاقوات ، وخاف الناس خطر الغارات الجوية ووزعت على الناس

---

(١) د . عبد اللطيف حمزة . ازمة الضمير الصحفى . ص ٢ .

(٢) كم كنا نود ان يقوم د . الرمادى ــ فى مجال الصحافة الفكاهية ــ بالرد على تقرير اللورد كرومر عام ١٩٠٣ الذى ينتقص فيه من قدر الصحافة المصرية انتقاصا مهينا . وقال فيها قولته المشهورة « ان الصحافة المصرية عاشت عشرين سنة منذ الاحتلال بدون تاريخ ! »

(٣) د . ابراهيم عبده . تطور الصحافة المصرية . ص ٢٢٠ .

الأقنعة الواقعية من الغازات الخانقة ، ولم يجد الناس وقتا لقراءة هذه الصحف الهازلة وان بقى بعضها يتهكم على جيوش الالمان ؛ ومطامع روميل فى احتلال مصر وما الى ذلك » .

ولم يهتم د . جمال الدين الرمادى بذكر فلسفة كل صحيفة ، وان كان اكثرها يجمع بين الاضحاك كوسيلة وغاية معا ، كما نلاحظ من شعارات مجلتى التنكيت والتبكيت وحمارة منيتى ، فتقول الاولى انها « صحيفة وطنية اسبوعية ادبية هزلية . هجومها تنكيت ومدحها تبكيت ولغتها لا تلجئك الى قاموس الفيروزابادى ولا تلزمك مراجعة التاريخ ولا نظر الجغرافيا . نفثات صدور وزفرات يصعدها مقابلة حاضرنا بماضينا » . وتكتب الثانية عن نفسها « جريدة هزلية فكاهية انتقادية اسبوعية . تاهيب الاحساسات الماهرة لخدمة الهلس الشريف واستئصال الجد العنيف » ووجهة نظرهما من ذلك قول يعقوب صنوع : « ان الصغير اذا مرض وطلب مداواته فلا يستطيع ان يسقيه الدواء المر الا اذا طلى حافة الاناء بالعسل الحلو ، حتى لا يلاقى فى اول مذاقه الا حلاوة فيندفع الى شرب الدواء حتى ينال الشفاء ، فذلك الطلاء كان غشا ، ويا عجبا ان ذلك الغش هو عين النصيحة ، ولو انه اتى له بالدواء فى اول وهلة لما اقدم على شربه فيموت بعلته » (١) واذا كانت هذه هى الفلسفة العامة للصحافة الهزلية والخطوط الرئيسية لها ، الا ان هذا لا يناقض ان يكون لكل صحيفة لونها الخاص الذى يتميز به عن الاخرى . ولكن مؤلفنا لا يجهد نفسه فى تحديد هذا اللون وبلورته ، وكأنه يرفض ان يكون لكل منها ملامحها الذاتية وسياستها المرسومة التى تتبعها للوصول الى هدفها وفق ميولها ومبادئها ، فبدا حديثه عنها وكأن كلا منها صورة طبق الاصل من الاخرى بحيث نخرج فى النهاية بنسخ متكررة لاصل واحد ، فالتنكيت والتبكيت مثل البابا غللو المصرى مثل مشنقة عشماوى وغيرها . وهكذا اختلطت الصحيفة التى كانت تهاجم سفور المراة بالمدافعة عن هذا السفور ، والمجلة الفكاهية التى كانت تهتم بالنقد الادبى بالاخرى التى تتجاهل الادب كله وذات الطابع السياسى بزميلتها ذات الميول الاجتماعية ، وهكذا . ما هو منهج المؤلف فى الحديث عن المجلات التى يتعرض لها ، وما هو المقياس الذى يستعمله فى الكتابة بالتفصيل او الايجاز عن صحيفة وصحيفة . ان القارىء لا يستطيع ان يفهم ـ مع موقف الرمادى غير المحدد ـ لماذا افرد فصلا عن « المفيد » وافرد فصلا آخر لمجلات « ميمون ـ الضحوك ـ الادب ـ الزمان ـ البغبغان ـ قصر النيل » والمفيد حسب ما سطره الكاتب نفسه لا تزيد او تنقص عن الصحف الاخرى .

---

(١) يعقوب صنوع . من افتتاحية العدد الاول لمجلته « ابو نظارة » ـ نقلا عن د. ابراهيم عبده . ابو نظارة ص ٤٢ .

وقريب من هذا ايضا افساح مؤلفنا نفس الحيز لمجلتين مختلفتين مع الفارق الكبير بين احداهما والثانية . فعدد السطور التى يحتلها الحديث عن صحيفة « المفيد » التى لم تعش طويلا ، هى ذاتها التى تتناول مجلة مثل « الفكاهة » التى تعد انضج الصحف الفكاهية المصرية الحديثة والتى استمرت فى الظهور سنوات طوالا ، والتى لم يزد نصيبها فى جدول الاعمال عند الرمادى عن ذكر موضوع واحد هو تقاليدنا الغبية فى الافراح والمآتم !

وشىء ثالث هو اغفال المؤلف الحديث عن بعض الصحف الهزلية الدائمة كالبعكوكة بينما يذكر مجلات اخرى غير فكاهية كمجلة الصباح مثلا . وهو فى هذا يخلط بين المجلة الفكاهية التى تعتمد اعتمادا كليا على الفكاهة وبين الصحيفة العادية التى تستخدم الفكاهة .

الاولى تستعمل اسلوب الهزل وتتعمد ان تبدو فى صورة البهلوان او البلياتشو الملطخ بالمساحيق والالوان ، والثانية ذات اسلوب جاد تحاول ان تحول لحظة مرحها السريعة الى سلاح ساخر يدمى . فاذا اسقطنا كل فرق بين هاتين الصحافتين وساوينا بعضهما ببعض لمجرد تشابه احد الخطوط ، فكاننا نلغى كل ما يحدد الجد من الهزل ، وهذه دعوة الى العبث .

ومن الاشياء التى لم يجد لها القارىء ذكرا فى حديث الكاتب ؛ شكل الصحيفة الفكاهية ، وطباعتهاوهل هىمصورة او غير مصورة ، وشعارها ، وهل نشرت الاعلان وما هو اسلوبها فيه وتأثره بالعنصر الفكاهى الذى تقدم عليه المجلة ، وما هى مشاكلها ، وسياستها وهل هى صحيفة تلغ فىالاعراض وتهدد الناس أم تدافععن مصالح احدى الجهات أم هىصاحبة مبادىء . وكيف كانت نهايتها . واذا احتجبت فلم كان احتجابها ؛ هل لانها جامدة اكثر من اللازم او متطورة اكثر من اللازم . وقبل ذلك من هو صاحبها ومديرها ومحررها . ولماذا لم ينشر الرمادىثبتا بأسماء الصحف الفكاهية التى خرجت الى النور منذ ان عرفنا هذا النوع من الصحافة . والصحافة المقارنة وتأثير الصحف الاجنبية فى الخارج وفىمصر فى الصحافة الفكاهية العربية .

« البقية فى العدد القادم »

تقويم و تدريب

عيد العلم

في الحق ان نحمد صنيع الدولة في رعاية العلم ، والفن ، والعمل ، والتعليم بما تبذله في عيد العلم السنوى من جوائز للعلماء والفنانين على اختلاف فنونهم ، والمعلمين ، والمتعلمين ، في تلك المجالات كلها ، وللمال وللتقدير الكريم ما لهما من تأثير ودفع في هذه المجالات التي يجب ان تمضي الامة الحية فيها صعدا ، والى الامام دائما .

ومن هنا كان الامل كبيرا في ان يحدث هذا التقدير والتشجيع الاثر المرجو على الحيوات المختلفة ، لهذا البلد ، في علمه ، وفنه ، وعمله ، وتعليمه .

واذا ما تركنا الميادين المختلفة من العلم ، والفن سوى الادب ، ووقفنا نرصد ما لهذا التقدير والتشجيع من اثر في حياتنا الادبية خاصة ذكرت ما كتبت « الادب » في هذا الغرض كثيرا ، منذ كانت جائزة الادب باسم فلان وفلان . من فؤادو فاروق وبعد ان صارت جائزة الدولة بغير اسم فرد .. ومع ذلك فقد تلقى هذا الباب غير رسالة يسأل اصحابها الشبان بحميتهم المعروفة اكثر من سؤال مثل :

ـ اكانت هذه الجائزة التقديرية للادب فرصة للتقدير الدقيق والنقد ذى الميزان الحساس ، الذى يكشف للشباب معالم المستقبل ، ويضع تحت نظره أسس التقدير الحق للرجال

والاعمال ، فيكون ذلك لونا من النقد العالى ، والوزن السليم ، يعرف به الشباب ماذا ينبغى أن يفعل ؟ وكيف يصل ؟ وما الهدف الذى ترقبه الحياة من هذا الادب ـ والفن ؟

ولعلى قد جمعت فى هذا السؤال صورا مختلفة من الاسئلة حول هذه المعانى تحدد طريق الاجابة ..

ومن اسئلة الشباب الثائر كذلك بمناسبة عيد العلم مثل :

ـ مضت اليوم بضع عشرة سنة على منح جائزة الادب القديمة والحديثة ، فهل يمكن أن يعرف : ماذا كانت جدوى هذه المنح والتشجيع على الحياة الادبية كما وكيفا ؟؟

ويجمع هذا السؤال كذلك عبارات مختلفة ، لاسئلة حول هذا المعنى .. واذا كان محرر هذا الباب قد لخص الاسئلة وركزها بهذا التلخيص فانه ليقدر إن هذا الباب لا يتسع للاجابة الشافية ، عن مثل هذين السؤالين وما تحتهما .. وهو يتجه مع السائلين الى اسرة التحرير ، والاستاذ رئيسه ليجيبا عنها الاجابة ، التى ترضى الشباب .. ولا يكتفون بما سبق أن كتبت « الادب » فى ذلك ، لان الدنيا تتطور ، والوقت لا ينتظر ، وما قيل منذ عام او اعوام لا يقال اليوم ، كما قيل منذ هذا الزمن .

وحسب البريد الإنما ابلغ من هذه الاسئلة ، وما طلب لها من اجابة ، فان لم يظفر الشباب قريبا بما يريد حاول محرر هذا الباب أن يجيب بما يهتدى اليه .

الصحة والحسن

يفرق اصحاب فن القول بين الصحة والحسن ، فيرون الصحة الى تقيم الكيان السليم هى عمل النحو ، والحسن الذى يتهيأ به الجمال هو عمل البلاغة ، اى فن القول ، فى تجدد تلك البلاغة .. على أن للحسن معنى لغويا أول لم يقصد غيره يوم قلت لجامعى الاداب الاسكندرى فى العدد الماضى من « الادب » : انى لن افكر فى عرض شىء مما تكتبه للتقويم الا بعد أن تحسن كتابة خطاب ترسله به .. فلم اقصد من الاحسان الا التخلص من فاحش الاخطاء ، التى لا يصح أن يقع فيها مثله ، ولكن هذا الجامعى قد رد على بخطاب طويل .. طويل من بضع صفحات ، اشبعنى فيه ـ عافاه الله ـ من التهكم كقوله : علمونا اثابكم الله كيف تكتب الرسائل ! ! كما اشبعنى فيه اتهاما فى جوانب مختلفة : فقد اصابتنى نوبة من عقد النقص فصرت لا استجيد الاعبارات المتملق ، وقناطير الثناء ، وتقديم آيات الولاء والطاعة ، وخلافه ، وصرت أضيق صدرا بقولة الحق .. وايسر اتهامه لى انى افوت ، ولا اعنى ما أقول ، فعبارتى الموجهة اليه ، اغلب الظن عنده انها لا شىء .. وقد قيل عفوا وهو مع هذا يعاود الاتهام من عبارات التملق الخاوية ، التى لم يتعود هو على استخدامها .

على انى ادع ذلك كله ، وأدع معه امثالا له مكررة فى رسالة من اربع صفحات لاجيبه عن اسئلة يوجهها انى ، وهو فى عجز تام امام عبارتى ، فهو يسأل :

« ولا ادرى ما المقصود بتلك الكلمة « تحسن » .. هل فى الرسالة اخطاء ؟

وهنا مربط الفرس : فان فى رسالته اخطاء عرضتها عليه فى العدد الماضى ، قبل ان اقول له كلمة بعد ان تحسن كتابة رسالة . . ومع ذلك مافات مات فليسمع اخطاءه فى رسالة هذا الشهر الكبيرة فهو يقول :

وهذا ـ اى قولى ـ لمجرد ارضاء النفس ، **التى عجزت على استثاغة** ذلك القول . . يا خبر اسود : **استثاغة بالثاء** ، وعجز تتعدى بعلى ، ويخف بذلك مثل قوله : الحسن الذى تتطلبوه ! او مقاييس الحسن انتى تتطلبوها ! !

وصاحب هذه كلها يساله

وصاحب هذه كلها يسال : هل فى الرسالة اخطاء ؟ ! لا . لا ياسيدى : بعداك العيب ، واناغلطان اقول ماأقوله عفوا !! واخطىء ـ استغفر الله ـ بل اصيب ادمغة قارئى رسالتك بماشئت

فالانسان ليس بالمعصوم من الاخطاء !! وكانما الاخطاء ـ على رأيك ـ لم تولد ولن تولد . . وكان الانسان لم يولد ليتعلم . . فاتعلم انزيانة فى روس انيتامى ، ولهم رب يعينهم على **استثاغة** هذه الاخطاء من جامعى آداب فى سنيها المتقدمة !! وجازى الله هذه الصحافة ، وشغلتها التى تجعل مثل هذا لكلام موضع اخذ ورد ، ومناقشة واجابة فى باب يسمى بريد «الادب» !! وما هو ادب ولاشبه ادب ، ولكنه لغو وضياع .

ولكنى على كل حال ، لا املك امام هذا التكسير فى دماغى الا ان اقول لك ثانية وثالثة : **انى لن افكر فى عرض شىء مما كتبته للتقويم** الا بعد ان تستطيع كتابة خطا بترسله به ، مهما نشر لك ، او زكاك احد ، او شهدت الدنيا بعبقريتك ، فليس لى الا ما امامى ! !

شخصيات تافهة

وقد كانت كلمتى التى اثارتها تلك الاخطاء سببا لشبكة كبيرة يعلم بها ربنا ، فقد وقع الخطأ فى السند والمتن ، لما قلته عن المقارنة بين شابين كان هذا الجامعى الاسكندرى صاحب الكلمة المذكورة فيها ، وان كانت الخصومة ليست معه مباشرة ، ولكن هات يا جوابات من صاحبى هذا او من صاحبه ، فهذا منى خلط ، ويرجى تداركه فى بريد شهر يناير وكأن بريد « الادب » صار بريد خاطبة وطالب زواج ! ! واكثر من هذا ان الطرف الثانى الذى اشير اليه ، فى تلك الكلمة الفارغة ، عن اديب الجامعة ، واديب غيرها قد رمانى بمطولة من ثلاث صفحات نصف فرخ يعيد فيها ويزيد عمن قارنوه بأدباء الجامعة ، ويعدد مفاخره ، وينصح لهؤلاء الناقمين انحاقدين . . الخ ، ويضرب لهم الامثال ، بما يجرى بين العقاد ومن حوله ، من الاساتذة ، وان ليس فيهم من يقول له يوما : حتى انت كمان يا جدع يا بتاع الابتدائية ؟ اطلع لى بره ، وانا معايا الدكتوراه يا عمر . .

هكذا قال صاحب هذه الصفحات الفساح ، وهذا لون اسلوبه ، وهذا جنف مما يريد ان يراه مقالا منشورا فى « الادب » المسكينة ، التى يراد استباحة صحفها ، بعد تكسير دماغ اهلها . . فمن مجيرهم من هذه الامور الشخصية ، والتافهة جدا ، ومن عذيرها من هذا الشباب ، الذى يحتاج الى شىء من الاناة . . ويحتاج معها الى كثير . . كثير من وقته الذى يوفره فى صنع نفسه ، وتكوين شخصيته ، والاستعداد للمستقبل

الجليل فى عالم مزدحم ، متنافس ، لم يعد فيه مكان الا للصالحين للبقاء ..

دعوا يا اولادى هذه الشخصيات التافهة ، واقبلوا على امركم .. ودعوا معها الرغبة الجامحة فى حب النشر ، والمباهاة ، بما نشر ، مهما يكن مكان نشره ، واعرفوا انفسكم المعرفة الحقة ، ولا تفرنكم فلتات راى ، ولا تساهلات نشر .. ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه ..

ولاطمئن سائر الشباب بان هذا الذى طال فيه الوقت ، واسود به بياض واسع فى البريد ليس هو الصورة المؤنسة للشباب ، فان فى الشباب الجامعى نفسه ، من يقول فى هذا البريد ايضا : **ان كلمة النقد تعد بالنسبة لى اعظم من نشر هاتين القصتين ، كما يقول : ووعيت هذا النقد ، وعرفت منه ما ترديت فيه من اخطاء** .. وصاحب هذا القول ليس متملقا ، ولم يرض عقد النقص التى تملكت الكبار فى قول هذا المخطىء الثائر ، الذى سمعنا منه ما سمعنا ، ولكن الدنيا بخير ، وصاحب الرسالة الاخيرة يرد على « الادب » الثقة بهذا الخير ، فى الشباب اذ يقول :

« قد نشر لى مرات كثيرة ، فى مجلات مختلفة ، لكنى كنت اتمنى دائما ان اظفر بكلمة نقد .. اعرف من خلالها على اى ارض اقف .. والى اين المسير فكانت كلمة النقد مهمة عندى ، ولازمة لزوم حاجتى الى القراءة .. وتعطشى للكتابة » .

وهو يزيد توفير هذه الثقة بحسن ظنه باخوانه الشبان اذ يقول :

« فلا تخشوا باسا من الشباب الناشىء ، واعطونا كلمة النقد ، فهى التشجيع الوحيد الذى نستطيع ان نهتدى به ، والنشر فى حد ذاته ليس تشجيعا كاملا ، نريد النقد الذى يبصرنا بما نحن فيه من حال وما يرتجى منا » .

و « الادب » فيما تاكد من خطتها خلال الاعوام الطويلة لا تنشر كلمة واحدة من التقريظ تصلها من اى شخص ، بل اذا وردت فى وسط عبارة نشرتها وضعت مكانها نقطا وحذفتها ، اما حين تنشر النقد كله بنصه وفصه وبشتمه وقذفه ، وما احسب ان شيئا من الملق او ما يشبهه يؤثر عليها فى معاملة الشبان او غيرهم ، ثم هى — كما هو المعروف — لا تذكر اسم المرسل المنقود لئلا يتضرر بشىء مما يقال تقويما وتدريبا .. لا غير مطلقا .

هى الموهبة

وذلك ان صاحب الرسالة الطيبة السابقة حين نصحته بان يقرا ثم يقرا ، وهو جامعى هندسى ظن خاطئا انى اعتبر انه ، مع هندسيته ، يحشر انفه فى الادب ونقم هذا الفهم منى ، ولكنى اؤكد له : **انها وايا صادقا يكون خيرا من الف محترف** ، ولم يخطر ببالى هذا الوهم قط ، لانها هى الموهبة اولا وقبل كل شىء ، فليكن كما قال عن نفسه ، **وكما احب له : يعشق الكلمة ، ويحس بقيمة القراءة ..** ثم ليكن بعد ذلك مهندسا او طبيبا او ضابطا او اى شىء آخر فانما هى الموهبة . ونتقدم بعد ذلك الى الرسائل فاضع اولا

خارج النقد

* ماسماه مرسله قصائد ، وعنون لها : « من وحى فلسطين : دمامة الروح » . و « صورة : جدى » . و « القطة : طبع الحياة » . و « من الماضى : صلاة » و « نداء الى حواء » و « من الحياة : قلبى » . و « مع الراحلين » .

وهذه العناوين وما تحتها القت بى فى حيرة عجيبة ، لم استطع معها تكوين فكرة اى فكرة عن صاحبها ، وهو طالب ثانوى دينى ، ولمثله مستوى من المعرفة لا افهم معه ان يقول عن الدنيا دنية ، ويكرر هذا مرارا ، وان احتملت من مثله أن يعطف منصوبا على مرفوع من الاسم والفعل ، وان يجزم بغير جازم ، وان يضع ضمير العاقل لغير العاقل ، ثم الى جانب هذا كله كلام لا يوصف بانه موزون ولا منظوم ، ولا حتى مسجوع .. لكن مع ذلك كله ومضات من المعانى قد يقدمها بين يدى ما هو عنده قصيدة كقوله فى هذه التقدمات مثلا بين يدى وحى فلسطين : لهب من نار يقطره قلب انسان .. وقوله بين يدى ما عنوانه : قلبى :-

« قلب من صنع الله الذى اتقن كل شىء . دقاته لحن .. وحياته التقاط صور للحقيقة التائهة وسط دوامة الحياة .. وذلك مما يحدث عن شىء من وجدان يوشك أن يعبر صاحبه ، لكن تعوزه بعد ذلك الاداة ، من مادة اللغة ، ومن سلامتها ، ومن تماسك الصور البيانية .. ولئن وضعت هذه المجموعة غير القليلة خارج النقد فلانى لم استطع ان اسلكها فى شىء ينقد ، لكنى مع ذلك اجد فيها ما اشرت اليه من لمحات .. فهلا يجد هذا الطالب معلما بصيرا ، يأخذ بيده ، ويبين له شيئا من معالم الطريق ؟ . هلا يجد رفقة صالحة من ابناء معهده ، أو غيرهم يبسطون امامه شيئا من ارشاد ، او معونة ، او هداية الى ما يعتمل فى نفسه عنيفا ، يمثله قوله : لهب من نار يقطره قلب انسان ، فيفيد بهذا المعلم أو هذه الرفقة ؟ ؟ لو كان فى القاهرة لدعاه الامناء الى ندوه الاحد وافسحوا له المجال ولكنه فى طنطا .. فيا بنى ان قرأت هذا الكلام فحاول ان تلتمس مرشدا او موجها يأخذ بيدك ، فان فى نفسك شيئا يعوزه المستبين .. وكم ضائع كهذا بين البراعم ، لو وجد بستانيا لازهر .. والفتى محس بحاجته ، يسأل أن يهتدى الى الصواب ويتلو الاية : من يهدى الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، ولو اجدى الدعاء لرجوت أن يهيىء الله لك وليا مرشدا ..

* وكذلك اضع اخيرا بجانب ما مضى قصيدة « وداع » التى تبلغ ابياتها بضعة وخمسين بيتا ، كما اضع اختا لها عنوانها « ليلة » ، على الرغم ان صاحبهما منطلق يقيم الوزن التقليدى ، لكن بعبارات لابهم ان تكون عامية ، او فصحى خاطئة ، كما لا يمنعه من تكميل الكمية الوزنية

بما لا مكان له ، أو لا معنى كقوله مثلا : حتى يعاودنى عقلى بأذهانى .. أو قوله : احببتها حب حبى بين وجدانى .. وقوله : تفرى عظام الهوى فى فرى ثعبان ، ولا عليه أن تكون الكلمة أو الكلمات مما لا مجال له فى الشعر كقوله : اريدها بلا جدل .. كل هذه واشباهها مما ينظم صاحب الكلمتين ، ويختم طويلته بوضع اسمه فى قافيتها ويقول : ان الدنيا ستذكر شعره .. وهو ما نتمناه معه ، فى غير هاتين ، وان له فى النظم — كما قلت — لانطلاقا لو دق معه اختيار تعبيره ، وصحت معه الصورة البيانية المؤتلفة الإجزاء ورفع مستوى افكاره عن السذاجة والبساطة المهلهلة ، فلم يجعل نفسه مثلا اما لحبيبته .. ومعذرة له اذا ماكانت كلمتاه لا تجوز أن الباب اليوم ، فلعل له غدا .

والى ما بعد ذلك من :

الشعر

* فقد وصلت « **الكون** » لجامعى ادبى ، على الطريق ، وان اعوزته استقامة الوزن فى بعض ابيات القصيدة وضاق مجاله فكرر المعنى بمثل لفظه تقريبا ، فذكر جبهة الرضيع الوليد ، ووجه طفل رضى بعيد ، واحوجته القافية الى التكملة بما لايحتاج اليه المعنى كقوله : السحيق البعيد .. وهو مع ذلك يملك شيئا لا بأس به من عناصر الشاعرية لو تابع الاستراضة لقال ما يجد بعد ذلك مكانا للنشر .

* ووصلت منذ بعيد « **تضحية واشتراكية** » لسيد من رجال التعليم كان .. وقد تحدثت « الادب » غير مرة ، عن تمكنه من الوزن المنضد ، وان نقص الكيان الفنى فى هذه الموزونات وهذه « التضحية والاشتراكية » فى رتابة وزنها ، وحاجتها الى الحيوات الفنية ، ولقد ذكرت وانا اقرا ابياتها الكثيرة عبارات للمنشدين يرتلونها فى مواكب معروفة فاذا به — عافاه الله — يقول فى آخر شطر منها : **فهو نور .. فوق نور .. فوق نور** ، فليدع هذه لغير طريق النشر ، دون وقوف عند تفاصيل فى نقد لفظها ومعناها .

* ووصلت منذ زمن « **عربى يفتخر بعربيته** » وهى فى جملتها خطابية تقريرية ، ليس فيها من معالم الشعر الا انها فى بحورهم موزونة ، وان كانت نظما محضا ، غير شاعرى العبارة كقوله : انهم أعلى مثال .. وقوله : واذا استبان فلا جدال .. وقوله : وتشارك فى كل حال .. الخ ، والفخر لا يكون بمثل هذه الدعاوى الرنانة العبارة ، الهينة الدلالة ، فكيف اذا وهنت الصورة بمثل قوله : لا ينثنى عند النضال ، فان عدم الانثناء ليس صورة ما ادعاه للقائد من البطولة فى صدر البيت .. ولاعمق من هذا واكثر ايحاء يحتاج الفاخرون بعبقريتهم ..

* ووصلت « **رسالة الى شاعر** » وفيها سمات شاعرة ، فى العبارة والمعنى ، وان لزم الوقوف قليلا عند مرسلة الرسالة الى الشاعر على لسان هذا القائل فانها عنيفة بل سادية ، تقول فى رسالتها الى الشاعر

انا لست اهوى كلاما عليلا
وصدرى فراغ وخصرى طليق
اريد الها قويا جميلا
يطيش صوابى بعرض الطريق
ويشعل باللثم ما اطفات
قصائدك الضحلة الخامدة
وياسر خصرى الذى اطلقته
قداسة ابياتك الجامدة

و للشاعر ما يختار لايشاحه فى ذلك من لا يوافقه ، والقصيدة صالحة للنشر ، تجد مكانها فى فرصة قريبة.

* ووصلت ((اغرودة)) فى القالب التقليدى مع سلامة المعنى ، ووضوح العاطفة العميقة التى يجسمها قوله :

لانى احبك حب الحياة
واعلن بالصمت عن لهفتى

وهو البيت الذى تكرر فى تفاريق القصيدة ، وكان بيت الختام ، والقصيدة كذلك اهل للنشر ، ، فى الوقت المناسب .

* ووصلت قطع من الشعر والزجل ، عرضتنى كذلك لحيرة كتلك التى عانيتها فى رسائل الطالب الذى انتهت الى وضع اثاره خارج النقد مع عطفى القوى على حاله ، وحاجته الفنية ، وتزيد هذه القطع الاخيرة حيرتى باشتراك الاسم الذى يخلط بين صاحبها وبين شبيه باسمه ، لا يتميز ما بينهما الا بالاسم الاول الذى يكتب حينا ويترك حينا — وفى كل حال فانى ادع هذه الشركة فى الاسم لاقف عند اختلاف المستوى فى تلك القطع اختلافا يصل الى حد الاضطراب والتباين .

ولصاحب هذه القطع من الشعر ((وعادت من جديد)) و ((حديث الدموع)) و ((انت عمرى)) والنفس فيها مختلف جد الاختلاف . كما ان له من الزجل ((دنيا)) و ((رسالة خاصة)) ولا يكاد يتقارب فيها النفسان ايضا ، وذلك منشأ الحيرة فالذى نقول :

نسيتنى — فى نسيتنى ، ولم ياتى عنها ! ! ويقول : ادنو الى القمر المنير ، لادرى باهوال المطر!! ويقول : لاتفزعى القلب الشغوف لا ترضى بالضرر !! هو الذى تجد له مثل قوله : ان مابى من حنين اصبح اليوم اوارا .. وقوله : كان لقانا والعيون بها حنين مستعر . هو ذلك السطحى الملحون .

والامر فى زجله كالامر فى شعره فزجله « دنيا » قد اصاب فيه من عبارات العامية القوى الايحاء الواضح انوقع كقوله فى عامية كاملة : والنهاردة عرفت ان ملكشى ذنب ولا جنية .. وقوله فى عامية شبيهة بالفصيحة : كل ما فى الامر .. طبع دنيانا الشقية .. لكنه فى الرسالة الخاصة لايصيب فصحى ولا عامية قوية .. ولكنها عبارات مرصوصة ، من مثل قوله : اخى لك اخلاق عظيمة .. !و الفاظ لا معنى لها كقوله : وتنفست الهواء .

على ان الحيرة فى صاحبى هذا الاخير ادنى نهاية من غيرها ، فهو بحاجة الى قدر غير قليل من اللغة مادة الادب ، وهو فى حاجة الى رفاهية حس تتذوق وقع اللفظة ، وتستبين معالم الصورة الفنية ، وله مثل هذه الحاجة الى علوم من العربية تسدد تعبيره .. وما عنده من قوى الفن تريب الغور مختلط ، فلعله يقوم بواجب الدرس والارتياض تحت اشراف موجه فالموضوع ليس من السهولة بالصورة التى يراها الشبان ن غير خبرة ولا تجربة .. فخذوا يا شباب للامر عدته ، واعرفوا مداخل النجاح ، وانها غير قريبة ولا معبدة الطريق ..

النثر

* وقد وصلت « العودة » قصة قصيرة ، فى جو مدرسى شامل ، من نظ السور ، ومعاكسة المدرسين ، والطرد اسبوعا ، وابلاغ ولى الامر ، واملاء التلميذ عنوان ولى امره خطأ ، واللعب على القهوة طول مدة الاسبوع الطرد ، والعودة فى ميعاد المدرسة .. كل هذا وما يتصل به يتذكره طالب فعله فى المدرسة وتمثل له حينما عاد الى المدرسة بعد الخروج منها لمناسبة .. وهى صورة ساذجة لحادث كثير الوقوع فى المدارس ، ومناسبة عرض هذه الصورة ساذجة كساذجة الصورة او اكثر ، وليس فى العرض عمل فنى ، تتحول به الحكاية الى قصة ، يقرؤها القارىء او يسمعها فلا يكون فى جو من يسمع حكاية ، واكثر من ذلك بعدا عن العمل الفنى أن تكون حكاية كل يوم ، كما قيل ، والسامع عرفها او جربها — اين الحادث المبر ؟ والعرض الموحى ؟ لتكون هنالك قصة — بلا حدوته — عن الوكيل ومكتبه ، والمدرس وصلعته ، والفراش وطاقيته ، و .. و .. من هذه الثرثرة الفارغة او شارك فيها .. من أجل هذا قد يرى الشبان أن القصة أسهل العمل الفنى ، ويقول البعض حينا : انها ليست عملا فنيا ، وصحيح ان الرغى ، والدردشة ليست قصة ، حتى ولو كانت غريبة أو لافتة ، لانك حين تعرفها لا تخرج من دنياك الى جوها .. وحسبى هنا هذه الاشارات مضافة الى ما يتكرر فى مثل هذا المكان من البريد مرارا بصور ملونة بمختلف الالوان ..

* ووصلت « انا وافكارى » قصة فى حوار يقول من قراها للتقويم : لعل صاحبها ينظر فيها الى بيراندللو وطريقته ، والحوار بين مؤلف واحد اشخاص قصصه .. لكنه فى النهاية وفى البداية ايضا حوار لا موضوع له ، ولا داعى اليه ، فهو تكلف عسر التخيل ، فى عبارة ليست فيها مرونة ولا مطاوعة ، تحس فيها الالفاظ مكرهة مشدودة ، فى مثل قول محاور افكاره : ولكن لبى جاف كالحجر ! ! فما اللب الجاف ؟ ! كاد يكون لبا بكسر الباء — ويا رحم الله الحس اللغوى الذى فرق بين استعمال اللب والقلب ، وحاول استشفاف الفرق بين استعمال اللب دائما بصيغة الجمع فى القرآن : يا أولى الالباب .. وأما هنا فاللب جاف كالحجر ، فهل تسأل عن شىء من الحس اللغوى فى استعمال الجفاف صفة بارزة فى الحجر ؟! وانما هى الصلابة ، وما فى معناها .. على انى لا اعنت مثل هذا الكاتب بما اطلبه من الحس اللغوى الشفاف ، بل اكتفى بأن اطلب منه الان تجنب الخطأ فى مثل قوله « تعيش لوحدها » وسلامة الرسم حتى لا يجتمع على القارىء خطأ ردىء ورسم خاطىء فيفضل ولا يستطيع ان يقرأ شيئا .

عش مع افكارك — يا سيدى — حقا ، وارصد خواطرك ، كما تلقى اليك باللغة التى تفكر بها ، ولو تعلمته أن تدون تلك الخواطر فى بساطة عبارة سليمة لاديت لو كانت أفكارك ذات موضوع ، وليست تكلفات خارجية مصطنعة تزعم انها أفكار ..

* ووصلت اقصوصة « تذكرة » فى اسطر لا تملأ نصف صفحة ، وهى لسيد نشرت له « الادب » قبل الان تستفتى القراء فى الصنف الذى يعرضه ، من نزوات الفتيان والفتيات الذين يستخفهم الشباب ، وتلوينه صور اولئك (الهايفين) بالوان صارخة نافرة ، لا يطمئن الى النظر اليها كثيرون ، ولا تريح عين الناظر اليها ، وان تكن وجهة نظره انها حقائق جارية ، فالكثير من فعل الانسان فى الحياة الجارية تضايقه رائحته ، وتهيج نفسه لمنظره ، وهو عنده سواة يواريها ، فهل يقدر من يتورطون فى مثل هذه المعروضات الفجة ، الكريهة فى السمع ، والوجدان ، ان فى كيان

الانسان نفسه ، ومادة الحياة فيه ما يغذى بالنظر اليه ، كالدم ، وان يكن مادة الحياة ، ولاوجه الحديث عن المكشوف وادبه فان حياة الانسان فى حساب الطبيعة انما تعتمد على غذاء ممضوغ فى طريق الهضم والتمثل ، ولو قد كشف ذلك لصاحب المعدة لمقيت به نفسه ونفوس الاخرين **ممن يرونه ، وما كل ما يفعل يرى ، ولا كل ما يرى يعرض ، ولا كل ما يعرض يستساغ ..** وهذا فى تقديرى اليوم جواب الاستفتاء على ما نشر قبل اليوم للسيد من قصة ممكسة ومطاردة ، عرف صاحبها ما يقال فى هذه الحال وما يفعل ، ووصل فى النهاية الى ما وصل اليه ، فى المزالق والمضايق ، والظلام .. وارادت « الادب » وقتها عرض هذا الصنف لتتبين وقعه فى وجوه الناظرين اليه فكان ما راته من ملامح ذلك يعبر عن النفور .. و « تذكرة » اليوم فيها — على قصرها — بعض هذه المعروضات من حركات محب ، يقدم نفسه بالهندمة وتلميع الشعر ، ولكن ما علينا من هذا فان هذا المحب شخصيته « هايفة » كما قال قارىء الرسالة وقد رعبه الوهم فحسب أن هذه المحبوبة التى بينه وبينها ما بين الله وعابده ، ستراه على شباك تذاكر الدرجة الثالثة فتحتقره ، ولهذا ركب من غير تذكرة !! وهى تفاهة ليس صاحبها اهلا لشىء من حب ساكنة القصر المزركش ، ولا ساكنة الكوخ المعرش .. وصاحب هذه التفاهة يسكن مدينة صغيرة فيها هى ، وهى بحيث تعرف حقيقة امره ، فهل تراه لو ركب طيارة يعطيها هذا عنه صورة غير الواقع ! .. ان هذا الراكب بغير تذكرة يستحق التسليم فى أول محطة .. لا التغريم فقط ..

* ووصلت قصة « المفتاح » لصاحب التذكرة السابقة ، وهو فيها كذلك لا ينسى المشهد الذى يحبه » فصاحب الازمة بطله يدخل فى حارة ضيقة .. ويسمع صوت امراة تناوه فيستعذب الصوت ، ويقف ينصت لاه يا ابراهيم .. وعيون ابراهيم الخ هذا الحوار الذى لا يبدو خطا فى الصورة ، بقدر ما هو رغبة من المؤلف على ما يبدو — فى هذه الصورة وما علينا من هذا كله ، فالمفتاح صورة متلاحقة لحياة بائس ، اممن الكاتب فى تلفيق صورها لتكون اشد ظلاما ، واسود قتاما ، وكانما اجتمع البؤس كله فى شخص رجله هذا ، وحتى المشاريع التى يفكر فيها كبيع العصا يعدل عنها لغير سبب ليظل كل طريق امامه مسدودا ! ! وهذا الحل الاخير الذى انتهى اليه وهو تحطيم زجاج السيارة الملاكى كان يستطيع الوصول الى مثاله من طريق اقل تعرضا للخطر ، كاى مخالفة يرتكبها فلا يتعرض لما لابد ان يتعرض له من اهانة وضرب بتكسير زجاج السيارة قبل ان يصل الى الشرطة والمحكمة التى تعيده الى السجن ! ! وبعد كل هذا فليس من حق صاحب قصة ان يخلى الدنيا من كل عاطفة ، او شعور ، او بر او خير ليضع الصورة المخيفة لانسان بائس فليس فى الحق أن الدنيا خواء من هذه المعانى والعواطف ! ! واخيرا فانها « خريشة » اعصاب القارىء بمثل هذه المنغصات المبئسة ، التى تتجمع كلها — بتحكم — فى مثل قصة المفتاح على ان هذا المفتاح الذى اخذت القصة منه عنوانها لم يكن اخر قطرة فى الكاس ، لان الذى بلغ من البؤس مبلغ هذا الكائن فلم يجد اى شىء يسكت قرقرة بطنه لا ينتظر مع هذا أن تكون له غرفة ، ولو تحت السلم ، وان تدعه صاحبة البيت ساكنا فيها بعد ما باع المرتبة والسرير .. فى واقع العالم صور بؤس كثيرة ليست بهذا الحرمان المفتعل من كل شىء مادى مهما تفه ، وهذا البؤس العميق النفسى اشد قسوة على الحياة والاحياء ، من هذه الظواهر السطحية للحاجة .. ومثل هذا البؤس مجال للعرض الفنى الفعال .. ان المفتاح ليست بذاك ، ولا مكان لها فى النشر .

الآداب

فنية . شهرية

يصدرها الآداب

الادارة: مصر الجديدة . ألمجر ١٣
ت: ٨٧٠٧٥٠

الرسائل الفنية والمالية ترسل باسم

أمين الخولي

رئيس التحرير

الرسائل الادارية ترسل باسم

يعقوب عبد النبي

مدير الادارة

الاشتراك :

الجمهورية العربية	٦٠ قرشا
الخارج	٩٠ »
ثمن العدد	٦ قروش

البريد الجوى والمسجل بحسابه

السنة الثامنة
فبراير ١٩٦٤
العدد التاسع

تصدر في اليوم السابع من كل شهر

جائزة الأدب التشجيعية
بين التشريع والتنفيذ

المهم فى الحكم على هـذه البحوث وتقديرها هو الحياد المطلق والتقدير السليم البعيد عن الغرض والهوى

اهرام الجمعة ٩٦٣/١٢/٢٧

بالدلالة على ما يسود هذه اللجان من الاعتبارات الشخصية التى يجب أن تسلط عليها الاضواء لكشفها عسى ان تختفى من حياتنا ، وخاصة فى مجال القيادة الفكرية

الرسالة : العدد ١٠٤٢ ص ٣١

اكانت هذه الجائزة التقديرية للادب فرصة للتقدير الدقيق والنقد ذى الميزان الحساس ، الذى يكشف للشباب معالم المستقبل ، ويضع تحت نظرهم أسس التقدير الحق للرجال والاعمال فيكون ذلك لونا من النقد العالى ، والوزن السليم ، يعرف به الشباب ماذا ينبغى ان يفعل ؟ وكيف يصل ؟ وما الهدف الذى ترقبه الحياة من هذا الادب والفن ؟

وما سؤال هؤلاء السائلين الا صدى لشىء فى الانفس عن هذا التقدير والوزن ، وهو ما صرحت به الصحافة اليومية والصحافة الادبية نفسها فيما توج هذا القول من عباراتهما — وقد وعدت « الادب » فى العدد الماضى ان تجيب عن سؤال السائلين ، وهى بحيث تشعر بما تقوله الصحافة الادبية فى عبارتها السابقة ، من وجوب تسليط الاضواء لكشف ما يسود هذه اللجان من الاعتبارات عسى ان تختفى من حياتنا وخاصة فى مجال القيادة الفكرية .

من اجل ذلك تصدت « الادب » هنا لهذا الحديث من الفن والحياة

وقد آثرت الا ترسل فيه القلم ذلك الارسال الطليق يفسر هذه الحال ، ويعللها ويقترح ما يصلحها ، بل رات ان تشخص هذه الحال اولا ، ليرى الراءون مافى تساؤل السائلين من حيرة ، وما فى دعوى الصحافة اليومية من البلبلة بين الباحثين والعلميين ، وما فى اتهام الصحافة الادبية بالاعتبارات الشخصية .

وكان الطريق للتشخيص عندها هو أن تضع أمام القارىء ، فى تقابل متواز ما تصوره المشرع من ضبط للتقدير ، وكيف حاول التحديد ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وتولاه فى المذكرة التفسيرية لتشريع الجوائز التقديرية والتشجيعية جميعا ، ثم عهد به الى لجنة لتزيده تفسيرا وايضاحا وبيانا .. ثم كيف كان التنفيذ لهذا البيان والايضاح كله ؛ فاذا ما تراءى للقارىء فرق ما بين التشريع والتنفيذ ، قام العذر للسائلين ، وبدأ الحق مع المطالبين بتسليط الاضواء ، على اعتبارات هذا التقدير ، وحق القول بعد ذلك فى اللوم او المؤاخذة ، وفيما وراء ذلك من تسليطه الاضواء النفاذة الكافية للكشف والتحديد ، فيكون القول فى امر هذه اللجان بعد هذا كله قولا تعززه الواقعات ، وبقدر صحته يكون اعلانه حقا ، وتسليط الاضواء لكشفه واجبا اجتماعيا وفنيا .. واليك هذا التقابل المتوازى بين التشريع والتنفيذ لجائزة الادب التقديرية :

التشريع من مظانه الرسمية	التنفيذ ممثلا فى تقرير لمنح الجائزة
ا ــ ان يكون لمن يمنح الجائزة التقديرية مؤلفات او اعمال او بحوث سبق نشرها او عرضها او تنفيذها .	الاستاذ .. فلان ، رائدمن رواد النهضة الادبية الحديثة فى العالم العربى ، ساهم فى وضع اساسها ، وشارك فى معركة التجديد فيها . وهو صاحب منهج فى الكتابة تخرج عليه كثير من اصحاب القلم والفكر ، فى الجمهورية العربية المتحدة ، وفى سائر اقطار العربية . وهو منهج يتسم برعاية القيم الاصيلة لمجتمعنا العربى والاسلامى .
ب ــ أن يكون لهذا الانتاج قيمة علمية او فنية ممتازة ، وان تظهر فيه دقة البحث والابتكار .	وقد شمل نشاطه الذى عم العالم العربى نواحى ثلاثا . كان له فى كل منها آلاف التلاميذ الذين تأثروا بأدبه :

التشريع من مظانه الرسمية

يجب على لجنة الفحص **أن تبين فى تقريرها وجوه الامتياز ، وان تظهر القيمة العلمية الممتازة ونواحى الابتكار .**

ان يضيف الانتاج الى العلوم او الفن شيئا جديدا ينفع الوطن خاصة والانسانية عامة .

التنفيذ ممثلا فى تقرير لمنح الجائزة

فقد الف كتبا ، وترجم اخرى فكانت هذه وتلك مصدر ثقافة ومعين ادب للقراء زهاء اربعين سنة .

وكان له الى جانب ذلك مدرسته الصحفية فى ميدان الادب ، فقد ظل يصدر مجلة .. من سنة ١٩٣٣ حتى سنة ١٩٥٣ ، وفى هذه المدة كانت .. شعلة الادب التى اضاءت السبيل امام الشبان المتأدبين ، وحببت الادب الى قلوب القراء ، كما شجعت عددا كبيرا من الكتاب فى الاقطار العربية على ارتياد سبيل الادب والثقافة ، فكانت من عوامل الوحدة الادبية بين اجزاء المجتمع العربى .

كذلك كان له فضل اصدار مجلة ... التى مهدت السبيل لدعم الفن القصصى فى أدبنا العربى الحديث ثم هو ما زال يواصل جهوده فى ميدان الصحافة الثقافية عن طريق مجلة .. التى يشرف على تحريرها . كذلك نهض الاستاذ بعبء التعليم لتاريخ الادب العربى فى مدة غير قصيرة فى مصر والعراق ، فتخرج على يديه مئات من الطلاب الذين يعرفون فضله وينشرون أدبه .

والمتتبع لآثار الاستاذ .. يرى انه كاتب يعيش مع الاحداث ، **ويرتفع فوق التبعية** ويتجه بفكره وقلمه الى الاهداف الانسانية وفيما يلى ثبت بمؤلفاته يدل على جدارته وامتيازه .

المؤلفات : كتاب عام عن البلاغة وكتاب مثله عن اصول الادب ومجموع مقالات مما نشر فى المجلة وكتاب مدرسى فى تاريخ الادب العربى

والمترجمات : قصتان .

وبهذا التقابل المتوازى تقارن بين التشريع والتنفيذ ، **وتتمثل معانى الابتكار ، والامتياز** ونفع الوطن خاصة والانسانية عامة ، وكيف تمثلها الشرع ، وكيف طبقها المنفذ ! !

كما ترى البيان الذى أوجب الشرع ان تحققه اللجنة فى تقريرها ، عن وجوه الامتياز ، واظهار القيمة العلمية الممتازة ونواحى الابتكار ، وكيف كانت المؤلفات والمترجمات التى ذكرت مصدر ثقافة ، ومعين أدب للقراء زهاء اربعين سنة .. وكيف كان التعليم عبئا ، وكيف كانت كثرة المتخرجين على منهج الكتابة ، ومئات الطلاب عملا مبتكرا ممتازا ينفع الوطن خاصة والانسانية عامة .. وكيف كان الارتفاع على التبعية أمارة الامتياز والابتكار .

ولا عليك أن تقدر انت الشخص الذى قالت فيه هذه اللجنة ما قالت ، فقد يكون افضل من ذلك وغير ذلك ، ولكن حسبك ان تقدر فهم اللجنة للتشريع وتنفيذها اياه لترى الى أى مدى صح قول المطالبين بالحياد المطلق والتقدير السليم ، والى اى مدى وجبت الاستجابة للمطالبين بتسليط الاضواء على هذه الاعتبارات عند لجان التقدير ، عسى أن تختفى من حياتنا وخاصة فى مجال القيادة الفكرية .

عبد الأمناء

* * *

الى هنا وقعت المقال وطويت الورق ، وقيدته فى دفتر تسليم المواد للمطبعة ، واخرجته من مكتبى ليذهب به الرسول اليها وخرجت ، فاتفق ان جاء احد المخضرمين من الامناء ، بعدما خرجت فجلس لينتظرنى ، وهو لا يحجب ، فاذا هو يرى الدفتر والمقال فيه فيقرؤه ، ولا يكفيه ، ويرى انى جاء بالدفتر تقرير اللجنة عن الجوائز التقديرية ، فينظر فيه واذا هو يأخذ ورقا وقلما ويكتب الرسالة التالية :

سيدى الاستاذ

قرات مقالك عن جائزة الادب التقديرية فلم يكفنى ولم يشفنى ، وما اشك فى ان لى كل الحق فى ان اعقب عليه أو اكمله فاقول :

يا سيدى ، اذا كان هذا هو مبلغ فهمهم الامتياز والابتكار ، ومدى تقديرهم لما ينفع الوطن خاصة والانسانية عامة فهم غير ملومين على هذا الفهم المحدود ، والتقدير الضيق ، وليس فى هذا الا خطأ الفهم ، وتحدد الافق ، ومثل هذا لا يؤاخذ عليه الانسان فى حساب الاخلاق ، ولكن الشر كل الشر انما هو فى خيانة الضمير الأدبى للحقيقة وتشويهه التاريخ ، وانكاره الواقع ، فهل قرات يا استاذى صفحة ١٤ من تقريرهم وهى التالية مباشرة لصفحة ١٣ التى رجعت اليها فيما نقلته من تقديرهم ؟ ان فى هذه الصفحة التالية مباشرة لعجبا عاجبا من خيانة الضمير ، وانى لحريص على كشف هذه الخيانة فاضع امامك كما فعلت تقابلا متوازيا لجموح الضمير الادبى فى التقدير ، وهاك شيئا من هذا التقابل :

تقـــدير	وتقـــدير ! !
* فلان رائد من رواد النهضة الادبية الحديثة ساهم فى وضع اساسها ، وشارك فى معركة التجديد .	* اما التجديد الادبى لفلان الآخر ، فى الميادين المختلفة من بلاغة ، وتفسير ، ودراسة ادبية فيذكر بعضه بانه : قوم آراء القدماء ، ورأى انه يجب ان تتجه دراستها الى المجال الحيوى لتستمد منه روحها .
هكذا قالوا ، ولكن متى ؟ واين ؟ وبم ؟ وكيف ؟	
لم يقولوا شيئا ولن يجدوا ما يقولون .	وهذا عندهم لا يوصف بأنه تجديد ! !
	واما الاكتواء بنار التجديد ؛ والثبات لها فى معركة لم تطل طولها ولم تشتد شدتها معركة فى حرية الفكر
	فهذا لا يذكر عندهم بشىء !!
* فلان صاحب منهج فى الكتابة تخرج عليه كثير من اصحاب القلم والفكر فى الجمهورية العربية المتحدة وفى سائر الاقطار .	* اما تصحيح فلان الآخر للمناهج الادبية الخاصة والمناهج العامة فى الدراسة الاسلامية ، ووضع مناهج محررة يطبقها الدارسون ، ويبثها الكاتبون فى مصر والعواق فهذا لايذكر عندهم بشىء ما !
هكذا قالوا ، اما ماهذا المنهج ؟ وما طابعه ؟ وما انسه ؟ فلاشىء عنه الا انه يتسم برعاية القيم الاصيلة لمجتمعنا العربى والاسلامى !	
ولكن أين فى التاريخ مهاجة اسلوب فلان هذا فى الكتابة مهاجمة شديدة من مثل الاستاذ انور المعداوى ـ عافاه الله ـ وما انتهى اليه الامر من ترك الاستاذ مجلته له يبث فيها شيئا من الفن والحياة ، شعار الامناء الذين كان المعداوى من طلائعهم !	
* الف فلان كتبا وترجم اخرى وهذه الكتب كما سموها منها ما حطمه الشباب نقدا ، كالدفاع عن	* اما كتب فلان الآخر التى تؤلف مكتبة ادبية متكاملة واما الابحاث الاكاديمية فى المؤتمرات الدولية ، والتى

تقـــدير

البلاغة ، وما عداه لم تمتد اليـــه يد دارس فى كلية ولا معهد .

وترجم قصتين فصارتا كتبـــــا احرى وهذه وتلك هى التى صـــارت عندهم مصدر ثقافة ومعين ادب للقراء زهاء أربعين سنة !!

ورحم الله حمزة الخجل

* كان لفلان مدرسته الصحفية فى ميدان الادب باصدار مجلة ...

ونعـرف أنها كانت مجلة مدرسى التعليم الاولى لكنها فى التقدير :

شعلة الادب التى أضاءت السبيل امام الشبان !!

* فلان أصدر مجلة لنشر قصص الناس فله فضل بهذا الاصـــدار ، والمجلة مهدت السبيل لدعم الفـــن القصصى فى ادبنا .

وكلنا نعرف انها ماتت فى عمـــر الوليد الحديث !!

وتقـــدير ! !

تترجم فى الشرق كفارس ، وفى أوربا كروسيا فهـــذه كلها لا تذكر بشىء الا سردا لتدل عندهم على تنـــوع الانتاج .. والجهود المتصلة فى ميدان المعرفة ..

وخذ بالك : المعرفة .. لا اكثر

وفى حديثهم عن كتب فلان الاخـــر هذا يقولون :

*

اما الفقه فقد ترجم فيه لاحـــد رجاله ..

وبارك الله فيهم فترجمة الشاعر شعر ما دامت الترجمة لفقيه تعد فى الفقه !!

* أما هؤلاء الإمناء : مدرســـة الفـــن والحياة ، التى كتب اسمها أمامهم فى أعلى الصفحة .

واما ابناء هذه المدرســـة الذين يوجهون الدراسة الجامعية فى مصر والشرق العربى ، ويتولون المراكـز الرئيسية فيها وفى وزارات المعارف أيضا .

اما كيف هذا فليس مدرســـة فى ميدان الادب كاصدار مجلة !!

* اما تأليف فلان الاخر للمسرح منذ نحو نصف قرن فليس بذكر .. ولا هو مهد السبيل لشىء !!

تقـــدير	وتقـــدير ! !
* فلان نهض بعبء التعليم لتاريخ الادب العربى ، فى مدة غير قصيرة فى مصر وفى العراق ، فتخرج على يديه مئات من الطلاب . وهذا النهوض بالعبء بمصر كان فى الجامعة الامريكية ، ووقتا فى العراق انتهى بالفرار من هناك .	* اما تعليم فلان الآخر ربع قرن فى الجامعة ، واما تعليمه فى معهد الدراسات العليا للمدرسين سنين ، واما تعليمه فى معهد الدراسات العربية العالية ، ومعهد الدراسات الاسلامية ، وتعليمه فى كليات الازهر وتخصصه بضعة عشر عاما . اما هذا كله فلا يخرج احدا على يد فلان الآخر ، يعرف فضله وينشر ادبه .

* * *

أى تاريخ هذا للحياة الادبية ، التى لا يزال شهودها احياء ؟ ! واى ضمير أدبى هذا الذى يجرؤ هذه الجراة ؟ ! ولا تقل اى تقدير ، واى نقد عال كما يقول السائلون الذين سألوا الادب !! لو كان للفن حرمة تقيم له محكمة أمن لطالبت بتقديم هؤلاء المقدرين اليها لينالوا جزاءهم على خيانة الضمير الأدبى ، والعبث بتاريخ الادب ، واظن ان الحياة ستجد الوسيلة يوما ما لاقامة هذه المحكمة .

سيدى الاستاذ

كتبت هذا واوقعه « عن الامناء » لان الامناء مثل المؤمنين : يسعى بذمتهم أدناهم .. وليس فيهم ، ولله الحمد أدنى واعلى ؛ وبهذا الحق أوقع باسم الامانة « عن الامناء » .

وان خرجت قبل أن تعود واراك فانى أطلب بحق الامانة ان تلحق هذا بمقالتك التى قراتها ، وأن تدعنى اقول الحق ، ولو كنت انت أو اى شخص موضوع هذا القول ، فالساكت عن الحق شيطان اخرس ، كما نسمع منك .. وحين تتبع بها مقالتك ستحفظ لى حتما حق التوقيع .

* * *

واتفق أن خرج السيد الامين قبل أن اعود ، وكان ضيق الوقت لا يسمح بانتظار فنزلت على ارادته ، وكتبت ما خطه فى ورقته ، وهاأنذا أحفظ له حق التوقيع .

« عن الامناء »

الشعر الانجليزى

فى القرن العشرين

بقلم المرحوم

الاستاذ الدكتور محمود السعران (١)

- ١ -

منذ حوالى قرن ونصف ودع الشعر الانجليزى الحدائق التقليدية التى سما بها الى ذروة الكمال دريدن (١٦٣١ - ١٧٠٠) وبوب (١٦٨٨ - ١٧٤٤) واصابه فتور مالبث ان خرج منه مجدد الدم والروح باسم الرومانتيكية ، رومانتيكية « بليك » و وردسورث ، وكوليردج ، وكيتس وسائر رفاقهم .

ولكن هذا البناء الرومانتيكى اخذ فى التصدع منذ أواخر العصر الفيكتورى . وعندما اهل القرن العشرون كانت حياة المجتمع الانجليزى آخذة فى التغير من كل وجه ، ثم كانت رجة الحرب العالمية الاولى ، فسنوات « سلم » انتهت بالحرب العالمية الثانية . حقا ان كل عصر عصر نقله ولكن الخمسين سنة الماضية فى تاريخ الشعر الانجليزى قد شهدت مالم يشهده عصر من قبل ، كثرة تغيرات وتعقدها ، واصطخاب تيارات وتعارضها ، وتزاحم تجارب فردية وتنوعها . وهذه التغيرات والتيارات والتجارب حركات مست الشعر وظيفة ، وشكلا ، وموضوعا . وهى على الرغم من كثرتها وتعارضها وتنوعها الا انه من الممكن اجمالها فى ثلاث حركات رئيسية متشابكة متعارضة وان تكن ظهرت على هذا النسق :

الحركة الاولى استمرار لرومانتيكية القرن التاسع عشر الطبيعية فى شكل غنائى ملطف (١٩٠٠ - ١٩١٤) .

والحركة الثانية ضد الرومانتيكية وهى حركة عقل وتهكم وهجاء واستبطان (١٩١٤ - ١٩٣٤) .

---

١ - كانت هذه المقالات قد جاءت «الادب» منذ حين ، على يد احد تلامذة الاستاذ المرحوم فلم ترتح الى تلقيها عن هذا الطريق ، واثرت ان يكون التلقى عن صاحبها مباشرة

واليوم وقد اختطف القدر الاستاذ الشاب النابغ فان «الادب» ترضى بنشر هذه المقالات احياء لاثره ، وتذكيرا بفضله ، وتحية لروحه فى دار الخلد ، من الناقل عنه ، ومن الناشرين عن هذا النقل

اما الثالثة فانها تجنح للبساطة ، والاحلام ، والرؤى ، وهى مؤدية الى رومانتيكية جديدة (١٩٣٤ —)

١ — ونبدأ بالحديث عن جماعة الشعراء الذين جمع شعرهم تحت اسم « الشعر الجورجى »
Georgian Poetry

(١٩١١ — ١٩١٢) . لم يخرج هؤلاء الشعراء على الماضى ، ولكن فى عمل اكثرهم جدة وشركة فى الهدف أما الجدة ففى احياء القوة الفنائية ، واما الشركة فى الهدف ففى الاحتجاج على وطأة حضارة متغيرة . وصرخة جون ماسفيلد John Maxfield (١٨٧٥ —) «ان لندن سجنى» تجمل موقف هؤلاء الشعراء من العصر الآلى فحياة المدن عند الجورجيين ضرورة يؤسف لها ، والعصر الآلى بالنسبة اليهم عصر تافه ، واصطناع آخيلة من الهندسة واشباهها امر مقيت لديهم كل المقت . ومن هنا كان تصوير بعضهم مثل جيبسون Wilfrid Wilson Gibson .

(١٨٧٨ —) لما تعانيه الطبقة العاملة من مرارة الفقر ، وآلام الحاجة ، وسائر صنوف الضائقات ، فـ « جيبسون » يصور فى مجموعته الشعرية المسماه « الخبز اليومى » Daily Bread (نشرت سنة ١٩١٠) ، نسوة عمال المناجم وعمال السكك الحديدية ، والفحامين عندما يواجهن المرض والميلاد والممات وغير هؤلاء من الحادثات . ومن ثم كان فرار الجورجيين الى الطبيعة ثورة عامدة على الاتجاهات الصناعية فى ايامهم ، وكان هذا عندهم الوظيفة الاجتماعية للشعر فى القرن العشرين .

كان الجورجيون يفكرون فى الريف وهم فى المدينة وكانوا يتخذون من المناسبات العارضة التافهة سبيلا الى الفرار ، ومن امثلة هذا ان جيبسون كان فى يوم حار يراقب من مكتبه جمالا ينقل الثلج ، فنقله هذا الى جليد المنطقة القطبية وحيواناتها

ولقد كانت بين الجورجيين اتجاهات رومانتيكية اخرى ، مثل حب الطير والحيوان ، هذا الذى يظهر باجلى صوره فى شعر دافيز
William Henry Davis

(١٨٧١ — ١٩٤٠) ومثل حب اهل الريف وحب الاطفال وكالوطنية المحلية او الاقليمية التى اخذوها عن هاردى Thomas Hardy
(١٨٤٠ — ١٩٢٨) وكبلنج
Rudyard Kipling
(١٨٦٥ — ١٩٣٦) وهوسمان
Alfred Edward Housman
(١٨٥٩ — ١٩٣٦) ويتس
William Butler Yeats

أمثلة النزعة الاقليمية بين الجورجيين مديح درينكواتر
John Drinkwater
(١٨٨٢ — ١٩٣٧) للميدلاندز
Midlands
وشعر بروك Rupert Brook
(١٨٨٧ — ١٩١٥) عن كامبردج وتغنى بوتوملى Gordon Bottonley
(١٨٧٤ — ١٩٤٨) وجيبسون بالشمال

٢ — بعد مجموعة الشعر الجورجى (١٩١١ — ١٩١٢) ظهرت اربعة دواوين شعرية فيما بين ١٩١٤ ، ١٩١٧ لشعراء سموا انفسهم بـ « الايماجيين » « الصوريين » Imagists ولقد كان ازرا بوند هو الذى اخترع كلمة Imagists .

كان ابرز اعضاء المدرسة الايماجية ثلاثة من الانجليز هم هولم T. E. Hulme وقد قتل فى الحرب العالمية الاولى وفلنت F. S. Flint وريتشارد الدنجتون Richard Aldington (١٨٩٢ ـ) وثلاثة من الامريكيين هم ازرا بوند Ezra Pound (١٨٨٥ ـ) هيلدا دوليتل Hilda Doolittle وآمى لوول Amy Lowell (١٨٧٤ ـ ١٩٢٥) .

وقد ظهرت الايماجية عن ناد شعرى اسسه هولم سنة ١٩٠٨ وعن خطط متتابعة تهدف الى خلق ثورة فى الشعر الانجليزى عن طريق النظم الحر وعن طريق الملاءمة بين التانكا Tanka و« الهوكو » Hokhu اليابانيتين وبين الشعر الانجليزى

لم يكن هولم نفسه شاعرا (وان يكن ازرا بوند قد نشر له ضمن عمله المسمى Ripostes سنة ١٩١٢ خمس مقطوعات عدد ابياتها ثلاثة وثلاثون) ولكن الدافع العقلى للحركة قد صدر عنه فمؤلفه المسمى « تأملات » Speculations يعتبر الاساس الجمالى للحركة . كان هولم « برجسونيا » يشك فى المنطق ، ويبشر بصدق البصيرة ، ولذا فقد كان يتشدد فى المطالبة بدقة التعبير . وقد تأثر هولم بكتاب « مشكلة الاسلوب » Problème du Style لـ ريمى دى جورمون Remy du Gourmont فأحيا عبارة «الكلمة» هذه العبارة التى ينبع منها معظم الشعر الحديث . ولما كان هولم ضد الرومانتيكية فقد احس كما احس فورنجر Worringer فى المانيا ان الحياة الحديثة قد جلبت عدم الوفاق بين الانسان والطبيعة . كما انه كان دائم الهجوم على حركة الانسانية Humanism التى قدمها عصر النهضة وانتشرت منذ روسو اذ انها جعلت الانسان مقياس كل شىء . .

وتتلخص مبادىء المدرسة الايماجية فى اربعة امور :

١ ـ المعالجة المباشرة للموضوع .
٢ ـ الاقتصاد فى العرض .
٣ ـ نظرية خاصة « بالصورة » .
٤ ـ استعمال الايقاع العضوى . Organic rhythm

كان الايماجيون يسعون الى تقديم الموضوعات لحظة تأثيرها فى الادراك بحيث تصور كل ما فى الانفعال المباشر من شدة . اى انهم كانوا يعنون بالانطباعات الحسية Sensational impressions وكانوا يطمحون الى « الشعر الخالص» Pure Poetry الذى اكثر من الكتابة عنه فى فرنسا ابيه بريمون Abbé Brémond بول فاليرى Paul Valéry

ولقد كان تصورهم هذا من العوامل التى ابعدتهم عن الموضوعات القصصية والتعليمية ، والوصفية ، كما كان من العوامل التى صرفتهم عن القصيدة الطويلة . كان « الايماجيون » يرغبون فى ان يجعلوا كل عبارة صورة محسوسة ، ولهذا فقد اهملوا الافكار قال ازرا بوند : «احذر التجريدات» اى استعمل صورا محسوسة لها صلابة الحجر المقطوع ، وقال : لا تحاول الشعر الفلسفى أو الوصفى»

قدمنا ان نظرية الايماجيين دعتهم الى انتاج قصائد قصار ونضيف الى هذا ان جملة من خير شعرهم مقطعات لا تبلغ الواحدة منها ستة ابيات ؛ يغلب عليها انها تصويرية وانطباعية ،

ومنظومة على نمط «التانكا» و«الهوكو» اليابانيتين و « التانكا تتكون من ٣١ مقطعا فى خمسة اسطر « ٧٧٥٧٥ » و « الهوكو » من ١٧ مقطعا فى ثلاثة اسطر « ٥٧٥ » ولكن عندما وضعت التجربة بعض الايماجيين فى دائرة واسعة من الانفعالات والعواطف ، فان النظرية الاصلية افسحت الطريق لتطبيق اكثر تحررا عندما اتخذ شعراء مثل بوند ، والدنجتون وريد Herbert Read طرقهم الخاصة . ولكن هذا الرجوع الى القصيدة الطويلة ظهرت فيه طريقة جديد ، فقد حل تداعى المعانى ، والرمز والكتابة محل التسلسل المنطقى lorgical sequence او الزمنى chronological sequence

اما نظرية الايماجيين فى الايقاع فقد ظهرت ظهورا طبيعيا نتيجة لرغبتهم فى التعبير الواضح وذكرت مس لوول ان قصائدها « مبنية على على الايقاع العضوى ، على ايقاع الصوت المتكلم الذى يحتاج الى التنفس ، اكثر من كونها مبنية على نظام وزنى صارم ، وهى تختلف عن ايقاعات النثر العادية فى كونها اشد تموجا ، وفى انها تحتوى على قدر اكثر من الارتكاز . Stress

ولقد كان « ازرا بوند » خير مطبق لهذه النظرية بينما كانت مس لوول خير كتابها .

٣ ـ ظهرت بعد مجموعة اشعار الجورجيين ومجموعة اشعار الايماجيين مجموعة ثالثة تشهد بتنوع الحلول الشعرية لمشكلات العصر . وهذه الاشعار كانت تنشر فى مجلة Wheels التى كانت تصدر سنويا فيما بين ١٩١٦ ، ١٩٢١ اى اثناء الحرب العالمية الاولى وبعدها . كان اكثير من شعراء هذه المجلة يشتركون فى خصائص معينة تحت تأثير اديث سيتول) ومن هنا أصبحت هذه الجماعة تعرف بـ جماعة « سيتول » (١)

كانت جماعة سيتول تكره المدنية كما كان يكرهها الجورجيون ولكنهم لم يتخذوا الطبيعة علاجا لهم كما صنع الجورجيون ، فجماعة سيتول كانت تكره الحياة نفسها ، وتمقت خبثها ، وتبغض الموت المهدد ابدا ، ومن ثم كان معظم الشعر الوارد فى Wheels يتخذ مصدا له الفن اكثر من ان يتخذ مستمدا له الحياة نفسها

فهم قد استلهموا الادب الفرنسى وفى شعرهم اخذ من بودلير Bandelaire وفيرلين Verlaine واستوحوا منه الرسم المعاصر ، والطريقة التكعيبية Cubism بخاصة . ان عمل جماعة سيتول اساسه يأس روحى فشعرهم فى جملته نفور من العالم الخارجى

---

(١) من اشهر افراد هذه الجماعة غير « اديث » اخواها اوزبرت Osbert وشاشفرل Sacheverell ونانسى كونراد Nancy Cunrad وارنولدجيمس Arnold James وايريس ترى Iris Tree وهيلين روتهام Helen Rootham وشيرار فينز Sherardvines والان بورتر Alan Porter ولقد سلكت نخبة من هؤلاء فيما بعد طرقا مختلفة .

واحلال عالم فذ من الوهم محـــله يبـــدو ان خالقه الاصيل كان اديث سيتول .

٤ ــ بعد هذا العرض الموجـز لهذه المدارس الشعرية الثلاثة نأخذ في الحديث عن ثلاث شخصـــيات لاتنتمى الى مدرسة شعرية واحـدة ولكنها قامت بمحاولات مختلفة لاقرار العالم المتداعى ، عالم الحرب والسلم عن طريق الفلسفات الفردية فى الحياة هذه الشخصيات التى تعد من عمـد الشعر الانجليزى الحديث هى هربرت ريد (١٨٩٣ ــ) Herbert Read

و د.هـ . لورنس
David Herbert Laurence
(١٨٨٥ ــ ١٩٣٠) و ت.س.اليوت
Thomas Sterans Eliot

ولقد كان لهؤلاء الثلاثة صـــلات بالايماجيين ولكن كلا منهم سلك طريقا خاصا فيما بعد ، فى بحثه عن شىء اكثر من مجرد « المطلق الشعرى »

للدراسة بقية

رواية : عبد العزيز عبد ربه ، والعهدة على الراوى

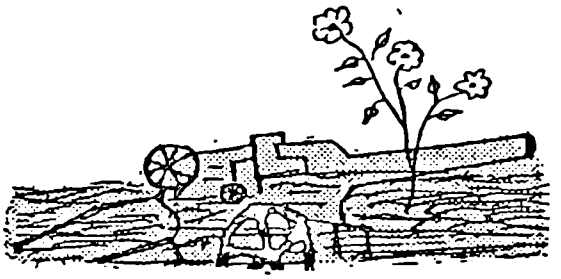

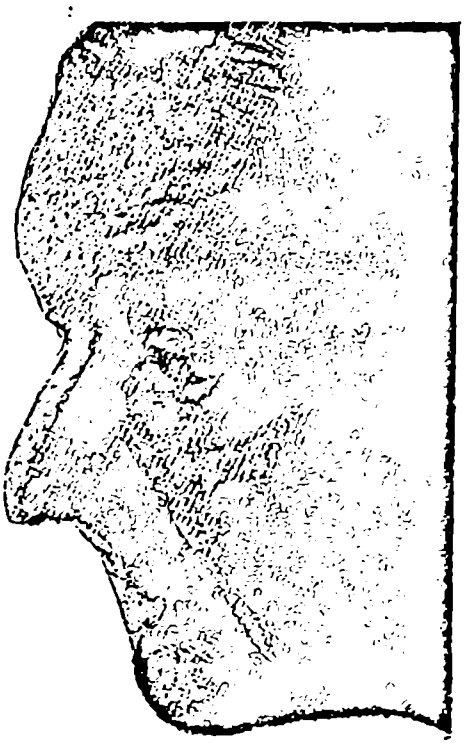

الأرض اليباب

تقديم بقلم : هيوكينز
ترجمة : ماهر شفيق فريد

كتب اليوت مسودة (الارض اليباب) وهو مريض يقضى فترة النقاهة فى مارجيت ولوزان خلال خريف ١٩٢١ . وهكذا صدرت القصيدة عن ناقه يحس احساسا قويا بان موارد الحضارة الاوربية بعد عشرين قرنا من الزمان قد اشرفت على النضوب ، وان اوربا تدهورت بعد الحرب ، كما يعانى من ظروفه الصحية وعبوديته لوظيفته كموظف فى احد بنوك لندن . وقد وضع اليوت على صدر قصيدته عبارة من رواية كونراد المسماه (قلب الظلمات) هذا نصها : « الرعب .. الرعب ! » حتى اذا ذهب الى باريس عرض القصيدة على استاذه ازراباوند الذى قال : «لقد وضعت الارض اليباب امامى على اساس انها مجموعة من القصائد .. وقد نصحته بما ينبغى ان يحذفه منها » .. ويصف اليوت قصيدته التى عرضها على باوند بأنها « قصيدة منبسطة مشعثة بارحت يديه وقد هبطت الى نصف حجمها : اى بالشكل الذى تظهر به مطبوعة » . ولقد صاغ مخطوط القصيدة المصدر بعبارة كونراد والذى اجرى فيه باوند اصلاحاته بقلم ازرق اللون . على اننا قد نستطيع من ثلاث رسائل متبادلة بين باوند واليوت ان نتصور شكل القصيدة الاصلية . وترينا هذه الرسائل ان اليوت كان لايزال مترددا فى الاخذ ببعض نصائح باوند ، وان تعديلات باوند لم تكن قاصرة على الالفاظ وحدها وانما كانت تشمل ايضا اضافة او حذف اجزاء كاملة من القصيدة .

وقد كانت قصيدة اليوت الاصلية تحوى قطعة عن سيدة عصرية تتناول طعام الافطار فى فراشها ، وقطعة اخرى طويلة عن حطام سفينة من وحى قصة بوليسيز كما وردت فى جحيم دانتى . وقد رضى اليوت بحذف

هاتين القطعتين دون معارضة ولكنه حاول الابقاء على بعض المقطوعات الغنائية التى راى باوند حذفها . وعندما انتزع باوند هذه المقطوعات من صلب القصيدة اقترح عليه اليوت وضعها فى نهاية القصيدة ، ولكن باوند كتب اليه قائلا : « ان القصيدة الآن تبدأ بكلمة « ابريل » وتنتهى بعبارة « سلام يفوق عقل » بلا توقف ، وهذا يستغرق ١٩ صفحة . لنقل انها اطول قصيدة فى اللغة الانجليزية فلا تحاول ان تزيدها ثلاث صفحات اخرى » .

وكان اليوت يريد ان يجعل من مطلع قصيدته (جيرونتيون) مطلعا للارض اليباب ، ولكن باوند نهاه عن ذلك ، كما اقنعه بحذف عبارة كونراد السالفة الذكر ، ونصحه بالابقاء على المقطع المسمى (الموت غرقا) . ولحسن الحظ استجاب اليوت لهذه النصائح كلها .

ونحن نعلم ان اليوت قد ذيل قصيدته بحواشى يشير فيها الى المصادر التى اخذ عنها ابياته او مواضع الاقتباس . وكانت هذه الحواشى آخر مظهر من مظاهر التعقيد الذى اكتنف نشر هذه القصيدة الفريدة . لقد نشر اليوت قصيدته ــ فى مبدأ الامر ــ بلا حواشى فى (الكريتريون) و (الديال) (اكتوبر ونوفمبر ١٩٢٢) ، ولكنه اضاف اليها الحواشى حين نشرها فى شكل كتاب ، وقال فى تفسير ذلك انه كان ينظر بعين الاعتبار الى نقاد قصائده الاولى ممن اتهموه بالسرقة الادبية ، وهكذا افاض اليوت فى حواشيه فى الحديث عن (اوراق التاروث) التى عثر عليها فى كتاب (من الطقسى الى الرومانس) لجيسى . ل . وستون ، ونقل تسعة عشر بيتا من اوفيد ، وثلاثة وثلاثين كلمة من كتاب تشامبان عن طيور شرق امريكا الشمالية ، واثنى على مدخل كنيسة سانت ماجنوس مارتير ، وحيا المرحوم هنرى كلارك وارين باعتباره من اعظم رواد الدراسات البوذية فى الغرب ، ولفت انظار القراء الى هلوسة احدى بعثات استكشاف القطب الجنوبى قائلا : « لا اذكر ايها ولعلها ان تكون احدى بعثات شاكلتون » ثم ساق مقتطفات من فرود وبرادلى وهرمان هيس . ولقد قال اليوت « فكرت احيانا فى التخلص من هذه الحواشى ولكنى لا اجد الآن سبيلا الى نزعها . ولقد نالت هذه الحواشى شهرة اكبر من شهرة القصيدة نفسها وكان من الحق ــ ولا شك ــ ان اقر بما ادين به لكتاب المس جيسى . ل. وستون ولكنى آسف حقا على انى ارسلت بقصيدتى عددا كبيرا من الباحثين عن اوراق التاروت وجريل المقدسة وكأنهم خرجوا لصيد اوزة برية ! » وهكذا يجيز لنا اليوت نفسه ان نهمل هذه الحواشى ونفهم القصيدة من غيرها . واذا كان مثل هذا التصرف يقتضينا قدرا كبيرا من الشجاعة فى مواجهة الدارسين واساتذة الادب فانه لمما يشجع حقا ان يقول باوند : (لقد رايت القصيدة ولكنى لم ار هذه الحواشى الا بعد ذلك بستة او ثمانية اشهر ، ولم تزد هذه الحواشى من استمتاعى بالقصيدة مثقال ذرة . ان القصيدة تبدو لى وحدة عاطفية) ويستطرد باوند قائلا (انى لم اقرا) من الطقسى الى الرومانس » لمس وستون ، ولا ارى قراءته فى الوقت الحاضر . واما عن الاقتباسات فليس يعنينى مثقال ذرة ان اعلم ايها من اى وايها من ملتون او مدلتون او وبستر او اغسطين .

فمتعة المرء بقراءة « الارض اليباب » لن يؤثر فيها ان يكون وبسيتر هو مؤلف « النساء قبل المراة » او ان يكون مارفل هو كاتب « التحولات »)

تصلح (مباراة شطرنج) ـ ثانى مقاطع القصيدة ـ لان تكون نقطة الانطلاق . ان الشطرنج يحوى وزراء وعساكر : اى انه رمز ساخر لتفاوت الطبقات . والشطرنج صراع صامت :

حدثنى . فيم سكوتك دائما ؟ حدثنى
فيم تفكر ؟ اى تفكير هذا ؟ اى تفكير ؟
انا لا اعلم ابدا فيم تفكر ، ففكر .

وكل شىء فى المباراة مداره الملك : اضعف قطعة على لوحة الشطرنج ولكن اليوت يتحول بانتباهنا الى سيدة مترفة تتزين فى غرفتها كالملكات

كان الكرسى الذى اقتعدته ـ كمثل العرش المصقول
يلمع على الرخام . وقد قامت المرآة
على قوائم تطعمها العرائش المزدهرة
واطل منها كيوبيد ذهبى صغير
(ووارى آخر عينيه خلف جناحه)
فتضاعف لهيب الشمعدان ذى السبعة افرع
وانعكس الضوء على المنضدة بينا
ارتفع بريق حليها الى لقياه
من علب الساتان الذى تدفق فى فيض غنى .

وهذه السيدة المترفة التى يلمع كرسيها كالعرش المصقول تشبه كليوباترا التى كان قاربها يلمع على وجه المياه . على انه ليس فى غرفة هذه السيدة شىء طبيعى : فالعرائش المزدهرة منقوشة ، وكيوبيد ذهبى ، والضوء ليس مبعثه الشمس ، والعطور صناعية ، والشمعدان ذو سبعة أفرع كشمعدانات هياكل الكنائس ولكنه لا يؤدى اى وظيفة دينية ، والدولفين منحوت وهو يسبح فى « ضوء حزين » . وفى هذه الغرفة المغلقة نجد :

اشكالا محملقة

وقد مالت الى الامام ، متكئة ، وبطنت الغرفة المغلقة بالصمت

ثم يأتى زائر للسيدة ، وهو ـ ككل زائرى اليوت ـ يرتقى درجا :

قد تثاقلت الاقدام على الدرج

ويدور الحديث بين الاثنين :

ترى ما عسى هذه الضجة ان تكون ؟
انها الريح تحت الباب
وما عسى هذه الضجة التى تتعالى الآن ان تكون ؟ ماذا تفعل الريح ؟
لا شيء . مرة اخرى لا شيء تفعله .
الا تدرى شيئا ؟ الا ترى شيئا ؟ الا تذكر شيئا ؟
أما انا فاذكر

قد كانت هاتان اللؤلؤتان عينية .

وهكذا فالمراة مريضة بالاعصاب ، وهى تسمع اصواتا لا وجود لها الا فى مخيلتها . لقد قال الفيلسوف ف . هـ . برادلى ـ وهو الذى اعد اليوت رسالة الدكتوراه عنه ـ : (ان تجاربى تقع داخل دائرتى الخاصة ، وهى دائرة مغلقة على الخارج) . ومغزى هذا الكلام ان الاتصال متعذر بين هذه السيدة وبين زائرها ، فكلاهما يضرب فى بيدائه ولا يستطيع ان يفهم صاحبه . وفى هذا الفراغ لا يملك الاثنان الا ان يتساءلا :

ترى ما عسانا نفعل غدا ؟
ترى ما عسانا نفعل الى الابد ؟
الا فهو الماء الساخن فى العاشرة
وهى العربة المغلقة فى الرابعة اذا هطل المطر
ولسوف نلعب مباراة شطرنج
مطبقين عيونا لا جفون لها ، مترقبين طرقة على الباب .

واذا ما نحن تحولنا عن الوزراء الى العساكر وجدنا ان الحياة السفلى ليست أقل زيفا وابتعادا عن الطبيعة من هذه الحياة الارستقراطية فاليوت يقدم لنا امراتين سوقيتين تتحدثان فى بار ، وتتردد فى حديثهما كلمات الاسنان الصناعية وعمليات الاجهاض والصيدلى والمراة التى يريدها زوجها ان تتجمل له وتبدو فى غير هيئتها الحقيقية .

ولنعد الان الى الجزء الاول من القصيدة : (دفن الموتى) . ان اليوت يبدؤه بقوله :

ابريل اقسى الشهور ، فهو ينبت
الليلج من الارض الميتة ، ويمزج
الذكرى بالرغبة ، ويجعل
الجذور الخاملة تنبض بأمطار الربيع .

واليوت بهذه الابيات يعارض قول تشوسر :

عندما تنهمر شآبيب ابريل العذبة
وتخترم جُدب مارس لتخترق الجذور
وتغسل كل عرق بالعصارة الحلوة
تلك التى تنبت منها الزهور ..
عند ذلك يتوق الناس الى الشروع فى رحلات الحج ..

وهكذا فالربيع الذى كان عند تشوسر فصل التجدد والحياة والبعث اصبح رمزا للقسوة فى قرننا العشرين . ابريل قاس لان الحياة تتولد فيه من الموت ولانه يعذبنا بذكريات الماضى الذى لن يعود . وقديما كان الربيع عند تشوسر ايذانا بخروج الحجاج الى رحلات الحج المقدسة . اما اليوت فلا يرينا حجاجا وانما يعرض علينا مجموعة من السائحين الاوربيين الكسالى الثرثارين فى وسط اوربا بلا وطن ولا هدف .

لقد توقفنا فى بهو الاعمدة
وخرجنا الى ضوء الشمس فى الهوفجارتن
وشربنا القهوة وتحدثنا ساعة من الزمان
وفى غمرة هذا الضياع تصيح امراة :
ما انا بالروسية ، وانما انا المانية من لتوانيا

مما يوحى باختلاط الاجناس والسلالات فى اوربا بعد قيام الحرب ، وبقاء الكبرياء القومى رغم ذلك ، كما ان فى صيحتها مزيجا من الذكرى والرغبة اللذين يبتعثهما الربيع . وهناك فتاة اخرى تسترجع ذكرياتها

وعندما كنا صغارا نقيم فى بيت الارشيدوق
ابن عمى ، اخذنى فى زلاقة
حتى ملأنى الخوف وقال : مارى
مارى : احكمى قبضتك عليها .. ثم انزلقنا .
فى الجبال يحس المرء بالحرية

انى لاقضى شطرا طويلا من الليل فى القراءة وامضى جنوبا اذا جاء الشتاء .

فكلمة (الارشيدوق) تذكرنا بمجد الامبراطورية النمساوية المجرية الغابر . وخوف الفتاة مارى من الانزلاق يوحى بخوف الانسان الاوربى من السقوط . ولا هدف جدى من مغامرتها فى نهاية الامر . ثم يقول اليوت :

ترى ما عسى هذه الجذور المتقبضة ان تكون ؟ واى الاغصان يمكن ان ينمو :

من بين هذه الانقاض الصخرية . يا ابن آدم
ليس فى مقدورك أن تعرف ولا ان تحدس . انت لا تعرف غير
كومة من الصور المكسورة والشمس تسفعها
ان الشجرة الميتة لا تصلح فيئا ، والجندب لا يجلب الراحة
والصخر اليابس لا يبعث خرير الماء

ويلاحظ ان عبارة (كومة من الصور المكسورة) تذكرنا باطلال المدن التى انقطع ورود الماء اليها حتى بادت واندثرت كمدن شمال افريقيا او قرطاجنة القديس او غسطين . وكومة الصور المكسورة يمكن ان تكون ايضا رمزا للصورة المشوشة التى ترتسم فى وعى الانسان الحديث لاثار شكسبير وهومرورسوم ميكائيل انجلو وروفاييل .

ان امثال هذه العبارات تتماوج فى ذهن الانسان الحديث : اكون او لا اكون تلك هى المسألة ، هاتان اللؤلؤتان كانتا عينيه ، لمسة من الطبيعة الله يخلق الشمس والقمر الخ .. لقد اصبح الرسم فى عالمنا مجموعة صور مكرورة طبق الاصل ، واصبح الادب خليطا من المقتطفات ، كما اصبح التاريخ مجموعة من النظريات والمواقف والاوضاع : تلسكوب لسون ، واشنطن يعبر خليج ديلاوير ، حكومة من الشعب للشعب بواسطة الشعب الكوليزيوم ، الجيلوتين ، الخ .. وهكذا فكما ان المدن تقوم على انقاض سابقاتها ، فان (الارض اليباب) تقوم على انقاض سابقاتها من القصائد وابن آدم — فى غمرة هذا الخراب — لا يفتأ يتحرك بلا كلل نحو الشرق : اى نحو روسيا (هلم تحت ظل هذه الصخرة الحمراء) ولكنه لايجد غير الخوف . ثم نحن نلتقى فى القصيدة بفتاة السنابل البرية ، وهى تتحدث فى سرعة وبساطة والم ، وكانها اوفيليا (هملت) التى اصابها الجنون :

قد اهديتنى السنابل البرية ، لاول مرة ، منذ عام
وقد اطلقوا على اسم فتاة السنابل البرية

فهى تتحدث كالاطفال ، ولعلها كانت تندب حظها العاثر بكلماتها هذه او لعل الكلمات كانت تتردد فى مخيلتها .

اما رد الفتى عليها فيؤلف طبقات متعددة من الاحاسيس :

— وعلى الرغم من ذلك فعندما تاخرنا فى العودة من حديقة السنابل البرية

وقد امتلأ ما بين ذراعيك بها ، وابتل شعرك ، لم يعد فى مقدورى
الكلام فخفضت عينى . لم اكن
بالحى ولا بالميت ولم اكن ادرك شيئا
فقد كنت انظر فى قلب الضوء ، السكون ..

ان حديث الفتى هنا شهوانى فى جوهره ، على أن فيه تجربة صوفية تكاد تشفى على حد الدنس . وحديقة السنابل البرية اشبه ما تكون بخميلة ضائعة كان يؤدى فيها طقس دينى . لقد امتلأ ذراعا الفتاة بالزهور وابتل شعرها وهى تمارس هذا الطقس ولكننا لانعلم عن كنهه شيئا . والاهم من ذلك أن هذه الفتاة قد تكون ـ كاوفيليا ـ ماتت غرقا ، ونحن نذكر أن أوفيليا قد جمعت الزهور قبل ان تغرق فى الجدول ، وهى قد رقدت وانشدت نتفا من الاغانى القديمة :

عليلة تهب الرياح ..
هنالك الوطن

بينما انتشر شعرها وثيابها على صفحة الماء

وينتهى (دفن الموتى) بحوار كئيب عن جثة مدفونة فى حديقة :

اتراها بدات تؤتى ثمارها ؟ اتراها تينع فى هذا العام ؟
ام ترى الصقيع المباغت اقلق مرقدها ؟

فهنا رجلان انجليزيان يتحدثان عن ازهار التيوليب التى يزرعانها ، وهما يمزحان مزاحا خشنا كمزاج القتلة . فالقاتل الانجليزى ـ بعكس زميله الامريكى ـ يؤثر ان يدفن ضحيته على مقربة منه : فى الحديقة او وراء كساء الجدار او فى غرفة على السطح :

عظام ملقاة فى غرفة ضيقة واطئة جافة على السطح
لايكاد يطؤها سوى أقدام الفار بين الحول والحول

و (عظة النار) تؤكد احتمال غرق فتاة السنابل البرية . فالمقطوعة تبدأ بتصوير اصابع يائسة تتقلص وتغوص فى الضفة الرطبة ، وتنتهى بينات التيمز اللائى يغنين فى قاع النهر الناضح زيتا وقارا :

قد انهارت خيمة النهر : ان آخر اصابع أوراق الشجر
تتقبض وتغوص فى الضفة الرطبة . ان الرياح
تعبر الارض السمراء دون صوت . لقد رحلت الحوريات
فيا نهر التيمز الرقيق هلا تهاديت حتى انتهى من انشودتى

و (خيمة النهر) هنا هى الاشجار المتشابكة على كلا الجانبين وقد تعانقت اغصانها وكانها تكون سرادقا يسير تحته العشاق . ولكن هذا السرادق قد انهار حين غرقت الفتاة ، وها هى ذى اصابعها تتقبض وتحاول الامساك بالشاطىء دون جدوى .

ومن أقوى اجزاء (عظة النار) ذلك الجزء الذى يصور اليوت فيه الكاتبة

،لى الآلة الكاتبة ، وعشيقها الذى يتردد عليها فيقضى وطره منها دون عاطفة حقيقية ثم ينصرف . هنا يبدع اليوت فى جعل الايقاع الموسيقى لقصيدته بماشى المشهد الكئيب الذى يرسمه ، فلقاؤهما يتم فى الغروب البنفسجى ، والقطعة تتميز بحزن رفيق ، واوزان تكاد تتمزق من الملل ، وكل شىء لا يلبث ان يرتمى فى اللامبالاة :

الوقت الآن ملائم فيما يظن
فقد انتهت الوجبة وتملكها السام والزهق

يحاول ان يحتويها بين احضانه
لكنها لا تصد هذه الاحضان ان لم تكن لها كارهة

ثم نلتقى ببنات التيمز اللائى هتك عرضهن ، وقد اخذهن اليوت عن الموسيقار فاجنر ذلك (الفنان العالمى) الذى مجده الرمزيون الفرنسيون . وعلى الرغم من ان احدى شخصيات اليوت فى مقالته المسماة (حوار حول الشعر المسرحى) وصفت فاجنر بانه (وبيل الآثر) الا ان هذا لا يمنع ان يكون اليوت متاثرا به . ففاجنر لم يكن مجرد صاحب حيل اوركسترالية او مجرد رجل فاسد الذوق فى اختياره للاساطير ، وانما كان الى جانب ذلك كله ـ او قبل ذلك كله ـ حاد الشعور بخشونة عصره مما يبرر ـ الى حد ما ـ ادواته الفنية وذوقه فى الاختيار .

و (عظة النار) تبدأ بوصف مياه التيمز التى يحدث فيها الغرق كما راينا ، ولكنها تنتهى باحتراق . والنار عند اليوت رمز للشهوة : انها شهوة حوريات التيمز ، وشهوة الكاتبة على الآلة الكاتبة وعشيقها ، وشهوة بنات التيمز ، الخ . .

والمشكلة ان هؤلاء الاشخاص لا يعلمون انهم يحترقون بشهواتهم ، او كما تقول احدى بنات التيمز : (لم اقل شيئا اذ ماذا استهجن ؟) . واما فيلباس التاجر الفينيقى فقد (التقط تيار يجرى تحت الماء عظامه فى همسات) حتى انسى (صيحة زمج الماء واصطخاب البحر العميق) كما انسى (الخسارة والربح) وهو يغوص الى الاعماق .

والجزء الاخير من القصيدة (ماقاله الرعد) يبدأ بمشهد صلب المسيح :

بعد احمرار ضوء المشعل على الوجوه التى يرفض منها العرق
بعد الصمت الثلجى فى الحدائق
بعد العذاب فى البقاع الصخرية
العياح والبكاء
والسجن ، والقصر ، ورجع
رعد الربيع فوق الجبال القاصية

قد مات ذاك الذى كان حيا .
قدمتنا نحن الذين كنا على قيد الحياة
دون كبير صبر .

ونحن نعلم ان اليوت قد اقام قصيدته كلها على اساس اسطورة وردت فى كتاب (موت آرثر) لتوماس مالورى والاسطورة تصور كيف انقذ احد الفرسان الارض اليباب . وهكذا ينتقل بنا اليوت الى الارض التى تعانى من الجدب والجفاف :

لا ماء هنا لا شىء سوى الصخر
الصخر ولا ماء . والطريق الرملى
الطريق الذى يتلوى الى اعلى بين الجبال
وهى جبال من صخر بلا ماء
لو كان ثمة ماء لتوقفنا وارتوينا

ثم يعود بنا اليوت الى السيدة المترفة التى رايناها فى (مباراة شطرنج) :

قد احكمت امراة بسط شعرها
وراحت تعزف موسيقى هامسة على أوتاره
وبدلا من (كيوبيد الذهبى) نجد :
خفافيش ذات وجوه طفلية فى الضوء البنفسجى
تصفر وترفرف باجنحتها
وتزحف هابطة برءوسها على الحائط المسود

وفى نهاية القصيدة لا تلبث رحلة الانسانية نحو الشرق ـ عبر الصحراء المحرقة ـ ان تنتهى . ورغم ان ارض (الملك الصياد) لا تزال يبابا فقد استطاع الشاعر ان يصل الى البحر ، وادار للارض ظهره :

انى جلست على الشاطىء
اصطاد ، والسهل القاحل من ورائى
اترانى سأستطيع ـ على الاقل ـ ان انظم اراضى ؟

ومغزى البيت الاخير اننا حين نجد انفسنا فى ارض يباب ، فليس فى مستطاعنا ان ننظم هذه الارض كلها ، ولكن واجب كل انسان ان يحاول ـ على الاقل ـ اصلاح ارضه هو . واخيرا يقول اليوت :

هذه البقايا قد كومتها امام أطلالى

واليوت بهذا البيت يشرح ما فعله فى ختام قصيدته . فقد اورد فيها نتفا من اسطورة وردت فى (الفيدا) الهندية ومسرحية (الشيطانة البيضاء) لوبستر و (الجحيم) لدانتى و (المظهر والمخبر) لبرادلى و (سوناته) لجيرار دى نرفال ومسرحية (المأساة الاسبانية) لتوماس كيد ، الخ .. وهو بهذا يريد ليعبر عن اختلاط القيم وانهيار الفواصل بين الحضارات فى العالم الحديث .

* * *

وخلال شهور قلائل وجد اليوت نفسه فى غمرة نجاح يدير الرءوس وربحت قصيدته جائزة (الدنال) لعام ١٩٢٢ ، وما لبثت طبعة ثانية من القصيدة ان لحقت بالطبعة الاولى . وسرت الاشاعات بان اليوت لم يرد بالقصيدة الا التفكهة ، ولم يمل كثيرون الى البيت الذى يقلد فيه اليوت صوت المندليب (تويت تويت توپت)

وسأل ارنولد بنيت اليوت عما اذا كانت حواشى القصيدة جدا او هزلا ، وكان حريصا على ان يوضح لاليوت انه لا يقصد توجيه اى اهانة نه بهذا السؤال . وقد اجاب اليوت بانها (كانت جدا) وان عنصر الفكاهة فيها ليس اكثر منه فى بعض اجزاء القصيدة نفسها ، وهنا قال بنيت انه لا يستطيع فهم القصيدة . وقال معلق (ملحق التيمز الادبى) انه احس بان اليوت فى قصيدته كان يقترب احيانا من الاتساق

لقد كتب اليوت قصيدة عبرت عن شعور كثير من القراء بانهم لا يعرفون ماذا يفعلون بانفسهم ، او كما قال اليوت نفسه : (لقد توهم كثيرون عند قراءة قصيدتى انه انجاب عنهم الوهم) وهكذا ابتكر اليوت منهجا شعريا جديدا ، كما تميز بانه الشاعر الذى كتب قصيدة غير مفهومة ولها حواشى وشروح . ولم يغب عن بال اليوت جو الفكاهة الذى يكتنف الموضوع . فبعد نشر القصيدة بست سنوات ، كان يقارن بين الشاعرين كراشو وشلى ، حين قال عن احدى مقطوعات شلى فى قصيدته (الى القبرة) : (قد يجد من اهم اكثر منى علما مفتاحا لفهم هذه المقطوعة ولكن كان ينبغى على شلى أن يذيل قصيدته بحواشى !) .

مظهر شفيق فريد

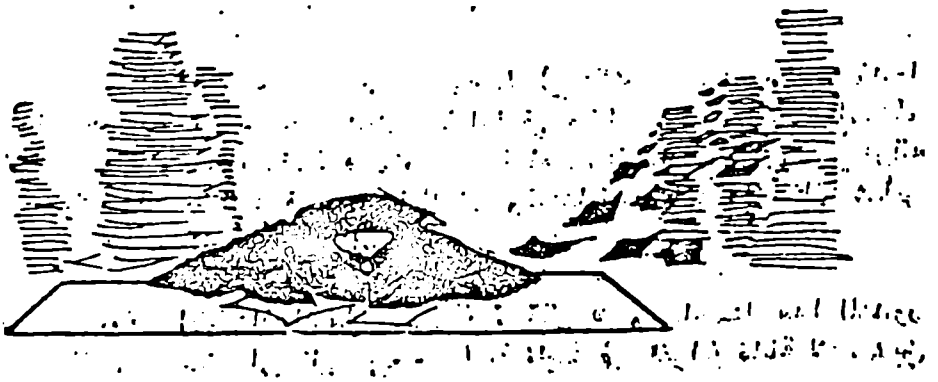

محنة النقد

من ابسط القواعد المرعية فى النقد الادبى حسن تلقى الناقد للعمل الفنى وجدية معالجته اياه وعدالة الحكم الذى يصدره فى شأنه وهذه امور نفتقدها احيانا كثيرة فى مجالاتنا الادبية نقدا وابداعا . فاذا جاز لنا طبعا ان نغض الطرف عن صغار ناشئة الناقدين فلا يحق لنا قطعا ان نسكت على الحذاق منهم حين يعميهم الهوى ويصدهم عن الحق والعدل والخير والجمال . ولا أدل على ذلك من الهجوم العنيف الذى شنه الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد على الدكتور محمد مندور بين تضاعيف يومياته فى صحيفة الاخبار . وعلى الرغم من عمومية القضية فيحسن بناء تأصيلها الى بواعثها وتعصيرها الى زمانها — فى هذه الحادثة بالذات ليصدر حكمنا عن الواقع متمشيا مع منطق الامور ، فللاستاذ الدكتور محمد مندور ثمة رأى فى مذهب النقد السيكلوجى خاض فى سبيل عرضه معركة طويلة مع الاستاذ محمد خلف الله شهدتها مجلة الرسالة فى اربعينات هذا القرن . وقد افاد من هذه المعركة كثيرون . اذ اتسمت بالموضوعية وتنزهت عن الغرض . فالدكتور محمد مندور لا يذهب مع خصمه فى تقييد النقد الادبى بالاصول السيكلوجية وحدها . ولكنه لا ينكر على علم النفس جدواه فهو يقول « فاستخدام علم النفس فى نقد الادب يجب ان يتم فى حذر لانك بذلك قد تذهب بالاصالة الموجودة فى العمل الادبى »

ثم عادت هذه القضية الى الظهور حين بسطها فى كتابه « النقد والنقاد المعاصرون » خلال الصفحات التى افردها للحديث عن المنهج السيكلوجى الذى اصطفاه العقاد للنقد الادبى ، ما اختلف معه فى تحليل شخصية الفنان واتفق واياه مجيزا تفسير الادب نفسيا والعجب ان احد دعاة مدرسة سيكلوجية النقد « بازلز » يتفق مع الدكتور مندور اذ يقرر « ان التحليل النفسى وان يكن قد اضاف الكثير بالتاكيد وما زال من الممكن ان يضيف المزيد فى سبيل فهم افراد الفنانين من حيث هم شخصيات فان اجل المجالات نفعا هى التى يستخدم فيها دارس الادب النظرية الفرويدية هو مجال تفسير الادب ذاته . »

ولم يخرج الدكتور مندور عن وجهة النظر تلك فى الندوة التى عقدها بمؤتمر الكتاب العربى وكان حديثه خلالها فى هذا الشأن ترجيع اصداء ما جاء بالكتاب وفيه يقول : « ولقد وافقناه — العقاد — فى بعض آرائه وخالفناه ولا نزال نخالفه فى بعضها الاخر ولكننا نحمد له دائما انه شاعر وقصاص وناقد واستاذ باحث اصيل »

فبماذا أجاب الاستاذ العقاد ... ؟ ؟ قال « وصاحبنا هذا المندور بحمد الله الذى يحمد على كل شىء مسماحة ثابتة فى الفراغ قابلة للتصديق

على الاقل بشهود عيان » فاذا جردنا هذه الحادثة من اطرها الشخصية قديمها وحديثها وجدنا انفسنا حيال ظاهرة خطيرة محتواها محنة فى اخلاقيات النقد . ابتلينا بها منذ عهد ليس بقريب وظن البعض انها انقضت من حياتنا فى الزمن الاخير . ولكن الاستاذ العقاد يخيب هذه الآمال دائما حين يرتد من وقت لآخر الى « عالم الكف » و « المهذار الاصم » و « السفود » الى غير ذلك من مثارات الشر ومزالق الاسفاف ويبدو ان النقد لدى بعض شيوخ الادب عندنا مرادف للهدم بينما النقد تأصيل وتعصير وتبصير . تأصيل الناقد العمل الادبى بمنطلقه ومنهجه وغايته . وتعصير بموقفه ابان فترة زمنية معينة تتميز بخصائص ووظائف وامكانات فى كافة قطاعات الحياة وتبصير بمواطن الجمال والقبح أو القوة والضعف .. الخ وعلى الناقد ان يستخدم الوسائل التى يراها كفيلة بتحقيق غاية النقد على المعنى الذى اصطفيناه وما علم النفس والوراثة والتازيخ وعلم اللغة والبلاغة والاساطير وعلم الجمال .. الخ الا وسائل يستعين بها الناقد للعمل الادبى . ولكن اتخاذه وسيلة بعينها للنقد لايحيد عنها باختلاف الظروف وتباين الازمان لا يعنى الا انه أحد اثنين : قاصر او متعصب وكلاهما شر لا خيار فيه . من أجل ذلك يطالبنا الناقدالامريكى ستانلى هايمن بما يسميه النقد الاستمرارى . ويضرب لذلك مثل « اليباب » لاليوت فيراها « رمزا للعمق البعيد والتركيب الشديد ونقرأ هذه القصيدة على اى مستوى مستغلين أى معجم :

ففى المستوى القريب يراها الفرويدى رمزا للخصاء والعنة وعلى مستوى أعلى يراها النفسيون بعد فرويد رمزا للخوف من العقم الفنى وفى المستوى العادى للحياة اليومية يراها من يكتبون التراجم مثل بروكس رمزا لاليوت نفسه قبل ان يتحول للمذهب الكاثوليكى . وعلى مستوى اجتماعى اعلى يراها ناقد مثل بارنجتون رمزا لحياة الفنان الخاوية أو صورة من خيرة الطبقة العليا .. الخ وهذا منهج سليم فى رايى يتمشى مع ديناميكية الحياة المنعكسة على الادب دون جدال وفى ظله تنمو اخلاقيات واعية نبيلة تحكم العلاقة بين الناقد والعمل الادبى والاديب المبدع كتلك التى سادت علاقة مكسيم جوركى بفلاديمير كورولنكو (مثلا) ويروى لنا اولهما طرفا من هذه العلاقة فيقول (راح كورولنكو يقلب صفحات كراستى السميكة ثم قال ساقرؤها ـ كم خطك عجيب ـ يبدو بسيطا جدا وواضح جدا وهو مع ذلك عسير القراءة .. أرى كلمة (معترج) لابد انها زلة قلم فانى لا اعرف كلمة بهذه الصورة لابد انها متعرج .. الخ) هاهى ذى اخلاقيات النقد وسمو الناقد حين يعثر بخطأ الاديب لا ينشر على مدى رؤاه المبدعة قتامة الخطأ ولا يكتنفها اذا تكرر وانما يلتقط الاخطاء فى اناة ويسدد الكاتب برفق فيطامن نفسه ويذكى جذوة الآمال عنده ويفسح أمام بصيرته آفاق الابداع الفنى .

وبعد فما كان احرى الاستاذ العقاد ان يأخذ بناصية علم النفس ناقدا شخصية الكاتب كما يروق له ذلك ـ بغية تشريحه ان يلجأ الى هذا المنهج وهو فى مقام النقد لزميل عارضه بدلا من سبه وتجريحه وقديما قال حكيم العرب (**البكم خير من البذاء**)

سمير احمد نادا

From: M. ARNOLD

REQUIESCAT

Strew on "him" roses, roses,
And never a spray of yew
In quiet "he" reposes;
Ah! would that I did too.

دعاء له أن يرقد فى سلام

(مهداه الى روح الاستاذ الراحل الدكتور محمود السمران)

انثروا الورد عليه ، انثروه ،
كل من خالوه ميتا ظلموه ؛
فهو الآن بامن وسلام .

عرض الموت له فاغتاله ؛
ليتنى اسلمت روحى قبله !

كان فى الدنيا سعيدا مرحا
يملأ الدنيا رضيا فرحا ،
انما كان له من قلبه
ما بعز شبابه أودى به .

تركوه بعد ان ولى وراح ؛
ذاهبا عن دارنا ذات صباح .

كان ملء الدهر يمضى ويسير
فى محيط صاخب الموج مثير ،
انما كم كان يهفو للسلام !

كم تمنى لو توفاه الاله ،
بعد ان مل تفاهات الحياة .

روحه الطلقة رفت فى سكون ،
اسلمته فى ثوان للمنون :
اورثته عالم الموت الفسيح .

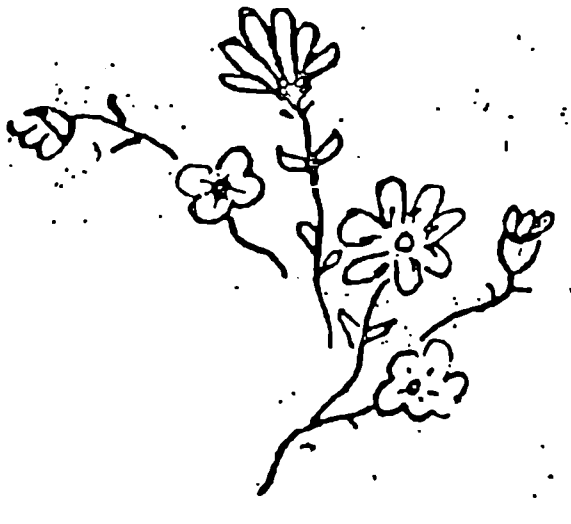

ترجمة : عبد الحكيم عبد السلام العبد

إلى آن جريجورى

"William Burler Yeats"

شعر : وليم بتلر ييتس

ترجمة : عبد الحكيم عبد السلام العبد

ان الذى قد عام بالذهب المشط يا فتاتى فوق راسك كالحرير
قد أعجبته منك خصلات وهنات تموج عند أذنيك كالغدير
قلقت به ليلاته الحمراء فى ظلماء يأس وفتور وفجور
هذا محال ان يحبك يا فتاتى غير حب تافه المعنى حقير
انى لأذكر لم ازل ما قاله بالامس لى متدين ورع كبير :
ان الاله هو الذى لو ـ خفته ـ بهواك للخلق الطهور وللشعور
للجدائل أرسلت ، وتموجت يا طفلتى من حول جيدك كالغدير

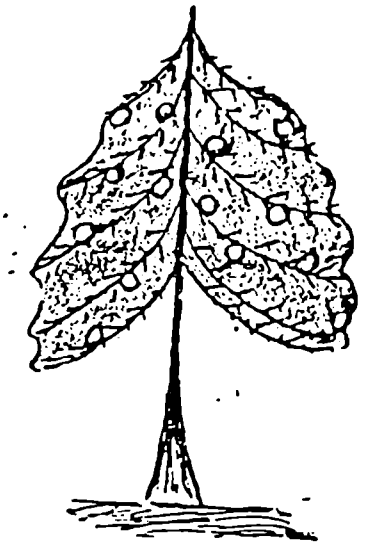

أغنية فى ليلة عيد الميلاد

يا ليلة الميلاد روحى من هواك تنهل
تشتف فيك ربها من كوثر وجدول
تنشق منك حبها فى عطر وردة وفل
مدى عليها ظلة من الهوى ومخمل

* * *

يا ليلة الميلاد فوق كاهلى صليبى
أحمله على فدى فى ضائع الدروب
قد ضفروا لهامتى جدائل الكروب
الشوك فى الاكليل والدموع فى القلوب

* * *

العالم المحروب ماج بالظلام والصقيع
والثلج فى الجبال والوديان ناشر القلوع
والناس فى الظلام والصقيع تائهو الربوع
وفى حظيرة ولدت للحياة يا « يسوع »

* * *

فى « مزود الضياع » « مريم » الحبيبة البتول
مقرورة تضم للضلوع طفلها الجميل
نعماك يا « عذراء » فالرضيع يبعث الذهول
فى حضنه دفء سرى اليك زاخرا جليل

* * *

خميلة الجمال يا «بتول» هدبه الظليل
كنار « موسى » فى ظلام الليل طرفه الكليل

بكؤه ؛ اجوقة الفنـــاء ام تر ى هـــدبل ؟
هل تسمعين صـــوته من ثغر بلبل الخميل ؟

* * *

قد رفرفرت فى مهـده حمـائم بيضـــاء
تسطـع فـوق ريشـها تمـائم خضـراء
تحمـــل فى منقـــارها ما تنفض العـــذراء
عن جبهـة الوليـــد مما تنثر السمـــاء

* * *

من بيدر السـلام رفرفى الى العـــلا حمـائمى
وصفقى الجنـاح هـومى على جنى مـواسمى
ثم القطى الحب النثير مـلء مهجـة الكمـائم
دفى الجنـاح وانشرى فى الافـق راية القـوادم

* * *

اقطف عناقيـد الهـوى من جنـة الكروم
واعصر نبيـذى للذى يؤم « أورشـليم »
يحمـل فى يمينـه لعـالم ظلوم
من سعف النخـل ومن سـنابل الغيـوم

* * *

ارفـع امام اعين الطغـاة من جـدائل الزيتـون
لوح بهـا لعصبـة فى كفهم مـوارد المنـون
لوح بهـا العـالم مؤرق من الضنى حـزين
تقـوده الى الفنـاء « ذرة » صـاحبها مجنـون

* * *

من عالم الظنـون هل قدمت أم من موطن اليقين ؟
على جنـاح الوهم قد عبرت كالخيـال فى سكون
ما انت للمستنقع الارضى بل للمـلأ الحنـون
وموطن الشـعاع نجم فى السما لا حما مسـنون

* * *

الارض للوحـوش للذئاب للاطمـاع لا المسـيح
الارض للنفـاق للخـداع للدمـوع للجـروح
مسرحها ابطاله بنـو « يهوذا » الخادع المسـرح
فهـل لديك بلسـم الشـفاء يا مسـيح القروح

* * *

يا ابن « البتـول » فى يديك بلسـم لـكل دمعـة
سور ظلام الليل واشـعل فى الطـريق الف شـمعه
وارسل نداء عل ركبـا ارهف الظـلام سمعـه
يعشـق فى صوت السلام والحمـام الف روعه

على حسن العزب

يا عمري

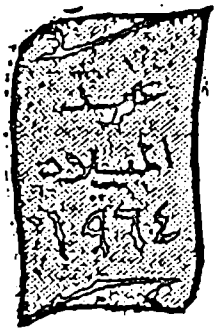

— ١ —

من أين بدأت ؟ وكيف مضت
أيامك ؟ يا عمري ..
من أين ؟ فاني لا أدري
الأمس مضى كسراب
واليوم ضباب
وغد في الغيب تغلفه
الظلمة
تلك الدوامة تطويني
وبكاسي المرة تسقيني
فأدور . أظل أدور
بقلب الدوامة معصوب
العينين
وخطاي تنقلها الاقدار
فما نفع الرجلين ؟؟

— ٢ —

الليلة عيد الميلاد
اقواس النور تمزق احشاء
الليل
وتدور كئوس تجلو صدا
الفكر
فلنشرب نخب العام الذاهب
ولنغسل بالخمر الاحزان
ولندفنها في وادي النسيان
فالعام يموت
والساعة دقت لحن وداع
وخبا في الافق شعاع
ياعاما ولى
يا لحنا من قيثار العمر
يا نجما شع وحال رماد
أترى كم لحنا شيعناه
وكم من نجم غاب ضياه
فلنغسل بالخمر الاحزان
ولندفنها في وادي النسيان

— ٣ —

تلك الدوامة لا تهدأ
فالساعة دقت تعلن بدء العام
وانطفأ النور فعاد الليل ظلام
عام مولود .. بدء قصيد ..
من ملحمة العمر الذواى
وصدى دعوات ..
تتصاعد من افواه محمومة
تتردد في جوف الفلوات ..
وتدور بقلب الدوامة .
كم نغما مات وكم من نجم شيعناه
وبكينا العمر لدى ذكراه ..
فلنشرب نخب العام المولود
ولنغسل بالخمر الاحزان
احزان العمر المفقود
احزان الزهر يصوحه الاعصار
احزان الانجم تتهاوى . نجما نجما
وتعود .. رماد
احزان القلب تموت امانيه
ويعود الثلج يغطيه
فالأمس سراب
واليوم ضباب
وغد في الغيب تغلفه الظلمة

محمد على سليم

أغنية الضحية

شعر : عبد الرحمن غنيم

ما زلت اغوص بوحل الدرب
وعواء الريح يطاردنى
يقذفنى برذاذ مسعور
كصخور فتتها الطوفان بكف الموت اللامنظور
ليعذب مخلوقا يسعى فى درب خاوى مهجور
وليرجم احلامى الخضراء ، ويدفنها وسط الديجور
فى ظل ممتد الاركان
يحيا ، ويقيم مع الانسان
ما بين النطفة والرمس
سود ايامك يا نفسى
حطمنى الليل وهانذا منكئا يسندنى العكاز
امنيتى ان اجتاز الدرب ، واخشى ما فيه اجتاز
آمر ونفسى لا تلتذ لغير الثروة ، والشهوات
للذة من كف الشيطان ، لمضغة افيون او قات ؟

* * *

يحتك الغيم فاذ دربى مغتسلا فى بحر الاضواء
واظن النور آتى قربى ، فتداهم احلامى الظلماء
يهزا بى الغيم ، واشعر ان سامى كالمنجل يحصدنى
ينقطع السيل فاشعر ان الله اراد فانقذنى
وادخن سيجارى .. عجبا .. انفثه ام هو ينفثنى ؟
من منا التافه ؟ من قد ملك الآخر ؟ انى حيرنى !
ما اقصر عمرك يا سيجار لدى ومضات التفكير !
ما اقصر عمرك يا اضواء بدرب يظما للنور !
ما انعس حظك يا هدفا لاظافر غيم مسعور !
القطة كم داعبت الفار لتاكل منه بحبور ..
من فقد القوة .. هل يملك ردا للقدر المسعور ؟

طفىء السيجار ..
انهد جدار
قد هب على الدرب الاعصار
سقط العكاز بوحل الدرب
ما عدت أرى ..
لطفك يا رب !!
لطفك يا رب !!

* * *

ما زلت اغوص بوحل الدرب
أتحسس دربى فى العتمة
وافتش فى قلب الظلمة
واصيح لدى أعنف لطمة
اسقط فى الدرب ، وقد زلت قدمى العمياء
هأنذا اسقط فوق الطين فاذكر انى من طين
يا طين ظمئت الى أصلى
يا طين أتيت لترويني
واصخ السمع لهمس الطينة يسرى ملء شرايينى :
« انا لست موات »
« انا بعض نبات »
« انا كاس اترع ماء حياة »
« لن احضن مسخا شوه ما يعنى الانسان »
« لا يعرف فى وجه الظلماء سوى الاذعان » .

* * *

.. ومددت يدي أتحسس خيمتى السوداء
أتحسس فيها طعم العار
وابحلق فى أوراق حولى للصبار
فى طينة دربى اذ مزجت ببحيرة دم
فى السيل يوقع فوق الدرب اهر نغم
وصراخ يتيم ،
وتشنج أم ،
او آه ندم
ومددت يدى احسست جدار
واصخت السمع لهمس الطين :
« قد مر هنا كل الثوار »
« لم يبق امامك غير جدار » !
« لم يبق امامك غير جدار » !

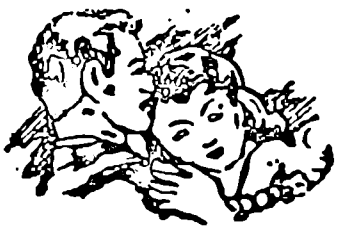

جنون الشرق

أأبذل جهد الجن فى الامس واليوم
وأرهق أعصابى لانبه فى قومى

يعذبنى حب اشتهارى فى الورى
فاسمو لآمال يضيق بها عزمى

واحلم بالصيت البعيد مدويا
وتمضى الليالى لا أفيق من الحلم

انا حدثوا عن عالم متضلع
اقول متى تجرى الاحاديث عن علمى

وازعم ان الحظ آثر فرقتى
فلم يتالق فى سماء الورى نجمى

اؤرق نفسى كى اخط مقالة
يطالعها القراء ممهورة باسمى

واسأل من لاقيت عنها ، فان يفه
حصيف بنقد ما ، توهمته خصمى

فان قال لم اقرأ لبعض شواغلى
ذممت سجاياه فاسرفت فى الذم

اطالب قرائى بحفظ روائعى
واعتد تقديرى من اللازم الحتم

واعمد للاشعار انظم عقدها
لاغدو امير القول فى النثر والنظم

يقولون الهام القريض سوانح
تطير كلمح البرق فى صفحة الغيم

ولكن الهامى يواكب خاطرى
منى شئت قلت الشعر كالغيث اذيهمى

افسر فى أعماق نفسى طلاسما
تدق خوافيها فيكشفها فهمى

خوالج احساس تتبعت نبضها
خفوت السرى فى عالم الدم واللحم

انوق منها كل عصـــــــماء أخملت
مثيـلاتها فى الرائعـــات من العصم

واحسب ان الكون يصغى لشـدوها
فيشمله ســـكر القـــريض بلا اثـم

جماهير قـــــراء أحاول عـــــدهم
فلا تنهض الارقام بالعـدد الضخـم

تخيلت جدعـــا منهو مترقبا ...
محياى يعتـــــد اللقـاء من الغنم !

يـــلاحقنى انى اتجهت كأنمـــا
أسير من الاشياع فى موكب فخـــم

ويرجع لى عقـــــلى فادرك واقعى
وحيدا أعانى الصمت فى منزلى الجهم

فاين قوافى الجيـــاد ؟ اهـــكذا
تضيـــع اغاريدى لدى معشر صـــم

واســـأل نفسى اذ احلل مـــوقفى
لاى اعتبـار طاش فى ملئى سهمى ؟

أعيب اذا رمت النباهـــة عنـــدهم
فأنبـــذ مجنيـا على بلا جـــــرم

وللمـــــوت أشهى من حياة بغيضة
يظل بها العمـلاق يقـرن بالقـــزم

ويدفعنى حب اشـــــــتهارى للتى
ستعطف الابصـار نحوى على الرغم

فاحتقـــــر المالوف من عادة الورى
فانحى عليهم بالنقيصـــــة والشـلم

وامتـد للأديان أنقـــــد نهجهـــا
وأبرز ما يوحى التخـــرص من وهم

وأزعم ان الحق فى الكـــــون قبلتى
أسـانده مهمـا تحـرش بى قـومى

وما بى حب الحق غـــــير هواتف
تخيـل لى صـــيتا بآفـكة الزعـم

وقبلى من الباغـين قـوم تســـلقوا
ذرا الصيت فينـا بالتهجم والشتـم

محمد رجب البيومى

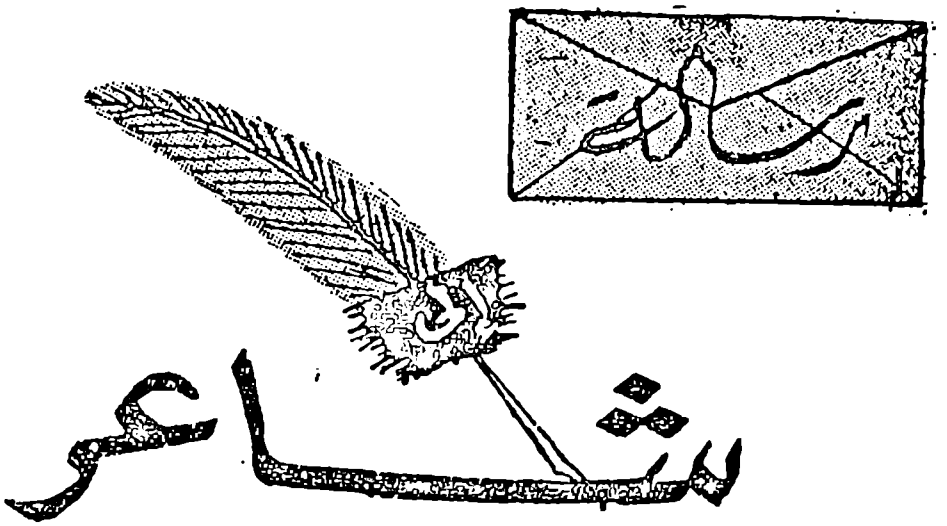

مللت .. مللت الكلام الرتيب
ونجوى العيون وهمس القلوب
وابيات شعر رقيق انيق
وزفرة عشق وشكوى وجيب
مللت .. مللت وضقت مرارا
باشرطة سجلتها شفاه
« شفاهك خمر ، محياك بدر
عيونك نهر انا ضفتاه » !!
صديقى اضعت شبابى هباء !!
بشعرك هذا الذى تعبد
انا لست الا عروسا لشعر
به سوف يطوى غدى البائد
انا لست اهوى كلاما عليلا .
وصدرى فراغ وخصرى طليق
اريد آلها قويا جميلا
يطيش صوابى بعرض الطريق
ويشعل باللثم ما اطفاته
قصائدك الضحلة الخامدة
وياسر خصرى الذى اطلقته
قداسة ابيانك الجامدة

السيد الشرنوبى

لعبة الموت

انا تول فرانس في الشرق

بقلم : ابراهيم السيد الجمل

يعد اناتول فرانس من اعظم الكتاب الذين انجبتهم فرنسا وقد غطت شهرته على جميع معاصريه بعد وفاة تولستوى .

وهو ابن بائع كتب فى باريس ، وليس اناتول فرانس اسمه الاصلى وانما هو اسم مستعار لجاك اناتول تيبول .

وقد اثر عن اناتول فرانس غرامه بالكتب وتشمل قراءاته وكتاباته رقعة واسعة تمتد من الادب الاغريقى حتى الادب الفرنسى فى زمانه . وعلى الرغم من عمق دراساته فقد كان يتسم بالخفة والرشاقة وما لبث ذلك المزيج من الالمعية وروح الفكاهة الذى يسود رواياته ان جعل من هذه الروايات اعمالا ادبية رائعة . على ان تغيرا سريعا ما طرأ على حياته فقد احب حبا غير من معالم شخصيته وغدا نبيا يدعو الى الثورة والفوضى بينما تضطرم نيران العاطفة فى صدره .

ولا نكاد نجد فى الحضارة الحديثة شيئا قد افلت من عقله المعذب ، وقد اخذ عن ارنست رينان فن التهكم المترفع البارد وبعد كتابه المسمى «الظافر بأرض الميعاد» تحفته الكبرى ويحوى هذا الكتاب لباب دراساته فى اصل المسيحية وان كان ركب اليه مركبا صعبا . فهو يظهر فيه علمه ويدور حول موضوعه الاساسى قبل الدخول فيه . على ان الاثر الكلى لكتابه فى نهاية الامر يسفر عن نموذج رائع . وهنالك من يقارنونه بفلتير ولكنه فى حقيقة الامر أشد

عمقا واضطراما بالعاطفة وتذوقا للجمال من هذا الاخير .

ولئن كان هذا الأستاذ قد برع فى تشع الاوهام وبث الياس ؟ فقد كان يشعر شعورا قويا بمدى الخسارة التى منى بها حين فقد ايمانه الدينى

لقد كان قادرا على فهم ادق القيم المسيحية واندرها ، وكثيرا ما كان يتفكر فى موعظة المسيح على الجبل متمنيا لو قد استطاع الايمان بها .

ومجموعتا قصصه المسماتان «فى عصر الارهاب» والربيع فى السنة الثانية» دراسة للثورة الفرنسية . وقد صور هذه الثورة على ضوء تجاربه الشخصية . ويبدو أن هذه الثورة التى قام بها الدهماء قد اثارت استياءه كما يبدو انه حين بلغ منتصف العمر ثار يتسم بتلك السخرية المريرة المتحفظة التى كان يتسم بها رينان . وفى قصته هذه التى نقدمها الى القارىء العربى نجد عمقا عاطفيا يفسر لنا كيف سادعقل اناتول فرانس كل العقول فى أوربا قبل اندلاع الحرب العظمى .

* * *

جاء آندريه وجلس الى شاطىء نهر السين بعد أن تجول لبعض الوقت فى الشوارع الخالية واخذ يرقب المياه التى ينبعث منها بريق ابيض نتيجة لانعكاس الرابية التى كانت تعيش فيها حبيبته لوسى فى السعادة المليئة بالامل .

كان مضطربا منذ فترة طويلة ، فقد اخذ خماما فى الساعة الثامنة ثم دخل مطعما فى « بالى رويال » وبينما كان ينتظر غداءه وقع بصره على الصحف السيارة حيث قرأ فى احداها «كورير دلجالتى » اسماء الاشخاص المحكوم عليهم بالاعدام والذين تم اعدامهم فعلا فى «بلاس دلاريفوليوسيو» فى الفلوريل الرابع والعشرين . وتناول آندريه طعامه بشهية طيبة ثم وقف ونظر فى المراة ليرى ما اذا كان يبدو حسن الهندام طبيعيا ثم سار بخطوات خفيفة مبتعدا عن النهر واتجه الى منزل صغير يقع فى زاوية ما بين نهر السين وشوارع مازاران حيث يسكن المواطن لاريلون ، المدعى العام المفوض لمحكمة الثورة ، وهو شخص مفضال كان اندريه يعرفه باعتباره راهبا كابوشيافى « آنجرز » كما كان يعد من انصار الجمهورية المتحمسين فى باريس .

دق الجرس بعد هنيهة من الصمت ، وا وجه من خلف زجاج الباب وفتح لاريلون الباب اخيرا بعد ان تحقق من اسم زائره ومرماه . لقد كان وجه لاريلون مكتنزا ظاهر الحمرة براق العينين رطب الفم ذا اذنين تعلوهما الحمرة . كان مظهره ينم عن شخصية انيسة هيابة وقد اقتاد آندريه الى اول غرفة فى منزله . وعلى منضدة صغيرة مستديرة وضع طعام يكفى اثنين ثم طلب اندريه دجاجة وفطيرة مع قطعة من الجمبون وقدر من الكبد السمين مع جيلاتين من لحم مثلوج ، وعلى الارض كان ثمة ستة زجاجات من النبيذ قد وضعت فى دلو للتبريد وغطى الاناناس والجبن والفاكهة المحفوظة رف المدفأة كما وضعت ترامبس المشروبات الروحية على رف صغير بين حزم من الاوراق . وكان ثمة سرير ناقص الصنع يبدو من بابه الحجرة المجاورة المواربة .

قال آندريه :

ـ ايها المواطن لاريلون . لقد جئت استصنعك جميلا .

ـ انى على استعداد لان اسديه لك اذا كان لا يضر بامن جمهوريتنا .

ـ بل ان الخدمة التى اطلبها منك تتفق تماما مع امن الجمهورية كما تتفق مع مصلحتك انت .

ودعا لاريلون آندريه الى الجلوس بينما قال هذا الاخير

ـ ايها المواطن المفوض : انه طوال عامين كنت اتآمر على اصدقائك وانني قد الفت كتاب «مذابح الرعب» وانك بالقبض على لا تسدى لى جميلا فحسب وانما تؤدى واجبك فى الوقت ذاته . وليس ذلك الجميل هو كل ما اطلبه منك : اصغ الى : انني احب وحبيبتى فى السجن .

واحنى لاريلون راسه مقدرا هذه العاطفة .

ـ انني اعلم يالاردیلون انك مرهف المشاعر وارجو منك ان تضمنى الى من احب اى ان ترسلنى فورا الى سجن « بورت ليبر » .

« ها . ها ! » قالها لاردیلون بعد ان قفزت ابتسامة الى شفتيه ، لقد كانت ابتسامة دقيقة ثابتة .

وقال لاردیلون وهو يمد ذراعه نحو حجرة النوم صائحا :

ـ ان ما تطلبه منى اغلى من حياتى ابيكارس .. ابيكارس !

وهنا ظهرت امرأة فارعة الطول ذات شعر فاحم عارية الذراعين والعنق ترتدى قميصا وبلوزة وقد وضعت على راسها نقرسة .

وقال لها لاردیلون : « حوريتى » وهو يجتذبها الى ركبتيه .

ـ انظرى فى وجه هذا المواطن ولا تنسيه ابدا : انه مثلنا يا ايكارس ان له مشاعر نبيلة .. انه يعلم ان الفراق هو اخبث الشرور . انه يود الذهاب الى السجن والى المقصلة مع حبيبته .. هل نستطيع يا ابيكارس ان نرفض له هذا الطلب ؟

فقالت الفتاة وهى تربت على وجنتى الراهب الثورى :

ـ لا .

ـ لقد قلتها يا معبودتى . ينبغى علينا ان نساعد هذين المحبين المخلصين .

ـ ايها المواطن اندريه جرما اعطنى عنوانك وسوف تنام هذه الليلة فى السجن .

ـ اتفقنا

ـ « اتفقنا » قالها لاردیلون وهو يمد له يده .

ـ امض لمقابلة حبيبتك وقص عليها انك رايت ابيكارس فى احضان لاردیلون فربما تولد هذه الصورة فى قلبيكما افكارا وخواطر مشعة براقة .

ورد اندريه بانه ربما ولد مع حبيبته صورا اكثر تاثيرا واعرب عن اسفه لعدم قدرته على اسداء معروف لقاء معروفه .

قال لاردیلون بعد ان نهض وضم ابيكارس الى صدره :

ـ ان الانسانية ليست بحاجة الى مكافاة

ـ من يعلم متى يحين دورنا ! اما الان فدعنا نشرب ايها المواطن هلا شاركتنا طعامنا !

واعربت ابيكارس عن ان مشاركته لها طعامهما سوف تكون لونا من الاريحية وامسكت بذراع اندريه ولكنه افلت منها بعد ان نال وعد المدعى العام المفوض بادخاله السجن حيث يلقى حبيبته .

نواعم

بقلم

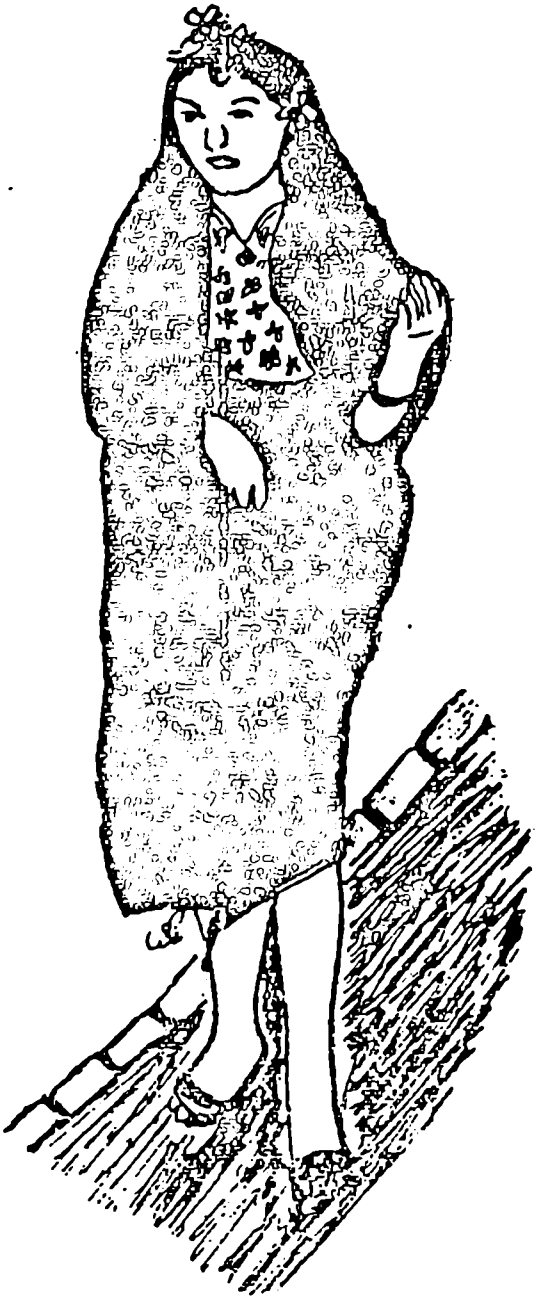

عندما اصطدم « المعلم دعبس » بالبنت نواعم لاول مرة فى حياته كان مسحورا بجمالها وطريقتها فى السير تلك الطريقة التى كانت تجبره على السير وراءها وهو يلقى بكلمات الغزل يمينا ويسارا علها تتكرم عليه بلفتة او نظرة ، ولكن العروس المتكبرة كانت تتطلع اليه بنظرة سريعة وتردد بصوتها الحلو .. «ميحكمش .. جرى ايه يا ادلعدى» ولما كانت «نواعم» مشهورة فى الحارة بلسانها الطويل كان المعلم «دعبس» يتوارى بسرعة البرق خوفا من كلماتها اللاذعة وفى ذاكرته ما قاساه منها يوم ان اضطرتها الظروف للوقوف بجواره فى مولد السيدة ومحاولته التحدث اليها ونظرتها المتكبرة ثم

وهى تقول له بصـــوتها الرائع .. « جرالك ايه يا معلم ؟ انت ناسى انك مفلس وابو الفلس كمان ؟ » والا ايه يا راجل فتح عينك كويس دنا نواعم » وتذكر المعلم دعبس رده عليها وقوله منا عارف انك نواعم وعارف انك عايزه فلوس وبكره تبقى عندى الفلوس انا خبطت قرشـين وحفتح محـل « عجلاتى » والقرش بكره حيكتر فى ايدى . وما ان انتهى من كلامه حتى جاءه ردها خالصا وبصوت كله انوثه وبنظرة ساخرة تطلعت اليه ثم قالت « بتقول ايه ؟ بكـره ؟ طيب موت يا حمار .. » ولم تكمل ثم انصرفت مسرعة وتركته وحبات العرق تبلل وجهه . وهو ان نسى كل ما صادفه فى حياته لن ينسى ابدا نظرتهـا الساخرة وشفتيها المنفرجتين عن ابتسامة صغيرة مليئة بالاحتقار ثم خطواتها المسرعة وهروبها من امامه وضياعها فى الزحام الكبير .

من هذه اللحظة سارت الحيـاة بالاثنين فى طـريقين مختلفين وان جمعهما هدف واحد هو جمع المـال وباى وسيلة وعن اى طريق ، وكانت المعـركة سباقا هائلا بين الاثنين ، ودارت الايام ومرت الشهور ولهيب العاطفة يتأجج فى جـوانب المعلم دعبس والصد والهجران من نواعم التى تمادت فى غيها ولم تعد تعيره اى التفات حتى كلماتها البذيئة الجريئة ضنت عليه بها رغم التحول الخطـير الذى طرأ على حياتها وحياته وذلك لانه قد اصبح « معلم » كبير واصبح المال يجرى بين يديه واصبح اسمه على كل لسـان فى الحى ، ولم يكن يغطى على شهرته سوى شهرة نواعم الجديدة فقد اصبحت مشهورة كواحدة من بنات الهوى واصبحت سـلعة تشترى فى السوق ، ورغم ذلك كانت تتحدى الجميع ، كانت تسـير فى شوارع الحى رافعة راسها لم تتغير ابتسامتها الساخرة ولم تتغير مشيتها المتكبرة بل ظلت على حالها وتعجب الناس وتبادلوا نظرات الدهشـة وتساءلوا عن سر هذا التغير ، ياترى هل تنتقم من نفسها ام من حبيب هجرها أم انها تتحدى الجميـع وتتحدى حتى نفسها ؟

وزادتهم دهشـة بتصرفاتها مع المعلم دعبس ، كانت سهلة مع الجميع صديقة للجميع ماعدا شخصا واحدا هو المعـلم دعبس ، واحس الرجل بعدائها له وساءه موقفها منه وعدم حاجتها له وصدودها المتكرر وتكبرها وتسلطها عليه فاشتعل فى قلبـه اللهيب وتسلطت عليه عاطفة متاججة وحاول ان يتقرب اليها وان يبثها هواه ولكنها صدته مرة اخرى بعنف وقسوة وبدا الرجل يتحول شـيئا فشيئا الى عاشق اسير وبدا الهوى يعذبه . وبدأت صحته فى التدهور وبدأت احواله المالية فى الهبوط ، واختفى من محله اياما طويلة ثم مالبث المحل ان اغلق ابوابه واصيبت نواعم بالذهول واسرعت الى المنزل الذى يعيش فيه المعلم وحيدا واخـذت تمرضـه وبذلت جهـود الجبابرة لتخرجه من ازمة المرض ، وعندما افاق الرجل بعد اسابيع طـويلة قضاها بين الحياة والموت وجدها تحت اقدامه باكية مستغفرة ، وذهل الرجل واراد ان ينطق باسمها ولكنها منعته واخذت تربت بيدها البضة على راسه وكانما مسته يدها الساحرة بسحر عظيم فعادت اليه صـحته بعد ايام واستطاع ان يعـود الى عمله وعادت هى الى سيرتها الاولى محاولة النسيان ولكن التحول الذى طرأ على الامور كان تحولا جـذريا عميقا فضحه اعترافها للمعلم دعبس فى لحظة ضعفها وتاثرها . كاشـفته بحبها وبكت بين يديه واخذت تشرح

له مقدار ما قاسته من عذاب وهى تصارع نفسها وتصارع قلبها ثم وهى تقاومه ثم سهرها الليالى وهى تحاول أن تنساه ثم وهى تغرق نفسها فى حماة الرذيلة وكانما تنتقم لنفسها منه ، من الرجل الذى وقعت فى حبه منذ اللحظة الاولى وتمنعت عليه تجبرا وقهرا لعواطفها واحتقارا لها واخرجها من صراعها مرضه الفاجىء فعادت اليها روحها الحلوة وعاد اليها شعورها بالحب والوفاء فاسرعت تلقى بنفسها تحت اقدامه باكية مستغفرة .

وزارها مرة طالبا منها ان تعيش معه فاستغرقت فى بكاء عنيف واخبرته ان هذا هو سر عذابها فهى تعلم انه لا يحبها بل يريدها ليتمتع بها كأى فتاة اخرى من بنات الهوى ولكنها تحبه وليس فى استطاعتها ان تمنحه نفسها الا على سنة الله ورسوله ، انها تحبه وسوف تكون خادمته وسوف تكون له قلبا وقالبا وسوف تدفن الماضى الى الابد ، ستدفنه الى غير رجعة وصدقها الرجل فقد كان يريدها ويعرف ان لا فائدة من مقاومتها لانها لن تستسلم له الا اذا تزوجها ، خاصة وقد تبين له انها امتنعت عليه لانه الوحيد الذى أحبته وعذبته وعذبت نفسها من اجل ان تكون له وحده وان يتزوجها ، وهكذا اتخذ الرجل قراره فى صمت وفوجىء اهالى الحى بالزينات والزغاريد والانوار وكانت سهرة رائعة امتدت حتى مطلع الفجر وزفت نواعم الى المعلم دعبس وانتهت حياتها الخليعة ودفن المعلم دعبس حياته القديمة وعاشا للحب ، واخذ الاثنان يعبان من كاس الهوى شهورا طويلة ، وتناسى الناس ماضى نواعم واسدلت عليه الايام ستار النسيان ، ومرت الايام وابتهاج المعلم دعبس بعد ان اتخمته كثرة ما شربه من كئوس الغرام ، وبعد ان خمدت حرارة العاطفة ، وبعد ان تاكد ان البنت نواعم اصبحت له وطوع امره وعاد الرجل الى حياته العادية واتسع نشاطه وارتاحت نفسه فقد زايلها ما كان يحيط بها من هم واسى اثناء صراعه مع نواعم . وعاشت نواعم له وحده واخلصت ولم تعد تتذكر شيئا من ماضيها بل وكانها قد خلقت لزوجها ولبيتها ولم يكن يعكر صفو حياتهما سوى عدم قدرتها على الانجاب وتطلع المعلم دعبس لوريث يخلفه على عرش الحى ويحظى بشهرة ابيه الواسعة ولولا ذلك لما أحس احدهما بحاجته لشىء اخر ولما كان هناك مجال للشجار

وذات يوم رآها المعلم دعبس زهرة صغيرة رائعة تسير فى دروب الحى رافعة راسها ضاحكة دائما وعلى الفور تذكر نواعم الصغيرة التى قاومته ، ووجد نفسه مساقا للتفكير فى هذه الفتاة الصغيرة ومستعدا لتلبية رغباتها لو ارادت شيئا . ثم مالبث ان عقد العزم على الزواج من هذه الزهرة الرائعة التى انبتتها دروب الحى والتى اتسعت شهرتها والتى يعرف الجميع انها بعيدة المنال لم يتجرا انسان من سكان الحى مهما بلغ من الجاه او السلطان ومهما كان شابا وجميلا على التحدث اليها ، وصمم المعلم ان تكون هذه الفتاة زوجة له وزين له شيطانه الامر واخرج له من غياهب النسيان ماضى زوجته وقارن حالها بحال الفتاة الصغيرة الشريفة التى تستطيع انجاب وريث له يخلفه ، وهكذا اقدم المعلم على فعلته وتم له ما اراد . فاهل الفتاة فقراء دفعهم حب المال الى بيع ابنتهم للمعلم ولم تقاوم الصغيرة فقد اذهلها بريق الذهب واذهلتها كثرة الخواتم فى اصابع المعلم واذهلها ما افاضه عليها من خيرات وملبوسات

وغرقت الزهرة الصغيرة فى بحر المادة ولم تعد تتذكر انها طفلة وان عريسها فى سن والدها .

وتسللت الاخبار الى نواعم فى خدرها وتألمت المراة وهاجت مشاعرها واحست بكبريائها تتحطم واحست بان ذخيرتها فى الحياة من عاطفة قد ماتت وماتت قصة حبها مع المعلم ، تلك القصة التى تعتبرها زاد حياتها الذى تقتات منه كلما هاجت اشواقها وكلما احست بحاجتها لذكرى حلوة تضيء واقعها وتحرك آمالها فى الحياة الحرة الكريمة ، ثم يانى الرجل غادرا ويحطم الاسطورة ويقضى هكذا وبلا ترو بجبروت هائل على الحلم الجميل . تمزق قلبها وبلغ حقدها درجة هائلة واتخذت قرارها فى صمت رهيب بعد ان بحثت الموضوع من جميع نواحيه واعدت العدة لمفاجاة خصمها بضربة قاضية تذهله .

وفى احدى الليالى حضر المعلم دعبس الى منزله سعيدا بعد نزهة حافلة مع عروسه الصغيرة وبعد ان

انفق مع اهلها على موعد الزفاف وفوجىء الرجل عندما فتح باب المنزل بشبحين عار ممسكا بجلبابه ويخرج منـدفعا من حجرة زوجته ثم يلقى بنفسه من شباك الفناء الى مكان مهجور بجوار المنزل ويذوب فى الظلام وجن المعلم دعبس وهجم على زوجته وامسك بها من شعرها وكانت المراة راقدة فى فراشها عارية تماما ومن عينيها يقطر الحقد وضحكاتها الخليعة تدوى فى الحجرة منيئة بالفواية والخلاعة فاشعلت حقده وايقظت رجولته واهاجته فاسرع الى المطبخ واحضر سكينا هائلة ورفعها بكل قوته واهوى بها على راسها ثم اخذ يكيل لها الطعنات فى كل مكان من جسمها وتحولت المراة المتجبرة الى كتلة دامية تتلوى من الالم وكلما اشتدت طعناته وازدادت الامها تحول وجهها الدامى الى لوحة حزينة وفجاة توقف الرجل عن طعنها كانما اذهله ما فعله واذهلته رؤية الفتاة التى تعلق بها وهى غارقة فى بحر من دمائها وركع تحت قدميها غير مصدق فعلته وسالها وهى فى النزع الاخير لماذا فعلت ذلك ؟ وبصوت ضعيف وبكلمات متقطعة قالت لامنعك من خيانة قضية جبنا .. لامنعك من اذلالى . لامنعك من الزواج بالطفلة الصغيرة ، احسست بالغيرة واقسمت ان انتقم منك وقد انتقمت ، نعم انتقمت كنت اريد ان تقتلنى وان تموت يديك بدمائى ، وكنت اريد الموت حتى لا اخسر حياتى وحبى وحتى يطمئن قلبك من ناحية شرفك اقسم ان الرجل الذى رايته لم يرتكب اثما انما اجبرته على تمثيل هذا الدور بتهديده بانى سوف اخبر المعلم انه حاول مغازلتى وخوفه منك مثل هذا الامر وهرب مذعورا كما اتفقت معه

وما ان انتهت نواعم من سرد هـذه الكلمات حتى اسلمت الروح وعـلى وجهها الدامى ابتســـامة حزينة ،

ودعت بها الحياة واطرق المعلم دعبس برأسه الى الارض ثم اجهش بالبكاء وأحس بفداحة ماقدمته يداه ، وبعد مدة طويلة تسلل الرجل من المنزل انحزين الى قسم الشرطة وهناك سلم نفسه ، وحكم كل شيء وكانت الكلمات تخرج من فمه متقطعة ، وكان الحزن يعتصر نفسه وقلبه والالام تطبق عليه من كل جانب وناء الرجل بتأثير هذا الكابوس الثقيل ، فأفلت منه زمام نفسه وحاول الهرب من القســـم وتعالى صراخه واخذ يردد بصـــوت مذبوح انتقمت نواعم انتقمت منى ، لن أتزوج الفتاة الصغيرة اننى قاتل قاتـل اننى أراهـــا ، اننى اراهـــا ، ابعدوها عنى ابعدوا نواعم واستمر يهذى فترة طويلة واستدعت الشرطة أحد الاطباء وبعد ان كشف عليـــه اخبرهم انه اصيب بصدمة عصبية ولكنها ليست خطيرة ، ويجب عزله فى مكان خاص فاخـذوه الى زنزانة صغيرة وتركوه داخلها وصراخه يتردد فى جنبات القسم وكلمة « انتقمت » لا ينقطع عن ترديدها وفجأة يتعالى الصراخ ويقول الرجل ابعدوها عنى اننى أراها انها ستقتلنى .. ابعدوها

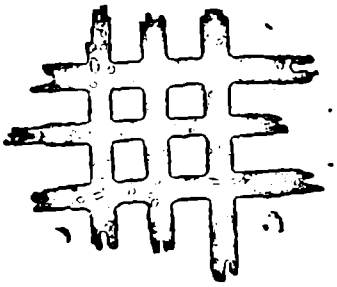

عنى ، ولم يجد الدكتور مفـرا من حقنه بمخدر حتى يهدأ .

ثم .. يجابه مصيره ..

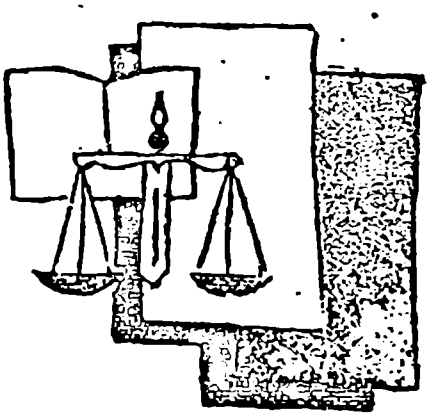

زبابة

لا اعرف دافعا حقيقيا وراء حبى لحياة الزحام . فقد يكون لشعورى بان الزحام يربطنى بالحيـــاة اكثر واكثر . وقـد يكـــون مرجعه الى طفولتى حين كنت اتعلق بوالدى وهو يتجول فى الســوق بائعا او مشتريا فاجد لذة فى ضجيج الســوق وزحام الناس فيه

المهم هو اننى حين كنت اريد ان اتخفف من متاعبى لا اجد راحة لى سوى ان اجلس فى مكان يمكننى ان ارقب الناس واتاملهم

وفى (حى الحسين) استطيع ان ارضى ذلك الدافع لان هناك الحيـاة بالوانها المختلفة . كانت جلستى هذه الليلة فى احد محلات الفطائر تناولت (فطيرتى) وجلست اتامل الحياة بمتناقضاتها فى هذا الحى العجيب ، ولفت نظـــرى شخص يقف خارج المحل بالقرب من بابه لا يكاد يفارقه وتاملته انه يرتدى زى عمـال المحل لكن لا عمل له بينهم ســـوى تلك الوقفة .. واعترتنى دهشة شديدة بعد ان لاحظت ان عمال المحل كلهم فى حركة دائبة لا يكاد يتوقف احدهم عن العمل الا ريثما يتسلم «المطلوب» اما هو فثابت فى مكانه لا يتحرك .. وقلبت اوجه الرا ى فيه عـــانى اجد لوقفته تفســـيرا يرضينى فلم استطع ان اجد عملا يمكن ان يوضع فيه مثل هذا الشخص وهو على هذا الحال . وان كان من المرجح انه من عمال المحل

وقلت لنفسى او هكذا اقنعتها بانه لا داعى ايدا ان نولى اهتمامنـــا لاشياء نحن فى غنى عنها

وطرحت تفكيرى فى هـذا الموقف

واندمجت فيما انا بصدده – الى الشارع –

وفجاة وجدت نفس الشخص يندفع كالصاروخ وراء شيء لا اعرفه وتضاعفت حيرتي فوقفت دهشا كاني امام ظاهرة غريبة اكاد المحها لاول مرة . وكدت اجري وراءه لولا اني تنبهت الى ما يجب ان اكون عليه ... وعاد الرجل متمهلا ليقف في نفس المكان مرة ثانية .

وقلت لنفسي : ان هذا الرجل يتعمد اثارتي بالذات فهو يعرف انني ارقبه . لكن اذا صح ذلك فلا يمكن ان يكون هذا الرجل عاديا وصممت على ان اقوم الى هذا الرجل فاستوضح منه الحقيقة وليكن مايكون لولا انني سمعته يطلق من لسانه تلك الكلمات التي جعلتني اعدل عن سؤاله مؤقتا « والله يابنت الحمار ان شفتك هنا تاني مرة لحقطم رقبتك على سدرك » واتجهت عيناي الى الشارع لتستقر على طفلة تنكمش بجانب الجدار المواجه للمحل في خوف وترقب وهي تقول له بتوسل « بس سبني انفد وحياة ولادك وانا معدتش اجي هنا ابدا » لكنها اندفعت تجري كانما يئست من رحمته ووقفت بعيدا عن المحل وعيناها تتطلع الى الرجل في تحد ومقت كانما تنطلق منها اللعنات . ولعلها اطمانت الى ان الرجل لم يعد موجودا فمشت بجانب انجدار المواجه للمحل تتسلل بخفة وحذر كانما تخاف ان توقظ نائما الى ان اصبحت في مواجهتنا فوقفت تتطلع الينا متحفزة وكانهما مقبلة على عمل تخشى عاقبته وهمت ان تعبر الشارع الى المحل لولا ان لمحها الرجل فانقض عليها بسرعة وجذبها من يدها جذبة افقدتها مقاومتها فاستسلمت اليه في ضعف وذل وهو يقول لها « بقى انت عديمة الاهل ملكيش حد ابدا يحوشك عننا » .

وتطلعت الي في انكسار كانما لتحثني على ان انهض فاخلصها من تلك اليد التي تقبض عليها

ولم تستطع بنظراتها الذليلة أن تثير شفقتي لان ذهني كان مشغولا بالوصول الى تفسير معقول لهذا الموقف

ولاحظ الرجل اهتمامي فانتفت الي قائلا وهو مازال قابضا على يد الطفلة « تتصور يا افندي اني مليش شغله في المحل ده الا مطاردة ولاد الحرام اللي زي دهيه كل ساعة مديقين الزباين زي الدبان »

ويطلق الرجل سراحها بعد ان تكون اذناها قد احمرتا لتختفي في زحام الحياة مع الناس

محمد جمعه العدوي

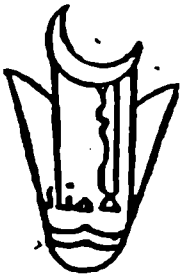

أزمة النقد حول مهرجان الشعر

تعالت الصيحات حول مهرجان الشعر الخامس . والتحمت الاقلام تزيد بفتور ، وتنفى بحماس ، وترفض بلا بين تارة ، وتقبل بشدة تارات . وبات المهرجان بما القى فيه من روائع القصيد لقمة سائغة لمن يمضغ الحجر ومن يمضغ الحقد ، وحرما مباحا للمؤمن بما يكتب والكافر بما يقول .

ورغم ما اثير حول المهرجان وما كتب عنه فما زلنا نسمع من يتساءل : « اين النقد الادبى البناء ؟ اين النقاد الادبيون ؟ او اين الكتاب المتعرضون للنقد الادبى ؟ » وفى زحمة التهام المائدة الشهية نسى بعض المدعوين — بلا دعوة — قول الناقد « ان ننفذ الى العمل الادبى من الداخل فتلك مهمة الناقد . اما ان ننظر اليه من الخارج فتلك مهمة الباحث . والمهمتان من ناحية التكامل الازدواجى مطلوبتان لازدواج النظرة الموضوعية للعمل الادبى » وتناسى البعض الآخر ان « النقد الادبى ثمرة التفكير فى الآثار الادبية لتقويمها ببيان زيفها من صحيحها وتفسير نواحيها الفنية ثم الحكم عليها ، ويقوم به عادة طائفة من المتخصصين » .

هذا هو النقد الموضوعى المثمر ، وذلك هو الناقد الدارس الذى نود .. لكن الحقيقة التى كنا ننشدها قد ضاعت فى غمار الجدل ولم نعد نتبين مواضع اقدامنا فى الزحام . فلقد كان الامل فى حملة الاقلام والمسيطرين على صحفنا ومجلاتنا ووسائل اعلامنا كبير . وذلك بان يطبقوا مبدأ النقد السليم قبل ان يتعرضوا له — على انفسهم — وهم يطالبون بحرفية مبادىء القصيد من تطور درامى ووحدة عضوية وشكل ومضمون . الى غير ذلك .. لكن شيئا من هذا كله لم يحدث .. ولقد كان مخيبا للظن فعلا ان نقرأ تحقيقا صحفيا عقب المهرجان فى احدى صحف الصباح يقول « اغرب ما سمعت فى مهرجان الشعر ان معظم القصائد كانت غزلا فى الاسكندرية . ويستطرد : « وقفجاويش المهرجان — صالح جودت — بلقى قصيدته العصماء عن اليمن : واليمن من وجهة نظر ايدليوجية هذا الجاويش تعنى سيقان بلقيس ومفاتنها وسريرها » . ثم يتساءل : « اين عبد الصبور . وكمال نشأت . وفتحى سعيد .. الخ ؟ » ويتسلل فى محاولة مكشوفة لان يجر غيره طرفا فى النزاع ممن يترفعون عن المهاترة . ونجد كذلك غيره .. يطالعنا بنفس الاسلوب فى صحيفة اخرى مؤكدا « ان الشعر الذى قيل فى المهرجان موزون ومقفى لكنه باستثناء قصيدتين

او ثلاث كأن شيئا ميتا ومتربا ويشبه اللفائف المزقة لمومياات قدماء المصريين » ويستطرد « ان انكار المؤتمر للشعر الجديد وتجاهله للشعر العامى يحمل معنى مؤسفا لعقم الشعر القديم الذى لم ينجب احدا يرث ارض التعبير » وهذه قضية منطقية قد تحتاج الى مراجعة والى برهان اقوى . . تقول الدكتورة سهير القلماوى فى بحث لها « تسبق الجديد دائما فترة انتعاش قوى للقديم وبعث له ليكون بيئة طبيعية تحرك الحياة فى النواة الاصيلة لترتوى من التيارات الوافدة وتتغذى عليها » .

. . ثم يوضع المهرجان بعد ذلك فى الميزان ونخرج بنتيجة هى ان المهرجان « كان عيدا للشعر بكل معنى كلمة العيد اختلط فيه الجد بالهزل والوقار بالمدح والجيد بالردىء والسامى بالمسف واخذ كل من كل حاجته » وهذا كلام له خبىء » حتى الآلاف من الاولاد والبنات الذين احتشدوا فى المدرج الكبير بكلية الحقوق ليسمعوا مها صبرى وفايدة كامل الخ . . ثم يعود الميزان مرة اخرى ليقف طويلا فى محاولة لتقييم رائية ـ صالح جودت ـ ويمضى الوقت ، ليسأل صاحب الميزان فى النهاية ـ الشاعر ـ هل يعتقد أن فلانا وفلانا وفلانا من أصحاب الشعر الجديد ماجورون ؟ ويمضى . . ليحتل المكان شاعر آخر كان « فى مهرجان الشعر الخامس » ليوقع على نغم جديد يبدو نابعا عن حس ودراسة حينا وحينا آخر يتهاوى خلف عواطف الشاعر واحساساته الذاتية . . ويقسم لنا الشعراء الى ثنائى وثلاثى واساتذة وتلاميذ وليأتى بحقاق جديدة منها « ان المرأة قد شعرت واصبح لشعرها امتياز وذاتية » ويجىء آخر ليحتم ضرورة معالجة موضوع الشعر الجديد « بطريقة تستأصل الشر من جذوره » ويتساءل كما بدا ايضا « من هم بالتحديد هؤلاء النفر الذين ارادوا ظهورهم لعمود الشعر ؟ » ولعله يحذر حين يقول « والخير أن يشوب كل ذى غى الى رشده » .

ويشتد الجدل وتتصارع التعابير دون ان نخرج بمعايير تثرى مفاهيمنا وتعمق قيمنا وتعبد الطريق للشاعر الذى يحاول جاهدا أن يتحسس مكان روحه ويطمئن على نفسه لايمانه ـ كما يقول ـ استاذنا العقاد « ان الشعر الزم ما يكون للانسان فى عصر الصواريخ » .

ولو ان من كتبوا عن المهرجان لم يخرجهم الغضب عن طريقهم الذى نحمده لهم على المدى البعيد لما ضاعت هذه الصفحات فى كلام لا يعدو ان يكون سبا . . والقضية ما زالت قائمة تتحدى . .

. . والمتتبع لهذه الحملة يخرج بنتيجة خرجنا بها نحن الذين نقدس الكلمة ونحترم اللفظ ونؤمن بالراى الحر ونعيش بمعزل عن الجدل وخارج منطقة الضوء . وبنظرة لما كان وفهم لما دار ندرك ان المهرجان لم يكن هو

المقصود لذاته بهذه الحملة . وانما هى قضية طال الحديث فيها وبات معادا .. تلك القضية هى « قضية الجديد والقديم » والتى تمتد جذورها الى لعماق بعيدة فى ادبنا .. حيث اهزات على المدى تحت الاقلام وهى تشبعها تجريحا بالشعر والنثر حينا وبالنقد والتمحيص احيانا .. استمع معى الى اللغة العربية تنعى نفسها على لسان شاعر النيل حيث يقول :

سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى ... لعاب الافاعى فى مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة ... مشكلة الالوان مختلفات
الى معشر الكتاب والجمع حافل ... بسطت رجائى بعد بسط شكاتى
فاما حياة تبعث الميت فى البلى ... وتنبت فى تلك الرموس رفاتى
واما ممات لا قيامة بعده ... ممات لعمرى لم يقس بممات

وهذا هو الشاعر نفسه ـ صالح جوودت ـ يهتف فى مهرجان الشعر الثالث بدمشق منشدا :

يقولون جاءوا بشعر جديد ... يجب القديم الذى نكبر
وأبياته كضمير اليهود ... تطول مع الزيف أو تقصر
تفاعيله يزدريها الاطار ... ومبناه تنكره الابحر

الى أن يقول :

وما الاثم الا الذى يأثمون ... وما الشعر الا الذى نشعر
شياطيننا كوجوه الملائك ... بيض . . وشيطانهم أحمر

وينسج الزمن على منوال التجديد عامين .. ويتجدد الموقف بنفس الشاعر ـ ليهمس فى حدة اقل :ـ

الشعر : لا الشعر الجديد المستبيح لكل عوره
لا ما يقول العابثون بكل قافية وشطره
من كل مغمور يهب بغير موهبة وخبره
أو كل ماجور يدب وفى يديه خضاب حمره
أو كل مغمور يدير الى عمود الشعر ظهره

وبدلا من الاقناع المنطقى تدور الرحى لا على ـ صالح جودت ـ وانما فوق رأس المهرجان ومن ضم وما حوى .. وبقدرة رهيبة ينقلب الشاعر الى شاويش ! ! ولست أدرى ما علاقة التسمية بموقف الشاعر ـ ان الجادلين فى عالمنا الاشتراكى وحسب مفاهيمنا ـ من حفظة الامن .. فكيف يكون منارا للقلق ومعولا للهدم . وهذه وظيفته .؟ وكذلك .. انقلب المهرجان تبعا لقلب الاوضاع فكان الشعر ميتا ومتربا ويشبه اللفائف

المزقة لموميات قدماء المصريين الى غير ذلك مما ظهر على السطور وما توارى خلف سطور المقال الذى نشرته الاهرام ولم يقف الامر عند هذا الحد .. فقد سار فى نفس الدرب أساتذة اخرون نثق فيهم وفى قدرتهم على التمحيص وطول باعهم فى الدراسة والاستيعاب ... حتى أوشكنا ان نضل .. وارتسمت علامات الاستفهام رهيبة وتساءلنا ـ أكان المهرجان قرآنا وشعره آيات لو ان الشاعر صالح جودت لم يظهر العداء للشعر الجديد ؟ ؟ أم ان هذه دعاية غير مقصودة ؟ ؟ أم أنها مقصودة ومستورة الشاعر الرائية ؟ ؟ أم انه ضل فعلا وما كتبوا تقويم للضلال ؟؟ نحن نثق أنه ترك هذا الطور من أطوار التقويم .. وان كان كأى شاعر وأديب لم يتعد دور التقييم .

كما ندرك أن الشاعر يؤمن بما يقول .. وحسبه انه عبر فى شجاعة وصراحة وصدق عما يؤمن به .. فهل أخطأ ؟ .. يقول « سانت بيف » معرفا الاديب « هو الكاتب الذى يغنى العقل الانسانى ويزيد ثروته ، وهو الذى يعينه على السير قدما ، وهو الذى يكشف حقيقة أدبية ويعرضها واضحة أو ينفذ الى العاطفة الخالدة فى قلب الانسان فينشرها فى حين يظن الناس أن كل مافيه مرتاد ومعروف » ونجيب على السؤال تبعا لتعريف الناقد الفرنسى فنؤكد أن الشاعر لم يخطىء وان كان قد غالى .

ثم أن موقفه هذا ليس الاول من نوعه .. لكن الحملة والتحامل الذى نرى لم يسبق لهما مثيل عليه وعلى المهرجان تبعا له .. بيد أنه كان الاولى بهذه الحملة وهذا التوجيه ـ ان عد هذا توجيها ـ نحن الذين نحاول فى كفاح أن نتلمس الطريق لاقدامنا وسط الزحام وفى ضبابية الآراء .

اليست المسألة فى حاجة الى اعادة النظر على ضوء ما تقدم ؟ ثم اليس النقد الادبى الهادف البناء أجدى لنا ، وأجدر بمهرجان كهذا ؟ حبذا لو أمسك كل ناقد بتلابيب قصيدة واشبعها فحصا وتمحيصا على شرط أن يكون طبيبا وبمشرط طبيب صناع .. لا أن يلبس قفاز ملاكمة يشدخ به الوجه ويريق الدماء . حبذا لو تم هذا بالنسبة لقصيدة المهرجان .

أما بالنسبة للقضية السرمدية « القديم والجديد » فنحن نعلم ان الجديد امتداد للقديم » يولد فى ظله وتتفاعل معه تيارات وافده ثم ينحرف قليلا أو كثيرا حتى يستقل بنفسه . ولعل البحث القيم « حول التجديد فى الشعر المعاصر » الذى ألقته الدكتورة سهير القلماوى فى مهرجان الشعر الرابع وعشرات مثله . توضح لنا الطريق وتضع الحلول وترسم المعالم وتبلور المفاهيم وتقطع خيط الخلاف الابدى الذى طال فى هذه القضية والبقاء كما يقولون للاصلح .

ثمة شيء آخر :

ذلك الشعار الذى نردده دائما .. حين نقول : ان الشعر تعبير حضارى عن المرحلة التى نعيشها .. ومن ثم فهو — اى الشعر — لحظة اللقاء بين الانسان المعاصر وواقعه الذى يعيشه ، وهو كذلك التعبير الجمالى عن ازمة الانسان العربى الذى يحيا على ارض خراب ممهدة للبناء لا ارض صالحة ، آيلة للسقوط كما هو الحال بالنسبة للانسان الغربى .. ثم ان لحظة الابداع الفنى هى لحظة اللقاء المبدع والواقع العربى الذى نعيشه فيه .

وبودنا ان نضع هذا نصب اعيننا جيدا ونحن نلاحق التطور الضخم فى عالمنا والذى سبق — الى مدى بعيد — تفكير الباحث وخلق الناثر وخيال الشاعر .. بل ويضعه على وجه الخصوص كل من يحاول دراسة شعر المهرجان وذلك بالنفاذ الى داخل العمل الادبى وخارجه ، لحتمية ازدواج النظرة الموضوعية لهذا العمل . فما النقد الا تمييز الدراهم واخراج الزائف منها مع ضرورة الربط بين الشاعر وواقعه الحضارى الذى ينتمى اليه .

يس الفيل

في

دار الأمين

٥٨ ش الجمهورية - القاهرة - ت : ٤٨٠٦٩

في تلاوة الآحاد — الساعة الرابعة

تحت سقف الشيوخ والشباب حول مائدة حرة

صحافة الفكاهة وصانعوها

تأليف : جمال الدين الرمادى

نقد : عماد الدين وحيد

- ٢ -

فى الفصول التى تناولت الصحافة الهزلية اشاد المؤلف الى ضحكات الشعب المصرى كنوع من مقاومة حكامه الظالمين . وهى نغمة يرددها كل من يتناول مرحنا حتى ابتذلت تماما وخاصة عندما تتناول بسطحية وتقليد الببغاء كما فى هذا الكتاب . فلماذا لا يكون هذا المسلك مثلا هروبا من الواقع .. اى سلبية مطلقة . فكما ان الضحك يجدد نشاط الانسان ويعطيه القدرة على استجماع قواه ، فهو من ناحية اخرى ، اذا اصطنع اصطناعا ، وبلغ درجة الادمان نوع من احلام اليقظة وحالة مرضية تكشف عن ضعف مزر وانهيار داخل النفس تبتعد بصاحبها عن مواجهة الحقائق لانه اجبن من ان يفعل .

●

يكتبون دائما « .. والسخرية من الهم مرتبة من مراتب الفلسفة طبعنا الله عليها وله فى ذلك حكم (١) » .

نعم ، هذا حق يراد به باطل . فاذا كنا نوافق على ان الفكاهة سلاح مقاومة ضد الطغيان ، فهو لا يعدو ان يكون سلاحا ثانويا وواحدا من عشرات لا يجىء الا بعد ان تفشل الثورة المسلحة او على الاقل ان يكون عمله التمجيد لها ، لا ان تتحول الى هذا النوع من السلبية الذليلة التى تنأى بصاحبها عن مواطن التضحية او المجابهة التى تكلف بالطبع ثمنا باهظا فى الروح والبدن والمال .

وهذا الكلام لا يعنى ان الفكاهة لم تكن بذات اثر بالمرة فى مقاومة شعبنا المصرى ، فالضحكة كانت دائما بوجه عام احدى اسلحة الشعوب المواضى فى مكافحة الظلم بشتى الوانه . فكما سطر ابن مماتى كتاب « الفاشوش فى احكام قراقوش » يهاجم فيه الوزير الايوبى مثل شارلى شابلن فيلم « الديكتاتور » يسخر فيه من

---

(١) حرم الفمراوى : ادب الشعب . ص ٦٨ .

موسولينى . يحدث هـــذا فى الزمن القديم والجديد وفى الشرق والغرب على السواء . اذن فليست الفكاهة بالشىء الذى يجهله قوم دون قوم أو هو وقف على جيل دون آخر . وانما نحن نشير الى زعم تحول الى حقيقة فى اذهان الكثيرين بفضل الطرق المستمر فأين هو اثر هذه الحلقات الموهومة المتصلة من الضحكات المصرية المستمرة على تتابع الدهور والاجيال واين كانت القرون الطوال التى جمد فيها الشعب المصرى حتى كان يذعر من الهمسة يطلقها لئلا تنقلها الجدران والهواء . اننا لا يمكن ان نتجاهل ازمنة التبلد هذه التى مرت بنا او مررنا بها لانها جزء من تاريخنا لايمكن انكاره . ونحن بهذا ايضا لا نغفل براعة المصريين المشهودة فى الفكاهة . ولكنا نراها براعة المستوى الممتاز الذى لا يقتصر عليهم دون سواهم ، وبمعنى اخر هناك فارق كبير بين لازمة لاصقة تكاد تغطى على جميع الوان النشاط الانسانى الآخر للشخصية وبين سمات عامة يشترك فيها كثير من الشعوب .. يجب ان نضع الامور فى نصابها ونصف الاشياء بمسمياتها ونقول ان الشعب المصرى يعتمد فى شهرته **الفكاهية على النوع لا الخصوصية** وبذلك لا تهتز امامنا المرئيات . فالفكاهة المصرية بالقياس الى غيرها حادة « حريفة » وهذا هو الفارق المميز .

●

ويهم من ينتظر من هذا الكتاب دراسة جادة او بحثا عميقا . فمؤلفه لم يسلك السبيل الذى يصله بهما او بواحدمنهما . لانه عمل على ان يخطف خديثة خطفا ويلتقط من كل بستان زهرة كما كان يقول القدماء ، فلا يبلغ من هذا اوذاك شيئا وانما هى مقتطفات سريعة لا تحمل اكثر من اشارة عابرة من بعيد . ونتيجة لذلك لم يتوافر عامل الدقة فى حديث الدكتور الرمادى وفقد الكتاب قيمته العلمية المنتظرة كبحث يتعرض للون معين من الوان الاساليب الصحافية ويعجب القارىء وهو يلقى بنظرة على المراجع التى استعان بها مؤلفنا ، كيف لم يستخلص منها الا اقل قدر ممكن هذا الذى يستطيعه اى قارىء عادى لا يدرس ولا يبحث ولا يؤلف . وفى موضعنا هذا يلح علينا ذكر محمد عبد الحليم عبد الله الذى يرى ان ضعف النقد فى هذه الايام يرجع الى المحاكاة ، فالنقاد يقلدون بعضهم بعضا وبذلك لاتكاد تختلف كتابات الواحد منهم عن الاخر وفى رايى ان هذا القول لا يصدق على النقد فحسب بل على جميع الوان الادب الاخرى ايضا عندنا بلا استثناء كما يدل عليه هذا الكتاب . ومما يسترعى النظر ان هذه المحاكاة لا تتبلور الا فى صورة هابطة واحدة لا تتغير ، وهى السطحية يتساوى فى ذلك المشهور والناشىء والحاصل على درجة الدكتوراه والحاصل على شهادة محو الامية . والبحث عن علة هذه الظاهرة يسير جدا . فأول هذه الاسباب واهمها ما يمكن ان نسميه التاليف بدون تعب .

لقد كان التاليف ـ او ما يمكن ان

بعد كذلك ـ دائما ابدا عملية مرهقة اشد الارهاق ورياضة من اقسى الرياضات لا يستطيعها كل من امسك قلما او حبر صفحات . فلم لا تتحول ونحن فى عصر الازرار وحبوب الطعام الى عمل سهل مريح لا يستوجب نصبا او يكلف جهدا ويدخل فى قائمة الاعمال التى تتم بدون الم كما يقال عن الاسلوب الذى ينتهجه القرن العشرون فى تناول شئونه السريعة . ومن ناحية فان هذه السطحية تنبىء بان هذا النوع من الكتابة يتم بلاانفعال حقيقى او اهتمام جدى يضطر صاحبه الى اظهار ما يود ان يعبر عنه فى احكم نسيج .

●

واذا انتقلنا من حديث المؤلف عن الصحف الفكاهية الى ما كتبه عن صانعيها ، وجدنا انه لم يغفل السير فى نفس الطريق السابق ، فالزوايا التى اختارها هى هى . ولذلك لم يكن القارىء اسعد حظا هنا منه هناك فالخلط والسطحية والعجلة واللامنهجية لم تتغير ولم يصبها وهن اذن فنحن نلتقى بخيبة امل اخرى او هى فى الواقع امتداد للخيبة الاولى التى انسانا اياها ماركب فى الطبيعة الانسانية من ميل دائم الى الرجاء . وكان اول مقدماتها الصورة السريعة المهزوزة التى عرضها الرمادى لكل شخصية ويستطيع مؤلفنا ان يتيه بقدرته الفائقة على كتابة تراجم صناع الفكاهة اذا امكن لسطر او سطرين ان يترجما لشخصية ما . لقد كره باحثنا ان يتعب نفسه فالتفت الى النكت والنوادر يسجلها وكان شعاره : قل لى فكاهاتك اكشف لك عن اصلك وفصلك وترجمة حياتك كلها !

كان من الطبيعى ان ياخذ يعقوب صنوع مكانا فى مثل هذا الكتاب الذى نتناوله . فهو زائد الصحافة الفكاهية فى بلدنا « واليه يرجع الفضل فى وجود الصحف الهزلية والتصوير الكاريكاتورى الذى عرفته مصر بعد خمسين سنة من بداية الرجل فى عمله الصحفى » (١) وفضل يعقوب لا يقتصر على ضخامته فى ايجاد الصحيفة الهزلية بل ان له فى رايى فضلا اعظم وهو موقفه البطولى من القوى المستبدة المتسلطة على اقدار شعبنا . اننا شعب فقير فى الابطال وواحد مثل يعقوب صنوع كنز غنى وقدرة رائعة ومثل من اطيب الامثلة للاقتداء بها واحتذائها . لقد عرض حياته للخطر وللاغتيال الدنىء ورضى بالنفى عن بلاده التى يعبدها لسبب واحد .. « مواصلة خدمتها والدفاع عنها فى بلد لا يكمم قلمه » فهو ناقد مر النقد ، قاس فى اسلوبه وحواره ، لا يعرف قلمه حدودا ولا قيودا تتمثل فيه طبيعة المصرى اذا فرح او سخر ، وفى صحيفته سجلت الشخصية المصرية فى اروع مظاهرها ، وقد عرفه

---

(١) د . ابراهيم عبده . اعلام الصحافة العربية . الطبعة الثانية . ص ٦٧

المصريون جميعا فى المدن وفى اعماق الريف ولم تشهد الصحافة المصرية فى مصر أو فى الخارج معارضا كيعقوب ابن صنوع » (١) .

وكمهدنا بالرمادى وجدنا حديثه تهبط به عوامل الضعف اكثر مما ترتفع به اسباب القوة . فهو مثلا يتمسك بالعنصر الثانوى ويتجاهل الرئيسى ، فهو لا يختار الاهم فالمهم بل المبتذل والاكثر ابتذالا . يذكر بالتفصيل محاولات اغتيال يعقوب صنوع ثم يتجاهل موقفه من التدخل الاجنبى والاستعمار الانجليزى .

وكتب الرمادى عن تغيير مجلة « ابو نظارة » لاسمها اكثر من مرة ، ولكنه لم يهتم بايضاح ما وراء هذا الفعل ، ومدى اتصاله بحرية الرأى وحرية الصحافة فى ذلك الحين وكيف ان الصحف المصرية لم تقف مكتوفة اليد امام ارهاب الحاكم المستبد الذى يريد ان يلغى عقول الشعب فلا تفكر فى جبروته ، وقلوبهم فلا تتأثر بمظاهر قسوته وارادتهم فلاتعوق جرائمه . ولم تعبأ بكل انواع الاضطهاد حتى ينفى اصحابها خارج البلاد كما فعل الخديو اسماعيل بيعقوب صنوع ، الذى لم يفزعه النفى فتابع اصدار صحيفته فى باريس وتسللت كثير من اعدادها الى مصر وبلاد عربية وشرقية اخرى تلهفت على قراءتها . وكلما اكتشفت السلطات المصرية وجود الصحيفة الممنوعة من الدخول بين ظهرانيها واحكمت قبضتها عليها ، التمس لها صاحبها اسما آخر يخدع به السلطات من جديد . حتى بلغ عدد المرات التى غير فيها اسمها الاصلى اثنتى عشرة مرة !

وبمناسبة اسماء مجلة يعقوب الهزلية العامية ، فيلاحظ ان مؤلفنا لم يذكر منها الا ستة وهى : ابو نظارة زرقاء ـ رحلة ابى نظارة ـ ابو صفارة ـ الحاوى ـ النظارات المصرية ـ ابو نظارة . وتغافل عن الباقى ، ابو زمارة ، الوطنى المصرى ، الثرثارة المصرية ، التودد ، المنصف ، العالم الاسلامى . رغم ان الرمادى افرد فصلا خاصا عن مجلة « ابو نظارة » .

ومثال آخر على طابع المؤلف فى تعمد الخفة والاهتمام بالسطح دون الاغوار العميقة والميل الى نوع من الاثارة الخفيفة يسلى بها القارىء ويضحكه ليلهيه عن البحث عن اية دراسة فى الكتاب . فكلنا يعرف عميق الصلة التى اتصلت اسبابها بين يعقوب صنوع من جانب وجمال الدين الافغانى وتلاميذه وخاصة محمد عبده من جانب آخر ، وكيف تعمقت بالتقاء اهداف المؤلف والمخرج المسرحى والممثل ابن صنوع باهداف حكيم الشرق فى ايقاظ الشعب وتوعيته ودفعه الى ان يشعر بنفسه ويؤمن بوجوده . وكما اوحى السيد جمال

---

(١) د . ابراهيم عبده . تطور الصحافة المصرية . ص ٢٤٢ .

الدين ـ الذى يدرك جيدا قدرة الصحافة على خدمة الشعوب ـ الى اديب اسحاق باصدار جريدة «مصر» وساعده فى الكتابة فيها هو وتلاميذه. اوحى كذلك الى يعقوب صنوع بانشاء صحيفة اخرى تقوم بدورها القيادى وتتناسب وطبيعة يعقوب المرحة الناقدة ، وساعده فى الكتابة فيها هو وتلاميذه ، ومنهم محمد عبده ـ لا وجه للغرابة فى كتابة الشيخ الامام فى صحيفة فكاهية ، فقد حفظ لنا التاريخ اسم جماعة « المستحمرين » التى كونها الشيخ من خاصة صحبه مثل عبد الكريم سلمان للترفيه عن انفسهم ـ هذا هو احد المواقف التى جمعت بين الافغانى ومحمد عبده وبين مدرسهما فى اللغة الفرنسية يعقوب صنوع . فكيف عرضه الرمادى ؟

مستخفا بكل ما ترمز له القيم المضيئة التى يمثلها اجتماع الشخصيات الثلاث ، لم يذكرهم معا الا عندما كان ابن صنوع يبحث فى البداية عن اسم لجريدته الهزلية اى والله لم يات كاتبنا بذكر الافغانى ومحمد عبده ـ وكانهما ايضا لم يلتقيا به خارج القطر فى باريس عندما ضمهم المنفى جميعا ـ فى الفصل الذى عقده لمجلة « ابو نظارة » الا وهو يقول : « واستشارهما فى اختيار اسم مناسب لهذه المجلة واستمر اجتماعهم ساعات طويلة ، بيد ان الاجتماع انفض دون الوصول الى اسم مناسب » !! ص ١٩ . هذا هو كل اثر الرجلين العظيمين فى مجلة يعقوب صنوع كما يريد ان يوهمنا الرمادى .

واذا كان هذا هو اسلوب المؤلف فاظنه بعد من سقط القول ضرورة الاشارة الى يعقوب صنوع والرسم الكاريكاتورى ونماذج لمقاماته وشعره وزجله وتاثير دراساته الفنية فى ايطاليا الخ ..

« كانوا ابتساما على ثغر الحياة فى مصر مهما يكن حظ الحياة فى مصر من العبوس والحرج ومن النكر والضيق » (١) . وهكذا وصف طه حسين الشيخ عبد العزيز البشرى وصاحبيه حافظ ابراهيم ود . على ابراهيم . فلم يفرق بين فكاهاتهم ووطنهم الذى يعيشون فيه ، فماذا قال الرمادى فى الفصل الذى كتبه عن الشيخ البشرى ؟ ولا كلمه ! مجرد ثلاث نوادر استهلكت من قبل عشرات المرات . الى هذا الحد من الاستهانة بعقول القراء اصر كاتبنا على الاستخفاف بهم ، وكان عنوانا مثل صحافة الفكاهة وصانعوها لا يعنى اكثر من جمع نكات وينتهى الامر . ومن الطريف ان للرمادى كتابا عن ادب البشرى ، اى ان مؤلفنا زامله طويلا قبل اليوم ، ورغم ذلك لم يتناول حياته او فنه ـ لم يذكر له حتى « فى المرآة » وهو الكتاب الذى من اجله يمكن القول انه سمح للبشرى بدخول عالم الصحافة الفكاهية حقا ـ او اسلوبه من قريب او بعيد واكتفى بان ياخذ دور المنكت ! ومن المفارقات

---

(١) د . طه حسين . مقدمة قطوف للبشرى ج ١ . ص ك

أيضا ان مؤلفنا عندما يكتب عن البشرى كاديب يبحث فى امر تكتته ومقوماتها ولا يفعل المثل عندمايتناوله كظريف ، النكتة من اهم اسلحته ! فيسطر فى « من اعلام الادب المعاصر» فى الفصل الذى عقده له قوله « كان البشرى يعتقد ان النكتة فن جميل من فنون الادب تكسب الاسلوب روعة وجمالا وسحرا وبهاء ، ويرى ان مردها الى خلل فى القياس المنطقى باهدار احدى مقوماته او بتزييفها او بفصلها بحكم التورية ونحوها »

وهذا الصحفى الفكه الاخر حسين شفيق المصرى الذى يقول عنه احد تلاميذه « انه الرجل الذى لم تعرف الفكاهة العربية ولا الفكاهة الشعبية استاذا قبله ، وسنظل من بعده حقبة طويلة من الزمن نفتقد من يخلفه ويشغل فراغه (١) » عندما يكتب عنه الرمادى ـ وهو هنا فى احسن حالاته ـ بضعة سطور قليلة على غير عادته وعن المجلات التى عمل بها والاسلوب الذى انتهجه ، لم يرتفع باحثنا فى كتابته عن المستوى العادى الخفيف الذى لا يتعمق او يدرس او يتدم جديدا او الذى لا يختلف عما طالعه القارىء قبل ذلك مرارا وتكرارا فى الصحف المسلية . ومن المعروف ان لحسين شفيق المصرى فضلا لا يمكن انكاره فى النهوض بالصحافة الفكاهية ، وانه كان يقول هو عن نفسه «يضحك الطوب» سواء بنوادره التقليدية او الابواب الجديدة الفكاهية التى ابتكرها . هذا من ناحية الشكل ، اما مضمونها فاكثره يتناول التقاليد الاجتماعية البالية والاحداث السياسية والنضال الوطنى .

لقد ذكر المؤلف من كتابات المصرى مشعلقاته وتعقيباته ، فاين هى مشهوراته وشعره الحلمنتيشى وعلى الربابة ومقاماته ، وهى جميعا الوان من الفكاهة اشتهر بها ، لقد اغفلها الرمادى كلها وهى التى اقامت ذكر حسين شفيق المصرى ، وانتظار القارىء من دارس حسين شفيق المصرى

ونذكر فى هذا المقام بيرم التونسى ومنافسة المصرى له ، وانتظار القارىء من دارس حسين شفيق المصرى ان يحدثه عن امر هذه المنافسة الشديدة التى كانت بين الكاتبين الفكاهيين الكبيرين حتى كان لفظ « المشخورات » الذى اطلقه التونسى على مشعلقات المصرى اخف الالفاظ حدة . ولكن الرمادى لم يلتفت ابدا الى هذا الجانب الهام ، كما لم يعقد اية مقارنة بين شخصيات ـ لم يذكرها على الاطلاق ـ ام اسماعيل والحاج درويش لحسين شفيق المصرى وبين السيد ومراته لبيرم

ومن الجدير بالذكر ان كاتبنا لم يفرق بين الصحفى الفكاهى وبين الرجل الظريف او لنقل انه لم يهتم بذلك فحشرهما فى فئة واحدة هى

---

(١) ابو بثينة . الزجل والزجالون . ص ١٠٠ .

كتاب الصحافة . وكان كل من دونت فكاهاته فى الصحف فهو ضحفى هزلى ! وهى نظرية «رمادية» لا اظن الا انها تثير كثيرا من البلبلة والخلط ! واعمل المؤلف اراد بهذا التفسير ان يساهم هو الآخر فى صنع النكات والطرائف التى ملأ بها كتابه .

لقد عد الرمادى الظرفاء : محجوب ثابت والبابلى وام كلثوم وغيرهم من صانعى الصحف الفكاهية ، فاذا كان هذا هو فهمه للصحفى الهزلى . فلماذا لم يذكر معهم ايضا شخصيات اكثر منهم شهرة مثل حافظ ابراهيم واحمد شوقى ، وهو الذى يقول عن الاخير « روى عن امير الشعراء ابراحل عدد كبير من الطرائف والنوادر التى تناقلت من فم الى فم وانحدرت من افواه الشيوخ الى آذان الشباب » ص ٤٨ . وهو نفس المعنى الذى قاله عن الظرفاء السابقين .

انها اللامنهجية وسد الخانة وتسويد صفحات كتاب والسلام .

وقد يذكر القارىء وهو يطالع الفصل الذى كتبه الرمادى عن حفنى ناصف ما هو معروف عنه ـ اى حفنى ـ من انه « كان مولعا بتطريز الفكاهة فى كل ما يقول ويكتب وقد اشتهر دون غيره من الكتاب والشعراء بهذه الخاصة حتى اصبحت الفكاهة من مميزاته البارزة » (١) . فكيف كان ذلك وماهى خصائص اسلوبه وما هو لونه الفكاهى لا جواب !

ولست ادرى ايضا اذا لم يتناول من يكتب عن الصحافة الفكاهية وصانعيها المواقف ذات الصبغة الهزلية التى تتصل اوثق اتصال بشخصياته ، فما الذى يبقى اذن فى كتابه ؟ من المعروف ان حفنى ناصف قد كون يوما « من كثرة تخطيه فى الترقية وغمط حقه برغم كثرة عمله ودقة عدله جماعة من كان حظهم مثل حظه اسماها «جمعية المستحمرين»(٢) فأين ذكر هذه الجمعية فى حديثه عن حفنى . لا اثر لذلك ، ومن المضحك حقا ان الرمادى وجد انه من الانسب تناول هذه الواقعة الهزلية نفسها لا فى كتاب يتحدث عن الصحافيين الفكاهيين بل فى آخر الفه عن الادباء والشعراء والقصصين ! (٣) .

وبمناسبة ذكر جمعية المستحمرين كم ود القارىء ان يعرف هل هى نفس الجمعية التى كونها الشيخ الامام محمد عبده ـ ولا ننسى ان حفنى تتلمذ على الامام ـ ام انها جمعية اخرى ، وما هى الصلة بين الاثنتين ان وجدت .

منذ متى تحولت المغنية ام كلثوم فجاة الى صاحبة قلم تشارك فى الكتابة وخاصة فى الصحف الفكاهية حتى تعد عند التاريخ لهذه الصحافة او الحديث عنها من صانعيها ؟

هكذا ادعى د . جمال الدين الرمادى عندما افرد فصلا فى كتابه للسيدة ام كلثوم . فاذا التمس القارىء للمؤلف عذرا فى اتيانه بامام العبد مثلا لقفشاته ونكاته رغم انه لم يكن من كتاب الفكاهة فيمكن

---

(١) نثر حفنى ناصف . ص ١٨٥

(٢) نثر حفنى ناصف ص ١٨٦

(٣) الكتاب هو « من اعلام الادب المعاصر» ص ١٠٢

التجاوز عن هذا بادعاء ان كتابة امام للشعر وما اثر عنه من خفة دم بسبب مفارقاته مع البؤس ، وما بين الشاعر الفكه والصحفى الفكه حساب ! ولكن كيف يمكن التجاوز عن حشر ام كلثوم فى مثل هذا المجال ؟

ولعل كاتبنا قد احس بموقفه الضعيف المتهافت فدافع عنه بقوله انه يعرض فى كتابه لبعض اعلام صحافة الفكاهة ممن كانوا يصنعونها « او كانت شخصياتهم محورا لها » ! ص ٦٣ . ولكن الرمادى يعود فى ص ٨٢ فيصر على اضطراب خطوته فيقول بالحرف « ومؤرخ صحافة الفكاهة لا ينبغى ان ينسى الدور الذى ادته السيدة ام كلثوم فى الدعابة والفكاهة .. فاذا عرفنا ان ام كلثوم تمتاز بروح مرحة ودعابة حلوة ، وقفشات جميلة فلن نستبعد دورها فى هذا المضمار » ! ورغم ذلك فلنناقش ما كتبه عنها . نجد انه كعهده دائما فى عدم تقديم شخصياته الى القارىء ، يفعل هنا ايضا ويجىء ببضع نوادر . وفجأة نجد اسم الشاعر احمد رامى ، لا ليسجل المؤلف — وأمرنا الى الله — الدعابات التى يشترك فيها مع ام كلثوم حتى نقتنع ولو من وراء قلوبنا بوجوده فى هذا المكان ولكن ليأتى له بفكاهة لاصلة لطرفتنا بها من قريب او بعيد ، وكان رامى احد مرادفات ام كلثوم !! — .

وعلى كثرة المواضع المختلة والناقصة والمضطربة فى هذا الكتاب لا يملك المرء الا ان ينكر ايضا على المؤلف اغفاله اسماء مثل بيرم التونسى و « مسلته » التى لا هى جريدة ولا مجلة ، واحمد حافظ عوض وصحيفته الفكاهية « ها ها ها » ! التى تغير اسمها بعد ذلك الى « خيال الظل » وابراهيم عبد القادر المازنى وفصوله الفكهة ، والحديث عن الصحافة الهزلية الحديثة .

واذا استطعنا ان نلتقط انفاسنا لحظة لنتساءل ، ما هى العلة الحقيقية لهذا التفكك المخجل الذى يسرى فى الكتاب كله ، لوجدنا انه عدم وجود المنهج ، والمؤلف لا يستطيع ان يعتذر عن لامنهجيته بحجة انه يكتب كتابا مبسطا للجمهور الواسع مثلا . لاشأن له بالقارىء الخاص او العام فالمنهج هو هو بالقياس الى الموضوع الطريف او غير الطريف ، او لنقل ان المنهج لا يعترف بلون موضوع ما ..

ان حياتنا الثقافية لم تعد فى مكنتها ان تستسيغ هذا النوع من الكتابة السبهللة الذى لا يحده مخطط ولا يعتمد على المنهج العلمى فى الدرس فقد اكتظت امعاؤنا بالسطحية والتفاهة بما فيه الكفاية .

ان قضايا كثيرة تضطرب بها الصحافة الفكاهية آثر المؤلف ان يتغاضى عنها لانها تتطلب بالطبع جهدا فى تناولها ودراستها وايجاد الحلول لها ، وهى اشياء لا قبل لكاتبنا بالتعرض لها ، لانه فى الواقع — كما يجب ان نعدل فى نظرتنا — لم يرد من كتابه الا ان يضم مجموعة من النكات والنوادر تسلى القارىء للحظة او لحظات . وفى هذه الحدود والحق يقال قام « الصحافة الفكاهية وصانعوها » بعمله خير قيام !

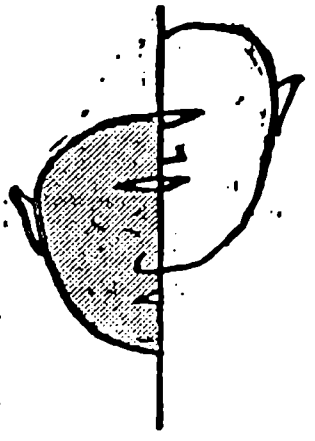

الكلام لكل فم ..

كلنا نذكر الضجة التى اثارها ادب اللامعقول خصوصا بعد واقعة الهواء الاسود التى اثيرت على صفحات مجلة الكواكب . وقد قوبل ادب اللامعقول بهجوم سرعان ما خمد وانطفأ لانه هجوم لا تضرب جذوره فى اغوار سحيقة من ارض الحقيقة .. كذلك فقد كان يستهدف – فى الحقيقة – النقاد بفية النيل من مكانتهم وصدق آرائهم . ويرى اعداء ادب اللامعقول ان الادباء الذين يكتبون هذا النوع من الادب قد جاوزوا حدود العقل ، وحلقوا عاليا فى سماء الخيال الجامح المجنون ، وانطلقوا فى طريق غامض يلفه الظلام ليحققوا ماتطمح اليه نفوسهم من شهرة لاتكفلها لهم مواهبهم وقدراتهم ويرون ايضا ان ادب اللامعقول نوع من العبث الذى لا يثمر شيئا غير التخبط فى متاهات لا اول لها ولا آخر . ويستند هؤلاء فى آرائهم الى اختلاف النقاد اختلافا بالغا وعجيبا فى نظرتهم الى العمل الادبى الواحد ، فحينما اصدر الاستاذ توفيق الحكيم مسرحية يا طالع الشجرة اختلف النقاد فى تحليلهم لها . ورغم كل ما يمكن ان يقال فانى اعتقد ان ادب اللامعقول يمكن ان يحتل مكانا طيبا كفن من فنون الادب وان يكون معقولا لا تنفر منه العقول ولكن بشرط أن :

أولا : تتوفر فيه كل مقومات اى عمل ادبى آخر .

ثانيا : يكون العمل الادبى متكاملا .. اقصد .. ان يكون وحدة واحدة وليس مجرد عبارات متنافرة لا رابط يجمعها ، ففى المسرحية مثلا .. يكون الحوار فى خدمة الفكرة او الافكار التى يريد المؤلف أن يعبر لنا عنها .

ثالثا : لا يتجاوز الاديب حدود المعقول الا بغرض عرض الفكرة التى يدور حولها موضوعه .. (اى العمل الادبى) فالتجاوز يكون بصورة حتمية وليس نتيجة رغبة طائشة مجنونة تعربد فى ذهن المؤلف .

هذه هى شروطى لكى يصبح اللامعقول معقولا . واذا تأملنا مسرحية الطعام لكل فم التى الفها الاستاذ توفيق الحكيم اخيرا ونشرت على صفحات جريدة الاهرام نجد انه قد اخذ بهذه الشروط .. معذرة .. اقصد .. توافرت هذه الشروط .. وكانت النتيجة ثمرة طيبة ، ونموذجا رائعا لأدب اللامعقول المعقول . والمسرحية متينة البناء ، ولم تفقد اى مقوم من مقومات العمل المسرحى .. وهذا شىء طبيعى فمؤلفها عميد المسرح العربى . والحوار لم يكن غامضا ، متنافرا كما هو الحال فى كثير من مسرحيات مسرح اللامعقول ، والسبب هو انه كان فى خدمة الأفكار الكثيرة التى اثيرت فى المسرحية .

كذلك فان الاستاذ توفيق الحكيم عندما كان يتجاوز حدود المعقول لم يكن يفعل ذلك الا لينقلنا من فكرة الى فكرة .. والافكار كلها اطارها النفس البشرية . فكأن تجاوزه لحدود المعقول كان وسيلة لغاية والخطأ — فى تقديرى — ان يكون غاية فى حد ذاته .

وبعد .. فهذه خواطر اومضت فى ذهنى بعد ان فرغت من قراءة مسرحية الطعام لكل فم . فهى اذن ليست دراسة ولكنى اعتقد — وربما يكون هذا غرورا — انها يمكن ان تكون اساسا لدراسة ادب اللامعقول بصفة عامة ومسرحية الطعام لكل فم بصفة خاصة .

عنتر عبد السلام مخيمر

ظهر :

الشاعرة العربية المعاصرة

تأليف

الدكتورة بنت الشاطىء

يطلب من دار المعرفة — ١٥ شارع صبرى أبو علم

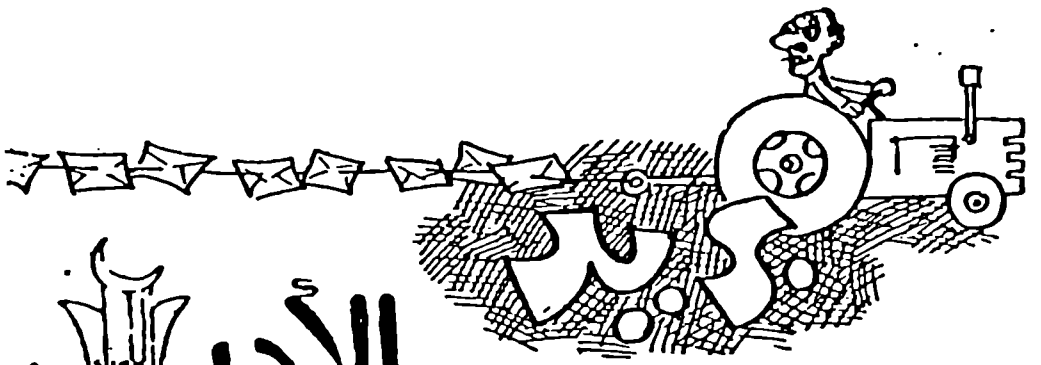

الأدب

تقويم وتدريب

التخصص .. والهدف

هذا العنوان ليس لمحرر هذا الباب منه شيء ، وانما هو عنوان رسالة جاءتنى :

من مدرس لغة عربية مصحوبة بنموذج ادبى عنوانه « فى سكون الليل » والرسالة والنموذج موضع لحديث قد يطول فلا تفى به صفحات الباب فى هذا العدد .. ولكن مالايدرك كله لا يترك كله فلنتحدث عن هذا بما ينفسح له المجال .

اما العنوان الكامل للرسالة فهو : **التخصص والهدف فى الادب ، وفيها يتحدث السيد المدرس عن « سيل من الكتب الادبية التى تصدر ، والصحف والمجلات الادبية ، سائلا : قل لى بربك كيف يجرؤ غير المتخصص فى الادب على الادب ؟ وكيف يحل لنفسه ان يخصص صفحة باكملها من جريدة او مجلة ، او ما يقرب من صفحة ليملاها باللغو الفارغ والهذر الخفيف لا السخيف ؟ هل المسالة ملء انصفحات ليقال : ان فلانا كاتب وان علانا يظهر اسمه فى الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية او الشهرية ؟ .. لا يا سادة ان الادب لابد له من تخصص .**

والى هنا لم يعين السيد المدرس موضع نقده ، بل انتهى عند هذا الكلام العام الذى سمعناه وهو ان صح فى بعض الاحيان فانه لا يصح فى كثير من الاحيان ، وارسال القول على عواهنه هكذا ، يسىء الى النشاط الادبى الصحافى بعامة ، ولا يستبعد غير الصالح من هذا النشاط فلا يجدى ، وتظل الفرصة باقية لغير الصالح من هذا النشاط ، ليحسب نفسه غير مراد بهذا الكلام العام .

المجمل ، المبهم .. وليس مثل هذا النقد هو الذى يعده الامناء دينا فنيا !!

وبعد هذا القسم من الرسالة وقبله ايضا كلام غير قصير عن الادب والرياضة الادبية ، وهو على طوله لم يأخذ حظا من نقده السابق ، وهو ما كان الرجاء من مثل هذا المدرس ان يقول فيه ويرسل منه ما هو ادق واجدى .

اما اول قوله قبل نقده ففيه : « **ان الادب فن ، وكل فن صنعة** » وهى عبارة غير سليمة على اطلاقها ، اذ الفن بمعنى الصنعة شىء غير الفن الجميل ، الذى منه الادب .. وبهذا المعنى الصناعى للفن تسمى مدرسة الفنون والصنايع ، وقد مضى الاستعمال على ان يسمى التطبيق العملى للاصول النظرية فنا . .

و « الادب » وقراؤها اعرف بمعنى الفن الجميل ما هو ؟ ولا حاجة بها ولا بهم الى الاطالة فى شىء من هذا ، او التعريف بالفن الجميل ومعناه ، وحسبها فى هذا المقام ان تعرض فى اجمال لتصحيح منهج التفكير لمدرس لغة عربية ، لاشك انه يمارس التكوين الذوقى والفنى لتلامذته بما يدرس لهم من ادب العربية .. وانه هو لاولى من يعرف ان الفن : **تعبير عن الاحساس بالجمال** .. وليس كل فن صنعة ! !

وفيما تاخر من رسالة السيد ما هو موضع للملاحظة كذلك ، فهو حين يتحدث عما اهتم به من التخصص يشير على المتخصص الذى يريده ، « **ان يحيط بلغته خبرا ، فيطالع فى القواميس ليحفظ اكبر قدر ممكن من المفردات** » ، وانها لمشورة ساذجة نرجو الا ياخذ بها تلامذته ، لان القواميس ليست للمطالعة !! وانما هى للمراجعة ، ولا تكتسب المادة اللغوية بمطالعة القواميس ، وحفظ اكبر قدر ممكن من المفردات !! بل هى القراءة الشيقة المحببة للنصوص الادبية ، تكسب القارىء مادة لغوية . .

و « الادب » وقراؤها كذلك فى غنى عن الاطالة فى وصف الرياضة الادبية وكيف تكون ، أو هى على الاقل لا نجد فى الباب المجال الكافى لحديث عن هذه الرياضة ، وان كانت قد تعرض لشىء من هذا فى غير هذا الباب ، وغير هذه الفرصة .. وحسبها من ذلك هنا ان تشير الى ما فى قول السيد المدرس — وقد يكون قولا لآخرين من زملائه — من حسن النية ، وصدق الحرص على المستوى الادبى والسلامة اللغوية ، والاسلوبية ، مع طيبة لا تهتدى ولا تهدى الى الطرق المثلى لتحقيق هذه الغايات .. ولعل فى دروس التربية عندهم وحولهم ما يهدى الى الصواب ، فى هذه الرياضة الادبية المجدية ، غير حفظ المعاجم . .

واما النموذج الادبى الذى ارسله السيد المدرس مع رسالته فعنوانه : « **فى سكون الليل** » وهى خواطر نثرية ، قريبة المعنى ، عادية الاسلوب ، لا يوقف عندها كثيرا .

وبعد فلا تضرك مخالفتى ياسيدى المرسل لان تقديرى لك كفاء املى فيك ، وخطر رسالتك التعليمية . . او كما تقول الفنوة : قد ما احبك عثمان فيك . .

جولة واسعة

ومن اوسع ما تلقى هذا الباب من الرسائل رسالة جامعى آداب يوجه الى « الادب » والى الاستاذ رئيس التحرير اسئلة كثيرة شاملة ، عامة وخاصة ، لو أجاب عنها هذا الباب فى عدد واحد لاستغرقت ضعف صفحات الباب المعتادة ،على كثرتها ، فهو يسأل عن مكونات الاديب ، ومقومات الادب الناجح ، والشعر والشاعر ، والوزن والتجديد ، والنقد والتحليل ،والمحور الانسانى لفن هذه المنطقة وادبها ، كما يسأل عن القصة ومستواها ومشكلاتها ، وعن الترجمة الادبية وفائدتها ، وكيف تكون فى الشعر ، كما سأل مع هذه الامور العامة ، عن خصوصيات رئيس التحرير ، وكيف يكتب ، وكيف يفسر الابداع الفنى ، وكيف بدأت حياته ، وماذا لقى من عقبات .. و .. و .. الى اشياء كثيرة .. دعوتها ـ بحق ـ جولة واسعة فى الحياة الادبية الجماعية والفردية ..

واحب ان اطمئن الجامعى الادبى الى ان بعض الاسئلة سيجاب عنها اجابة وافية قريبا كأسئلته كلها عن الشعر ، فانها ستكون موضع العناية الموفورة فى عدد « الادب » العاشر من هذه السنة الثامنة ـ مارس ١٩٦٤ ـ الذى سيكون عددا خاصا عن الشعر .. وماعدا ذلك من الاسئلة سنتحين له الفرص ، وننتهز المناسبات التى يصل انيك فيها ما تريد دون جمع هذه الموضوعات كلها فى ميدان واحد مكتظ ، فالى عدد مارس القادم اولا عن الشعر بخاصة .

بل لها قيمة

هذا كل ما تتطلبوه !! منى .. عسى ان يكون ما يقيم اعوجاج !! او يفيد مخطىء ! ! كما اردتم ان تطلقون ! ! عليهم .. لنكتفى ! ! من هذا .. لنتفاضى !! عما مضى .. اذن لاقولها !! .. قد أخطأوا !! .. فى الشارع تطاه !! السابلة .. ومع هذه اشباه لها فى الاعراب والرسم !!

كل هذا يكتبه فى رسالة واحدة جامعى آداب طالت مطالبة « الادب » له بأن يقوم عباراته ورات انه لا مجال لان يسمى لنفسه نتاجا ، ويطلب له نشرا او تقويما ، مع هذه الحالة من الاخطاء التى لا تغتفر له وهو فى الاعدادى ، فكيف وهو فى الجامعة ، وفى قسم اللغة العربية ! وحين اصر هذا الباب على مطالبته بتصحيح عباراته ، ولاسيما خطاباته ، ونصحته بالاناة ومراجعة ما يكتب ، ومراجعة غيره فيه ايضا ، واعتبرت هذا التصحيح من اول واجبات مثله حين يرسل شيئا الى « الادب » ، ولكنه فى رسالته الاخيرة ، التى صدرنا الكلام معه بنماذج من اخطائها ، لم يرض عن هذه الخطة التى لا خطة أذل منها ، فى تقويم الشباب ، واعلن ان هذه مجادلات سفسطائية عقيمة .. ولا تدرى اين المجادلة فى هذا : فضلا عن السفسطة والعقم ! ! انه يقول : فانتم لا ترون انكم قد تجنبتم الصواب ، حتى وان تجنبتموه ،

وانا بالمثل ارى ان موقفى لاغبار عليه !! فما الموقف هنا !! وكيف تكون مثل هذه الاخطاء لا غبار عليها !! وهى على الخطاب تراب متراكم ، لا غبار فقط .. واذا كانت المسألة ان تقول وكفى فلا اقل من ان تحسن القول ، لتجد شيئا من الفرصة لشيء من المغالطة فى المعانى ، بعد ان تصح العبارات ! ! واخيرا .. يا ولدى انه الشعور القوى بوجوب هذا الصنيع انقاذا للشباب من الوهم المغرور على هذه الصورة ، واراحة له وللحياة الادبية حوله ، من غسل الغسيل القذر ونشره فى الطريق ، ولهذا ومثله معه تكون هذه التعقيبات على رسائلك ذات قيمة ، بل قيمة كبيرة ، ويا ما شهدت « الادب » نجاح تجربتها ومعرفة الشباب لنفسه أخيرا ، ومباركته جهد « الادب » الخالص فى هذا المجال ثقة بقدرة الشباب واملا فيه .. ولمثل هذا قبل سواه ، بل دون سواه ينفسح مجال باب البريد فى الادب .

عتاب . . .

هذا عتاب حاد ، وصل الى اللوم ، بل جاوزه الى التأثيم ، بلفظ الاثم نفسه .. وذلك من جامعى آداب بالاسكندرية ، قال فيه بعد اطالة :

« .. عندما ارسلت المرثية الاخيرة كنت اتجاوز فى الواقع مجرد الامل او الرغبة فى النشر .. كنت ارتفع فى تفكيرى الى مستوى المناسبة التى رايت ان تشرف مجلتكم بنشر كلمة مهداة الى روح ابن لكم بار ، واستاذ عزيز علينا ، ذلكم هو المرحوم الدكتور محمود السمران ، لقد كنت اشعر انه من الواجب عليكم ان تسجلوا لهذه الذكرى فى مجلتكم .. الى ان يقول : وليس يعفى سيادتكم من تحمل اثم ما حدث كونكم قد ارسلتم بالقصيدة كالمعتاد الى هيئة التحرير . .الخ .

وهكذا هو الشباب دائما فى حدته وحميته ، وهكذا نحن الآباء يجب ان نكون دائما اهدأ وارحب صدرا ، فلك العتبى يا سيدى اولا .. ثم لى بعد ذلك كلمة او كلمات ، «فالادب» ، كما لابد انك تعرف لا تعنى بالفرديات مهما تكن خطيرة ، وفى النادر القليل جدا تنعى احدا او ترثى احدا ، الا ان يكون موضوع بحث ادبى عام ..

ونذع هذه لنسأل ما المناسبة الخاصة التى ارتفع تفكيرك الى مستواها ؟ لم تكن اثر الوفاة توا ، ولا فى مناسبة مما اعتاد الناس ان يذكروا فيها موتاهم ، فنشرها اليوم او غدا او بعد غد لا يضيع مناسبة ، وذكرى الفقيد ليست عابرة تضيع بشهر او اشهر ، بل هى كما قيل جديرة بان تدوم طويلا . وطويلا بقدر ما خلف فى الحياة الادبية والجامعية من اثر مذكور .. وهو اثر لا يضيع بفوات شهر او عام .. وربما كانت الذكرى بعد مدة اصدق دلالة على التقدير لما لا ينسى .. فهون عليك وخذ الامر برفق ، ولا تجعل الامر اخلالا بواجب ، ولا تعده اثما .. الخ ، ولا يكن ذلك اثرا لما سميته فى رسالتك نفسها

احتكار الترجمة

فانك لتطيل القول فى ان هيئة التحرير لا تنشر لك شيئا ما دام لدى الاستاذ ماهر شفيق فريد ما يريد نشره من نتاج مماثل .. حتى جهرت اخيرا بطلب كسر احتكار الترجمة الذى فرضه ماهر شفيق ..

وما اشك فى انك واهم يا سيد ، لان « الادب » لم تسخر لشيء ولا لشخص ، ولا لغرض ، ولا لمغنم ، فكيف يجد الاحتكار اليها سبيلا ، الا ان يكون النشاط والسبق الجاد يظفر بالوقت المبكر ، فجنبوا قلوبكم ، ياشباب ، مثل هذه الافكار ، وارتفعوا عن مستوى الاوهام لتقدموا الحجة الصادقة على انكم جيل انبل ، واطهر ، وارفع مما عرفت الحياة فى غير عصركم ، وانكم لفاعلون ان شاءت عزمتكم . . وانا لفى موضعنا دائما من سعة الصدر امام حميتكم الشابة ، متناسون دائما كل اثر لها ، طامعون فى غدكم الافضل ، ومستواكم الاكرم .. وسلاما . سلاما .

ونتقدم بعد هذا الى رسائل القراء ، فأضع أولا :

خارج النقد

* رسالتى نثر ، وشيء مزعوم انه شعر ، وهو ما عنوانه « **الانسان والحياة** » و « **الكسل** » فان صح أن يسمى ما فيهما معانى فانها من السذاجة بدرجة هائلة . . واما العبارة فتدل على ان صاحبها لم ينل حظا من معرفة ، يجيز اليه ما يذكره من ارسال شيء مكتوب الى المجلات ، واذا ما كان اكثرها قد قال له : « نريد انتاجا افضل » فانى مضطر ، من اجل خيره هو ان أقول له : ان تسمية ما ارسلته الى « الادب » انتاجا فيها الكثير من المجاملة . . انك يا سيد ترسم الكلمات رسم من ينقشها لا اكثر ، والا فكيف تنقط هاء كلمات مثل : شيطانة ، وردة ، وامرة ، ثم لا تنقط هاء مثل : كلمة طيبة ! ! واما قولك انتفط مكان انتفض ، وتزكر والزكر بالزاى ، وتكرارها مرارا ، وقولك وهم يقفوا !! بين يدى الله ، فهذا كثير !! واذا كنت تسأل ، هل استمر او اكف واترك المجال لغيرى من الادباء ؟ فجوابه عندى : انك تعود انى التعليم الصحيح وتستمر عليه ، لا تكف عنه ، وبعد ان يقول معلموك : انك عرفت شيئا من العربية تفكر فى ان تكتب ، ثم تسأل ثانية .. ان « الانسان والحياة » و « الكسل » ليسا شيئا فضلا عن ان تزعمهما شعرا .

واما النثر فما عنوانه « **خلق جديد** » وفيه العيوب السابقة مجسمة ، الا زعم الشعر .. والمكان هو المكان .. والراى هو الراى .. فالمصير هو المصير .. الى خارج النقد .. وهذه رسائل

الشعر

* فقد وصلت « تكلمى » لسيد يكتب القصة ، وان صدق ظنى فقد نشرت له « الادب » قصة ، والا فهو سميه ، وعلى كل حال فان الشعر دون القصة بكثير ، ولا اسميه شعرا الا مجاراة لصاحبه ، والا فهو ليس شعرا فى قديم أو جديد .. وليس للخواطر — ولا اقول المعانى — فيه وحدة ، ويخطىء صاحبه فى مثل قوله : هل تعرفينه . وتذكريه ! ! والناس صاخبين .. والامر فى الرسم اسوأ من هذا المستوى ، ولا داعى للتمثيل .. وليس هذا انتاجا ادبيا ، ولا سيما نتاج صاحب القصة التى سبق تقويمها .

* ووصلت « **متى يطلع القمر** » لصاحبها لسابقة ، والطينة من الطينة .. اللتة من العجينة .. والمصير واحد فى عدم النشر ..

* ووصلت «فلسطين» وهى تحت ما تحسه الحياة نحو فلسطين ، ولاسيما الآن .. معانيها يسيرة هون اليسر ، لا تجاوز ما يردده انسان ساذج ، هادىء الحس ، بل فاتره ، حين يبالغ مبالغة طفولة .. والحق أن سوق الامثلة منها مضيعة للزمان والمكان ، لانها مثل : صيحات شبابك الصارم صيحات النسور .. ومثل : بكاؤك طال وطال .. وفاتت البحور .. وعلى فكرة : انها لا تعرف من الشعر وزنا !! ولكنى رغم ذلك استطيع أن اقول : ان له وجدانا ، لكن لا يسعفه تعبير ، فهل يتابع التأدب حتى يستطيع أن يقول ؟ .. ليس ذلك ببعيد ..

* ووصلت « **جاء المساء** » وتظلم نفسها حين تحسب انها شعر .. لقد يكون عند صاحبها ما يحاول ان يقوله لكنه يقع دونه بعيدا عنه ، لا تسعفه طاقة تعبير ولا براعة تصوير ، ويخونه اللفظ حتى يقول عن نفسه : انى اخور !! حتى يجىء النور .. وصاحب هذا الخوار لا يملك من الحس الفنى ما يبين عن شىء يخشاه من الظلام والمساء .. فاذا كان مع هذا تحطيم لقواعد العربية فقد بعد عن الميدان بعدا واضحا .. اذ يقول : تعزف فى ليالى نشيد !! واحلانا رفات !!

ولصاحب « جاء المساء » فى ملف هذا الباب رسائل شعرية اخرى ، يبدو من النظرة الاولى ان منها ما هو احسن حالا من هذه وسنرى عندما يجىء دوره فى التقويم ..

وقد قوم له هذا الباب اكثر من قصة — فيما اذكر — و لعل فى قصته وشعره اعراضا مشتركة من الابهام ، وقصور العبارة ، لا يبعد عليه أن يخلص منها برياضة جادة ، فهل هو فاعل ؟؟ ان كان ذلك فقد يجىء منه ما يقرأ او ينشر ، او يقدر فى التقويم

* ووصلت « **وقلت لى** » لجامعى

تجارى ، يرمز لاسمه ، وليس على الصحيفة الناشرة رمز واخفاء ، لانها يجب ان تعرف من القائل ، حتى تشاطره المسئولية ، وله بعد ذلك ان يخفى نفسه عن القارىء ، أما عن الناشر فلا ـ واذكر ان هذا الباب قد قبلها مرة ونشر لمن رمز دون ان يعرف اسمه ، لكن كان ذلك لمعنى فى نتاجه جسم حيرته وقلقه ، فقبلت ان تذع له فرصة التنفس على الا يعود الى التخفى عنها ، وصحيح ان « قلت لى » تنم عن شعور فنى ، تنهض به طاقة تعبيرية الى حد ما .. وفيه وحدة متماسكة ، ويتوزعه حوار ، له فى الشعر طرافة ، ولعلها صدى تجربة الى حد ما ، وقد كانت تجد الطريق الى مداخل النشر ، ولكن هذا التنكر يعوق ذلك ، فان اكتفى صاحبها بهذا التقويم فالامر واضح ، والا فليعالن « الادب » باسمه ، لتفكر فى النشر حين يمكن .

* ووصلت « **دماء فى الريف** » وهى قصة شعرية ، فيما يقول صاحبها ، وهى تجاوز الستين بيتا ، وكل ما فى الامر من قصة هو وصف طويل لنفسه وشعره ، ثم لقريته ومقامه بها ، ولاهله وتفصيل عملهم فى الحقل ، ثم اذا هو ومن حوله فى محنة يسكنون الكهوف ، ثم اذا هو ينتقل الى عودة الجميع وتخلف ابيه ، وسؤال امه عنه فتقول له : مازلت طفلا يا بنى لان تعى ، وابوك قد صار مجاهدا ، ويعود ابوه مجروحا ليقول له : ان الموت للاحرار راحة .. وهذا ما يسميه صاحبه قصة شعرية وفيها على ما ترى تضارب غير مفهوم فهو بضمير المتكلم اول الامر شاعر ، يناجى ، ويصلى ، والدمع ترجمان الحب عن اسرار قلبه ، ثم اذا هو بضمير المتكلم آخر الامر طفل ، لا يعى مايفعل الكبار ، وقد ثار ابوه !! ثم عاد ليقول له : ان الموت راحة وقد عز مطلبها بعمل الاثيم .. وهى نغمة يائس لا ثائر .. وهكذا لاتجد الوحدة المعنوية ، ولا التجربة الفنية ، فضلا عن ان تجد القصة الشعرية ، أو النثرية ، فجمهرة القول فيها من الشعر الفنائى ، والشخصية الواحدة التى تحدثت فى هذا النظم هى الشخصية غير المتسقة : مرة شخصية شاعر ، ثم هى اخيرا شخصية طفل لا يعى !! ولو تركت هذا كله ونظرت الى هذا الشعر دون ان تهتم بوضعه فى قسم بعينه من اقسام الشعر لرايت فيه قلق القافية ، فى غير بيت ، لان القافية ـ كما يقول اولاد البلد ـ تحكم فينزل صاحب « دماء فى الريف » على حكمها بكلمة يسد بها الفراغ ، كقوله :

وهنا الحياة .. هنا الحياة ..
بكل ما معنى الحياة !!

وكقوله : اذ يحرثون ويزرعون ..
وهكذا حتى المغيب ..

فهو يقصد طول اليوم فيعنى بالمغيب مغيب الشمس ، التى لم تذكر ، وصار المغيب مغيب الزارعين !
وكقوله : لترى وليدك فى السرير وقد تدثر بالوشاح .. فالوشاح ليس دثار الطفل وليس يتدثر به فى السرير !!

وكقوله : فهناك آلاف من الابطال قد لبسوا الكفن .. فليس الكفن نهاية الابطال ولكنها القافية فى كل ذلك !! وتعلق بهذا التحكم من القافية عبارة الناظم فى مثل قوله : فصيانة الاوطان دوما الشهيد لها ثمن ! !

ولا يخلو الامر مع ذلك من صور بيانية نابية فى مثل قوله :

وعلى جبينى تعزف النسمات الحان القدر !! فكيف تعزف على جبينه الالحان ، ثم كيف تكون الالحان المعزوفة على جبينه الحان القدر ؟ لعله يأنس بالمعنى المردد عن أن المكتوب على الجبين تراه العيون ، لكن لاتكون الانسام هى التى تقرأ هذه السطور ولا يكون ذلك عزفا !! ولا تكون هذه السطور الحان قدر ، وان بدت له كذلك فليكمل الصورة بما يتسق وبفهم ، فلا تبدو غريبة !! وفى الكلام بعية ، بل بقايا ، لا يتسع لها هنا مجال باكثر مما اتسع حتى الان ..

صاحب « دماء فى الريف » مرسل العبارة ، ممتد النفس ، سهل الاسلوب ، لكنه يجب أن يمد هذا بوفاء العبارة حين يلزم ذلك ، وبالا تكون العبارة احيانا فضفاضة ، ضئيلة المعنى ، وبان تسعفه رؤية فنية تضىء له الصور البيانية ، فيضبط خطوطها ، وألوانها ، واضواءها ، فيكون له ما يرجو من قبول .. ولو اذن لى قبل نهاية الحديث معه لسألته : **ما عصبة البعوث الادبية** ، التى هو عضوها ، ولم آثروا لها ان يسموها عصبة ؟

* ووصلت « **صرخة فلسطين** » لسيد رمز الى اسمه ، ولا ازيد معه عما قلته آنفا لصاحب « وقلت لى » انما يكون الرمز على القارىء ، اما على الناشر المسئول فلا .. وصاحب الصرخة جياش العاطفة ، حار الشعور لكن لا تسعفه عبارته على الابانة ، انه يقول على لسان فلسطين : انا غضبى .. انا غضبى .. الى متى تظلون متفرقين ، لم لا تكونون متحدين ! .. هل يظل اخوانكم لاجئين !! والى متى يظلون .. وهو بلسان فلسطين ، يدعو عنها دعاء الامهات ، للسماء يصعد ، فى دموع تنهمر .. وهو بهذا الحماس ، وذاك الاحساس يحدث عما يكنه كل قلب ، وقد تحول الامل اليوم عملا ، واستجيبت دعوتها ، لكن فن صاحبى القولى لا يبلغ مدى ما من خفقات قلبه ، فلا وزن تسمى به « صرخة فلسطين » شيئا من شعر ، بل لاعبارة سليمة او معربة ، بل أحيانا يكون خطأ الرسم فيها شاهدا قاسيا : فهو يقول مثلا :

هناك اخوانا !! لنا .. ويقول : لم لا تكونوا !! متحدين .. الى متى تظلو !! متفرقين .. ولو عوضه الله عن القول عملا لكانت حرارة انفاسه اجدى من محاولاته القولية ..

* ووصلت « **فى معبد النجوى** » و « **تمرد** » و « **اليها** » و « **يا حبيبى** » لسيد نشرت له « الادب » قبل الان ، وتجدد فيه بذلك الامل .. وفى هذه القطع الاربعة نفحة من شاعرية ، واثر تجربة ، وحركة وجدان ، لايقصر عنه التعبير ولعلها تجد سبيلها الى النشر ، فى فرصة غير بعيدة .

* ووصل ما لا يعرف صاحبه أهو شعر مرسل ام زجل ؟ وعنوانه

« غاوى » وصـــاحبه من كلية دار العلوم ، واذكر هذا لاطالبه بما يليق به فلا يقول فى خطابه : ما دام هنـاك مكانا خاليا .. وبعد هذا اللحن لايغفر له ان يجهل نوع ما يرسله وهل هو شعر مرسل او زجل ، لان لكل لون من المقومات ما ليس للاخر .. واخيرا فان هذا الذى ارسله يمثل سذاجة وجدانيـة ، من صنف الســذاجة الادبية ، التى تختلط عليها فنـــون القول ، فقد خرج او قام ، على رايه يبص ويدور على والع !! فاذا طريقـة بصه وتدويره هى انه يرمش بعينيه ، ويترقص ، ويشاور باديه ! ! وبمثـل هذا لا تكون تجربة وجدانية ياصاحبى .. ولا يكون ما يكتب فى هذا الجـو شيئا من شعر او زجل .. بل هو ، كما عبرت ، ملء فراغ ، وتكملة مكان خال فى الورقة .. وبغير هذا يشتغل المتأدبون ، فخذ الامر بأكثر جدية من هذا .. والمطلب ليس سهلا كمـا يبدو انك تتوهمه .

النثر

* فقد وصلت «فى رحاب الخلود» للسيدابراهيم سبق ان نشرت له الادب وتنشر له فى هـذا العدد قصـة ، وكنت على ان احللها ناقدا ، ولكنى لا اعـــرف هل اجد الفرصـة لذلك ، حتى ينشـــر تحليلها انتقدى معها ، او تفوت الفرصـة فيكون نشر التحليل متاخرا ؟ لعل الفرصة تواتنى . و «فى رحاب الخلود» هذه ليست لها هيكل القصة ولاكيانها ولا هى منتهية بالقارىء الى ما يريد الكاتب من عرض الصور المشوهـة لجنود الصهاينـة .. انها ليست الا حشد تأثيرات مصطنعة لحادث عدوان لهؤلاء الصهاينة على قطيع غنم ترعاه فتاة صـغيرة ، وقد هربت به الى الدير فآواها الرهبان ، وحاول احدهم الدفاع او الانتقام ممن قتل الفتاة تلك القتلة المتوحشـة التى ليست لها ضرورة ما ، وقتل الطفلة دون داع كقتل الراهب للجندى بالعكاز هـو الصـورة المفتعلة لاسـالة الدماء ، وخربشة الاحـاس .. وما هـكذا تسوا السمعة ، وتشوه الصـورة ، باسلوب فنى ، وعرض لبق ، لا يشعر الرائى او السامع بافتعاله واصطناعه ، بل يكون بينه وبين نفسه اميل الى تكذيبه ، والانصراف عن متابعته .. والعرض اللبق المرجو يحتاج الى خبرة نفسية ، ودراسـة للطبائع البشرية واسـاليب التاثير عليهـا ، واثارة انفعالها ، دون مهاجمة ولا مصادمة ، ووسائل الاعلام والدعاية احوج الى مثل هذه الخبرة والدراسة لكل شىء حتى لمعادن الاصوات التى تتحدث ، فضلا عن جولات الاقلام التى تكتب ؛ ولعل الاصغاء الى بعض الدعاية عند غيرنا يقدم اقرب مثل لبيان الفرق ، بين هذه المواجهة المباشرة المصادمة ، والمحـاولة المتربة الى النفس ، الموجهة للعواطف ، فى مهارة ساحرة . .

* ووصلت « عـرش بلقيس » لسيد نفسه صـاحب السـابقة ، والاعراض فيها هى الاعراض فعرش بلقيس ليست فى جملة امرها الا نشرة اخبار بقلم مرن سخى ، مبالغ ايضا ، يعرض فيما يعرض ما ليس من خير الجهة التى يدعو لها ، كقتل اليمنيين

للضابط المصرى وخيانته .. واما ما جاوز ذلك من حب الضابط للآثار ، وتمنيه ان يدفن فى ظلال اعمدة عرش بلقيس فشىء لم يزد شخصية الضابط تنمية وتكوينا بل كان مقحما ، ولا ابالغ اذا قلت كان زايدا ، فى مقام الجهاد العسكرى ، من اجل معان سياسية عامة ، حشدت ايضا فى القصة حشدا بعيد الى الاذن ما تكرره الصحف اليومية ، من هذه المعانى ، ذلك التكرار الذى ذهب بطلاوتها ..

يا سيد : ان القصة ـ كما قلت هنا غير مرة ـ ليست بخطابية التعبير الذى يثير الجماهير والجموع ، وليست بافتعال البطولة والشهامة ، التى يحسب انها تهيج بعض النفوس ، وليست باصطناع الميول والرغبات التى تلون الشخصية تلوينا نافرا عن سائر الوانها وخطوطها ، كالضابط المحترق شوقا لتحرير اليمن ، والحالم مع ذلك بما قرأه فى قصة سيف بن ذى يزن عن عرش بلقيس؟ وادعائك انه وجد العرش وفتن باعمدته ، وتمنى الرقاد فى ظلالها ! ! ليست القصة شيئا من ذلك كله وانما هى شىء غير ذلك كله ، طالما اشرنا اليه .. هى تعبير بالحادث الطبيعى .

* ووصلت قصة « كلام » لسيد كثر مانشرت « الادب » له القصة ، وعرفت فيه قصاصا قوى الشعور ، عميق الايحاء فيما يلتقط من احداث الحياة ، أما (كلام) هذه فليست فى مستوى الكثير مما عرفته له «الادب» نجوها مصطنع ـ وشخصياتها متكلفة وهذا الجو وتلك الشخصيات لايؤثر عرضها ، ولا يبلغ من نفس القارىء مبلغا من اللفت فضلا عن الدفع القوى . واذا زادت المفارقة عن الحد انقلبت الى الضد ، فنفرت قبلما اثارت .. وحالت دون اندماج الرائى او القارىء للقصة .. ومن هذا ضرب المدير للغلام الذى طلب منه لقمة ، بعدما اشترى له علبة سجاير ولم يعطه شيئا ، هو تصرف غريب بعيد وبخاصة فى جو الصيام ، وانتظار الافطار ، وقراءة المقرىء القرآن .. الخ فهذه كلها تجعل مثل هذا التصرف من اى حيوان بعيدا الا ان يكون شخصا غير سوى ولا سليم العقل ، ولا حرج على مثل هذا ، ولا عبرة بعمله ! ! وهذا المدير الذى وصف نفسه بما شاء من رفض حفل التكريم وطلب صرف المبلغ الى الفقراء ، لو سلمنا انه كاذب فى هذا كله فما باله ياكل فى رمضان فى مطعم عام ويبحث فى المدمس هذا البحث الطويل الفضولى ان تصرفه هذا وهو فى مركزه ـ حتى المزعوم ـ يجعل اعماله شاذة ، لايقف عندها قاص ، ولا ناقد !! فمذرا اذا لم تجد « كلام » سبيلها الى النشر !!

* ووصلت قصة « انت صغير » لابن دار العلوم الذى قوم له فى قسم الشعر ما ارسله تحت عنوان «غاوى» واحب ان ابداه هنا بما بدأته به هناك من انكار الخطأ عليه وهو فى هذه انبيئة ، فلا يصح لمثله ان يقول : احوز برضاكم ، ولان يقول : خمسون عاما مضوا ! ! ويقول : طرقات كأنهم!!

وبعد فقصته هذه كما يسميها سرحة ذكرى رجل لايام طفولته او غلاميته لا اكثر والسيد يعرضها عرض من لا تجربة له فى هذا التذكر فهو يصحبها بالحقد الدفين ، والهم الشديد لانقضاء هذه الايام ، وما هكذا يكون التذكر ، ثم هى فى اول الامر وآخره لا تكون قصة ولا شبه قصة .

ان السيد صاحب القصة ، والكلام الادبى متطلع تطلعا حسنا ، وهو يعيش

فى بيئة مسعفة مواتية لتحقيق مايتطلع اليه ، فليفد من ظروفه ، وليقبل على دراسته الأدبية اقبالا يحميه من مثل هذه الاخطاء التى فى كتابته اليوم ، ويزيد وعيه فيعرف فنون القول وخصائصها . فاذا ضم الى تلك الدراسة الاساسية بعض الضرورى من تجربة الحياة ، وكسب الحقائق الفنية باختبار الواقع وممارسته ملك بذلك شيئا من عدة الادب ، وصح منه اذ ذاك أن يكتب ويطلب النشر . ثم ان فيه مع ذلك ترحيبا بالنقد يسعفه على الانتفاع بما يأتيه من توجيه ، فيكون اذا تم له ذلك كما يجب أن يكون .. فالى المدارسة واختبار الحياة يا صاحبى

* ووصل مقال « **نظرات فى كتاب مدينة الاحلام** » للسيد سعد توفيق حمدى ، واسلوبه فى هذا النقد شديد الاسهاب ، عنيف بعض الاحيان عنف من لا يقدر الالفاظ تقديرها الفنى كقوله : تردى المؤلف فى الاخطاء ، ولهذا أوثر أن أجمل هذا المقال هنا دون اهمال ولا نشر ايضا ..

فهو يرى ان ادب الرحلات قد تطور اليوم وتغيرت مفاهمه السطحية ، وكان ذلك الادب عند القدامى كابن بطوطة وابن جبير وابن حوقل واضرابهم منصبا على المعالم المنظورة ، فوصفوها كما شاهدوها دون احساس ، وكأنهم يرسمون خريطة ، كما يقول الناقد ، وان كان هذا مجال كلام ..

وبعد تلخيص الكتاب فى نحو نصف المقال او اكثر يسترسل انتقاداته ، بأسلوبه المسهب ، الذى دعانى الى التلخيص ، وانتقاداته هى :

١ ـ عناية مؤلف مدينة الاحلام السيد / محمود البدوى بوصف معالم البلاد ، واهماله تماما الحديث عن عادات وتقاليد شعوب هذه البلاد التى تعطينا صورة عن طبيعة الشعوب ونو ان الناقد يحدث عن اهمية هذه العادات والتقاليد فيقول : تظل ملازمة للشعب ، وعلامة مميزة له ، باقية فيه ، لا تتغير بتغير الزمان او تتبدل بتبدل الاحوال ! ! والعادات والتقاليد تتغير ، مهما يكن تغيرها بطيئا ، بل ان البناء المادى للكوكب الارضى والشمسى يتغير بتغير الزمان وتبدل الاحوال .. ثم من الانتقادات :

٢ ـ ان المؤلف لم يعلل ما قد يذكره من ظواهر الحياة فى بلد ، وضرب الناقد لذلك مثلا انه ذكر ان الحياة الادبية راكدة فى هونج كونج دون ان يبين سببا لذلك .. واخر الانتقادات :

٣ ـ تكرار فقرات كثيرة غير مرة فى الكتاب ، وساق شواهد على ذلك ، وذيل بصفحات يتجلى فيها مثل هذا التكرار ، وعلل هذا باحتمال ان المؤلف لم يراجع كتابه مراجعة كافية

هذا هو لباب المقال يحسن ان نشير بعده الى استعمال كاتبه كلمة النذر بالذال مرادا بها اليسير القليل ، مع ان التى فى هذا المعنى بالزاى لا بالذال اما التى بالذال فهى ما يلتزمه المتعبد نذرا لله

وبعد .. ربما كان هذا التلخيص نمطا جديدا فى البريد يقدم الفائدة ، ويوفر على المجلة والقارىء مجالا وجهدا ، بما يستحق التقديم من قول الكاتب .

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة للتأليف
والترجمة والطباعة والنشر
المراقبة العامة للنشر

العدد الثاني من المجلد الثاني

تراث الإنسانية

وهي تتناول بالبحث والتعريف والتحليل روائع الكتب التي أثرت في الحضارة الإنسانية بأقلام الصفوة الممتازة من الأدباء والكتاب والعلماء

اقرأ في هذا العدد :

بقية الخواطر لبكال — بقلم الأستاذ إيليا نعمان حكيم

سقوط الإمبراطورية الرومانية لجيبون — بقلم الأستاذ علي أدهم

المثل السائر في أدب الكاتب لضياء الدين بن الأثير
بقلم الدكتور بدوي طبانة

العالم إرادة وتمثلا لشوبنهور — بقلم الدكتور فؤاد زكريا

شرح منهاج البلغاء لحازم القرطاجني
بقلم الأستاذ إبراهيم الأبياري

الشعر الشرقي لغرابادته — بقلم الدكتور نظمي لوقا

استخراج الأوتار في الدائرة للبيروني
بقلم الأستاذ أحمد سعيد الدمرداش

الآداب

فنية . شهرية

يصدرها الآداب

الادارة: مصر الجديدة . ابجر ١٣
ت: ٨٧٠٧٥٠

الرسائل الفنية والمالية ترسل باسم

أمين الخولي

رئيس التحرير

الرسائل الادارية ترسل باسم

يعقوب عبد النبي

مدير الادارة

الاشتراك :

الجمهورية العربية	٦٠ قرشا
الخارج	٩٠ »
ثمن العدد	٦ قروش

البريد الجوى والمسجل بحسابه

عدد خاص عن الشعر

الثمن

٧ قروش

العدد العاشر
مارس ١٩٦٤
السنة الثامنة

تصدر فى اليوم السابع من كل شهر

الفن والحياة

الشعر اليوم

- ١ -

حدثت « الادب » قبل اليوم ، عن أعدادها الخاصة ، وانها لاتشترك بها ، فى شهادة الصحافة على نفسها ، بالمسخ المخيف ، حين تجعل رقم العدد من أعدادها ، رقما فى كيس سحب اليانصيب يوم الحظ المجنون ، وتجعل العدد من أعدادها ورقة رابحة ، لن تشترى لتقرأ ، ولكن تشترى لتسحب . فتكسب ثلاجة ، او غسالة ، أو راديو ، أو سيارة اذا جد جدها .. و « الادب » بطبعها وواقعها ، لا تجد السبيل الى هذه الاساءة القاتلة ، ولو وجدتها يوما ما فانى استطيع ، ويستطيع كثير معى ان نؤكد انها لن تنتحر بهذه الطريقة ، بل ستشهد على نفسها يومذاك شهادة أكرم من هذه ؛ ولو كانت استشهادا تقضى به على وجودها بالخروج من الحياة قبل أن تحتال مثل تلك الحيلة الصحفية لتباهى بارقام التوزيع ... وللناس فيما يعشقون مذاهب .

فالعدد الخاص من « الادب » أعجز من أن يمنح القارىء شيئا من هذا الوهم ، واقدر على أن يمنحه حقيقة واقعة ، من تصحيح منهج تفكيره أو اهتمام بمشكلة فنية او اجتماعية ، او اعتناء بالغد القريب أو البعيد ، واشباه ذلك من الالم اللذيذ ، كما يقال .

ولقد كان آخر عدد خاص « للادب » ـ فى يناير ١٩٦٣ ـ رسما لخطة فى الادب الحديث وحياته . لتدارك معالم هذه الحياة ـ ولاسيما المعاصرة بفهم ملابساتها ، من مشاهدها ، وتدوين مشافهاتها ، وتسجيل ظروفها الى أن يحين وقت درسها الدقيق ، بعد أن تهدأ ضجة المعاصرة ، على مابين من هذا المنهج فى حينه .

وبدأت « الادب » المثل لذلك . بعددها عن طه حسين الذى تضمن ترجمة له مروية ، بالتلقى المشافه ، عن أخيه الاكبر ، كشف فيها عن حياة الاسرة والبيئة مالم يكشفه ماقدمه طه حسين نفسه بأيامه ، ومذكراته ، وأديبه ؛ وبينت «الادب» جوانب من حياة طه كانت كالمجهولة ، كتعاطيه

الشعر ، والتوجيه الاجتماعى بمنطق ازهرى لاهوتى ، وبذلك بينت بالمثال ما تطلعت اليه . من عمل فى سبيل التاريخ الادبى للعصر ، واعتبرت عددها ذاك منهجا .

ومنذ صدر هذا العدد ، و «الادب» واسرة تحريرها تدبر لمتابعة هذه الخطة ، باصدار عدد آخر عن اديب متحدث ، معاصر او قريب من العصر ، فواجهت فى ذلك عقبات قد يكون أيسرها تهيب من لديهم الاخبار الخاصة من أن يرووها ، او تهيب « الادب » من اثر نشرها ، وما تثير من غضب او ضجة ، تفضل توفيرها على الحياة — ولو مؤقتا .

وادق من ذلك أن من هذه الاخبار ما لا تطوع السنة عارفيها بقولها معلنة ، لما اثير بمثل ما نشر عن العادات الشخصية لسيد درويش ، ووصول ذلك الى القضاء ! !

وكانت « الادب » تقدر ذلك ، منذ اللحظة الاولى ، وتطمع فى ان تدبر له ، وتتلطف من أجله ، لتتفادى صعوباته ، وان لم تكن هينة ؛ ولكن اختلف الواقع ، عن الصورة الذهنية ، وبدا ان التاريخ يضار بهذه العقبات مضارة ، لا تستطيع « الادب » فى سبيل دفعها الشىء الكثير ، وان كانت لا تكف عن معاودة المحاولة فى هذا السبيل

واخرى وراء ذلك كله ، يدق بها الموقف ، بل يتعقد نفسيا ، هى صلة اولئك العصريين أو المقاربين للعصريين ، بمن لهم صفة رسمية فى الحياة العامة او الحياة الادبية ، تجعل تقديم الحديث عن أسلافهم موضع اتهام بمجاملة اولئك الابناء والاقارب ، او شىء مما يعد تزلفا اليهم ، تمقته « الادب » وتنفر منه أبشع النفرة ، ولا تحتمل التعرض لشبهة منه ، مهما يكن وراء ذلك من اثر حسن .

وخذ لذلك مثلا ما اتجه اليه بعض اعضاء اسرة التحرير ، مدفوعا بتقدير خاص ، لاديب تأدب بآثاره وكان له فى الترجمة والتاليف معا منهج واسلوب ، يستحق الوقوف عنده . والتحدث الى المتأدبين عنه ، لما يشيع فيهم ، من ضعف العناية باللغة ، حتى حين يكتبون بالفصحى . وذلك الاديب هو المرحوم محمد السباعى ؛ ووافق الزميل غير واحد من اخوانه ، وهموا بأن يهيئوا للادب معلومات لعدد عن السباعى ، وبدءوا بالفعل الاتصال بشقيقه السيد / طه السباعى — باشا — . .

ولكن محمد السباعى ابو يوسف السباعى ، فالحديث عنه لا يبرأ من تهمة ما . . آثرت « الادب » اخيرا ان تترفع عنها ، الى حين ، على الاقل

وفى جملة الامر قامت عقبات مختلفة ، فى سبيل الاعداد الخاصة عن الاشخاص ، الذين يراد تقديم جديد دقيق ، غير معروف عنهم ، بعدما نشرت عنهم الهيئات أو الافراد ، من القريب العادى من شئون حياتهم فهو لا يفى بشىء ، ولكنه يصرف عن الاهتمام بما يقال بعد ذلك ، ويظهر الاصيل العميق فى صورة المكرور المعاد ، بعد السطحى القريب ، الذى قيل

فى سذاجة ، فيكاد يكون الجد عبثا فى راى القارىء الذى يوهمه ما نشر ويفسد رايه فيما تحاوله هذه الاعداد الخاصة ، عن اولئك الادباء والفنانين !!

و « الاذب » على رغم ذلك كله تتمسك بعقيدتها فى هذا الشان ، وترى الواجب الدقيق يقضى بامداد التاريخ بروايات الاحياء عن معاشريهم ، لانها مادة ذات اهمية كبرى ، فى فهم الاشخاص ، وصدق تاريخهم ، ولذلك فهى تحاول تكرار التغلب على هذه العقبات بشىء من شجاعتها ، وتشجيعها الآخرين لتجد الفرصة للوفاء ببعض هذا الواجب ، وان تاخر مدى هذا الوفاء وقتا ما ، ولم يصدر منه عدد خاص ، فى هذه المرة !!

— ٢ —

وقد ثارت مناسبات مختلفة لاصدار هذا العدد الخاص عن الشعر ، بما تناولته النوادى المحدودة والعامة ، من دعاوى عن هذا الشعر اليوم ، مع ما يثور منذ عهد غير قريب ، عن قضية التجديد فيه ، والجديد منه ، وما يدور حول ذلك من مشادات متصلة ، تؤمن ان الزمن وهو اقوى الاشياء اقدر على الفصل فيها .

وحين نفذت فكرة اصدار مجلة خاصة عن الشعر ، بدا ان هذه وحدها دليل شعور واضح بمكان الشعر فى الحياة ، لكن كانت تتردد مع ذلك فى السوامر والصحف اليومية ، بل الصحف الادبية احيانا افكار يوقف عندها ، ويجب التحدث عنها .

فلقد كان من اللافت حقا ان احد رواد ندوة الامناء ، فى شهر فبراير تفسه ، راح ياخذ على « الادب » ان تنشر شعرا اجنبيا مترجما ، حتى ولو كان مترجما الى شعر عربى العروض ، يحتفظ بالقالب القديم ، وثارت المناقشات حول ذلك ، وتكاثر المخالفون لصاحب هذا الراى ، ولكنه بعد طول القول منه ومنهم انتهى الى انه غير مقتنع ، مع كل ما سمعه ، عن حاجتنا الى هدم الحواجز ، ورفع العوائق ، وفتح النوافذ ، على آداب الدنيا كل الدنيا ، وفنونها ، وعدم الانطواء اليوم على انفسنا ، والترفع على ما حولنا ، فى غرور ساذج ، وسوء تقدير هائل .

وليلتها تذكرت ما علقت عليه « الادب » فى عدد نوفمبر ١٩٦٣ — مما نشر فى غير مجلة ، عن ان المذاهب الفنية الغربية ، انما هى عبث ، سوله الطبع المنحرف ، وبدعة تنتقل من منحرف الى منحرف ، كما تنتقل العدوى فتكون وباء !!

وتذكرت مع هذا ما سارت به بعدها صحيفة ادبية ، من الحديث عن الداء الوافد الينا ، من الشعر الاوروبى الجديد ، وتلك اللوثة الوافدة ، والعدوى الخطيرة ، التى يدعون الله ان يشفى منها الشعر الاوروبى ، على ما تراه منشورا فى هذا العدد ، بين يدى مقال الشعر الانجليزى فى القرن العشرين !!

ذكرت هذا كله فذكرت به اصداء قديمة كنا نسمعها كثيرا ، فى مطلع الشباب عن آفات التمدن الاوروبى ، ورذائل الحضارة الغربية ، ووجوب الابتعاد عنها ، واتقاء مضارها ؛ مما حسبت ان الحياة حولنا قد جاوزته الى وعى يدرك اين نحن من الدنيا حولنا ، وما مكاننا فى الارض ، حين يستعمرون السماوات ! !

ونحن بواقعنا الرسمى نعدو لاهثين لنتملق باذيالهم ، ونستقدم خبراءهم ، ونتعلم من انتاجهم ، ونفيد من قديم خبراتهم ؛ وامرنا فى الفن كامرنا فى سواه ، من جوانب النشاط الحيوى ، فما هذه الصرخات الضالة باغلاق النوافذ ، وسد الابواب ، ووضع الاستار الحديدية ، والظن ان فى مكنة هذه البساطات تحويل تيار الحياة ، وتغيير خط سير الحضارة ، وعزلنا فى قوقعة ، حين لا نعرف السبيل الى ما نتقوقع فيه ، بمنجاة من طوفان الحضارة ، وقهر قوانين الحياة ! !

واذا بلغ الامر الى هذا الحد ، فى انكار الاتصال بالشعر الغربى ، واستنكار ترجمته ، ونحن نشكو فى مرارة خواء الشعر العربى ، فى اغلب عصور حياته ، فقد حق القول على ذى وعى ، فى الميدان ان يبدد هذه الاوهام وذلك بعض ما لفت الى اصدار عدد خاص عن الشعر ، وجعل الحظ الاوفر فيه للترجمة الشعرية ، فاحتوى على رباعيات ت . س . اليوت الاربعة مجتمعة ، وكانت بحيث تصدر فى كتاب مفرد .

وقد زاد العناية بهذا الشعر ، واصدار عدد خاص به ما تردد فى الايام نفسها ، من شهر فبراير ، عن دعاوى على هذا الشعر ، ينبغى ان يوقف عندها ، كالذى قيل (١) من :

« ان الشعر الفصيح لم يعد له جمهور كبير ، ولم يعد له رأى عام واسع ، يفكر فيه ويهتم به » .. او الذى قيل من :

« ان الشعر قد اصبح محدود الانتشار ، فى حياتنا الادبية ، وحياتنا العامة على وجه العموم ، فلم يعد له الانتشار الواسع ، الذى كان يتمتع به فى الماضى »

وهى اقوال فيها مجال اى مجال لمناقشة ، بل مناقشات كثيرة ، تستغنى عنها « الادب » الآن بما تجده ، من ممارستها الخاصة ، من عدم دقة هذه الاحكام ، بل عدم صحتها ، فان هذه الممارسة الخاصة لتجد لديها من النشاط الشعرى الحديث ، ما هو اولى من شعر قبله ، فقير فى معانيه ، جدب الروح ، وفيما لديها من الشعر الصالح متقيد بالمقومات القديمة ، ما هو قدر كاف لرد هذه الدعاوى ، من عدم وجود جمهور للشعر الفصيح ، ولا رأى عام ، وانه محدود الانتشار فى الحياة الادبية والحياة العامة ، على وجه العموم ، الخ .. وكل ما فى الأمر ان القلة القديمة من الشعراء

---

(١) جريدة الجمهورية يوم ٦ فبراير سنة ١٩٦٤ ، وكل ما هنا من اقوال عن الشعر مما ورد فى هذا العدد .

كانت ظاهرة مشهورة . لاتجاه الانظار اليها وحدها ؛ واما الكثرة الشابة التى وصل منها من وصل ، ويحاول منها من يحاول فهى اكثر عددا ، من ان تتجه اليها الانظار ، وتتابع نشاطها ، كما هى اكثر من ان تتسع الصحف لنشر نتاجها ، كما كانت الصحف امس ـ على تحددها ـ تتسع وتسعى لنشر نتاج القلة المشهورة المترقبة ! !

وهذه « الادب » في سنواتها الثمانية قد التزمت الا تنشر من الشعر ما يستطيع القارىء أن يجده فى مرجع بجهد ما ، ووقفت النشر ، على شباب هذا الجيل وكهوله ، فنشرت ما أمكن نشره خلال هذه البضعة الأعوام ، ولايزال لديها غير قليل ، بل كثير من شعر يقرأ ، وينتظر لأصحابه مستقبل محمود

والشعر من حيث رواجه ، وامله فى المستقبل الرائج ، يعتمد مع هذه الملاحظة الواقعية الممارسة على اعتبار اساسى فى أمل هذا المستقبل ، وهو ما يتحدث عنه النفسيون ، حين يقولون :

ان هذا المستقبل الطيب موقوف على استبصار الشعر بمجاله الاصلى وعودته الى تمكين أواصر الصلة ، بينه وبين زميليه القديمين : الرقص والموسيقى .

وحين يقدر أولئك النفسيون : **ان العناية بالاوبرا فى الغرب هيأت للشعر هذا المستقبل المرجو** ، والحياة الفنية اليوم حولنا تتعرض ـ رغم كل اعتبار ـ الى حركة موسيقية ، لابد ان تهيىء لنهضة طيبة ، فى هذا المجال ، كما ان المسرح الغنائى يتحرك فى هذا الاتجاه نفسه ؛ ومع صدق السوابق الاجتماعية سيكون لنهضة الموسيقى العامة ، والموسيقى المسرحية اثرها على مستقبل الشعر ، الذى لا مفر له ـ فيما تقدر الحياة ـ من الاتصال بمصادر التأثر ، من نشاط الامم المتحضرة ، والقضية واضحة ، وان احتاجت الى مزيد بيان ، فمكانه غير هذا المكان .

ـ ٣ ـ

لهذه الاعتبارات أصدرت « الادب » هذا العدد الخاص عن الشعر لتواجه هذه الاراء والاقوال تلك المواجهة الواجبة لتسديد خطواتنا على الطريق ، حتى تصدق استجابتنا لحاجة الحياة من الفن

واذا كانت « الادب » قد قالت فى عدد يناير الخاص : **هذا العدد منهج** فانها لتقول عن هذا العدد الخاص اليوم : **هذا العدد مسلك** ، ومذهب فى الحياة ، واتجاه .

مسلك يتجه الى التجديد ، والجديد

مسلك يتجه الى الاتصال بفنون الدنيا وآدابها

مسلك يتجه الى الحرص على انجاح التجديد بالاستفادة من كل ما حولنا فى الدنيا جميعا .

عبد الرحمن شكري

تقـــول .. هـــزمتنى .. يايهـــا المهـــزوم .. كم مـــرة !!
وتحكى للرفـــاق الشـــامتين .. حـــكايتى المـــــرة ..
وكيف ســـلبتنى التقـــدير .. والتـــــدبير .. والقـــدرة ..
وكل منـــافذ الفـــن الرفيـــع ســـلبتنى ســـــره ..
وعـــدت بزهـــو منتصر .. وعـــدت بمنتهى الحســـرة !!
خسئت .. فلم أزل للفـــــن .. أملك دائمـــا أمـــره !!
تعـــال تحـــــدنى والعب .. على ما بيننـــا عشـــــرة !!

أريك بان نصـــــرك المزعـــوم .. لم تحرزه بالفـــــن
فلم يخـــلق لهـــذا اليـــوم . . من يمتـــار فى فنى
ولا من يستطيـــع ـهزيمتى .. ويغض من شـــــانى ..
واقسم لو تعـــاونه .. حشـــود الانس .. والجـــن !!
لمـــا اهتـــــزت له ثقتى .. ولم تطـــرف له عينى !!
ولـــكن حظى المشئوم .. ضـــــاع برغمـــــه .. متى !!
فـــرحت تقول للدنيـــــا .. وتحـــكى للصـــــدى عنى !

انا . . ان شئت يا مغـــرور . . طول الليـــل . . لن أتعب
وايـــة قيمـــــة ترضـــــيك من مـــالى .. بها العب
جنيـــه .. خمســـة .. او عشرة .. اوما تشاء .. أطلب
وحتى لو طلبت مـــرتبى هـــــذا .. فلـــن أهـــرب
فجـــرب مـــرة اخـــرى .. تعال هنـــا .. معى جـــرب
فقـــد يأتى لك الحـــظ الســـعيد .. وعنـــدها تغلب !!
وتثبت نصـــــرك المزعـــوم .. فوق ضـــخامة المـــكسب !!

ودعنا من حديث الامس ـ هذا الشاحب الناهب !!
تعال اقسم لنا الاوراق ـ اقسمها انا ـ ((شايب))
فوزع يا رفيق العمر ـ عمرى ما انا تائب
ومثلى لن تتوب .. فعمرنا .. فى حبها .. ذائب
نعبىء جيبنا منها ـ ثمانية هنا ـ ((حاسب))
معى ام العيون السود تغمز لى ... بالحاجب
وتطبع قبلة الحظ السعيد .. بثغرها اللاهب

وهذا الفارس المنصور فى نار الوغى ـ ولد !!
يطل جبينه الوضاء فى الدنيا . . فترتعد
وترتعش المسافات البعاد .. وينطوى الابد
ليحصد سيفه المسلول .. ما القى به الحصد
وما يزهو به الميدان .. والاعداء .. والعدد
تبارك سيفه المسلول ـ يحصد كل ما يجد
حلال لحمهم هذا .. فكلهم ايها الاسد

فقد ظنوا زمانك فات .. لما فتهم امس . !
وقالوا فيك ما قالوا .. وتلك حقيقة اليأس . !
تهوم فى العيون فلا تحس بطلعة الشمس
ولو غابت وراء سخابة مجهولة الجنس ..
توارى قرصها الوهاج عن متناول الحس ..
وتترك نورها الضحيان يكشف داخل النفس ..
وانت لهم .. وراء غلالة من ملبس الانس ! !

فقاتلهم .. وعجل بالنهاية .. واحذر العقبى !!
فهذا قائد الاعداء يلهب جنده ضربا ! !
وينتهب الطريق الى حماك باعين غضبى !!
وجيش راعد فى الافق .. يركب مركبا صعبا
ليلحق جيشك المنصور .. سربا تابعا سربا
فسد منافذ الانحاء .. واقطع دونه الدربا
وكن وجنودك الشجعان فى نار الوغى .. قلبا !!

فخلف خيـــام هـــذا الليـــل . . تشـــكو جرحها بنتى
وتشـــهق .. شـــمعة جفت لديهـــا طاقـــة الزيت !!
والف مطـــالب بالاجـــر .. طـــوق محنقـــا بيتى
واســـمع كل مـــن فى الحى .. ما قد صب مـــن مقت
على زوجى التى نفضى ـ لهـــذا العـــار فى صمت
وتبكى كلمـــا سمعته .. اخبرها عـــن المـــوت ..
اذا لم آتـــه حـــالا ـ فدعنـــا ـ فى غـــد ياتى ..

وفى جيبى من الحـــظ المـــواتى .. طـــائل الثـــروة ..
لياخـــذ ماله ان شـــاء . . ماذا عاد ((الفـــورة)) ؟؟
انـــا مـــائة .. ويبقى لى لاختمهـــا انـــا عشـــرة
وانت !! سبقتنى فيهـــا ـ فيـــا للهـــول والحســـرة
لى الـــدور الاخـــير ـ وانت ســـتختم الـــدورة
((فيـــا ام العواجـــز)) نظـــرة .. والله لى نظـــرة . !!
فهـــذى آخـــر الاوراق القيهـــا انا ... ((بصـــرة)) !!

وضـــج الليـــل ، والاضـــواء .. والســـمار .. والمقهى
ودارت فى جفـــون الفجـــر ماســـاة على مـــلهى
تئن على مســـارحه .. ظـــلال شـــخوصها الشـــوها
وتهـــرب كلما بحثت .. مشـــاعل نوره عنهـــا !!
وراء الصـــخرة الصـــماء .. حين تفجـــرت منهـــا !!
شـــظايا ـ تحـــرق الانســـان ـ معتقـــداته البلهـــا !!
وترمى للطـــريق فتى ـ يجـــلل بالاسى وجهـــا !!

غـــريقا .. فى ضـــبات الديون .. فلم يعـــد يبصر !!
ولا تتبسم الدنيـــا لـــه عـــن لونهـــا الاخضـــر !!
فتختلط الطـــريق بخطـــوه التـــوهانة المعبـــر !!
وتدهمـــه على باب الصـــباح جنـــازة تعبـــر !!
ومذياع رخيـــم الصـــوت علوى الصـــدى يسكر !!
يردد بعض آيـــات .. عـــن الشـــيطان .. والميســـر !!
وعن يوم القيـــامة .. والحســـاب .. ورهبـــة المحشـــر !!

محمد على الفقى

الشعر الإنجليزي

في القرن العشرين

للمرحوم الاستاذ الدكتور : محمود السمران

- ٢ -

« .. ولسنا نشفق من شيء مثل اشفاقنا من ان يصيب شعرنا هذا الداء الوافد الينا من الشعر الاوروبى الجديد ، وتلك اللوثة الوافدة ، أو العدوى الخطيرة التى نسأل الله ان يشفى الشعر الاوروبى منها قريبا ، حتى لا تكون خطرا يهدد الفهم السوى ، والشعور الحقيقى السليم ، فان من اشد الامور خطرا على الفهم السوى والشعور الحقيقى ان يسجع شخص بعض سجعات يائسة ، لا معنى لها سوى التشاؤم بالحياة ، ويقوم من حوله جماعة من اشياعه يقولون : ما ابرع وما ابدع ، واخطر من هذا ان ينقل بعضنا هذه السجعات فيرددوا اصداء سجعات جماعة الاشباع قائلين هم الاخرون : ما ابدع وما ابدع » مجلة الثقافة عدد ٢٦ ص ١٦

و « الادب » ترى فى تتابع نشر مقالات الشعر الانجليزى فى القرن العشرين الخطوة الاولى فى مناقشة مثل هذه العبارات السابقة

(١) وسنبدأ بالحديث عن هربرت ريد الشاعر الناشر الناقد . كان من أثر الحرب العالمية الاولى فى ريد أن جعلته لا يؤمن بالحب لما كان « الحب ينقلب كرها » . لقد تعلم من هولم Hulme أن الكلمات تكذب ، ومع ذلك فقد كان يتطلع الى موجود مطلق اعتقد انه لا سبيل الى الحصول عليه لا فى الحب ، ولا فى الشعر ، ولا فى الدين ، وتدل اعماله الموسومة بـ « تحليل الحب »

The Analysis of love

وهى تحليل لعزلة العقل — و « تقهقر »

Retreat و « رثاء سانت دنيس »

The lament of Saint Denis

وهى قصيدة تجسم الشعور بالتقسيم وتنتهى باليأس ، ويبدو فيها تأثير « الارض الخراب » The waste land لاليوت — تدل هذه الاعمال على أن ريد كان يهدف الى أن يخضع الطريقة الايماجية للشعر الفلسفى ..

أن الموجود الذى جاهد ريد ليفقد نفسه فيه كان الكلية غير الشخصية للكون ، فيما وراء مسرة الحياة والممات ولم يصل ريد الى حل يرضاه لمشكلات

الميتافيزيقية الا بعد وقت طويل . لقد نظر مثل Vanghan وورد سورث الى الطفولة ، ووصل الى ان السعادة هى فى استبقاء « العين البريئة » قاصدا بهذا التكامل العقلى ، والروح الباحثة وتحقيق الغرائز ..

وقد كان ريد يكثر فى شعره من من التجريد ، وما كان التجريد عنده قناعا بل كان طريقة طبيعية من التعبير ولكنه كثيرا ما كانت تغلب عليه النزعة العقلية ، وان الفكر وحده مهما عمق التعبير عنه ودق ، لا يكون شعرا ، ولقد أبعد ريد فى تصيده الكلمات أشباه رموز رياضية فى تطلعه الى شعر ينطق كل جزء من اجزائه .

كان ريد يتطلع الى « الشعر الخالص » والشعر عنده ، كما هو عند بول فاليرى رياضة صوفية ، هو كما قال فاليرى « رياضة اكثر من ان يكون توصيلا » هو كشف لنفسى بنفسى اكثر من ان يكون اعدادا يدخل الجمهور فى حسابه ، واذن فعند هذا الرأى ، يكون نشر قصيدة من القصائد عرضا ، وجمهورها غير ذى صلة بها ، فالشاعر يكتب لنفسه وحدها ، وهو يحاول بتنحيته التدريجية لكل العناصر النثرية الوصول الى « الشعر الخالص » . وهكذا فلا عجب أن ينتج عن هذا شىء كثير من الغرابة والغموض وشعر ريد الاخير تظهر فيه صفات لا توجد فى شعره المبكر ، فهو فى قصائده المنسماة

A world within a war

التى نشرت سنة ١٩٤٤ قد ازداد ايمانه فى الانسان وفى روح خيرة فى الكون ، وفى قانون الحب ان شعر ريد الاخير كثير العناية باعادة بناء النفس من حيث هى فرد ومواطن وقصيدة A world within a war مثل غيرها من محاولة لكتابة شعر فلسفى وللربط بين اجزاء القصيدة المتعذدة باصطناع اخيلة تردد من وقت لوقت .

(ب) وننتقل الان الى الحديث عن الدور الذى قام به الشاعر القاص د. هـ لورنس David Herbert Lawrence

(١٨٨٥ ـ ١٩٣٠) فى تاريخ الشعر فى الانطباعية impressionism الانجليزى الحديث . انغمس لورنس منذ البدء ، وهذا واضح فى « ميدان بيكاديللى ليلا Piccadily circus at night و « عمل الصباح » Morning work ولم يكن لورنس يحب الاله ، بل لقد كانت الالة تقيض مثله الأعلى اذ كان يؤمن بان الدم واللحم احكم من العقل :

فعقولنا قد تخطىء ، ولكن مايحس به دمنا وما يعتقده وما يقوله ، صادق على الدوام ، وان اعتقاد لورنس ان الغريزة وحدها هى الجديرة بالعناية من أسباب قوة شعره وضعفه جميعا وقد كان هدف لورنس « انشاء علاقة جديدة ، او تعديل العلاقة القديمة ، بين الرجال والنساء » .

معروف ان لورنس كان مصابا بعقدة الاخصاء وان شعره الباكر يتعرض للصراع الجنسى تعرضا صادقا صريحا ويفيض بالحيوية الصارخة للطبيعة . ويمتاز لورنس بدقة ايحاءاته العاطفية ، وهذه الخاصة تبدو بصورة واضحة فى قصائده التى تتناول العلاقة بين الام والابن ، وقد صرح لورنس بان المرحلة الاولى من شعره بلغت ذروتها بموت الام ، وبالموت الكثير الذى استمر وقت الحرب . ومن قصائد لورنس التى

تعرض لعلاقته بأمه بعند موتها
« لو أمكن ان اضعك فى قلبى »
If I could put you in my heart
و « حبى الليلة يشبه فتاة »
My love looks like a girl tonight
و « الام العذراء »
. The Virgin-Mother

ذكرنا ان لورنس كان منغمسا فى الانطباعية منذ البدء ، ولكن لورنس كان يمتلك ما يعوز «الايماجيين» وهو قوة ادماج اخيلته القوية فى الانفعالات الانسانية .

لم يكن لورنس فى حاجة الى اللجوء الى اليونان القديمة أو الكوميديا الايطالية ، أو الشرق الاقصى ، فلقد كان يحس احساسا قويا بصراع الحياة المثل فى كل مكان .

والى حوالى سنة ١٩١٢ لم يكن لورنس قد خرج على الاوزان التقليدية الا قليلا ، ومع أن تعبيره كان تعبيرا حرا ، الا ان معظم قاموسه الشعرى وايقاعه كانا ماخوذين من الرومانتيكية وشعراء العصر الفيكتورى ، وليكن تحرره العاطفى وتأثير الايماجيين ووالت هويتمان Walt Whitman (١٨١٩ — ١٨٩٢) فيه اديا به الى استعمال النظم الحر .

(جـ) اما ثالث العبقريات الفردية فهو الشاعر الثائر الناقد ت . س. اليوت ، اكبر قوة فى تاريخ الشعر الانجليزى فيما بين الحربين . اليوت الذى التقط نثار الحضارة الحديثة وحطامها ، واستطاع ان يجمع بين أطرافها وان يسير على هذا الطريق الغريب بحذر عبر الارض الخراب

يختلف اليوت عن لورنس وريد فى أنه اصبح راس حركة شعرية ترجع الى القديم . فاليوت الناقد ، وريث ماثيو ارنولد ، و ت . ا . هالم كان يبتعد فى اول عهده عن النزعة الرومانتيكية فى الشعر ، فعنده ان «الشعر ليس اطلاقا للعاطفة ، بل هو فرار من العاطفة ، انه ليس التعبير عن الشخصية بل الفرار منها »

ومن جملة العوامل المؤثرة فى اليوت كتاب المرحيات الشعرية فى العصر الاليزابيثى وميتافيزيقيو القرن السابع عشر ، ولكن كثرة من قصائده الاولى — مثل بردفردك (سنة ١٩١٧) — مدينة بالكثير لكوربيير Corbière ولا فورج Laforgue فلقد نقل اليوت الحركة الرمزية الفرنسية الى الشعر الانجليزى .

وشهر اليوت بعد نشر قصيدته المروفة « الارض الخراب » The waste land سنة ١٩٢٢ فقد احدثت هذه القصيدة دويا كبيرا اذ انها قد هيات للرجعيين شيئا ينهشون ، كما زودت التقدميين ببدع جديدة ، ويرى معظم النقاد — مثل سيسل داى لويس Cicil Day Lewis وجيوفرى بولو Geoffray Bullough ان هذه القصيدة ليست خير شعر اليوت ولكن اثرها فى شعر تلك الايام يفوق اثر اى شعر اخر فى القرن العشرين .

وهذا راجع فى جملته الى موضوعها اكثر من رجوعه الى مستجدثات فنها (صناعتها) . ان « الارض الخراب » فى نظر لويس ذات اهمية بالغة من حيث كونها « وثيقة اجتماعية » .

ان الارض الخراب التى نشرت بعد الحرب العالمية الاولى . ليست مجرد « تشخيص » للافات الروحية لذلك العصر ، بل انها رثاء لطبيعة الانسان المنهارة ، ونبوءة ،ووعد . ان حضارتنا هى « الارض الخراب » ولن تحصل على الشباب ،والمطر المحيى الا بالارتحال الى بعيد ، وبالتفكير فى حالتنا ، وبالاستفادة من الدروس القاسية وموقف اليوت فى « الارض الخراب » سلبى اكثر من ان يكون ايجابيا ، تحليلى اكثر من ان يكون تركيبيا . لقد كان اليوت اشد ادراكا لحقائق التفكك منه للنظام الكونى الذى حدث فيه التفكك . ولقد كانت الارض الخراب من الناحية الشعرية صرخة فى الظلام ، وتطلعا الى استقرار لحياة الخيال ، والى المشاركة فى نظام كامل مجهول .

شغل الناس كل الشغل «بالارض الخراب» حتى انهم لم يعنوا العناية الكافية بقصيدة « بروفردك » مع اننا نرى فى شخصية مستر بروفروك Prufrock الشاعر الحديث ت. س. اليوت . ان قصيدة « بروفروك » تحدد بدء مرحلة جديدة فى تطور الشعر الانجليزى فمنذ بدا الشعر يستمد غذاءه الى درجة كبيرة من حضارة المدن . ففى هذه القصيدة يحسن اليوت استعمال مواد مستقاة من الحياة اليومية فى المدن فى الصالونات والشوارع ، والازقة والحجرات الفقيرة .

فهى فى قصيدة « اربعاء ايوب » Ash. Wednesday يشغل بالخلاص الشخصى ، وهذه القصيدة وان لم تكن قصيدة صوفية بمعنى انها لا تصف اى تجربه من تجارب الاتحاد الصوفى ، الا انها تعالج جوانب معينة من الطريق الصوفى علاجا امينا صادقا .

وقد بلغ اليوت قمة نضجه الشعرى فى قصيدة « اربع رباعيات » Four quarters .

ذكرنا ان اليوت نقل الحركة الرمزية الفرنسية الى الشعر الانجليزى . ومن اثار هذه الحركة استعمال التسلسل العاطفى وسيلة للربط بدل التسلسل المنطقى وهذه الطريقة قد نمت ونمو صناعة الافلام السينمائية ، ونحن نجد نظيرا اخر لهذا التسلسل العاطفى فى علم النفس للكشف الباطن المظلم طريقة الترابط الحر . ويكاد يكون اليوت خير من يستعمل الترابط الحر فى الشعر الانجليزى ، كما ان جيمس جويس يكاد يكون خير من يستعمله فى النثر الانجليزى ، وقد كان لجويس القاص اثر كبير جدا فى المحدثين من الشعراء الانجليز باكثاره من استعمال الترابط الحر استعمالا ناجحا ولما كان احلال التسلسل العاطفى محل التسلسل المنطقى غالبا على شعر ما بعد الحرب فمن الممكن عده مظهرا من مظاهر فقدان الثقة فى المنطق ، وانزال العقل من على عرشه ، هذين الامرين اللذين احدثتهما الحرب العالمية الاولى ، للذين صرحا د.ه . لورنس عقيدة يبشر بها .

ومما يمتاز به اليوت انه يكرر الاخيلة والكلمات تكرار العبارات فى الموسيقى . وهو قد اتخذ تكرات الاخيلة والكلمات وسيلة لنقل الرمزية من قسم الى قسم فى قصيدته « الارض الخراب » . واليوت يعنى بالجانب الموسيقى فى شعره عناية

والغة ، واتفاق مدينة للايماجيين بعض الشيء ، وانه يعترف هو نفسه بانه مدين لازرا بوند . واليوت يكثر من الاقتباس والاحالة على التراث الثقافي العالمي ، ومن ثم كان تتبع شعره محوجا الى الالمام بالثقافة العالمية . كما انه يكثر من الجمع بين المتناقضات ومن التهكم والسخرية .

ان اليوت باعتباره مفكرا شعريا قد انتقل من الانطباعية والهجاء ، وتحليل النفس ، والدراما الى شعر فلسفي ارحب واشد تكاملا من شعر هربرت ريد .

ولقد اخذت كثرة من الشعراء تسير سير اليوت ، ولكن معظم مريديه ومقلديه يعوزهم الجد الذى يتصف به هجاؤه الباكر ، ويعجزون عن خوض نيران التطهر التى يلقى فيها بنفسه الان .

- ٣ -

على الرغم من العبقريات الفردية كعبقرية ريد ، ولورنس ، واليوت فان معظم الشعر الانجليزى فى السنوات العشرين الماضية ، كان خاضعا لتاثير جماعات . فمنذ حوالى سنة ١٩٢٠ اخذ كثير من شباب الجامعات القديمة يزداد ادراكهم لوجود انقسام بين الحياة الخيالية وبين الاحوال الاجتماعية الحديثة ، وقد ساعد على نشر هذا الادراك بوند ، واليوت ، وريد وقد ازداد الاحساس بالحاجة الى شعر قدر على التعبير عن الروح الحديثة بعد الحرب الاولى ، كما ازداد الاحساس بوجوب تعبير الشعر الحديث عن اليقظة الاجتماعية ، وعن متاعب عقول الشباب الذى يعيش فى حضارة تمر بمحنة او بمرحلة تعديل .

والحديث الان عن جماعتين من شعراء الجامعات عرف شعرهما عن طريق ديوانين هما « شعر كامبردج » Cambridge Poetry وقد نشر سنة ١٩٢٩ و « توقيعات جديدة » New Signatures وقد نشر سنة ١٩٣٢ .

وقد جرى مؤرخو الادب الانجليزى على تسمية الجماعة الاولى بـ « مدرسة الفطنة أو العقل » والثانية بـ « مدرسة السياسة الرومانتيكية » وهى تضم الشيوعيين والاحرار .

(ا) اما مدرسة الفطنة فيمتاز شعراؤها فى الجملة بانهم ذوو عقول ممتازة ، مكونة تكوينا اكاديميا وبانهم متاثرون بـ دون ، واليوت ، وبوند ودريدن ، وبليك ، وسويفت ، وجيمس جويس ومارفل ، وفولتير ، ورابليه ورامبو ، وبروست ، وبودلير . ومن شعراء هذه المدرسة وليام امبسون William Empson ورونالد بوترال Ronald Bottral . ومن شعر امبسون المنشور فى « توقيعات جديدة » لعب بالالفاظ مقصود نتج عنه غموض لا طائل من ورائه .

أما مستر رونالد بوترال فقد اتخذ موقف اليوت من المجتمع دون اساسه الدينى .

(ب) والشعراء الثلاثة الكبار من شعراء الجامعات هم : اودن وسيسل داى لويس Cecil Day Lewis وستيفن سيندر Spender وهؤلاء الثلاثة دعاة يساريون ، وقد ابتعدوا عن الاستيطان الذى كان سائدا ، وعن الاهتمام بالفرد المنعزل

ورفضوا عقيدة لورنس ، وصوفية اليوت ، وسعوا الى ادراك للحياة فى مثالية ايثارية يوتوبيه Altruistic utopian idealism .

ومع ان مثاليتهم ماركسية فى ظاهرها الا انها مدينة بالشيء الكثير لـ « شللى » و « موريس » Morris ان مما يكون الاراء السياسية للشعراء اليساريين هو الشيوعية الثورية ، وعبادة العلم والالة ولكن ادراكهم الخيالى للحياة مثالية حرة .

وهؤلاء اليساريون متفائلون يدعون الى الحب والايثار فهب شهرهم نفسا جديدا بعد جيل من الاثرة ، واحتقار النفس والجبرية ، وخيبة الامل . انهم يحسون ان الشعر فى حال يرثى لها ، ولكنهم لا يفقدون الامل فى ان يلقى الشعراء اذنا صاغية فى هذا العصر . يقول سيسل داى لويس : « لقد ولد الشعر من السحر ، ونما مع الدين ، وعاش خلال عصر العقل ، فحتم ان يعيش فى عصر البروباجاندا ؟ ! » (١) .

ويجيب عن هذا التساؤل قائلا : لقد ولد الشعر من السحر ، والعلم اعدى اعداء السحر لان السحر هو التفسير الشخصى للكون ، اما العلم فهو التفسير العقلى الموضوعى له ، فاى امل للشعر فى ان يلقى اهتماما فى مثل هذا العصر العلمى الذى يعرفنا ان الانسان » تشريح بينما الشعر يعرفنا — كما قال اودن — ان الانسان روح Man is Spirit ومن ثم فقد يبدو انه من الضرورى فى هذا العصر العلمى ان تذبل زهرة الشعر ، ولكن هذا ليس كذلك ، لان الشعر يستطيع ان يخفف رغد العلم ، وان يتمثل ترتيلات وان يحولها الى استعمالاته الخاصة وان الشعر فى الواقع ، أخذ فى تعلم كيفية تحقيق هذا الامر (٢) . ولقد قال لويس كذلك : « ان الشاعر الان كما لو كان يبدأ مرة اخرى من البداية ولذلك فنقطة بدئه هى الحب . ولن ناخذ فى فهم شعر ما بعد الحرب مالم ندرك ان الشاعر يسعى اول كل شيء الى خلق مجتمع يصبح فيه الاتصال الحقيقى والحى بين الانسان والانسان ممكنا مرة اخرى (٣) .

ولقد بدا سبندر ورفيقاه اودن ، ولويس شعر امل وعمل ، بدأوا رومانتيكية من مبادئها ادراك قصور الانسان ، وموضوعية ناتجة لا عن العزلة الكاملة بل عن التكتل مع الاخرين وهم يتعاملون بسهولة مع المادة التى تقدمها لهم الحضارة الحديثة .

وان تاثير اودن فيما بين سنة ١٩٣٠ وسنة ١٩٤٠ بلغ درجة كبرى حتى انه اصبح ينافس تاثير ت .س اليوت ومن اعمال اودن « قصائد » Poems سنة ١٩٣٠ و « الخطباء » The Orators سنة ١٩٣٥ و سنة ١٩٣٦ و « رسائل من ايسلاند » بالاشتراك مع لويس مای نيس سنة ١٩٣٧ و « رقصة الموت » The Dance of Death و « اسبانيا » Spain .

اما سبندر فقد حياه النقاد على انه « شللى » حديث او « روبرت

---

(١) Cecil Day Lewis: A Hope
(٢) Zone Poetry p. 29
(٣) ibid., p. 30
(٤) ibid., p. 30

برؤك » آخر عندما ظهرت اشعاره المسماة « قصائد » Poems سنة ١٩٣٣ ومعظم شعر سبندر يهتم بالتوفيق بين الفردية والاشتراكية ولما كان سبندر اكثر انطواء من رفيقيه اودن ولويس فقد غرق فى نفسه اكثر منهما وهو فى جوهره شاعر غنائى ، وهو يزاوج بين الشعور الرومانتيكى والموضوعية الثورية . كما انه يستعمل اخيلة مستمدة من الالة بطريقة سهلة وسبندر يتألم للحواجز القائمة بين الاشخاص والاشخاص وبين الطبقات والطبقات ولكن سلاحه الاجتماعى اقرب الى الرثاء والاشفاق منه الى الهجاء والسخرية . ولقد كان سبندر اشد ولعا من رفيقه بالشعراء الاجانب فنرجم الى الانجليزية شعر هولدرلين Holderlin وريلك Rilke وهما شاعران شديدا الانطواء وفى شعرهما عمق متيافيزيقى كما درس المحدثين من شعراء الاسبان المشهورين باقتصادهم فى التعبير ، وباكثارهم من الايماء ، وان هذه المطالعات فى هذه الاشياء الاجنبية وامثالها ، ووطاة الحوادث العالمية بعد الحرب الاسبانية قد ادت بسبندر الى اصطناع اسلوب اشد تجردا ، واشد انطواء واشد تعليمية فى بعض الاحايين عندما يحلل فى شعره موقفه باعتباره محبا ومواطنا وثوريا .

اما ثالث الثلاثة اليساريين وهو الشاعر الناقد سيسل داى لويس فان مؤلفاته الثلاثة الاولى وهى « قصيدة انتقالية » Transitional Poem سنة ١٩٢٩ و « من الريش الى الحديد » From Feathers to Iron سنة ١٩٣١ و « الجبل المغنط » The Magnetic Mountain سنة ١٩٣٣ .

كانت محاولات لكتابة القصيدة الطويلة وكل قصيدة من هذه تصور تجربة مركبة فى مراحل متعددة وتعتمد وحدة القصيدة على توازن الاجزاء . وفى قصيدة « الجبل المغنط » يبدو تاثير لويس باودن وبخيرا مانلى هوبكنز Gerard Manely Hopkins وقد ظهر للويس اثناء الحرب العالمية الثانية Poems in war time سنة ١٩٤٠ و World over all سنة ١٩٤٣ لم ينظم لويس شعرا يؤيد الحرب ولكن كان لديه مايسوقه الى الجيل الذى مزقته الحرب .

ان الاتجاهات الشعرية المختلفة والتى كانت سائدة فى « الارض الخراب » لاليوت الى « اسبانيا » لاودن سنة ١٩٣٧ كانت على الرغم من اختلافها تسلم بوجود مقياس للقيم خارج الكاتب ، وبواجب الفن فى ان يصدر احكاما اخلاقية .

ولكن مثل هذا الموقف لم يكن لرضى اخيلة الشعراء جميعا ، فقد شهدت السنوات العشر الثالثة من القرن العشرين ظهور شعراء حلوا مشكلاتهم الجمالية والروحية بطرق اخرى .

ومن هؤلاء طائفتان هما اصحاب المذهب السريالى Surrealism واصحاب « الرؤيا الجديدة » او « النبوءة الجديدة »

(ا) اما المذهب السريالى فقد نتج فى اوربا عن الحركة الدادية Dadaism التى تبلورت سنة ١٩١٦ فى اواسط الحرب العالمية الاولى ، والتى كانت احتجاجا على المستويات والمقاييس السائدة فى الفن والحياة ،

وذلك عندما اكتشفت اندرية بريتون André Breton وفيليب يوبولت Philippe Soubault ان اللفو الظاهر سواء أكان مكتوبا ام ملفوظا – فى هيئة اكان مكتوبا ام ملفوظا – فى هيئة مونولوج يتدافع باقصى سرعة ممكنة وليس للملكة الناقدة للذات اية سيطرة عليه – يلقى ضواء كثيرا على حياة اللاوعى ، ويكون فيضا حيا مصورا من الاخيلة الممثلة لمزاج الفرد

ولكن انجلترا لم تتاثر بالسريالية الا بعد ظهورها فى اوروبا بوقت طويل ففى سنة ١٩٣٣ ظهرت فى انجلترا ترجمات لنماذج من الانتاج السريالى وتطع مؤلفه على هذا النحو وكان معظم هذه الترجمات والتاليف التى نشرت فى مجلة new verse تعلم دافيد جاسكوين David Gascoyne

وقد ظهرت كتابات شعرية ونثرية لديلان توماس فيها نزعة سريالية ولكن ديلان توماس ليس سرياليا خالصا . ولكن اشعاره كانت معنية بوجه خاص بالمؤثرات الجنسية المباشرة وغير المباشرة ، فى الحب ، والنمو ، والدين ، وهى مزدحمة برموز مرضية للكبت .

ان عيب السريالية يكمن فى انها تلغى من الشعر كل عناصر العقل الاقلها قابلية للتوصيل وهى فى ثورتها على الخصوصية العقلية لشاعرين مثل اميسون وبوترال قد احلت محلها خصوصية عاطفية ذات طابع طبيعته تكاد تكون اكثر منها الفازا . وان معنى الفن السريالى سر لا يتكشف فى الغالب الا للمعالج النفسى للفن .

(ب) كان قصور السريالية واضحا فى نظر معظم من لم يتاثروا بسحرها وقد اتضح لفئة من الشباب اسسوا سنة ١٩٣٨ جماعة اطلقوا عليها ذلك الاسم الطنان الا وهو « الرؤية انجديدة » او « النبوءة الجديدة » The New Apocalypse التى اخذوها عن اسم آخر كتاب فى العهد الجديد وهو « رؤيا يوحنا » اذ انهم كانوا يدينون بان من حق الفنان ان يخلق الإساطير ، وكانوا يرون فى هذه الرؤيا مثالا رائعا لخلق الاساطير .

واهداف هذه الجماعة قد بينها نيكولاس مور Nicolas Moor وج . ف . هندرى J. F. Hendry وج . ى . فريزر

وهنرى تريس Henry Treece فى مجموعتين من النثر والنظم هما The New Apocalypse سنة ١٩٣٩ . The White Horsman سنة ١٩٤١ وفى المؤلفات الخاصة لكل منهم .

سلمت هذه الجماعة بما للسريالية من فائدة فى ادراك بعض ابعاد وخصائص الوجود الباطن للانسان ولكنها انكرت ان تنكر السريالية حق الانسان فى ان يكون ذا سيطرة واعية على قصيده السياسى او الاجتماعى او على المادة التى يقدمها اليه عقله الواعى باعتباره فنانا .

ان « الرؤيا الجديدة » لا تبحث فحسب عن تجاوب الاخيلة غير المتجاورة فى العادة ، فعل السريالية ولكنها تتطلع كذلك الى ادراك توصيل التجربة ذات المظهر الشخصى ، التجربة التى هى كل شكلى ، فهى ترى ان من حق الفنان ان يخلق الاساطير .

رواية : عبدالعزيز عبد ربه

رسالة زنجي بأمريكا إلى أمه !!

كنت يا امى مع الليـــل .. على شط الغـــدير !
كنت ارنو لرفيقى ـ البـدر . فى المســاء النمـــير
حين حدثت رفيقى عن جـراحى .. عن ضـميرى
لم يدر وجهـا .. معاذ البدر ! لم يطلب مسـيرى
ثم فوجئت بصفعـــة .. ..
والى النهـر بدفعـه .. ..
صدقينى .. بينما صاحوا : آقذفوه فى السـعير !

كيف يا امى تمـــادوا فى متـاهات الدنيـــــة ؟
ماســـمت يوما رؤاهم فى ظـــلال المدنيـــة !!

جئ تالدنيـا وجلدى قاتم .. فى لون عنبـــر !
وعلى العـــــزة شاء الله ايامى .. وقـــدر
وانا يا أم كالبـاقين فى الدنيـــــا .. محـرر !!
جبهتى لا يجهـل الدهر سـناها .. لم تعفـــر !!
اننى يا أم أســـــود ..
وبامجـادى مســـود ..
جئت للدنيـــا وقد غنى لى الـكون وكبـــر !!

آه يا امى .. وموج الشـــر يمتـد الينـــا ..
نحن اعـــددنا لليـل الشـــر عزما .. ومضينـا
نحـن من اجـــداد اجـــداد لافريقيـــا أتينـــا
ومن الحـق شـربنا ! وعلى النـــور مشـــينا !
وزرعنا الافـــق وردا ..
وعرفنا الود عهـــدا ..
غـير انا نمـــلك الريح ســـموما ان ابينـــا !

اننى ـ يا أم أهـوى زهـرة لى .. زنبقـة !
آه .. عينـاها سـماء بالامـانى مفـعمة
لونها من لونهم . . بيضـاء .. لكن صادقـة !!
لا تقولى ((يا صغيرى تلك دنيـا محـرقة)) !
اننى يا أم أدرى ..
هى لاتعشق غيرى ..
كل انسـانية فيهـا سـماء مشرقة !

اعذرينى ان أكن أملت فى الارض القصـيه !
ان أكن اعشـق من بيض اشـداء عليـه ! !
زهرتى .. لا تحتـذى الا دروب البشـرية
كم تمنت للورى دنيـا من الحب .. نديه !
وبكت أيامنـا ..
واقامت ليلنـا ..
زهـرتى يا أم لا تعـرف ليـل العنصرية !

اننى أهوى .. ولكن كيف نحيـا فى اضـطراب ؟ !
اننـا نملك دنيـا .. من رياح .. وخـراب
غير انى قلب انسـان يغنى فى الرحاب ! !
لم لا تحيـا الملايين عـلى شرع الصـواب ؟ !
كلنا ندعى لادم
واحد .. لحم ودم
ومصـير الناس يا أمى غـدا بين التراب !

آه يـا أمى ودنيـاهم خـواء . . لا تعى . .
المنـارات بقلبى . . فى حنـايا اضـلعى ! .
أزرع الخيرات . . كل السـود يا أمى معى ! !
كيف يرضى الشر انسـان كـريم المنزع ؟ !
او تلاقينا معا . .
وجمعنا ضـائعا . .
لزرعنـا للاغاريد كـريم الموضـع !))

كيف يا أمى تمـادوا فى متـاهات الدنيـه ؟ !
ما سمت يوما رؤاهم فى ظـلال المدنيـة !

احمد محمد فرج

العروض والموسيقى

بقلم : الاستاذ محمد محمد حبيب

الاستاذ محمد محمد حبيب نهيأ له من الثقافة الفنية الشرقية والغربية ما جعله الاستاذ القدير على الدراسة والبحث فى موضوعات هامة دقيقة تحيى التراث العربى وتجدده ، وهو حين يدرس علم التجويد المعروف قديما تحت اسم جديد هو تربية صوت لفظى ، يبتكر من العروض الموسيقى ما يلائم به بين التفعيلات العروضية ، والموسيقى العالمية ، وفى الوقت نفسه يتفرغ من وزارة الثقافة والارشاد القومى لصنع الاورغن الالكترونى العربى ، ويوشك ان يخرجه فعلا للحياة الموسيقية العملية .

وتغتبط « الادب » بانها استطاعت التغلب على اصرار الاستاذ حبيب على العمل الصامت والدأب الجاد بعيدا عن ضجيج الشهرة ، فكتب هذا المقال عن « العروض الموسيقى » ، على ان يتابع الكتابة فى هذا الموضوع الدقيق ، فيفيد حركة التطور الشعرى والموسيقى جميعا

قال علماء النفس : ان الشعر نشاط ايقاع ، والايقاع هو العنصر الجوهرى ، فى الناحية الشكلية من الفنون الزمنية الثلاث : اعنى الرقص ، والموسيقى ، والشعر ، ومن اجل هذا رجت « الادب » الاستاذ محمد محمد حبيب أن يفيد قراءها بدراساته النافذة فى هذا المجال ، فكتب أولى مقالاته عنه ، لعدد الشعر الخاص ، وستتابع « الادب » نشر هذه المقالات القيمة

اذا اردنا ان نتكلم عن علاقة الشعر بالموسيقى ، كان من الطبيعى ان تتعدد النواحى التى تخطر ببالنا عن موضوع هذه العلاقة :

فلقد يكون كلامنا خاصا بما توحى به المعانى السامية للشعر من أحاسيس ووجدانات . تستثير النفس فتبرز كوامن مشاعرها ، فتنطلق منها انغام معبرة عن هذه المعانى اصدق التعبير . فاذا ما تناول الشعر التعبير تارة عن العظمة والجبروت ، واخرى عن الضعف والاستكانة ، وثالثة عن الود والسلام .. الى غير ذلك من النواحى الوجدانية المتعددة ، فمما لا شك فيه ان الموسيقى بانغامها التى يمكن ان تكون قوية صاخبة ، او رقيقة ناعمة ، او عذبة هادئة ... هى خير معبر عن معانى الشعر السالف ذكرها بكل صدق وامانة ، وتلك علاقة قوية بين الشعر والموسيقى لا يمكن تجاهلها .

ولقد يتناول بحثنا ما يبعثه اندماج الشعر والموسيقى من احساس بالجمال الذى يرتقى بذوقنا الفنى الى ادراك ما لا سبيل لنا الى ان نتذوقه بحواسنا الخمس ، اى كانما خلق الشعر والموسيقى فينا حاسة سادسة ترفعنا الى المصاف العليا ، ولاسيما اذا اشتركا فساعد احدهما الاخر فى هذا الخلق والابداع .

ولقد يمتد بنا الخيال الى ابعد من هذا فى نواحى علاقة الشعر بالموسيقى

فمن اين نبدا يا ترى ، والى اين ننتهى ، والفرصة قصيرة ، والنواحى متعددة كثيرة ؟

نرى ان نقتصر فى هذا المقال على علاقة الشعر بالموسيقى ، من حيث خضوع كل منهما لموازين ايقاعية ، تبعث فى النفس شعورا بتكرار وحدات زمنية تكرارا دوريا منتظما ، يستميل السامع الى متابعته بعد ان يالفه ، فيتجاوب معه ، سواء اكانت هذه الوحدات الزمنية قبل تكرارها متساوية ، كما فى موازين الشعر الغربية ، ام غير متساوية كما فى موازين الشعر العربية .

ولنبدأ بذكر مايتعلق بهذا الموضوع فى الموسيقى الغربية ، التى اساس موازينها الشعرية « ما يقابل ابحر الشعر العربية » اختصاص احدى الوحدات الزمنية بنبر قوى (Accent) فى دورها الايقاعى المتكرر . فهذا النبر اذا تلاه نبر ضعيف « مساو له فى القيمة الزمنية » ، احتوى المقياس الزمنى المتكرر على وحدتين زمنيتين متساويتين « معبرتين عن مقطعين لفظيين — Syllables — متساويين ، وكان الميزان الشعرى ثنائيا ، فكان من الطبيعى ان يتفق معه الميزان الموسيقى الثنائى ، وهو المعبر عنه بالرقمين $\frac{2}{4}$ او $\frac{2}{2}$ الخ . واذا تلا النبر القوى نبران ضعيفان يتساوى كل منهما معه فى القيمة الزمنية احتوى المقياس الزمنى المتكرر على ثلاث وحدات زمنية ، وكان الميزان الشعرى ثلاثيا ، فكان من الطبيعى ان يتفق معه الميزان الموسيقى الثلاثى ، وهو المعبر عنه بالرقمين $\frac{3}{4}$ أو $\frac{3}{2}$ أو $\frac{3}{8}$ الخ .

هذه امثلة من سهولة متابعة الموازين الشعرية الغربية للموازين الموسيقية المشهورة ، وهى موازين طبيعية دولية سهلة شائعة بحكم بساطتها ، مستعملة فى كلتا الموسيقيين الغربية والعربية فى الوقت الحاضر .

وليس فى امر اتفاق الموازين الشعرية الغربية للموازين الموسيقية السالف ذكرها شىء من الغرابة ، اذ من الطبيعى من وجهة النظر التاريخية فى نشاة الموسيقى ان يبدأ اولا بالغناء وما قد يصحبه من تصفيق ثم تأتى بعد ذلك الالات الموسيقية مقلدة للغناء ومايتبعه ، وهكذا تساير الموسيقى فى موازينها السهلة الشعر الغربى فى غير ما صعوبة او تكلف . وكم نرى طريقة شرح الموازين الموسيقية فى كتب قواعد الموسيقى الغربية تبدأ بامثلة شعرية يستنتج منها حاجة الموسيقى الى الموازين الثنائية والثلاثية والرباعية لتتمشى مع ما يقابلها من الموازين الشعرية المسلم بانها الاصل فى طبيعة الغناء والموسيقى تبعا له .

اما فى موازين الشعر العربى فليس الامر بهذه البساطة ، فالموازين الشعرية هنا اكثر تعقيدا ، لاختلاف المقاطع اللفظية طولا وقصرا ، رغم انتظام دورية تكرار هذه المقاطع فيما هو معروف « بتفاعيل » الميزان

الشعرى . فالتفعيلة المتكررة تكون مقياسا زمنيا موسيقيا يتفق مع هذه التفعيلة ، اذا سلمنا بموازين مخالفة للموازين الدولية الشائعة ، الثنائية والثلاثية والرباعية .

والواقع اننا لو تمشينا مع طبيعة النطق العربى السليم لما يقابل التفاعيل من الفاظ الشعر العربى ، لوجدنا الامر يتطلب موازين موسيقية نادرة الاستعمال فى الوقت الحاضر ، كميزان $\frac{5}{8}$ الذى يتمشى مع التفعيلتين الخماسيتين المتكررتين « فعولن » لبحر المتقارب ، و « فعلن » لبحر المتدارك ، وكميزان $\frac{7}{8}$ الذى يتمشى مع التفاعيل السباعية المتكررة ، مثل « فاعلاتن » لبحر الرمل ، و « مفاعيلن » لبحر الهزج ، و « مستفعلن » لبحر الرجز ، الخ . هذا اذا خلت هذه التفاعيل من زحافات أو علل تخرجها عن الاتفاق مع الموازين المذكورة .

وليس علينا ان نخوض الان فى ذكر اسباب ندرة الموازين الموسيقية المتفقة «فى الوقت الحاضر» مع طبيعة الموازين الشعرية العربية ، اذ يتطلب الامر البحث عن الحلقة المفقودة التى كانت تمكننا من سماع الحان الشعر العربى وقت ان كان يتغنى به فى عصوره الذهبية ، كى نتبين مدى انطباق الموازين الشعرية على الموازين الموسيقية فى ذلك الوقت ، فقد يكون ما هو شائع وقتها نادرا الان . ولكن ماجدوى هذا البحث فيما قد يفيدنا او لا يفيدنا نحن الان من الناحية العملية ؟ وهب اننا عثرنا على الحلقة المفقودة فقد تكسب — من الوجهة التاريخية فقط — ما يفيد ان الموازين الموسيقية وقتها كانت مطابقة للموازين الشعرية فهل سنعود حقا الى تلك الموازين النادرة ؟ — هذا بحث آخر — ام هل سنطوع موازيننا الشعرية كى تتفق مع الموازين الموسيقية الشائعة الان — مادمنا متمسكين بها فعلا — فى حين انها غير متمشية تماما مع طبيعة موازيننا الشعرية ؟ هذا بحث آخر كذلك .

الذى يعنينا ، او ما نحن بصدده الان ، انما هو بحث اخضاع الموازين الشعرية القريبة للموازين الموسيقية الشائعة الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية والسباعية . ومعنى هذا اننا مسلمون مقدما باننا سنسلك فى هذه الحالة طريقا غير طبيعى ، مادام بحثنا فى طبيعة تفاعيل بحورنا الشعرية قد كشف لنا عن عدم قابليتها للتمشى مع الموازين الموسيقية الشائعة ثنائية كانت ام ثلاثية ام رباعية ، اللهم الا فى احد اشكال احد ابحرنا الستة عشر ، الا وهو بحر المتدارك الملتزم فيه تحويل تفعيلته الاصلية ((فاعلن)) الى ((فعلن)) (بتحريك العين) او ((فعلن)) (بتسكينها) ، ففى هذه الحالة فقط يتمشى ميزانه الشعرى مع الميزان الثنائى $\frac{2}{4}$ ، اذ تحولت تفعيلته من خماسية الى رباعية ، وان كان هذا البحر هو البحر السادس عشر غير المعترف به من الخليل بن احمد واضع علم العروض ، وقد زاده الاخفش على ابحر الخليل الخمسة عشر .

وبمناسبة ما هو معروف من ان الزحاف الذى حول التفعيلة من خماسية الى رباعية فى بحر المتدارك جائز للشاعر فى باقى الابحر ، اى ان به يمكن ايضا تحويل التفعيلة السباعية الى سداسية ، ولكن لا على سبيل الالزام ، فانه يرى من ذلك ان هذا الزحاف اذا ما التزم اصبحت التفاعل السباعية المتكررة (فى بعض الابحر)

كلها سداسية ، فصارت بطريقة ما صالحة للموازين الموسيقية الثلاثية البسيطة ($\frac{3}{4}$ مثلا) ، او الثنائية المركبة ($\frac{9}{8}$ مثلا) . مثال ذلك فى حالة الموازين الثلاثية البسيطة تحويل «فاعلاتن» فى بحر الرمل الى «فعلاتن» وتحويل « مستفعلن » فى بحر الرجز الى « مستعلن » ، وفى حالة الموازين الثنائية المركبة تحويل « مستفعلن » فى بحر الرجز ايضا الى « متفعلن » الى غير ذلك ، دون ان يعتبر هذا تطويرا للموازين الشعرية ، او خروجا بها من ابحرها الاصليه الى ابحر اخرى اذ هناك فرق بين التطوير وبين التزام الزحاف الذى تجيزه قواعد النظم فى علم العروض الشعرى الذى ابتكره الخليل بن احمد .

كل ما تقدم ذكره من تحايل على تمشى الموازين الشعرية مع الموازين الموسيقية المشهورة سواء بالتزام زحاف ما ، على سبيل لزوم مالا يلزم او بالبحث عن خير الطرق للتسهل بعض الشىء فى النطق بالتفاعيل الخماسية او السباعية المزاحفة اوغير المزاحفة بما لا يخرجها عن النطق العربى الصحيح اذا ما اريد تمشيها مع الموازين المشار اليها ، كل هذا تشمله قواعد علم جديد يسمى « العروض الموسيقى » قمت بابتكاره وبتدريسه بالمعهد العالى للتربية الموسيقية للمعلمات مدة ٢٥ سنة ، منذ انشائه فى سنة ١٩٣٥ ــ ١٩٣٦ حتى تركى اياه فى سنة ١٩٦٠ــ١٩٦١ ويتضح من المناهج المقررة لدراسة هذا العلم ان هناك الكثير من الوسائل لتذليل الصعوبات التى يراها الكثيرون عقبة فى سبيل اخضاع الموازين الشعرية المعقدة الى ما يقابلها من موازين موسيقية مشهورة ، او بعبارة اخرى تحويل الموازين الموسيقية المترجمة للنظم الشعرى من عرجاء نادرة الاستعمال ، الى سليمة شائعة الاستعمال . وتلك بشائر طيبة تطمئننا الى امكان اقامة الكثير من الدلائل القوية على ان علاقة الشعر العربى بالموسيقى ، فى ناحيتهما الايقاعية هى علاقة ترابط محكم البناء ، بعد ان اميط اللثام عن اسس وقواعد هذا الترابط ، منذ اكثر من ربع قرن من الزمان .

تلك لمحة خاطفة لاعطاء فكرة سريعة مقتضبة عن ماهية « العروض الموسيقى » . ارى لزاما على ان اتبعها بعرض مناهج كل من السنوات الثلاث المقررة لدراسة هذا العلم ، لا لمحاولة توسيع الفكرة عن ماهيته فحسب ، بل ليعذرنى القارىء فى عدم التفصيل بعد ان يتبين من استعراض هذه المناهج ارتباط الشرح او التفصيل بتطبيقات سمعية عملية تدريبية يسهب التفاهم بشانها بما يسطر فى بضع صفحات . وحتى لو حاولنا التغلب على هذه الصعوبة ، لكان الامر متطلبا استخدام التدوين الموسيقى وما يتصل به من المعلومات الموسيقية فضلا عن التمكن من عروض الخليل فى البحور الخمسة عشر (او الستة عشر) ، وقد لا نجد الكثيرين او الكثيرات من القارئين او القارئات ممن يجمعون او يجمعن بين هذين العنصرين حتى ولا القليلين او القليلات . وهذا ما ادى الى قصر دراسة هذا العلم طوال هذه السنوات على معهد التربية الموسيقية العالى للمعلمات .

منهج مادة العروض الموسيقى

التعبير عن المقاطع اللفظية بالعلامات الموسيقية الزمنية ــ اثر الاحرف المتحركة والساكنة فى طول المقاطع وقصرها ــ التعبير عن الاسباب والاوتار بالعلامات الموسيقية ــ

التفاعيل الشعرية والتعبير عنهـــا بالعلامات الموسيقية ـ التعبير عنها بالتصفيق او النقر بالاصابع اوالعزف بالآلات الايقاعية ونحوها .

الباطـوطات (المقاييس الزمنية) الموسيقية ، والباطوطات الناتجة من تكرار ايقاع تفعيلة ما ـ العلاقة بين هذين النوعين ـ الباطوطات الشعرية ـ الباطوطات المتكاملة (اى التى ينقص ما بالاولى منها من القيمة الزمنيـــة للباطوطة بقدر ما يوجد من القيمـة الزمنية فى الباطوطة الاخيرة ، على ان تعتبر هاتان الباطوطتان باطوطـــة واحدة) ـ امكان الحصول على انواع مختلفة من الباطوطات المتكاملة بتغيير نقطة بدء الباطوطة ـ تطبيق نظـــام انباطوطات المتكاملة على ما ياتى :

(ا) اشتقاق فروع التفاعيل من اصولها .

(ب) اشتقاق الابحر بعضـها من بعض ، وتكوين دوائرها الخمس حسب الاشتقاق كما ياتى :

١ ـ اشتقاق المتدارك من المتقارب

٢ ـ اشتقاق الرجز والرمل من الهزج .

٣ ـ اشتقاق الكامل من الوافر

٤ ـ اشتقاق المديد والبسيط من الطويل .

٥ ـ اشتقاق المنسرح والخفيف والمضـــارع والمقتضب والمجتث من الســريع .

ترتيب البحور بحسب سهولة او صعوبة ادراك ايقاعها الموسيقى .

التحليل الموسيقى ـ للتفاعيل الشعرية شذوذ ايقاعها وعدم ملاءمة طبيعتـه للموازين الموسيقية الشائعة ـ الموازين العرجاء الناشئة من التركيب الطبيعى التفاعيل ـ التحايل على طبيعـــة التفاعيل لتحويل الموازين الشـعرية الى موازين موسيقية ـ تحـــويل الموازين العرجاء الى موازين عادية ـ درجات التحايل الموسيقى والتساهل اللفظى وبيان المقبول منهما والمرفوض ـ التحايل الشعرى ـ لزوم مالا يلزم من الزحاف للحصول على ابحر ملائمة للموازين الموسيقية الشائعة (البسيطة والمركبة) .

التقسيم الثنائى للتفاعيل الخماسية ـ علاقة هـــذا التقسيم بالموازين الثنائيـة ـ ما يلزم من التحـــايل الموسيقى والشعرى لتمشى هـــذه التفاعيل مع الموازين الثنائية (البسيطة والمركبة) ـ تطبيق ذلك على الموازين الآتية :

$\frac{2}{4}\ \frac{2}{8}\ \frac{6}{8}$ الخ .

التقسيم الثلاثى للتفاعيل السباعية ـ علاقة التقسيم الثلاثى بالموازين الثلاثية ـ التحايل اللازم لذلك ـ تطبيق ما تقدم على الموازين الاتية :

$\frac{3}{4}\ \frac{3}{2}\ \frac{3}{8}\ 8\ 16$ الخ

وكذا على الضربين العـــربيين التاليين :

سماعى دارج $\frac{3}{4}$ سنكين سماعى $\frac{6}{4}$

التحايل على تقسيم التفاعيـــل السباعية تقسيما ثنائيا او رباعيا ـ تطبيق ذلك على الموازين الثنائية :

البسيطة ($\frac{2}{4}\ \frac{2}{2}$ الخ .)

والمركبة ($\frac{6}{8}\ \frac{6}{4}$ الخ .)

وكذا على الموازين الرباعية :

البسيطة ($\frac{4}{2}\ \frac{4}{4}$ الخ .)

والمركبة ($\frac{12}{4}\ \frac{12}{8}$ الخ .)

التحايل بمثل ما تقدم على تقسيم التفاعيل الخماسية تقسيمها ثلاثيا او رباعيا .

تطبيق ما تقدم ذكره من القواعد على ما يأتى :

(ا) التلحين الايقاعى للاناشيد والمقطوعات الشعرية السهلة بكتابة الفاظها بالعلامات الموسيقية الايقاعية بعد اختيار الميزان الملائم .

(ب) التلحين الفنائى للاناشيد والمقطوعات المذكورة ، بتوزيع الدرجات الصوتية الملائمة لمعانى والفاظ القطعة على مقاطعها اللفظية ، وذلك بعد توزيع تلك المقاطع على العلامات الموسيقية الايقاعية حسب ماذكر فى(ا)

ويحسن تشجيع الطالبات على تلحين اناشيد او مقطوعات شعرية من تاليفهن كلما امكن ذلك .

الجملة الموسيقية والجملة الشعرية ـ البيت الشعرى باعتباره جملة شعرية ـ تركيب الجملة الموسيقية من جزأين متساويين ـ التوازن بين جزأى الجملة ـ التوازن بين صدر البيت وعجزه ـ الاختلاف فى الطول والقصر بين العروض والضرب ـ فقدان التوازن بين الصدر والعجز ـ استعادة هذا التوازن فى التلحين ـ مطابقة الجملة الموسيقية للجملة الشعرية ـ التضمين باعتباره من العيوب الشعرية ـ تعارضه مع المطابقة اللازم استيفاؤها بين الجملة الموسيقية والجملة الشعرية

القفلات وانواعها ـ قوتها وضعفها ـ المذكر والمؤنث من القفلات (Masculine & Feminine Endings) وعلاقة ذلك بنظام تكوين الباطوطات ـ تحويل احد هذين النوعين الى الاخر بتطبيق نظام الباطوطات المتكاملة .

اهم عيوب التلحين الشعرى .

تطبيق ما تقدم ذكره من القواعد على ما يأتى :

(ا) التلحين الايقاعى للاناشيد والمقطوعات الشعرية السهلة بكتابة الفاظها بالعلامات الموسيقية الايقاعية بعد اختيار الميزان الملائم .

(ب) التلحين الفنائى للاناشيد والمقطوعات المذكورة ، بتوزيع الدرجات الصوتية الملائمة لمعانى والفاظ القطعة على مقاطعها اللفظية ، وذلك بعد توزيع تلك المقاطع على العلامات الموسيقية الايقاعية حسب ماذكر فى(ا)

ويحسن تشجيع الطالبات على تلحين اناشيد او مقطوعات شعرية من تاليفهن كلما امكن ذلك .

ولا يظنن القارىء بعد استعراض هذه المناهج انها تشمل كل ماتحويه مادة « العروض الموسيقى » ، اذ لم تخرج مناهج دراسة مادة ما عن كونها معبرة عما يلزم استيعابه من هذه المادة فى احدى المراحل التعليمية ، دون النظر الى ضرورة استكمال حلقات هذه المادة فى تلك المرحلة .

هدانا الله فى عهد ثورتنا المباركة ، الى تزويد ثروتنا العلمية ، باستثمار مواهبنا الفكرية ، ووفقنا الى خير الطرق للبحث والابتكار ، انه سميع مجيب .

القلق المجهول

يزلزلني بعض الاحايين كارب ... من الضيق لكن لست اعلم مأتاه
فأشعر ان السقف يهبط من عل ... فيكظم انفاسي وتشتد بلواه
واني محتاج لعاجل نسمة ... تهب اختناقا ليس تحمد عقباه
فأسرع للارض الفضاء كأنما ... اري في الفضاء الرحب ما ليس اخشاه
اسير واعدو ذاهلا عن لواعجي ... وان ذهولي نعمة ساقها الله
وارتاح وقتا ما ، ولكن طارئ ... من الضيق بعد الصفو يزعج مرآه
يلوح لعيني كالح الوجه قاتما ... فيبلغ بي الوجد المبرح اقصاه
واجفل منه في اتجاه معارض ... ولولا انتقاد الناس ولولت ويلاه
ثوى الضيق في الاعماق مني فان اكن ... تجاهلته وقتا ففي النفس مأواه
فيخبو كما يخبو السعير بموقد ... وبعد هنيهات يشب فاصلاه !
وانى هروبي منه وهو بداخلي ... اسير فيبدو ، او اقيم فالقاه

* * *

ويعتادني كالفيلسوف تأمل ... فافحص ضيقي استشف خباياه
واسبر نفسي او احاول سبرها ... فاضرب في وهمي فما اتعداه
واخبط في وادي الظنون وانما ... ادور بجب ، صبحه مثل ممساه !
وارتد عن وجه الصواب كأنما ... له معشر غيري فما يتخطاه
وارجع مقهورا بعجزي لم اصب ... بواعث ضيق لا تغب رزاياه !

* * *

يقولون علم النفس يبدي خوافيا ... فما بال ضيقي ليس تبدو خفاياه
درست اصولا منه عند شيوخه ... فما اثمر الدرس المثابر جدواه
اتحسب دنيا اللحم والدم ناشزا ... من الصخر تبدو للعيان زواياه
تمر به كفيك في كل لحظة ... فهذي حواشيه وتلك حناياه
رويدك طوفان الاحاسيس عيلم ... من اللج فرسان التماسيح تخشاه
هو البحر يغشاه المخاطر جاهلا ... أيلقى منه ام تتاح منجاياه
حوى القاع منه ما يروع ، ولالات ... لعينيك فوق السفح سفن وامواه
فلا تهو للغور العميق فربما ... اباد اخا الغوص المقامر مهواه

* * *

جهلت ، نعم اني جهلت حقيقتي ... ولازمني ضيقي ، فما انحاشاه
اذا ما اصطحبناه في الحياة فانه ... لمصطحب شر تحيق بلاياه
سأقبله كرها على سوء ما جنى ... وهل كان لي بعض اختيار فآباه

بقلم الدكتور
احمد كمال زكى

- ١ -

قد يكون النقد الادبى من بعض الوجوه اشبه بفقه اللغة ، لانه فى هذه الحال فى محاولة تقييم الكلمة المجازية بتصل باطوار اللغة الاولى حيث كانت المشاعر والخيالات والاحلام تشكل مصادر حقيقيا للطبيعة واحوالها . فاذا صدر اى اديب عن انتاجه ، فاننا يجب أن نتخلى عن كثير من فكريات العصر حتى نفهمم الفهم الصحيح ، وذلك بربط لغته بتلك الاطوار التى اختلط فيها التفكير العقلانى بالتفكير الاسطورى . ومن هنا نفهم لماذا الاصرار الملح على ربط الفنون ــ والادب منها فن ــ بالميثولوجيا والماضى السحيق كله ، ولماذا نقبل محاولات يونج لربط الحلم بالاسطورة على اساس وجود علاقة حقيقية بينها وبين العقل الباطن الجماعى .

ولعل افتتان الادباء بالتعبير عن طريق التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل ــ وكلها من تقليديات اللغة باعتبار ان لغة العصر تقريرية علمية ــ لون آخر من وفاء الفن لماضيه . واكثر ما يكون هذا الوفاء حين نجعل الاسطورة احدى صور التعبير كالاستعارة مثلا مع التسليم باختلاف مصدرهما ، ثم يصدر بها من اجل تجسيد القيم واقتراح الخلاص فى مواقف الازمة والضيق .

لقد لاحظنا أن اليوت فى رائعته « الارض الخراب » ينكب على الماضى انكبابه على الرموز المبهمة والكنايات المعقدة (١) . وتخطت الميثولوجيا عنده

---

(١) يحسن الرجوع الى مقطعات من هذه المنظومة فى "Selected Poems" ونرى على سبيل المثال فى صفحة ٥٢ اشارة الى المرافة Sosostris وهى تحدث عن البحار الفنيقى وبيلادونا Belladonna سيدة الصخور ، وفى صفحة ٥٤ نرى رموزا شرقية فى اطار خلاب يلعب فيه حيوان الدلفين وطير العندليب والملك البربرى ادوارا فى تشكيل الاسطورة وفى صفحة ٥٩ نماذج من الكنايات المعقدة حين يشير الى Eugenides التاجر الازميرى فى بيت شعر يردفه بابيات يقول فيها :

ش . ى . ف : سندات تدفع عند الطلب
طلب منى بالفرنسية
ان اتغدى معه فى فندق كانون ستريت
واقضى نهاية الاسبوع فى المترويول

ثم شب بعد ذلك الى حديث عن الساعة البشعة التى يرى فيها العجوز ذا الثديين الاشوبين المترهلين ، تلك المرأة التى تأتى بالبحار من عرض البحر وسرك ملابسها وجواربها تجف فى الشمس الناريه ، وهكذا ..

كل العصور ، وجادت عليه بالاساطير فلم يجعلها محورا لنشاطه البلاغى بقدر ما جعلها كشفا عن أزمة انهيار القيم فى ارضه الخراب .

ويذكرنا اليوت بالشاعر على احمد سعيد ـ وغيره كثيرون ـ وهو يصطنع اسطورة « تموز » كما يصورها الادب البابلى القديم فى دائرتى اليوت والبعث . واكبر الظن انه يحس كما او كان موكلا بتاكيد « فكرة » الاسطورة فى اكثر من قصيدة له ، غير انه لا يستهدف « رصدها » فى ذاتها والا كان عليه أن يعلن افلاسه وينتهى ، وانما هو يستلهمها ويتبنى ابعادها من اجل تصوير ضياع الانسان وموته على قاعدة تموزية ، اى ضياع من اجل ان يصل الى الحقيقة وموت من اجل ان يبعث لحياة جديدة .

وشبيه باسطورة تموز ما يحفظه الادب المصرى عن أوزيريس وعودته من عالم الاموات الى الارض فتتجدد الحياة على سطحها كل ربيع ، وقد استغلها اكثر من شاعر محدث فى معرض الموت والنوم والشتاء والليل ازاء البعث واليقظة والصيف والنهار ، مؤمنا بانها لا تعدو ان تكون من قبيل التجارب المتكررة تكرر انماط الحياة .

ولم يكن الادب العربى القديم خلوا من محاولات ادبائه تجسيد معانيهم باصطناع الاساطير وتضمينها حوادث تمتد أسبابها الى عصرهم ، فجرير شاعر النقائض الكبير يقول :

اذا ما الليل هاج صدى حزينا
بكى جزعا عليه الى الممات

فيستحضر اعتقاد العرب الاولين بأن القتيل اذا لم يؤخذ بثاره خرجت من راسه «هامة» يقال لها الصدى فتصيح : اسقونى . . اسقونى ! ولا تسكت حتى يقع الثأر . وصدى المقتول فى البيت هو للزبير ، وكان قتل غدرا فى قبيلة خصمه الفرزدق ، فعبرها بذلك الشاعر رابطا بين فكرة ميثولوجية ومنطق عصره فى التبرير . ويبدو انه كان مفتونا بالاسطورة نفسها الى حد بعيد ، وبخاصة فى ثلب القبيلة ذاتها ، اذا يذكر صدى آخر لمزاد بين الاقعس قتل ولم تاخذ هى ـ فى هذه المرة ـ بثاره ، فقال :

وبات الصدى يدعو عقالا وضمضما

فان جمعنا بين عصر الشاعر وماضيه ظهرت الحقيقة وارتبطت الاسباب . ومن ثم ينبغى أن نقدر تماما هذا الطراز الفنى من التصوير على أساس الرجوع الى الاصل مهما نتوغل مع هذا الاصل فى القدم . غير اننا نلاحظ ان جريرا وهو يرسم صورة الصدى كان يصدر عن ايمان بانه يقرر حقيقة ولا يرصد أسطورة ، وتقريره الحقيقة فى هذا الاطار التصويرى تسليم ما بارتباط الفن بالميثولوجيا بالوحى بالحلم بكل رمز يكنى به عن رغبة فى حل سبق ان ارتضته التجربة الانسانية ، والتجربة الانسانية معادة وليس تحت الشمس جديد !

ولقد كان الرومانسيون ـ فى الحق ـ اول من احسوا بثراء الاساطير فى مجال الفن ، فطرقوها بحماس بالغ ، وان كان طروقهم من قبيل الزعم بأنه تلقائى او عفوى . والمعروف أن الخيال عندهم شىء سحرى يقع خارج الملكات الواعية ولكنه لا ينفصل عن الحقيقة ، ولهذا يتفقون على اعتبار الاسطورة جزءا من الواقع او هى متداخلة فيه ، فيذكرنا هذا برأى يونج فى ارتباط كل الاساطير باللاوعى الجماعى .

واستعان بها الرمزيون ايضا ، ولكنه استعمال الحلم ، حتى لكأن الادب عندهم لا ينبع الا من جبرية مبهمة مكانها العقل الباطن . ومن هنا يعتقد كثير من الباحثين ـ وعلى راسهم يونج ـ ان اى دراسة لتشريح ادب هؤلاء مصيرها الاخفاق المطلق ، ولكن لا باس من مناقشة لغتهم على قاعدة ولاء الخلف للسلف وربط عملهم بتراث الماضى البعيد .

ولكن هناك نوعا من الرمز يستحيل فى آخر امر هالى ان يكون عملية خلق لاساطير جديدة ، او بعبارة اخرى يصطنع الاديب فيها « تكنيك » الاسطورة . فيكتب عبد الرحمن فهمى مثلا « يوميات آموديس » قصة ، ويكتب صلاح عبد الصبور « لحن » قصيدة ، من قبلهما كتب شيلى « اوزمانديأس » Ozymandias of Egypt مستقطبا فيها خواطره العاطفية او احساساته بالوحشة التى تشبه وحشة الصحراء (١) ، كما كتب بيتس « ليدا والبجعة » عن غاية سياسية فى الاصل ، والبجعة كما نعرف ترمز الى زفس فى الاسطورة القديمة .

تلك على اية حال امثلة مفردة ولكنها دالة على قيمة الرمز وارتباطه بالاسطورة ، ونستطيع ان نضيف إن المحدثين من ادباء العصر فاقوا الرومانسيين والرمزيين فى الاقبال على الميثولوجيا . حتى لقد غدت عباراتهم كأنها امتدادات لتاريخ راسخ القدم ، فضلا عن وجود عبارات اخرى يومض الرمز فيها وميضا محيرا ، ولاول مرة يكون النور مثار احساس بالابهام !

فهل آن الوقت لنقول ان من اسباب غموض الادب المعاصر ـ ولاسيما الشعر المرسل منه ـ اصطناع الاسطورة وخلقها ؟

ـ ٢ ـ

لا تعنينا الاجابة عن السؤال السابق ، لان امامنا سؤالا اخطر منه هو : هل ثمة قاعدة للاستعانة بالاساطير ؟ ويلحق به سؤال آخر هو : اى الاساطير الزم الى تعبيرنا الادبى الحديث ؟

والحقيقة ان امكانيات اية أسطورة لا يمكن ان تستغل الا اذا اتيح لها الاديب الذى يفهم مغزاها لتعليق « حالته » بها ، ولا يشترط ان يرتبط الادباء باساطير قومهم ، فليست الاقليمية بالفيصل فى تقييم التعبير ، فضلا عن ان الاساطير فى بدئها كانت للجدود ، وهؤلاء ورثوها احفادهم جيلا بعد جيل .

ومع ذلك فقد نلمح فى اساطير الشعوب جانبا من مكونات شخصيتهم ، غير ان هذا لا يعفينا قط من تأكيد علائق قديمة فى هذه الاساطير . كهذه العلاقة التى تظهر فى أسطورة تموز عند البابليين واسطورتى ديونيسوس عند الاغريق واوزيريس عند الفراعنة ، وكهذه العلاقة التى تظهر بين حوريس المصرى المخلص وهرقل الاغريقى البطل وخرسسا الايرانى المنقذ .

والامثلة اكثر من هذا ؛ غير اننا نكتفى بما ذكرنا لاننا سنرى ـ عند

---

(١) راجع The Golden Treasure of The Best Songs and Lyrical Poems. p. 251. Oxford, 1941

التطبيق ـ ان الشعراء ينهلون من الاساطير دون نظر الى اقليم . فادونيس مثلا يستغل تراث الاغريق استغلاله لتراث العرب على حد سواء ، ويوسف الخال يتأثر عزرا باوند واليوت اللذين نهلا من ميثولوجيا الشرق ، والسياب وصلاح عبد الصبور يستوحيان أوديب ، والثانى يسأم سأم اليوت ، وينتظر زوال الجدب الذى تمثله حضارة العصر .

ونصل على هذا النحو الى اجابة السؤال الاول ، وهو عن قاعدة الاستعانة بالاساطير . فليس يلزم والحال على ما بينا ان نقول ان الاستعانة باسطورة هندية غير الاستعانة باسطورة مصرية غير الاستعانة باسطورة فينيقية وهكذا . وانما يلزم الفهم والتمثيل ، فهم الموقف المعاصر واذابته فى شبيهه الاسطورى ، ليكون الكل الذى يعطى الاحساس بالصدق التلقائى .

وفى ضوء هذا تصبح تجربة « سيزيف » او « برومثيوس » أو « أوديب » مكونا عصريا أو مجالا للكشف عن أغوار انسان العصر ، وتكفى الاشارة لاحدها عند شاعر عربى لكى نسبر غور التجربة ، الا اذا ضعفت القرينة الى حد انها تعجز عن القاء الاضواء الكافية ، يقول ادونيس وهو يبرر بصورة اورفيوس :

عاشق أتدحرج فى عتمات الجحيم
حجرا غير أننى أضيء
ان لى موعدا مع الكاهنات
فى سرير الاله القديم
كلماتى رياح تهز الحياة
وغنائى شرار

ونحس على الفور بقصور الشاعر ، فلم تدل صورته على اورفيوس الذى كان يحرك بقيثاره وشعره الجماد ويبنى بهما « سبا » ويهز أعماق « برسيفون » زوجة « بلوتو » الارضى . فضلا عن انها لم يستقم لها المدلول المباشر بحيث تكشف عن واقع نفسى معين ، وليس أدل على فشل الشاعر من صيحته فى آخر القصيدة :

اننى لغة الاله يجىء
اننى ساحر الغبار

على أية حال هذا ليس بشىء ، ولنا عودة الى الشاعر نفسه لنرى كيف صور مع غيره وعيهم الحضارى مستندين الى الاساطير

ـ ٣ ـ

ومع ذلك فلابد من الاعتراف بادىء ذى بدء بأننا عندما نقرأ افكار الشعراء المعاصرين ، نرى نصوصهم عسيرة أكثر من أى شعر سابق . والحقيقة أن هذه مشكلة تجنبها الشعر العمودى بتقريراته الجامدة ، ولكن الشباب وهو يطمح بتصويراته فى استشراف الآفاق الطريفة يضطر الى ركوب الصعب ، وليس أصعب من الاسطورة ورموزها . لقد كان يتنس بتحسر على اخفاقه فى التوفيق بين رموزه وصلتها بالاحلام ، وكان كثيرا ما يلجأ الى رؤى النساك ويتحول الى الخمائل الحريرية السوداء ـ كما يقول ريتشاردز ـ واليوم تقوم الشعراء الشباب بمحاولات رائعة

لان يكونوا مثله مع رفض التحسر كله ، وبتسليم بكل الاساطير الشعبية دون ايمان ولا انكسار .

صلاح عبد الصبور مثلا يرحل كما يرحل السندباد ويحكى حكايات الغربة كما حكى حكايات المغول وقصص التوراة ، وطالما وجد ملاذه فى رموز الصوفية والدراويش . ثم اهتدى فى الفترة الاخيرة من حياته الى نوع من الشعر الغرامى ارتفع بايماءاته ورموزه الى أعلى من مستوى شعراء الغزل العاديين . واخيرا وبعد معركة متكافئة بينه وبين الواقع ، اصبح جحوده للمدنية الحديثة يشبه جحود اليوت بعد ان كان مجرد محاولات للتقرب منه .

وبدر شاكر السياب يرفض ـ فيما يبدو ـ الظواهر المعاصرة لانها اعراض للانحلال والعدم ، وهو يقلب صفحات حياته ـ وكان المفروض أن تكون مشرقة بعد السيادة العلمية التى تسم العصر ـ فلا يرى الا السواد ولا يسمع من رنين الكلمات سوى نعيق الغربان وارتطامات الفئوس فوق اللحود وانين الجوعى . وربما كانت حكايات « يأجوج ومأجوج » و « قابيل وهابيل » و « فاوست » و « أوديب » و « الخضر » مما يؤكد احساسه بالعدمية ، غير أننا لدهشتنا يستعين برموز تموزية للتعبير عن فكرة النهوض الجديد أو البعث المنتظر .

فهو شاعر موت وشاعر حياة ، وان يكن تصويره للحياة قائما على ضرورة تقديم النذور للاله « بعل » ليعود الخصب ، وما اصعب المهمة ، ومن ثم فليكن العجز .

ويمنای . . لا مخلب للصراع
فاسعى بها فى دروب المدينة
ولا قبضة لابتعاث الحياة من الطين . . .
لكنها محض طينه !

ويحضرنا هنا غير صلاح والسياب شعراء آخرون طغت عليهم اساطير الماضى أهمهم فى رأيى خليل الحاوى ، واكبرهم سعيد عقل ، واخصبهم ادونيس أو على أحمد سعيد . وسكوتنا عن ذكر غيرهم لا يعنى اهمالنا شاعرة كنازك الملائكة او شاعرا كعلى الحلى او يوسف الخال او بعض الشبان الواعدين من امثال على كنعان ومصطفى خضر . والاخيران يستغلان الصورة الاسطورية كمضمون يبعد عن اعوجاج المذهبين ، ولا يخضعون فى الوقت نفسه للاساليب الرومانسية فى التعبير .

وانا أختم بادونيس لانه بديوانه « اغانى مهيار الدمشقى » الذى طبع فى بيروت سنة ١٩٦١ حاول ان يبحث عن ذاته الحضارية فاخفق ، مع أن أسعد رزوق يقرر انه كان فى خمسينات هذا القرن وبرغم الحاحه على الجدب والفقر واليأس واللاشىء يؤمن بعودة « تموز المنقذ » والغد الاحلى (١) . ويبدو أن الشاعر وجد نفسه فجأة فى ظروف سياسية لم يقبلهما ، فترك دمشق ـ فى سنوات الوحدة ـ ولجأ الى بيروت ليضيع بين مغاور الكبريت وسحائب البخور وقد اصبح يمشى فى الهاوية وله قامة الريح !

---

(١) تحسن مراجعة كتاب « الاسطورة فى الشعر المعاصر » ص ٥٧ وما بعدها « ط . افاق بيروت سنة ١٩٥٩ » .

اصبح الشاعر الذى كان يتغنى بتموز كاسطورة لعودة الخصب الى الارض اليباب ، كافرا بكل امل ، وحل الفراغ عنده فى كل شيء . بل تخلى عن تسميته بادونيس واختار « مهيار » ليكون حاكما يحيا فى ملكوت الريح ويخونه اصحابه ، واذا هو فى « مدينة الانصار » غريب حتى ليحترق .

لاقيه يا مدينة الانصار
بالشوك او لاقيه بالحجار
وعلقى يديه
قوسا يمر القبر
من تحتها وتوجى صوغيه
بالوشم او بالجمر
وليحترق مهيار !

وكان قد رحل كما رحل « يوليس » وبحث كما بحث « شداد عاد » وأراد ان يكون كما كان « سيزيف » فى الاسطورة الاغريقية ، ولكنه انتهى الى الضياع حتى ليقول فى قصيدته « أوديس » .

من انت من اى الذرى اتيت
يا لغة عذراء لا يعرفها سواك
ما اسمك . . اى راية حملت أو رميت
تسأل ، الكينوس ؟
تريد ان تكشف وجه الميت
تسأل من اى الذرى اتيت
تسأل ما اسمى . . اسمى انا أوديس
اجيء من ارض بلا حدود
محمولة فوق ظهر الناس
ضعت هنا وضعت مع قصائدى هناك
وها انا فى الرعب واليباس
اجهل ان ابقى وان اعود !

اننا نرى على احمد سعيد فى هذا الديوان شاعرا مجيدا بحق ، ولكننا نراه ايضا يتخذ من الغيبوبة المفككة وسيلة من وسائل التدمير . واذا كانت رؤاه ترفض كل علاقة بالوضع الذى جعله ينكر تموز فقد كان ينبغى الا يقلب العلاقات فيرمى غيره بالصبا لانه فى موقفه يبدو لهؤلاء الغير صابئا .

حنين الشراع

في ذكرى الشاعر : على محمود طه

من رفيف الجمال في شطآنه وخفوق الهوى على اغصانه
وحنين الشراع في زرقة البحر الى مرفأ بقلب جنانه
وحداء النوتي في ظلة القلع على نايه ووقع بنانه
والحقول الزرقاء في جبهة الافق ترامت في لانهائي عيانه
« سندباد » الجديد أوغل في البحر يرود الشعاب من مرجانه
كلما حن للمرافىء تهفو بفؤاد الملاح في حوماته
راودته عرائس الفن والالهام في سحر عاصف بكيانه
اذهلته فما يرى غير دنيا من جمال تموج في اردانه
وسباه قوامها اللدن تندى قطرات الطيوب من افنانه
صعدت للعباب مؤتزرات بشفوف تنم عن عريانه
عزفت للفتى اغاني رباب يسكب السحر في مدى آذانه
ودع العقل والزكانة واستهدى شراع الفتى نبي جنانه
ارفقي يا عرائس الفن بالقلب الذي غاب بالرؤى عن زمانه
ورنا للآفاق تخضل بالنور وتوحي الى الفتى ببيانه

* * *

عند شط المنصورة الحالم القلب كعذراء في عشية عرس
عبقت جوه طيوب اللواتي قد مزجن الدلال في طيب همس
مرمر صاغه الجمال وأبدى معرض الحسن رافلا في الدمقس
قد تهادين في فتور حبيب وتكسرن في وداعة نفس
فاذا وسوست اليك الاماني وغشت عقلك الركين بمس
ذقت طعم الاباء من خفرات حافظات الغيوب للالف شمس
رضع الشاعر الرقيق لبان الحب منهن في شفيفة كاس
فمضى طول عمره ينشد اللذة والحب في الشفاه اللمس
كان في قلبه غرام قديم لفتاة تزهو بطلعة شمس
ذاق في ثغرها جنى لم يذقه آدم عند جنة ذات قدس
ثم ولت وصوحت كصريم تتناجى فيه الرياح بامس
فمضى عمره يفتش عنها في ثغور الحسان من كل جنس
هل تراه شفى الغليل وروى ظما القلب من رفيق الانس ؟

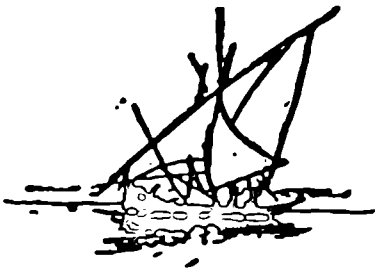

ام ترى عز فى البلاد جمال غرسه عندنا كاروع غرس ؟

* * *

من ضفاف تنام فى الورد سكرى برحيق مسلسل فى النيل
اقلع الشاعر الرقيق مع الليل يغنى على سرى الجندول
زروق حالم وبحر عميق وشطوط على ربا المستحيل
صاغ مجدافه الرقيق من السرو والوى به لكف الرحيل
صاغ مجدافه فندت طيوب ووشت فى المدى بسحر النخيل
وقع مجدافه اذا هدأ الليل بسمع الزمان عذب الهديل
زروق طاف لم يلمم شراعا فى ضفاف غير المرافى البتول
بكر احلامه وسحر رؤاه وصوى فنه ووجد الغليل
اسألوها جزيرة الورد عنه زينت شعره بآس بليل
وحبته الورود شتى افانين تضوع الطيوب عبر الاصيل
وتغنى بقصة الوصل والهجر ووجد الهوى وسحر الجميل
راعه فى العلاء بدر تصبى قمرا نائما بحضن الخميل (١)
ملك الحسن عابث وجرىء بابنة الخدر فى خمار الذهول
عالج الودن ثم أعيا فولى يستبيح الورود للسلسبيل

* * *

حدثتنى دار أبن لقمان عنه ارضعته على المهود نشيدا
وبردهاتها الخضيبة بالمجد تملى من الفداء عهودا
يا ذهول الفتى اذا ارسل الطرف يرود الشهيد يتلو الشهيدا
صورة من عرافة المجد هزت من جنان الفتى فساق الرعودا
مثل عراف طيبة او نبى بالنبوءات يستثير الوعودا
يا غناء « بميسلون » ولحنا يوم « فلوجة » أثار البنودا
بشر الشاعر الابى بفاد ابنوسى ملامحا وزنودا (٢)
هل تراه راى « جمال » بظهر الغيب حلما على الصباح وليدا
فتغنى عند العشية بالفجر واهدى المنى « صلاحا » جديدا

على حسن العزب

---

(١) قصيدة « القمر العاشق » لعلى محمود طه ، انظر
(٢) قصيدة « عودة الابطال » لعلى محمود طه ، انظر

وأخيرًا.. الطوفان

« بقدر ما تمتلىء النفس حبا فى الحياة ، وتزداد تعلقا بالسلام ، يشتد خوفها من قدرها .. وفى مطلع العام الجديد تكون وقفة فى مفترق الطريق ، تعكس الاحداث فيها على النفس اكثر من ظل كئيب ، برغم ما فى الامل من فسحة لتمد ابصارنا خلف الظلال .. »

* *

الحكمة السوداء .. وثقت القيود الحاكمة
والشهوة الحمراء .. الهبت النفوس الواهمة
والفتنة الهوجاء .. ضللت العقول العالمة
والآلة الصماء .. حطمت القلوب الحالمة
ووكالة الانباء .. فجرت الرءوس الوارمة
وتطايرت فى الافق غربان .. أفاع ناقمة
وتحلقت كتل الدخان سحائبا متراكمة
وتمزقت كل الشعوب مذاهبا متخاصمة
ومشت بنا الايام حيرى فى دروب ظالمة

* *

اين ابن آدم ؟! ضاع فى اللج الرهيب .. ولن يعود !!
قدرت عليه غريزة الطغيان .. فاجتاح السدود
ومضى يحاول ان يكون الهه .. ملء الوجود
الشمس تعكس كبرياء شموسه خلف الحدود
والسحب تصنع من خيوط ظلاله قصف الرعود
والليل يدفع فى مدى امواجه خطو الجنود
والكون ـ كل الكون ـ ملك يمينه .. انى يريد
يمضى به .. فى شكل تجربة .. وايمان جديد
يلقى بكل مباهج التاريخ فى قاع الصديد !!

* *

لم يبق للانسان الا ان يمزق يومه
ويحطم الفجر الجديد ـ .. ولا يعانق حلمه
ويدوس ماضيه .. ويلعن من نماه وضمه
ويطول حتى لا يكاد الافق يدرك نجمه
ويدق حتى لا تكاد العين تمسك حجمه
ويضيع .. خير ان يضيع ، وان يجرب سمه

ما دام يكفر بالحياة ، ولا يمارس وهمه
الكون ضاق .. ولا مجال يمد فيه حكمه
وتقادمت كل الوسائل .. كيف يحيا عقده ؟!

* *

الظلم مارسه زمانا .. بالسياط وبالحديد
والخسف الحقه زمانا .. بالغبايا والعبيد
والموت أمطره زمانا .. بالرعود وبالوعود
وسع المباذل والحقود .. ولم يعد منها جديد
ما يفعل الانسان اسلمه الجحود الى الجحود
وتحكمت آلاته فى الكون تعمل ما تريد
ملكت يداه وسائل التدمير تلتهم الوجود
فالى متى والافق لا يمتد للباغى العنيد
ليشد قبضته ، ويخترق الحدود فلا حدود ؟!

* *

انى لأدرك انه يمضى بقوة صاعقة
مترسما اظلاله .. تحدوه اقصى بارقة
نحو المغيب .. تشده اغوار ليل ساحقة
عبد المطامع .. ارهقته الكبرياء المنحقة
فتعاق الاضواء .. ماخوذا .. وباع حقائقه
لا حب .. لا ايمان .. لا اطمئنان .. اى مفارقة
يأيها الانسان تحياها ؟ ! مزايا فائقة
كانت لنا .. واراك تمسخها خطا متلاحقة
لتعانق الطوفان !! يا للهول .. اى معانقة ؟ !
ماذا تكون نهاية الطوفان الا مقبرة
دورا مضيعة الصوى .. وجماجما متسعرة
حمما مدماة المحاجر من دمى متحجرة
حفرا معمقة الفجيعة فى قلوب مقفرة
جثثا معلبة .. بقايا امة متحضرة
وبشاعة الطوفان عارية الاشاجع منكرة ؟!
كل الخطايا يصنع الطوفان منها معبرة
ليمرغ التاريخ فى اوحاله المتفجرة
ويكفن الانسان فى احلامه المتبربرة ! !

كامل سعفان

عندما يتحدث الشعراء عن أنفسهم

بقلم الدكتور عز الدين اسماعيل

تستهوينى دائما قراءة الشاعر بخاصة حين يتكلم عن نفسه . وصحيح ان الشاعر فى كل ما يقول انما يتحدث – على نحو او آخر – عن شىء من نفسه ، ولكننى اعنى هنا بصفة خاصة تلك القصائد التى تحمل مثل هذه العناوين : مولد شاعر ، فى ملكوت الشاعر ، نحن الشعراء وما أشبه ، اى القصائد التى يتحدث فيها الشاعر عن نفسه بطريقة مباشرة ، ويكون على وعى كاف فيها بانه انما يتحدث عن نفسه .

وحين تاملت هذه الهواية فى نفسى أرجعتها الى حرفتى الاساسية وهى حرفة التقدير فمن اساسيات النقد أن يتعرف الناقد على الشاعر حتى يحسن التعرف على شعره . ولا شك فى اننا نحاول بطرق عدة أن نحقق لانفسنا هذه المعرفة : وهى معرفة تصدق فى كثير من الاحوال ، ولكن المؤكد انها تكون اكثر صدقا عندما نستمدها من الشاعر نفسه ، لا فى صورة استجواب كما قد يصنع بعض الاخذين بالمنهج الاحصائى حتى فى الوان النشاط الروحى ، بل فى صورة عفوية او فنية لا يستطيع فيها الشاعر أن يخدعنا عن نفسه وأن يضللنا فيفسد علينا كل ما قد ننتهى اليه من نتائج

فالمفروض ان الشاعر حين يكتب عن نفسه ، اى عن مشكلته بوصفه شاعرا ، فانه يطلعنا على كثير من الجوانب الخفية فى نفسه ، والتى قد لا يبوح لنا بها عندما نسأله او نستجوبه . ومن ثم فاننا نستطيع من مثل هذه القصائد التى يتحدث فيها الشعراء عن انفسهم ان نعرف الكثير عن معاناتهم ، مما نستضىء به فى فهم عملية الابداع ذاتها وفى فهم الضرورة التى تحتم على انسان من بيننا ان يكون شاعرا ، كما نستضىء به فى ادراك القيم الشعورية التى تحملها القصيدة ، وكذلك العناء الذى يسفر أخيرا عن ذلك الاطار الفنى الجميل ، اعنى القصيدة .

والواقع ان الشاعر فى القصائد التى يفردها للحديث عن نفسه لا يتحدى فيها قط ان يبلغنا شيئا مما نود ، بل ربما كان لايعنيه على الاطلاق ان يحقق شيئا من هذا ، وانما هو يتحدث اولا وقبل كل شىء الى نفسه انه يحاول فى الواقع ان يعرف نفسه اولا ، وهو لذلك يراقب نفسه مراقبة شعورية اولا شعورية ، ثم هو يحاول ان يرصد ويسجل ما شاهد فى نفسه ، لكى يرى صورته . وقد يكون فى اخراجه لهذه الصورة الى الآخرين تحقيق كذلك لرغبته الاصيلة فى خلق المودة والتعاطف الوجدانى بينه وبين الآخرين . انه يقول لنا : هذا أنا – من داخلى ، فانظروا ! فاذا نحن نظرنا وجدنا الشاعر قد رسم لنفسه دائما صورة تشدنا اليها شدا ، ولست اغالى اذا قلت انها تستدر عطفنا وتستوجب لذلك حبنا للشاعر .

ولكن ينبغي ان نعود فنتذكر ما قلناه من أن الشاعر حين يصنع ذلك اى حين يرسم صورة لنفسه ، فانه لا يقدم الينا هذه الصورة فى أسلوب تقريرى مكشوف ، فمن العسير على الانسان ان يكشف نفسه ويعريها لعين كل متطفل ، وانما هو يغلف الصورة دائما بضباب الفن ، بالاستعارات وبالصور الجزئية وبالرموز . ولكن لماذا ؟ أتراه يريد مرة اخرى أن يضللنا عن نفسه بعد أن عرف هو نفسه ؟ هذا فرض بعيد وان كان فى بعض الاحيان محتملا ، وهو على كل حال لن يغير شيئا من حقيقة انه حدثنا فى صدق فنى عن نفسه .

والواقع اننا لا نحب من الشاعر أن يحدثنا عن نفسه بأسلوب تقريرى ولعله هو نفسه يحس أننا لا نحب منه ذلك ، والا فان اقصى ما يمكن أن يحققه ـ ان هو صنع ذلك ـ هو ان يستدر عطفنا دون ان يظفر بتعاطفنا الحقيقى معه وحبنا له ، وكأنه بذلك ـ ومعذرة لهذا التعبير ـ يتسول شفقتنا عليه . ذلك ان جانب الفن فى عمله يكون عندئذ ضئيلا أو فى حكم المعدوم . ونحن لا نتعاطف مع الشاعر بوصفه انسانا تعسا ولكن بوصفه شاعرا ، اى فنانا ، قبل كل شىء . وليس هناك فنان اصيل يرضى أن يجعل من تعاسة نفسه وسيلته الوحيدة لكسب الجمهور والظفر بحبه ولكنه يكسب الجمهور ويظفر بحبه حين يجعل من تعاسته موضوعا جميلا اى موضوعا فنيا .

ولكن مالنا نتحدث عن تعاسة الشاعر وحدها وكأنها كل شىء فى وجوده .

الواقع أنه يندر أن نفتح ديوان شعر ونقرأ فيه قصيدة يتحدث فيها الشاعر عن نفسه الا تولد فى نفوسنا هذا الشعور . فالشعراء انفسهم قد عودونا أن نرى من خلال شعرهم هذه الصورة القاتمة التى يشترك فيها الحزن والمرارة والمعاناة والعذاب .

وبين يدى الان ديوان « ليل وصباح » للشاعر عبد القادر محمود ، وهو يتضمن عدة قصائد يتحدث فيها الشاعر عن نفسه ، فلننظر ماذا يقول . يقول فى قصيدة بعنوان « انفاس الالم » :

ويح نفسى اننى البحر ولكنى غريق فى بحار الزفرات
ويح نفسى اننى البدر ولكنى مضيء فى عيون غافلات
ويح نفسى اننى الريح ولكنى هباء فى صحارى شاسعات
.. ..
ويح نفسى اننى النجم وان كنت شريدا فى قفار شاحبات
ويح نفسى اننى الشمس وان كنت شقيا بالامانى الضائعات

الى ان يقول فى نفس القصيدة :

اانا البحر وامواجى الاسى ام انا الافق وامواجى الغموم
اانا الحب وآمالى الجوى ام انا الراح وآمالى النديم
اانا الطير والحانى الهوى ام انا البلبل فى السجن مقيم
اانا الدهر واثلائى الورى ام انا النار واثلائى الرمم
اانا الوهم وصحرائى النوى ام انا الحق وجنباتى الحجيم
رب ليل قد تهادى صبحه وهو فى عينى ظلام لا نهم
رب كأس قد تغنى خمرها وهى فى ثغرى نجيع وسموم
رب ايك قد ترامى عطره وهو فى عينى حطام وهشيم

فكل هذه الصور الجزئية ، سواء منها التقريرية او غير التقريرية تكشف لنا عن التعاسة المريرة التى يحسها الشاعر فى كيانه ازاء الحياة الخارجية . فهو بحر غريق ، وبدر يضيء لعيون لاتراه ، وريح عاصف ولكنه هباء ضائع ، ونجم شريد فى القفار ، وشمس ضائعة الامانى ،وهكذا تبدو الاشياء الخارجية لعينه على غير ما هى عليه ،لا لانطبيعتها الحقيقية قد اختلفت ، ولكن لان تعاسته هى التى تجعله يراها على عكس طبيعتها ، فالصبح المنير فى عينه مازال امتدادا لظلام الليل ، وكأس الخمر فى فمه دم وسم ، والأيك العطر فى حسه حطام وهشيم ، وهكذا .

فاذا فتحنا ديوانا آخر كديوان « يقظة العملاق » للشاعر محمد السيد شريف استمعنا منه الى نفس النغمات فى الاطار العام ، اطار التعاسة . يقول فى قصيدة بعنوان « الشاعر » :

شفه الفكر واضناه السأم ... هيكل يسبح فى تيه الظلم
تخذ الليل مدادا .. وانحنى ... فوق قرطاس وديع وقلم
ونأى عن كل ناد وسرى ... فى رحاب لم تسر فيها قدم
سابحا فى كل أفق هائما ... يجد اللذة فى طعم الالم
والذى بالفن هامت نفسه ... عنده البؤس لذيذ والنعم

. . . .

انما الشاعر انسان له ... نفس صوفى برىء لم تصم
وفؤاد عبقرى خالد ... ليس قلب الشعر من لحم ودم

ثم نستمع فى نفس القصيدة الىهذا الحوار القصير البالغ فى دلالته :

لم تشقى والدنا فى لذة ... وتعانى والبرايا فى نعم ؟
قال : كيما يجتنى منى الورى ... ثمر السهد فنونا وحكم

فالشاعر هنا يقرر فى وضوح أن حياة « الشاعر » كلها معاناة والم ، ولكنه يجد المتعة فى هذه المعاناة وهذا الالم . وهو يذكرنا ببيت الشريف الذى يقول فيه الشاعر كذلك .

يستلذ الالام فى نشوة الوحى وفيها الدواء والادواء .

ولكن المسألة فى الواقع ليست مجرد استمتاع بالالم فى ذاته ، والاكانت المسألة مجرد تناقض يدخل فى باب المقابلة اللفظية ، المألوفة فى الشعر ، وانما ينطوى هذا التناقض على حقيقة بل على ضرورة ، فالشاعر لايتحمل المعاناة والعذاب النفسى والالم لان هذه الاشياء ممتعة ولذيذة فى ذاتها بل لانها هى الوسيلة الوحيدة لتحقيق المبدعات التى يرضى عنها الاخرون ويقدرون الشاعر من أجلها . فهى اذن معاناة خلاقة ، ينتج عنها أثر جميل ممتع . وقد أجاب الشاعر نفسه عن مبرر هذا الالم الذى يتحمله حين قال لنا انه يشقى لكى يقدم للناس ثمر هذا الشقاء فنونا وحكما .

فاذا كان قدر للشاعر أن يعيش تعيسا فان هذا القدر نفسه ـ فيما

يحدثوننا ـ هو الضرورة اللازمة لهم كيما يقدموا الى الحياة شيئا ، كيما يجملوا الحياة للاخرين ويحببوها الى نفوسهم .

ان الحياة نفسها تتطلب الشاعر الذى يتعذب كى يبتهج الاخرون ، والذى يذوى كى يترعرعوا ، ويفنى كى يعيشوا :

هو صانع الابداع فى تلك المروج الناضرة
الشمس تعمل فى مغانيه رسوما ساحرة
الريح تعمل من أغانيه لحونا عاطرة
وكأنه فى الزهر ، فى الاطيار ، فى كل الحياة
قدر يروض ـ ولا يزال ـ على بقايا صابرة (١)

فاذا تأكد لدينا أن موضوع التعاسة هذا هو غالبا الموضوع الذى يكشف لنا به الشاعر عن كثير من جوانب نفسه وكثير من مشكلاته كان من حقنا ان نرصد هذه الحقيقة عن طبيعة شخصية الشاعر ، وان نحاول فيما بعد ان نستضىء بها فى فهم شعره جملة . ولكننا وان استفدنا فى مجال البحث العلمى من هذه الحقيقية فى القاء مزيد من الضوء على شخصية الشاعر بصفة عامة فان هذا لا يمنعنا بوصفنا قراء ومتذوقين للشعر من ان نعطى الشاعر حقه علينا من الناحية الفنية . ونحن عندئذ اما أن نشفق عليه من بعيد ونقول : انسان تعس ، فليذهب لحاله عنا ! واما ان نتعاطف معه ونحبه ونقدر موقفه وازمته . والفيصل فى اتخاذنا هذا الموقف او ذاك هو مدى ما فى القصيدة أولا من شعر .

والغريب ان الشعراء انفسهم يدركون هذه الحقيقة ، بل لعلهم هم انفسهم الذين نبهونا اليها . فهم يدركون تماما ان مهمتهم لاتقف عند مجرد الصراخ والشكوى . وانما تتحدد بصفة اساسية فى مقدرتهم على ان يجعلوا من عذاباتهم موضوعا ممتعا لنا ومثيرا لمشاعرنا واشجاننا . وهذا نفسه عبء كبير يدخل ضمن مكونات عذاباتهم ، ولكن هذا العبء نفسه هو الذى يجعلهم فى انظارنا شعراء .

ولقد كان عبد القادر محمود ، صادق الحس حين صور هذا العبء فى ابياته التى تحمل عنوان « نحن الشعراء » ، والتى تقول :

اننا نضحك من آلامنا	ضحكة البرق تراءت فى الغيوم
وترى الرقص على أنّاتنا	مثلما يرقص فى النار الهشيم
نحن من بؤس الليالى حولنا	نبعث الفتنة حتى فى الرميم
ولنا الكون ـ به آمالنا	حائرات فى متاهات النجوم

د . عز الدين اسماعيل

(١) من ديوان « فى مرقص الظلال » للشاعر كامل سعفان فى قصيدة له عن « الفنان »

مختارات من

شعر اليوت

أربع رباعيات

FOUR QUARTETS

١٩٤٤

تقديم بقلم : جورج ويليامسون

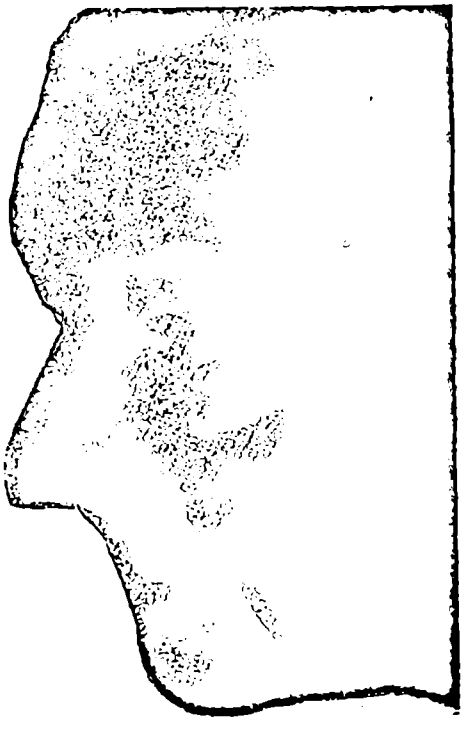

ترجمة : مالك شفيق

« اود الاقرار بما ادين به
لاصدقائى الذين نقدوا
هذه الرباعيات ولا سيما
مستر چون هيوارد لما
ادخله على صياغتها
وبنائها من تحسينات »

ان (اربع رباعيات) تجعل من التاريخ انشودة ذاتية عظيمة وان تكن ذات دلالة ، وهى تستنفد حركة الزمن ومعناه . انها مراجعة لوجهة نظر (جيرونتيون) ونسخة تالية من قوله : (الآن تفكر ! ملء التاريخ دروب ماكرة !) وهى ليست مراجعة لوجهة النظر التى كان اليوت يعتنقها آنذاك ولكنها توغل اعمق فى معنى هذه النظرية . وفى (التقاليد والموهبة الفردية) قال اليوت : (لا تتضمن الحاسة التاريخية ادراك عهد مضى

فحسب .. بل حضوره أيضا .. هذه الحاسة التاريخية التى ما هى الا احساس بكل من اللازمن والزمن وباللازمن والزمن معا ، هى التى تجعل من الكاتب كاتبا تقليديا) (مقالات مختارة ص ٤) .

هذا ما ارتآه اليوت عام ١٩١٧ . وهو الآن يسبر اغوار هذه العلاقات مثلما سبر القديس أوغسطين طبيعة الزمن (الاعترافات ــ الكتاب الحادى عشر) . واسماء الاماكن فى (أربع رباعيات) (١٩٤٣) تستمد مغزاها من هذه الصلة . انها الاماكن التى تدخل منها الى التاريخ وتخرج منه . ولئن كان التاريخ نفسه من صنع الزمن فالزمن من صنع المعنى . استمع الى الجوقة السابعة من (الصخرة) وهى تقول عن تجسد كلمة الله :

ولدى اللحظة المقررة ، اقبلت لحظة فى الزمان ومن الزمان

لحظة ليست خارج الزمان ، ولكنها فى الزمان ، فيما ندعوه التاريخ : تخترق عالم الزمان

وتشطره . لحظة فى الزمان لكنها لا تشبه اى لحظة من الزمان

لحظة فى الزمان ولكن الزمان صنع خلال تلك اللحظة : اذ بدون المعنى لا يوجد زمان

ولقد قدمت تلك اللحظة الزمنية المعنى .

فهذا التجسد الروحى ينبغى أن يتم فى لحظة زمنية دون أن تكون هذه اللحظة شبيهة باللحظات الزمنية . وهكذا يغدو الحس التاريخى حسا روحيا او هو يترجم كذلك . ولا تلبث ملحوظة اخرى فى (التقاليد والموهبة الفردية) أن تكتسب دلالة جديدة : (ولكن الفرق بين الماضى والحاضر يتلخص فى أن الحاضر الواعى هو وعى للماضى بشكل وبدرجة لا نراها فى وعى الماضى لنفسه) : ومعنى هذا بالنسبة للفرد انه اجتاز التجربة ولكن معناها غاب عنه على أن نعيها فى المستقبل . فلحظات الزمن ينبغى ان تقع فى اماكن . والامور الروحية ــ وان لم تكن زمنية او مكانية ــ انما تتبدى فى الزمان والمكان . وهكذا تغدو الاماكن ذات الدلالة فى نظر اليوت عناوين لقصائده : نورتون المحترقة ــ شرقى وكر ــ الانقاذات الجافة ــ دوار خفيف . ومن هذه الاماكن (فى الزمان ومن الزمان) يحاول ان يستعيد معنى الزمان ولكن شكلها لا يتضح الا على ضوء اللحظات التى (لا تشبه اى لحظة من الزمان) . وهذه العناوين ترسم دائرة بدايته ونهايته من نقطة موطن اسرته فى انجلترا الى امريكا الى عودته لانجلترا . وفى دائرة الوجود يتغير الزمان والمكان ولكن الدلالة لا تتغير . فاذا كانت انجلترا وامريكا تلتقيان فى (نورتون المحترقة) فان ميسورى ومساشوستس تلتقيان فى (الانقاذات الجافة) .

وهذه الدائرة انما تفهم على اكمل وجه على ضوء تاريخ اليوت الشخصى وملحوظاته الواردة بمقدمة كتاب (هذا العالم الامريكى) (١٩٢٨) لادجار انسل مورر . فهناك أولا اسرته . ولما كان ينحدر من سلالة رواد . وكانت اسرته من نيوانجلند قد استقرت طوال جيلين فى ميسورى ، فانه يقول : (كنا نميل الى التعلق بالاماكن وارتباطاتها اطول فترة ممكنة .. وكانت العائلة تميل الى التقاليد والولاء .. كانت ترعى روابطها بنيوانجلند

فى حماس على انى لم ادرك الا بعد سن النضج انى كنت دائما ابن نيوانجلند وانا فى الجنوب الغربى وابن الجنوب الغربى وانا فى نيوانجلند .. وعندما ذهبت الى المدرسة فى نيوانجلند فقدت لكنتى الجنوبية ولم اكتسب قط لكنة اهالى بوسطن) ثم هو يقول عن تربية حساسيته ، وهى التى بدأت آثار ميسورى تنعكس عليها لاول مرة فى (الانقساذات الجافة (: (وفى نيوانجلند افتقدت النهر الاسمر الطويل واشجار الايلانثوس والطيور الحمراء البراقة وجروف الحجر الجيرى العالية حيث كنا نبحث عن المحار المتحجر . وفى ميسورى افتقدت اشجار الشربين والخليج والازهار الصفراء والعصافير المغردة والجرانيت الاحمر وبحر مساشوستس الازرق) ولعل صور نيوانجلند ان تكون أوضح ما تكون فى (اربعاء الرماد) . وقد قال اليوت فيما بعد : (لعله كان أيسر على حفيد الرواد أن يهاجر غربا من أن يهاجر صديقى « الذى كانت اسرته تحيا فى نفس المنزل وفى نفس ميناء نيوانجلند زهاء مائتين وخمسين عاما » الى أى مكان) . ويمكن من الناحية الشخصية ان نعد (أربع رباعيات (. (مجموعة من صور الهجرة) هدفها ارتياد (الحاضر والماضى) لا لشىء الا لتقويض معناهما . اء ان نعد الرباعيات ــ لو شئنا مزيدا من التعميم ــ مجموعة من صور التاريخ تكتشف الزمان الى ان تجلو النقاب عن رحلة الانسان الدائرية . والاكتشاف المطلق يتمثل فى انه لو دخل الانسان حديقة الماضى واقتفى تاريخه فسيصل الى الحديقة التى بدأ منها رحلته ، على ان التاريخ ينبغى ان يفسر بوسيلة اخرى غير الزمن .

نورتون المحترقة

(١)

الحاضر والماضى
ربما كانا حاضرا فى المستقبل ،
وربما كان المستقبل طى الماضى .
لو قد كان الزمان كله حاضرا ابديا
لما امكن استرداد كل الزمان .
الا ان ما كان يمكن حدوثه لتجريد
يبقى بمثابة الامكان الدائم
فى عالم من التأمل دون سواه .
الا ان ما كان يمكن حدوثه وما قد حدث فعلا
ليشيران الى غاية واحدة ، هى حاضر ابدا ،
ان وقع الاقدام ليتردد صداه فى الذاكرة
تحت الممر الذى لم نسلكه

نحو الباب الذى لم تفتحه قط .
فى حديقة الورد . أن كلمانى ليتردد صداها
هكذا فى ذهنك .
اما لماذا
حرك الغبار على اصيص من أوراق الورد
فذاك ما لا علم لى به .
الا ان أصداء أخرى
تسكن الحديقة . أفترانا ساعين وراءها ؟
فلتسرع ، قالها الطائر ، واعثر عليها ، اعثر عليها ،
حول الركن . خلال البوابة الأولى ،
فى عالمنا الاول ، اترانا مقتفين
خديعة السمنة ؟ فى عالمنا الاول .
قد كانت الاصداء هنالك ، جليلة ، لا ترى ،
تتحرك بلا ثقل ، على أوراق الشجر الميتة ،
فى حرارة الخريف ، خلال الهواء المرتعش ،
ولقد صاح الطائر مستجيبا
للموسيقى التى لا تسمع وقد اختفت فى منبت الشجيرات ،
ومر شعاع العين الذى لا يرى ، فقد كان للورود
هيئة الازهار التى تتلقى النظرات .
كانوا هنالك ضيوفا علينا ، نقبلهم ويقبلوننا .
وهكذا تحركنا ، وتحركوا ، فى قالب رسمى ،
على طول الزقاق الخاوى ، فى حلقة الملاكمة .
بغية القاء نظرة على البركة الجافة .
جافة هى البركة ، وجاف هو الأسمنت ، وقد اسمرت حوافها ،
كان ملء البركة ماء لا يدركه نور الشمس ،
وزهرة اللوتس ، فى هدوء ، فى هدوء ،
لمعت صفحة البركة من قلب الضياء ،
وصاروا خلفنا ، وقد انعكسوا على البركة .
وما لبثت سحابة ان مرت ، فصارت البركة خاوية .
فلتمض ، قالها الطائر ، لان أوراق الشجر كانت ملآنة اطفالا ،
وقد تواروا فى انفعال ، وانطوت على ضحك .
امض ، امض ، امض ، قالها الطائر : فالجنس البشرى
لا يمكنه احتمال الكثير من الحقيقة .
الماضى والمستقبل
الا ان ما كان . يمكن حدوثه وما قد حدث فعلا
ليشيران الى غاية واحدة ، هى حاضر أبدا .

(٢)

ان الثوم واليواقيت الزرق فى الطين
ليلصقان محور العجل المثبت .
ان السلك المرتعش فى الدم
ليغنى تحت الندوب الراسخة
ليسكن من الحروب التى انسيت منذ زمن طويل .

ان الرقصة على طول الشريان
وان دورة اللمفا
ليصورهما انسياق النجوم
صاعدين الى الصيف فى الشجرة .
انا لنتحرك من فوق الشجرة المتحركة
فى الضوء الذى يعلو ورقة الشجر المصورة
وانا لنسمع فوق الارضية المخضلة
تحت ، الحلوف والعفر
انهما ليتتبعان قالبهما مثلما كان الشان قديما
ولكنهما يصطلحان بين النجوم .

* *

لدى النقطة الساكنة فى العالم الدوار . لا لحم ولا غير لحم ،
لا من ولا نحو ؛ لدى النقطة الساكنة ، هنالك الرقصة ،
لكن لا ايقاف ولا حركة . فلا تدعونه ثباتا ،
ذاك الذى يجتمع فيه الماضى والمستقبل . الا انها ليست بالحركة من ولا نحو ،
انها ليست صعودا او هبوطا . يستثنى من ذلك النقطة ، النقطة الساكنة ،
حيث لا يكون ثمة رقص ، وحيث لا يوجد سوى الرقص .
قصارای أن اقول ، قد كنا **هنالك** : لكنى لا اعلم اين .
ولا استطيع ان اقول ، كم مكثنا ، لان معنى ذلك وضعه فى الزمان .
التحرر الداخلى من الرغبة العملية ،
الخلاص من الفعل والمعاناة ، الانطلاق من
الجبر الداخلى والجبر الخارجى ، وان حفته
نعمة الحواس ، ضوء ابيض ساكن متحرك .
تجمع دون حركة ، تركيز
دون عزل ، فكل من
من العالم الجديد
والقديم يغدو سافرا ، ويفهم
فى اكتمال نشوته الجزئية ،
وتحلل رعبه الجزئى .
على ان غل الماضى والمستقبل رغم ذلك
وهو المنسوج فى ضعف البدن المتغير ،
ليحمى الانسانية من النعيم واللعنة
وهما اللذان لا يقدر اللحم على احتمالهما .
ان الماضى والمستقبل .
لا يسمحان الا بالقليل من الوعى .
وكونك واعيا معناه الا تكون فى الزمان
لكن فى الزمان وحده يمكن للحظة حديقة الورد ،

وللحظة التعريشة التى ينقر عليها المطر ،
وللحظة الكنيسة التى يسرى فيها تيار ريحى عند سقوط الدحان
ان يذكرها المرء ؛ وقد احتواها الماضى والمستقبل .
فقهر الزمان لا يكون الا عن طريق الزمان .

(٣)

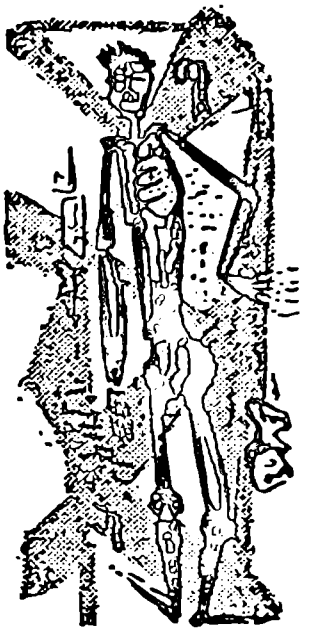

الا ان هذا مكان فتور الوداد
الزمن من قبل والزمن من بعد
فى ضوء معتم : فلا ضوء نهار
يعطى شكلا بالسكون الجلى
ويحيل الظل جمالا زائلا
بدورة بطيئة ايحاؤها الدوام
ولا ظلمة لتطهر الروح
وتجعل الحرمان يخلى الحس
وتغسل الوداد من الدنيوى .
فلا امتلاء ولا خواء . لا شىء سوى رفيف
على الوجوه المرهقة حاملة آثار الزمان
وملاتها الخيالات واقفرت من المعنى
وقد شتتها التشتت عن التشتت
بلادة نائئة لا تركيز فيها
رجال وقطع من الورق ، تدور بهم الريح الباردة
التى تهب قبل الزمان وبعد الزمان ،
ريح داخل الرئات المريضة وخارجها
الزمن من قبل والزمن من بعد .
تجشؤ الارواح المعتلة
فى الهواء المحتضر ، والخدر
تسوقة الرياح التى تكتسح التلال المظلمة فى لندن ،
وهامپستد وكلاركنوك ، وكامپدن وپوتنى ،
وهاى جيت ، وپريمروز ولدجيت . الا انها ليست هنا
ليست الظلمة هنا ، فى هذه الدنيا المفردة .
فلتنزل الى تحت ، لتنزل الى
عالم العزلة الابدية وحدها ،
عالم ليس بالعالم ، لكن ذاك الذى ليس بالعالم ،
ظلمة داخلية ، وحرمان
وتجريد من كل ملكية ،
وتجفيف لعالم الحس ،
واخلاء لعالم الخيال ؛
وعدم فاعلية لعالم الروح ؛
الا ان هذا لهو السبيل ، اما الاخر
فهو بمائله ، لا فى الحركة
وانما فى العزوف عن الحركة ؛ بينما يتحرك العالم
فى شهوة ، على دروبه المعدنية
للماضى والمستقبل .

(٤)

الا ان الزمان والناقوس قد دفنا اليوم ،
وان السحابة السوداء لتحمل الشمس بعيدا .
أترى عباد الشمس يتحول الينا ؟ أترى الملعاء
تشرد الى تحت ، وتنحنى لنا ؟ أترى سلك النبات والغصن
يتقبضان ويتعلقان ؟

* * *

اترى اصابع السدر المثلوجة تنثنى
لنا ؟ بعد ان رد جناح القاوند
الضوء الى الضوء ، وصمت ، والضوء ساكن
لدى النقطة الساكنة فى العالم الدوار .

(٥)

ان الكلمات لتتحرك ، والموسيقى تتحرك
فى الزمن وحده ؛ لكن ذاك الذى يحيا فقط
يستطيع أن يموت فقط . ان الكلمات ، اثر الكلام ، لتصل
فى الصمت . فبالشكل وحده ، وبالقالب ،
يمكن للكلمات أو الموسيقى ان تبلغ
السكون ، مثلما ترى جرة صينية ساكنة
تتحرك حركة ابدية فى سكونها .
انه ليس سكون القيثار ، بينا تمضى النوتة ،
ليس ذلك فحسب ، وانما هو الوجود جنبا الى جنب ،
او قل ان البداية تسبق النهاية ،
وقد كانت البداية والنهاية هنالك دائما
قبل البداية وبعد النهاية .
وان كل شيء لحاضر ابدا . ان الكلمات تعانى ،
تتشقق واحيانا تتكسر ، تحت الثقل ،
تحت التوتر ، تزل ، وتنزلق ، وتموت ،
وبدهورها نقص الدقة ، فهى لن تلبث فى مكانها ،
ولن تبقى ساكنة . ان الاصوات الصارخة
والمعنفة ، والساخرة ، أو التى لا تعدو ان تكون مثرثرة ،
لتهاجم الكلمات دوما . وان الكلمة فى الصحراء
لتتعرض اكثر ما تتعرض لهجوم أصوات الغواية ،
والظل المتصايح فى الرقصة الجنائزية ،
وبكاء الهولة المغتمة المرتفع الصوت .

* * *

ان تفاصيل القالب هى الحركة ،

مثلما هو الشان فى شكل الدرجات العشر .
وان الرغبة ذاتها حركة
وان لم تكن فى حد ذاتها مرغوبة ؛
ان الحب نفسه لا يتحرك ،
وانما هو لا يعدو ان يكون علة الحركة وغايتها ؛
بلا زمان ، ولا رغبة
اللهم الا فى منظر الزمان
وقد امسك به فى شكل التحدد
فيما بين اللاوجود والوجود .
فجاءة فى شعاع من ضوء الشمس
وحتى اثناء حركة الغبار
ترى الضحك المختفى يتعانى
عن الاطفال بين أوراق الشجر
فلتسرعوا الآن ، هنا ، الآن ، ودائما
مضحك هذا الزمان اليباب الحزين
ممتدا من قبل ومن بعد .

* * *

شرقى كوكر

(١)

ان فى بدايتى نهايتى . فعلى التعاقب
تقوم الدور وتنهار ، تتفتت ، وتمتد ،
تنتقل وتهدم ، وتعاد ، أو يحل محلها
حقل مفتوح ، أو مصنع ، أو طريق .
أحجار قديمة لمبنى جديد ، خشب قديم لنيران جديدة ،
نيران قديمة لرماد ، ورماد للارض
التى غدت لحما ، وفراء ونجوا ،
وعظاما انسانية وحيوانية ، وابناء مستعمرات وأوراق شجر
ان الدور لتحيا وتموت : فثمة وقت للبناء
وثمة وقت للحياة والاجيال
وثمة وقت للريح كيما تحطم زجاج النافذة المخلخل
وكيما تهز بطانة الحائط الخشبية حيث يعدو فأر الغيط
وكيما تهز قماش الفرش المتهرىء وقد نسجه شعار صامت

* * *

ان فى بدايتى نهايتى . وها هو ذا الضوء يسقط الآن
عبر الحقل المفتوح ، مخلفا الزقاق العميق
وقد اغلقته الافصان ، مظلما فى الاصيل ،

حيث تتكىء على الضفة بينا تمر عربة كبيرة ،
ويصر الزقاق العميق على الاتجاه
الى داخل القرية فى الحرارة الكهربية
المغنطة . ففى الضباب الدافىء ينغمس الضوء اللافح
فى الصخور الرمادية ولا ينكسر عليها .
ان زهور الداليا لتنام فى الصمت الخاوى .
تترقب البومة التى تبكر فى التدويم .
فى ذلك الحقل المفتوح
اذا انت لم توغل فى الاقتراب ، اذا انت لم توغل فى الاقتراب ،
فى منتصف ليلة من ليالى الصيف ، فسيغدو فى وسعك ان تسمع موسيقى
المزمار الواهن والطبلة الصغيرة
وان تراهم يرقصون حول نار الزينة

اتحاد الرجل والمراة
فى الرقص ، علامة القران
سر مقدس مبجل ورحيب .
اثنان اثنان ،
يمسك كل منهما الآخر من يده أو ذراعه
دلالة الاتحاد . يدورون حول النار ويدورون
متوائبين خلال اللهيب ، أو ملتقين فى دوائر ،
جادين فى بساطة فلاحية أو ضاحكين ضحكا فلاحيا
رافعين اقداما ثقالا فى أحذية خشنة ،
اقداما ارضية ، اقداما غرينية ، مرفوعة فى مرح ريفى
مرح أولئك الذين غبر عليهم زمن طويل تحت الارض
يقوتون القمح . ويضبطون الوقت ،
يضبطون الايقاع فى رقصتهم
مثلما يفعلون فى حياتهم خلال فصول الحياة
زمن الفصول والبروج
زمن حلب اللبن وزمن الحصاد
زمن اقتران الرجل والمراة
واقتران الحيوان . اقدام طالعة نازلة .
يأكلون ويشربون . سماد وموت .
الفجر يشير ، ونهار آخر
يتاهب للحرارة والصمت . وهنالك عند البحر ترى ريح الفجر
تتفضن وتنزلق . انى هنا
او هناك ، أو فى مكان آخر . فى بدايتى .

(٢)

ما الذى يفعله نوفمبر الفائت
بفوضى الربيع
ومخلوقات حرارة الصيف ،

وزهور الثلج التى تتلوى تحت الاقدام
والخبيزى الافرنجية التى توغل فى العلو
وقد امتزجت فيها الحمرة باللون الرمادى ثم تعثرت
والورود الفائتة وقد ملاها الجليد مبكرا ؟
ان الرعد الذى تدحرجه النجوم المدحرجة
لينتحل مظهر العربات المظفرة
ومنتشرة فى الحروب المتكوكبة
وقد راح برج العقرب يقاتل الشمس
الى أن تغيب الشمس ويأفل القمر
وتنوح المذنبات وتتطاير شهب برج الاسد
وتطارد السموات وترى السهول
تدوم فى اعصار ينتهى
بالعالم الى تلك النار المدمرة
المحرقة قبل ان ينتشر غطاء الجليد .

* * *

قد كان ذلك سبيلا للتعبير عما اريد ان اقوله ، سبيلا لايرضينى تماما :
دراسة متكلفة فى أسلوب شعرى عتيق ؛
يظل المرء بعدها فى المصارعة التى لا تطاق
مع الكلمات والمعانى . ان الشعر لا يهم
وهو لم يكن (اذا بدانا من جديد) ما كان المرء يتوقعه ان يكون عليه .
ترى ما عساها كانت تكون قيمة تلك التى تطلعنا اليها طويلا ،
وتقنا اليها طويلا : اعنى الرصانة الخريفية الهادئة
وحكمة الشيخوخة ؟ أتراهم قد غرروا بنا
أم هم قد غرروا بانفسهم ، اولئك الشيوخ الخفيضو الصوت ،
الذين لم يخلفوا لنا غير ايصال بالخديعة ؟
ان رصانتهم لا تعدو أن تكون بلادة مقصودة ،
وان حكمتهم لا تعدو أن تكون معرفة بالاسرار الميتة
التى لا طائل تحتها فى الدباجير التى رمقوها
وحولوا اعينهم عنها الينا . يخيل الينا ، أن ثمة
قيمة محدودة ، على أحسن تقدير ،
للمعرفة المستقاة من التجربة .
ذلك أن المعرفة تفرض قالبا ، وتزور ،
لان القالب يتجدد فى كل لحظة .
وكل لحظة انما هى تقويم جديد يصدمنا
تقويم لكل ما كنا عليه . ان الشىء الوحيد الذى لا يخدعنا
هو ذاك الذى كف ، بخديعته ، عن الحاق الضرر بنا .
فى المنتصف ، لا فى منتصف الطريق فحسب
وانما فى الطريق كله ، فى غابة مظلمة ، فى غمرة اشجار شائكة ،
على حافة لا يؤمن لاحد مراكزها جانب ،
تهدها الهولات والانوار الوهمية ،
والرقى الباحثة . حسبك ولا تحدثنى

عن حكمة الشيوخ ، بل الاحرى بك أن تحدثني عن حماقتهم ،
وعن خوفهم من الخوف والجنون ، وخوفهم من الامتلاك ،
ومن الانتماء الى شخص آخر ، او الى الآخرين ، أو الى الله .
ان الحكمة الوحيدة التي يمكننا ان نؤمل فى اكتسابها
هى حكمة الخضوع : والخضوع لا تعرف له نهاية .

* * *

ان الدور قد اختفت جميعا تحت البحر .

* * *

وان الراقصين قد اختفوا جميعا تحت التل .

(٣)

أواه أيها الظلام الظلام الظلام . انهم جميعا يختفون فى الظلام ،
فى الفجوات الخاوية بين الكواكب ، خواء فى خواء ،
القباطنة ، والمصرفيون ، التجار ، ورجال الادب البارزون ،
وحماة الفن الاسخياء ، والسياسيون والحكام ،
والموظفون المبرزون ، ومديرو الجمعيات المختلفة ،
وقادة الصناعة ، والمتعاقدون الصغيرو الشان ، كلهم يختفون فى الظلام
تظلم الشمس ويظلم القمر ، وكذلك المانش دى جوتا
وصحيفة البورصة ، ودليل المديرين ،
ويبرد الحس ويضيع الدافع الى الفعل .
ونحن جميعا نذهب معهم ، فى الجنازة الصامتة ،
وهى ليست جنازة أحد بالتحديد ، اذ لن يكون هناك من يتولى الدفن
اننى حدثت روحى قائلا ، اهدئى بالا ، ودعى الظلمة تحط عليك
اذ هى ستكون ظلمة من عند الله . تماما مثلما يحدث فى مسرح ،
عندما تنطفىء الانوار ، ليتغير المشهد
ويسمع هزيم الاجنحة الاجوف ، وحركة الظلمة فوق الظلمة ،
وندرك أن التلال والاشجار ، والمشهد الفسيح البعيد
والواجهة الجريئة التى تفرض نفسها فرضا كلها تنزلق بعيدا
أو مثلما يحدث فى قطار ، تحت الارض ، داخل نفق ،
حين يتوقف أكثر مما ينبغى بين المحطات
وترتفع المحادثة ثم تروح فى بطء تذوب فى الصمت .
وترى خلف كل وجه الخواء الفكرى يزداد عمقا
فلا يخلف سوى الرعب المتزايد من ألا يجد المرء شيئا يفكر فيه ؛
أو عندما يغدو الذهن ، تحت الاثير ، واعيا ولكن واعيا بلا شيء
اننى حدثت روحى قائلا ، اهدئى بالا ، والبثى فى الانتظار دون أمل
فالامل خليق ان يخطىء اختيار موضوعه ؛ والبثى فى الانتظار دون حب
فالحب خليق أن يخطىء اختيار موضوعه ؛ ما دامت العقيدة باقية
لكن العقيدة والحب والامل كلها فى الانتظار .

والبث فى الانتظار دون تفكير ، اذ انك لم تاخذى اهبتك للتفكير بعد :
وهكذا فلتغدون الظلمة هى النور ، وليغدون السكون هو الرقص .
ان همس الغدران الجارية ، وبرق الشتاء .
ونبات النمام الذى لا يرى ، والتوت البرى ،
والضحك فى الحديقة ، والطرب الذى يرجعه الصدى
كلها لم تضع ، وانما تتطلب ، مشيرة الى عذاب
الموت والميلاد .
تقولون اننى اكرر
ما سبق لى ان قلته . لسوف اعيده عليكم مرة اخرى .
هل اعيده عليكم مرة اخرى ؟ الا انه لكى تصلوا الى هنالك ،
كى تصلوا الى المكان الذى انتم موجودون فيه ،
كى تخرجوا من حيث انتم غير موجودين ،
يتعين عليكم ان تسلكوا طريقا لا طرب به .
ولكى تصلوا الى ما لا تعرفونه
يتعين عليكم ان تسلكوا طريق الجهل .
ولكى تملكوا ما لا تملكونه
يتعين عليكم ان تسلكوا طريق التجرد مما تملكونه .
ولكى تصلوا الى ما انتم لستم عليه
يتعين عليكم ان تسلكوا الطريق الذى لستم فيه .
وان ما لا تعرفونه هو الشىء الوحيد الذى تعرفونه
وما تملكونه هو ما لا تملكونه
والمكان الذى انتم فيه هو المكان الذى لستم فيه .

(٤)

ان الجراح الجريح ليعالج الصلب
الذى يستجوب العضو المعتل ؛
وتحت اليدين الداميتين نحس
بفن المضمد فى تعاطفه البتار
مفسرا اجحية الرسم البيانى للحمى

* * *

ان صحتنا الوحيدة هى المرض
اذا نحن اطعنا الممرضة التى تستوفى انفاسها
والتى لا تبعث رعايتها المستمرة على السرور
وانما تذكرنا بلعنتنا ولعنة آدم ،
تلك اللعنة التى يتعين على مرضنا ان يتفاقم كيما نشفى منها .
ان الارض كلها مستشفانا
وفيها وهبنا المليونير الذى حل به الخراب ،
فاذا نحن احسنا السلوك ،
فسنموت من رعايته الابوية المطلقة
وهى التى لن تزايلنا ، وانما ستعترض طريقنا فى كل مكان . .

* * *

ان البردة لتصعد من اقدامنا الى ركبنا ،
وان الحمى لتغنى فى اسلاك العقل .
ولئن اردت الدفء ، فلا بد لى من ان اتجمد بردا
وارتج فى النيران الباردة المطهرة
لهيبها ورود ، ودخانها اشواك .

* * *

انما الدم المتقطر شرابنا الاوحد ،
واللحم الدامى طعامنا الوحيد :
وعلى الرغم من ذلك ترانا نحب ان نتخيل
انفسنا من لحم ودم صحيح ، مكين
وعلى الرغم من ذلك ، مرة اخرى ، ترانا نسمى هذه الجمعة : جمعة الآلام .

(٥)

وهكذا فهانذا فى منتصف الطريق ، وقد سلخت من عمرى عشرين عاما
عشرين عاما ضاعت هدرا ، اعوام ما بين الحربين
أحاول ان اتعلم كيف استخدم الكلمات فاذا كل محاولة
بداية جديدة تماما ، ونوع مختلف من الاخفاق

لان المرء لم يتعلم سوى استخدام أحسن الكلمات
للتعبير عما لم يعد بحاجة الى التعبير عنه ، أو بالطريقة التى
لم يعد بحيث يعبر بها عن مراده . وهكذا فكل مغامرة
بداية جديدة ، واغارة على ما لا يمكن التعبير عنه بالفاظ
مستخدما فى ذلك معدات رثة تتدهور دائما
فى عامة خليط افتقار الاحاسيس الى الدقة ،
وشراذم العاطفة التى يعوزها النظام . وهذا الذى يتعين عليك قهره
بالقوة والاذعان ، قد سبقك الى اكتشافه
مرة أو مرتين ، او عدة مرات ، رجال لا يأمل المرء
فى ان يباريهم ـ لكن لا منافسة هنالك
لاشىء سوى القتال من اجل استعادة ما قد فقد
ووجد ثم فقد مرة اخرى ثم اخرى : والآن ، تكتنفه ظروف
لا تبدو مواتية . على انه قد لا يكون ثمة كسب او خسارة .
ليس أمامنا الا ان نحاول . واما ما عدا ذلك فليس من شاننا .

* * *

انما البيت هو المكان الذى نبدأ منه . وكلما تقدمت بالمرء السنون
بدا العالم فى ناظريه اشد غرابة ، وغدا القالب اكثر تعقيدا
بما فى ذلك الموتى والاحياء . لا اريد بذلك اللحظة العميقة
منفصلة عن غيرها ، دون قبل ولا بعد ،
وانما اعنى تاريخ الحياة الذى يحترق فى كل لحظة
ولا اريد حياة انسان واحد
وانما اعنى حياة الاحجار العتيقة التى لاسبيل الى حل الغازها .
الا ان ثمة وقتا للمساء تحت ضوء النجم ،
وثمة وقت للمساء تحت ضوء المصباح
(الامسية بالبوم الصور الفوتوغرافية) .
ان الحب ليقترب من جوهره الحق
كلما غدت كلمتا هنا والآن غير ذات موضوع .
أخلق بالشيوخ أن يكونوا مرتادين
فليس لكلمتى هنا وهناك من اهمية
وينبغى ان نثابر على التحرك
نحو عمق آخر
من أجل اتحاد اقوى ، واشتراك اعمق
خلال البرودة الحالكة واليباب الخاوى ،
وصيحة الموجة ، وصيحة الريح ، والامواه الرحيبة
لطائر النورس وسمك يونس . ان فى نهايتى بدايتى

الانقاذات الجافة

(الانقاذات الجافة ـ او ربما كانت « المتوحشين الثلاثة » ـ عبارة عن مجموعة صغيرة من الصخور ، تقوم عليها منارة ، وتقع خارج الساحل الشمالى الشرقى لراس آن ، بمساشوسستس . ويراعى أن تنطق كلمة Saluges بحيث تصنع قافية مع كلمة assuages . كلمة Groaner تعنى : شمندورة ذات صفارة) .

(١)

لست ادرى شيئا كثيرا عن الآلهة ؛ ولكنى أخال النهر
الها اسمر قويا كئيبا ـ لا يروض شموسا ،
صبورا الى حد ما ، يبدو للوهلة الاولى أحد التخوم ؛
نافعا ، لا يطمئن اليه أحد ، فى نقل التجارة ؛
لا يعدو ان يكون مشكلة تواجه بانى الجسور .
لكن المشكلة التى اهتدينا اليها ، انما تتمثل فى ان هذا الاله الاسمر منسى فى اغلب الاحيان
من سكان المدن ـ على أنه ـ مهما يكن من امر ـ لايصفح ابدا ،
بل يحافظ على فصوله وغضباته ، ويدمر ، مذكرا
البشر بما يؤثرون ان يتناسوه . لا يبجل ، ولا يتلقى كفارة
من عبدة الآلة ، وانما ينتظر ، ويراقب وينتظر .
قد كان ايقاعه ماثلا فى غرفة نوم الاطفال ،
وفى صف أشجار الايلانتوس عند فناء الباب فى ابريل ،
وفى رائحة الاعناب على المائدة فى الخريف ،
وفى الدائرة المسائية التى يرسمها مصباح الغاز فى فصل الشتاء .

* * *

انما النهر فى داخلنا ، اما البحر كله فهو ممتد حوالينا ؛
ان البحر ايضا على حافة البر ، والجرانيت
الذى يصل اليه ، والشطآن التى يدفع اليها
باشارات الخلق الاول وما قد تلاه :
قنديل البحر ، والسرطان ، وفقار الحوت ،

.والبحيرات التى تشبع فضولنا
بما ترينا من الطحالب الناعمة وديسم البحر .
ان البحر ليدفع خسائرنا ، والشبكة الممزقة ،
وشبكة جراد البحر المضعضعة ، والمجداف المكسور
وجهاز الموتى من الغرباء . ان للبحر اصواتا عديدة ؛
آلهة عديدة واصواتا عديدة .
ان الملح يكسو وردة العليق ،
والضباب يتخلل اشجار التربينه .
ان زمجرة البحر
وعواء البحر ، لصوتان مختلفان
وان امتزجا فى الآذان : ان العواء السارى فى الاحبال ،
وتهديد الموجة التى تتكسر على الماء وعناقها ،
والهدير البعيد بين أسنان الجرانيت ،
والضراعة المحذرة من لسان البحر المقترب
كلها من اصوات البحر ، والشمندورة الجياشة
اذ أحدق بها فى طريق العودة للديار ، والنورس :
وتحت وطأة الضباب الصامت
يروح الناقوس المصلصل
يعلن وقتا لا كأوقاتنا ، وقد قرعته
الموجة الارضية المتباطئة ، يعلن زمنا
أقدم عهدا من ذاك الذى تعلنه آلات قياس الوقت ،
أو ذاك الذى يمر بنساء قلقات مشغولات
يرقدن مستيقظات . يحسبن حساب المستقبل .
ويحاولن أن يحللن ، ويفككن ، ويؤولن
ويشطرن الماضى والمستقبل ،
فيما بين منتصف الليل والفجر ، حينما يغدو الماضى خداعا كله ،
ولا يبدو المستقبل مستقبلا على الاطلاق ، قبل ساعة الصباح
حينما يتوقف الزمن ، وما كان الزمن لينتهى أبدا ؛
وتروح الموجة الارضية ، التى كانت ولا تزال من الازل ،

تقرع
الناقوس .

(٢)

ترى اين هو المكان الذى تنتهى فيه هذه الضراعة الصامتة :
وينتهى فيه ذبول ازهار الخريف فى صمت
ان تتساقط اوراقها وتظل دون حراك .
ترى اين هو المكان الذى لا تسوق الامواج فيه الحطام ،
وتنتهى عنده صلاة العظام على الشاطىء ،
ولا تتلى فيه الصلاة ، التى لا تصلى ، لدى اذاعة البشارة المشئومة ؟

* * *

ما من نهاية لذلك كله ، بل ثمة اضافات اليه : امتداد
عاقبة الايام المقبلة والساعات ،
بينا تظفر العاطفة بالسنوات التى لا عاطفة فيها :
سنوات العيش بين حطام
ما كان المرء يخاله أجدر الاشياء بالركون اليه
ومن ثم فهو أجدرها بالنبذ .
هنالك الاضافة الاخيرة ، الكبرياء الفاشل
أو استهجان خور القوى ،
والاخلاص الواهن الذى قد لا يبدو اخلاصا على الاطلاق ،
فى قارب ينساق مع التيار ، والماء يتسرب اليه متباطئا ،
والاصغاء الصامت الى الصوت غير المنكور :
صوت ناقوس البشارة الاخير .

* * *

ترى اين هو المكان الذى ينتهى فيه هذا الحشد من صيادى السمك وقد ابحروا
فى ذيل الرياح ، والضباب عليها جاثم ؟
اننا عاجزون عن تخيل زمان لا حدود له

او عن تخيل محيط لا يتناثر فيه الحطام
او عن تخيل مستقبل ليس معرضا
لان يكون ـ كالماضى ـ بلا وجهة .

* * *

ما من نهاية لهذا ، للضراعة الصامتة ،
ما من نهاية للذبول الازهار الذابلة ،
ولا لحركة الالم الذى لا يؤلم ولا يتحرك ،
ولا لتيار البحر وانسياق الحطام مع التيار ،
ولا لصلاة العظام الى الموت ربها . هنالك فقط صلاة البشارة الوحيدة
الشاقة ، المجردة
التى تقال .

* * *

كلما تقدمت بالمرء السنون ، خيل اليه
ان الماضى يتخذ شكلا مختلفا ، وانه لم يعد مجرد حوادث متعاقبة
او حتى تقدما ، فهذا الاخير خطأ جزئى
تعين عليه أفكار التطور الظاهرية ،
وهى التى تغدو ، عند الرجل العادى ، وسيلة للخلاص من تبعة ماضيه
لحظات السعادة ـ لا لحظات الشعور بالرفاهية ،
ونيل المرام ، وانجاز المطلوب ، والطمانينة او العطف ،
او حتى وجبة عشاء بالغة اللذة ، انما اعنى الاضاءة الباغتة ـ
لقد اجتزنا التجربة ولكن معناها غاب عنا ،
وان الاقتراب من المعنى ليجعل التجربة
ذات شكل مختلف ، ويعيا على اى معنى
يمكن ان نعزوه الى السعادة . ولقد ذكرت من قبل
ان تجارب الماضى التى يبتعثها المعنى
ليست تجارب حياة واحدة فحسب
ولكنها تجارب أجيال عديدة ـ على الا ننسى ما قد لايمكننا تصوره :
النظرة الخلفية الى ما وراء تصديق

التاريخ المدون ، النظرة الخلفية الناقصة
من فوق الكتف ، الى الرعب البدائى .
وهكذا نكتشف أن لحظات العذاب
(سواء كانت راجعة الى سوء التفاهم ، أو لم تكن ،
سواء كنا قد عقدنا آمالنا على أمور خاطئة او رهبنا ما لم يكن يجمل بنا أن نرهبه ،
او لم نكن فليس يعنينا هنا) دائمة
دوام الزمان . انا لنحسن تقدير هذا الوضع
فى عذاب الاخرين ، وقد خبرناه تقريبا ،
ورحنا نقحم انفسنا فيه ، اكثر مما نقحمها فى شئوننا الخاصة .
ذلك ان ماضينا تغطيه تيارات الحوادث ،
اما عذاب الآخرين فانه يبقى تجربة
ملؤها الابهام ، لا يبليها تتابع التحات .
ان البشر يتغيرون ، ويبتسمون : لكن العذاب باق .
ان الزمن المدمر هو الزمن الحافظ ،
شأنه فى ذلك شأن النهر بما يحمله من جثث الزنوج ، والابقار وحظائر الافراخ ،
او شأن التفاحة المريرة والقضمة فى التفاحة .
تلك الصخرة الوعرة بين المياه الصاخبة ،
والامواج تغسلها ، والضباب يخفيها ،
لا تعدو فى الايام الصحوة ان تكون اثرا من الآثار ،
ولئن لاءم الطقس الملاحة فهى من معالم البحر
التى يهتدى بها : حتى اذا ما اقبل الفصل الكئيب من السنة
اوهاج ثائر البحر فجاة ، عادت الى ما كانت عليه دائما .

(٣)

انى اتساءل احيانا افقد كان مراد كريشنا ان يذكر ما قد اسلفت
فى غمرة اشياء اخرى ـ ام هو سبيل مكرور للتعبير عن الشىء عينه :
اكاد المراد ان المستقبل اغنية تشارف الختام ، او وردة ملكية او غصن خزامى

من الاسف العقيم لاولئك الذين لم يأتوا بعد ليستشعروا اسفا ،
وقد غاب بين اوراق كتاب صفراء لم يفتحه احد قط .
ان الطريق الى فوق هو الطريق الى تحت ، والطريق الى الامام هو الطريق الى الخلف .
وقد لاتواجه هذه الحقيقة مباشرة ، ولكنها مؤكدة ،
ان الزمان لا ياسو الجراح : فالمريض ماعاد هنا .
عندما يبدأ القطار رحلته ، ويجلس المسافرون
الى الفواكه ، او الدوريات وخطابات العمل
(وقد بارح مودعوهم الطوار)
فان وجوههم تخلد الى الراحة من الاحزان ،
والى سماع الايقاع النائم لمائة ساعة .
الى الامام ، ايها المسافرون ! فلا نجاة لكم من الماضى
الى حيوات اخرى او الى اى مستقبل ،
انكم لستم الذين غادروا المحطة
او من سيبلغون اية نهاية على الاطلاق ،
بينما تنزلق القضبان التى تضيق رويدا رويدا ارواجا من وراء ظهوركم ،
وعلى سطح الباخرة التى تدق الطبول
اذ ترقبون الخط الذى يتسع فى الماء من وراء ظهوركم ،
لن تقولوا لانفسكم ان الماضى فى حكم المنتهى ،

* * *

او ان المستقبل امامنا ،
عند حلول الليل ، يسرى فى احبال الباخرة وسلكها الهوائى ،
صوت متطاول (وان لم تسمعه الاذن ،
محارة الزمان الهامسة ، ولا اى لغة من اللغات)
الى الامام ، يا من تخالون انفسكم مسافرين ،
فلستم انتم الذين راوا الميناء
يتراجع ، او الذين سينزلون الى البر .
هاهنا بين هذا المكان والشاطىء الابعد مدى

بينما يتراجع الزمن الى اوراء ، فتاملوا المستقبل
والماضى بعقل محايد .
فى لحظة انعدام الفعل واللافعل
ستسمعون ما يلى : فى اى دائرة من دوائر الوجود
فان ذهن الانسان خليق ان يتنبه
فى زمن الوفاة ـ فذاك هو الفعل الاوحد
(واوان الموت هو كل لحظة)
والموت خليق ان يؤتى ثماره فى جيوات الآخرين :
فدعوا عنكم التفكير فى ثمرة العمل .
الى الامام .
ايها المسافرون ، وايها البحارة ،
وانتم يا من ستصلون الميناء ، ويا من قدر لابدانهم
أن تعانى محاكمة البحر وقضاءه فيهم
او تعانى اى خطب آخر ، انما تلك وجهتكم الحقة .
كذلك كان شان كريشنا ، حين انب ارجونا
فى ساحة الوغى
فلا اقول لكم وداعا ،
بل اقول الى الامام ، ايها المسافرون .

(٤)

سيدتى ، ايا من يقوم مزارها على رعن الجبل ،
هلا صليت لكل من فى السفن ، ولمن
يعملون مع الاسماك ،
ولمن ينظمون كل حركات المرور القانونية
ولمن يوجهونهم .
هلا اعدت الصلاة ايضا من اجل
من راين ابناءهن او ازواجهن
يخرجون ، الى غير عودة :
يا ملكة السماء .

* * *

هلا صليت ايضا لمن كانوا فى السفن ،
ثم انتهوا برحلتهم على الرمال ، بين شفتى البحر
او فى الخلق المظلم الذى لن يلفظهم
او حيث لا يصلهم صوت ناقوس البحر
معلنا صلاة البشارة الدائمة .

(٥)

اذا أردت الاتصال بمارس ، فتحدث مع الارواح ،
اذا اردت كتابة تقرير عن سلوك وحش البحر ،
فضف خريطة الطوالع ، وابحث عن الطالع او افتح المندل
لاحظ المرض فى التوقيمات ، وابتعث
سيرة المرء من تجاعيد راحته
وماساته من اصابعه ، واطلق عنان النبوءات
عن طريق اوراق الشاى ، وحاج ما هو حتم
بأوراق اللعب ، واعزف القيثار على النجمة المخمسة
والاحماض المسكنة ، أو فلتشرح
الصورة المعاودة الظهور فى المخاوف السابقة على الوعى —
كيما ترتاد الرحم ، او القبر او الإحلام ، فهذه كلها
من العاب التسلية المالوفة والعقاقير ،
ولتظلن كذلك الى ابد الآبدين ، لاسيما البعض منها
فى أوقات نكبات الامم والقلاقل
ما كان منها على سواحل آسيا ، وما كان على طريق اوجوير
أن حب استطلاع الانسان ليوغل فى الماضى والمستقبل
ويتعلق بذلك البعد — اما ادراك
نقطة التقاطع بين اللازمن
والزمن ، فذاك شغل القديس —
بل ان ادراكها ليس شغلا ، وانما هو شىء يعطى
ويؤخذ ، أثناء موت الحياة فى الحب ،
والحماس وانكار الذات وتسليم الذات .

اما لاغلبنا ، فليس هناك سوى اللحظة التى لا يقوم على رعايتها احد.
اللحظة الواقعة داخل الزمان وخارجه ،
نوبة التشتت ، وقد ضاعت فى شعاع من ضوء الشمس ،
ونبات النمام الذى لا يرى ، او برق الشتاء
او الشلال ، أو الموسيقى التى يبلغ من عمقها
ان المرء لايسمعها على الاطلاق ، لكنك انت الموسيقى
بينما تستمر الموسيقى . ماهاتيك الاشياء كلها الا اشارات وتخمينات.
اشارات يعقبها تخمينات ، أما الباقى
فصلاة ، ومراقبة ، ونظام ، وتفكير وعمل
انما التجسد هو الاشارة التى لم يخمنها امرؤ تخمينا كاملا
والملكة التى لم يفهمها امرؤ فهما كاملا .
ان الاتحاد المتعذر التحقيق
بين دوائر الوجود ليتحقق هنا ،
وان الماضى والمستقبل
ليقهران ، ويصطلحان هنا ،
حيث العمل فى غير هذه الحالة حركة
لما هو محرك فقط
وليس فيه مصدر للحركة
تدفعه قوى شيطانية .
والعمل الصحيح تحرر
من الماضى والمستقبل أيضا .
وان هذا الهدف الذى يسعى اليه اغلبنا
لن يتحقق هنا ابدا .
نحن الذين لم نهزم الا
لاننا مضينا فى المجاولة ؛
انا لنطيب بالا فى نهاية الامر
اذا ما كان رجوعنا الزمنى الى التراب خليقا ان يغذى
(على غير مبعدة من شجرة السدر)
حياة تربة ذات مغزى .

* * *

دوار خفيف

ان ربيع وسط الشتاء هو الفصل الذى لا يشبه غيره من الفصول
سرمديا وان يكن مخضلا نحو غروب الشمس ،
ممتدا فى الزمن ، ما بين القطب والمدار الاستوائى .
عندما يبلغ ألق اليوم القصير غايته ، بالجليد والنار
فان الشمس القصيرة الامد لتشعل الجليد ، فوق الحوض والاخاديد
فى البرودة التى لا ريح بها وهى لب الحرارة ،
لتعكس فى مرآة مائية .
نظرة هى العمر فى اول الاصيل .
وان اللمعة الاعمق من توهج الغصن ، أو الموقد
لتحرك الروح البكماء : فلا ريح ، وانما نار عيد العنصرة
فى الوقت المظلم من العام . فيما بين الأنصهار والتجمد
ترتعش عصارة الروح . فلا رائحة للارض
ولا رائحة لشىء حى . الا ان هذا الوقت الربيع
وان لم يكن كذلك فى ميثاق الزمان . وهاهو ذا السياج الآن
وقد ابيض ساعة من الزمان بزهرة زائلة
من الجليد ، زهرة تفجؤنا
أكثر مما تفجؤنا زهرة الصيف ، فهى لا تتبرعم ولا تذبل ،
ولا هى فى نظام الجيل .
ترى أين الصيف ، صيف الصفر الذى لا يمكن تخيله ؟
لئن اتيت من هذا الطريق ،
سالكا الدرب الذى قد يقدر لك ان تسلكه
من المكان الذى قد يقدر لك ان تاتى منه ،
لئن اتيت من هذا الطريق فى شهر مايو لوجدت الاسيجة
وقد ابيضت مرة اخرى ، فى شهر مايو ، من العذوبة الشهوانية
ولن يختلف الامر فى نهاية الرحلة ،
اذا اتيت ليلا وكانك ملك محطم ،
اذا اتيت نهارا وانت لا تدرى لماذا اتيت ،

فلن يختلف الامر اذا انت فارقت الطريق الوعر
واستدرت من وراء زريبة الخنازير الى الواجهة المظلمة .
وشاهد القبر . وان ما تظن انك آت من اجله
لا يعدو ان يكون قشرة ، او قصرة معنى
لا يتحطم الهدف منه الا لحظة انجازه
اذا هو انجز على الاطلاق . اما ان تكون لا هدف لك
واما ان يكون الهدف خلف النهاية التى صورتها
وقد أصابه التغير عند انجازه . الا ان ثمة بقاعا اخرى
هى أيضا نهاية العالم ، وان بعضها لعند فكى البحر ،
او فوق بحيرة مظلمة ، فى صحراء او مدينة ـ
لكن هنا اقربها ، زمانا ومكانا ،
الآن وفى انجلترا .

* * *

لئن اتيت من هذا الطريق ،
سالكا اى درب ، بادئا رحلتك من اى مكان ،
وفى اى وقت او فى اى فصل ،
فلن يختلف الامر بك ابدا : لسوف يتعين عليك ان تطرح
الحس والفكر . الا انك لم تأت هنا لتراجع ،
ولتوجه نفسك ، أو لترضى حب استطلاعك
او لتنقل اخبارا . انك هنا لتجثو
حيث تصح الصلاة . وان الصلاة لانجز مفعولا
من أى امر فى كلمات ، التأهب الواعى
للذهن المصلى ، أو جرس الصوت وهو يصلى ،
وان الذى لم يستطع الموتى التعبير عنه فى كلمات ، حين كانوا على قيد الحياة ،
ليمكنهم ان يخبروك به الآن ، وهم فى عداد الموتى : الا ان اتصالات
الموتى لتتخذ لها لسانا من نار تتجاوز لغة الاحياء .
ان تقاطع اللحظة غير الزمنية هاهنا
هو انجلترا ولا مكان . قط وعلى الدوام .

(٢)

رماد على كم رجل عجوز .
هو كل ما تخلفه الورود المحترقة من رماد
الغبار المنتشر فى الهواء
يومىء الى المكان الذى شهد نهاية قصة .
قد كان الغبار المتطاير بيتا —
جدارا ، وكساء جدران خشبيا وفارا .
موت الرجاء والقنوط ،
الا ان هذا الموت الهواء .

* * *

ثمة فيضان وجفاف
على العينين وفى الفم ،
ان الماء الميت والرمل الميت
ليختصمان لمن تكون الغلبة منهما .
ان تراب الاحشاء المنزوعة المقددة
لتفغر فاه ازاء اباطيل الكدح ،
ويضحك دون مرح .
الا ان هذا لموت الارض .

* * *

الماء والنار يتعاقبان
على المدينة ، والمرعى والعشب .
الماء والنار يهزآن
بالتضحية التى انكرناها .
لسوف يبلى الماء والنار
الاسى التالفة التى انسيناها ،
للمحراب وجوقة المرنمين .
الا ان هذا لموت الماء والنار .

فى الساعة الغامضة التى تسبق الصباح
وعند نهاية الليل الذى لانهاية له
وعند النهاية المعاودة لما هو لا نهائى
وبعد ان كان الحمام الاسمر المرفرف اللسان
قد مر تحت افق ماواه
وبينا لبثت اوراق الشجر الميتة تقعقع كالصفيح
على الاسفلت الذى لم يكن عليه صوت آخر
وفيما بين ثلاثة اقاليم كان الدخان يتصاعد منها
لقيت شخصا سائرا ، متسكعا ومسرعا
وكانما قذف الى كاوراق الشجر المعدنية
ازاء ريح فجر المدينة التى لا يعوقها عائق .
وعندما ثبت على ذلك الوجه الناظر الى اسفل
ذاك التفحص المسنون الذى نتحدى به
اول غريب نلقاه فى الغروب المحتضر
اذ بى التقى بالنظرة المباغتة لسيد ميت
كنت اعرفه ، ثم نسيته ، ثم ذكرته فى غير وضوح
واحدا واكثر من واحدفى ذات الوقت ، وفى تلك اللامح البنيةالمحروقة
رايت عينى شبح مالوف مركب
وثيق الصلة بى ولا يمكن التعرف عليه فى ذات الوقت .
وهكذا لعبت دورا مزدوجا ، فصحت به
وانا اسمع صيحة صوت آخر : (عجبا ! انت هنا ؟)
مع انا ما كنا هنالك . كنت لا ازال كما انا ،
أعرف نفسى ولكنى مع ذلك شخص آخر —
اما هو فكان لا زال يشكل ملامحه ، وان كفت الكلمات
لتفرض المعرفة التى سبقتها الكلمات .
وهكذا ، لبثنا مذعنين للريح المالوفة ،
تحول غربة كل منا عن الآخر دون حدوث اى سوء تفاهم
متحالفين فى زمن التقاطع هذا
حيث التقينا فى اللامكان ، بلا قبل ولا بعد ،

من الحماقة الانسانية ، وتهتك
الضحك مما لم يعد مدعاة للتسلية .
وأخيرا ، فهناك الالم الممزق من اعادة صنع
كل ما صنعه المرء ، وكان ؛ وهناك الخزى
من الاهداف التى افتضحت حديثا ، ومعرفة
الامور التى أسىء صنعها والتى اريد بها الاساءة الى الآخرين
وهى الامور التى عدها المرء يوما تجربة فى الفضيلة .
ثم لدغات موافقة الحمقى ، ولطخات الشرف .
من خطأ الى خطأ ترى الروح المستثارة
تتقدم ، اللهم الا اذا ردتها تلك النار المطهرة
حيث يتعين عليك ان توازن خطواتك ، كالراقص
كان الصبح ينبلج . وفى الشارع الغامض المعالم
فارقنى ، مزجيا ، الى لونا من تحيات الوداع ،
وما لبث ان اختفى مع النفخ فى الصور .

(٣)

هنالك ثلاثة احوال تبدو متشابهة فى أغلب الاحيان
وان كانت تختلف اختلافا كليا ، وتزدهو فى ذات السياج
الارتباط بالنفس والاشياء والأشخاص ، والانفصال
عن النفس والاشياء والاشخاص ، ثم
اللامبالاة النامية بينهما
وهى التى تحكيهما مثلما يحكى الموت الحياة ،
ولما كانت بين حياتين ــ فانها لاتزدهر ، بين
الانجرة الحية والانجرة الميتة . الا ان هذه لفائدة الذاكرة
التحرر ــ لا بالاقلال من الحب وانما بجعل الحب يتجاوز
نطاق الرغبة ، ومن ثم فهو تحرر
من المستقبل ومن الماضى على السواء ، وهكذا ، فان حب الوطن
يبدأ فيرتبط بحقل أعمالنا
ثم هو لا يلبث ان يجد ان حظ هذه الاعمال من الاهمية جد ضئيل
وان كان هذا لا يعنى قط اللامبالاة . فلقد يكون التاريخ رقا ،

ورحنا نذرع الطوار فى دوارية ميئة .
قلت : ان الدهشة التى احسها ليسيرة ،

* * *

ولكن اليسر مدعاة للدهشة . فلنتكلم :
قد لا افهم ، وقد لا اذكر .
وهو يقول : « لست تواقا الى أن اعيد عليك
فكرتى ونظريتي اللتين انسيتهما انت .
لقد انجزتا المطلوب منهما : فدعهما منسيتين .
وعليك بفكرتك ونظريتك انت ، فصل الى الله ان يغفرهما
لك الآخرون ، مثلما اضرع اليك ان تنسى
الحسنة والسيئة على السواء . لقد اكلت فاكهة الموسم الماضى
وسوف يركل الحيوان الشبعان الدلو الخاوى .
لان كلمات العام الماضى تنتمى الى لغة العام الماضى
وكلمات العام الجديد تنتظر صوتا آخر .
لكن مادام الممر الآن بلا عائق
للروح الغريبة التى لا تعرف السكون
بين عالمين يغدو الشبه بينهما شديدا ،
فانى لاجد كلمات ما كنت اظننى قط قائلها
فى شوارع ما كنت اظننى قط آتيها مرة اخرى
وذلك عندما تركت جسدى على شط بعيد .
وما دامت الكلمات مشغلتنا ، وكان الكلام يحثنا
على تطهير لهجة الجماعة
ويحث الذهن على النظر البعيد وتدبر العواقب ،
فدعنى اكشف لك عن الهبات المدخرة للشيخوخة
كيما اضع تاجا على مفرق كفاح حياتك .
هناك أولا ، الاحتكاك البارد للحس المحتضر
دون رقية ، وبلا أمل
اللهم الا مرارة انعدام مذاق فاكهة الظل
حين يبدأ البدن وتبدأ الروح فى الانشطار الى شطرين .
وهناك ثانيا العجز الواعى عن الغضب

ولقد يكون التاريخ تحررا . الآن انظر ، انها لتختفى ،
تلك الوجوه والاماكن ، مع النفس التى احبتها ، قدر استطاعتها
لتغدو شهيرة ، متغيرة ، ذات شكل آخر .
ان الخطيئة لازمة ، ولكن
لسوف يغدو كل شيء على ما يرام ،
ولسوف تغدو كل الاشياء على ما يرام .

* * *

عندما افكر مرة اخرى ـ فى هذا المكان ،
وفى الناس ، ولست احمدهم جميعا ،
وفى الصلة والرحمة غير المباشرتين ،
وانما المتفردة بذاتها ،
وقد مسبتها كلها خصيصة فشاعت فيها ،
واتحدت فى النضال الذى مزق شملها ،
عندما افكر فى ملك عند حلول الليل ،
وفى ثلاثة رجال ، واكثر ، على المقصلة
وفى قلائل ماتوا دون ان يذكرهم احد
فى اماكن اخرى ، هاهنا وفى الخارج ،
وفى شخص مات كفيفا وصامتا
ترى لماذا نحتفل
بالموتى اكثر مما نحتفل بمن يموتون ؟
ليس معنى هذا ان ندق ناقوس الموتى
ولا هو رقية
ندعو بها صولجان الوردة .
الا اننا لا نستطيع احياء الفتن الدارسة
ولا نستطيع رد السياسات القديمة
او تتبع صوت طبلة عتيقة .
ان هؤلاء الرجال ، وهؤلاء الذين ناهضوهم
وهؤلاء الذين لقوا منهم مناهضة

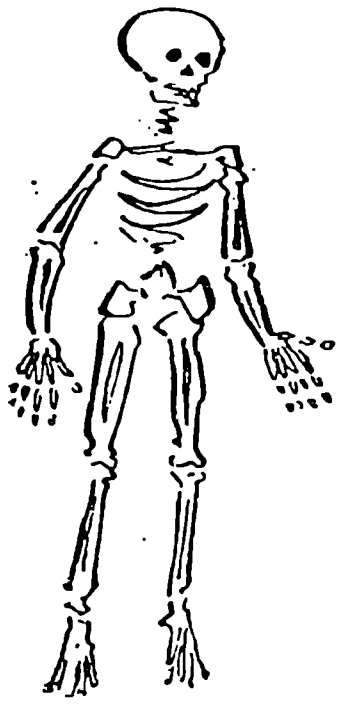

ليرقضون تركيب الصمت
وينطوون فى جماعة موحدة .
ومهما نرث من سعداء الحظ
فقد اخذنا من المقهورين
ما كان عليهم ان يخلفوه لنا ـ رمز:
رمز يكتمل بالموت .
ولسوف يغدو كل شىء على ما يرام
ولسوف تغدو كل الاشياء على ما يرام
متى تطهرت الغابة
فى ارض ضراعتنا .

* * *

(٤)

ان الحمامة الهابطة لتشق الهواء
بشعلة من الرعب الوهاج
وهى التى تعلن الالسن بها
طرح الخطيئة والخطأ .
وان الامل الوحيد ، والا فهو اليأس
ليكمن فى اختيار حطب احراق الجثث هذا او ذاك الحطب ـ
كيما تفديه النار من النار .

* * *

فمن يكون مبتكر العذاب اذن ؟ انه الحب .
ان الحب هو الاسم غير المألوف
وراء الايدى التى نسجت
قميص اللهب الذى لا يطاق
والذى لا تستطيع قوة بشرية ان تنزعه .
نحن لا نعدو ان نحيا لا نعدو ان نتنهد
تلتهمنا هذه النار او تلك .

(٥)

ان ما نسميه البداية هو فى اغلب الامر النهاية
وان الوصول للنهاية انما يعنى البداية .
ان النهاية هى مانبدأ منه ، وكل عبارة
وجملة صحيحة (حيث كل كلمة فى موضعها ،
تتخذ مكانها لتعين سائر الكلمات ،
والكلمة لا هى بالحيية ولا هى بالمتباهية ،
ولكنما هى اتصال يسير بين التالد والطريف ،
والكلمة الشائعة مضبوطة دون ابتذال ،
والكلمة الرسمية محكمة لكن دون حذلقة ،
والزوجان يرقصان معا)
ان كل عبارة وكل جملة لنهاية وبداية ،
وكل قصيدة رثاء . وان كل فعل
لخطوة نحو الكتلة ، نحو النار ، تحت حلق البحر
او نحو صخرة لا تقرأ : فمن هنا نبدأ .
انا لنموت مع من يموتون :
فانظر ، انهم ليرحلون ، ونحن نرحل معهم .
لقد ولدنا مع الموتى :
فانظر ، انهم ليرجعون ، ويجلبوننا معهم .
ان لحظة الوردة ولحظة شجر السدر
لتستغرقان وقتا مماثلا . وان شعبا بلا تاريخ
ما افتدى بعد من الزمان ، فالتاريخ قالب
اللحظات اللازمنية . وهكذا ، فعندما يبهت الضوء
ذات اصيل شتوى ، فى هيكل منعزل
فان التاريخ يفدو الان وانجلترا .
مع استخراج هذا الحب وصوت هذا النداء

* * *

الا اننا لن نكف عن الاستكشاف

ولسوف تكون نتيجة كل استكشافاتنا
ان نصل الى المكان الذى بدأنا منه
فنتعرف عليه لاول مرة .
خلال البوابة المجهولة التى ذكرناها
عندما كانت نهاية الارض التى ما اكتشفت بعد
هى البداية ،
لدى منبع اطول الانهار
وصوت الشلال الخفى
والاطفال بين شجرة التفاح
لا يعرفهم احد لان احدا لا يعنى بهم
وانما يسمعون ، يسمعون دون وضوح ، فى السكون
بين موجتين من امواج البحر .
فلتسرعوا الان ، هاهنا ، الان ، والى الابد ـ
حال من البساطة الكاملة .
(وهى لا تقل عن اى شىء آخر)
ولسوف يغدو كل شىء على مايرام
ولسوف تغدو كل الاشياء على مايرام
وذلك عندما تنطوى السنة اللهيب الى الداخل
فى العقدة التارجية للنار
وتغدو النار والوردة شيئا واحدا

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

تراث الإنسانية

سلسلة تتناول بالتعريف والدرس والتحليل
روائع الكتب التي أثرت في الحضارة الإنسانية

المجلد الثاني

٣

الأدب

فهرست السنة الثامنة (١)

الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الآداب الداغستانية بالعربية	٤
الابوة والتلمذة	٤٦٥
احتكار الترجمة	٦٠٩
احقاد المساء — ش —	٢١٩
اخطاء كبرى لن يصلحها الاجمع	
التراث	٣٤١
اديب ورحلة — ن —	٣١٢
الأرض اليباب — ش —	٥٥٨
اذكرى — ش —	٨٤
ازمة الجنس فى القصة العربية	١٠٣
ازمة النقد حول مهرجان الشعر	٥٦٠
الاسطورة فى الشعر المعاصر	٦٤٣
الاسلام والمستقبل	٤٠٩ ، ٤٨٢
اصالة الشعار	١٢٠
اطنان الثناء	٦٧
اغتيالات تاريخية	٤٩٤
اغنية الطين — ش —	٥٧٥
اغنية الى سيمون — ش ت —	٢١٣
اغنية فى ليلة عيد الميلاد — ش —	٥٧٢
اغنية للنسيان — ش —	١٥١
اقناع	٥٧١
انى اخى فى اليمن — ش —	٢٩٤
انى راوية — ش —	٢٩٦
انى سجينة — ش —	٤٢٦
انيوت فى عيد ميلاده الخامس والسبعين	٢٧٢
الأنشودة الحزينة — ش —	٥١٦
انشودة الطريق — ش —	١٢
انشودة الى العائدين — ش —	
انشودة عربي ش	١٥٨
اى والله — ق —	٣١

ب

باقة من الشعر الانجليزى — ش —	٣٥
البذرة الطيبة — ش —	٢٢
بريئان — ق —	٢٢٩
بريد الادب ٥٥ ، ١٢٠ ، ١٨٤ ، ٢٤٥ ، ٣١٨ ، ٣٩٤ ، ٤٦٣ ، ٥٣٦ ، ٦٠٥	

١ — الاختصارات :

— ش = شعر — ش ، ت = شعر مترجم — ق = قصة — ن = نقد

— الحروف مرتبة دون نظر الى اداة التعريف

الموضوع	الصفحة
بعد العاصفة ـ ش ـ	٥١٥
بكل حرية : حول هـدى القرآن	١٩٤
بلا عنوان	١٧٣
بل لها قيمة	٦٠٧
بيان تكرر	٤٦٦
بيت الطاعة ـ ق ـ	١٠٩
بين الاعجاز النفسى للقرآن والتفسير النفسى للادب	٤٠٢
بين ثقافتين	٣٠٨
ت	
تحت الجامع ـ ن ـ	٣٨٣
التخصص والهدف	٦٠٥
التراث والحياة : قوة دافعة ام مانعة	٤٧٤
ج	
جائزة الادب بين التشريع والتنفيذ	٥٤٦
جسر الشيطان ـ ق ـ	٤٥٠
الجمعة الحزينة	٢١٠
جنازة الشيخ ـ ش ت ـ	١٤٩
جنون الشهرة ـ ش ـ	٥٧٧
جنيه ابويا ـ ق ـ	١٦٨
جولة واسعة	٦٠٧
ح	
الحب فى القرآن	٧٢
الحبل ـ ق ـ	١٦٤
حرمان الهوى ـ ش ـ	١٥٦
حسبة برما	٢٤٦
حق .. الحق	٥٥
حنين الشراع ـ ش ـ	٦٤٩
حول الموقد ـ ش ـ	٣٦٨

الموضوع	الصفحة
خ	
خارج النقد	٤٦٦ ، ٥٤٠ ، ٦٠٩
خلود الحب ـ ش ـ	١٨
الخيال فى الفن والعلم	٣٣٧
د	
دعاء له ان يرقد فى سلام ـ ش ت ـ	٥٧٠
دموع بريئة	٢٩٦
دنيا الله ـ ن ـ	٢٣٩
الدور الثانى	٥٦
ذبابة ـ ق ـ	٥٨٨
ر	
رباعيات اليوت الاربعة	٦٥٨
ترحيل ـ ق ـ	٢٩٩
رسائل شفوية	١٢٨
رسالة الى شاعر ـ ش ـ	٥٧٩
رسالة زنجى الى امه فى امريكا ـ ش ـ	٦٣٤
رسالة شاب الى مجلة الثقافة	٤٤٨
رسالة مع الشمس ـ ش ـ	٧٨
رماد اشتدت به الريح ـ ق ـ	٤٣٩
ز	
زورق فى عاصفة ـ ش ـ	٢٩٦
س	
سبع سنين دابا	٢
سر الحياة ـ ق ـ	٢٢٢
ش	
الشاعر والصياد ـ ش ـ	١٦
الشاعر يترجم لنفسه	١٣٥

الموضوع	الصفحة
شخصيات تافهة	٥٣٨
الشعب المصرى	١٠١
الشعر الانجليزى فى القرن العشرين	٥٥٣ ، ٦٢٦
الشعر اليوم	٦١٨
الشعر فى بريد الادب	٥٨ ، ١٢٤ ، ١٨٧ ، ٢٥٢ ، ٣٢٣ ، ٣٩٧ ، ٤٦٧ ، ٥٤٢ ، ٦٠١
شمعة وشاعر — ش —	٤٣٣
شكاوى ادبية	١٨٦
ص	
الصبى الاسود — ق —	٢٣٣
صحافة الفكاهة وصانعوها — ن	٥٢٨ ، ٥٩٥
الصحة والحسن	٥٣٧
صديق الامس — ش —	٨١
الصمت — ش —	٢١٨
صورة — ق —	٩٩
ط	
الطربوش — ق —	١١٧
الطعام لكل فم — ن —	٦٠٣
طفل من دمشق — ش —	٢١٤
ع	
عبد الرحمن شكرى فى رسائله الاخيرة	١٣٥ ، ٢٠٢ ، ٢٦٣
عتاب	٦٠٨
العروض والموسيقى	٦٣٦
العقاد يجرح نفسه	٤٦٠
عندما يتحدث الشعراء عن انفسهم	٦٥٤
ف	
فتوى — ق —	٣٧٠
فجر — ق —	٩٤
الفجر ينطلق — ش —	٢١٧
فكيهة — ق —	٣٧٤
الفنان ناقد ايضا	٣٩٠
فواتح — ش ت —	٨٢
فى الليل — ق —	٣٠٦
ق	
قالوا احيل — ش —	٢٠
قبلة الوداع — ق —	٢٦
قصائد من البوت — ش ت —	١٥١ ، ٤١٩
قصة نجم تهاوى — ش —	٣٦٤
القط الاعمى — ش —	٢٩٧
قطرات المطر — ق —	٢٢٠
القلق المجهول	٦٤٢
ك	
كريم على نفسى	٢٤٥
كن جرح له دوا	٣٢٠
الكنارى والعش المهجور — ش —	٣٦٢
ل	
لقاء بين كاتب وناقد	٥٢٦
لقاء على موعد	٩١
للمطلق — ش —	٥١٤
لمسات وهمسات	١٢٠
م	
مايو شهر الزواج — ق —	٥٢٠
محنة النقد	٥٦٨
مدام هيرميه — ق —	١٥٩
المرآة — ق —	٤٣٦
مستقبل طفل — ش —	٢١٦
مسرح التمثيل — ش —	٣٦٠
مصر والعهد القديم	١٤٢

الموضوع	الصفحة
مع الرسالة والثقافة ـ امس واليوم	٢٥٨
مع الشعراء المحدثين	١٢
معان معادة	٣٢٢
مع ديوان حبيبتى	٣٧٩
مقتطفات من اليوت : بين ماهر شفيق ولويس عوض ٢٨٥ ،	٣٤٦
موال بحراوى	٢٥٦
من اناشيد احتاتون	١٤٢
من العهد القديم	٤٣
من الفن والحياة ٢ ، ٦٧، ١٣٠ ،	١٩٤
٢٥٨ ، ٣٣٠ ، ٤٠٢ ، ٤٧٤ ،	٥٤٦
٦١٨ .	
من نشيد الانشاد	٤٣
من وثائق التاريخ الادبى ١٣٥ ،	٢٠٢
مهازل ـ ش ـ	٤٢٥
مهما كنت نذلا ـ ق ـ	٢٣

ن

النتيجة ـ ق ـ	٤٤٤
النثر فى بريد الادب ـ ٦٠ ، ١٢٦ ،	
١٩٠ ، ٢٥٤ ، ٣٢٦ ، ٣٩٨ ،	٤٦٩
٥٤٣ ، ٦١٣	
نداء ـ ش ـ	٨٠
نزرات فى المحراب ـ ش ـ	٤٣٥
نفوس تتكلم ـ ق ـ	١٧٤
النقد فريضة والشباب وديعة	٤٦
نقد مجموعة حارة السقايين	٥١
نواعم ـ ق ـ	٥٨٣

هـ

هبة الموت ـ ق ـ	٥٨٠
الهدايا على قدر مهديها	٨٧
هدية الربيع	٨٥
هذه الابوة	٣٩٤ ، ٤٦٣
هذه المجلات	٣١٨

و

واخيرا .. الطوفان ـ ش ـ	٦٥١
و .. الشباب انبل من هذا	٣١٩
و .. المجلة	٣٢١
وانتم ايضا ضائعون	٣٠٨
وثيقة نصر ـ ش ـ	٤٣٠
وداع ـ ش ت ـ	٣٥٥
وحدى مع الليل ـ ش ـ	٤٢٨
ورق ـ ش ـ	٦٢٣

لا

لا تقولى ـ ش ـ	١٩

ى

يا عمرى .. ليلة عيد الميلاد ١٩٦٤ ـ ش ـ	٥٧٤
يقولها ـ ق ـ	٣٧٨
يوليسيز جيمس جويس	٥٠٤

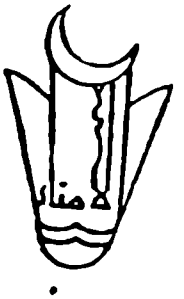

الكتاب

الاسم	الصفحة
ابراهيم ستيت	٢٣
ابراهيم السيد الخضرى ٤٣٦ ، ٥٨٠	
احمد بديع	٩٩
أحمد البدراوى	١٠
حمد كمال زكى	٦٤٣
احمد محمد فرج ٢١٩ ، ٦٦٩ ، ٥١٥	
٦٣٥	
احمد يونس	٧٩
ادوار الخراط	٣٨٣
انيوت ـ انظر ت . س.اليوت	
أمين الخولى ٥٠ ، ٧٢ ، ٣٤١ ، ٤١٨	
٤٨٢	
اناتول فرانس	٥٨٠
انيس توفيق	٢٨٥
ب	
بدوى السعيد راضى	٥١٩
انبيلى عبد الحميد حسن	٥١٨
	٢٩٦
ت	
ت . س .اليوت ٨٢ ، ٢١٣ ، ٢٧٢	
٥٥٨ ، ٦٥٨	
تنيسون	٥١٢
توفيق حنا ٤٢ ، ١٠٢ ، ١٤٢	
ج	
جمال الشرقاوى	٢٣٨
جى دى موباسان	١٥٩
ح	
حامد الاطرش	٢٩٦
حسنى سيد لبيب	٣٨٢
ز	
زكى عمر ـ ابن الرومى	٨٠
س	
السيد ابراهيم	٥٨٣
سمير احمد زرا	٥٦٩
السيد الشرقاوى	٥٧٩
سهيل هنشلوود	٣٣٧

الاسم	الصفحة
ش	
شفيق فضول	١٥٠
ع	
عبد الحكيم عبد السلام العبد	٣٥٥
	٥٧٠ ، ٥٧١
عبد الرحمن غنيم	٥٧٥
عبد الرزاق المهداوى	٣٧٤
عبد العزيز عبد ربه	٣٠
عبد الله خورشيد البرى ٤١٠ ، ٤٩٤	
عبد المنعم شميس	٩١
عبد المنعم عواد يوسف ٢٢٠ ، ١٥٧	
عز الدين اسماعيل	٦٥٤
علاء الدين وحيد ١٠٩ ، ١٧٤ ، ٣١٧	
٤٦٢ ، ٥٢٨ ، ٥٩٥	
على حسن العزب ٨٤ ، ١٥٦ ، ٢١٥	
٣٦٣ ، ٤٢٨ ، ٥٧٣ ، ٦٥٠	
على الشباسى	٢٩٥ ، ٤٢٧
عن الأمناء ـ ٣ ، ٧١ ، ١٣٤ ، ٢٠٠	
٢٦٢ ، ٣٣٥ ، ٤٠٧ ، ٤٨٠ ، ٥٤٩	
٥٥٢ ، ٦٢٢	
عنتر عبدالسلام مخيمر ٢٠٧ ، ٦٠٤	
غ	
غبريال وهبه	١٢٨
ف	
فخرى فايد	١٦٧ ، ٥٧٨
ك	
كاتول منديس	٣٦
كامل سعفان	٤٢٥ ، ٦٥٢
ل	
لبنم اوفلاهرتى	٢٩٩
م	
م . ارنواد	٥٧٠
ماهر حتحوت	٤٣٥
ماهر شفيق فريد ٣٥ ، ٨٣ ، ١٠٣	
١٥١ ، ٢١٣ ، ٢٧٢ ، ٣٤٦ ، ٣٨٣	
٤١٩ ، ٥٠٤ ، ٥٥٨	
محمد جمعه العدوى	٥٨٩
محمد الخضرى عبد الحميد	١٦٨

الاسم	الصفحة
أ ٠ ح ٠ ع	١٧٣
محمد الفقى	٤٣٤ ، ٥١٤
محمد رجب البيومى	١٨ ، ٨١ ، ٢١٦ ، ٢٩٨ ، ٣٦٠ ، ٥٧٨ ، ٦٤٢
محمد سيد جمال الدين الاوارى	٤
محمد عبد الحليم عبد الله	٥٢٧
محمد عبد الهادى محمود	٥٤
محمد محمد حبيب	٦٣٦
مجمد محمد عنانى	٢١٨
محمد هريدى	٩٨ ، ٤٤٣
محمود أبو النور	١٩
محمود السمران	٥٥٣
محمود غنيم	٢١
مصطفى الاسمر	٢٢١ ، ٣٧٣ ، ٤٤٧
مصطفى الصاوى الجوينى	٣٣٧ ، ٥٢٠
ن	
نادية عبد السلام على	١٦٣ ، ٣٠٥
ناقد اليوتى	٣١١ ، ٤٤٩
نبيل فرج	٢٣٢
نصار محمد عبد الله نصار	٢٢٨ ، ٣٦٤
نقولا يوسف	١٣٥ ، ٢٠٢ ، ٢٧١
هـ	
هانى مطاوع	٢٣٩
هيوكينز	٥٥٨
و	
وديع روفائيل	٥١٣
وليم بتلر ييتس	٥٧١
و ٠ هنرى	٥٢٠
ى	
يس الفيل	١٧ ، ٢١٧ ، ٤٣٢ ، ٥٩٤
يوسف القط	٣٤

في

٥٨ ش الجمهورية - القاهرة - ت: ٤٨٠٦٩

في ندوة الأحد ـ الساعة السابعة

حيث يلتقى الشيوخ والشباب حول مائدة حرة

العدد العاشر ـ مارس ١٩٦٤ السنة الثامنة

فهرس

٦١٨ ـ من الفن والحياة .. الشعر اليوم
... ... من الامناء

٦٢٢ ـ ورق
... ... شعر : محمد على الفقى

٦٢٦ ـ الشعر الانجليزى فى القرن العشرين
... ... المرحوم : د . محمود السمران

٦٣٤ ـ رسالة زنجى بامريكا الى امه
... ... شعر : احمد محمد فرح

٦٣٦ ـ العروض الموسيقى
... ... محمد محمد حبيب

٦٤٢ ـ القلق المجهول
... ... شعر : محمد رجب البيومى

٦٤٣ ـ الاسطورة فى الشعر المعاصر
... ... احمد كمال زكى

٦٤٠ ـ حنين الشراع
... ... شعر . على حسن العزب

٦٥١ ـ واخيرا الطوفان
... ... شعر : كامل سعفان

٦٥٤ ـ عندما يتحدث الشعراء عن انفسهم
... ... د : عز الدين اسماعيل

٦٥٨ ـ رباعيات اليوت الاربعة
... ... شعر : ت . س . اليوت
تقديم : جورج وليامسون
ترجمة : ماهر شفيق فريد

٦٩٣ ـ فهرس السنة الثامنة من الادب

دار الهنا للطباعة ت : ٧١٣٢٧